تعيين الثقل الأكبر

روح الإسلام والإيمان

تأليف

المولى يحيى بن محمد شفيع البيدآبادي الاصفهاني

١٢٥٨ - ١٣٢٥ هـ ق

المجلد الأوّل

تصحيح وتحقيق

مؤسسة شمس الضحى الثقافية

تعيين الثقل الأكبر

روح الإسلام والإيمان

تأليف

المولى يحيى بن محمد شفيع البيدآبادي الاصفهاني

١٢٥٨ - ١٣٢٥ هـ ق

المُجلد الأوّل

شبكة الفكر
alfeker.net

تصحيح وتحقيق

مؤسسة شمس الضحى الثقافية

سرشناسه : موسسه فرهنگی شمس الضحی.

عنوان و پدیدآور :تعیین الثقل الاکبر: (مجموعه رساله‌ها و کتاب گزیده هایی در تعیین قرآن یا اهل بیت علیهم السلام به عنوان ثقل اکبر) /تصحیح و تحقیق موسسه فرهنگی شمس الضحی.

مشخصات نشر :تهران : شمس الضحی، ۱۳۸۷.

مشخصات ظاهری : ۳ ج.

شابک :(ج ۱)؛ ISBN 978 - 964 8767 - 42 - 1

(دوره)؛ ISBN 978 - 964 - 8767 - 45 - 2

وضعیت فهرستنویسی :فیپا.

یادداشت :فارسی – عربی.

یادداشت :کتابنامه.

موضوع :احادیث خاص (ثقلین).

رده بندی کنگره :۱۳۸۷ ۷ت ۷ث / BP۱۴۵

رده بندی دیویی : ۲۹۷/ ۲۱۸

شماره کتابشناسی ملی : ۱۳۰۲۶۰۸

▼

تعیین الثقل الأکبر: ۱ **روح الإسلام و الإیمان** (المجلد الأول)

تألیف: المولی یحیی بن محمّد شفیع البیدآبادي الإصفهاني

تحقیق وتصحیح: مؤسّسة شمس الضحی الثقافیّة

منشورات مؤسسة شمس الضحیٰ

الطبعة الاولی: ۱۴۳۸ هـ. ق ـ ۱۳۹۵ هـ.ش.

طبع في ۵۰۰ نسخة

المطبعة: نگارش

شابك (ردمك): الجزء الأول: ۱ ـ ۴۲ ـ ۸۷۶۷ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

شابك (ردمك) الدّورة في ۳ مجلداً: ۲ ـ ۴۵ ـ ۸۷۶۷ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

صندوق البرید: تهران ۳۱۴۱ ـ ۱۹۳۹۵

مراكز التوزيع:

١) قم المقدسة، شارع صفائیه، شارع معلم، رقم ١٢٥، الهاتف ٣٧٧٤٠٥٤٥، فكس ٣٧٧٤٠٥٧١

٢) شهر ری، عتبة السید عبد العظیم الحسنی المقدسة(ع)، الباب الشرقی ٧، تلفكس ٥٥٩٥٧٨٦٢

٣) مشهد المقدسة، شارع الشهداء، شمالي حدیقة نادري، زقاق خوراکیان، بنایة گنجینة الكتاب، الطابق الأول، رقم ٣٠٤، الهاتف ٣٢٢٤٠٠٦٣، فكس ٣٢٢٤٠٠٦٢

٤) قم المقدسة، شارع معلم، بنایة الناشرین، الطابق الأرضي، رقم ٩، منشورات دلیل ما، الهاتف ٣٧٨٤٢٤٦٦

٥) طهران، شارع إنقلاب، شارع الفخر الرازي، رقم ٦١، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١

www.shamsozoha.ir

بسم اللّه الرحمن الرحيم

كلمة شمس الضحى

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه، و سلام على عباده الذين اصطفى محمّد و آله خير الورى، و اللعنة الدائمة على أعدائهم شرّ الورى.

١. إنّ أوّل مخلوق خلقه اللّه تعالى هو الحقيقة النورانية و غير المادّية التي لا تعيّن لها ـ حيث تتجلّى في مصداق اسم الجلالة؛ و هو «اللّه» تعالى ـ.

فالمقصود و المراد التامّ للّه تعالى هو المقام النوراني: أي الكلمة التامّة. و الكلمة التامّة هي المقام النورانيّ لحبيب اللّه على الإطلاق النبيّ محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه و آله الذي يكوّن الحقيقة الثلاثية الإلهيّة لدينه، و هي: كتاب اللّه، و بيت اللّه، و أهل اللّه، أو القرآن المجيد، و الكعبة المكرّمة، و أهل بيت العصمة و الطهارة. ﴿ **فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِه وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا وَ اللّهُ بِمَاتَعْمَلُونَ خَبِيرُ** ﴾[1].

و عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ اللّه سبحانه تفرّد في وحدانيّته ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النّور محمّداً و عليّاً و عترته عليهم السلام، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً و أسكنها في ذلك النور، و أسكنه في أبداننا، فنحن روح اللّه و كلمته احتجَبَ بنا عن خلقه[2].

و عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «إنّ اللّه تبارك و تعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسّد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير

---

١. التغابن: ٨.

٢. بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٣.

مصبوغ، منفيّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، و حجب منها واحداً و هو الاسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت فالظاهر هو اللّه تبارك و تعالى...»[١].

٢. القرآن المجيد، و هو قراءة اللّه المتعال لذاك المقام النورانيّ الذي اتّصف به حبيبه، فهو تعريف و تعليم و تفصيل له، لأنّ «الكلام» تفصيل الكلمة: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرآن خَلَقَ الإنْسانَ عَلَّمَهُ البَيانَ** ﴾[٢] ﴿ **وَ مَاكَانَ هذَا القُرآن أن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّه وَلَكن تَصْدِيق الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيل الكِتاب لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ العالَمِينَ** ﴾[٣].

٣. إنّ ذاك المقام النورانيّ الساميّ الذي لا يرقى إليه راق، ليس إلّا سمة من سمات اللّه تعالى لا غير:

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: «حدّثني أبي عن أخيه الحسن، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام أنّ رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن بسم اللّه الرحمن الرحيم ما معناه؟ فقال: إنّ قولك: اللّه أعظم اسم من أسماء اللّه عزّ و جلّ، و هو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير اللّه، و لن يسمّ به مخلوق»[٤].

و لهذا، فإنّ هذا المقام المنيع الأكبر من مقاماته المتعيّنة المتنزّلة: فحقيقة الصور المتعيّنة كانت واحدة كما أنّ مآل و مآب جميعها تعود إلى حقيقة الصادر الأوّل؛ يعني مقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنيع.

فعن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصحابه بمنى، فقال: يا أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب اللّه و

---

١. الكافي: ج ١، ص ١١٢.

٢. الرحمن: ١ـ٣.

٣. يونس عليه السلام: ٣٧.

٤. بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٣٢.

عترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض. ثمّ قال: أيها النّاس، إنّي تارك فيكم حرمات اللّه: كتاب اللّه و عترتي و الكعبة البيت الحرام»[١].

و الصورة الإنسانيّة لتلك الصور المتعيّنة، أفضل من صوره المكتوبة المدوّنة و اللفظية، و الحجريّة؛ لأنّ الصورة الناطقة للحقيقة أفضل من الصورة الصامتة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا كلام اللّه الناطق، و هذا كلام اللّه الصامت».

و لكي ندرك معرفة و علم و فهم هذين الوجودين فلا مناص من الرجوع إلى هذا، كما أنّ الواقع يثبت هذه الحقيقة.

فـ«كتاب اللّه» و «عترة رسول اللّه» صلّى اللّه عليه و عليهم أجمعين «لن يفترقا» من منظار معنويّ لأنّهما حقيقة واحدة، فلا شرخ بينهما و لا فجوة؛ و هما وجود واحد. و أمّا من حيث المنظار الماهويّ فـ«كتاب اللّه» مصدره الذات المقدّسة الإلهيّة، و «عترة اللّه» تمثّل الوجود المقدّس لأولئك الأبرار صلوات اللّه عليه و عليهم أجمعين لذلك فَـ«كتاب اللّه» أفضل من «عترة رسول اللّه» صلوات اللّه عليه و عليهم أجمعين. لكن و من منظار فعليّ تعتبر العترة أفضل من الكتاب لأنّ قوام القرآن و استقامته و قيامه إنّما هو بالعترة، فالعترة تعدّ الصورة الناطقة للكتاب. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآن يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَم** ﴾[٢].

و قد جاء عن الأئمّة عليهم السلام و ضمن تفسيرهم لهذه الآية أنّهم قالوا: «يهدي إلى الإمام» كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا كلام اللّه الناطق، و هذا كلام اللّه الصامت»[٣].

لكنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أفضل من الاثنين؛ لأنّه عليه السلام من حيث المعنى صادر من اللّه بشكل مباشر، و كذا من حيث الصورة هو ناطق عنه تعالى. فلذلك يكون المآل و المآب الأحسن لهذين الحسنين إليه عليه السلام: «حتّى يردا عليّ الحوض». فالواقع يثبت

---

١. المصدر السابق: ١٤٠.

٢. الإسراء: ٩.

٣. راجع: تفسير البرهان، ج ٤، ص ٥٣٩.

حقيقة أنّ من يريد إدراك تعريف و تعليم و تفهيم خطى السير من الضلال إلى الهدى فلا بدّ له من الرجوع إلى ذلك الوجود الناطق.

٤. وقد صار بحث تفضيل الكتاب و العترة و تعيين الثقل الأكبر منهما من المباحث المطروحة بين الفضلاء المتقدّمين، فأبدوا طائفة منهم آراءهم في تصانيفهم التي وصلت إلينا، ومن المعروفين القائلين بأكبريّة القرآن وتفضيله على العترة الطاهرة عليهم السلام العالم الباحث المولى إسماعيل المازندرانيّ الخاجوئيّ الإصفهانيّ حيث ألّف في هذا المضمار: «تبصرة الإخوان في بيان أكبريّة القرآن». و قد تصدّى لردّه على ضوء معارف الكتاب و الحديث والكلام أكابرٌ من علمائنا الإماميّة، فألّفوا تصانيف جيادٍ اهتممنا بجمعها وتحقيقها في هذه الموسوعة الموسومة بِـ:

«تعيين الثقل الأكبر»

ونشكر الإخوة الفضلاء العاملين في المؤسّسة لما بذلوا من جهود في تحقيق هذه الموسوعة المزيّنة بسِمَة الكتاب و العترة، كما نشكر أُسرة الوجيه المرحوم الحاج مرتضى ورشوچيان لما تحمّلوا من نفقة إعدادها و تهيئتها للنشر، والحمد لِلّه وحده.

مؤسّسة شمس الضحى الثقافية

ترجمة المؤلّف

هو العالم الجليل والمحدّث النبيل المولى يحيى بن محمّد شفيع الشريف المستوفي البيدآباديّ الإصفهانيّ، ولد سنة ١٢٥٨ للهجرة، تتلمذ على أبيه الذي كان من كبار العلماء في زمانه، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف في ريعان شبابه، و حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاريّ و استفاد منه كثيراً، ثمّ عاد إلى إصفهان إجابة لطلب أبيه.

له إجازة الرواية مطوّلة من العالم المتبحّر الشيخ مهديّ بن عليّ كاشف الغطاء النجفيّ، أخذها منه في الرابعة و العشرين من عمره، و هذا يدلّ على مدى تبحّره في علم الحديث.

وكانت له مكتبة فيها نفائس من الآثار و المخطوطات، قال الشيخ آغا بزرك في شأنها:

«كانت له مكتبة عامرة فيها كثير من المخطوطات الممتازة تبعثرت بعد وفاته، رأيت جملة منها عليه تملّكه بين سنتي ١٣٠٥ ـ ١٣٢٤ ق وسجع خاتمه فيها: « شفيع يحيى في الآخرة محمّد والعترة الطاهرة » و « المتوكّل على الله محمّد شفيع يحيى »، وعلى هوامش الكتب قيود وحواش مفيدة بخطّه الجيّد تدلّ على دقّة نظره عند المطالعة وشدّة تثبّته في النقل واحتياطه التامّ في النسخ، ففي كثير من منقولاته يعلّق عليها تعاليق ينبّه فيها على مواضع الخطأ في المنقول عنه »[1].

وقال مؤلفنا في بداية كتابه هذا:

« وكان من عادتي أنّي لو عثرتُ على كتاب أو رسالة لم يسبق نظري إليها سرتُ فيه سيراً إجماليّاً من البداية إلى النهاية ».

من مؤلّفاته:

١. أُصول الدين.

---

١. نقباء البشر؛ القسم المخطوط، نقلاً عن تراجم الرجال، ج ٢، ص ٨٧٠.

٢. الاستصحاب.

٣. أُصول الفقه.

٤. تفسير آية ﴿ وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾.

٥. تفسير سورة الفاتحة.

٦. جامع الأصول والفروع.

٧. شرح شرائع الإسلام.

٨. علم الإمام.

٩. الفقه.

١٠. المجاميع المتفرّقة.

١١. مسائل فقهيّة.

١٢. الدرّة البيضاء.

١٣. جامع الأصول والفروع.

١٤. الحواشي على خاتمة مستدرك الوسائل للنوريّ.

١٥. تفضيل الأئمّة عليهم السلام على الملائكة[١].

١٦. روح الإسلام والإيمان في معرفة الإمام وتفضيله على القرآن. و هو الكتاب الماثل بين يديك. كتبه ردّاً على كتاب «تبصرة الإخوان في بيان أكبريّة القرآن» الذي ألّفه المولى إسماعيل الخواجوئيّ، و ينبئ اسمه عن محتواه و مسمّاه. فرغ من تأليفه في النصف من شهر شعبان عام ١٣١٨ للهجرة.

و قد حقّقنا هذا الكتاب على نسخته الخطّيّة الموجودة في مكتبة آية اللّه العظمى المرعشيّ النجفيّ بقمّ المشرّفة، تحت رقم ٦٠١١. نسخها أبوالقاسم خوشنويس في ٣٢٧ ورقة.

---

١. انظر: الأعلام، ج ١، ص ٣٣٤ و ج ٨، ص ١٧٠؛ الذريعة، ج ٤، ص ٣٥٨؛ نقباء البشر، القسم المخطوط؛ تراجم الرجال، ج ٢، ص ٨٧٠.

روح الإسلام والإيمان

في معرفة الإمام وتفضيله على القرآن

المولى يحيى بن محمّد شفيع البيدآبادي الإصفهانيّ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله الّذي منّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم سيّد أنبيائه ورسله، وكرّمنا بأكرم من دعا إلى سبيله، وافتتح كتاب الوجود بنوره، الّذي خلقه من نور عظمته وقدرته وجلاله، فأدّبه بنفسه لنفسه، وأكمل تأديبه على كمال إرادته ومشيّته، فسطع نوره واستبق إلى الإقرار بألوهيّته وربوبيّته، فأشهده خلق خلقه، وفوّض إليه أمرهم ليسوس عباده إلى معرفته وعبوديّته.

واستخلصه في القدم على سائر خلقه لخلّته وصفوته، لانفراده بخلوصه عن شوب غير معبوده وخالصته، وانتجبه آمراً وناهياً، وأقامه في سائر عوالمه مقامه، إذ كان لا يدركه الأبصار، ولا تحويه الأفكار، ولا تمثّله غوامض الظّنون والأسرار، لا إله إلّا هو الملك الجبّار.

واصطفاه فقرن الاعتراف بنبوّته بالاعتراف بلاهوتيّته، وجعل طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، وجعله في هذا العالم ختماً وخاتماً لرسله وأنبيائه، وكان فاتحاً بالإقرار بوحدانيّته وصمدانيّته، ومقدّماً على أنبيائه وأصفيائه.

وكان أفضل من اجتباه، وأكرم من اعتمده، وصفوة من اصطفاه، ليكمل عباده بترادف آلاف من الأنبياء والمرسلين، ويترقّى العقول بتواتر آياته وبيّناته ليكونوا من المهتدين، ويستعدّوا للتشريف برسالة خاصّة ربّ العالمين، ولئلّا ينسخ دينه القويم ويبقى أبد الآبدين؛ لأنّه أكمل الأديان، وأشرف طرق الهداية إلى الرحمان، فإنّ الصادعين به أكرم المصطفين من الذوات المقدّسة، وأقدس المجتبين من النفوس المكرّمة.

وحيث شرّف العالم بشرف عالم الإمكان، وسطاع نور البرهان، زاده تكرمة، وبعثه إلى

الثقلين من عباده، واستظهره بالثقلين أكبر آياته، وأدلّ دلائله، وأبين أبوابه، وأوطأه مشارق الأرض ومغاربه، وأعطاه جميع ما أعطى أنبيائه وأصفيائه، وزاده أضعافاً على ما آتاهم.

فأحلّه المنزلة الّتي أظهر بها فضله عليهم، فصيّره إماماً لهم في السماء بجماعتهم، وشاهداً على تبليغهم ورسالتهم، وأعطاه الشفاعة دونهم، ورفعه مستزيداً إلى علوّ مملكته، فسخّر له البراق، وعرج به إلى السماء، وأودعه علم ما كان وما يكون إلى الانقضاء، حتّى كلّمه في محلّ جبروته، فدنى وتدلّى وكان قاب قوسين أو أدنى، دنوّاً واقتراباً من العليّ الأعلى.

وقد تحيّرت في إدراك مقامه العقول، وتاهت في بيداء علوّه أوهام الفحول، وزاده شرفاً وعلاء وضياء وبهاء بأن اختصّ لنفسه بعد نبيّه من أهله خاصّة علّاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته، وجعلهم أدلّاء بالإرشاد عليه، والدعاة بالحقّ إليه، أنشأهم في القدم معه أنواراً قبل كلّ مذروء ومبروء، فأنطقها مثله بتحميده، وألهمها معه بكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كلّ معترف له بمملكة الربوبيّة، وسلطان العبوديّة، وكانوا معه أنواراً يعبدونه ويسبّحونه ويهلّلونه، وليس سواهم أحد يعبده.

ولمّا خلق الملائكة تعلّمت منها، وسبّحوا فسبّحت الملائكة، وهلّلوا فهلّلت الملائكة، ومجّدوا فمجّدت الملائكة إلى أن استودع ذلك النور في أبينا آدم، فأمر الملائكة له بالسجود لذلك السرّ المكنون، وأشار إليه فقال: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَاتَعْلَمُونَ ﴾[1].

وكان ينقلب في الأصلاب الطاهرة مع الراكعين والساجدين، حتّى أشرق بنوره جبهة عبدالمطّلب فجعله شقّين: شقّاً في عبدالله وجعله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم سيّد الأنبياء والمرسلين، وشقّاً في أبي طالب وسمّاه عليّاً عليه السلام سيّد الأوصياء المرضيّين، وجعله للرسول أخاً ووزيراً وصهراً وظهيراً، وأعطاه ما أعطاه، حتّى حكم بأنّه نفسه، فكان له عيناً وعوناً ومعيناً، لم يفارقه طرفة عين، حتّى في معاريجه إلى سمائه استدعى ربّه صاحبه وكان معه إلى مقام قاب قوسين.

ولمّا انقضت أيّامه، واستكملت مدّته، اختصّه بخليفتين غير مختلفين، وصاحبين مؤتلفين، وتركتين غير مفترقين، وثقلين مجاورين: كتاب الله الّذي جعله معجزاً باقياً إلى بقاء دينه،

---

١. البقرة: ٣٠.

وأخبره فيه بالعجز عن إتيان سورة مثله من عامّة بريّته، وجعله كتاباً مهيمناً على كتبه المتقدّمة، ومشتملاً على ما حوته من العلوم الجمّة، وفاضلاً عليها بأن جعله تبياناً لكلّ شيء. وأخبر فيه بأنّ علمه ذلك عند قرينه الغير الفارق عنه، وصيّ نبيّه وأهل بيته، وقيّمه المفسّر له، أميرالمؤمنين وأولاده عليهم السلام، يشهد كلّ واحد منهما لصاحبه بالتصديق، ينطق الإمام عن الله في الكتاب بما أوجب الله فيه من طاعته وطاعة الإمام وولايته على جميع الأنام، وواجب حقّه الّذي أراد من استكمال دينه وإظهار تمام أمره، وجعل الإقرار بولايتهم من تمام وحدانيّته وكمال دينه وتمام نعمته، وضيّق الأمر على رسوله في تبليغ ولاية وُلاتِه حتّى حذّره بأنّه لو لم يبلّغها لم يكن عاملاً برسالته.

وجعلهم ألسن إرادته، وتراجم وحيه ومشيّته، ومصطفى خيرته، وأوضح بهم عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل مناهجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، وجعلهم مسالك لمعرفته، ومعالم لدينه، وحجاباً بينه وبين خلقه، والباب المؤدّى إلى معرفته ومعرفة حقّه، واطّلعهم على المكنون من غيب سرّه.

وأمرنا في كتابه بما بدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكة قدسه ودعى بالمؤمنين من جنّه وإنسه، فقال تعالى ـ تنبيهاً لنا وتعليماً، وتشريفاً لنبيّه وتعظيماً ـ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[١].

اللّهمّ ربنّا لبّيك وسعديك، صلّ وسلّم عليه صلاة وتسليماً تجاوز رضوانك، ويتّصل اتّصالها ببقائك، ولا تنفد كما لا تنفد كلماتك، وصلّ وسلّم عليه صلاة وتسليماً تنتظم صلوات ملائكتك وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك، وتشتمل على صلوات عبادك من جنّك وإنسك وأهل إجابتك، ويجتمع على صلاة كلّ من ذرأت وبرأت من خلقك.

اللّهمّ وصلّ على الأطائب من أهل بيته الراشدين، والأئمّة الإثني عشر من آل طه ويس، الّذين اخترتهم لأمرك، وجعلتهم خزنة علمك وحفظة سرّك ودينك، وخلفائك في أرضك، وحججك على عامّة عبادك، وطهّرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك، وجعلتهم

---

١. الأحزاب: ٥٦.

الوسيلة إليك، والمسلك إلى جنّتك ورضوانك. فصلّ اللّهمّ عليهم صلاة لا غاية لعددها، ولا نهاية لمددها، ولا نفاد لأمدها. وصلّ عليهم صلاة لا تلحقه النّفيد، ولا ينقطع على التأبيد.

وصلّ اللّهمّ على خاتمهم وقائمهم الإمام الثاني عشر، والمهديّ المنتظر، الغائب عن الأبصار، والحاضر في القلوب والأمصار، عليه صلوات الملك الجبّار، صلاة تتضاعف على كرور الأزمنة، وتتزايد أضعافاً مترادفة.

اللّهمّ كن له وليّاً وحافظاً وناصراً وقائداً ودليلاً وعيناً وعوناً ومعيناً، وعجّل له الفرج والنصر والعافية، واجعلنا من شيعته وأعوانه وأنصاره.

اللّهمّ وأقِمْ به الحقّ، وأدحض به الباطل، وأعزز به أوليائك، وأذلل به أعدائك.

وصِلِ اللّهمّ بيننا وبينه وُصْلة تؤدّي إلى مرافقة سلفه، واجعلنا ممّن يأخذ بحجزتهم، ويمكث في ظلّهم، وأعنّا على تأدية حقوقه إليه، والاجتهاد في طاعته، والاجتناب عن معصيته، وامنن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته ودعائه وخيره، ما ننال به سعة من رحمتك، وفوزاً عندك.

واجعل صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة، ودعائنا به مستجاباً، واجعل أرزاقنا به مبسوطة، وهمومنا به مكفيّة، وحوائجنا به مقضيّة، واقبل إلينا بوجهك الكريم، وانظر إلينا نظرة رحيمة، نسكتمل بها الكرامة عندك.

واجعلنا ممّن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بنا غيرنا، ولا تصرفها عنّا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين، ويا أجود الأجودين، ويا أكرم الأكرمين، والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولانا أن هدانا الله، والحمد لله ربّ العالمين.

أمّا بعد: فيقول العبد الضعيف، الراجي فضل ربّه اللّطيف، يحيى ابن محمّد شفيع الشريف، أحياه الله بمعرفة أئمّة الدين: إنّ هذه رسالة موجزة في مناقب آل محمّد ـ صلوات الله عليه وعليهم ـ وإثبات يسير من فضائلهم الّتي هي الكلمات التامّات الّتي لا تنفد ولو نفدت في إحصائها الأشجار والبحور، وكان الكاتب جميع الخلق بأمر خالق البراري والصحور، وربّ البحر المسجور، من الأوّل إلى انقضاء الأيّام واللّيالي والأعصار والدّهور، فكيف بهذا العبد

الضعيف المهجور، وهو بهذا العجز والقصور، فهو متعذّر لا معسور.

ولكن دعاني إلى ذلك بقدر المقدور أنّي عثرت على رسالة معمولة في تفضيل القرآن على أهل بيت النبيّ المختار من المولى الجليل مولى إسماعيل المازندرانيّ الأصل، أصفهانيّ الموطن والمسكن، المعروف بالخاجوئيّ، محلّة من محلّات أصفهان، وكان في أواخر الدولة الصفويّة إلى زمان نادرشاه، وكان من العلماء المعروفين، صاحب تصانيف رائقة، وفضائل فائقة.

ورأيت منه كتاباً جيّداً في شرح «مفتاح الفلاح» لشيخنا البهائيّ، وعندي منها نسخة، وشرحاً على دعاء الصباح المعروف، وسمعت منه رسائل كثيرة في العلوم الكلاميّة كالجبر والتفويض والقضاء والقدر، ورسالة في البداء وغير ذلك ولم أرها، وسمعت أنّ مصنّفاته يقرب من مأتين.

وإنّي كنت في سالف الزمان رأيت رسالة موجزة بألفاظ رائقة مشتملة على سؤالات عن شيخنا البهائيّ ﷺ من بعض فضلاء معاصريه، وهو كما عرّفه نفسه في آخر الرسالة: عليّ بن الحسن بن شدقم الحسينيّ المدنيّ.

وأوّل سؤالاته في تلك الرسالة عن الشيخ المعظّم المذكور: أنّ الإمام أشرف وأفضل أم القرآن العظيم؟

ونقل عن بعض أهل الخلاف: أنّ القرآن أفضل وأشرف من الإمام، حتّى أنّ كلمة وحرفاً منه أشرف وأفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، فضلاً عن جميعه وكلّه، وبالإضافة إلى غيره من الأئمّة.

ونقل عن بعض علماء العجم توقّفه في الآل، وترجيحه الرسول على القرآن، والتمس من الشيخ التفصيل في الجواب، ولكنّه ﷺ اختصر في الجواب، واقتصر على ما سنح في خاطره من غير رجوع إلى فكر وكتاب، ولعلّنا ننقل كلامه في طيّ هذا الباب.

فلمّا رأيت هذا المختصر كنت شائقاً على أن أجد الفرصة للخوض في هذا المطلب، وعاقني منه عوائق الزمان إلى أن اشتريت قبل ذلك بأيّام قلائل كتباً ورسائل، وكان من عادتي أنّي لو عثرت على كتاب، أو رسالة لم يسبق نظري إليها سرت فيه سيراً إجماليّاً من البداية إلى

النهاية، ثمّ تركتها إلى أوان احتياجي إلى ما فيه، فأجلت النظر على عادتي في تلك الكتب والرسائل فرأيت من جملتها تلك الرسالة من المولى المذكور في المسألة المذكورة تزيد على ثلاثة آلاف بيت.

فازداد شوقي إلى مطالعتها حتّى أنّي سرت من أوّلها إلى آخرها بعد فراغي من صلاة العشاء بقدر أربع ساعات من ليلتي، لحرصي على الاطّلاع على تحقيق ذلك المطلب، ورأيته قد استقرّ رأيه على تفضيل القرآن على أئمّة الدين والمذهب، وعنون رسالته هذه بعد تسمية نفسه بما لفظه:

«من غرائب ما اتّفق لي مع بعض فضلاء المعاصرين أنّي ذات يوم دخلت عليهم في مجمع لهم في دار الضّيافة، فإذا هم يجادلون في مسألة كانت بينهم، ويمارون فيها مراءً ظاهراً، ولا يستفتي فيهم منهم أحدٌ، بل كلّ واحد منهم في صدد الإفتاء وردّ قول الآخر من غير نظر دقيق، أو فكر عميق.

فقائل يقول: هذا الخبر ليس له عين ولا أثر في طريق الخاصّة، فوجب طرحه وضربه عرض الحائط وردّه، فإنّه صابون رديّ.

وقائل يقول: هو منافٍ لقوله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[١].

وآخر يقول: إنّهم عليهم السلام مثل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الدرجة والمنزلة، وهذا الخبر ينافيه ويعارضه.

وآخر ضارب لنفيه تمثيلات ركيكة وشعريّات سخيفة.

وآخر يقول: قوله عليه السلام «أنا كلام الله الناطق»[٢] يدلّ على كونه عليه السلام أفضل من القرآن، للفرق البيّن بين الناطق والصامت... إلى غير ذلك من الأقوال والأمثال الّتي لا يهمّنا ذكره، لكونها بحذافيرها ممّا لا محصّل له في هذا المقام، بل هو خارج عمّا هم فيه من الكلام.

فالحريّ بنا تركه مع ما فيه، فإنّ من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه، فلمّا استخبرنا عنهم الحال، وما دعاهم إلى ذلك القيل والقال، قال قائلٌ منهم: إنّ الحديث الفلانيّ يدلّ على

---

١. تأويل الآيات، ص ٤٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٥.

٢. بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٥٤٦، وفيه: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق وهذا كلام الله الصامت».

أنّ القرآن أفضل من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأكبر منهم، وهذا هو محلّ الإشكال، لما قرعت سمعك من الأقوال والأمثال.

فقلت: قد بلغني من العقلاء أنّهم يقولون: كلّ ما قرع سمعك من الغرائب، قدّره في بقعة الإمكان ما لم يَذِدْك عنه قائم البرهان، فليس لهم على ما قرع سمعهم من حديث الأفضليّة دليل يذودهم عنه، فكيف ينكرونه ويئابّون عنه وهو خلاف طور العقلاء والنّقلاء؟

ألا ينظرون إلى قول سيّدنا أميرالمؤمنين وسيّد المتقين ـ سلام الله عليه وعلى أولاده الأطيبين ـ: «فلا تقولون بما لا تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون».[١]

وشارعنا معهم في المقال، وصرنا نزيل عنهم ما عرض لهم من الإشكال، فخلطوا ذلك البحث ـ كما هو دأبهم ودأب نظرائهم حين العجز وتمام الحجّة ـ وانتقلوا عنها إلى مسألة أُخرى.

فبينا نحن فيها إذ جائت المائدة وفاتت الفائدة لما هو المشهور بين الجمهور: إذا جاء الطعام بطل الكلام.

فلمّا أن رفعت المائدة وحان حين تدارك الفائتة انقضى ذلك المجلس وتفرّق القوم ولم يتّفق لنا بعد ذلك مقام يناسب التقريب لإعادة ذلك الأمر الغريب، فأردنا أن نشير بعون الله إلى مزالّ أقدامهم منبّهاً على مغالطات مباينهم، ومشاغبات معاينهم، والله تعالى يعلم منّا أنّ ذلك ليس ممّا يقتضيه دأبنا، أو يتعوّده خلقنا، بل ليس غرضنا وقصدنا بذلك كلّه إلّا سلوك طريق الحقّ والانصاف، وأن تظهر حقيقة الحال في تلك المسألة من غير الاعتساف، لئلّا نعير المقيّد لقول من يدّعي شيئاً لا يقدر على بيان ما يدّعيه، وإن بذل فيه كمال جهده وتمام مساعيه، فهذا هو الّذي دعانا إلى ترتيب هذه الرسالة.

إلى أن قال:

وسمّيتها بـ«تبصرة الإخوان في بيان أكبريّة القرآن» ورتّبتها على مقدّمة وفصلين وخاتمة:

أمّا المقدّمة ففي تعريف القرآن وذكر رسومه.

---

١. نهج البلاغة، ص ١٢٠، خ ٨٧.

والفصل الأوّل في نقل أحاديث الثقلين من الفريقين، وبيان دلالتها على تفضيل القرآن على الإمام بلا ريب ومين.

والفصل الثاني في أجوبة الشكوك والشبهات الموردة على ذلك الباب.

والخاتمة في بيان جملة من الأخبار المذكورة في ذلك الباب.

هذا كلامه في ديباجة كتابه، ولمّا أجلت النظر فيها ليظهر لي ظاهرها من خافيها، رأيته ﷺ في المقدّمة اقتصر في تعريف القرآن على بعض رسوم ذكرها الأصحاب ولم يأت بشيء يظهر منه حقيقته لأُولي الألباب. وفي الفصل الأوّل أتعب نفسه في إثبات تواتر أخبار الثقلين من الفريقين، وذكرها بأربعة وعشرين طريقاً من الجانبين.

ثمّ أخذ في تعريف الاستدلال بها لإثبات مدّعاه، ولم يأت بشيء إلّا أنّ لفظ الأكبر والأصغر مذكور في أكثرها، وجعل النبيّ المختار أكبرهما القرآن، وأصغرهما أهل بيته، ولا يكون للأكبريّة والأصغريّة في المقام معنى إلّا أفضليّة الأوّل وأشرفيّته، ومفضوليّة الثاني ومرجوحيّته؛ لأنّه لايحتمل سوى ذلك.

وأطال الكلام في تقريب هذا الاستدلال بتصحيح السند وقطعيّة صدوره من الرسول ـ صلوات الله عليه ـ لأنّها من المتواترات باتّفاق الفريقين، وبدلالتها بلفظ الأكبر والأصغر، وعدم احتمال الرافع والمخصّص والمقيّد والمعارض.

وقد أثبته بأنّ هذا الكلام من رسول الملك العلّام كان آخر كلماته وآخر خطاباته إلى أن فات، ففات بفوته احتمال النسخ والتخصيص وغيرهما من كلّ احتمال، فلا يتصوّر دلالتها ونفي المخصّص والمعارض لها.

أقول: وهذا الكلام منه ﷺ وإن كان خلاف الحقّ والتحقيق ـ كما ستعرف الكلام فيه على التفصيل ـ إلّا أنّه ليس بذلك البعد من العلم، وله صورة ظاهريّة ووجه صوريّ يذهب إليه من يجمد نظره إلى أخبار الثقلين، ويغضّ بصره عمّا سواها، فإنّها ـ كما ستعرف وكما ذكره ـ مشتملة على تقديم القرآن في الذكر في جميعها، والتصريح في كثير منها بأنّ القرآن أكبر والعترة أصغر.

فمن اقتصر في نظره إليها يزعم دلالتها على أفضليّة القرآن، مع أنّه لو نظر إلى الأخبار الدالّة على أفضليّة العترة من القرآن، والبراهين القاطعة على أشرفيّتهم عمّا سوى الرسول المختار، لوجدها أضعاف تلك الأخبار، وأقوى دلالة منها، فيجب صرفها عن ظاهرها لو كان فهم مراد النبيّ من هذا البيان، كما ستعرف إن شاء الله.

وليته ﷺ اقتصر على هذا القدر، ولم يتعدّ عن ذلك الطور، ولم يعطف عنان قلمه في بيان الفصل الثاني في دفع شبهات خصمه، فإنّه لمّا رام دفع استدلال القوم بأخبار فضائل أئمّتهم ومناقبهم، قد ركب الشنعة الشنعاء، وغار الغارة الشعواء، وأشار في طيّ ما نقله من أدلّة خصمه إلى جلّ فضائل آل محمّد صلوات الله عليهم التي فيها دلالات وتنبيهات إلى أفضليّتهم عمّا سوى الله بعد رسول الله ـ عليه وعليهم صلوات الله ـ ودفعها بإنكارها رأساً، وعلّل إنكاره تارة بأنّها من ضعاف الأخبار وأنّها ليست مذكورة في أصل وكتاب معتمد تركن النفس إليه قليلاً.

وأُخرى قد زاد في الطّنبور نغمة وجاء بمنكر من القول وتهمة، فجعلها جلّها ـ بل كلّها ـ من مجعولات الغلات والصوفيّة والزنادقة، ولم يأت على إنكاره ببرهان، ولم يجيء في إصراره بتبيان، إلّا ما نقله من أنّ الفلانيّ العالم قال: إنّ فلاناً قد وضع ودسّ في الأخبار كذا وكذا عدداً كثيراً من الأخبار، وأمّا أنّ هذه الأخبار منها، فلم يُبيّنه ـ كما ستعرف عين عبارته ـ وتقضي بالعجب من كثرة جرأته وجسارته. فدعاني ذلك إلى ترتيب هذه الرسالة الشريفة، لئلّا يظنّ من لا خبرة له بأخبار أهل البيت من المؤمنين أنّ ما ذكره حقّ، ويعتقد تبعاً لذلك العالم إنكار أكثر فضائل آل محمّد عليهم السلام باحتمال أنّها من الأخبار الضعاف، أو من مجعولات الغلاة والزنادقة والصوفيّة من أهل الاعتساف، فيبقى على هذه العقيدة الفاسدة، والتليدة الكاسدة حتّى يمضي فيحرم عن درجات العارفين، ومقامات العالمين بفضائلهم، كما ستعرف ـ إن شاء الله ـ بما لا يحتمل فيها الإنكار، ولا يتطرّق إليها شبهة المنكر وإن أصرّ كلّ الإصرار، وسمّيتها:

« روح الإسلام والإيمان في معرفة الإمام وتفضيله على القرآن »

ورتّبتها على مقدّمة ومقامات ثلاثة وخاتمة.

أمّا المقدّمة: في تعريف القرآن ورسومه، وتعيين ما هو المراد في أخبار الثقلين، وتحرير

محلّ النزاع في البين، وفيها بيانات شريفة وفوائد لطيفة لم تجدها ولا تجدها في غير هذه الرسالة.

المقام الأوّل: في أخبار الثقلين وأنّها متواترة من الفريقين، وهل التعرّض للأكبر والأصغر في جميعها حتّى يكون هذا اللفظ أيضاً متواتراً أم لا؟ وهل المراد من الأكبريّة والأصغريّة فيها ماذا؟ وهل فيها دلالة على ما ادّعاه وباق على ظاهرها أو منصرفة عنه إلى غيره وحينئذٍ فالقرينة ما هي؟

وقد تعرّضنا فيه لكلمات صاحب الرسالة والنظر فيها بما يقتضيه العجالة، ولتعيين المراد من الأكبريّة والجمع بينها وبين الأصناف الكثيرة من الأخبار كلّ صنف منها متواتر ودالّة كلّها على خلاف ما ادّعاه وهي الأخبار الّتي تعرّضنا له في المقام الثالث.

المقام الثاني: في الأدلّة الدالّة على أشرفيّتهم وأفضليّتهم من القرآن العظيم من الآيات والأخبار والعقل والنقل والملفّق منهما بالبيانات الشريفة، والتبيانات الأنيقة الواضحة.

المقام الثالث: في بيان ما زعمه صاحب الرسالة في دفع استدلال خصمه بأخبار الفضائل وإنكاره لها، ومنع دلالتها رأساً، والجواب عنه، وإبطال زعمه بأبواب من الأخبار، كلّ باب منها أخباره متواترة فضلاً عن جميعها، وإثبات دلالتها، ووجوب التديّن بها.

وفي هذا المقام أبواب شريفة يفتح من كلّ باب منها أبواب من العلوم والمعارف، وفيه إثبات تفضيل الإمام على القرآن، وبيان البرهان على هذا البيان.

وفيه بيان جُلّ فضائلهم ومناقبهم، وإثبات ولايتهم الكبرى، ورياستهم العظمى ببيانات عجيبة، وتبيانات شريفة لا تجدها في غير هذه الرسالة.

وهذا المقام هو المقصود من وضع هذه الرسالة، وهو مقام رفيع الشأن، عظيم البيان، منه يتبيّن معرفة الإمام، والترقّي عن حضيض جهل الجهلة والسّفلة إلى مقام الشيعة، ويحصل منه معرفة الإمام بالنورانيّة لمن أمعن النظر فيها طلباً للهداية.

وفيه أبواب علم الإمام بالغيب ومشيّته وإرادته وقدرته وغرائب أفعاله وأحواله، وبدء خلقته وانعقاد بنيته وجسده وبدنه وفنائه إلى الله ووفاته وحاله بعد مماته في الجملة.

وتعرّضنا لهذه الأخبار في اثني عشر باب، قد ذكرنا في كلّ باب معنون بعنوان خاصّ ربّما يقرب من أربعين خبر معتبر ويزيد في كثير منها عنها.

الخاتمة: في أنّ هذه المعرفة بمقام الإمام هو الواجب على خواصّ الأنام، وأنّها أصل الدين وأساس الإسلام، وبيان أنّها من أُصول الدين، أو المذهب، ولا أتعدّى في جميعها عن الأخبار القطعيّة، والبراهين القاطعة.

وفيها أيضاً بعض ما أعتقده من شئون الإمام، مثل: أنّها المراد من الأسماء الحسنى والإسم الأعظم، وأنّه المثل الأعلى، والنّعم الّتي لا تحصى، وأنّه المراد من الرحمة الواسعة والكلمة التامّة مثل: «أسألك برحمتك الّتي وسعت كلّ شيء»[1] و«أسألك بأسمائك الحسنى وأمثالك العليا ونعمك الّتي لا تحصى، وأسألك بكلماتك التامّات الّتي تمّت صدقاً وعدلاً، وباسمك العظيم الأعظم، وأسألك بأحبّ أسمائك إليك وأقربهم منزلة منك وأخصّهم زلفة لديك»[2]... إلى غير ذلك ممّا لا تحصى. وإن أقمتُ لك الدليل القطعيّ من الأخبار بحيث لا يمكن ردّه سنداً ودلالة، فعليك بالقبول وإلّا فارددها ولا أُبالي.

فالحاصل؛ أنّي أُرشدك في هذه الرسالة بما أرشدني الله إليه، وهداني إليه، منّاً منه به عليّ، حيث جعلني أهلاً لذلك مع دليله وبرهانه، فإن قبلتها تكون من الفائزين بمقام الشيعة، وإلّا فتكون مثل من سمعنا من بعض المعاصرين، حيث أنكر علم الإمام بالغيوب وسُئل عن درجة الإمام. فقال: «إنّه عالم بالأحكام الشرعيّة، وإنّه مستجاب الدعوة»!

وأنا أعتقد هذا القدر من المقام في العلماء العاملين من الشيعة، فكيف بمثل سلمان وأبي ذر ومقداد وغيرهم من أصحاب الأئمّة عليهم السلام. وأعتقد أنّ بعض الأصحاب يعلمون الغيوب بتعليم الإمام، كما ورد في ميثم التّمار والرشيد الهجريّ وأضرابهما بأنّهم يعلمون علم البلايا والمنايا.

هذا أبوذر، قد أخبر بالغيب لابنته قبل وفاته، وأنّ مالكاً وجمعاً من الصحابة يجيئون ويتولّون أمر غسله وكفنه ودفنه.

---

١. بحارالأنوار، ج ٨٣، ص ٣٢٥.

٢. بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ٢٤٦.

وسلمان قد أخبر الأصبغ بن نباتة بغاسله حين سأله الوصيّة بالغسل وتولية أمر وفاته، فقال: إنّه يغسّلني من غسّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... إلى آخره.

ولا أفهم ما يقول المنكرون الجاهلون؛ فإن قالوا: إنّهم علموا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقول: علم الإمام أيضاً من رسول الملك العلّام.

خرجنا عمّا يليق بمقام الفهرست من غير اختيار، وستعرف تمام الكلام في ذلك بعد الإحاطة بما نتلوه عليك في أبواب الرسالة إن شاء الله.

أمّا المقدّمة

ففي تعريف القرآن

فاعلم أوّلاً أنّ معتقدي فيه أنّه أجلى من أن يعرف، وأنّ تعريفه بالرسوم أخفى من المعرّف، كتعريف العلم والوجود والنور والشمس والقمر، فإنّ كلّ أحد يعلم أنّ القرآن إسم لكتاب سماويّ تحدّى به محمّد بن عبدالله ـ صلوات الله عليه وآله ـ وهذا المعرّف ضروريّ عند المسلمين، وعند الكفّار من اليهود والنصارى، فإنّهم يعلمون أنّ القرآن عند المسلمين هو هذا الكتاب الّذي ادّعاه رسول الله ﷺ بأنّه من الله، وتحدّى به، فكلّ رسم يتعرّف به يكون أخفى منه، والتعريف لحصول المعرفة والمعرفة حاصلة.

نعم، يبقى بيان أفراده وأصنافه وتبيّن محلّ النزاع منها، كما سنبيّنها لك عن قريب إن شاء الله.

أمّا تعريف القرآن؛ فهو في الأصل مصدر «قرأت» أي: تلوت كتقرآن وكقرآن، وإنّما سمّي بالمصدر وهو في الحقيقة المقروء كما سمّي المكتوب كتاباً، والمحسوب حساباً[1].

وقيل: مصدر «قرأت الشيء» أي: جمعت بعضه إلى بعض، وسمّي به، لأنّه جمع العلوم والأحكام من الأُصول والفروع، والقصص والأمر والنهي، والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض[2].

وفي الشريعة المطهّرة وعرف المتشرّعة ـ بل عرف كافّة أهل الإسلام، بل مطلق أهل العرف العام ـ اسم للكتاب الّذي تحدّى به رسول الله محمّد بن عبدالله ﷺ وقد تواتر عنه

---

١. مجمع البيان، ج ١، ص ١٤.

٢. تفسير طبري، ج ١، ص ٣٢؛ غريب القرآن، سجستاني، ص ١٦٢.

بجميع آياته وسوره وألفاظه وحروفه. والعلوم المتعلّقة به كثيرة جدّاً، لكلّ واحد منها علم يتكفّله أهله، ولا يهمّنا ذكره.

فمن حيث موادّ الألفاظ والاشتقاقات علم الصّرف والاشتقاق.

ومن حيث المعاني اللفظيّة كتب اللغة، وقد دوّنوا في خصوص لغات القرآن كتباً ودفاتر كـ«مفردات الراغب» للأصفهانيّ، و«غريب القرآن» لمحمّد بن عربيّ البجستانيّ، و«لغة القرآن» للشيخ فخرالدين الطبرسيّ.

ومن حيث الإعراب كتب النحو.

ومن حيث الفصاحة والبلاغة والحقيقة والمجازات والاستعارات والكنايات كتب المعاني والبيان.

وجمعها جماعة من علماء الفريقين في كتبهم التفسيريّة كفخرالدين الرازيّ، والنيشابوريّ، و[الزمخشري في] «الكشّاف» وأضرابهم من العامّة، وكتاب «تفسير التبيان» للشيخ الطوسيّ، و«مجمع البيان» للشيخ الطبرسيّ وغيرهما من علمائنا ـ رضوان الله عليهم ـ.

وأمّا العلم بكونه معجزاً خارقاً للعادة والاستدلال به على صدق النبيّ ﷺ والكلام في وجه إعجازه وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة، أو ما له من النظم البديع والأُسلوب المخصوص أو الصّرفة ـ وهو أنّ الله صرف العرب عن معارضته وسلبهم عن العلم الّذي به يتمكّنون من مماثلته ونظمه وفصاحته ـ أو اشتماله على إخباره بالغيوب مطابقاً، وعلى علوم التوحيد والمعرفة والنبوّة والمعاد على وجه لا يوجد في غيره، أو جميع هذه الوجوه؛ فموضع ذلك أجمع الكتب الأُصول الكلاميّة، وقد دوّنه مشايخ المتكلّمين والعلماء الماهرين في كتبهم الأُصوليّة والكلاميّة بما لا مزيد فيه عليه، كشيخنا المفيد، وسيّدنا المرتضى علم الهدى، وشيخنا الطوسيّ ـ قدّس الله أرواحهم القدّوسي ـ.

ومن المتأخّرين شيخنا العلّامة نصيرالدين الطوسيّ، والعلّامة الحلّيّ، والفاضل المقداد، وقد شرحها كلّها علمائنا الأواخر مثل المولى صدر الدين الشيرازيّ، والمولى محمّد صالح المازندرانيّ، والعلّامة المجلسيّ وأضرابهم. والجامع لوجوه إعجاز القرآن ما ذكره القطب

الراونديّ في كتاب «الخرائج» فراجعه[١].

وكذلك الكلام في كيفيّة القرائة فالمتكفّل له علم التجويد والقرائة، وله كتب متعدّدة.

والكلام في أحكامه من القرائة في الصلاة وحرمة مسّه وحرمة قرائته ونحو ذلك، فموضعه كتب الفقه والفقهاء.

والكلام في حفظها وقرائتها وآدابها وثوابها، فموضعه كتب الأخبار وهي كثيرة جدّاً بحمد الله تعالى.

وكذلك الكلام في النسخ والناسخ والمنسوخ وحدودها وأقسام النسخ وشرائطه، والفرق بينه وبين البداء، والتخصيص، وهل يجوز النسخ في العبادة قبل وقت فعلها؟ وهل يجوز نسخ القرآن بالسنّة وبالخبر الواحد؟ وما يعرف به الناسخ ناسخاً والمنسوخ منسوخاً، فإنّ ذلك أجمع موضعها هو الكتب المدوّنة في أُصول الفقه، وقد تعرّضوا لها في التفاسير المبسوطة عند الموارد الخاصّة.

وأمّا الكلام في تفسير متشابهاته وتفاسيرها الباطنيّة والتأويليّة، فعلمه كلّه عند الإمام عليه السلام، وقد ورد شيئاً كثيراً منها في الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام.

وأمّا الكلام في حجّيّة ظواهرها، فقد أنكرها الأخباريّة ويردّهم الأخبار، خصوصاً الأخبار العلاجيّة وشرحها مسطور في كتب الأُصول من العلماء الفحول.

وأمّا الكلام في زيادة القرآن ونقصانه وتغييره وتحريفه، فله مواضع مخصوصة.

أمّا الزيادة عليه وتغييره بما يخلّ بالأحكام، فهو مجمع على بطلانه، أي: لا يزيد في هذا القرآن الّذي بأيدينا شيء، ولا تغيير فيها إلّا بما لا يخلّ بالأحكام مثل: ﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾[٢] فإنّه قد ورد تنزيله: «أئمّة وسطاً»، ومثل: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[٣] فقد ورد

---

١. ن.ك: تمهيد الأُصول، ص ١٠١؛ قواعد المرام في علم الكلام، ص ١٣٢؛ رسائل الشريف المرتضى، ج ٢، ص ٣٢٣؛ الخرائج والجرائح، ج ٣، ص ٩٧١ـ ١١٠٦؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ١٢١.

٢. البقرة: ١٤٣.

٣. الواقعة: ٨٢.

تنزيله: «شكركم» وأمثال ذلك ممّا لا يخلّ بالأحكام.

وهذا المجموع كلّه قرآن نزل به الروح الأمين على سيّد المرسلين بإجماع الأُمّة واتّفاقهم من العامّة والخاصّة.

وإنّما الخلاف في نقصانه، أي: هل نقص وحذف منه شيء أم لا؟

فقد اختلفوا فيه اختلافاً شديداً، وادّعى السيّد المرتضى والصدوق والطبرسيّ وجماعة أنّ الحقّ هو الأوّل[١]، بل يظهر منهم الإجماع، مع نقلهم الخلاف.

وذهب جماعة من المحقّقين إلى الثاني وهو الحقّ.

والتحقيق لأصناف من الأخبار يبلغ مجموعها حدّ لا يمكن ردّها، مثل الأخبار المستفيضة الدالّة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أوصى عليّاً عليه السلام بجمع القرآن بعد دفنه، فلمّا فرغ من دفنه تولّى لجمعه وترتيبه كما أُنزل، وقد جمعه النبيّ صلى الله عليه وآله مكتوباً في قطع من الأخشاب والأكتاف وغيرهما، ولا يعلمها كما أُنزل أحد مثل أمير المؤمنين عليه السلام، فاشتغل بجمعه، وقال: «إنّي لا أضع ردائي عن منكبي حتّى أجمع القرآن، كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك»[٢].

فاغتنم القوم المنافقون واجتمعوا في السقيفة وفعلوا ما فعلوا من الشنيعة الباقية إلى ظهور الأئمّة عليهم السلام.

فلمّا أن فرغ عليه السلام من جمعه أتى به إلى القوم، وفيهم أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله؛ خيارهم وشرارهم، وقال: «إنّ هذا هو القرآن الّذي أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله كما أُنزل».

فقال الشيخان وخصوصاً الثاني: لا حاجة لنا إلى قرآنك، لما علمنا أنّ ما فيه يبطل ما هم عليه.

فأعرضوا عنه، ورجع به أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيته، وقال ما حاصله: إنّه لا ترونه أبداً إلى أن يظهره قائمنا عليه السلام، وقرأ قوله تعالى: ﴿ **فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ** ﴾[٣] الآية[٤].

---

١. الأمالي، ص ٨٥؛ الفقيه، ج ١، ص ٢٠١؛ مجمع البيان، ج ١، ص ١٤٨.

٢. كشف الغمة، ج ١، ص ١١٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٥ مع اختلاف في النقل.

٣. آل عمران: ١٨٧.

وأمر الثاني منادياً أن ينادي: من له شيء من القرآن وسمعه وحفظه من رسول الله يجيء به مع شاهدين يشهدان به.

فجمعوا نظير هذا القرآن، وكان بين قرائتهم اختلاف؛ فكان لأهل الكوفة قارٍ يقرؤون بقرائته، ولأهل الشام آخر، ولمكّة آخر، وهكذا إلى أن وصلت النوبة إلى عثمان، فشكوا الاختلاف في نسخ القرآن، فأمر بجمعها حتّى أخذ من عائشة وحفصة قرآنهما عارية بعنوان التصحيح، فاختار منها هذا الجمع الّذي بأيدينا اليوم، وأحرق وأعدم الباقي كلّها حتّى نسخة عائشة، فلذلك قالت: أُقتلوا نعثلاً[٥].

وصنفٌ آخر من الأخبار الدالّة على تحريفهم القرآن وذمّهم على ذلك وهذه الأخبار كثيرة متواترة، وورد ذلك في أدعية كثيرة وتصريحات وكنايات من الأئمّة عليهم السلام، وحيث أنّ الزيادة مجمع على بطلانه، فانحصر في النقص والحذف.

وصنف آخر من الأخبار في حذف جملة من الآيات من مواضع خاصّة، كسورة الأحزاب، وفي آية ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ ﴾[٦] مع سابقتها وغير ذلك.

وصنف من الأخبار تدلّ على أنّ القرآن كما أُنزل مخزون عند الأئمّة عليهم السلام واحداً بعد واحد، وهو الآن عند إمام الزمان عليه السلام ولا يظهره إلّا بعد ظهوره، فيظهره ويعمل به تنزيلاً وتأويلاً.

وصنفٌ آخر من الأخبار تدلّ على سماع قرائتهم بغير المشهور، فسئلوا عن ذلك، فقالوا: رأينا إنّكم تقرؤون كذلك ونحن نقرأ كذا.

فقال الإمام عليه السلام: «ويجب عليكم القرائة على المشهور حتّى يظهر قائمنا»[٧].

حتّى أنّه سأل واحد من أصحاب الأئمّة قرآن الإمام وأخذه إلى منزله فرأى فيه غير ما رأى في قرآنه، فأراد استنساخه، فجائه مأمور الإمام بردّه ومنعه من نسخه.

---

٤. أُنظر: بحارالأنوار، ج ٩٠، ص ١٢٦.

٥. أُنظر: بحارالأنوار، ج ٣١، ص ٢٠٥ و ٤٨٤.

٦. النور: ٣٢.

٧. أُنظر: الكافي، ج ٢، ص ٦٣٣.

إلى غير ذلك من أصناف الأخبار، ومجموعها يبلغ حدّ التواتر في النقص والحذف من القرآن، والأدلّة الّتي ذكرها المانعون معلوم النظر، كقوله تعالى: ﴿ **لَايَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾[١]، وقوله: «حفظناه»[٢]، وليس ببالي خصوص الآيات، وضعف دلالتها على مطلوبهم معلوم، ولا يقتضي المقام بسط الكلام أزيد من ذلك.

وقد تصدّى لتحقيق هذا المرام، العلم العلّام، والحبر القمقام، عمدة العلماء العاملين، قدوة الفقهاء والمجتهدين، أُسوة العرفاء والسالكين، صاحبنا وصديقنا الصادع بجمع الأخبار، المحدّث المحقّق البارع الفريد في فنّ أحاديث الأئمّة الأخيار عليهم السلام، الحاج ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ، من المعاصرين، ـ أطال الله بقائه ـ في كتاب مفرد مشهور، وله غيره مصنّفات وكتب كثيرة بالفارسيّة والعربيّة، وقد اشتهر ـ بحمد الله ـ بين الأنام غير ما لم يشتهر منه بعد مثل «مستدرك الوسائل»، وقد كتب إلى الآن ما يزيد على مأة ألف بيت وهو عازم على جميع ما فات من «البحار» فيكون مستدرك البحار، وهو الآن ـ سلّمه الله ـ متوطّن بـ«سرّ من رأى»، ويزوره فيه الزائرون، ويطوف حوله العلماء والعاملون، أسأل الله تعالى أن يرزقني زيارته ـ بل مجاورته ومصاحبته ـ في ذلك المشهد الشريف، لأستفيض بفيوضاته الفائزة، رحم الله من يقول آمينا.

ولا يهمّنا في المقام أكثر ممّا أشرنا إليه، وإنّما المهمّ بيان معنى القرآن وأنواعه وأفراده، فأقول:

أمّا المعنى اللغويّ، فقد عرفت. وأمّا المعنى الشرعيّ، فقد علمت أنّه الكتاب السماويّ الّذي تحدّى به محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأمّا أفراده الّتي هي كالأنواع والأصناف، فكثيرة واضحة إلّا في العلم الإلهي، فقد يقال فيه: إنّه أجلّ أفراده بحيث يستشكل في النسبة بينه وبين سائر أفراده بالاشتراك أيضاً

---

١. فصّلت: ٤٢.

٢. الظاهر مراد المصنّف رحمه الله «لحافظون» في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾. (الحجر: ٩)

كالوجود.

وما هو في العلم الإلهي إمّا راجع إلى صفاته الّتي هي عين ذاته من العلم والإرادة والكراهة، أو صفات أفعاله، ولا ينافيها وجود الخارجيّ المخلوقيّ مثل سائر الموجودات أو المخلوقات، فإنّها كلّها من معلومات الله.

والفرق بين المعلوم من حيث أنّه معلوم مع العلم اعتباريّ إلّا أنّ معنى ذاتيّة الصفات أمر قد تحيّرت فيه عقول أُولي الألباب، حتّى قال جماعة من العلماء المتبحّرين: إنّه لا معنى له إلّا أنّ الذات من حيث هو مع وحدته التامّة والبساطة الحقيقيّة يترتّب عليه جميع آثار الصفات على وجه لا أتمّ ولا أكمل منه، ولم يحط أفكارنا بأزيد من ذلك أو شبهه إلّا ألفاظاً قالها القائلون بوحدة الوجود، وأنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وهو مع استلزامه لوازم باطلة ولا يقول بها أهل الشريعة أمر لانفهمه ولا نتصوّره فذره في سنبلته.

فهذا النحو من الوجود للقرآن الّذي هو مطابق لهذه النقوش والألفاظ راجع إلى صفات الباري الّتي هي عين ذاته، أو صفات أفعاله، ولا يدركها عقولنا وأفهامنا، ولا أتمّ ولا أكمل منه من كلّ جهة، ولا يصحّ أن يقال: إنّه ليس بقرآن، بل هو حقيقة القرآن، إلّا أن يقال: إنّه اسم للمخلوق منه، وأين المخلوق من الخالق.

ولعلّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أشار إلى هذا المقام منه في أخبار الثقلين بأنّ طرفاً منه بيد الله وطرفاً منه بأيديكم، والله أعلم.

ولا شكّ ولا ريب أنّ هذا الفرد منه لو كان فرداً منه لا يكون مراداً منه في خبر الثقلين، وسيأتي زيادة بيان لهذا المطلب إن شاء الله تعالى.

وإذا تنزّلنا من هذا المقام للقرآن فأوّل مقامه وأوّل فرد منه في العلم، ثمّ في اللوح بأيّ معنى قلنا فيها بأنّهما ملكان مدركان، أو جوهران نوريّان.

وعلى كلّ حال، ثبوت القرآن ووجوده في اللوح المحفوظ ممّا لا شكّ فيه، كما هو صريح آيات من القرآن[1]، وهذا الفرد أيضاً لا يكون مراداً في المقام.

---

١. انظر: البروج: ٢٢.

ثمّ يتنزّل في روح من الملائكة المرسلين كروح القُدس أو الروح الأمين الّذي هو جبريل، أو هما معاً في مقامين.

والقدر المعلوم أنّ أمين الوحي المرسل إلى محمّد ﷺ هو جبرئيل؛ سواء قلنا بتلقّيه من الله تبارك وتعالى بلا واسطة أو بتلقّيه من ميكائيل وهو من اللوح، أو هو من جبهة إسرافيل، وهو اللوح، كما في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على يمين العرش، وطرف على جبهة إسرافيل، فإذا تكلّم الربّ جلّ ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فينظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل»[١].

وعلى كلّ حال، لا شكّ ولا ريب في توسّط جبرئيل في وحي القرآن نجوماً وآية آية في زمن بعثة النبيّ ﷺ، فوجوده في حقيقة الملائكة الّتي هي كالصدور بالنسبة إلينا ممّا لا شكّ فيه، وهو أيضاً حقيقة القرآن. لأنّه يقال: نزل الروح الأمين بالقرآن على سيّد المرسلين، فهذا وشبهه في مطلق الملائكة فرد من القرآن قطعاً، وهو أيضاً غير المراد في أخبار الثقلين.

ومن أفراده ووجوداته وجود الوحي حينه أي حين الوحي على قلب سيّد المرسلين بأيّ معنى قلنا فيه؛ سواء كان بمعنى الانتقاش في قلبه، أو باتّصاله بالعالم الأعلى ورؤيته بقلبه، أو بمثل التكلّم الخارجيّ من جبرئيل معه ﷺ بالآية الفلانيّة والسورة الفلانيّة.

فهذا الوجود منه مثل وجود التكلّميّ والقرائتيّ لنا وهو أيضاً فرد حقيقيّ من القرآن، كما أنّه في قرائتنا فرد حقيقيّ منه، وهذا الفرد منه أيضاً لا يكون مراداً في أخبار الثقلين.

ثمّ يتنزّل إلى صدر سيّد المرسلين ومثله صدور الأئمّة الطاهرين، فهو كما أُنزل موجود محفوظ في صدورهم وحفظهم، وهذا أيضاً من أكمل أفراده وأنواعه الحقيقيّ. يقال: إنّ رسول الله ﷺ حافظ للقرآن، وعليٌّ عليه السلام حامل للقرآن.

ومن أفراده وأنواعه صدور الحفّاظ وقرائة القرّاء من الأُمّة.

ومن أفراده وأنواعه وجوده النقشيّ والكتبيّ سواء كان في حجر، أو خشب، أو كتف، أو

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٤١٤؛ بحارالأنوار، ج ٥٤، ص ٣٦٦.

كاغذ، أو ثياب، أو غيرها كهذه المصاحف الّتي بأيدينا اليوم. فهذه كلّها أفراد وأنواع للقرآن حقيقة، كما يقال: إنّ فلاناً حافظ للقرآن، أو قارٍ أو كاتب.

وهذه الأفراد منه الّتي في صدور الحفّاظ وفي ألسنتهم حال القرائة وفي هذه القراطيس بعد الكتب والتدوين هي الأفراد والأنواع والأصناف الّتي ورد في أخبار الثقلين، وأوصى بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وجعلها خليفة له في أُمّته، وأمر بالتمسّك بها وحفظها.

ومعنى الوصيّة بها اهتمامهم بحفظها عن الاندراس بالقرائة، وتكرار التلاوة، ونسخها وحفظها عن التغيير والتبديل والمحو والإثبات.

ومعنى كونها خليفة أن يرجعوا إليه في أحكامهم وأُمورهم واختلافاتهم، أمّا بشرط أخذها من أهل بيته، فإنّهم القائمون به، العاملون بتنزيله وتأويله وناسخه ومنسوخه وعامّه وخاصّه ومطلقه ومقيّده وظاهره وباطنه، لا من آرائهم وأفكارهم الفاسدة الكاسدة، كما نطقت به الروايات المستفيضة عن الأئمّة عليهم السلام إلى يوم القيامة.

ولهذا قال صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذه الأخبار المتواترة:

«إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[1] مصرّحاً بلفظ «لن» الدالّ على نفي الأبد بإجماع أهل اللغة، يعني أنّه لابدّ في العمل به من أخذ تفسيره عنهم.

ومعنى التمسّك بهما التديّن بما يصدر منهما وينشئ عنهما، ويدلّان عليه من الأوامر والنواهي بالايتمار بأوامرهما، والانتهاء بنواهيهما، وحبّهما ومودّتهما وجعلهما حكماً وأميراً وسلطاناً وحجّة عليهم، فإنّهما حجّتان بالغتان مُصاحبتان، بل متّحدتان غير مفارق أحدهما عن الآخر.

فالإمام كتاب ناطق، والقرآن إمام صامت، والإمام حجّة ناطقة، والقرآن حجّة صامتة يحتاج بتفسير الإمام، وتعليم الإمام، والإمام مرجع القرآن، والقرآن مرجع الإمام، وكلّ الأحكام موجود في القرآن، وعامّة الأحكام مُبيّن من الإمام، ﴿ **وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي**

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٤١٤؛ الأمالي للصدوق رحمه الله، ص ٤١٥، المجلس ٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٦.

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[١]، ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[٢]، وهما غير مفترقان، وغير منفكّان أحدهما عن الآخر إلى يوم القيامة بنصّ النبيّ ﷺ في هذه الأخبار المتواترة.

فليت شعري ما يقول المخالفون في معنى عدم افتراقهما أبداً؟ فهل يطابق هذا المعنى المؤكّد إلّا على المذهب الحقّ الإثنى عشريّة القائلين بوجود الإمام في كلّ عصر وزمان؟

فظهر ـ بحمد الله وهدايته ـ أنّ القرآن اسم للقدر المشترك بين هذه الأفراد والأنواع من وجوده في اللوح المحفوظ إلى وجوده فيما بين الدفّتين هذه وكلّها أفراد حقيقة للقرآن، والقرآن كالماء والنور والملك والبشر إسم للكلّيّ الجامع المنطبق على جميع هذه الأفراد الّتي هي كالأنواع والأصناف، وكلّ نوع وصنف منه له أفراد لا تحصى إلّا وجوه في اللوح مثلاً.

وأمّا القرآن المراد في أخبار الثقلين الّذي هو خليفة لرسول الثقلين فهو الأفراد من القرآن الّتي هي محلّ ابتلاء الاُمّة من نوعه المحفوظ في صدور الحفّاظ بأفراده الكثيرة، ونوعه المقرّر في ألسنة القارئين بأفراده الكثيرة، ونوعه النقشيّ والكتبيّ بأفراده الكثيرين. وقد عرفت معنى كونه خليفة ومعنى الوصيّة به والتمسّك به، ومعنى عدم افتراقهما إلى يوم القيامة.

وإذا أحطتَ خبراً بما ذكرنا، تعلم ما في كلام صاحب الرسالة حيث أنّه بعد ما ذكر بعض الرسوم الّتي ذكرها القوم بأنّه كلام منزل للإعجاز بسورة منه، أو هو ما نقل بين دفّتي المصحف متواتراً، أو هو كلام منزل للإعجاز سورة من جنسه، أو هو ما يكون بعض نوعه معجزاً، أو هو كلام يحرم على المحدث مسّ خطّه، أو هو هذه الكلام المؤلّف المنتظم من الحروف المسموعة المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة قال ما لفظه:

اعلم أنّ القوم أرادوا بذلك كلّه تصوير مفهوم لفظ القرآن في عرف المتشرّعة، ليعلم أنّ ذلك هو الدليل الشرعيّ، وعليه مدار الأحكام من منع التلاوة جُنباً والمسّ محدثاً وغير ذلك، وإلّا فهو اسم عَلَمٍ شخصيٍّ والتعريف إنّما يكون للحقايق الكلّيّة، ولذا قيل: إنّ ضابطة معرفته التواتر في متون المصحف وصدور الحفّاظ دون التحديد والتعريف»، انتهى.

---

١. الأنعام: ٥٩.

٢. يس: ١٢.

ولعمري مهما تأمّلت في كلامه هذا ما دريت مراده، ولا فهمت مرامه، خصوصاً قوله: «إنّه إسم عَلَمٍ شخصيّ».

وليت شعري ما أراد من الشخص؟ وكيف ينفي كونه حقيقة كلّيّة غير قابلة للتعريف؟ فما ذكرناه من الأنواع الكثيرة الّتي كلّ واحد منها ذو أفراد لا تحصى ما هي؟ وما معنى الكلّيّ غير ذلك، وكلّ من عثر على كلامه هذا وتصوّر لكلامه معنى صحيحاً أسأله أن يعلّمني ما دمت حيّاً.

وظنّي أنّه لمّا رأى ما هو المشهور المعروف المسلّم أنّ القرآن كلام الله، فحمل القرآن على ما كلّم الله به حيث أراد الوحي مع جبرئيل فهو كلام الله فقط، فإنّ كلام الله هو ذلك لا غير، وهو إسم علم شخصيّ كزيد.

وهو فاسد لاستلزامه أن يكون ساير ما يقال: إنّه قرآن مجازاً، بل يلزمه أن لا يكون القرآن موجوداً أبداً، فإنّ التكلّم أمر غير قارّ الذات إذا يوجد منه حرف ينعدم ما قبله، فلا يكون للقرآن الحقيقيّ وجود أبداً وهو فاسد.

وقد نقل هو بنفسه في أواخر الرسالة هذا المذهب عن أبي هاشم وأتباعه ـ كما هو المشهور المعروف منه ـ بأنّ القرآن من جنس الأصوات والحروف ولا يحتمل البقاء، حتّى زعموا أنّ المرقوم في اللوح المحفوظ والمكتوب في المصاحف والمقروء بكلّ لسان ليس بقرآن، وليس القرآن إلّا أوّل تكلّم اخترع الله فيه، وأبطله بما أبطله لاستلزامه التكلّف والتجوّز في جميع إطلاقات في الشرع من القرآئة والحفظ والكتب وغير ذلك.

فهذا أيضاً لا يكون مراده، أو لعلّه نسي ما اختاره أوّل الكتاب.

ثمّ اعلم! أنّ للأنواع والأفراد المذكورة أحكاماً وآثاراً وعلوماً، والحقّ والتحقيق أنّ ما في علم الله تعالى لا يكون قرآناً فهو خارج، ولسائر أنواعه وأفراده أحكام وآثار وعلوم.

أمّا خروج ما في علم الله تعالى عن كونه قرآناً لأنّه لا يتمّ ذلك إلّا بناء على مذهب الأشاعرة القائلين بزيادة صفات الله على ذاته، والقول بالقدماء الثمانية، فيقولون: إنّ القرآن صفة قائمة بذات الحقّ لأنّه عبارة عن صفة كونه متكلّماً أو عبارة عن الإرادة والكراهة

المترتّبين عليها الأمر والنهي أو كليهما، وكلاهما صفات قائمة بذاته قديم على المعنى الّذي يقولون به في الكلام النفسيّ، وهو باطل عند المعتزلة والعدليّة؛ لأنّ صفات الله لا تكون زائدة على ذاته وإلّا لتعدّد القديم وهو باطل بأدلّة التوحيد، وليس المقام مقام تحقيق هذا الكلام.

أو بناءً على مذهب القائلين بوحدة الوجود، فإنّهم يقولون: إنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وجميع صفات الله وإن كانت من قبيل الإرادة والكراهة والتكلّم الّتي هي من صفات الأفعال عين ذاته، ولا يفرّقون بين صفات الذات والأفعال، ويقولون في كلّها أنّها عين الذات الواحد البسيط من كلّ جهة. حتّى رأيت مثل المحقّق المولى صدرالدين الشيرازيّ مع أنّه تابع للشرع غالباً قال في شرحه على «أُصول الكافي» في شرح الأخبار الدالّة على أنّ الإرادة والكراهة من صفات الفعل، وأنّها حادثة كالفعل وليست من صفات الذات ولا يكون قديماً، لأنّ هذا الكلام من الإمام لقصور فهم السائل والسامع عن بيان الحقّ، وإنّهما من صفات الذات وكلّها قديم مع بساطة الذات، هذا كلامه[١].

وقلنا مكرّراً أنّا لا نفهم معنى وحدة الوجود ولا نعتقد أنّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء ولها لوازم لا يمكن التزامها في الشريعة المطهّرة، منها هذا المقام، فإنّ أخبار الفرقة المحقّة وإجماعهم قائمان على أنّ القرآن راجعٌ إلى صفات الفعل، لأنّه إمّا يرجع إلى صفة التكلّم، أو الإرادة والكراهة وكلاهما من قبيل صفات الأفعال لا من قبيل العلم والقدرة من صفات الذات.

والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل أنّ الأُولى عين الذات بالمعاني الّتي حقّقها العلماء، وأشرنا إلى معنى واحد منها، ولا كلام ولا شبهة في أنّ الذات قديم أزليّ أبديّ. وأمّا صفات الفعل من قبيل الإرادة والكراهة والتكلّم كلّها حادثة مخلوقه، كما ورد في بعض الأخبار المعتبرة، ولا يلزم منه حدوث وتغيّر في الذات كما هو المحقّق في مظانّه، ولذا اتّفقت كلمة الفرقة المحقّة على أنّ القرآن مخلوق حادث؛ لأنّه يرجع إلى صفة التكلّم أو الإرادة أو الكراهة، وكلاهما من صفات الفعل لا من صفات الذات، ولا ننكر وجوده في علم الله، ولكن لا يطلق على وجوده العلميّ أنّه قرآن كما لا يطلق على وجود سائر المخلوقات في علم الله أنّه ذلك

---

١. شرح أُصول الكافي، ج ١، ص ٩٨.

المخلوق، فإنّ وجوده العلميّ عين الذات البسيط الخالق لجميع المخلوقات، وعلمه بالقرآن كعلمه بسائر مخلوقاته مثل زيد وعمرو والسماء والأرض وغير ذلك، فهو عالم بالقرآن وخالق له.

فإنّ القرآن إمّا عبارة عن تكلّمه بهذه الألفاظ، ومعنى تكلّمه خلق الأصوات المشتمل على تلك الحروف والألفاظ في ملك أو شجر أو هواء أو نحو ذلك؛ فهو مخلوق.

وإمّا عبارة عن الأحكام والأوامر والنواهي وهي راجعة إلى الإرادة والكراهة، وكلّها من صفات الأفعال وحادثة مخلوقه، وإنّما نشأت الغفلة عن كون ما في علم الله قرآناً وهو أفضل أفراده وأتمّها وأكملها من قياس علم الله ـ جلّ جلاله ـ بعلومنا بأنّه الصورة الحاصلة في نفس العالم، كما نقل ذلك عن الشيخ الرئيس في علم الله تعالى بالجزئيّات، وهو خلاف الحقّ والتحقيق، بل العلم في ذات الله بمعنى انكشاف الأشياء له بالإحاطة وهو راجع إلى ذاته الواحد البسيط من كلّ جهة، ومسألة علم الله بالجزئيّات مع حدوثها ومع كون العلم من الصفات الذاتيّة، وتحقيقها من العويصات الّتي لا يدركها إلّا المتبحّرين البالغين الراسخين.

بل هي من التفكّر والتكلّم في الذات الممنوع عن خوضها، وكذا مسألة كونه متكلّماً وكونه من الصفات الثمانية الثبوتيّة مقابل العلم والقدرة، كما يظهر ممّا قبله أنّه أوّل مسألة كثر فيه الكلام والقيل والقال حتّى قيل: إنّ تسمية الكلام كلاماً من جهة أنّه أوّل مسألة نظروا فيه وتكلّموا عليه، ولا شكّ في إعضاله وإشكاله بحيث لا يدركها إلّا الواحد بعد الواحد، بل لا يدرك كنهه أحد، ويفهم هذا الإعضال والإشكال من الأخبار الواردة عن الأئمّة الأطهار في سؤالهم عن القرآن أنّه خالق أم مخلوق؟ فإنّه يظهر منها إبائهم عن التصريح بأنّه مخلوق، وامتناعهم عن إظهار أنّه خالق، وذلك كلّه من جهة قصور الناس عن إدراك حقيقته بحيث لا يستلزم فساد في العقيدة.

ففي «التوحيد» و«الأمالي» عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: أخبرني عن القرآن أخالق أم[1] مخلوق؟

---

١. في المصدر: أو.

فقال: «ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ ولكنّه كلام الله عزّ وجلّ»[١].

وفيها وفي «العيون» عن الريّان قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في القرآن؟

فقال: «كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا»[٢].

وفي الأوّلَين عن سالم قال: قلت للصادق عليه السلام: ما تقول في القرآن؟

فقال: «هو كلام الله، وقول الله، وكتاب الله، ووحي الله وتنزيله»[٣].

وفيها: كتب أبو الحسن الثالث عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد[٤]: «نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة اشترك فيه السائل والمجيب، فتعاطى[٥] السائل ماليس له، وتكلّف[٦] المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله[٧]، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له إسماً من عندك فتكون من الضالّين...» الخبر[٨].

وفيها عن سليمان الجعفريّ قال: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: ما تقول في القرآن فقد اختلف فيه من قِبَلِنا فقال قوم: إنّه مخلوق، وقال قوم: إنّه غير مخلوق.

فقال عليه السلام: «أما إنّي لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكنّي أقول: إنّه كلام الله عزّ وجلّ»[٩].

إلى غير ذلك من الأخبار الّتي يعلم من جملتها إباء الإمام عن التصريح بأنّه مخلوق، لصعوبة إدراك حقيقته على الناس؛ لأنّه يفسد عقيدة الناس في أنّه تعالى كالأجسام ومحلّ

---

١. التوحيد، ص ٢٢٣؛ الأمالي للصدوق رحمه الله، ص ٥٤٥، المجلس ٨١.

٢. التوحيد، ص ٢٢٣؛ الأمالي للصدوق رحمه الله، ص ٥٤٦، المجلس ٨١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٥٦.

٣. التوحيد، ص ٢٢٤؛ الأمالي للصدوق رحمه الله، ص ٥٤٥، المجلس ٨١.

٤. في المصدر +: «بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإيّاك من الفتنة فإن يفعل فقد أعظم بها نعمة وإن لا يفعل فهي الهلكة ...».

٥. المصدر: فيتعاطى.

٦. المصدر: يتكلّف.

٧. المصدر +: عزّ وجلّ.

٨. التوحيد، ص ٢٢٤؛ الأمالي للصدوق رحمه الله، ص ٥٤٦، المجلس ٨١.

٩. التوحيد، ص ٢٢٤؛ الأمالي للصدوق رحمه الله، ص ٥٥٢، المجلس ٨٢.

للحادثات، وأنّ كلام الله قديم.

وفي «التوحيد» بإسناده عن عبدالرحمان[1] القصير قال: كتبت على يدي عبدالملك ابن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك! اختلف الناس في أشياء قد كتبت بها عليك، فإن رأيت جعلت فداك أن تشرح لي جميع ذلك ـ... إلى أن قال: ـ وقد اختلفوا في القرآن: فزعم قومٌ أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال آخرون كلام الله مخلوق ـ وساق تمام سؤالاته وقال: فكتب على يدي عبدالملك ــ إلى أن قال: ـ

«وسألت ـ رحمك الله ـ عن القرآن واختلاف الناس قبلكم، فإنّ القرآن كلام الله مُحدث غير مخلوق، وغير أزليّ مع الله تعالى ذكره، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، كان الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا شيء غير الله معروف ولا مجهول، كان ـ عزّ وجلّ ـ ولا متكلّم ولا مريد ولا متحرّك، ولا فاعل، جلّ وعزّ ربّنا، فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه جلّ وعزّ ربّنا، والقرآن كلام الله غير مخلوق فيه خبر من كان قبلكم وخبر من يكون بعدكم، نزل من عند الله على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله»[2]، انتهى ما يتعلّق بالقرآن، والخبر طويل مبين.

وأقول: الإشكال في تصريحه عليه السلام بأنّ القرآن غير مخلوق مع تصريحه بأنّه محدث من صفات الفعل، وقبل حلّ الإشكال نقول:

إعلم! أنّه لا خلاف بين المليّين في أنّه تعالى متكلّم، كما دلّ عليه إجماع الأنبياء حيث أثبتوا الكلام من الله سبحانه وأخبروا بأنّه تعالى أمر بكذا ونهى عن كذا وقال كذا وأخبر عن كذا، كما أنّ خاتمهم وسيّدهم محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله أخبر بأنّ الله تعالى أنزل عليه هذا القرآن وأمر فيه بأوامر ونهى عن أشياء، وأخبر عن أُمور ماضية ومستقبلة، وتحدّى به، وإجماع الأنبياء، أنبياء الحجج والإجماعات، ولكن لمّا كان إجماعه غير مصرّح بكيفيّة كلامه تعالى اختلف الأُمم فيها اختلافاً كثيراً، كما فصّل في الكتب الكلاميّة.

والّذي استقرّ عليه المذهب الحقّ أنّ كلامه تعالى أصوات وحروف وكلمات يحدثها الله

---

١. المصدر: عبدالرحيم.

٢. التوحيد، ص ٢٢٦ مع اختلاف في النقل.

تبارك وتعالى فيما أراد كاللوح المحفوظ، والملك الرسول، والشجرة، والجبل وغيرها كما أراد تعالى، فلايكون قائماً بذاته تعالى قديماً فيلزم تعدّد القديم، ولا حادثاً فيلزم قيام الحوادث بذاته تعالى، ولا هو عبارة عن الغنيّ القائم به تعالى وهو قديمٌ يسمّى بالكلام النفسيّ.

والثلاثة الأخيرة أوّلها مذهب الحنابلة، وثانيها مذهب الكراميّة، والثالثة مذهب الأشاعرة، وكلّها باطلة بالبراهين الساطعة المسطورة في الكتب الكلاميّة وشروح الأخبار.

والأوّل هو الحقّ الّذي استقرّ عليه مذهب الإماميّة الحقّة المأخوذة عن أئمّتهم خلفاء الله في أرضه على عباده، ووافقهم المعتزلة في ذلك.

وحاصله أنّ القرآن كلام الله، وكلام الله عبارة عن إحداثه تعالى أصواتاً مشتملة على تلك الحروف والكلمات في غيره ممّا أراده كاللوح المحفوظ، أو الملك الرسول، أو الشجرة، أو الجبل، أو غيرها، وهذا على سبيل الإجمال والجملة.

وأمّا كيفيّة تكلّمه ذلك على سبيل التفصيل، فإنّه لا يدرك كنهه كسائر أفعاله وصفاته فضلاً عن ذاته تعالى، والأولى الاعتراف بالعجز عن إدراكه مثل سائر صفاته وأفعاله، ولا يمكن تحديده ورسمه وفهمه، وكلّ ما يقال فيها على سبيل الإجمال.

وغاية ما يتصوّر ـ أو يقال: إنّ للقرآن ـ بل لمطلق كلام الله ـ تجلّيات أو مقامات هي كالأنواع والأصناف لهذا الكلّيّ القدر المشترك وهو الحروف والكلمات المحدثة المعهودة، مع قطع النظر عن المحلّ القائم به، فإنّ المفهوم من هذا الكلّيّ أُمور:

أحدها: تعقّل هذه الحروف والكلمات التامّات العاليات نظير التصوّرات العقليّة فيها، وينبغي أن يسمّى حقائق إلٰهيّة وحروفاً عالية عقليّة.

والثاني: ما ينطق به ويسمّى قولاً وكلاماً ولفظاً.

والثالث: ما ينقش في محلّ ويسمّى رقماً وكتابة وخطّاً، فله حروف وكلمات عقليّة عالية، وحروف وكلمات قطعيّة لفظيّة، وحروف وكلمات رقميّة خطّيّة كتبيّة، ولكلّ واحد من تلك المراتب والمقامات مزايا وخواصّ وآثار يعرفها من هو من أهل الاختصاص، وقد أشرنا إلى جملة منها سابقاً، وأزيد من هذه الجملة ينبغي أن يُسكت عنه ولا يخاض فيه فإنّه من وادي

«أُسكتوا عمّا سكت الله عنه»[١] كما أشار إليه الإمام عليه السلام في الخبر الآخر بقوله: «اشترك فيه السائل والمجيب»[٢].

وإنّما الإشكال فيما ورد في هذه الأخبار من المنع عن كون القرآن مخلوقاً مع التصريح بأنّه محدث وذلك يحتمل لوجوه:

أحدها: ما ذكره الصدوق في كتاب «التوحيد» فإنّه بعد نقل أخبار الباب قال بعد الخبر الأخير: لا ينبغي إطلاق لفظ يُومى إلى ذلك، سيّما إذا جرى ذلك على لسان الكفّار من قولهم: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ ﴾[٣]، إنّ المخلوق بمعنى المكذوب والمفترى وهو أبعد الوجوه، فإنّ المنفيّ في جواب الإمام لابدّ أن يكون هو الّذي سأل السائل عنه، ولا ريب في أنّه في كلام السائل من قوله: «أخالق أو مخلوق» هو بمعنى الإيجاد لا الكذب.

ثانيها: ما أشرنا إليه من أنّ هذا المنع من جهة قصور الناس عن فهمه، فيتوهّمون احتياجه إلى مخلوقه حتّى يتكلّم.

ثالثها: إنّ نسبة الكلام إلى الله تعالى كنسبة اليد والعين والجنب إلى الله سبحانه، كما وقع في الكتاب والسنّه مع جهلنا بكيفيّة النسبة، فكما لا يصحّ أن يقال: يد الله مخلوقة، وعين الله مخلوقة، أو أنّهما خالقان لاستلزام الأوّل نسبة المخلوقيّة إليه سبحانه، والثاني تعدّد الخالق، فكذا لا يصحّ أن يقال في القرآن الّذي هو كلام الله: إنّه خالق أو مخلوق، أي: من حيث النسبة إلى الله سبحانه، وإن كان بالنسبة إلى الكتاب والقرّاء يتعلّق به الإيجاد والإحداث، ولهذا تحاشى الإمام عليه السلام عن نسبة الأمرين إلى القرآن وقال: «ولكنّه كلام الله».

فإن قلت: قد قام دليل العقل والنقل على أنّ ماسوى الله سبحانه مخلوق، ولاريب أنّ الكلام غير الله فيكون مخلوقاً.

قلت: الخلق قد يستعمل ويُراد به الإحداث والإبداع الّذي هو الإيجاد لا عن مادّة ومدّة،

---

١. عوالي اللآلي، ج ٣، ص ١٦٦.

٢. التوحيد، ص ٢٢٤.

٣. ص: ٧.

ولا يحتاج إلى شيء، وقد يستعمل ويراد به الأعمّ منه ومن الإيجاد عن مدّة ومادّة، وأكثر استعماله في ذلك بخلاف الإحداث فإنّ أكثر ما يستعمل في الإنشاء والإظهار من الغيب إلى الشهود، ولذلك ورد المنع عن إطلاق المخلوق على القرآن، لأنّه الظاهر في الإيجاد عن مادّة ومدّة.

وبالجملة؛ فليس كون الشيء خالقاً أو مخلوقاً واقعين في طرفي النقيض؛ أمّا على المعنى الأخصّ من الخلق فظاهر، وأمّا على المعنى الأعمّ فإنّ كثيراً من الحقائق لا يتعلّق به جعل كأكثر صفات الله وجميع الأُمور الاعتباريّة على رأي من يقول بها، وإنّما يصحّ عليه الإحداث والإنشاء في ا لانتساب إلى المبدأ الأعلى.

رابعها: إنّ هذا الّذي نزل بالحقّ قرآن من حيث كونه من عالم الأمر، لقوله سبحانه: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** ﴾[١] واللوح من عالم الأمر، وذلك العالم مقابل لعالم الخلق، لقوله تعالى: ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** ﴾[٢] فلا يصحّ إطلاق الخلق على القرآن. فتدبّر!

خامسها: وهو أجودها وأقربها ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله: «إنّ الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له إسماً من عندك فتكون من ـ الظالمين أو ـ الضالّين»[٣].

ومراده أنّه لايجوز القول بأنّه قديم أو مخلوق، وأنّه قائم بذاته أم لا، كما أنّه لا يجوز القول القول بأنّ يد الله مخلوقة أو قديمة، ولكن يد الله فوق الأيدي فكذلك كلام الله فوق كلّ كلام، ولا يجوز أن يقال: إنّه قديم أو مخلوق أو خالق، وهذا بدعة أي: إحداث قول واعتقاد ليس له أثر في الكتاب والسنّة، يشترك فيها السائل والمجيب؛ أمّا السائل فيطلب شيئاً لا يمكنه طلبه ولا في قوّته فهم حقيقته، ولايجب عليه الطلب، ولا هو مكلّف به، وأمّا المجيب فلأنّه يتكلّف

---

١. البروج: ٢١ و٢٢.

٢. الأعراف: ٥٤.

٣. التوحيد، ص ٢٢٤، ح ٤.

شيئاً ـ أي جواب شيء ـ لا يجب عليه جوابه، ولا يعاتب على سكوته، ولا يُلام بعدم القول فيه ولا عدم معرفته.

وبعبارةٍ أُخرى: أسماء القرآن وما يطلق عليه ـ مثل أوصاف الله وأفعاله ـ توقيفيّة، مثلاً لا يجوز أن يقال: إنّ الله قبل خلق العالم كان ساكتاً أي: لا يتكلّم بكلام، مع أنّه معنى صحيح، فكذا لا يجوز أن يقال: إنّ القرآن مخلوق، لأنّه لم يرد به كتاب ولا سنّة.

وهذا كلام متين يستفاد من هذا الكلام من الإمام عليه السلام حيث قال: «إنّ هذا بدعة، وإنّ القرآن حادث غير مخلوق»؛ فتدبّر في مزايا الأخبار الواردة عن الأئمّة الأطهار فتجد فيها ما يغنيك عن كلمات الحكماء والمتكلّمين وهو المذهب الصحيح؛ فافهم واحفظ واغتنم!

وتحقيق هذا المقام ـ مع أنّه ربّما يرجع إلى الممنوع منه فلا يليق بمقامنا سوى أنّ القرآن كلام الله قطعاً، وهو حادث لا قديم قطعاً، ونقول ـ: إنّ ما في علم الله الذاتيّ لا يطلق عليه القرآن، فإنّه اسم لكلام الله الّذي هو حادث، وجعله معجزة باقية لخاتم رسله محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، وأفضل أفراده وأوّل أفراده ما كتبه بالقدرة الإلهيّة واليد الإلهي في اللوح المحفوظ، أو في جبهة إسرافيل، أو ما تكلّم به مع ملائكته المرسلين إلى سيّد الأنبياء والمرسلين، أو ما أُوحي في حقيقتهم بانتقاشه في ألواح قلوبهم أو حقائقهم، ثمّ أوحاه بتوسّطهم على قلب سيّد المرسلين، أو بتكلّم الأمين مع سيّد الأنبياء والمرسلين على الخلاف في معنى الوحي وتحقيقه. ثمّ أفضل أفراده ما تحقّق في قلب محمّد بن عبدالله، ثمّ في صدور الأئمّة الطاهرين، ثمّ في صدور الحفّاظ وقرّائهم، ثمّ في القراطيس ـ والصّنف الّتي بأيدينا مثله ـ. فتحقّق من ذلك كلّه عوالم ونشآت، ففي عالم نورانيّتهم وحقيقتهم أوّل ما خلق الله نور محمّد وعليّ والأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولمّا خلقه خلق في نورهم العلوم، أي: خلقهم عالماً، ومنه العلم بالقرآن، ولم يخلق الله بعدُ ميكائيل ولا إسرافيل ولا جبرائيل، وبالعلم الّذي خلقه فيهم كانوا يسبّحونه ويقدّسونه ويمجّدونه، فلمّا أن خلق منهم ولهم العرش والكرسي والملائكة تعلّموا التسبيح والتقديس والتحميد منهم، فسبّحت الملائكة، وهلّلوا فهلّلت الملائكة، وهكذا كما نطقت به الأخبار المستفيضة، وسيجيء بيانها إن شاء الله في المقام الثالث.

فعلى هذا، فأوّل أفراد القرآن وأفضل أفراده ما خلق الله تعالى في حقيقة محمّد ﷺ ونوره المخلوق أوّلاً، وتعلّم وتلقّى من حقيقته النورانيّة إسرافيل أو ميكائيل أو جبرائيل، وجاء به في العالم الجسمانيّ والنشأة الملكيّ إلى سيّد المرسلين، فلم يكن جبرئيل يأتي بما لم يكن يعلمه رسول الله، بل هو لتشرّف جبرئيل بهذا المنصب الجليل وغيره من الحكم والمصالح.

ومن هذا العالم كان تكلّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين تكلّم وقت ولادته جائت به فاطمة أمّه وأخذه رسول الله ﷺ فقال له: إقرأ!

فقال عليه السلام: أقرأ، فقرأ التوراة والإنجيل والزبور والصّحف، ثمّ استأذن وقرأ القرآن[1]، ورسول الله ﷺ لم يُبعث بعد، ولم يأت جبرئيل بالقرآن، وهذا هو الوجه الوجيه بين أخبار الباب، كما سنبيّنه لك في هذه الرسالة إن شاء الله.

فالحاصل؛ أنّ أفضل أفراد القرآن في عالم الغيب والنورانيّة كان في حقيقة محمّد ﷺ، ثمّ في اللوح، ثمّ في حقيقة الملائكة، وفي عالم الشهادة وخلق العالم خلق الله أوّلاً في اللوح المحفوظ، ثمّ في حقيقة الملائكة وجبرئيل الرسول إلى رسول الله ﷺ على الخلق.

فأقول: إنّ جبرئيل كان تلقّى القرآن من حقيقة محمّد المصطفى ﷺ، ثمّ أتى به له في هذا العالم الجسمانيّ نجوماً نجوماً وآية وآية، وقد نطقت الأخبار المستفيضة بأنّه أوّل ما خلق الله[2]، وأخبار أوّل ما خلق الله وإن اختلفت ففي بعضها أنّه العقل، وفي بعضها الماء، وفي كثير منها حقيقة محمّد ﷺ، وفي بعضها المشيّة، وقد حقّقنا في مقامه أنّ المراد من الكلّ واحد وهو حقيقة محمّد ﷺ ونوره، وربّما تأتي الإشارة إليه في أبواب المقام الثالث.

وفي أخبار مستفيضة ـ بل متواترة ـ: أنّ الملائكة تعلّموا التسبيح والتهليل والتقديس والتمجيد من محمّد ﷺ وعليّ عليه السلام حين خلقوا، فعلم منها أنّ الله خلقهم عالمين، وكذلك الأخبار المعتبرة الّتي في «الكافي» وغيره الدالّة على أنّه الله خلق محمّداً ﷺ وأكمل تأديبه،

---

١. بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٥٤.

٢. انظر: بحار الأنوار، ج ٧، ص ٧٤.

فلمّا أكمل تأديبه أشهده خلق خلقه[1]، فإنّها أيضاً تدلّ على المطلوب، كما ستعرف إن شاء الله.

فظهر خروج ما علم الله عن حقيقة القرآن وبقي سائر أنواعه وأفراده داخلاً تحته حقيقة، فهو إسم للقدر المشترك بين جميع هذه الأفراد.

وأقرب ما رأيت إلى هذا القدر المشترك المسمّى بالقدر ما نقل عن المعتزلة بأنّ القرآن هو هذا الكلام المؤلّف المنتظم من الحروف المسموعة المفتتح بالتحميد، المختتم بالاستعاذة، مع قطع النظر عن المحلّ القائم به، وهو ممّا علم بالضرورة من دين محمّد ﷺ حتّى العوام والصّبيان، وعليه إجماع السلف وأكثر الخلف، وإليه يرجع ما اشتهر من خواصّه ككونه ذكراً عربيّاً منزلاً مقروّاً مسموعاً مكتوباً مقروناً بالتحدّي، مفصّلاً إلى السور والآيات، قابلاً للنسخ، وارداً عقيب إرادة التكوين، فهو إسم لهذا المؤلّف المخصوص لا من حيث تعيين المحلّ فيكون واحداً بالنوع، باقياً عنه المكتوب، قائماً باللوح المحفوظ وبكلّ مصحف ولسان، لا يزداد بازدياد المصاحف، ولا ينقص بنقصانها، فكلّ ما يقرأ القاري ـ أيّ قارئٍ كان ـ عينه، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ** ﴾[2]، انتهى.

وقوله: «المفتتح بالتحميد» مراده سورة الحمد، وقوله: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾ بناء على مذهب العامّة من أنّ البسملة لا يكون جزء من السورة.

ومراده من المختتم بالاستعاذة هي سورة الفلق والناس.

وقوله: «فكلّ ما يقرأ القاري ـ أيّ قارئٍ كان ـ عينه» كذلك، وكذلك كلّ ما يكتب في أيّ شيء وأيّ كاتب فهو عينه.

وهذا الكلام تحقيق حسن وبيان لطيف لذلك القدر المشترك بين تلك الأفراد الّذي ذكرنا.

وحاصله: إنّ القرآن إسم للقدر المشترك بين أفراده ومصاديقه المعبّر عنه بالمؤلّف عن هذه

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٩٤.

٢. التوبة: ٦.

الحروف والكلمات المعهودة مع قطع النظر عن كونه كلاماً وصوتاً وحرفاً ونقشاً وكتاباً، فاحفظها واغتنم!

فإذا علمت وتحقّقت معنى القرآن وأنّه إسم للقدر المشترك بين أفراده، وعرفت أفراده الّتي كالأنواع والأصناف، فاعلم! أنّ لكلّ نوع وصنف وفرد منه أحكاماً وآثاراً، ويترتّب عليها علوماً ورسوماً.

فما في اللوح المحفوظ هو المراد في قول الله تعالى: ﴿ **فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَايَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ** ﴾[1].

وما في حقيقة الملائكة المنزلين به إلى النبيّ ﷺ له أحكام إنزاله آية آية على سيّد الأنبياء.

وما في قلوب النبيّ ﷺ والأئمّة له أحكامهم من تبليغها وقرائتها وحفظها ونشرها ونشر أحكامها وتعظيمها وتكريمها والعمل بتنزيلها في زمان، وبتأويلها في زمان وغير ذلك.

ومن آثار القرآن الّذي عند النبيّ ﷺ أنّه ﷺ يتحدّى به، ويهدي به من يشاء، وينطق بتفسيره وتنزيله وتأويله، ويفرّق به بين الحقّ والباطل.

وأمّا ما هو المخلّف في أُمّته منه ﷺ فقد عرفت أنّه باقي أفراد القرآن أعمّ من وجوده الذهنيّ والعلميّ وهو ما في صدور الحفّاظ، ومن وجوده الكلاميّ أعني التكلّميّ وهو ما في لسان التالين والقارين، ومن وجوده الكتبيّ وهو ما بين الدفّتين من المصاحف؛ فهذه أنواع وأصناف حقيقيّ للقرآن، ولكلّ واحد منها أفراد لا تحصى.

فأحكام وجوده الحفظيّ أن يحفظه صحيحاً، ويضبطه بحيث لا ينساه، فقد ورد في الأخبار ذمّ نسيان القرآن، وأن يتذكّر بمعانيه الّتي يدركها من مدلوله الذهنيّ فيعمل بما فيه، ولا يقارنه بالوجودات الحفظيّ السيّئة، كحفظ الأكاذيب وظنّ السوء والاعتقادات السيّئة والشبهات الشيطانيّة منها الحسد والرياء والسمعة قصداً، بل من أحكامه ترك أكل الحرام وشرب الحرام خصوصاً المسكرات، فإنّه ورد في الرواية أنّه من كان في حفظه شيئاً من القرآن

---

١. الواقعة: ٧٨ و ٧٩.

وليس بمسلم لم يكن في حفظه شيء من القرآن، فلا أقلّ من الحمد وسورة مّا لوجوبها في الصلاة المفروضة فيشرب الخمر فيصبّ الخمر على القرآن، هذا مضمون الخبر؛ فانظر! ما أسوء صبّ الخمر على القرآن.

وظنّي أنّ هذا ليس من قبيل التشبيهات والاستعارات، كتمثيل غيبة المؤمن يأكل لحم أخيه، بل هو على حقيقته عرفاً بناء على ما عرفت أنّ المحفوظ في صدور الحفّاظ وأذهان القرّاء وغيرهم قرآن حقيقيّ والوجود الذهنيّ موجود لا معدوم؛ فإذا يشرب المؤمن الخمر، فكأنّه يصبّ الخمر على القرآن حقيقة لفهم العرف العام ذلك. فتأمّل!

وكذا من أحكامه تعليم ما يعلم من القرآن، فإنّ له ثواباً كثيراً، وكذا يكثر من حديث النفس بالآيات، والاتّعاظ بمواعظها، والاعتبار بما يعتبر منها، إلى غير ذلك من أحكام وجوده الحفظيّ والقرآن الذهنيّ.

ولهذا القرآن آثار كثيرة مثل شفاعة المحفوظ لحافظه، ومثل حفظه لحافظه عن كثير الآفات والبليّات، ومنها كثرة ورود الملائكة الموكّلين به في قلبه فينوّر القلب بهم، ويضعف جنود الشياطين وتقلّ.

ومن آثاره في يوم القيامة ما ورد في الرواية: [يقال] للمؤمن الحافظ: إقرأ وارقِ في كلّ آية، بل كلّ كلمة، بل كلّ حرفٍ يقرأ يترقّى درجة ... إلى غير ذلك من الآثار المترتّبة عليها في الدنيا والقبر والبرزخ والآخرة وعند الصراط والميزان والحوض وعقاب يوم الدين إلى دخول الجنّة.

وأمّا وجوده الكلاميّ فله أحكام كثيرة من وجوب تلاوته في الصلوات المفروضات، واستحبابه في المستحبّات، وحرمة قراءة مقدار منه على الجنب والحائض، وكراهة مقدار لهما، واستحباب قرائته مستقلاً، كما ورد فيه: رحم الله الراحل والمرتحل أو الحالّ والمرتحل أي: من يتلو القرآن من أوّله إلى آخره، ثمّ يبتدأ ثانياً وثالثاً وهكذا[١].

وكذا من الأحكام الكثيرة لتلاوتها من المثوبات الكثيرة لكلّ سورة بثوابات مخصوصة،

---

١. لاحظ: بحارالانوار، ج ٨٩، ص ٢٠٤ باب في كم يقرء القرآن ويختم.

وعموماً لكلّ آية وسورة وخمسين آية ومائة آية، وكذلك الاستشفاء بالسور والآيات والاستشفاعات والتوسّلات بمطلقها، وخصوص سورة وآيات لكلّ داء وبليّه وحاجة ودين وضيق وحضر وسفر وعزوبة وغيرها، كما ورد عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

وفي رواية عن أميرالمؤمنين عليه السلام ذكر لكلّ بليّة آية من القرآن، فلدفع السباع كذا، ولدفع الحرق والغرق كذا، ولحفظ البدن والمتاع كذا، وللسفر كذا، وللحجّ كذا، وللأهل كذا، وللولد كذا، ولضيق القبر كذا، ولأهوال البرزخ كذا، ولأهوال القيامة كذا، وللدين كذا، ولقضاء الحاجة كذا، ولدفع العدوّ كذا، وهذا القبيل لا تحصى كما هو مشروح مسطور في كتب الأدعية للأوجاع والأمراض والديون والكفالات والزراعات والتجارات... إلى غير ذلك ممّا لا تحصى.

وأمّا وجوده الكتبيّ كالمصحف ونحوه فله أحكام كثيرة، فيجب احترامه ويحرم توهينه حتّى مدّ الرجل إليه توهيناً، وبعض الأفعال ممّا لا ينفكّ عن التوهين ككتابته بالمداد النجس، أو بالمخلوط بالخمر مثلاً ـ نعوذ بالله ـ ومثله تنجيسه بالنجاسات حتّى هوامشه الخالية عن الخط، وربّما يكون منه وضعه مثلاً في المواضع الخسيسة، كوضعه في بيت الخلاء، وبعض الأفعال ممّا قد يكون توهيناً إذا قصد به الفاعل الإهانة مثل مدّ الرجل إليه مثلاً.

وذكرنا هذا أُنموذجاً من باب المثال؛ فيحرم توهينه ويجب إحترامه وتعظيمه. وكذا يحرم على المحدث بالحدث الأكبر مسّ خطّه، وكذا المحدث بالأصغر ـ على القول به ـ ولا أقلّ من الكراهة.

وكذلك يجب حفظه عن التوهينات والمحرّمات والزيادة والنقصان، مثلاً يحرم كتابة القرآن بزيادة آيات وسور منه، وكذلك تغيير الكلمات والآيات بغيرها، وهذا أيضاً باب واسع يدركه كلّه الفطن، مثلاً يحرم كتابته بالمداد المغصوب، أو الكاغذ الغصبيّ، بل القلم الغصبيّ زيادة على أصل الغصب، وكذا يستحبّ كتابته وادّخاره للحفظ، وجعله في المتاع، ومصاحبته للتبرّك به، والاستشفاء والاستشفاع بكتابته وآياته بشدّها على العضد، أو محوه وشرب ماؤه والتعويذ بها والاحتراز بها والاستكفاء بها.

والآثار المترتّبة على كتابته وحفظه ونشره ووقفه وبيعه، أو شرائه من الأحكام الدنيويّة والمثوبات الأُخرويّة كثيرة لا تحصى... إلى غير ذلك من الأحكام والآثار المترتّبة على وجوده الكتبيّ والنقشيّ، هذا بعض الكلام في آثاره وأحكامه.

وأُحبّ أن أُنبّهك في المقام على نكتة شريفة وسرّ لطيف وهو أنّ عدم الافتراق بين القرآن وبين الإمام مشروط ومَرعيّ في جميع هذه الأحكام والآثار بمعنى أنّه يشترط في ترتّب هذه الأحكام والآثار من الدنيويّات والأُخرويّات من الواجبات والمحرّمات والمثوبات والدرجات والاستشفاعات والاستشفاآت والاستكفاآت وكلّ الآثار المذكورة وغير المذكورة المترتّبة على عامّة أفراده في جميع أصنافه وأنواعه وأفراده أن يكون مع ولاية الأئمّة الأطهار وأهل بيت النبيّ المختار صلوات الله عليه وعليهم ما دامت الليل والنهار، والتمسّك بهم، والتديّن بدينهم؛ فلا ثمر غير الفرقة الناجية أبداً شيئاً، والدليل على ذلك ما قاله النبيّ ﷺ في تلك الأخبار المتواترة في تخليف الثقلين، مؤكّداً بقوله: «لن يفترقا أبداً حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

وإذا ترتّب ثمرة من هذه الثمرات على فرد من أفراد القرآن لغير الشيعيّ الإثنى عشري الّذي ليس له ولاية أهل البيت ولا التمسّك بهم، فيتحقّق الافتراق وهو محال لاستلزامه كذب النبيّ ـ نعوذ بالله ـ.

وهذا الاشتراط نظير قول عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بعد حديث «كلمة لا إله إلّا الله حصني» لأهل نيشابور، «أمّا بشروطها وأنا من شروطها»[٢].

ونظير الاستشفاء بالتربة الحسينيّة، فإنّه أيضاً مشروطة بالولاء، كما وردت به الرواية[٣].

وهذا تنبيه لطيف هداني الله إليه، ولو وجدت بعض الآثار في غير المؤمنين بهم فهو تبعيٌّ لا أصليّ. فافهم!

---

١. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٠؛ مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ٢٥٤.
٢. أمالي الصدوق، ص ٢٣٥؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٣٥؛ بحارالأنوار، ج ٣، ص ٧.
٣. كامل الزيارات، ص ٩٨.

وإذ عرفت معنى عدم افتراقهما فاللازم منه ترتّب جميع آثار القرآن على الإمام وهو كذلك عند التحقيق، فإنّه ليس المراد عدم افتراقهما جسماً في الخارج، وقوله: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً»[١] إشارة إلى أنّ المراد عدم افتراقهما في التمسّك بهما والعمل بأحكامهما ومتابعتهما.

وتحرير هذا التقريب: أنّ كلّ موجودين خارجين يقال فيهما: إنّهما مصاحبان لا يفترقان يراد مصاحبة وجوديهما في ظرف الخارج، كما أنّ قيل: زيد وعمرو مصاحبان لا يفترقان، يراد منه ويفهم أنّهما في الوجود الخارجيّ يكونان متّفقين مصاحبين لا يوجد أحدهما بدون الآخر.

أمّا لو علم عدم مصاحبتهما في الوجود الخارجيّ فيراد من عدم افتراقهما اتّفاقهما في الأقوال والأوصاف والأحكام والآثار، كأن يقال: المجتهد الفلانيّ غير مفترق عن فلان، أي: بحسب الفتوى والحكم، مثلاً السلطان الفلانيّ غير متفرّق من فلان أي: يكونان متّفقين في الأحكام والآثار والصداقة والمحبّة، وهكذا يفهم في العرف اتّفاقهما في شيء من الأوصاف والآراء والآثار.

وحيث أخبر الرسول الصادق المصدّق الأمين بأنّ القرآن مع أهل بيته وعترته متّفقان غير مفترقان، ورأينا وعلمنا عدم إرادة مصاحبتهما في الجسم والوجود الخارجيّ، حيث أنّ الافتراق محقّق، علمنا وفهمنا بالفهم العرفيّ المتبادر من الكلام أنّهما متّفقان غير مفترقان في الأحكام والآثار والأوصاف، فكلّ ما يأمرُ به الإمام وكلّ ما ينهى عنه، وهكذا ولم يجد ولن يوجد اختلافهما في حكم أو أثر أو صفة، وحيث لم يظهر ولم يتبادر ولم يخصّص الرسول اتّفاقهما في أشياء خاصّة، علمنا اتّفاقهما وعدم افتراقهما في جميع الأحكام وعامّة الأوصاف والآثار، وهو كذلك.

فالقرآن خليفة النبيّ، والإمام خليفته، والقرآن حجّة للأُمّة، والإمام حجّة ناطقة، والقرآن يهدي إلى الحقّ، والإمام هو الهادي، والقرآن منذر، والإمام منذر، والقرآن يأمر بأشياء وينهى عن أشياء، والإمام يأمر بذلك الأشياء وينهى عن تلك الأشياء بعينها، والقرآن

---

١. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٠؛ مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ٢٥٤.

واعظ، والإمام واعظ، والقرآن حاكم بين اختلاف الأُمّة، والإمام قاضي بين الأُمّـة ورافـع لاختلافاتهم، والقرآن يشفي من أدواء الضلالة والغواية ومن كلّ علّة ظاهرة وباطنة، والإمام يشفي كذلك كلّ عليل ويهدي كلّ ضالّ إلى الصراط المستقيم.

والقرآن يجب احترامه، والإمام يجب احترامه وجعل الله مودّتهم أجر الرسالة، والقـرآن يحرم توهينه، والإمام يكفر بتوهينه، والقرآن يحرم مسّ كتابته محدثاً، والإمام يحرم الدخول عليه جنباً؛ حيّاً وميّتاً، ولا صلاة إلّا بقرائة القرآن، ولا يقبل الطاعة المـفروضة إلّا بـولاية الإمام عليه السلام، والقرآن شافع مشفَّع، والإمام شافع لا يُردّ، والقرآن يحفظ قاريه، والإمام يحفظ مواليه... إلى غير ذلك من الأحكام والأوصاف والآثار؛ فلا يوجد ولن يوجد اختلافهما في حكم أو صفة أو شأن أو أثر.

ومن أوصاف القرآن أنّه أفضل الكتب وأشرفها، والإمام أفـضل الأوصـياء وأشرفـهم اتّفاقاً، والقرآن باقٍ إلى يوم القيامة، والإمام قائم إلى يوم القيامة.

بيانٌ آخر: القرآن يشتمل على جميع الأحكام والأخبار، والإمام عالم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ﴿ **لاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾[1]، ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[2]، القرآن ذِكرٌ ونورٌ ﴿ **يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾[3]، الإمام ذكرٌ ونور أُنزل مـع الرسول لقوله تعالى: ﴿ **ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ** ﴾[4].

وقـد ورد في القـرآن ﴿ **ٱهْدِنَا ٱلصِّـرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** ﴾[5]، والإمام وولايـته هو الصراط المستقيم بـدليل قـوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّـهُ فِي أُمِّ ٱلْكِـتَابِ لَـدَيْنَا لَعَـلِيٌّ حَكِـيمٌ** ﴾[6] كـما في

---

١. الأنعام: ٥٩.

٢. يس: ١٢.

٣. الإسراء: ٩.

٤. الأعراف: ١٥٧.

٥. الفاتحة: ٦.

٦. الزخرف: ٤.

الخبر[١] وفي زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

والقرآن كتابٌ ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾[٣]، وفي الخبر عن الصادق عليه السلام: «والكتاب عليٌّ لا ريب فيه» ﴿ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤] قال: «فيه تبيان لشيعتنا»[٥]، والقرآن هو الكتاب الّذي نزّله في ليلة القدر[٦]، وعليٌّ هو الكتاب المبين، والليلة فاطمة الزهراء عليها السلام، والقرآن يفرق كلّ أمر حكيم[٧]، وعليّ وفاطمة عليهما السلام يخرج منهما خير كثير، فرجلٌ حكيم ورجلٌ حكيم، أي: إمام بعد إمام، كما وردت به الرواية المعتبرة بل الصحيحة[٨].

والقرآن أكبر معجزة لنبوّة محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، والإمام أكبر آية من آيات الله تدلّ على نبوّته، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴾[٩].

في «الكافي» عن الباقر عليه السلام: «تنزيله: ﴿ فأبى أكثر الناس ﴾ لولاية عليّ ﴿ إلّا كفورا ﴾[١٠]».

فيدلّ هذا على أنّ قوله: ﴿ لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل ﴾ عليٍّ ﴿ لا ﴾ يأتون بمثله» وهذا صرف المثل.

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٢١٠.

٢. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٣٠١.

٣. البقرة: ٢.

٤. البقرة: ٢.

٥. تفسير القمي، ج ١، ص ٣٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٤٠٢.

٦. إشارة إلى الآية الأُولى من سورة القدر.

٧. إشارة إلى الآية ٤ من سورة الدخان.

٨. الكافي، ج ١، ص ١٩٠.

٩. الإسراء: ٨٨ و ٨٩.

١٠. الكافي، ج ١، ص ٤٢٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٣٧٩ مع اختلاف في المتن.

والقرآن فيه: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً** ﴾[١]، وولاية الإمام شفاء ورحمة للمؤمنين، كما ورد في الآية: ﴿ **ولا يزيد الظالمين** ﴾ لآل محمّد ﴿ **إلّا خساراً** ﴾[٢].

والقرآن كلام الله، والإمام كلمة الله ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً** ﴾[٣]، «وأسألك بالكلمات التامّات الّتي تمّت صدقاً وعدلاً»[٤]، ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ** ﴾[٥] و﴿ **قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي** ﴾[٦]. والقرآن ﴿ **يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾[٧] أي: يهدي إلى الإمام، والإمام يهدي إلى القرآن.

الصدوق، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام، قيل له: يابن رسول الله! فما معنى المعصوم؟

فقال: «هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة؛ فالقرآن يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام»[٨].

وفي رواية أُخرى: أي: «إلى الولاية»[٩].

...إلى غير ذلك ممّا لا تحصى، وإنّما ذكرنا هذا القدر ليكون أُنموذجاً ودستوراً لتعرّف الباقي وتعلّم عدم افتراقهما أبداً.

تقريرٌ آخر لعدم افتراقهما: إنّ القرآن لا يعلم تمام علمه إلّا الإمام، كما أنّ تمام الفرق

---

١. الإسراء: ٨٢.
٢. البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٤٦.
٣. الأنعام: ١١٥.
٤. إقبال الأعمال، ص ٦٧٠؛ بحارالأنوار، ج ٨٨، ص ٢٠١؛ مستدرك الوسائل، ج ٦، ص ٢٨٨.
٥. البقرة: ٣٧.
٦. الكهف: ١٠٩.
٧. الإسراء: ٩.
٨. معاني الأخبار، ص ١٣٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٩٤.
٩. تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ٢٨٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٤٥.

المختلفة من اثنين وسبعين فرق من أُمّة محمّد ﷺ يتمسّكون بالقرآن؛ فالمجبّرة يتمسّكون بالقرآن، والمفوّضة يتمسّكون بالقرآن، والمجسّمة يتمسّكون بالقرآن، والمخالفون يستدلّون بالقرآن، وفرق الشيعة يستدلّون بالقرآن، وهكذا، وكلّ ذلك من جهة جهلهم بمعانيه وزيغ قلوبهم وتشتّت أهوائهم، ولم يكن علمه كلّه إلّا عند وصيّ النبيّ القيّم، يعلم الكتاب وتفسير القرآن، فهو يعلم عامّه وخاصّه ومطلقه ومقيّده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وتنزيله وتأويله.

والدليل على ذلك أنّ الأدلّة الدالّة على بيان الاضطرار إلى النبيّ عليه السلام هو جارٍ بعينه في الاضطرار إلى الوصيّ وخليفته من بعده إلى ظهور نبيٍّ آخر، فإنّ الاحتياج إلى النبيّ أو الوصيّ غير منحصر بوقتٍ دون وقت، وفي حالةٍ دون أُخرى، ولا يكفي بقاء الكتب والشرائع من دون قيّمٍ لها، عالمٍ بها، كما علمت، ولو كان وجود الكتاب السماوي كافياً لم يدلّ دليل على وجود الوصيّ.

وحيث قد ثبت أن لا نبيّ بعد محمّد بن عبدالله ﷺ، ولا كتاب بعد القرآن، ولا شريعة بعد شريعته، فلابدّ في كلّ زمان من إمام منصوب من الله ورسوله، معصوم من الخلل والمعاصي، يودع النبيّ ﷺ فيه أسرار نبوّته وأسرار الكتاب المنزل عليه، ويكشف له مبهمه، ليكون ذلك الوصيّ هو حجّة ذلك النبي عليه السلام على قومه، ولئلّا تتصرّف الأُمّة في ذلك الكتاب المنزل عليه بآرائها وعقولها فيختلف ويزيغ قلوبها، كما أخبر الله به، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾[1].

فالرسول والإمام والكتاب هم الحجّة على الأمّة، والكتاب لابدّ له من قيّمٍ، ولا يكون إلّا النبيّ المنزل عليه، أو الإمام المودع علمه لديه، وهو لا يكون إلّا الأئمّة المعصومين، كما يظهر

---

١. آل عمران: ٧.

من أخبار كثيرة مبثوثة في موارد مختلفة، كما في الاحتجاج على أبي حنيفة وقضاة العامّة في أزمنتهم في أخبار كثيرة مستفيضة.

فظهر ـ بحمد الله ـ وجوب وجود الإمام في كلّ عصر وزمان لتفسير القرآن، والكشف عن متشابهاته، والقيام بالعمل بما فيه، وقد بيّنّا في مقامه أنّ الحكمة في إيراد المتشابهات في القرآن هو الاحتياج إلى الإمام في كلّ عصر وزمان، فظهر عدم افتراقهما إلى يوم القيام، كما أخبر به رسول الملك العلّام.

هذا تمام الكلام في الأفراد الحقيقيّه للقرآن الّتي هي كالأنواع والأصناف بالنسبة إلى كلّيّ القرآن وتعيين الأفراد المختلفة من رسول الله ﷺ بين الأُمّة، وبيان معنى عدم افتراقه مع الإمام إلى يوم القيامة بتقريرات متعدّدة، كما عرفت.

بقي أمران ينبغي التنبيه عليهما:

الأوّل: في الإشارة إلى علم الله وقصور عقولنا عن إدراك كنهه

وهذا الّذي وعدنا بيانه عند تعداد أفراد القرآن، وأنّ ما في علم الله من القرآن هل هو من أفراده أم لا؟ فنقول:

إعلم! أنّ كونه تعالى عالماً لا يجهل ممّا انعقد عليه إجماع المسلمين، بل هو من ضروريّات الدين، وتواتر النقل وصريح العقل حاكم به، وكيف يكون ربّ العالمين وخالقهم جاهلاً؟! ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1]، إذن، هو أنقص من خلقه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقد ثبت بالعقل والنقل، بل بضرورة مذهب الشيعة أنّ علمه تعالى عين ذاته بلا فرض مغايرة أصلاً، وأنّ علمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها وحين وجودها من غير تغيير فيه أصلاً وإلّا لكانت الذات متغيّرة، فإذن العلم والعالم والذات أمر واحد.

وأمّا معنى ذاتيّة علمه تعالى فمّما لا سبيل للمخلوق إلى إدراك كنهه، والطريق إليه مسدود،

---

١. الملك: ١٤.

ولا نعتقد إلّا أنّه لا يعزب عنه مثقال ذرّةٍ في الأرض ولا في السماء، وأنّه تعالى عالم في مقام ذاته بذاته بكلّ الأشياء في أماكنها وأوقاتها وحدودها وأوصافها من غير أن يكون علمه تعالى بارتسام صورها في ذاته تعالى، كما عن المشّائين، أو يكون صورها في الخارج مناطاً لعالميّته بها، كما عن الرواقيّين، أو يكون علمه تعالى عبارة عن صورٍ خارجة مفارقة قائمة بذواتها، منفصلة عنه تعالى وعن الأشياء وهي المُثُل الأفلاطونيّة، كما عن أفلاطون، أو بثبوت المعدومات قبل وجودها كما عن المعتزلة ... إلى غير ذلك من المذاهب الفاسدة.

وبالجملة فالتكلّم في العلم الذاتيّ ـ كما في الأقوال المذكورة وما ضاهاها، كما عن هذه الأواخر بأنّ علمه تعالى حضوريّ أو حصوليّ وغير ذلك ـ يستلزم مفاسد كثيرة لفظيّة ومعنويّة، فيجب الكفّ عنه، فإنّ البحث عن العلم الذاتيّ بحث عن الذات وهو من المنهيّات: «إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا»، ومن ادّعى معرفته فقد ادّعى معرفة الذات، وأثبت له تعالى صفات المخلوقات.

نعم، قد أُطلق العلم في الكتاب والسنّة كثيراً على معنى غير ذاته تعالى، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾[١]، وقوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿ **عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ** ﴾[٢].

وفي الخبر: «إنّ لله علمين: علمٌ علّمه ملائكته ورسله، وعلمٌ عنده مخزون»[٣].

وفي دعاء سحر: «اللّهمّ إنّي أسألك من علمك بأنفذه»[٤].

وقد ورد في الأئمّة عليهم السلام أنّهم عيبة علم الله، وخزّان علمه[٥].

---

١. البقرة: ٢٥٥.

٢. طه: ٥٢.

٣. الكافي، ج ١، ص ١٤٧؛ بحارالأنوار، ج ٤، ص ١٠٩.

٤. الإقبال، ص ٥١٨؛ بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ٣٦٩.

٥. الكافي، ج ١، ص ١٩٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٠٦.

وورد في خصوص خلق عليٍّ عليه السلام عن الله تعالى: «وهبته علمي وحلمي»[١].

ومن الظاهر أنّ في شيء من هذه الموارد ونحوها لا يصحّ إرادة الذات، وغير الذات لا يكون إلّا حادثاً ومخلوقاً، مثل العلوم الثابتة في اللوح المحفوظ وعلوم الملائكة، وإنّما نسبه تعالى إلى نفسه وسمّاه علمه تعالى لأنّه أوجدها وخلقها.

وأمّا العلم الذاتيّ فلا تدرك منه إلّا أنّ الأشياء كلّها مجرّداتها ومادّيّاتها، كمالاتها ونقائصها، كلّيّاتها وجزئيّاتها، وجوداتها وماهيّاتها معلومة منكشفة له تعالى بأشدّ وأكدّ وأوضح وأنور ممّا يتصوّر أو يدرك، وهو تعالى في مرتبة ذاته عالم بها في أماكنها وأوقاتها وحدودها من غير أن يكون شيء منها في ذاته، وطريق الممكن إلى معرفة هذا العلم مسدودٌ؛ لأنّه عين الذات من دون مغايرةٍ أصلاً، وأنّه تعالى لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته، كما نطق به كلمات أدلّائه ومحالّ معرفته.

وقد بسطنا الكلام في مسألة علم الباري وأنّه علم حضوريّ ومعناه وبطلان غير هذا في رسالتنا في إثبات الواجب، وإن رجعت إليها تجد فيها ما لا تجدها في غيرها.

وأمّا القرآن فما يرجع منه إلى ذاته تعالى فلا يسمّى قرآناً بل هو الله تعالى، والقرآن كلام الله وهو غيره، وغيره كلّه حادث مخلوق، كما في «الكافي» عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لم يزل الله ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مُبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم».

إلى أن قال: قال: «قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟

قال: فقال: «إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم»[٢]، انتهى.

---

١. أمالي الطوسي، ص ٣٤٣؛ إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٢٣٧؛ بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٣٧١ مع اختلاف في النقل.

٢. الكافي، ج ١، ص ١٠٧؛ بحارالأنوار، ج ٤، ص ٧١.

وقد نقلنا صدره لكمال ارتباطه بالمقام، والمقصود كلامه الأخير، وهو صريح في أنّ كلامه تعالى حادث، وقد ورد في أخبار كثيرة أنّ القرآن كلام الله[١] فلا ريب في أنّ التكلّم صفة فعليّة لا ذاتيّة.

فقد ثبت أنّ القرآن بجميع أفراده حادث مخلوق، ولاسيّما الأفراد الّتي جعلها رسول الله ﷺ خليفته في أُمّته وأوصاهم بالتمسّك بها الّتي هي محلّ ابتلاء الأُمّة. فلا تغفل ولا يشتبه عليك الأمر!

الأمر الثاني ممّا ينبغي التنبيه عليه

إنّ القرآن بما هو قرآن معجزٌ، بل أجلّ وأعلى معجزات نبيّنا ـ صلوات الله عليه وآله ـ وربّما تأتي الإشارة إليه. ولا ريب في أنّ فصاحته وبلاغته معجزة، والفصاحة والبلاغة من صفات الألفاظ، وخصوص هذه الكلمات والحروف بهذا النظم والترتيب قرآن؛ سواء كانت في عالم الحفظ، أو في عالم القرائة، أو في عالم الكتابة لا معانيها من دون خصوصيّة الألفاظ، فجعل القرآن عبارة عن المعاني باطلٌ، بل هي بهذه الألفاظ الخاصّة هو القرآن لا غير، فما يظهر من بعضهم كمصنّف الرسالة المبحوث عنها من قوله بعد نقل بعض رسوم القرآن، كما أشرنا إليه:

وبالجملة، مرادنا بالقرآن المبحوث عنه في هذه الرسالة ما هو المتروك بين أُمّة الإجابة المذكورة في قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»[٢] حمل على المعاني حسب، أو على الألفاظ والحروف المخصوصة الدالّة عليها، أو على المجموع بما هو مجموع، أو على أيّ معنى شئت من المعاني المذكورة وغيرها، إذ لا نزاع بين الأُمّة في أنّه قد ترك فيهم القرآن وجعله إحدى خليفتين، كما سيأتي من الجانبين. انتهى؛

فاسد من غير ريب ومين، لما عرفت أنّ المعاني حسب لا يكون قرآناً قطعاً، وكذلك

---

١. مشكاة الأنوار، ص ١٧.

٢. الاحتجاج، ج ١، ص ٢٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٣٣٨؛ مستدرك الوسائل، ج ٣، ص ٣٥٥.

الحروف المخصوصة الدالّة عليها، بل القرآن هو المجموع قطعاً، فالترديد في نهاية السخافة.

وظنّي أنّه أوقعه في هذه الأُغلوطة زعمه أنّ ما في صدور الحفّاظ هو المعاني دون الألفاظ، فإنّ اللفظ من قبيل الأصوات المشتملة على الحروف، وكذلك ما في الصحف مسطور، فإنّها نقوش خالية عن المعاني، ولا ريب أنّهما قرآن، فجعل الأوّل من قبيل المعاني حسب، والثاني من قبيل الألفاظ حسب، والمجموع بما هو مجموع هو وجوده الكلامي، وهذا زعمٌ فاسد، فإنّ المعاني القائمة بالنفس الموجودة في صدور الحفّاظ من دون خصوصيّة الألفاظ لا يكون قرآناً قطعاً، بل القرآن هو صورة هذه الألفاظ المنقّشة في النفس مع مداليلها، وكذلك المكتوب في هذه الصحف والأوراق بما هو نقش من غير الدلالة على المعاني لا يكون قرآناً، بل هي مع مداليلها، وإلّا فهذه النقوش لا يكون من قبيل الألفاظ والحروف، ولا من قبيل المعاني، بل هي حكاية عن الألفاظ، فجعلها ألفاظاً جزئيّة، فإنّها نقوش حاكية عن الألفاظ الخاصّة المخصوصة ودالّة على المعاني كدلالة الألفاظ، بل أتمّ منها، فإنّ الوجود الكلامي غير قارّ بالذات يوجد بعضها وينعدم قبلها، ووجوده الكتبي ثابت، وكلاهما دالّان على المعاني.

فإنّه لا ريب أنّا كما نفهم المعاني من المتكلّم بالقرآن؛ نفهم من النظر في هذه النقوش، وقد عرفت أنّ القرآن هو خصوص هذه الكلمات المركّبة من هذه الأحرف الدالّة على تلك المعاني الجليلة من غير خصوصيّة المحلّ القائم به كالصّوت الخارج من فم المتكلّم به، أو قلوب الحفّاظ وصدورهم، أو الأوراق المسطورة فيها هذه الأحرف والألفاظ، وكلّها قرآن قطعاً.

وهذه الاشتباهات كلّها من جهة عدم تفطّنه بحقيقة معنى القرآن؛ فتارةً يجعله من قبيل الألفاظ، لما يرى أنّ التكلّم به قرآن.

وأُخرى يجعله من قبيل المعاني، لما يرى من أنّ الحافظ له حافظ للقرآن. فاضطرب كلامه هذا الاضطراب العظيم، والثمرة تنبئ عن الشجرة، ولو أراد تخصيص القرآن من جهة اشتهار أنّه كلام الله بوجوده الكلامي من الله تبارك وتعالى، كما سبقت الإشارة إليه في قول صاحب الرسالة: «أنّ القرآن إسم شخصيٌّ» فحينئذٍ فلا بدّ أن يختصّ القرآن حقيقة بما كلّم الله به حين أراد الوحي به، وكلّما يكون سواه سواء؛ كان في اللوح المحفوظ، أو في أرواح الملائكة، أو في

قلب النبيّ ﷺ أو في صدور الأُمّة، أو في ألسنة القارئين وصدور الحفّاظ من الأُمّة، أو في هذه القراطيس كلّها حكايات من القرآن، ولا يكون قرآناً حقيقة.

وهذا ممّا يأباه عرف المتشرّعة وعرف الإسلام قطعاً، فإنّه لا شكّ ولا ريب في أنّ من قرأ سورة القرآن يقال: إنّه قرأ القرآن حقيقة، لا أنّه حكى القرآن، وكذلك ما في هذه الدفاتر وما في صدور الحفّاظ، بل لازم هذا القول والاحتمال أن لا يكون حقيقة القرآن موجود، إذ وجود الكلاميّ غير قارّ الذات وإن كان من الله، لأنّه على مذهب الحقّ هو إيجاد الصّوت بهذه الأحرف والكلمات في شيء من الشجر أو الجبل أو غيرهما، والكلام النفسيّ باطل غير معقول.

والقول بقيام صفة التكلّم بذاته تعالى كالصفات الذاتيّة من العلم والقدرة باطل مستلزم للكفر وتعدّد القدماء وهو زندقة وارتداد ـ كما حقّق في محلّه ـ فلابدّ من أن يقال: إنّ القرآن هو هذا المؤلّف من الحروف والكلمات المخصوصة سواء كانت في صدور الحفّاظ وألسنة القرّاء، أو مابين الدفّتين مع قطع النظر عن خصوصيّة كونها بالوجود الكتبي أو الكلامي أو العلمي أو الذهني، أعنذي القدر المشترك العام الشامل لهذه الأصناف والأفراد كلّها ـ كما عرفت ـ وهو الّذي يصحّ أن يقال: إنّه خليفة رسول الله ﷺ، وجعله خليفة بعده مع الإمام، لن يفترقا إلى يوم القيامة، وقد أوصى بحفظه وعدم تحريفه والتمسّك به ومتابعة أحكامه وأوامره ونواهيه والعمل بما اشتمل عليه على ما بيّنه القيّم القائم به وهو الإمام، كما عرفت هذه كلّها.

وهذا الكلام من مصنّف الرسالة أيضاً غريب، نظير الكلام السابق في أنّه «اسم علم شخصيٍّ» كما أشرنا إليه، ومثل ما سيجيء منه من إنكار فضائل أهل بيت الرسول صلوات الله عليهم أجمعين.

هذا تمام الكلام في المقدّمة، وتحرير ما وعدنا فيه من حقيقة القرآن، وتعيين ما هو محلّ النزاع منه، وما هو المراد منه في أخبار الثقلين، وقد وفينا بما وعدنا والحمد لله على ما هدانا، وأنعمنا بما أولانا.

ولكن لمّا اشتمل كلامنا على كون القرآن معجزاً للنبيّ ﷺ، وأنّه معجزة باقية منه من

حين التحدّي به إلى يوم القيامة، وقد سلف منّا نقلاً من أخبار الثقلين أنّه مع قرينه الإمام عليه السلام خليفتان مصاحبان لا يفترقان أبداً، وأشرنا إلى معاني عدم الافتراق، وأنّ المراد به عدم الافتراق في عامّة الصفات والعلوم والأحكام والآثار لا في الجسم.

ربّما يقول قائل: إنّ من أعظم صفات القرآن كونه معجزة باقية لرسالة الرسول، وأين مثل هذه الصفة للإمام الّذي هو قرينه، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّهما لن يفترقا»[1]، وقلت: إنّ عدم افتراقهما ثابت في عامّة الصفات، وهذا من أعظم صفاته وأكبر آثاره، بل مقوّم ماهيّته، وهذه الصفة غير ثابتة لوجود الإمام؛ لأنّهم بعد النبيّ وإمامتهم مترتّبة على نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومتفرّعة عليه بعد نبوّته.

قلت: هيهات! هيهات! قد بعدت عن الحقّ، وضللت عن الطريق، وزلّ قدمك عن الصراط المستقيم، فإنّ وجود الأئمّة الطاهرين أكبر آية وأعظم معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو معجزة باقية له إلى يوم القيامة ببقائهم، بل هذه الصفة فيهم أظهر وأعظم وأجلّ وأتمّ من القرآن، ضرورة أنّ صفة إعجاز القرآن ـ قد عرفت ـ أنّها إمّا من جهة بلوغها في الفصاحة والبلاغة إلى حدّ يعجز عنه عموم أهل اللسان، أو من جهة اشتماله على العلوم والمعارف الحقّة من المبدأ والمعاد والأحكام الشرعيّة الأُصوليّة والفروعيّة، أو من جهة اشتماله على الإخبار بالمغيّبات، مع هذا الإيجاز والنظم الغريب، والأُسلوب العجيب، أو الصرفة أو مجموع هذه الأُمور، أو مع الآثار المترتّبة على القرآن من الاستشفاء به والاستشفاع منه، وخواصّه وآثاره في أصناف وجوداته.

ولا شكّ ولا ريب أنّ عامّة هذه الأُمور قد ظهرت من الأئمّة الأطهار، والأوصياء الخلفاء الأبرار على وجه أتمّ وأكمل وأعظم وأجلى.

أمّا الفصاحة والبلاغة، فقد ظهر منهم ما لا مزيد عليه، يكفينا ملاحظة كتاب «نهج البلاغة» من غرر كلمات أميرالمؤمنين، ودعاء يوم عرفة من ابنه سيّد الشهداء عليهما السلام، و«الصحيفة السجّاديّة» وساير الأدعية والأوراد الواردة المذكورة منهم عليهم السلام، فهل ورد من

---

١. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٠؛ مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ٢٥٤.

أحد من علماء العرب الماهرين في الفصاحة والبلاغة شيء يشبهها لفظاً ومعنىً ؟

وأمّا العلوم والمعارف والأحكام، فقد انتهى عامّة العلوم من أُصول الدين وفروعها وشرعيّها وغيرها إلى أميرالمؤمنين عليه السلام بحيث لولا ما صدر منهم لما كان للشرع المحمّديّ قيام ولا قوام، لا أُصولاً ولا فروعاً، مضافاً إلى المعجزات الباهرة والكرامات الظاهرة المستفيضة منهم واحداً بعد واحد، من إحياء الأموات والإخبار بالمغيبات وبما في ضماير القلوب مستورات، والتصرّفات في عامّة الموجودات، كما سيأتي الكلام في كلّ واحد منها في المقام الثالث إن شاء الله.

وأمّا الآثار من الاستشفاعات والاستشفاءات من أنفسهم ومن كلماتهم، ومن قبورهم وتربتهم، ومن ولايتهم ومودّتهم لعامّة المؤمنين المتمسّكين بهم فوق حدّ الإحصاء، فكيف يقال: إنّ صفة الإعجاز منحصرة في القرآن.

وأمّا التحدّي بوجودهم، فهو وإن لم يقع التصريح به من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أنّه من جهة قصور الناس حيث لم يدركوا فضلهم ولم يعترفوا بما يظهر منهم لإنكارهم، بل عداوتهم لهم، ولو نظروا بعين الإنصاف فيما ظهر من أميرالمؤمنين عليه السلام في زمن حضور النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من شجاعته وعلمه ومعاشرته وأخلاقه وكراماته المعجزات الصادرة منه لكان أقوى معجزة لهم على نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

بل أقول: إنّه ليس لنبوّة نبيّنا معجزة أقوى من وجوده نفسه صلى الله عليه وآله وسلم ووجود أميرالمؤمنين عليه السلام الّذي جعله الله نفسه بنصّ كتابه؛ فإنّ وجودهما ـ صلوات الله عليهما وآلهما ـ مع تلك الأخلاق والصفات والعلوم اللدنيّات والأخلاق الإلهيّة والمعاني الربّانيّة من دون مراودة وتعلّم وكسب من أحد حتّى اشتهر بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أُمّيّ ـ أي لا يعرف أن يقرأ ويكتب ـ أقوى معجزة وأتمّ دليل وأعظم برهان لنبوّته صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن الناس الحاضرين في عصره كالوحوش والبهائم والأنعام، بل أضلّ سبيلاً منهم، قد جبلت قلوبهم بالأخلاق البهيميّة الحيوانيّة والسبعيّة والشيطانيّة، وكانوا يألفون بعداوته وبعبادة الأصنام ومتابعة الشهوات والأهواء، والغيّ والفساد والضلال حتّى عدّوا جميع ما

رأوا منه سحراً وكهانة، ورأوا ذلك العقل الفعّال مجنوناً وسفيهاً، وما يتلوا عليهم من هذا القرآن هزلاً وزوراً وكذباً وافتراء وبهتاناً.

فكيف يدرون أخلاقه؟

وأنّى يفهمون آثاره وصفاته وعلومه؟

فكيف بأمير المؤمنين عليه السلام الّذي هو تابع له، وشابٌّ شايع لأقواله وأفعاله؟

وإلّا فلا شكّ ولا ريب أنّ وجود النبيّ صلى الله عليه وآله مع تلك الصفات المحمودة والأخلاق الحسنة المرضيّة أجلّ وأشرف وأعظم من القرآن، وأعظم معجزاً منه، وأقوى دلالة على حقّيّته ونبوّته ورسالته.

وكذلك وجود أمير المؤمنين عليه السلام الّذي هو بمنزلة نفس الرسول بنصّ القرآن المجيد، وتصريح الرسول الحميد، فإنّه لا أتمّ ولا أشرف ولا أفضل من وجودهما وجود.

ولذا قال العلماء العارفون: إنّ وجود مثل محمّد وآل محمّد عليهم السلام محالٌ، لأنّ كلّ ما أمكن تحقّقه في ظرف الإمكان قد تحقّق فيهم.

وهذا حقٌّ أقام به البرهان ودلّ عليه العقل والنقل، لعدم البخل في مبدأ الفيّاض، وعدم النقص في القابل، فكلّ ما أمكن وجوده قد تحقّق في محمّد وآله عليهم السلام، وهذا سبب كونهم أوّل ما خلق الله، وعلّة كونهم علّة غائيّة لإيجاد الموجودات؛ لأنّهم ثمرة شجرة الوجود، والمقصود من إيجاد كلّ موجود.

وأمّا النقل فأدلّه أخبار: «أدّب الله رسوله فلمّا أكمل تأديبه فوّض إليه أمر دينه»[١].

وهي متعدّدة مسطورة في «الكافي» بأسانيد عديدة في باب عليحدّة عنوانه «باب التفويض»[٢].

فما حال من أدّبه الله فأكمل تأديبه من دون واسطة، ولهذا كان مؤدّباً ومعلّماً للملائكة، كما

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٦٦؛ بحارالأنوار، ج ١٧، ص ٤ مع اختلاف في النقل.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٦٥.

دلّت عليه أخبار: «سبّحنا فسبّحت الملائكة»[١]... إلى آخرها. فلاحظها!

والحاصل، أنّه كما يكون معرفة الإنسان نفسه أظهر آية وأقوى دليل على وجود الواجب وتوحيده وحكمته ـ كما ورد النصّ به في آيات كثيرة، وحثّ بالتدبّر والتعقّل في الآفاق والأنفس، وكرّر التأكيد والتحريض على ذلك، وأظهر التعجّب من عدم التعقّل والتدبّر في أنفسهم الّتي هو أقرب شيء إليهم، وأسهل شيء في العلم بها ودلالتها ـ فكذلك وجود النبيّ والأئمّة بأنفسهم أظهر آية وأدلّ دليل وأقوى معجزة على نبوّته وإمامتهم، وينبغي نهاية الاستعجاب من إنكارهم ومطالبة المعجزة والآيات، ولذا أكثر الله من قوله: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ** ﴾[٢]، ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾[٣]، وكثيراً ما يقول: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[٤]، ﴿ **أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ** ﴾[٥] ونحو ذلك.

ولكنّهم كانوا يرونه بعين العداوة والبغضاء، وفي قلوبهم مرض الاستكبار والفرعنة، فلا يرونه منه إلّا ما يسوءهم، حتّى قالوا بعد مشاهدة معجزات كثيرة، واستماع آيات القرآن مكرّراً: ﴿ **لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَٱلْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً** ﴾[٦].

...إلى غير ذلك من الآيات.

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٨٨.

٢. النساء: ٨٢.

٣. محمّد ﷺ: ٢٤.

٤. الزمر: ٩.

٥. يونس: ٣٥.

٦. الإسراء: ٩٠ـ٩٣.

فانظر قلّة عقولهم وكثرة جمودهم على المحسوسات والمشتهيات والمستلذّات الحيوانيّة البهيميّة، يطلبون منه بستاناً من نخيل وعنب خلالها أنهاراً، ويسهل وجودها وإيجادها لكلّ من له مال أو قوّة لنفسه، فانظر غلبة الحمق والبلادة، فكيف يتوقّع من مثل هذه الحمقاء ملاحظة الصفات والأخلاق والكمالات النفسانيّة والجهالات العقليّة الّتي ليس فيهم منها شائبة ورائحة؟!

والحاصل، إنّ كون وجود عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكثرة علومه وفصاحته وبلاغته وشجاعته وزهده ومروءته ومعارفه معجزة كافية لنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ممّا لا شبهة فيه، مضافاً إلى ما صدر عنه من المعجزات الباهرة والكرامات الظاهرة والخارقات للعادات ما تواترت على كلّ واحد منها الروايات، وكلّ واحد منهم كما سيأتي الإشارة إليها في المقام الثالث إن شاء الله؛ فتحقّق الاتّفاق وعدم الافتراق بينهم وبين هذه الصفة أيضاً.

واعلم! أنّ المطلب الّذي أشرت إليه في طيّ هذا المقام مطلب جليل وخطبٌ عظيم، فيه معرفة مقام عال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والإمام، فلا بأس بأن نوضحه في المقام ببيان من بعض الأعلام، فإنّه قلّما يوجد في الكتب وكلام أغلب الأعلام، وهو:

أنّ النبيّ الخاتم والوليّ -وهو الإمام- لابدّ أن يكون من شدّة نورانيّته واتّصاله بالمبدأ الواجب صافي القلب في نهاية الصفاء والصّقالة، بحيث ينطبع فيه صور العلوم والأشياء على ما هو عليه في الواقع، ويكون كلّ ما ينطبع في قلبه وينتقش في خواطره حقّاً وصدقاً ومطابقاً لما هو الواقع؛ سواء كان من الأُمور الموجودة في الخارج أو الماضية أو المستقبلة.

مثلاً يكون عالماً بجميع أحكام الدين، كما هو في الواقع وفي اللوح المحفوظ فيكون الوحي والكتاب الإلهي مؤكّداً لما في قلبه من العلوم فيكون جميع العلوم في حقّه كالعلوم العقليّة الصرفة في حقّنا، وكما يقال: إنّ الأحكام العقليّة حجّة والأحكام الشرعيّة مؤكّدات له -على ما هو مذهب العدليّة الحقّة- فجميع الأحكام بالنسبة إلى عقله صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذه الأحكام بالنسبة إلينا، فإنّ عقله محيط بجميع العلوم، فيكون الوحي والقرآن وجميع ما جاء به الملائكة الرسل مؤكّدات لذلك الأحكام العقليّة الموجودة في عقله.

وهذا باب عظيم ينفتح به عامّة مشكلات الأخبار، ومعضلات المسائل.

ولنعم ما يقال: إنّ من صفات النبيّ الأعظم أن يكون صافي النفس في قوّتها النظريّة صفاء يكون شديد الشّبه بالروح الأعظم، فيتّصل به متى أراد من غير كثير تأمّل وتفكّر حتّى يفيض عليه العلوم الدينيّة وغيرها من غير توسّط تعليم، بل يكاد زيت علمه يضيء ولو لم تمسسه نار التعليم بمقدّمة الفكر وزند البحث والتكرار.

وأيضاً أن يكون قوّته المتخيّلة بحيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب، ويتمثّل له الصّور المثاليّة الغيبيّه الجميلة في غاية الحسن، ويسمع الأصوات الملكوتيّة المنظومة في غاية الفصاحة، ويتلقّى المغيبات والأخبار الجزئيّة من الملكوت فيطّلع على الحوادث الماضية والآتية.

وأيضاً أن يكون قوّته الحسّاسة والمحرّكة في القوّة بحيث تؤثّر في مادّة العالم بإزالة صوره وإلباس أخرى، فيحيل الهوى إلى الغيم بإذن الله فتحدث الأمطار والزلازل لاستهلاك أمّة فجرت وعتت عن أمر ربّها ورسله، ويسمع دعائه في الملك والملكوت لعزيمة قويّة فيستشفي المرضى، ويستسقي العطشى، ويخضع له الحيوانات.

والجمهور إنّما يعظّمون هذه الخاصيّة أعظم من الأوّلين ثمّ الإخبار عن الحوادث الجزئيّة، فأمّا أُولي الألباب فأفضل أجزاء النبوّة عندهم هو الضرب الأوّل ثمّ الثاني ثمّ الثالث.

ولهذا كان من عظائم معجزات نبيّنا ﷺ معجزة الإسراء، فإنّها معجزة عظيمة لا يبلغها معجزة من معجزات سائر الأنبياء، وإن كان لبعضهم معاريج، لكن لنبيّنا ﷺ في معراجه خصائص عظيمة، وكرامات جليلة، ومعارف ربّانيّة، ولطائف رحمانيّة، ومواهب ملكوتيّة، وبوارق نورانيّة، وطرف حسّيّة، وتحف معنويّة، وعلوم قلبيّة، وأسرار سرّيّة، ودقائق خفيّة، وحقائق جليلة، ومشاهدات غيبيّة، وأخلاق نبويّة، وأوصاف زكيّة، وترويحات روحانيّة في حظائر قدسيّة، ومقاعد صدقيّة، وتقريبات عنديّة، من غير كيفيّة ولا أينيّة، فاق بها على سائر البريّة، ونال بها السعادات الأبديّة السرمديّة، ﷺ.

ولذا ورد في الأخبار المستفيضة أنّه لمّا رجع عن المعراج كان عالماً بما كان وبما يكون إلى

يوم القيامة.

وأعظم من هذه المعجزة ومن سنخه القرآن المجيد، فإنّه فيه الترياق الأكبر، والكبريت الأحمر، والخواصّ الغريبة، والمعجزات العجيبة، ولا يمثل بالطّود الأشم، بل هو أفخم، ولا بالبحر الضخم، بل هو أعظم.

فإن نظرت إلى الواعظ والزواجر منه يأخذ الخطيب المصقع والواعظ البلغ.

وإن نظرت إلى الأحكام ومعالم الحلال والحرام فمن بحره يغترف الفقيه الحاذق والمفتي الصادق.

وإن نظرت إلى البلاغة والفصاحة، فمنه هيأخذ البلغاء، وبه يجبر كلام الفصحاء، وبتوجيه معانيه ومعرفة أساليبه ومبانيه يفتخر الأديب الكاسر، والكيّس الماهر. وما عسى يقول فيه المادحون ويثني عليه المثنون بعد قوله: ﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** ﴾[١]، وقوله: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾[٢].

وإن نظرت إلى الاستشفاء والاسترقاء، ففيه الشفاء والدواء، وهو سبيل إلى الكفاية ووسيلة إلى إجابة الدعاء.

ووجوه إعجازه كثيرة، فأشرفها وأقومها عند أُولي البصائر هو اشتماله على العلوم والأسرار، وانطوائه على المصارف والأنوار، وتضمّنه جوامع الكلم ولوامع الحكم الّذي يعجز العقول عن إدراكها، بل كلّما تقلقل الإنسان في رياض فنونها وتعمّق في بحار عيونها انفتحت له مالك موصولة إلى معضلاتها، وانفتحت له مدارك تبيّن حلّ مشكلاتها، وانكشف له معالم يدرك بها وجوه صوابها، ولاحت له لوائح تذلّل شدائد صعابها، فيستخرج بغوّاص عقله جواهر بحورها، ويقدح بزنّار فكره، فيقتبس من أضواء نورها، وترى العلماء العارفين في ازدياد لا ينتهون إلى غاية في بلوغ المراد، ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِن نَّفَادٍ** ﴾[٣].

---

١. الأعراف: ١٨٥.

٢. الأنعام: ٣٨.

٣. ص: ٥٤.

وقد ملأت علوم الأوّلين الدفاتر، وصدق من قال: «كم ترك الأوّلون للأواخر»، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾[١].

وعلى هذا، فهو من المعجزات المتكرّرة الّتي تحدث بالتأمّل يوماً فيوماً، وشيئاً بعد شيءٍ.

ومن هذا القبيل الأحاديث النبويّة والكلمات الجامعة، فإنّ العالم الزكيّ ذا اللّبّ الصّالح، والذّكاء القادح إذا تأمّلها وبالغ في النظر فيها بصفاء القريحة ملاحظاً لأنواع العلوم الدقيقة، ومستحضراً لحكم أهل الحقيقة ظهر له من مكنون أسرارها جمل متكاثرة وكشف له من خفايا كنوزها تحف باطنة وظاهرة، وكلّما أعمل فكره في تحرير دقائقها، واستعان بصفاء سرّه على تحقيق حقائقها، لاحت له لوائح عوارفها، وبدت له لطائف معارفها، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[٢] وذلك من أجلّ المعجزات المتجدّدة على تجدّد الأوقات.

ثمّ من دلائل معجزاته المتكرّرة أوصياءه المعصومون، وعترته الطاهرون، وظهورهم واحداً بعد واحد في كلّ حين إلى يوم الدين، فإنّ كلّاً منهم ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ حجّة قائمة على صدقه، وآية بيّنة على حقيقته ﷺ، كما يظهر من تتبّع أحوالهم، وملاحظة آثارهم، والاطّلاع على فضائلهم ومناقبهم، والآيات الصادرة منهم، والكرامات الظاهرة على أيديهم بسبب متابعتهم إيّاه، واقتدائهم بهداه ﷺ.

ولأنّ بهم تقضى حوائج العباد، وببركتهم يدفع الله أنواع البلاء عن البلاد، وبدعائهم تنزل الرحمة، وبوجودهم تصرف النقمة... إلى غير ذلك من بركات علومهم ووجودهم وخيراتهم.

فكما أنّ القرآن معجزة باقية إلى يوم الدين، فكذلك عترته المعصومين معجزة باقية نوعاً إلى يوم القيامة، كما قال ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، لن يفترقا حتّى

---

١. سبأ: ٦.

٢. النجم: ٣ ـ ٥.

يردا عليّ الحوض»[1] كما عرفت وستعرف.

هذا تمام الكلام مع إيضاح في المرام في المقدّمة، وها نحن نشرع في بيان المقامات.

١. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٠؛ مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ٢٥٤.

المقام الأوّل

في أخبار الثقلين ودلالتها على ما ادّعاه صاحب الرسالة بأفضليّة القرآن على إمام الزمان؛ عترة رسول الملك العلّام ونقل كلمات صاحب الرسالة والجواب عنها مفصّلاً

فاعلم! أوّلاً أنّ أخبار الباب على أصناف ثلاثة:

صنفٌ هو خالٍ عن ذكر الأكبريّة ونحوها ممّا يؤدّي مؤدّاها بل متنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين ـ أو «مخلّفٌ» ـ: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا»[1]... إلى آخر الخبر، ولم يتعرّض لبيان أحدهما أكبر.

وصنف منها ذكر فيه لفظ الأكبر، أو الأعظم، ولكن لم يصرّح بأنّ الأكبر أيّهما وإن كان قدّم الكتاب على العترة الطاهرة، مثل قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين؛ أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[2].

والصنف الثالث ما صرّح فيه بأنّ الأكبر كتاب الله، والأصغر أهل بيتي.

وكلّ صنفٍ منها أخبارها كثيرة ننقل من كلّ قسم منها بعضها، ثمّ ننظر في دلالتها، ونتعرّض لكلام صاحب الرسالة، ونترك الإسناد مفصّلاً للاختصار، ولأنّها متواترة، وقد ادّعى تواترها جماعة من الفريقين، وإنّما نذكر اسم مصنّف الكتاب الّذي رواه واسم الراوي عن النبيّ ﷺ للتعيين.

---

١. معاني الأخبار، ص ٩١؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٧ مع اختلاف في النقل.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٣١١.

أمّا القسم الأوّل:

فمن طريق الخاصّة ما رواه ابن بابويه بإسناده عن حذيفة بن اليمان، قال: «صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا، ثمّ قال: «معاشر أصحابي! أُوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته، فمن عمل بها فاز ونجح وغنم، ومن تركها حلّت عليه الندامة، فالتمسوا بالتقوى السلامة من أهوال يوم القيامة، فكأنّي أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، ومن تمسّك بعترتي من بعدي كان من الفائزين، ومن تخلّف عنهم كان من الهالكين».

فقلت: يا رسول الله! على من تخلّفنا؟

قال: «على من خلّف موسى بن عمران على قومه».

قلت: على وصيّه يوشع بن نون؟

فقال: «إنّ وصيّي وخليفتي من بعدي عليّ بن أبي طالب؛ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله».

فقلت: يا رسول الله! فكم تكون الأئمّة من بعدك؟

قال: «عدد نقباء بني إسرائيل؛ تسعةٌ من صلب الحسين عليه السلام أعطاهم الله علمي وفهمي، خزّان علم الله ووحيه».

قلت: يا رسول الله! فما لأولاد الحسن عليه السلام؟

قال: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل الإمامة في عقب الحسين عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[1]».

قلت: أفلا تسمّيهم لي يا رسول الله؟

قال: «نعم، إنّه لمّا عرج بي إلى السماء فنظرت إلى ساق العرش فرأيت مكتوباً بالنور: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، أيّدته بعليّ ونصرته به» ورأيت أنوار الحسن والحسين وفاطمة، ورأيت في ثلاثة مواضع عليّاً عليّاً عليّاً، ومحمّداً محمّداً ومحمّداً، وجعفراً وموسى والحسن

---

١. الزخرف: ٢٨.

والحجّة عليه السلام يتلألأ من بينهم كأنّه كوكب درّيّ.

فقلت: يا ربّ! من هؤلاء الّذين قرنت من أسمائهم باسمك؟

قال: يا محمّد! هم الأوصياء الأئمّة بعدك، خلقتهم من طينتك، فطوبى لمن أحبّهم والويل لمن أبغضهم، فبهم أنزل الغيث، وبهم أُثيب، وبهم أُعاقب».

ثمّ رفع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يده إلى السماء ودعا بدعوات وسمعته يقول: «اللّهمّ اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي، وفي زرعي وزرع زرعي»[١]، انتهى.

أقول: نقلت الخبر من كتاب «غاية المرام» وهو مغلوط، وظنّي سقوط شيءٍ بعد قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عدد نقباء بني إسرائيل»[٢] يدلّ على الحسن والحسين، ثمّ بعدهما قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «تسعة من ولدي الحسين عليه السلام»[٣] وهو ظاهرٌ.

[وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:] «أُدعىٰ فأُجيب»: الأوّل بصيغة المجهول، والثاني بالمعلوم، والمراد قرب الوفات.

[وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:] والثقلين: قال في «النهاية» بعد نقله: سمّاهما ثقلين، لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكلّ خطير نفيس: ثقيل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما، وتفخيماً لشأنهما[٤].

وفي «المجمع» بعد نقله: قيل سمّيا بذلك، لأنّ العمل بهما ثقيل، وقيل: «من الثَقَل ـ بالتحريك ـ متاع المسافر»[٥].

أقول: الثقل في المقام يحتمل فيه كسر الثاء وسكون القاف وهو بالمعنى الأوّل، ويحتمل بالفتحتين وهو حينئذٍ على أحد المعنيين: إمّا الخطير والنفيس، أو متاع المسافر، والأوّل أشهر

---

١. كفاية الأثر، ص ١٣٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٣٣١.

٢. نفسه.

٣. نفسه.

٤. بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١١٨ نقلاً عن النهاية لابن الأثير.

٥. مجمع البحرين، ج ١١، ص ٨٧.

في الألسنة، والثاني أنسب بالمقام لقوله: «أُدعى فأُجيب»[١] فكأنّه قال: إنّي مسافرٌ ومتاعي الّذي أتركه فيكم هذين. وباقي ألفاظ الخبر معلوم.

وهذا الخبر ومثله لا ريب في عدم دلالته على أكبريّة أحدهما على الآخر، ويستفاد من قوله: «ومن تمسّك بعترتي»[٢]... إلى آخره بعد قوله: «ما إن تمسّكتم بهما لن تـضلّوا»[٣] أنّ التمسّك بالعترة كافٍ، لأنّه لا ينفكّ عن التمسّك بالكتاب، بخلاف العكس، كما هو المشاهد في العامّة، وفي ذلك دلالة على كثرة اهتمامه بالعترة وهو يشعر بأفضليّتهم على الكتاب، مع قطع النظر من سائر الأخبار.

ومنها: ما رواه السيّد الجليل الصمدانيّ السيّد هاشم البحرانيّ في كتابه «غاية المرام» عن محمّد بن إبراهيم النعمانيّ في كتابه «الغيبة» المشهورة بغيبة النعمانيّ بإسناده إلى سليم بن قيس الهلاليّ عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

«إنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم قام خطيباً ثمّ لم يخطب بعد ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

أيّها الناس! إنّي قد تركت فيكم أمرين، لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما: كتاب الله وعـترتي أهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير قد أخبرني وعهد إليّ أنّهما لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض».

قالوا: شهدنا ذلك كلّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقام إثنى عشر من الجماعة، فقالوا: نشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خطب في اليوم الّذي قبض فيه، قام عمر بن الخطّاب شبه المـغضب، فقال: يا رسول الله! لكلّ أهل بيتك؟

فقال: «لا ولكن الأوصياء منهم؛ عليٌّ أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أُمّتي، ووليّ كلّ مؤمن بعدي، وهو أوّلهم وخيرهم، ثمّ وصيّه ابني هذا ـ وأشار إلى الحسن عليه السلام، ثمّ وصيّة ابني هذا ـ وأشار إلى الحسين عليه السلام ـ ثمّ وصيّه ابني سميّ أخي عليّ بن الحسين، ثمّ وصيّه بعده سميّي محمّد الباقر، ثمّ سبعة من ولده واحداً بعد واحد حتّى يردوا عليّ الحوض شهداء الله في أرضه،

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٩٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٠٨.

٢. كفاية الأثر، ص ١٣٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٣٣١.

٣. نفسه.

وحججه على خلقه، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله».

فقام السبعون البدريّون ونحوهم من المهاجرين، فقالوا: ذكّرتمونا ما كنّا نسيناه، نشهد أنّا قد سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

ومنها: ما رواه ابن بابويه بإسناده إلى عبدالله الحسن، عن أبيه، عن الحسن عليه السلام قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه:

معاشر الناس! كأنّي أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم، لا تخلوا الأرض منهم، ولو خلت لانساخت بأهلها».

ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّهمّ إنّي أعلم أنّ العلم لا يبيد ولا ينقطع، وأنّك لا تخلي الأرض من حجّة لك على خلقك ظاهرٌ ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كيلا تبطل حجّتك ولا تضلّ أوليائك بعد إذ هديتهم، أولئك الأقلّون عدداً الأعظمون قدراً عند الله».

فلمّا نزل عن منبره قلت له: يا رسول الله! أما أنت الحجّة على الخلق كلّهم؟

قال: «يا حسن! إنّ الله يقول: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٢] فأنا المنذر وعليّ الهادي».

قلت: يا رسول الله! قولك، «إنّ الأرض لا تخلوا من حجّة».

قال: نعم، عليّ هو الإمام والحجّة بعدي، وأنت الإمام والحجّة بعده، والحسين الإمام والحجّة والخليفة من بعدك»[٣]... إلى آخر الخبر بطوله، وسمّى الأئمّة واحداً بعد واحد.

ومنها: ما رواه الشيخ في أماليه بإسناده إلى معاوية بن وهب قال: «كنت جالساً عند جعفر بن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه شيخ قد انحنى من الكبر، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

---

١. الغيبة للنعماني، ص ٧٣.

٢. الرعد: ٧.

٣. كفاية الأثر، ص ١٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٣٣٨.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، اُدن منّي يا شيخ!»

فدنا منه، وقبّل يده، وبكى.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «وما يبكيك يا شيخ؟»

فقال له: يابن رسول الله! إنّي مقيمٌ على رجاء منكم منذ مائة سنة، أقول هذه السنة وهذه الشهر وهذا اليوم، ولا أرى فيكم، فتلومني أن أبكي؟

قال: فبكى أبو عبدالله عليه السلام، ثمّ قال: «يا شيخ! إن اُخّرت منيّتك كنت معنا، وإن عجّلت كنت يوم القيامة مع ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

قال الشيخ: ما اُبالي ما فاتني بعد هذا يابن رسول الله!

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «يا شيخ! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله المنزل وعترتي أهل بيتي، وأنت معنا يوم القيامة».

ثمّ قال: «يا شيخ! ما أحسبك من أهل الكوفة؟»

قال: لا.

قال: «فمن أين؟»

قال: من سوادها جعلت فداك!

قال: «أين أنت من قبر جدّي المظلوم الحسين عليه السلام؟»

قال: إنّي لقريبٌ منه.

قال: «كيف إتيانك له؟»

قال: إنّي لآتيه وأكثر.

قال: «يا شيخ! ذلك دمٌ يطلب الله به، ما اُصيب فاطمة عليها السلام ولا يصابون بمثل الحسين، ولقد قتل عليه السلام في سبعة عشر من أهل بيته نصحوا لله وصبروا في جنب الله، فجزّاهم أحسن جزاء الصابرين، إنّه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسين ويده على رأسه تقطر دماً، فيقول: يا ربّ! سل اُمّتي فيم قتلوا ابني.»

وقال عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»[١].

أقول: هذا الخبر الشريف فيه إشارات لطيفة:

منها: الاهتمام بزيارة قبر الحسين عليه السلام.

ومنها: تقاطر الدم من يد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة من دم الحسين عليه السلام، لشدّة الشكوى إلى الله.

ومنها: إنّه لمّا أجابه الشيخ بأنّي منذ سنين منتظر لدولتكم، تذكّر مصيبة الحسين عليه السلام وبكى، ولذا أشار في آخر كلامه إلى جهة بكائه. فافهم!

ومنها: ما رواه الشيخ في أماليه بإسناده إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام فيخطب الناس بعد البيعة، فقال: «نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله[٢] الأقربون، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون، وأحد الثقلين الّذين خلّفها رسول الله صلى الله عليه وآله في أُمّته، والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، ولا يقطعنا[٣] تأويله»[٤]... إلى آخر الخبر بطوله.

أقول: وفي هذا الخبر جعل الكتاب ثانياً وأشار بقوله: «فالمعوّل علينا» إلى أنّ القرآن لا يتمّ بدون القيّم من الإمام.

ومنها: ما رواه الشيخ في مجالسه بإسناده إلى أبي ذر، وذكر حديث مناشدة أميرالمؤمنين عليه السلام لأهل الشورى فيما ذكر لهم من فضائله وسوابقه في الإسلام، والنصّ عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال فيما ذكر لهم، قال:

«فهل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وإنّكم لن تضلّوا ما إن اتّبعتموهما وتمسّكتم

---

١. الأمالي للطوسي، ص ١٦١؛ بشارة المصطفى، ص ٢٧٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٥، ص ٣١٣.

٢. في المصدر: «عترته رسوله الأقربون».

٣. في المصدر: «لا نتطنّى تأويله».

٤. الأمالي للطوسي، ص ١٢١؛ بحارالانوار، ج ٤٣، ص ٣٥٩.

بهما»[١].

ومنها: ما في «بصائر الدرجات» بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال:

«دعى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بمنى، فقال: أيّها الناس! إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

ثمّ قال: «أيّها الناس! إنّي تارك فيكم حرمات ثلاث: كتاب الله وعترتي والكعبة البيت».

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: «أمّا كتاب الله، فحرّقوه، وأمّا الكعبة، فهدموا، وأمّا العترة فقتلوا»[٢]،... الخبر.

ومنها: ما رواه غير واحد من أصحابنا منهم العلّامة المجلسيّ والسيّد البحرانيّ عن سليم بن قيس الهلاليّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر [خطبة] خطبها ثمّ قبض من يومه:

إنّي تارك فيكم أمرين، لن تضلّوا إن تمسّكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ـ وأشار بإصبعيه المسبّحتين، ولا أقول كهاتين، إحداهما أطول من الآخر، وأشار بالمسبّحة والوسطى ـ فتمسّكوا بهما لا تضلّوا، ولا تقدّموهم، ولا تخلّفوا عنهم فتمرقوا، ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم».

قال: قلت: يا أمير المؤمنين! سمّهم لي.

قال: «الّذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم، فأخبرهم أنّه أولى بهم من أنفسهم، ثمّ أمرهم أن يُعلم الشاهد الغائب منهم».

فقلت: أنت يا أمير المؤمنين؟

قال: «أنا أوّلهم وأفضلهم، ثمّ ابني الحسن من بعدي أولى بهم، ثمّ ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يردوا عليه حوضه واحداً بعد

---

١. إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٢٦٠؛ الأمالي للطوسي، ص ٥٤٧؛ بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٢٦٠.

٢. بصائر الدرجات، ص ٤١٣؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٠.

واحد»[١]، انتهى.

أقول: وسليم بن قيس هذا وكتابه مشهور معروف عند أصحاب الرجال والعلماء المحقّقين، وعدّه جماعة من موالي أميرالمؤمنين، ويروي كتابه هذا أبان بن عيّاش ولم يطعن عليه أحد إلّا ابن الغضائريّ، فقال: إنّ كتابه موضوع قطعاً، وعلّله أنّه ذكر فيه أنّ محمّد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت وبأنّ الأئمّة ثلاثه عشر، وباختلاف أسانيد هذا الكتاب تارةً برواية عمر بن أُذينة عن إبراهيم بن عمر الصّنعاني عن أبان بن عيّاش عن سليم، وتارةً عن عمر عن أبان بلا واسطة[٢]. قال: والوجه عندي الحكم بتعديل المشار إليه والتوقّف في الفاسد من كتابه[٣].

وذكر الشهيد الثاني في كون الأوّل من علامات وضعه أنّ محمّداً ولد في حجّة الوداع وكان خلافة أبيه سنتين وأشهر، فلا يعقل وعظه أباه.

هذا وقال المحقّق الأستراباديّ في رجاله: وما وصل إلينا من نسخ هذا الكتاب إنّما فيه أنّ عبدالله بن عمر وعظ أباه عند الموت، وأنّ الأئمّة ثلاثة عشر مع النبيّ ﷺ، وشيء من ذلك لا يقتضي الوضع.

ثمّ قال: إنّ العلّامة ذكر في آخر القسم الأوّل من «الخلاصة» عن البرقيّ: أنّ سليم ابن قيس من أولياء أميرالمؤمنين عليه السلام، وهذا ربّما يدلّ على عدالته.

ونقل الكشّيّ أنّ أبان بن عيّاش قرأ كتاب سليم على عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «صدق سليم رحمه الله، هذا حديث نعرفه»[٤].

ثمّ نقل عرض حديثه على أبي جعفرٍ عليه السلام بعد موت عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقال له: «قال

---

١. كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ٦١٦؛ بحارالأنوار، ج ٦٦، ص ١٦.
٢. رجال ابن الغضائري، ج ٣، ص ١٥٦.
٣. رجال العلّامة الحلّي، ص ٨٣؛ نقلاً عن رجال ابن الغضائري، ج ٣، ص ١٥٦.
٤. رجال الكشي، ص ١٠٤؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٢٧٦.

أبي: صدقت، قد حدّثني أبي وعمّي الحسن عليهما السلام بهذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام»[١].

وقال المحقّق البهبهاني رحمه الله في اختلاف أسانيد الكتاب: لم نجد فيه ضرراً، وربّما يظهر من «الكافي» و«الخصال» و«الفهرست» وغيرها كثرة الطرق، وتضعيف ابن الغضائريّ ـ لو كان صحيحاً ـ لا يبقى لنا صحيح ولا ثقة.

وقال في ما ذكره الشهيد في وجه دلالة وعظ محمّد أباه: فلا يعقل. قال جدّي ـ يعني المجلسيّ الأوّل ـ: لا يستبعد ذلك بأن يكون بتعليم اُمّه أسماء بنت عميس.

ثمّ نقل رحمه الله أنّ وعظ محمّد بن أبي بكر موجود في كتاب سليم في أواخر الكتاب في مواضع متعدّدة ونقلها بألفاظها.

وأمّا كون الأئمّة ثلاث عشر، قال فيه: فإنّي تصفّحت الكتاب من أوّله إلى آخره فلم أجده فيه، بل في مواضع متعدّدة أنّهم اثنى عشر، وأحد عشر من ولد عليٍّ عليه السلام.

ثمّ نقل منشأ الاشتباه، ونقل حديثين، ثمّ قال: فإن كان ما نسبوه إلى الكتاب لما فيه من أمثال هذين الخبرين فهو اشتباه بلا اشتباه؛ لأنّ الحديث الأوّل فيه بعد ما مرّه هكذا: أوّل الأئمّة أخي علي، ثمّ ابني الحسن عليه السلام، ثمّ ابني الحسين عليه السلام، ثمّ تسعة من ولد الحسين عليهم السلام.

وفي الحديث الثاني بعد ما ذكر بقليل عند تعداد الثلاثة عشر المذكورين هكذا: محمّد رسول الله وهو محمّد ياسين... إلى أن قال: ثمّ أخوه ووزيره وخليفته وأحبّ من خلق الله إلى الله بعده ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليّ كلّ مؤمن بعده، ثمّ أحد عشر رجلاً من ولده وولد ولده: أوّلهم شبّر، والثاني شُبير، وتسعة من ولد شبير... الحديث.

ثمّ قال: اعلم أنّ أكثر الأحاديث الموجودة في الكتاب المذكور موجود في غيره من الكتب المعتبرة كـ«التوحيد» و«اُصول الكافي» و«الروضة» وغيرها، بل شذّ عدم وجود شيء من أحاديثه في غيره من الاُصول المشهورة.

ثمّ نقل ما في أوّل كتاب سليم من رواية رجاله إلى معمّر بن راشد البصريّ، قال: دعاني أبان بن أبي عيّاش قبل موته بنحو شهر فقال لي: إنّي رأيت الليلة في المنام سَليم بن قيس الهلاليّ فقال لي: يا أبان! إنّك ميّت من أيّامك عدّة فاتّق الله في وديعتي ولا تضيّعها، أوف لي بما

ضمنت كتمانها، وإنّك لا تضعها إلّا عند رجل من شيعة عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام له دين وحسب. فلمّا بصرت بك فرحت برؤيتك وذكرت رؤياي.

إنّ سليم بن قيس حين قدم الحجّاج العراق سأل عنه فهرب منه فوقع إلينا متوارياً منه، وأنا يومئذٍ ابن أربع عشر سنة ... إلى أن قال: فإن جعلت لي عهد الله ـ عزّ وجلّ ـ أن لا تخبر أحداً بشيء ما دمت حيّاً، ولا تحدّث منها بشيء بعد موتي إلّا من تثق به من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ممّن له دين وحسب، فضمنت له ذلك، فدفعها إليّ وقرأها كلّها عليّ، فلم يلبث سليم أن هلك رحمه الله، فنظرت فيها بعده فقطعت بها وعظّمتها وفيها هلاك جميع أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والأنصار والتابعين غير عليٍّ عليه السلام وأهل بيته وشيعته.

... إلى أن قال: قال عمر بن أُذينة: ثمّ دفع إليّ كتاب سليم بن قيس الهلالي فلم يلبث أبان بعد ذلك إلّا شهرين حتّى مات، فهذه نسخة كتاب سليم بن قيس الهلاليّ العامريّ دفعه إليّ أبان بن أبي عيّاش وقرأه عليّ، وذكر أبان أنّه قرأه على عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقال: «صدق سليم رحمه الله، هذا حديثنا نعرفه»[١].

وقال العلّامة المجلسيّ رحمه الله: كتاب سليم بن قيس في غاية الاشتهار، وقد طعن فيه جماعة، والحقّ أنّه من الأُصول المعتبرة[٢]، انتهى.

ثمّ قال: إنّ أصل طعنه من الغضائريّ، وفيه ما مرّ مراراً، ولو حكمنا بالطّعن لطعنه لما سلم جليل من الطعن.

وقال المولى الجليل المولى محمّد صالح المازندرانيّ في شرحه على «أُصول الكافي»، وقبله السيّد الجليل السيّد الداماد في «الرواشح» ـ وكلاهما موجودان عندنا ـ: هو صاحب أميرالمؤمنين عليه السلام ومن خواصّه، يروي عن السبطين والسجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، وهو من الأولياء، والحقّ فيه وفاقاً للعلّامة وغيره من وجوه الأصحاب تعديله، انتهى.

أقول: وممّن صرّح بأنّ سليم هذا سليم من الطّعن، وكتابه هذا من الكتب المشهورة

---

١. كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ٥٥٧.

٢. كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ٥٦٤؛ بحارالأنوار، ج ١، ص ٧٨.

المعروفة وهو من الأُصول الّتي يرجع إليه الشيعة، الشيخ الجليل أبوعبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفر النعمانيّ الكاتب، صاحب كتاب «الغيبة» المعروف بـ«غيبة النعمانيّ»، وهذا الرجل شيخ من أصحابنا عظيم القدر، شريف المنزلة، صحيح العقيدة، كثير الحديث، كما في «رجال النجاشيّ» و«خلاصة العلاّمة»، وكتابه هذا كتاب شريف جليل يعلم منه كمال فضله [و] جلالته ووثاقته، وهو أوّل كتاب صنّف في الغيبة لأنّه قبل الصدوق، ويروي عن الكلينيّ بلا واسطة، بل سمعنا مشايخنا مذاكرة أنّه من تلاميذه كالصفوانيّ، وهذا الشيخ الجليل قد أثنى في كتابه الغيبة هذا على كتاب سليم بن قيس الهلاليّ بما لا مزيد عليه، فقال في باب أنّ الأئمّة اثنى عشر، تسعة منهم من ولد الحسين عليه السلام، وتاسعهم قائمهم، بعد نقل روايات في ذلك عن كتاب سليم هذا ما لفظه:

وليس بين جميع الشيعة ممّن حمل العلم ورواه عن الأئمّة خلاف أنّ كتاب سليم بن قيس الهلاليّ أصل من كتب الأُصول الّتي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها؛ لأنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنّما هو عن رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام والمقداد وسلمان الفارسيّ وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممّن شهد رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام وسمع منهما، وهو من الأُصول الّتي ترجع الشيعة إليها، ويعوّل عليها. انتهى كلامه، زيد في الفردوس مقامه.

ويظهر منه اتّفاق الشيعة على الرجوع إلى هذا الأصل والاعتماد عليه، وهذا الرجل كان في أواخر الغيبة الصغرى، فإنّه يروي عن الكلينيّ كثيراً في هذا لاكتاب بلا واسطة، وكان وفات الكلينيّ سنة انقطاع الغيبة الصغرى، فكان روايته عنه في الغيبة الصغرى، وكان ببغداد محلّ إقامة السفراء، ويخبرنا عن أنّ كتاب سليم ممّا اتّفق الشيعة على الرجوع إليه، والاعتماد عليه.

فظهر ـ بحمد الله ـ أنّ كتاب سليم بن قيس كتاب معتبر في الغاية، بل ليس في الأُصول الّتي وصل إلينا بهذا الاعتبار أصلٌ؛ فإنّ الأُصول الّتي وصل إلينا نسختها أربعة عشر وليس فيها بهذا الاعتبار أصل وكتاب، وهذا أيضاً من خصائص كتابنا هذا. فاضبطه واغتنم!

وقد أشرنا في المقام إلى ذلك لما، سنذكره في هذه الرسالة من أخبار الفضائل مُسنداً إلى

كتابه هذا لتعلم أنّه من الكتب المعتبرة عند الأصحاب، مقبولٌ عند أُولي الألباب، وصاحب الرسالة المولى إسماعيل المذكور أيضاً في رسالته هذه قد أثنى عليه وعلى كتابه لأخذه منه أخبار الثقلين.

أقول: ومن أخبار هذا الصنف الخالي عن لفظ «الأكبر» و«الأعظم» وهو من أخبار الصنف الأوّل ما رواه سليم بن قيس الهلاليّ في كتابه هذا عن أميرالمؤمنين عليه السلام:

«ثمّ قال عليه السلام: «كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ يوم دخلةً، وفي كلّ دخلةٍ فيخليني فيها، أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، وإذا أتاني الخلوة في منزله لم يقم عنّا فاطمة عليها السلام ولا أحد من ابنيّ، إذا سألته أجابني، وإذا سكتُّ ونفدت مسائلي ابتدأني، فما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أقرأنيها وأملأها عليّ، وكتبتها بخطّي، ودعا الله تعالى أن يفهمني ويحفظني، فما نسيت من كتاب الله آية منذ حفظتها وعلمت تأويلها، ولا نزل عليه شيء من حلال ولا حرام ولا نهي ولا طاعة ولا معصية كان أو يكون إلّا وقد علّمنيه وحفظته، ثمّ لم أنس منه حرفاً واحداً، ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله تعالى أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، وأن يُعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى.

فقلت ذات يوم: يا نبيّ الله! إنّك منذ دعوت الله لي لم أنس شيئاً ممّا علّمتني وتملّه عليّ وتأمرني بكتابته، أفتجوز عليّ النسيان؟

فقال: يا أخي! لست أتخوّف عليك النسيان ولا الجهل، فقد أخبرني الله ـ عزّ وجلّ ـ أنّه استجاب لي فيك وفي شركائك الّذين يكونون من بعدك.

فقلت: يا نبيّ الله! ومن شركائي؟

قال: الّذين قرنهم الله بنفسه وبي وقال في حقّهم: ﴿ **يَـٰأَيُّهَا ٱلَّـذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّـهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[1].

قلت: يا نبيّ الله! ومن هم؟

---

١. النساء: ٥٩.

قال: الأوصياء لي إلى أن يردوا عليّ حوضي، كلّهم هُداة مهديّون، لا يضرّهم كيد من كادهم، ولا خذلان من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم، بهم ينصر الله أُمّتي، وبهم يُمطرون، ويُدفع عنهم بلائهم، ويستجيب دعوتهم.

فقلت: يا رسول الله! سمّهم لي.

فقال: ابني هذا ـ ووضع يده على رأس الحسن عليه السلام ـ ثمّ ابني هذا ـ ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام ـ ثمّ ابن له يسمّى عليّاً، ثمّ ابن له يسمّى محمّداً، ـ فاقرأه عنّي السلام ـ ثمّ تكملة الإثنى عشر من ولده.

فقلت: يا نبيّ الله! سمّهم لي.

فسمّاهم رجلاً رجلاً منهم، والله، منهم يا أخا بني هلال! مهديّ أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يملأ الله [به] الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، والله، إنّي لأعرف جميع من يبايعه بين الركن والمقام، وأعرف أسماء الجميع وقبائلهم».

قال سليم: ثمّ لقيت الحسن والحسين عليهما السلام بالمدينة بعد ما هلك عليّ ـ صلوات الله عليه ـ فحدّثتها بالحديث هذا من أبيهما، فقالا: «صدقت وقد حدّثك أبونا هذا الحديث ونحن جلوس، وقد حفظنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما حدّثك على سواء، لم تزد ولم تنقص منه شيئاً.»

قال سليم: ثمّ لقيت عليّ بن الحسين عليهما السلام وعنده ابنه محمّد بن عليّ عليهما السلام فحدّثته بما سمعته من أبيه وعمّه وما سمعته من عليّ عليه السلام، فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: «قد أقرأني أميرالمؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مريضٌ وأنا صبيّ. ثمّ قال محمّد: فأقرأني جدّي الحسين عليه السلام بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أبان، راوي كتاب سليم: فحدّثت عليّ بن الحسين عليهما السلام هذا الحديث كلّه عن سليم، فقال عليه السلام: «صدق سليم»[1].

وأمّا الأخبار في هذا الصنف من طريق العامّة فهي أيضاً كثيرة لا يهمّنا ذكرها فإنّها

---

١. كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ٦٢٤؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٢٧٥.

مذكورة في كتب متعدّدة مشهورة، مثل «غاية المرام» للسيّد الجليل البحرانيّ، ومثل «عمدة» ابن البطريق وهو شيخ جليل من أصحابنا اسمه يحيى بن الحسن معروف بابن البطريق معاصر لابن إدريس ونحوه من أصحابنا، يروي العلّامة كتبه بوسائط ذكرهم في إجازته الكبيرة للسادة الأجلّاء من بني زهرة ـ قدّس الله أرواحهم ـ وكتابه «العمدة» هذا معروف جليل لم يصنّف مثله في إثبات مناقب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام من صحاح العامّة وطرقهم بعامّة العناوين والفضائل المعروفة، وقد أثبتها بما لا مزيد عليه، شكر الله سعيه.

وأمّا القسم الثاني:

أعني أخبار في الثقلين ذكر فيه «الأعظم» و«الأكبر» من غير تعيين أنّ «الأكبر» و«الأعظم» أيّهما، فهو أيضاً كثيرة:

فمن طرق الخاصّة ما رواه الشيخ في أماليه مسنداً متّصلاً عن أبي سعيد الخدريّ أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين، إلّا أنّ أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا إنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[1].

وهذا الصنف أيضاً كثير من الفريقين يجدها من رامها في «غاية المرام» وكتاب «العمدة» لابن البطريق.

وأمّا الصنف الثالث:

وهو ما صرّح فيه بالأكبر، وعيّن أنّ الأعظم والأكبر كتاب الله، والأصغر العترة فهو أيضاً كثير:

منها: ما رواه سعد بن عبدالله في «البصائر» مُسنداً عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبدالله، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس! إنّي تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٢٥٥؛ كمال الدين، ج ١، ص ٢٣٨؛ العمدة، ص ٧١؛ بحارالأنوار، ج ٢٢ ص ٣١١.

والثقل الأصغر، إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ولن تتبدّلوا، فإنّي سألت الله اللطيف الخبير أن لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض، فأُعطيت ذلك.»

فقيل: فما الثقل الأكبر وما الثقل الأصغر؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الثقل الأكبر كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي»[١].

ومنها: ما رواه النعمانيّ في «الغيبة» بإسناده إلى أبي جعفر محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد خيف» ـ وهي خطبة مشهورة في حجّة الوداع ـ قال صلى الله عليه وآله وسلم فيها: «إنّي فرطكم وإنّكم واردون عليّ الحوض؛ حوضاً عرضه مابين بصرى إلى صنعاء، فيه قدحان عدد نجوم السماء، ألا وإنّي مخلّف فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر؛ الثقل الأكبر القرآن، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، هما حبل ممدود بينكم وبين الله عزّ وجلّ، إن تمسّكتم به لن تضلّوا، سبب منه بيد الله وسبب بأيديكم»[٢].

وفي رواية أُخرى: «طرف منه بيد الله وطرف بأيديكم، إنّ اللطيف الخبير قد نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، كإصبعي هاتين ـ وجمع بين سبّابتيه ـ لا أقول كهاتين فتفضل هذه على هذه»[٣].

ومنها: ما نقله غير واحد من أصحابنا عن أبي النصر محمّد بن مسعود العيّاشي في تفسيره المشهور بإسناده قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، انصرف على الناس وقال: «أيّها الناس! إنّي قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لن يعمّر من نبيّ إلّا نصف عمر الّذي يليه ممّن قبله، وإنّي لأظنّني أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي مسئول وأنتم مسئولون، فهل بلّغتكم؟ فما أنتم قائلون؟»

قالوا: نشهد أنّك بلّغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله عنّا خيراً.

---

١. بصائر الدرجات، ص ٤١٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٠.
٢. الغيبة للنعماني، ص ٣٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٢٩.
٣. الغيبة للنعماني، ص ٣٤؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٢.

قال: «اللّهمّ اشهد.»

ثمّ قال: «يا أيّها الناس! ألم تشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النار حقّ، وأنّ البعث حقّ من بعد الموت؟»

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: «اللّهمّ اشهد.»

ثمّ قال: «يا أيّها الناس! إنّ الله مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ألا ومن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه.»

ثمّ قال: «يا أيّها الناس! إنّي فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض، وحوضي عرض مابين بصرى وصنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضّة، ألا وإنّي سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما حتّى تلقوني.»

قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: «الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف منه في أيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تولّوا، ألا وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أن لا يفترقا حتّى يلقياني، وسألت الله لهما ذلك فأعطانيه؛ فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[1].

ومنها: ما رواه أبوالحسين يحيى بن الحسن في كتاب «العمدة» من طريق المخالفين هذه الرواية من مناقب الفقيه أبي الحسن عليّ بن المغازليّ الواسطيّ بإسناده إلى زيد بن أرقم قال: أقبل نبيّ الله من مكّة في حجّة الوداع حتّى نزل بغدير الجحفة بين المكّة والمدينة، فأمر بالدوحات فقمّم ما تحتهنّ من شوك، ثمّ نادى: الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرّ إنّ منّا لمن يضع ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الحرّ حتّى انتهينا إلى رسول الله ﷺ، فصلّى بنا الظهر، ثمّ انصرف إلينا فقال:

«الحمد لله نحمده نستعينه، ونؤمن به ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن

---

١. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤١.

سيّئات أعمالنا، الّذى لا هادي لمن ضلّ، ولا مضلّ لمن اهتدى، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله.

أمّا بعد: أيّها الناس! أيّها الناس! فإنّه لم يكن لنبيّ من العمر إلّا نصف ما عمّر من قبله، وإنّ عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإنّي قد أشرعت في العشرين، ألا وإنّي قد يوشك أن أُفارقكم، ألا وإنّي مسئول وأنتم مسئولون، فهل نبّئتكم، فما أنتم قائلون؟»

فقام من كلّ ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنّك عبد الله ورسوله، فقد بلّغت رسالته وجاهدت في سبيله وصدعت بأمره وعبدته حتّى أتاك اليقين، فجزاك الله عنّا خير ما جازى نبيّاً عن أُمّته.

فقال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة والنار حقّ، وتؤمنون بالكتاب كلّه؟»

قالوا: بلى.

قال: «أشهد أن قد صدّقتكم وصدّقتموني، ألا وإنّي فرطكم وإنّكم تبعي توشكون وأن تردوا عليّ الحوض، وأسألكم حين تلقوني عن ثقلي كيف خلّفتموني فيهما.»

قال: فاعتلّ علينا ما ندري ما الثقلان، حتّى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الله! ما الثقلان؟

قال: «الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسّكوا ولا تولّوا ولا تضلّوا، والأصغر منهما عترتي، من استقبل قبلتي وأجاب دعوتي؛ فلا تقتلوهم، ولا تعمّدوهم، ولا تقصروا عنهم، فإنّي قد سألت اللطيف الخبير فأعطاني، ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليّهما لي وليّ، وعدوّهما لي عدوّ، ألا فإنّها لم تهلك أُمّة قبلكم حتّى تدين بأهوائها، وتظاهر على نبوّتها، وتقتل من قام بالقسط».

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام فرفعه، فقال: «من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه ـ قالها ثلاثاً ـ آخر الخطبة»[1].

---

١. العمدة، ص ١٠٤؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ١٨٤.

ومنها: من طريق الخاصّة ما رواه الشيخ أحمد بن علي بن منصور الطبرسيّ في «الاحتجاج» قال: حدّثنا محمّد بن موسى الهمدانيّ، قال: حدّثنا محمّد بن خالد الطيالسيّ، قال: حدّثني سيف بن عميرة؛ وصالح بن عقبة جميعاً، عن قيس بن سمعان، عن علقمة بن محمّد الحضرميّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام، وذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمسجد الخيف، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«معاشر الناس! إنّ عليّاً والطيّبين من ولدي هم الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر، فكلّ واحد منبئ عن صاحبه وموافق له، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، أُمناء الله في خلقه، وحكّامه في أرضه، ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلّغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، ألا وإنّ الله عزّ وجلّ قال وإنّما قلت عن قول الله عزّ وجلّ، ألا إنّه ليس أميرالمؤمنين غير أخي هذا، ولا تحلّ إمرة المؤمنين لأحد غيره»[1].

ومنها: ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره المشهور، قال: حدّثني أبي، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الجارود، عن عمران بن ميثم، عن مالك بن ضمرة، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾[2] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ترد عليّ أُمّتي يوم القيامة على خمس رايات:

فراية مع عجل هذه الأُمّة، فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه، فأقول: ردّوا إلى النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع فرعون هذه الأُمّة، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه، وأمّا الأصغر فعاديناه وقاتلناه، فأقول: ردّوا إلى النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع سامريّ هذه الأُمّه فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون:

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٦٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ٢٠٨ مع اختلاف في النقل.

٢. آل عمران: ١٠٦.

أمّا الأكبر فنسيناه وتركناه، وأمّا الأصغر فخذلناه وضيّعناه، فأقول: ردّوا إلى لنار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية ذاالثدية مع أوّل الخوارج وآخرهم، وأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فمزّقناه وهربنا منه، وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه، فأقول: ردّوا إلى النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع إمام المتّقين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين ووصيّ رسول ربّ العالمين، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتّبعناه وأطعناه، وأمّا الأصغر فأحببناه وواليناه ووازرناه ونصرناه حتّى أُهريقت فيهم دمائنا، فأقول: ردّوا إلى الجنّة روّاء مرويّين مبيضّة وجوهكم.

ثمّ تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[١]»، انتهى[٢].

ومنها: ما رواه في «البحار» عن الشيخ جعفر بن نما في «مثير الأحزان» بإسناده عن زينب بنت جحش؛ وعن عبدالله بن يحيى قال: «رحلنا مع عليّ عليه السلام إلى صفّين، فلمّا حاذى نينوى نادى: صبراً يا أبا عبدالله.

فقال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وعيناه يفيضان، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله! ما لعينك تفيضان؟ ءأغضبك أحد؟

قال: لا، بل كان عندي جبرئيل فأخبرني أنّ الحسين عليه السلام يُقتل بشاطئ الفرات، وقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟

قلت: نعم.

فمدّ يده فأخذ قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتها، وإسم الأرض كربلا.

---

١. آل عمران: ١٠٦ و١٠٧.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ١٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٢٠٣.

فلمّا أتت عليه سنتان خرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى سفرٍ فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه، فسُئل عن ذلك.

فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها: كربلاء، يُقتل فيها ولدي الحسين عليه السلام، وكأنّي أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها، وكأنّي أنظر إلى السبايا على أقطاب المطايا، وقد أُهدي رأس ولدي الحسين عليه السلام إلى يزيد ـ لعنه الله ـ فوالله! ما ينظر أحد إلى رأس الحسين عليه السلام ويفرح إلّا خالف الله بين قلبه ولسانه، وعذّبه الله عذاباً أليماً.

ثمّ رجع النبيّ صلى الله عليه وآله من سفره مغموماً كئيباً حزيناً، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين عليهما السلام، وخطب ووعظ الناس، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن عليه السلام، واليسرى على رأس الحسين عليه السلام، وقال:

إنّ محمّداً عبدك ورسولك وهذان أطائب عترتي وخيار أُرومتي وأفضل ذرّيّتي ومن أخلفهما في أُمّتي، وقد أخبرني جبرئيل أنّ ولدي هذا مقتول بالسمّ، والآخر شهيد مضرّج بالدم.

اللّهمّ بارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء.

اللّهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله، وأصْلِه حرّ نارك، واحشره في أسفل دركات الجحيم.

قال: فضجّ الناس بالبكاء والعويل، فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله: أتبكونه ولا تنصرونه؟! اللّهمّ فكن أنت له وليّاً وناصراً.

ثمّ قال: يا قوم! إنّي مخلّفٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأُرومتي ونزاح مائي وثمرة فؤادي ومهجتي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ألا وإنّي لاأسألكم عنه في ذلك إلّا ما أمرني ربّي أن أسألكم عنه، أسألكم عن المودّة في القربى، واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد آذيتم عترتي وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم، ألا إنّه سيرد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأُمّة:

الأُولى: راية سوداء مظلمة قد فزعت منه الملائكة فتقف عليّ فأقول لهم: من أنتم؟ فينسون ذكري فيقولون: نحن أهل التوحيد من العرب. فاقول لهم: أنا أحمد نبيّ العرب

والعجم. فيقولون: نحن من أُمّتك. فأقول: كيف خلّفتموني من بعدي في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربّي؟ يقولون: أمّا الكتاب فضيّعناه، وأمّا العترة فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض. فلمّا أسمع ذلك منهم أعرض عنهم وجهيَّ فيصدرون عطاشاً مُسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليّ راية أُخرى أشدّ سواداً من الأُولى، فأقول لهم: كيف خلّفتموني من بعدي بالثقلين: كتاب الله وعترتي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فخالفناه، وأمّا الآخر فمزّقناهم كلّ ممزّق. فأقول: إليكم عنّي، فيصدرون عطاشاً مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليّ راية تلمع وجوههم نوراً، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أُمّة محمّد المصطفى، ونحن بقيّة أهل الحقّ، حملنا كتاب الله، وحرّمنا حرامه، وأجبنا ذرّيّة نبيّنا محمّد ونصرناهم من كلّ ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم من ناواهم. فأقول لهم: إبشروا فأنا نبيّكم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولقد كنتم في الدنيا كما قلتم، ثمّ أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويّين مستبشرين، ثمّ يدخلون الجنّة فيها خالدون أبد الآبدين»(١).

ومن شريف روايات الباب ما رواه السيّد الأجلّ عليّ بن طاوس رحمه الله في كتاب «الإقبال» نقلاً عن صاحب كتاب «النشر والطّي» في جملة الكتب الّتي ألّفها المخالفون في روايات غدير خم، وقد عدّها ومن جملتها هذا الكتاب، فقال رحمه الله ما لفظه: قال صاحب كتاب «النشر والطّي» في تمام حديثه ما هذا لفظه:

«فهبط جبرئيل فقال: إقرأ: ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ** ﴾(٢)

...الآية، وقد بلغنا غدير خم في وقت لو طرح اللّحم فيه على الأرض لاشتوى، وانتهى إلينا رسول الله الاوية فنادى الصلاة جامعة، ولقد كان أمر عليٍّ أعظم عند الله ممّا يقدّر، فدعا المقداد وسلمان وأباذر وعمّار فأمرهم أن يعمدوا إلى أصل شجرتين فيقموما تحتها، فكسحوه، وأمرهم أن يضعوا الحجارة بعضها على بعض كقامة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأمر بثوب فطرح عليه، فصعد النبيّ المنبر ينظر يمنة ويسرة، ينتظر اجتماع الناس إليه، فلمّا اجتمعوا، فقال:

---

١. مثير الأحزان، ص ١٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٢٤٧.

٢. المائدة: ٦٧.

الحمد لله الّذي علا في توحّده، ودنا في تفرّده... إلى أن قال:

أقرّ له على نفسي بالعبوديّة، وأشهد له بالربوبيّة، وأؤدّي ما أوحى إليّ حذار إن لا أفعل أن تحلّ بي قارعة، أوحى إليّ: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ ﴾ الآية.

معاشر الناس! ما قصّرت في تبليغ ما أنزله الله تبارك وتعالى، وأنا أُبيّن لكم سبب هـذه الآية: إنّ جبرئيل هبط إليّ مراراً أمرني عن السلام أن أقوم في هذا المشهد وأُعـلم الأبـيض والأسود أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخي وخليفتي والإمام بعدي.

أيها الناس! علمي بالمنافقين ـ الّذين [يقولون] بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم، وكثرة أذاهم لي؛ مرّة سمّوني أُذُناً لكثرة ملازمته إيّاي وإقبالي عليه حتّى أنزل الله ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾[1] ـ محيط، ولو شـئت أن أُسمّي القائلين بأسمائهم لسمّيت.

واعلموا! أنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين، وعلى البادي والحاضر، وعلى العجمي والعربيّ، وعلى الحرّ والمملوك، وعلى الكبير والصغير، وعلى الأسود والأبيض، وعلى كلّ موحّد فهو ماضٍ حكمه، جائز قوله، نافذ أمره، ملعون من خالفه، مرحوم من صدّقه.

معاشر الناس! تدبّروا القرآن وافهموا آياته ومحكماته، ولا تتّبعوا متشابهاته، فـوالله! لا يوضح تفسيره إلّا الّذي أنا آخذ بيده، ورافعه بيديّ، ومعلمكم أنّ من كنت مولاه فهو مولاه، وهو عليّ.

معاشر الناس! إنّ عليّاً والطيّبين من ولدي من صلبه هم الثقل الأصغر، والقرآن الثـقل الأكبر، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ولا يحلّ إمرة المؤمنين لأحد بعدي غيره.

ثمّ ضرب بيده إلى عضده فرفعه على درجة دون مقامه متيامناً عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرفعه بيده وقال: أيّها الناس! من أولى بكم من أنفسكم؟

قالوا: الله ورسوله.

---

١. التوبة: ٦١.

فقال: ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، إنّما أكمل الله لكم دينكم بولايته وإمامته، وما نزلت آية خاطب الله بها المؤمنين إلّا بدأ به، ولا شهد الله بالجنّة في «هل أتى» إلّا له، ولا أنزلها الله في غيره، ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه وذرّيّتي من صلب عليّ، لا يبغض عليّاً إلّا شقيّ، ولا يوالي عليّاً إلّا تقيّ، وفي عليّ نزلت ﴿ وَٱلْعَصْرْ ﴾ وتفسيرها: وربّ عصر القيامة، ﴿ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ أعداء آل محمّد ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بولايتهم ﴿ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ بمواسات إخوانهم ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[1] في غيبة غائبهم.

معاشر الناس! إنّي رسول الله قد خلت من قبلي الرسل، ألا إنّ عليّاً الموصوف بالصبر والشكر، ثمّ من بعده من ولده من صلبه.

معاشر الناس! قد ضلّ من قبلكم أكثر الأوّلين، أنا صراط الله المستقيم الّذي أمركم أن تسلكوا الهدى إليه، ثمّ عليّ من بعدي، ثمّ ولدي من صلبه أئمّة يهدون بالحقّ، إنّي بيّنت لكم وفهمتكم، هذا عليّ يفهمنّكم بعدي ...» إلى آخر الخطبة في قصّة البيعة.

وهذا خبر شريف مشتمل على كثير من مناقبه وفضائله من الآيات وغيرها، واضبطها واغتنم»[2].

ومنها: ما رواه محمّد بن العبّاس الماهيار الثقة الجليل في تفسيره مسنداً إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«إنّي تارك فيكم الثقلين؛ أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[3].

وإنّما سمّاهما الثقلين لعظم خطرهما وجلالة قدرهما.

---

١. العصر: ١ ـ ٣.

٢. الإقبال، ص ٤٥٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ١٣١.

٣. الأمالي للطوسي، ص ٢٥٥؛ الطرائف، ج ١، ص ١١٣؛ الصوارم المهرقة، ص ٣٣٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٣١١.

وفي هذا التفسير أيضاً بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «الثقلان نحن والقرآن»[١].

وروى أيضاً مسنداً إلى زرارة قال: سألت أباجعفرٍ عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[٢] قال: قال: «كتاب الله ونحن»[٣].

ومنها: ما رواه غير واحد من أصحابنا عن سليم بن قيس الهلاليّ، قال: قال عليّ: إنّ الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم وفي حجّة الوداع ويوم قبض في آخر خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال عليه السلام:

«تركت فيكم أمرين؛ لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين الإصبعين، وإنّ أحدهما أقدم من الآخر، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا وتولّوا، ولا تقدّموهم، ولا تتخلّفوا عنهم، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[٤]... الخبر.

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المتواترة معنى من الفريقين، وقد نقل السيّد الجليل في «غاية المرام» من طريق العامّة تسعة وثلاثين حديثاً، ومن طريق الخاصّة اثنان وثمانين حديثاً كلّها في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بالثقلين أو بالأمرين أو بالشيئين، وأكثرها خالٍ عن لفظ «الأكبر» و«الأصغر»، وفي كثيرٍ منها لفظ «الأكبر» و«الأصغر»، وفي بعضها: «أعظم»، وفي بعضها: «أطول»، وفي بعضها: «أقدم»، وفي بعضها: «أوّل».

والمراد من الكلّ القرآن، ولا تعارض بينها أبداً من جهة أنّ اهتمامهم بنقل ما أوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الأمرين، والاختلاف في لفظ «الأكبر» و«الأطول» و«الأقدم» إمّا نقل بالمعنى من الرواة، أو تعدّد كلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ففي بعضها قال بالأكبر، وفي بعضها بغيره ممّا يؤدّي مؤدّاه، فإن تعدّد وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بهما محقّق معلوم من الأخبار.

---

١. تأويل الآيات، ص ٦١٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٣٢٤.

٢. الرحمن: ٣١.

٣. تأويل الآيات، ص ٦١٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٣٢٤.

٤. كتاب سليم بن قيس، ص ٦٥٥؛ بحارالأنوار، ج ٣١، ص ٤٢٢.

وظنّي أنّه لو أراد واحد استقصاء أخبار الباب من الفريقين لزاد العدد على ما ذكره السيّد في «غاية المرام»، وأنّه فوق حدّ التواتر المعنويّ قطعاً على جميع الأقوال الّتي ذكروها في أُصول الفقه.

وببالي أنّ أقلّها ستّة أو ثمانية، وأكثرها ثلاثون، وقد زاد عن الثلاثين قطعاً فجاوز حدّ التواتر في كلا الفريقين، وربّما يكون ما تعرّض فيه للأكبر وما بمعناه بالغاً حدّ التواتر، وإن كان قد منعه بعض العلماء، ولا يهمّنا ذلك، لما ستعرف من الأجوبة عن معنى الأكبريّة، ولو جمعاً بينها وبين الأدلّة الدالّة على أفضليّة العترة عليهم السلام، وقلّما يوجد خلوّه عن قوله: «لن يفترقا» وهو أيضاً في مقام الاستشهاد ونحوه الّذي يكفي فيه الإشارة.

هذا هو أخبار الباب، وصاحب الرسالة بعد نقل الروايات نقل الكلام في تقريب الاستدلال، وأطال الكلام في تنقيح السند، ثمّ ذكر وجه الدلالة ولم يزد على أنّ هذه الأخبار مشتملة على الأكبريّة والأوّليّة أو الأقدميّة، وهي ليست في الذات والحجم، ولا يتصوّر لها معنى صحيح إلّا الأفضليّة.

ثمّ ساق الكلام في أنّ هذه الأخبار لا يتصوّر معارضتها ولا تخصيصها ولا تقييدها ولا نسخها ولا شيء ينافيها ويناقضها حيث أنّها آخر إخبارات النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبموته انسدّ باب النسخ.

وتمام مطلبه هذا لا غير، ولكن لا بأس بالإشارة إلى بعض عبارته في الوجوه الثلاثة المذكورة الّتي بها أتمّ مرامه.

فقال في مقام تنقيح السند:

وبالجملة، الأخبار الواردة في هذا الباب من طرق أهل البيت الأطائب وغيرهم الصحيحة الصريحة بالغة أو كادت أن تبلغ حدّ التواتر، لكثرتها حتّى أنّه مع كثرة اختلاف أخبارنا لم يوجد خبر واحد يخالف ذلك، وذلك عجيب، وفيما نقلناه كفاية إن شاء الله تعالى الحميد لمن ألقى السمع وهو شهيد، فإنّ طرح كلّها أو تأويلها مع أنّ جلّها بل كلّها غير قابل للتأويل من غير موجب يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأساً، كيف لا وهذه الأخبار ليست

ممّا لا يوجب علماً، بل هي محفوفة بصنوف من القرآن:

منها، أنّها مضبوطة في كتب معتبرة متداولة بين علمائنا وغيرهم، المعوّل عليها من زمن أهل البيت عليهم السلام إلى الآن، المشهود بها من مؤلّفيها الأجلّاء الأركان، بل علم ورودها من المعصوم متواترة بالنسبة إليهم.

ومنها، أنّها متلقّاة بقبول الأصحاب، فإنّهم صرفوا أعمارهم في ضبطها ونقلها ونشرها، وفي استقصاء البحث والفحص عن معارضها، فلم يجدوا ما يصلح للمعارضة، ولذلك استدلّوا بها على مطالبهم، كما مرّت وستأتي الإشارة إليه.

ومنها، أنّها بلغعت من الكثرة حيث تواترت معنى ودلّت متواترة على أكبريّة أحدهما من الآخر، كما صرّح به بعض الفضلاء، وسننقل كلامه إن شاء الله.

هذه عين عبارته في المقام، وأنت خبير بما فيه:

أمّا أوّلاً: فلاضطراب كلامه صدراً وذيلاً؛ فأوّل كلامه دالّ على ترديده في تواترها حيث قال: «بالغة أو كادت أن يبلغ حدّ التواتر لكثرتها»، وفي وسط كلامه وآخر كلامه صرّح بتواترها، حيث قال: «بل علم ورودها من المعصوم متواترة»، وقال أخيراً: «إنّها بلغت من الكثرة إلى حيث تواترت ودلّت متواترة».

ويزيده اضطراباً تصريحه بأنّها محفوفة بصنوف من القرائن وعدّها، وهذا الكلام من شأن أخبار الآحاد المحفوفة بالقرآن، والفرق بين الآحاد المحفوفة بقرائن الصدور وبين المتواترات بالمعنى واضح لا يخفى؛ فإنّ المعنى المتواتر حكم الله قطعاً يجب العمل به ولا يحتاج إلى القرينة.

والحقّ ـ كما عرفت سابقاً ـ أنّها من المتواترات بالمعنى، ونقل تواترها من علماء الفريقين متواترٌ في مقاماتٍ شتّى، فلا مجال لهذا الاضطراب العظيم.

وثانياً: قوله في صدر كلامه بعد دعوى تواترها أو قريبة التواتر بقوله: «حتّى لا يوجد مع كثرة اختلاف أخبارنا خبر يعارضها» لا يناسب مقام دعوى التواتر وقريبه، بل يناسب مقام نفي المعارض، والفرق بين المقامين واضح.

وثالثاً: أنّه عدّ من القرائن على صدورها من المعصوم تلقّيها بالقبول، ثمّ بيّنها بأنّهم

دوّنوها ونشروها وصرفوا أعمارهم في ذلك وفي استقصاء البحث عن معارضها فلم يجدوا ما يصلح للمعارضة والمستلزمة لسقوطها وإلّا لنقلوه ونشروه كما نقلوها ونشروها.

أقول: هذا الكلام منه ﷺ خلطٌ وخبطٌ واضح، فإنّ تدوينها ونشرها ونقلها في الكتب واضحٌ، وهذا هو معنى التلقّي بالقبول، وأمّا استقصاء البحث والفحص عن معارضها وعدم وجدانهم ذلك؛ فهذا تمام وصحيح بالنسبة إلى توصية النبيّ ﷺ بالثقلين وجعلهما خليفتين له في أُمّته لا يفترقان أبداً إلى يوم القيامة.

وأمّا بالنسبة إلى دلالتها على أفضليّة القرآن على الإمام فهل تجد في كلام العلماء من الفريقين تصريح بذلك إلى يومنا هذا إلّا ما نقله وسننقله من بعض السادة الفضلاء عن شيخنا البهائيّ وهو سؤال واستفهام، وجواب الشيخ لا يوافق مطلوبه بل يوافقنا.

والحاصل، أنّ مراده من عدم وجدان العلماء معارضاً لهذه الأخبار مع الفحص التامّ عمّا يدلّ على أنّ الإمام أفضل وأشرف من القرآن فلم يجدوا، وهذا ممنوع جدّاً، فترى علمائنا الإماميّة من المحدّثين والكلاميّين يذكرون هذه الأخبار في بيان وجوب متابعة القرآن، ووجوب طاعة الإمام، وأنّهما حجّتان خليفتان في أُمّة النبيّ ﷺ، وأنّه يجب حفظ القرآن ومودّة العترة ومتابعة أحكامه وأحكامهم، وترى علماء العامّة ينقلونها في مقام وجوب متابعة القرآن وحجّيّته ووجوب مودّة العترة وذوي القربى، فهل ترى من أحد منهم ـ تصريحاً أو تلويحاً، إشارة أو كناية ـ شيئاً في دلالتها على أفضليّة القرآن من أهل بيت رسول الملك الديّان، فضلاً عن فحصهم عن عدم معارضٍ لها في هذه الأدلّه؟ ولو وجد من أحدهم ذلك لنقل إلينا، ولوجدناه في زبرهم وكتبهم.

مضافاً إلى أنّهم من الخاصّة والعامّة نقلوا معارضاتها ـ بزعمه ـ ممّا دلّت دلالة بيّنة واضحة على تفضيل الإمام عليه السلام على عامّة خلق الله ممّا سوى النبيّ المختار حتّى الملائكة المقرّبين وجميع الأنبياء والمرسلين.

فإن ادّعيت أنّهم تركوا بيان دلالة أخبار الثقلين على أفضليّة القرآن من الإمام بوضوحها عن جهة اشتمالها على أكبريّة القرآن منهم ودون إثباتها خرط القتاد.

فأنا أدّعي أنّهم نقلوا الأخبار المتواترات على أفضليّتهم من جميع المخلوقات سوى الرسول المصطفى من خالق البريّات، عليه وعليهم صلوات الله ما دامت الأرضون والسماوات، وتركوا بيان أفضليّتهم على القرآن بما صرّحوا بأنّه من جملة المخلوقات.

مضافاً إلى ما ستعرف من الفرق البيّن بين الأكبريّة والأفضليّة، فخلط دلالة أخبار الثقلين على أفضليّته من الإمام بدلالتها على توصية النبيّ ﷺ بهما وجعلهما خليفتين باقيتين؛ خبط واضح.

وليته ﷺ كما ادّعى أنّ العلماء صرفوا أعمارهم في وجدان معارض لها فلم يجدوا، نقل كلام واحد من العلماء في دلالتها على أفضليّة القرآن من الإمام وعدم وجود معارض لها في هذا المرام، وحيث لم ينقل فلم يجد، بل معارضاتها في هذه الأدلّة ـ على فرضها ـ موجودة مسطورة في الكتب المبسوطة المتداولة المعروفة.

هذا هو عليّ بن إبراهيم القمّيّ ﷺ وهو الّذي استدلّ صاحب الرسالة بذكره هذا الخبر في ديباجة كتابه التفسير بحذف السند جازماً ومستدلاً به على كون كتاب الله أكبر الثقلين، قد ملأ تفسيره ذلك من أخبار أفضليّتهم من جميع المخلوقات وأشرفيّتهم على عامّة البريّات بعد الرسول المختار، وذكر تنزيل الآيات الكثيرة وتأويلها في فضائلهم ومناقبهم، كما ستعرف بعضها.

وهذا هو العيّاشيّ الّذي صرّح النجاشيّ وغيره من علماء الرجال أنّه ثقة عين من عيون هذه الطائفة الجليلة، قد ملأ تفسيره بأخبار فضائلهم ومناقبهم الدالّة على أفضليّتهم من جميع ما سوى الله بعد الرسول.

وهذا هو الصدوق الّذي قال صاحب الرسالة في مدحه أنّه ممّن لا يطعن عليه أحد، قد ملأ كتبه وزبره من المفصّلات والمختصرات من أخبار فضائلهم ممّا سنذكرها في الدلالة على أفضليّتهم، وكذا غيرهم. فكيف يدّعى صاحب الرسالة عدم ذكرهم معارضاً لها؟

هذا كلامه في مقام تنقيح السند، وأمّا كلامه في مقام تقريب دلالتها على مطلوبه فلم يزد على أنّ هذه الأخبار الكثيرة مشتملة على أنّ القرآن أكبر أو أوّل، ولا معنى للأكبريّة إلّا

الأفضليّة لا بالحجم، ولا بالسنّ، ولا بالذات، وليست أوّليّته بالزمان والمكان، ولا بـالعلّيّة والطبع، ولا بالذات بل بالشرف والفضيلة، فيثبت له ما ثبت لهم من غـير عكس، وادّعـى وضوح هذا المطلب بحيث كلّما ذكر لفظ «الأكبر» عطف عليه بالأفضل، وزعم أنّ كلّ من نقل هذه الأخبار سلّم دلالتها على أفضليّته من الأئمّة الأطهار... إلى أن قال ما لفظه:

واعلم هداك الله بفضله إلى سبيل السلام! وعافاك بكرمه من مرض التقليد وما ينجرّ إليه ممّا لا محصّل له من الكلام! أنّي كنت في جميع أزمنة تقليدي وبرهة من زمن تتبّعي وتصفّحي في المعقول والمنقول على أنّهم عليهم السلام أفضل كلّ شيء دون الله إلّا ما أخرجه الدليل وهو نبيّنا نبيّ الرحمة محمّد الهادي إلى أوضح السبيل، حتّى أنّي كتبت في ذلك كتاباً مفرداً حاوياً على أغلب ما يدلّ على أفضليّتهم من جميع الأنبياء والمرسلين ما عدا محمّد خاتم النبيّين، سلام الله عليه وآله وعليهم أجمعين.

وما كان يخطر ببالي في امتداد جميع تلك الأزمان أنّ للقرآن عليهم فضلاً من الملك المنّان، وما كنت شاعراً بذلك ولا متفطّناً به أصلاً.

فلمّا انتهت النوبة في عرض تصفّحي إلى تلك الأخبار المنقولة عن هؤلاء الأخيار، فأوّل ما نظرت إليه منها اشمئزّ عنه قلبي وانقبض منه عقلي، ولم يقبله لبّي لما سبق منّي وارتكز في طبعي، أُشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً.

فبعد ما عثرت على جلّها، بل شعرت بكلّها متأمّلاً فيها وفيما يعاضدها، وجدتها نـاطقة على خلاف ما كان اعتمادي وبه اعتقادي، معقولاً ومنقولاً، فبدا لي من بعد ما رأيت الآيات واستمعت الروايات أنّ ما كنت عليه من الاعتقاد والاعتماد كان جهلاً مركّباً فتغيّر بذلك حالي وما كان إليه ركوني ومالي، فرجعت عنه بالاضطرار إلى ما دلّت عليه تلك الأخبار.

وهذا باب معروف بين علمائنا وغيرهم، فإنّهم إنّما يمنعون مـن الاسـتثناء في المـقدّمات العقليّة، وأمّا في النقليّات منها فإنّهم إذا تعارضت لعمومات أوالعام والخـاص ولا تـعارض بينهما بعد ثبوته يقدّمونه عليه ويخصّصون به، جمعاً بين الأدلّة بقدر الإمكان.

ولذا اشتهر بينهم «ما من عامٍّ إلّا وقد خُصَّ» حتّى هذا، فتخصيص بعض الأدلّة النقليّة

أولى من طرح بعضها رأساً، ولاسيّما إذا كان ذلك البعض ممّا تلقّاه بالقبول جمّ غفير من الفحول، وجمع كثير من ذوي الأحلام والعقول، فإنّه خارج من عاداتهم المستقرّة، وخاصّة أمثال تلك الأخبار السالفة فإنّها باعتضادها بغيرها من الأخبار المجملة والآثار المفصّلة واشتهارها بين القوم نظماً ونثراً، عربيّاً وفارسيّاً، مع تكرّرها وشيوعها في أصولهم، واستقصائها في كتبهم المعتمدة عليها من زمن المعصومين إلى يومنا هذا، بل إلى يوم الدين، مع عدم معارض لها من العقل والنقل الّذي يعتدّ به تفيد الظنّ المتآخم للعلم، بل اليقين المطابق للواقع.

وذلك لمن جانب التقليد وترك المشهور، وخالف العناد وهجر القول الزّور، ثمّ أخذ فطانته بيده وكان من المتأمّلين، فإنّ الله يهديه إلى سبيله، كما وعده، وهو أصدق الواعدين، انتهى كلامه في المقام.

وأقول: ما اعتقده في عمره إلى زمان اجتهاده كان من فطرة الولاية الّتي فطر الناس عليها، وما رجع إليه ظنّ اجتهاديّ فاسد، وقد نقل أنّه كتب كتاباً مفرداً حاوياً على أغلب ما يدلّ على أفضليّتهم من جميع الأنبياء والمرسلين.

ليت شعري ما تلك الأخبار وقد أنكر جلّ فضائلهم، كما ستعرف من تصريحه على ذلك، ونسبة أخبارها إلى وضع الغلاة والزنادقة، مضافاً إلى أنّه في هذا الكلام قد سلّم ورود العموما الكثيرة الدالّة على أفضليّتهم عمّا سوى النبيّ ﷺ الخاتم من عامّه المخلوقات.

ثمّ ادّعى تخصيصها في ذلك الكلام الطويل بأخبار الثقلين زعماً منه دلالتها على أفضليّة القرآن منهم.

وحيث قد تبيّن لك فساد هذا الزعم منه فيبقى تلك العمومات سليمة عن المعارض والمخصّص، فيجب متابعتها.

فقوله أخيراً: «مع عدم معارضٍ لها من العقل والنقل» غريب ستعرف ـ إن شاء الله ـ البراهين الساطعة والأدلّة القاطعة من العقل والنقل المتواتر على خلافه.

وقوله: «تفيد هذه الأخبار اليقين إن جانب التقليد وترك المشهور».

أقول: تقليد الأخبار المتواترة والمشهورة من التقليد المندوب إليه، بل الواجب اتّباعها لمن أخلى قلبه من الشّبهات والشكوكات.

ثمّ اعلم! أنّ صاحب الرسالة قد عدّد الأخبار المشتملة على الأكبريّة والأطوليّة والأعظميّة أو الأوّليّة، وقد أدرج فيها رواية واحدة عن «إكمال الدين» بلفظ الأفضل، فقال:

وفي «إكمال الدين» بأسانيد متعدّدة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي امرء مقبوض وأُوشك أن أُدعى فأُجيب، وقد تركت فيكم الثقلين؛ أحدهما أفضل من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

أقول: قد تصفّحت كتاب «إكمال الدين» وعندي منه نسختان، وقد ذكر فيه حديث الثقلين باثنين وعشرين سنداً مع متون مختلفة ليست فيها هذه الرواية عن أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا رواية واحدة.

نعم، ذكرها في موضعين اشتباهاً لاتّحاد السند والمتن؛ فالسند فيهما هكذا: «حدّثنا الحسن بن عبدالله، قال: أخبرنا محمّد بن أحمد القشريّ، قال: حدّثنا الحسين بن حميد، قال: حدّثني أخي الحسين بن حميد، قال: حدّثني عليّ بن ثابت الدهقان، قال: حدّثنا سعاد وهو أبو سليمان -أو أبي موسى بن سليمان- عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ»[٢]، ونقل المتن كما نقلناه.

وفي إحدى نسختي كَتَبَ فوق «أفضل» لفظ «أكبر» فقوله: «بأسانيد متعدّدة» خلاف، مع أنّ رجال هذا السند غير معلومين ولا معروفين، مضافاً إلى أنّه لم يعيّن فيه أنّ الأفضل كتاب الله، بل قال: «أحدهما أفضل من الآخر»[٣]، وقوله: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٤] يدلّ من الثقلين وبيان لهما، ولا يكون كتاب الله بدلاً وبياناً لأحدهما أفضل من الآخر، كما هو السياق في جميع أخبار الباب.

---

١. كمال الدين، ج ١، ص ٢٣٥،، ص ٢٣٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٣٢.

٢. كمال الدين، ج ١، ص ٢٣٥، ص ٢٣٧.

٣. كمال الدين، ج ١، ص ٢٣٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٣٢.

٤. نفسه.

مضافاً إلى أنّ عامّة هذه الأخبار الّتي نقلها الصدوق ﵀ في هذا الكتاب ـ وكانت اثنان وعشرين خبراً ـ لا يوجد فيها خبر واحد من الصنف الثالث، بل كلّها من الصنفين الأوّلين؛ بعضها غير متعرّض للفظ «الأكبر» وما يؤدّي مؤدّاه، وجلّها ممّا تعرّض فيها للفظ «الأكبر» من دون تعيين أنّه كتاب الله، فلو سلّمنا نسخة الأفضل، فلم يتعيّن فيها أنّه كتاب الله.

فإن قلت: إنّ الأخبار الّتي قد عيّن فيها أنّ الأكبر كتاب أقرينة على أنّ الأفضل أيضاً كتاب الله؟

قلت: لا نسلّم ذلك، بل لنا قرينة قويّة على أنّ المراد بالأفضل هو العترة وهي ما رواه السيّد الجليل البحرانيّ في «غاية المرام» في الباب الثامن والعشرين في نصّ رسول الله ﷺ على وجوب التمسّك بالثقلين من طريق العامّة، وعدّ واحداً بعد واحد.. إلى أن قال:

العشرون: أبو الحسن الفقيه أحمد بن محمّد بن شاذان من طريق العامّة في «المناقب المائة» عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام أفضل لكم من كتاب الله؛ لأنّه مترجم لكم عن كتاب الله»[١]، انتهى.

أقول: ورواها الديلميّ في «إرشاد القلوب» مرفوعاً عن زيد بن ثابت[٢].

وروى السيّد الجليل السيّد هاشم البحرانيّ في مقدّمة «تفسير البرهان»، فقال: الديلميّ وأبو الحسن أحمد بن محمّد بن شاذان عن زيد بن ثابت قال:

قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعليٌّ أفضل لكم من كتاب الله، لأنّه مترجم لكم عن كتاب الله».

وهذه الرواية وإن كانت من طريق العامّة إلّا أنّه مشترك في ذلك مع رواية «إكمال الدين» في عدم معلوميّة السند، وهذا الخبر كما ترى صريح في المطلق، فإنّه مُعلّل ومُصرّح و ـ بحسب القواعد العلميّة ـ مقدَّمٌ على غير المعلّل وغير الصريح، ولا أعتمد على هذه الرواية في مقابل تلك الأخبار الكثيرة المشتملة على أنّ أحدهما أكبر من الآخر وهو كتاب الله.

---

١. مائة منقبة، ص ١٦١.

٢. إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٣٧٨.

ولكن هو معارضٌ لذلك الخبر الّذي هو مشتمل على لفظ «الأفضل»، وهذا أقوى منه بحسب الدلالة؛ لأنّ ذلك لم يصرّح فيه بأنّ الأفضل أيّهما، وهذا قد صرّح فيه بأنّ الأفضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهي قرينة على أنّ المراد بالأفضل في ذلك الخبر أيضاً عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأولاده؛ فلم يبق إلّا الأخبار المشتملة على لفظ «الأكبر» وهي وإن كانت أكثرها خالية عن التعيين إلّا أنّي لا أنكر الأخبار المعيّنة ونجيب عنها بما ستعرف.

والداعي على ذلك ما ستعرف في المقام الثالث من قيام الأدلّة الأربعة من الكتاب والسنّة والعقل والإجماع على أفضليّتهم وخصوصاً الأخبار الدالّة على هذا المطلب، فإنّها فوق حدّ التواتر، وستعرف ما يفيد اليقين والقطع على ذلك، وبعد الإحاطة بما سنذكرها لك أمر هذه الأخبار سهلٌ، والمهمّ بيان معاني الأكبريّة بما يلائم تلك الأدلّة ولا ينافيها، وسيأتي بما لا مزيد عليه إن شاء الله. هذا تمام الكلام في وجه استدلاله بهذه الأخبار.

ثمّ بعد الفراغ عن ذلك ـ كما ذكرنا ـ ساق الكلام في عدم جواز تخصيص هذه الأخبار ولا نسخه، فقال ما لفظه:

توجيهٌ وتنبيهٌ: هذه الأخبار الدالّة على أكبريّة القرآن وأفضليّته إمّا مخصّصة أو ناسخة لكلّ ما يدلّ بعمومه أو بخصوصه على أفضليّة العترة ممّا سوى الله تعالى حتّى من القرآن المجيد والفرقان الحميد على فرض تحقّق الأخبار الكذائيّة وثبوتها وصحّتها؛ لأنّ تأريخ الأُولى متأخّر عن تأريخ الثانية فهي ناسخة لها، لأنّها من جملة آخر خطبة خطبها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ قُبض من يومه، كما هو المصرّح به في عدّة أخبار قد مرّت الإشارة إلى نبذة منها، وبعد انقطاع الوحي وانقضاء زمانه لا يتصوّر نسخ، كما هو الظاهر والمبيَّن في محلّه.

ولذا قيّدوا بآخر خطبة خطبها ليشيروا بذلك على أنّ هذا الحكم ـ وهو وجوب الاقتداء والتمسّك بالثقلين ـ ممّا لا يتطرّق إليه نسخ إلى آخر انقطاع زمن التكليف، فكذا كلّ حكم دلّ عليه هذا الخبر أبديٌّ لا يتطرّق إليه نسخ، ومنه أعظميّة القرآن وأكبريّته، فلايتصوّر تحقّق خبر يدلّ على كونهم عليهم السلام أفضل من القرآن، وعلى فرض تحقّقه وثبوته فهو منسوخ بما مرّ لما مرّ.

وقد قال عليه السلام في رواية سليم بن قيس الهلاليّ: أنّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله كالقرآن ناسخ ومنسوخ، وخاصّ وعام، ومحكم ومتشابه.

وقال المحقّق وغيره رحمهم الله ـ واللفظ للمحقق على ما نقله عنه صاحب «المعالم» ـ: إذا تعارض الخبران؛ فإن كانا عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعلم التأريخ كان المتأخّر أولى، ومع جهله يجب التوقّف، لأنّه كما يحتمل أن يكون أحدهما ناسخاً يحتمل أن يكون منسوخاً، وإن كانا عن الأئمّة وجب القول بالتخيير، علم تأريخهما أو جهل؛ لأنّ الترجيح مفقود هنا، والنسخ لا يكون بعد النبيّ، انتهى كلامه طاب منامه.

أقول: هذا كلّه على فرض تحقّق دلالة هذه الأخبار على أفضليّة القرآن مُسلّم، ولكنّه غير محقّق، بل المحقّق أكبريّته أو أقدميّه أو أعظميّته بالمعاني الّتي سنذكرها. وأمّا الأفضليّة فهي ثابتة للعترة على القرآن لا بالعكس.

فإن قلت: لو كان كذلك لبيّنه النبيّ صلى الله عليه وآله وحيث لم يبيّنه فلم يكن، خصوصاً بعد أن صدر منه هذه الأخبار المحتملة لعكس هذا الحكم. والحاصل، أنّ هذا الحكم لم يصدر عن النبيّ، وحيث لم يثبت فلم يكن.

قلت: هذا زعمٌ فاسدٌ؛ فإنّ الأخبار الّتي صدرت عن أئمّة الإسلام كلّها عن النبيّ صلى الله عليه وآله بنصوص كثيرة متواترة أنّ جميع علومهم ممّا وصل إليهم عن النبيّ؛ إمّا بلا واسطة كما في أميرالمؤمنين عليه السلام، أو بواسطته، كما في الحسن والحسين عليهما السلام وبواسطتهم في غيرهم.

فإنّه قد وردت أخبار متواترة بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حين أُسري به إلى السماء علّمه الله جميع الأحكام وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وبعد رجوعه علّمه كلّه لأميرالمؤمنين عليه السلام وأوصاه بتعليمها للحسن والحسين عليهما السلام واحداً بعد واحد، وأكثر الأحكام الشرعيّة من الفرعيّة والمتعلّقة بالأُصوليّة قد ثبت لنا من الأئمّة عليهم السلام لا من النبيّ صلى الله عليه وآله.

وهذا نظير إيراد العامّة العمياء أنّ الله لم يسمّ في كلامه المجيد إسم عليٍّ وأولاده المعصومين، والجواب الجواب.

كما ورد في «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم بسندٍ صحيح إلى أبي بصيرٍ قال: «سألت أبا

عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[١].

فقال نزلت في عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام.

فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله عزّوجلّ؟

فقال عليه السلام: قولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُنزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الّذي فسّر ذلك لهم، وقد نزلت عليهم الزكاة ولم يسمّ لهم من كلّ أربعين درهماً درهم حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الّذي فسّر لهم، وقد نزل الحجّ فلم يقل لهم طوفوا أُسبوعاً حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسّر ذلك لهم، ونزلت ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ في عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، فقال رسول الله في عليٍّ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فإنّي سألت الله عزّ وجلّ أن لا يفرّق بينهما حتّى يُوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك».

وقال عليه السلام: «لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّهم لن يخرجوكم من باب هُدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة».

فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبيّن من أهل بيته لادّعاه آل فلان وآل فلان، ولكن الله عزّ وجلّ أنزل في كتابه تصديقاً لنبيّه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٢]

فكان عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء في بيت أُمّ‌سلمة، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّهمّ إنّ لكلّ نبيٍّ أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي».

فقالت أُمّ‌سلمة: ألست من أهلك؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّكِ إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.

---

١. النساء: ٥٩.

٢. الأحزاب: ٣٣.

فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كان عليٌّ عليه السلام أولى الناس بالناس، لكثرة ما بلّغ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأقامه للناس وأخذه بيده، فلمّا مضى عليٌّ عليه السلام لم يكن يستطع عليٌّ عليه السلام ولم يكن ليفعل أن يدخل محمّد بن عليٍّ ولا العبّاس بن عليٍّ ولا واحداً من وَلده إذاً لقال الحسن والحسين: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك، وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك، وبلّغ فينا رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلّغ فيك، وأذهب عنّا الرجس كما أذهبه عنك.

فلمّا مضى عليٌّ عليه السلام كان الحسن عليه السلام أولى بها لكبره، فلمّا توفّي لم يستطع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ** ﴾[١] فيجعلها في ولده إذاً لقال الحسين عليه السلام: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبلّغ فيّ رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلّغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عنّي الرجس، كما أذهب عنك وعن أبيك.

فلمّا صارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدّعي عليه كما كان هو يدّعي على أخيه وعلى أبيه لو أرادا أن يصرفا الأمر عنه، ولم يكونا ليفعلا، ثمّ صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السلام، فجرى تأويل هذه الآية ﴿ **وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ** ﴾.

ثمّ صارت من بعد الحسين عليه السلام لعليّ بن الحسين عليهما السلام، ثمّ صارت من بعد عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى محمّد بن عليٍّ عليهما السلام.

وقال: الرجس هو الشكّ، والله لا نشكُّ في ربّنا أبداً[٢]، انتهى.

وهذا الخبر الشريف دالٌّ بطوله على أنّ كلّما صدر عن النبيّ صلى الله عليه وآله فهو عن الله تعالى، كذلك كلّما صدر عن الأئمّة فهو صادرٌ عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن الله تعالى. وكم من حكم من الفروع ومن متعلّقات الأُصول لم يرد فيه حكم عن النبيّ وصدر عن الأئمّة، ومنها أفضليّتهم من القرآن، فإنّه لم يُرد فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله نصٌّ وقد ظهر منهم عليهم السلام، فإنّ تلك الأخبار لا يكون

---

١. الأنفال: ٧٥.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٨٦؛ تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٢٤٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٢١٠.

نصّاً في ذلك، لما ستعرف من معنى الأكبريّة والأعظميّة.

فقوله: «لا يتصوّر تحقّق خبرٍ يدلّ على كونهم أفضل من القرآن وعلى فرض تحقّقه وثبوته فهو منسوخ بما مرّ ـ يعني أخبار الثقلين ـ....» مبنيٌّ على ما زعمه من تسليم دلالة أخبار هذه على أفضليّة القرآن منهم وهو معدوم.

وقد بالغ في أنّه لا يجوز ورود دليلٌ على أفضليّتهم، فقال:

إنّ الأدلّة الّتي توهّموا دلالتها على أفضليّتهم من القرآن من أخبار فضائلهم ومناقبهم إمّا عامٌّ أو مطلقٌ، فيكون إمّا مخصوصة أو مقيّدة بما ذكرناه من أخبار الثقلين ما يقتضيه رعاية قانون العلم؛ فلاتعارض بينهما وبين ما دلّ على أفضليّة القرآن من العترة.

ثمّ قال:

وبالجملة؛ هذه الأخبار ـ أي الأخبار الّتي دلّت على أفضليّتهم من غير النبيّ الخاتم ـ وما شاكلها عامّة وأخبار أفضليّة القرآن خاصّة، ولا تعارض بين العامّ والخاصّ، وعلى فرض وجود خبر يدلّ بخصوصه على أفضليّتهم من القرآن؛ فأخبار أفضليّته منهم متأخّرة عنه زماناً فهي ناسخة له، فلا يتصوّر لأخبار أفضليّته منهم معارضٌ، لأنّه إمّا عامٌّ أو خاصّ أو مطلق؛ فالأوّل مخصوص، والثاني منسوخ، والثالث مقيّد.

ثمّ قال:

ولا موقع هنا لما قاله بعض الفضلاء من أنّ حمل العام على الخاصّ والمطلق على المقيّد ليس على إطلاقه، بل ينبغي النظر في ترجيح أحد المتأوّلين من التخصيص أو التقييد، ومن التجوّز في الخاصّ والمقيّد، وذلك ظاهرٌ.

وأيضاً فإنّها على فرض ثبوتها وصحّتها ودلالتها على ما راموه ـ يعني من أفضليّتهم على القرآن ـ منسوخة بما سبق من الأخبار: سيّما النبويّات منها فلتقدّمها وتأخّر ما سبق، وأمّا العلويّات والصادقيّات وغيرها فقد علم حالها من القاعدة السالفة. وقد نقل أصحابنا الإجماع على عدم النسخ في أخبار الأئمّة لا ابتداء ـ بناءً على تفويض الأمر إليهم ـ ولا إبداء بأن أسرّ إليهم النبيّ ﷺ إنّ هذا الأمر ـ مثلاً ـ حكمه الوجوب إلى يوم كذا، ثمّ حكمه الحرمة،

فلا تظهروه قبل أجله، فهم أسرّوه امتثالاً لأمره، ثمّ أظهروا في أزمنتهم ما هو مخصوص بأهله أو مع من بعدهم، وبنوا على هذا الإجماع أُصولاً وقواعداً، وفرّعوا عليها فروعاً.

فقول من قال بعدم تحقّق النسخ في أخبار الأئمّة ابتداءاً غير بعيد، وأمّا إبداء النسخ وإظهار ما استودعهم النبيّ خاصّة، فلا ليس بشيء، لأنّه مجرّد احتمال في مقابل إجماعهم، فلا عبرة به، وإجماعهم هذا وإن لم يحصل به القطع في مثل هذه الأزمان إلّا أنّه يحصل به الظنّ الغالب القويّ، كيف لا ولم يظهر فيه مخالف في كتاب أصحابنا.

وأطال الكلام... إلى أن قال:

وقد سبق أنّ هذه الأخبار النبويّة ـ يعني أخبار الثقلين ـ متأخّرة زماناً عن كلّ ما صدر عنه، فلا يتصوّر له ناسخ ولا معارض بوجه، وبذلك يندفع جميع شكوكهم وشبهاتهم، وتبقى تلك الأخبار المتواترة معنى سالمة عن مزاحمة العارض، فتفيد القطع بما دلّت عليه من أفضليّة الكتاب، ولا أقلّ من إفادتها الظنّ المتآخم للعلم. هذه عين عبارته بطولها.

وأقول: حاصل الكلّ، أنّه قد سلّم دلالة أخبار الثقلين على أفضليّة الكتاب من الإمام، وبعد ذلك قد سلّم أنّ النبيّ ﷺ هو كان صاحب الشريعة وقد بلّغ جميع الأحكام لا يغادر منه صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها وبلّغها، وهذه الأخبار آخر كلماته وأحكامه من عمره الشريف، كما عرفت التنصيص به في رواية سليم وغيره.

وعلى هذا رتّب عليه مقصوده من عدم تصوّر وجود ما يخالف هذا الحكم، لما دلّ على أنّ حلال محمّد ﷺ حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة؛ وكلتا المقدّمتين ممنوعة أشدّ المنع.

أمّا المقدّمة الثانية فلأنّا نقول: لا شكّ ولا ريب أنّ صاحب الشريعة والموحىٰ إليه أحكام الدين هو الرسول الخاتم، أمّا إنّه ﷺ قد بيّن جميع الأحكام أُصولاً وفروعاً، عامّاً وخاصّاً، مطلقاً ومقيّداً، مجملاً ومبيّناً إلى عامّة الناس إلى يوم وفاته فهو معدوم، بل معلوم العدم، فتأمّل في الفقه من أوّل كتاب الطهارة إلى آخر أبواب الحدود والديات، فالأخبار النبويّة في جميع الأحكام بالنسبة إلى أخبار الأئمّة أقلّ قليل، وجلّ الأحكام الفرعيّة المفصّلة قد وصل إلينا

من الأئمّة وتبليغ الرسول المختار، ولا يكون ناقصاً إلّا أنّه قد بلّغها إلى وصيّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو إلى وصيّه الحسن عليه السلام وهكذا، ثمّ وصل إلينا بتوسّطهم وتبليغهم عنه، وليس تبليغه إيّاهم على سبيل التفصيل والتبيين كسائر أخبار الصادرة عنه إلى سائر المشرّفين بصحبته وحضوره، بل كان على وجه لا يدركه عقولنا على التفصيل، كما ورد في أخبار كثيرة أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا رجع عن معراجه علّم عليّاً عليه السلام علم ما كان وما يكون، ووقت وفاته ـ مثلاً ـ علّمه ألف باب من العلم ينفتح من كلّ باب ألف باب.

مع أنّ هذا لو كان على سبيل تبليغاته وتعليماته لسائر الأُمّه لاحتاج إلى عدّة سنين من العمر لا في ساعة أو أقلّ مثلاً، بل كان تبليغه جميع الأحكام، مثل تبليغ القرآن عامّة الأحكام، فإنّ آيات كثيرة وأخبار متواترة قد دلّت دلالة قطعيّة على أنّ القرآن مشتمل على عامّة الأحكام، ولا رطب ولا يابس إلّا فيه، لكنّ العلم به عند الإمام، فقد بلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميع الأحكام الّتي يحتاج إليه جميع أُمّته من زمان حياته إلى يوم القيامة عليّاً عليه السلام، وكذلك واحداً بعد واحد، وحصل من كلّ واحدٍ منهم ما صدر عنهم إلى زماننا هذا وإلى أن يظهر صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه.

بل أقول: كلّ الأحكام الّتي يحكم بها صاحب الزمان ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ في أيّام ظهوره قد صدر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليٍّ ومنه إلى الحسن إلى أن بلغ إليه صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

لكن لا يكون بحيث يعلمه الناس كلّها في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا بحيث يصدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم، كما يصدر عنه ما ظهر من الأحكام للناس.

ولهذا ترى العامّة المخالفين حيث تركوا الأخذ بالأحكام الصادرة عن الأئمّة واقتصروا على ما علموا من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صار فقههم ـ بل دينهم ـ مخالفاً لنا من الأوّل إلى الآخر، واحتاجوا إلى الأقيسة والاستحسانات.

وصاحب الرسالة حيث رأى الأدلّة الدالّة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد أكمل تبليغ الأحكام وما قصّر فيها وما نقص منها صغيرة ولا كبيرة إلّا بلّغها، تخيّل منها أنّ عامّة أحكام الشريعة

المطهّرة قد صدر منه وحصل إلى أن قبض لعامّة الناس والمكلّفين، مثل تبليغه ما بلّغ ظاهراً لهم، وكان آخر حكم بلّغه هو ما اشتمل عليه أخبار الثقلين؛ لأنّه قد كان آخر تبليغاته، ففرّع عليه ما فرّع من عدم تصوّره معارض لتلك الأخبار، وليس الأمر كذلك، بل كان تبليغه تمام أحكام الشرع أُصولاً وفروعاً إلى أهله وهو الإمام والخليفة بعده لا إلى جميع الناس جميعها ظاهراً.

والشبهة في ذلك الكلام ـ بأنّ المكلّفين في زمانه كانوا مكلّفين بجميع الأحكام مثلنا فيجب تبليغها ظاهراً إلى نوع المكلّفين على التفصيل ـ مدفوعة بما علمنا من التدريج في التبليغ حسبما اقتضته الحكمة والحاجة.

أما قرع سمعك الأخبار الواردة في أنّه ـ صلوات الله عليه وآله ـ من أوّل زمان بعثته إلى عشر سنين كان ندائه وحكمه أن: «قولوا لا إله إلّا الله محمّد رسول الله» ولم يزد عليه حتّى أسلم جماعة قليلون، فعلّمهم الصلاة ثمّ الزكاة ثمّ الصوم ثمّ الحجّ حتّى أنّ القرآن أيضاً قد نزل أحكامه تدريجاً.

فآية الصلاة والزكاة قبل الصوم، وهو قبل الحجّ والجهاد، وهكذا إلى بعد الهجرة واجتماع الناس والمسلمين عليه كان يبلّغ الأحكام إليهم بقدر الحاجة، فكلّ من يحتاج إلى حكم ويسأل عنه يبلّغه حكمه، وكان أكثر أوقاته مصروفاً بالجهاد والغزوات لدعوة الناس إلى الإسلام.

بل أقول: إنّ ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾[1] من إكمال الدين ليس من جهة اعتقاد الناس بإمامة عليٍّ عليه السلام فقط بمعنى أنّه قد علّم الناس جميع أحكامهم الأُصوليّة والفروعيّة وبقيت واحدة وهي الاعتقاد بإمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإمْرة المؤمنين من حينه. بل الإكمال من جهة أنّ أحكام الدين كلّها كانت عند عليٍّ عليه السلام ويعلّم الناس تدريجاً بتبليغه لهم، وهكذا بالنسبة إلى الإمام بعده وهكذا.

ولهذا ترى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علّل كونه خليفة وإماماً للناس بعده بأنّه أعلم الناس، وبأنّ

---

١. المائدة: ٣.

علم القرآن كلّه عنده، وأنّه قرين القرآن، وأنّهما لن يفترقا أبداً.

فالحاصل؛ إنّ رسول الله ﷺ قد بلّغ جميع أحكام الشريعة المطهّرة ولم يبق حكم واحد لم يبلّغه؛ لا أُصولاً ولا فروعاً، كلّيّاً وجزئيّاً، ولكن لم يكن تبليغه ذلك إلى عامّة الناس كتبليغه إيّاهم وجوب الصلاة والزكاة مثلاً، بل كان تبليغه كلّ الأحكام مخصوصاً بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وما ظهر للناس إلّا بعضها، وأحال الباقي إلى خليفته في أُمّته مثل القرآن، واشتماله على عامّة الأحكام، لكنّ العلم به مخصوص بالإمام.

فجميع أحكام الشريعة المطهّرة بهذا القدر الّذي هو بأيدينا اليوم قد بلّغها النبيّ ﷺ إلى عليٍّ عليه السلام ومنه إلى الحسن عليه السلام ومنه إلى الحسين عليه السلام وهكذا، ولكن وصولها إلى نوع المكلّفين قد كمل وتمّ في زمان الصادقين عليهما السلام، بل إلى زمان الغيبة الكبرى.

وليس جميع هذه الأحكام كما هي بأيدينا اليوم كان بأيدي نوع المكلّفين يوم قبض النبيّ ﷺ. وهذا أمرٌ معلومٌ لا يحتاج إلى إقامة البرهان، مع أنّ هذا قد ورد في الأخبار:

ففي «الكافي» مسنداً عن سماعة بن مهران، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في ذمّ القياس وأبي حنيفة حيث قاس، قال: «فقلنا: أصلحك الله! أتى رسول الله الناس بما يكتفون به في عهده؟

قال: نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة.

فقلت: فضاع من ذلك شيء؟

فقال: لا، هو عند أهله»[١].

وإذا تحقّق هذا التدريج انهدم ما جعله صاحب الرسالة أساساً لمدّعاه من قوله:

فلا يتصوّر وجود معارض لتلك الأخبار فإنّه لو كان لكانت هذه الأخبار ناسخة لها لتأخّرها عنها، بل كثير من أحكام الدين قد صدر منهم بعد هذه الأخبار وبعد زمان النبيّ ﷺ.

فحفظ التأريخ ينفع في مثل آيات الأحكام لا في مثل الأخبار، فلو عُلم صدور خبر مشتمل على حكم وكان أوّل ظهوره بصدوره من الصادق عليه السلام ـ مثلاً ـ لا يحكم بمحض ذلك

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٧؛ وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٨٠ مع اختلاف في النقل.

بكونه ناسخاً لما ينافيها ممّا صدر عن عليٍّ عليه السلام، بل لابدّ في النسخ من العلم بكونه ناسخاً وإلّا فلا يحكم بمحض تأخّره زماناً كونه ناسخاً، فلايمتنع أن يكون حكم أفضليّتهم من القرآن غير صادرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلم من أخبار الأئمّه المعصومين عليهم السلام والأحكام المودعة عندهم.

مع أنّ هذا حكم لا يترتّب عليه آثار خارجيّة في الشريعة المطهّرة، وإن كان يترتّب عليه معرفة الإمام كاملاً، فلا يبقى إلّا أخبار الثقلين ودلالتها على أفضليّة القرآن منهم.

وهي المقدّمة الأُولى لصاحب الرسالة، وهي معدومة، فإنّ الأكبريّة غير الأفضليّة، فلو كان مراده صلى الله عليه وآله وسلم هو أفضليّته فلِمَ عبّر بالأكبر والأطول والأقدم والأوّل؟ وأقرب لفظ يدلّ على هذا المعنى في العرف والعادة هو «الأفضل».

ألا ترى أخبار السؤال عن أفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من آدم ومن نوح ومن موسى ومن عيسى عليهم السلام ومن الملائكة كلّها سؤالاً وجواباً كان بلفظ «الأفضل».

فسأل السائل عن النبيّ: أنت أفضل أم الملائكة المقرّبين؟

فأجابه بأنّ عامّة الأنبياء والمرسلين أفضل من الملائكة.

فسأل: أنت أفضل أم آدم؟ أم نوح؟ وهكذا.

فهل ترى في المحاورات العرفيّة لو كان الكلام في أفضل العلماء وأعلمهم ـ مثلاً ـ هل تقول: فلان أكبر أو فلان؟ أو تقول: فلان أطول أم فلان؟ أم فلان أعظم أم فلان؟ فترى أنّه يقال أيّهما أفضل؟ أم أيّهما أعلم، ولا يقال: إنّ أحدهما أكبر أو أطول أو أعظم.

ولا ريب أنّ خطابات الشرع على طريقة المحاورات العرفيّة ومع تكرّر صدور هذا الكلام من الرسول المختار في مجالس متعدّدة ولا أقلّ من عشر مرّات يقول كثيراً: «كتاب الله أكبر» وقد يقول: «أطول»، وقد يقول: «أعظم» ولا يعبّر عن المعنى الّذي هو الأفضليّة والأشرفيّة بلفظه ويعبّر بالأكبر والأطول.

والحاصل؛ إنّ اللفظ المأنوس المتعارف لهذا المعنى في عرف المحاورات في العادة هو الأفضل والأشرف لا الأكبر والأطول. فالتعبير بأحد الأخيرين خصوصاً مع تكرّر صدور هذا الكلام منه ـ صلوات الله عليه وآله ـ أقوى دليل وأظهر قرينة على أنّ المراد منها ليست

الأفضليّة، كما ترى في العرف والعادة لو يقال: فلان أكبر من فلان، ولم يكن قرينة حاليّة أو مقاليّة لا يفهم منه الأفضليّة والأشرفيّة، فلعلّ المراد أنّه أكبر سنّاً، أو أكثر مالاً، أو أكبر أعواناً وأولاداً وقبيلة أو غير ذلك، وأين ذلك من الأفضليّة والأشرفيّة والأكبريّة بحسب الشأن والشرف، وخصوصاً مع تبديلها بالأطوليّة والأقدميّة، كما عرفت في بعض أخبار الباب.

فإن قلت: إنّ القرينة موجودة على عدم إرادة المعنى الآخر لعدم الأكبريّة في الجسم، أو السنّ، أو الحجم ـ مثلاً ـ فيعلم أنّ المراد هو الأفضليّة.

قلت: عدم إرادة الأكبريّة بحسب الجسم والحجم والسنّ لا يُعيّن إرادة الأفضليّة، وغرضنا إثبات أنّ اللفظ المأنوس المتعارف في العُرف والعادة في التعبير عن علوّ الشأن الشرف؛ هو الأفضليّة لا الأكبريّة والأطوليّة، وقد أثبتنا، فالعدول عن اللفظ المأنوس المتعارف إلى غيره قرنية واضحة على عدم إرادته.

فإن قلت: فالمراد من الأكبر؟

قلت: يحتمل معاني كثيرة ووجوهاً عديدة أُبيّنها لك وأُفصّلها بشرط أن تنظر إليها بعين الانصاف ومجانبة طريق اللجاج والاعتساف:

أحدها: أنّه أكبر اهتماماً بالوصيّة من النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّ الظاهر بقرينة المقام وقوله صلى الله عليه وآله: «إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب»[١] أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد توصية أُمّته بحفظ ما تخلّف، وقد أخبر أنّ تركتي وثقلي ومخلّفي شيئان، أُوصيكم بحفظها والتمسّك بهما واهتمامي بحفظ القرآن وتوصيتي لكم به أكبر وأكثر وأعظم من توصيتي واهتمامي بحفظ عترتي، وكثرة اهتمامه وتوصيته بحفظ القرآن والتمسّك به من جهة أنّه ليس من شأنه دفع العدوّ المريد لحرقه وتغييره وتبديله وتحريفه، بخلاف العترة، فإنّهم في نهاية الاقتدار على دفع العدوّ القاصد للضرر عليهم.

بيان ذلك: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله علم أنّ القضاء المُبرم الإلهي وجريان عادة الله على عدم بقاء فرد من الإنسان كائناً من كان؛ نبيّاً أو وصيّاً، ملكاً أم سوقة، وقضى عليهم بالموت والذهاب

---

١. كمال الدين، ج ١، ص ٢٣٥؛ تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٣٣٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٤٧.

من هذا العالم، وكان قد أرسل الرسل لحفظ النظام وهداية الناس إلى الدين الإلهي والتوحيد والعبوديّة، وأنزل معهم الكتاب لدستور عملهم في العبادات والمعاملات والمعاشرات بحيث لا يبقى نوعهم ويهدي بهديهم، وجعل لكلّ واحدٍ منهم أوصياء يبقون لحفظ دينهم ونشر شريعتهم إلى مدّة بقائهم حتّى تعلّموا واعتادوا على أحكام الشريعة، فيبقى دينهم ودنياهم وشريعتهم ونظامهم منظّماً متّسقاً إلى ما شاء الله من المدّة بحسب مصالح الناس والزمان، لو لم يغيّروا كتاب الله المنزل عليهم بلسان رسولهم وبقي على ما تعلّموه من أوصيائه يبقى دينهم الحقّ ولم يقع فيهم الهرج والمرج، لوجود دستورهم وحفظ نظامهم بالعمل بكتابهم.

أمّا لو غيّروا كتابهم ـ والحال أنّه لا يبقى أوصياء رسولهم حسبما جرت به عادة الله ـ يخرج دين الحقّ من بينهم ويغلب عليهم الهرج والمرج لعدم بقاء الأوصياء، وعدم وجود الكتاب الإلهي.

كما ترى من اليهود والنصارى فيما فعلوا بتوراتهم وإنجيلهم وغيّروهما وحرّفوهما بحيث لا يبقى منهما ما يصحّ أن يقول عاقل: إنّه من الله تعالى، وصار ما بأيديهم من كتب الضلال، فهلك دينهم وذهب أحكامهم وظهر فيهم الهرج والمرج والفساد والقتل والأسر والنهب، وصار الأمر بيد سلاطين الجور ورؤساء الضلال، فكلّ من غلبت قومه وظهرت شوكته تبعه الهمج الرعاع، وظهرت البدع والأهواء، كما سمعت من أيّام الفترة وما عليه الناس من الخلاف والاختلاف وعبادة الأوثان واتّخاذ الأصنام وانتشار الأخلاق الخسيسة والبدع الركيكة. وهذا كلّه من جهة تحريفهم وتغييرهم الكتب السماويّة النازلة إليهم.

فلمّا رأى الرسول الحكيم الماهر ذلك وعلم أنّ دينه آخر الأديان، وكتابه آخر الكتب، وأعدائه أكثر، واهتمامهم بدفعه أعظم وأكبر وأكثر، فأكثر الاهتمام بحفظ كتابه، وأكّد التوصية بصونه عن التغير التبديل لئلّا يذهب دينه وشريعته، ويبقى دين الله طريّاً قويماً بين الناس.

فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم أنّ أوصيائه لا يبقون ويغيب بقيّة الله عليه السلام في أرضه خوفاً من الأعادي، فلو لم يبق كتاب الله ذهب الدين وتغيّر الشرع، كما ذهب دين اليهود والنصارى.

وإنّما جعله أكبر وصيّه وأعظم خليفته، لأنّه ليس من شأنه دفع عدوّه، بخلاف الخليفة

الآخر من العترة، فإنّهم يدفعون كلّ من أرادهم ورام ضررهم بحداد اللسان والسيوف والمعجزة والوعظ وبيان طرق الهداية، فيدفعون كلّ من أراد تحريف الدين بضررهم، ولا يتحمّلون إلّا ما فيه المصلحة للدين، كما ترى من جهادهم وقتلهم الأعداء وغزواتهم ووعظهم من يمكن له الاهتداء، وبإظهار المعجزات الباهرة والكرامات الظاهرة والخارقات القاهرة.

وأمّا القرآن، فليس له هذه القدرة والقوّة، فلذا أحرقوه ومزّقوه وأسقطوا منه ما أسقطوا ممّا هو صريح في الإمامة، ولم يبق ما بقي إلّا بحفظ العترة الطاهرة له، ودفع الأعادي منه، فإنّ الله أعمى قلوبهم وألهم خلفائه بما بيّنه في كتابه، فبيّنوه لنا ممّا ينهض به الحقّ ويدحض به الباطل.

وهذا القدر من الاختلاف الّذي وقع في دين الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من ضعف أئمّة الدين وغلبة المخالفين كان من التحريف والتغيير الّذي أوقعوه في الكتاب المبين، فلو حفظوا ما جمعه لهم أميرالمؤمنين عليه السلام لما اشتبه الأمر على الناس حتّى جعلوا الخلافة الّتي هي أُسّ الإسلام وأساس الدين باختيار الحمقاء من الناس، فاختاروا العجل والسامريّ على مثل أميرالمؤمنين عليه السلام، واختاروا مثل معاوية ويزيد على مثل الحسن والحسين عليهما السلام، بل على عليٍّ أميرالمؤمنين عليه السلام.

كما ورد في أخبار كثيرة: أنّ أسماء كثير من أعادي الدين وجماعة من المنافقين كان في القرآن المُبين وأسقطوها وحذفوها منه، وكان إسم أميرالمؤمنين عليه السلام وما يهدي إلى الإمامة والخلافة صريحاً في مواضع كثيرة أسقطوها.

فخفي أمر الإمامة والخلافة على العامّة، وظهر هذا الفساد العظيم إلى يوم الدين، ولا يخفى على الخبير البصير استظهار هذا المعنى من هذا اللفظ في المقام.

ثانيها: الأكبريّة بحسب البقاء والزمان صورةً من الخليفة الآخر وهو العترة الطاهرة، فإنّ خلافتهم وإمامتهم كان من زمان انقضاء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الغيبة الكبرى، فإنّ غيبته عند الناس وعدم تصرّفه وظهوره ظاهراً كالموت، ولهذا قال أكثر المخالفين بعدمه، والقرآن نزل قبلهم وبقي إلى يوم القيامة في أيدي الأُمّة ظاهراً وبارزاً.

ويؤيّد هذا المعنى ويؤكّده لفظ: «الأطول» في بعض الأخبار، ولفظ «الأقدم» في بعضٍ

آخر.

ثالثها: أكبريّته بحسب القبول عند الناس وتسلّمه عند عامّة فرق المسلمين، فإنّ عامّة فرق المسلمين الّذين افترقوا بثلاثة وسبعين فرقة قد اختلفوا في كثير من مسائل الأُصول والفروع، والمتّفق عليهم بينهم بعد الشهادة بالتوحيد ورسالة خاتم الأنبياء هو القرآن والقبلة، وأمّا إمامة الأئمّة الإثنى عشر فنحصرة بالفرقة الواحدة منهم؛ فالقرآن أكبر من جهة عموم تلقّيه بالقبول من عامّة الفرق.

وهذا لا ينافي أفضليّتهم منه، كما لا ينافي عموم قبول القبلة أفضليّتهم منها ومن بيت الله.

رابعها: أنّه أكبر بحسب خلوصه عن شوائب مخلوقات الله تعالى، ظاهراً وباطناً؛ فإنّه ليس إلّا كلام الله، فهو في الواقع والظاهر صفة من صفات الله، أو فعل باقي من أفعال الله منسوب إلى الله تعالى، ومعروف به تعالى، بخلاف الإمام عليه السلام فإنّه بشر فيهم شئونات البشريّة من الأكل والشرب والنكاح والمشي والنوم واليقظة والصحّة والمرض والحياة والموت.

فلعلّ الأكبريّة من جهة ملاحظة حال المخاطبين القاصرين عن الإحاطة بمعرفة الإمام عليه السلام مثل أكثر الحاضرين، فيعلمون أنّ ذلك كتاب الله وذلك بشر مثلهم، غاية الأمر أنّه أعلم منهم وأفضل منهم، ولذا اختاروا هؤلاء الّذين مثلهم للإمامة.

ولا تتوهّم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يخاطبهم باعتقادهم، فإنّ ملاحظة أحوال الناس مرعيّة في جميع الأحوال، ولذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يظهر لهم نزول الملائكة والوحي، وأظهر لهم توسّط جبرئيل ومجيء الملائكة، مع أنّهم لو علموا مقامه صلى الله عليه وآله وسلم لما احتاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تصديقه إلى ذلك، فكان إظهاره لتوسّط الوحي والملائكة من جهة قصور الناس وعظم الملك المنسوب إلى الله في نظر الناس، فكذلك الكتاب كان عند الناس منسوباً إلى الله تعالى، والإمام بعقيدتهم بشرٌ مثلهم، ولمثل هذا قال له الناس: لولا يأتي بالملائكة رسلاً. فافهم!

خامسها: إنّ أكبريّة القرآن من جهة أنّه معجزة باقية للرسالة، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد ادّعى الرسالة وتحدّى بالقرآن معجزاً، وقد عجزوا عن الإتيان بمثله، فثبت له الرسالة، بخلاف إمامة الأئمّة المعصومين، فإنّه فرع لرسالة الرسول، فيكونون خلفائه وأوصيائه بنصّه واختياره لهم

ذلك من الله تعالى.

فمن جهة أنّ رسالة الرسول قد ثبت بالقرآن، وإمامة الأئمّة متفرّعة على رسالته فهو أكبر وأعظم، وإن كانوا أفضل من القرآن.

والقول بأنّ وجود الأئمّة الطاهرين أكبر آية وأعظم حجّة على رسالة الرسول من جهة صدور المعجزات الباهرة عنهم عليهم السلام واستجماعهم لعامّة الملكات والكمالات النفسانيّة والأخلاق الحسنة المرضيّة العقليّة والعادية؛ فهم أعظم آية وأكبر معجزة وأجلّ حجّة على صدق الرسول وحقّيّته؛ فهو مسلّم معلوم، لكنّهم بحسب الوجود الخارجيّ كانوا بعد الرسول وبعد ثبوت رسالته بالمعجزات الباهرات، ولم يتحدّ بهم.

وأكبر معجزاته وأعظم آياته هو القرآن الّذي تحدّى به، فهو أكبر من هذه الجهة ولا ينافي ذلك أفضليّتهم من القرآن المجيد، كما هو ظاهر لمن ألقى السمع وهو شهيد، كما لا ينافيه كونهم أكبر آية ومعجزة لرسالته بالنسبة إلينا وإلى من بعدهم.

سادسها: إنّ جعل القرآن أكبر وأهل بيته الطاهرين أصغر إظهار لكمال العبوديّة والخضوع والخشوع بالنسبة إلى الله سبحانه، فإنّه جعل كتابه العظيم المنسوب إليه الّذي هو بمنزلة منشور إيالته ورسالته وحكومته وخلافته على كافّة الخلق أكبر من أهل بيته المعصومين المنسوبين إليه، وهو إظهار لكمال العبوديّة والخضوع الخشوع الواقعيّ بالنسبة إلى سلطان السلاطين جلّ جلاله وعظم سلطانه.

كما ترى في العرف والعادة تعظيمهم وتكريمهم لفرمان السلطان، فربّما يقومون له ويقبّلونه ويعظّمونه، كما يعظّمون السلطان، وربّما يكون الحاكم ولد عزيز للسلطان ويقوم بحضور فرمانه ويقبّله ويضعه على رأسه إظهاراً لكمال الخضوع والخشوع، ونهاية الإطاعة والانقياد بالنسبة إلى السلطان، ولا ينافي ذلك مع كون الحاكم أفضل وأشرف وأعزّ عند السلطان في الواقع؛ لأنّه ولده العزيز عنده.

وهذا أمرٌ مرغوبٌ عقلاً وعرفاً في الواقع وفي نفس الأمر، ولا يكون إظهاراً لخلاف الواقع، نظير سجدة الملائكة لآدم عليه السلام؛ فإنّ السجود لله تعالى ولكنّه إظهار لتعظيم آدم وتكريمه، كما

صرّح به الأئمّة في الأخبار،[١] والعلماء الأخبار في تفسيره، وله نظائر كثيرة في الشرع والعرف والعادة.

ففي الأخبار: يستحبّ للمحرم إذا دخل حدّ الحرم أن ينزل ويمشي راجلاً ويمضغ الأذخر ـوهو نبتٌ في تلك الأراضي ـ ثمّ يلفظه.[٢]

وقال العلماء: ليست فيه مصلحة إلّا إظهار العبوديّة والخضوع والخشوع وإظهار الانقياد بأنّا مثل هذه الجبال والبهائم في جنب عظمتك وساحة كبريائك، فإظهار الخضوع والخشوع للمولى ـبأيّ نحوٍ كان ـ ليس أمراً موهوماً يقال: إنّه خلاف الواقع، فواقعيّته هو هذا الخضوع والخشوع الظاهر من الكلام.

وصاحب الرسالة قد نقل مثل هذا الكلام، أو ما يقرب منه عن بعض علماء مُعاصريه، وعنونه بقوله: «شبهة مدروئة»، وأورد عليه إيرادات لا بأس بنقلها في المقام، لئلّا تشتبه عليك المرام، فقال:

شبهتان عجيبتان مدروئتان: قد يقال: انّه ﷺ لمّا أضاف الكتاب إلى الله، والعترة إلى نفسه، سلك فيها طريق الأدب، فسمّى الأوّل بالأكبر والثاني بالأصغر.

وغاية توجيه كلامهم وإن لم يتفطّنوا به أنّ الإضافة قد تفيد تعظيم المضاف، كما في بيت الله وجار الله وأمثالها، فلمّا أضاف الكتاب إلى الله تعالى، والعترة إلى نفسه أفاد بذلك تعظيم الأوّل أكثر ممّا أفاد به تعظيم الثاني، فسمّى الأوّل بالأكبر والثاني بالأصغر وإن لم يكونا في نفس الأمر كذلك.

أقول: أُنظر كيف افتخر على بيان هذا المطلب الجزئيّ الّذي هو مراد القائل، وأفسده في البيان وفي قوله أخيراً: «وإن لم يكونا في نفس الأمر كذلك» فإنّ مراد القائل بسلوك طريق الأدب ليس إلّا ما بيّنه، لكن لا كما بيّنه من أنّه من محض الإضافة أفاد تعظيمه، بل لمّا كان في نفس الأمر من صفات الباري وأفعاله كان منسوباً إليه، فعظّمه بالنسبة إلى المنسوب إلى

---

١. راجع: بحارالأنوار: ج ١١، ص ١٣٠، باب ٢.

٢. أنظر: وسائل الشيعة: ج ١٣، ص ١٩٨، باب ٣.

نفسه.

وقوله أخيراً: «وإن لم يكونا كذلك في نفس الأمر» مبنيّ على زعمه أنّ الأكبر بمعنى الأفضل، والكلام كلّه في هذا، وأنّه ليس الأكبر بمعنى الأفضل، كما عرفت وتعرف زيادة عليه.

ثمّ قال:

والجواب عنه من وجوه:

الأوّل: إنّه صلى الله عليه وآله وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى، فما نطق لمّا كان ممّا أوحى به إليه ربّه عزّ وجلّ وجب أن يكون مطابقاً للأمر نفسه. كيف لا، وهو كان في مقام تبليغ ما أُنزل إليه من ربّه، ولذلك قال في غدير خم:

«معاشر الناس! إنّ عليّاً والطيّبين من ولده هم الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر... إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا وقد بلّغت؟ ألا وقد أسمعت؟ ألا وقد أوضحت؟ ألا وإنّ الله عزّ وجلّ قال، وأنا قلت عن الله عزّوجلّ»[1].

فليت شعري إذا كان ما قاله من أكبريّة الكتاب وأصغريّة العترة قول الله عزّ وجلّ كيف يتصوّر كونه مخالفاً لما في نفس الأمر، وواقعاً على طريق الأدب؟ أليس هذا تكذيباً لله ورسوله؟ نعوذ بالله منه، انتهى.

أقول: أُنظر! كيف نسج الكلام وروّج في طيّه المرام، مع أنّه كلام لا محصّل له في المقام.

أمّا قوله: ﴿ **ما ينطق عن الهوى** ﴾[2] قد رام الاستدلال به على أنّ كلّ ما تكلّم به كان من وحي الله تعالى. مثلاً إذا قال: يا حُميراء! كلّميني، كان كلامه صلى الله عليه وآله وسلم هذا من وحي جبرئيل، وليس كذلك، والآية الشريفة في مقام ردّ الكفّار المنكرين للقرآن بأنّه وحي من قبل الله تعالى، فقالوا: إنّه من كلام نفسه على هواه، فنزل قوله: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾[3].

---

١. التحصين، ص ٥٨٢؛ الإقبال، ص ٤٥٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ١٣١.

٢. النجم: ٣.

٣. النجم: ٣ و ٤.

قال شيخنا الطبرسيّ في «مجمع البيان»: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ أي: وليس ينطق بالهوى، [وهكذا] كما يقال: رميت بالقوس وعن القوس.

وقيل: معناه لا يتكلّم بالقرآن وما يؤدّيه إليكم عن الهوى الّذي هو ميل الطبع.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ أي: ما القرآن وما ينطق به من الأحكام إلّا وحيٌ من الله يوحى إليه، أي: يأتيه به جبرئيل، وهو قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[١] انتهى.[٢]

ثمّ استدلّ على مرامه ذلك بقوله: «كيف لا وهو كان في مقام تبليغ ما أُنزل إليه من ربّه ولذلك قال في غدير خم»... إلى آخر كلامه، وهو مقصوده من قوله صلى الله عليه وآله: «ألا وقد بلّغت»[٣].

ففيه أنّ المأمور به بالتبليغ في غدير خم هل كان إلّا نصب عليٍّ عليه السلام بالولاية والإمامة والخلافة؟ وهو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾[٤] أي: في عليٍّ عليه السلام كما وردت به الروايات المتظافرات.

فخطب بتلك الخطبة الطويلة وهو مشتمل كلّه على نصب عليٍّ عليه السلام وهو المقصود بالتبليغ والمأمور به من ربّه، فقوله: «ألا وقد بلّغت؟ ألا وقد أوضحت»[٥]... إلى آخر الفقرات؛ كلّها معلوم الانصراف إلى تبليغ إمامته وخلافته.

وإنّما ذكر القرآن وجعله قرينه الّذي لا يفترق منه أبداً من جهة أنّه عليه السلام قيّمه ومفسّره، وعلمه وتنزيله وتأويله ومحكمه ومتشابهه عنده عليه السلام، والعلم به كلّه شأنه ومخصوص به، ولا يوجد عند غير الرسول والإمام.

---

١. النجم: ٥.

٢. مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٨٨.

٣. روضة الواعظين، ج ١، ص ٩٤؛ الاحتجاج، ج ١، ص ٦٠؛ التحصين لابن طاوس ٥٨٢؛ بحارالأنوار ج ٣٧، ص ٢٠٨ مع اختلاف في النقل.

٤. المائدة: ٦٧.

٥. نفسه.

فهل يقول أحد نظر في تلك الآيات الشريفة الإلهيّة، وتلك الخطبة النبويّة في غدير خم أنّه كان مأموراً بتبليغ أنّ القرآن أفضل من عليٍّ عليه السلام حتّى يكون قوله: «ألا وقد بلّغت؟»[١] منصرفاً إليه ـ أي: إلى هذا الحكم ـ؟

كلّا وحاشا، بل يعلم كلّ أحد أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان مأموراً بتبليغ إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا غير. وإنّما ذكر القرآن في المقام قريناً له من جهة أنّ العلم به من شئونه ومن مخصوصات الإمام، وأنّه ناطق بإمامته، وأنّه لا يفارقه.

فظهر ظهور الشمس في رابعة النهار أنّ قوله: «ألا وقد بلّغت؟»[٢] لا يدلّ على تبليغ حكم أفضليّة القرآن ـ كما ادّعاه ـ مضافاً إلى أنّ المصرّح به من الرسول هو الأكبريّة وهو غير الأفضليّة، كما عرفت.

ومن هذا كلّه ظهر ما في باقي كلامه من تعجّبه حيث قال:

«وليت شعري إذا كان ما قاله من أكبريّة الكتاب وأصغريّة العترة قول الله عزّ وجلّ فكيف يتصوّر كونه مخالفاً لما في نفس الأمر، وواقعاً على طريق الأدب؟ أليس هذا تكذيباً لله ورسوله؟ نعوذ بالله منه».

أقول: قد عرفت أنّ كلامه هذا ليس من وحي جبرئيل، وإنّما المُوحىٰ إليه خصوص نصب عليٍّ عليه السلام للإمامة وأكبريّة القرآن غير الأفضليّة، ولا يكون كلام الرسول هذا مخالفاً لما في نفس الأمر، بل موافق له، وإظهار للعبوديّة والخضوع والخشوع واقعيّته هذا وأكبريّته من إحدى الجهات المذكورة أو غيرهما ممّا يأتي، أو غيرها غير أفضليّتهم منه، ولا ينافيه.

ثمّ قال:

وأمثال هذه الشكوك والشبهات وإن كانت صادرة عن الجهل بالأخبار، أو عدم التدبّر في مضامينها، فتكون غير مستحقّة للجواب بيد أنّي أجبتهم إلى ذلك حسماً لمادّة شبهتهم، وقطعاً لأصول مشاغبتهم ومجادلتهم، فنقول: وبما قرّرناه ظهر جواب آخر وهو أنّ هذا الخبر وأمثاله

---

١. نفسه.

٢. نفسه.

ليست فيها الإضافة والنسبة الّتي جعلوها دليلاً على سلوك طريق الأدب، وقد ذكر فيها الأكبريّة والأصغريّة، انتهى.

أقول: أُقسمك بالله ما تفهم من كلامه هذا؟ فهل تجد في هذه الأخبار الّتي وردت من الفريقين ـ ولو جمعتها لزادت على المأتين ـ خبراً واحداً لا يكون فيه لفظ كتاب الله ولفظ عترتي؟

فهذا هو الإضافة أي: إضافة الكتاب إلى الله تعالى وإضافة العترة إلى ياء المتكلّم المراد به نفس النبيّ ﷺ.

فقوله: «ليست فيها الإضافة والنسبة» ما معناه؟

مضافاً إلى أنّ المراد من الإضافة ليس هو الإضافة النحويّة، بل المراد النسبة العرفيّة أي: لمّا كان كتاب الله منسوباً إليه تعالى، والعترة منسوباً إلى النبيّ، أظهر العبوديّة والخضوع والخشوع، وواقعيّته هو هذا لا غير، وإن كان اجتمع في أكثر أخبار الباب مع الإضافة النحويّة.

ثمّ قال:

الثالث ـ أي الجواب الثالث ـ: إنّه لمّا راعى الأدب وقد أُمرنا أن نتأسّ به ونأخذ منه ما أتاناه وجبت علينا رعاية هذا الأدب وسلوك هذا الطريق بطريق أولى، فوجب أن نسمّي الأوّل بالأكبر والثاني بالأصغر تأسّياً به وإن لم يكن الأمر كذلك في نفس الأمر وهو كذلك في نفسه.

أقول: لا احتياج في وجوب هذا القول لنا بالتأسّي وإنّما هو واجبٌ ومتحتّم علينا بالنصّ الجلي، ونقول ونعترف بأنّ القرآن أكبر، وأهل بيت الرسول أصغر، ولكن لا يكون معنى الأكبريّة هو الأفضليّة، والأصغريّة هو المفضوليّة، بل هما بأحد المعاني المذكورة الغير المنافية لأفضليّتهم من القرآن، جمعاً بين الأدلّة وترجيحاً لقطع الناس على الظاهر، مضافاً إلى ما في ظهوره من المنع، كما عرفت قبل الوجوه من أنّ التعبير عن الأفضليّة بالأكبريّة غير مأنوس، خصوصاً مع تبديلها بالأطوليّة والأقدميّة.

ثمّ قال:

الرابع: إنّ هذا المقام ليس مقام هضم النفس ورعاية الأدب، لأنّه أدّى ذلك في غدير خم وفي ساير المواقف العامّة بأمر ربّه، وهو قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾[1]

فقال ذلك بلا تقيّة وخوف من أحد، تعظيماً لشأن عترته، وترغيباً للناس إليهم وإلى الاقتداء بهم، والاهتداء بأنوارهم، والاقتفاء بآثارهم.

فلو كانوا أكبر من الكتاب في نفس الأمر لاقتضى المقام ذكره والإشارة والصدع به والإذاعة، بل المبالغة والتأكيد فيه، لأنّه ما كان في مقام بيان أفضليّة القرآن، لكونها مُسلّمة معروفة عند المخاطبين، بل كان في صدد ذكر فضائلهم وبيان مقادير درجاتهم ومنازلهم، ولذلك قرنهم بالكتاب الكريم والذكر الحكيم إشعاراً بقدرهم، وإحاطة عليهم بما في الكتاب، وأنّه كما يجب اتّباعه والتمسّك به كذلك يجب اتّباعهم والتمسّك بهم، لقضيّة العطف، بل التصريح به ـ كما مرّ ـ وذلك أمر لايخفى على البصير الناقد هذا.

أقول: أُنظر كيف عبّر عن هذا المعنى الجليل الّذي هو عبوديّة للربّ الجليل، وإظهار الخضوع والخشوع له هضماً للنفس المتعارف بين الناس بإظهار خلاف الواقع، مثل من كان من العلماء ويقول: إنّي لست منهم، وقد عرفت أنّ هذا هو عبادة مرغوبة، وعبوديّة متعارفة مطلوبة شرعاً وعرفاً، وليس من إظهار خلاف الواقع في شيء.

وقوله: «لأنّه أدّى ذلك في غدير خم» ليته بيّن المشار إليه بذلك، فهل المأمور به بالتبليغ هو أفضليّة القرآن، أو إمامة عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وخلافته، وقد اعترف اضطراراً في كلامه بأنّه كان في مقام بيان فضائلهم ومناقبهم.

وقوله: «فلو كانوا أكبر من الكتاب في نفس الأمر لاقتضى المقام ذكره»... إلى آخره. فيه أنّ القرآن أكبر، كما بيّنه صلى الله عليه وآله وسلم، وهم أفضل من القرآن وما بيّنه، لأنّه ليس في مقام تعداد عامّة فضائلهم، بل هو مأمور لنصبهم بالإمامة الحائزة لعامّة الفضائل، والخلافة الجامعة لجميع

---

١. المائدة: ٦٧.

الخصائل والمناقب. ومنها أنّهم قيّم القرآن وقرينه، وأنّ تفسيره وتأويله عندهم ولا يجوز أخذها من غيرهم وإلّا ضلّوا وأضلّوا كعامّة فرق المخالفين للفرقة المحقّة الإثنى عشريّة.

وأمّا كونهم أفضل من القرآن فلا يكون المقام يقتضيه، لما هو معلوم من قصّة نزول الآية الشريفة من قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فإنّه ﷺ كان على خوف ووجل منهم من عدم قبولهم لإمامة عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فلمّا أخبره الله تعالى بوجوب التبليغ وأنّه يعصمه منهم أقامه عَلَماً وإماماً.

وغاية ما يمكنه أن يقول لهم: إنّ علم القرآن عندهم، وهم مع القرآن والقرآن معهم لن يفترقا، حتّى إذا قَبِلوا ذلك ورجعوا إليهم في أخذ القرآن منهم، تعلّموا من القرآن الحجّة عامّة أحكامهم الأُصوليّة والفروعيّة، ومنها أفضليّتهم من القرآن، كما ستعرف في بيان الآيات الدالّة على ذلك، فلا يقتضي المقام أزيد من أن ينصب عليّاً عليه السلام علماً، وأنّه يجب أخذ علم القرآن منهم.

فكأنّه أسّس من هذا الكلام أساس حجّيّتهم بحيث يقبلون ذلك، ثمّ يظهر منهم ما يروّج مقاماتهم العالية ودين الحقّ الّذي يوصلهم إلى النجاة الأبديّة والحياة السرمديّة الّتي هي موالاتهم ومتابعتهم والاقتداء بهم.

هذه وجوه للأكبريّة في القرآن العظيم، ولو تأمّلت وجدت غيرها، والعمدة هو ما ذكرْتُك من أنّ التعبير عن معنى الأفضليّة بالأكبريّة أو الأطوليّة غير مأنوس ولا متعارف.

وإذا حفظت ذلك وأحطْتَ خُبراً بما نتلوه عليك من الأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة على أفضليّتهم من القرآن الّذي هو بأيدينا اليوم، ومحلّ ابتلاء الأُمّة المرحومة؛ تعلم علماً يقيناً أنّ المراد بالأكبريّة والأصغريّة من المعاني الحقيقيّة الوضعيّة لهما يجب صرفها عن ذلك المعنى الحقيقيّ الوضعيّ بالقرينة الصارفة الّتي هي الأدلّة الآتية، فضلاً عمّا عرفت من أنّ الأكبريّة والأصغريّة في الأفضليّة والمفضوليّة ليست من المعاني الحقيقيّة الوضعيّة.

ولا يغيب عن خاطرك أنّ محلّ النزاع من القرآن أنّه فاضل أو مفضول بالنسبة إلى الإمام عليه السلام هو أفراده وأنواعه الّتي بأيدينا وبأيدي الأُمّة أعمّ من المصاحف المكتوبة أو

المحفوظة في صدور الحفّاظ، أو المتلوّة في ألسنة الأمّة، لا الأفراد والأنواع الأُخَر، مثل ما في اللوح المحفوظ وحقيقة الملائكة، فإنّها ليست محلّ ابتلاء الأمّة، ضرورة أنّ القرآن الّذي خلّفه رسول الله ﷺ وأمرهم بالتمسّك به وحفظه هو ما بأيديهم لا غير، وإن كان سائر أفراده وأنواعه أيضاً مثلها في أفضليّة الإمام بالنسبة إليها؛ لأنّها على مذهب الإثنى عشريّة مخلوق، وهم أشرف من كلّ مخلوق، إلّا أنّ الكلام بالنسبة إلى الأفراد الّتي بأيدينا أوضح وأسهل.

وأمّا بالنسبة إلى غيرها فالفرد الأوّل منه ربّما يرجع إلى صفات الله أو فعله؛ وعلى الأوّل فبالنسبة إلى علم الله تعالى لا إشكال فيه أنّه الخالق، لأنّه من صفات الذات وهي عين الذات الواحد البسيط وهو خالق، ولا نسبة بينه وبين المخلوق بشيء من النسب غير الخالقيّة والمخلوقيّة والعلّيّة والمعلوليّة، حتّى يقال: إنّه أفضل وأكمل أم المخلوق؟ وإن كان بالنسبة إلى نفس النبيّ الرسول. ولكن قدعرفت أنّه ليس بقرآن، بل هو خالق القرآن ولا يطلق عليه القرآن، كما لا يطلق على سائر مخلوقات الله المعلومة له، ولكن إذا أرجعناه إلى صفات الفعل من الإرادة والكراهة ـ مثلاً ـ فهي محدثة مخلوقة.

ويسهل الخطب فيها أنّها في هذا المقام لا تكون محلّ ابتلاء الأمّة، ولا يكون ما جعله رسول الله ﷺ خليفة وأوصى بالتمسّك به، ولا كلام لنا فيه.

ولعلّ معنى قوله ﷺ: «طرفٌ منه بيد الله وطرف منه بأيديكم»[١] إشارة في الأوّل إلى هذا المقام وهذا الطرف الّذي منه بيد الله لا يكون محلّ ابتلاء الأمّة، وما يكون محلّ ابتلائهم هو الطرف الآخر وهو هذه الأفراد والأصناف الّتي بأيدي الأمّة ومحلّ ابتلائهم، وكلامنا في هذه الأفراد لا في غيرها.

[وجهٌ آخر في بيان أكبريّة القرآن:] وعلى هذا ينقدح في المقام وجه آخر للأكبريّة ـ ربّما يقال: إنّه أحسن الوجوه وأنسبها ـ وهو أن يُقال: لمّا كان القرآن ذو أفرادٍ كثيرةٍ بعضها أشرف وأعلى من الآخر، والفرد الأشرف من الكلّ هو الراجع إلى صفات الله وإن كانت من

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٣؛ الغيبة للنعماني، ص ٢٩؛ الأمالي للمفيد، ص ١٣٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٤٧٥ مع اختلاف في النقل.

صفات الأفعال، فأراد ـ مثلاً ـ الوحي بما أراد، فأمر بما أراد ونهى عمّا كره، وأوحى ما أوحى، ثمّ أنزل منه ثبوته في اللوح المحفوظ، ثمّ في جبهة ميكائيل، ثمّ في حقيقة جبرئيل، ثمّ في قلب الرسول الأمين صلى الله عليه وآله، ثمّ في صدور أوصيائه وخلفائه المرضيّين، ثمّ في ألسنة القارين وصدور الحافظين والصحف المدوّنة في أُمّته، فكان هذه الأفراد عقود منظومة بنظم واحد وحبل طويل أحد عقوده وأفراده بيد الله، ثمّ في الموجودات السماويّة، ثمّ في الواسطة بين العلويّات والسفليّات وهو النبيّ والأئمّة ثمّ في الأمّة، قال صلى الله عليه وآله: إنّ القرآن الّذي هو مشتركٌ بين هذه الأفراد الّتي أوّلها وأجلّها من صفات الله، وآخرها ما بأيديكم هو أكبر من أهل بيتي وقد جعلته خليفة بينكم.

فقوله: «طرفٌ منه بيد الله وطرفٌ منه بأيديكم»[١] كأنّه علّة لجعله أكبر من جهة أنّ أعلى أفراده أكبر من أهل بيتي، فكأنّه قال: إنّي تارك فيكم كتاب الله الّذي هو أكبر من أهل بيتي، لأنّ أعلى أفراده من أوصاف الله ومن أفعاله، وأدون أفراده ما بأيديكم وصدوركم وألسنتكم.

ويدلّ على أنّه ـ أي: أوّل أفراده الّذي ـ هو كلام الله من صفات الله، ما رواه محمّد ابن عليّ بن بابويه، عن أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدّثنا أحمد بن يحيى، عن بكر بن عبدالله بن حبيب، قال: حدّثني أحمد بن يعقوب بن مطر، قال: حدّثني محمّد بن الحسن بن عبدالعزيز الأحدب الجند بنيسابور، قال: وجدت في كتاب أبي بخطّه، حدّثنا طلحة بن زيد، عن عبدالله بن عبيد، عن أبي معمر السعدانيّ: أنّ رجلاً قال له أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«إيّاك أن تفسّر القرآن برأيك حتّى تفقهه عن العلماء، فإنّه ربّ تنزيل يشبه بكلام البشر وهو كلام الله وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئاً من أفعال البشر، ولا يشبه شيء من كلامه بكلام البشر، وكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم؛ فلا تشبه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضلّ»[٢].

---

١. نفسه.

٢. بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٧ وج ٩٠، ص ١٣٦؛ مستدرك الوسائل، ج ١٧، ص ٣٢٦.

نقله السيّد الجليل السيّد هاشم البحرانيّ في مقدّمة تفسيره «البرهان» في باب النهى عن تفسير القرآن بالرأي.

وإطلاق الأكبريّة إنّما هو من جهة ذلك الفرد وهو لا يستلزم أكبريّة أفراده الّتي بأيدينا، والتعبير بالأكبريّة من جهة أنّهما ليسا من سنخ واحد على الظاهر، فإنّ الفاضل والمفضول لابدّ أن يكونا مشتركين في الفضل إلّا أنّ أحدهما أكثر فضلاً وعلماً، وهذا فيمن يكون من شأنه العلم ويكون من ذوي العقول. والقرآن لّما كان مشتملاً على جميع العلوم وحاوياً لعامّة الفضائل ولم يكن بحسب الظاهر من ذوي العقول لا يقال: إنّه أفضل، بل يقال: إنّه أكبر، كما يقال في صاحب الكتاب بالنسبة إلى الكتاب.

فهذا معنى آخر للأكبريّة القريبة للأفضليّة غير المنافية لأفضليّة الإمام وأشرفيّته من القرآن، أي الّذي بأيدينا؛ فافهم! هذه وجوه سبعة، وسيأتي في مطاوي الكتاب بعض البيان لبعض الوجوه، وبعض الوجوه الأُخَر.

المقام الثاني
في الأدلّة الدالّة على أشرفيّتهم وأفضليّتهم من القرآن العظيم
من العقل والنقل والكتاب والسنّة

[أمّا العقل]

أمّا العقل، فالمراد به ما يتوقّف إثباته على مقدّمة عقليّة، وإن كان بعض مقدّماته نـقليّة، لكن لابدّ أن يكون قطعيّاً حتّى ينتج القطع، وتقريره على وجوه:

أحدها: إنّه قد ثبت في الكتب الكلاميّة أنّ الله تبارك وتعالى غير موجَب ولا مكـرَه في أفعاله، وإنّما أفعاله بإرادته واختياره.

كما ثبت أيضاً أنّ أفعاله معلّلة بالأغراض الصحيحة، ولا يكون عبثاً بلا فائدة.

وقد ثبت أيضاً أنّ الغرض والفائدة لا يمكن أن يكون راجعاً إلى الله نفسه؛ لأنّه إمّا جلب منفعة، أو دفع مضرّة، وكلاهما محالان في ذات الله تعالى؛ لأنّه الكامل المطلق، والقادر القاهر بذاته.

وهذه المقدّمات كلّها ثابتة عند العدليّة، وأقاموا عليها البراهين الساطعة، والأدلّه العقليّة القويمة، ودلّت عليها آيات كثيرة محكمة، وروايات مستفيضة نبويّة وعلويّة وغيرها، وهي كلّها مؤكّدات للأحكام العقليّة.

وإذا ثبتت هذه المقدّمات بالعقل ينتج أنّ خلق هذا العالم بسمائه وأرضه وعلويّه وسفليّه وساكنيه من الملائكة والجنّ والإنس لغاية كبيرة وفائدة عـظيمة جـليلة هـي الفـيوضات الإلٰهيّة، وهي لاتكون راجعة إلى ذات الله تعالى، فتكون عائدة إلى خلقه.

وقد ثبت في محلّه بالأدلّة القويمة، والحجج المحكمة المتقنة، والأخبار المستفيضة -بل المتواترة معنى- بأنّ عامّة الفيوضات الصادرة عن الفيّاض المطلق ومبدأ الفيض إنّما يصل إلى مخلوقاته بتوسّط محمّد وآله الطيّبين الطاهرين -صلّى الله عليهم-، كما سنشير إليها في المقام الثالث، خصوصاً في باب إثبات الولاية الكلّيّة -إن شاء الله- وفي باب أخبار بدو خلقتهم.

وما ورد في الأخبار الكثيرة أنّ الله تعالى خاطبهم في عالم الأنوار، فقال: «بكم أُثيب من أُثيب وبكم أُعاقب من أُعاقب» إشارة إلى هذا المقام.

بل ما ورد في أخبار بدو خلق العقل من مخاطبة العقل: «بك أُثيب وبك أُعاقب»[1] واردٌ على هذا المقام، فإنّ المراد من العقل هو مقام من مقامات الحقيقيّة المحمّديّة.

وهذه الوساطة -على اصطلاح الأُصوليّين والمتأخّرين- وساطة الثبوت لا وساطة الحمل؛ فإنّ الواسطة في ثبوت صفة لآخر:

إمّا أن يكون بحيث اتّصف نفس الواسطة بتلك الصفة أوّلاً ثمّ اتّصف ذلك الآخر به، فيقال لذلك: واسطة في الثبوت.

وإمّا أن يكون واسطة في اتّصاف ذلك بتلك الصفة من دون أن تتّصف الواسطة نفسها بتلك الصفة فيقال لذلك: إنّها واسطة في الحمل.

والأوّل مثل حركة الملّاح للسفينة، والثاني مثل صبغ الصبّاغ للثوب مثلاً.

وتوسّط محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لعامّة الفيوضات الإلهيّة من قبيل الأوّل لا الثاني، فإنّ المقصود من كلّ فيض حتّى الوجود هم عليهم السلام، وإنّما يصل إلى الباقين بتبعهم.

ومن جملة المخلوقات القرآن العظيم الّذي بأيدينا، أو في صدورنا، أو في ألسنتنا، فكلّ فضيلة ومزيّة ومنقبة ثابتة للقرآن إنّما يكون بتوسّط محمّد وآله عليهم السلام فيكون فيهم أتمّها وأكملها وأصلها وأشرفها.

الثاني: إنّ أوّل ما خلق الله نور نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ خلق منه العرش والكرسيّ والسماوات والأرضين والملائكة المقرّبين وسائر سكّان السماوات العُلى والجنّة والنّار، ثمّ الجنّ والإنس،

---

١. مكارم الأخلاق، ص ٤٤٢؛ بحارالأنوار، ج ٧٤، ص ٦٠.

كما ورد ذلك في أخبارٍ كثيرة متجاوزة عن حدّ التواتر المعنويّ، وسنتلوها عليك في المقام الثالث.

وإذا ثبت أنّهم عليهم السلام أوّل ما خلق الله، وقد عرفت أنّ أفعال الله معلّلة بالأغراض الصحيحة والغايات المحكمة فلا ريب أنّ ذلك من جهة أشرفيّتهم وأفضليّتهم بمعنى أشرفيّتهم عمّا سواهم، ولو لم يرد في الأخبار إلّا أنّهم أوّل ما خلق الله، لكفى لنا بهذا شاهداً ودليلاً على أفضليّتهم.

فكيف وقد ورد التصريح في كثيرٍ منها بأنّ الله تعالى لمّا خلقهم قال لهم: «وعزّتي وجلالي ومجدي وكبريائي! لولاكم ما خلقت سماء ولا أرضاً ولا شمساً ولا قمراً ولا جنّة ولا ناراً ولا آدم ولا حوّا».

واشتهر واحد منها وهو أصلها وأصيلها وهو قول الله تعالى لمّا خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو أوّل صادرٍ ومخلوق ـ قال له: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[١].

وستعرف ـ إن شاء الله ـ أخباراً كثيرة في صدور مثل هذا الخطاب لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وعليٍّ عليه السلام، وصدور مثله للأنوار الخمسة الطيّبة الطاهرة، وصدور مثله للأنوار الأربعة عشر، مع أنّ ذلك الواحد الأصيل الأصل من الخطاب لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بـ«لولاك لما خلقت الأفلاك»[٢] يكفينا، فإنّه كلّما ثبت له صلى الله عليه وآله وسلم فهي ثابتة لهم بعده إلّا النبوّة بالأدلّة الكثيرة الآتية، ومنها حديث المنزلة الناصّ في ذلك، ولأنّا لم نقل بكون مقال آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في عرض مقامه، بل بعده وفي طوله ومتّصلاً به ومقدّماً على غيرهم.

ولهذا ورد في هذه الأخبار الآتية: أنّ أوّل ما خلق الله نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ انشقّ بنصفين، أو انشقّ منه نور عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام وأولادهما الأحد عشر الطيّبين عليهم السلام.

ثالثها: إنّه قد ثبت بأدلّة كثيرة متقنة أنّ الإنسان أشرف المخلوقات وأجلّها وأفضلها، بل يظهر من صريح آيات كثيرة وظاهر عدّة أخبار: أنّ خلق العالم لأجل الإنسان، مثل قوله

---

١. تأويل الآيات، ص ٤٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٥.

٢. نفسه.

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ لَكُم مَا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾[٣] وما بهذا المعنى، وقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[٤]، وقوله بعد خلق الإنسان: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾[٥].

وورد في الأخبار: «أنّ الله خلق آدم على صورته وعلم ذلك من أمره بسجود الملائكة لآدم عليه السلام»[٦] ... إلى غير ذلك من أدلّة كثيرة أقاموها على أشرفيّة الإنسان عمّا سواه، وأكثرها مسطورة في مجلّد السماء والعالم من «بحار الأنوار»، ألبس الله جامعه حُلل الأنوار.

وحيث قد ثبت ذلك فلا ريب أنّ أجلّ أفراد الإنسان وأشرفها وأفضلها هو محمّد وآله الطيّبون الطاهرون، فينتج أنّهم أشرف وأجلّ من جميع المخلوقات حتّى الملائكة المقرّبين الأنبياء والمرسلين، ومن جملتها هذا القرآن الّذي بأيدينا وفي صدورنا وألسنتنا، فثبت أفضليّتهم عنه بحمد الله.

رابعها: إنّه قد ثبت بالأدلّة القويمة أنّ المقصود من خلق الخلق هو العلم والمعرفة والعبادة، أي: العلم بالله وصفاته وأسمائه ومعرفته والعبوديّة له، كقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٧] أي: ليعرفوني.

وإنّما العلّة في التعبير عنها بها عندي انحصار طريقها بها؛ فلا يعرف الله إلّا بعبادته؛

وقوله في الحديث القدسيّ المعروف: «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق لكي أُعرف»؛[٨]

---

١. الإسراء: ٧٠.
٢. البقرة: ٢٩.
٣. النحل: ١٢.
٤. العلق: ١.
٥. المؤمنون: ١٤.
٦. لاحظ: بحارالأنوار، ج ٥٤، ص ١٠٣.
٧. الذاريات: ٥٦.
٨. بحارالانوار، ج ٨٧، ص ١٩٩ و ٣٤٤.

والأدلّة الدالّة على أنّ شرف الإنسان بالعلم والمعرفة كقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١]، وقوله: ﴿شَهِدَ ٱللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا ٱلْعِلْمِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[٤]...

إلى غير ذلك من الأدلّة الكثيرة الدالّة على أنّ المقصود من خلق العالم هو العلم به ومعرفته والعبوديّة له، وحيث قد ثبت ذلك، فقد ورد في أخبار كثيرة مستفيضة وستعرفها ـ إن شاء الله ـ في المقام الثالث عن الأئمّة الأطهار: «لولانا ما عُرِف الله وما عُبِد الله».

مضافاً إلى ما ثبت لنا بالأدلّة المتواترة وما يظهر منهم من علوم التوحيد ومباحثه وصفات الله وأسمائه وصفاته والعلوم الّتي بها يُعرف الله، ومن عباداتهم ما حصل القطع واليقين أنّه لم يعرف الله أحد قبلهم ولا بعدهم، ولم يبعد الله كمعرفتهم وعلمهم وعبادتهم.

وإذا ثبت ذلك ثبت أنّهم أشرف وأفضل ممّن سواهم من عامّة المخلوقين حتّى الملائكة والنبيّين وأولوا العزم من المرسلين؛ لأنّ الغرض الّذي من أجله خلق الله الخلق قد ثبت فيهم بأتمّ وأكمل ممّا يوجَد في غيرهم وهو العلم والمعرفة والعبوديّة.

ويكفي في ثبوت ذلك ما صدر منهم في علوم التوحيد وطرق معرفة الله، مثل خطب أميرالمؤمنين عليه السلام والأدعية الواردة المعلومة من سائر الأئمّة المعصومين، وتوحيد المفضّل، ورسالة الإهليجية وغير ذلك ممّا ورد عنهم ـ صلوات الله عليهم ـ منشوراً للسائلين، وللأصحاب المشافهين على حسب درجاتهم، مثل حديث كميل بن زياد.

وسيأتي أنّ ابن أبي الحديد المعتزليّ عند شرح خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام في التوحيد ـ الّذي قال السيّد الرضيّ: إنّه من جلائل خطبه ـ قال ما مضمونه:

---

١. العلق: ٥.

٢. آل عمران: ١٨.

٣. الزمر: ٩.

٤. البقرة: ٢٤٧.

إنّ هذا العلم من مختصّات هذا الرجل ـ يعني أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ولم يظهر من غيره من الصحابة والتابعين في هذا الباب إلّا كلمات يسيرة، وهي أيضاً مأخوذة منه عليه السلام. وهذا أمر معلومٌ لمن مارس الأخبار الواردة منهم عليهم السلام، ويظهر منه صحّة ما ورد عنهم أنّه: «لولانا لما عُرف الله وما عُبد الله».

خامسها: إنّه قد ثبت بالبراهين الساطعة من الأدلّة العقليّة القويّة المؤكّدة بالآيات والأخبار الكثيرة فيضان الفيض من المبدء الفيّاض بقدر استعداد القوابل، ولا بخل في المبدأ في الإفاضة بقدر ما يستعدّه القابل، ولذا قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾[1].

وثبت أيضاً بالأدلّة الكثيرة عدم نقصان القابليّة في محمّد وآله ـ صلّى الله عليهم ـ بمعنى أنّ ما يسعه الإمكان المنحطّ عن الوجوب قد تحقّق فيهم، فينتجّ أنّ كلّما أمكن من الفيض قد تحقّق فيهم، لعدم البخل في المبدأ، وعدم النقصان والقصور في القابل؛ فيثبت من ذلك أنّهم أجلّ أفراد الممكن وأشرفها وأفضلها وأعزّها وأقربها إلى الواجب بحيث لا يمكن أكدوا على منهم. فهم أوّل نقطة الإمكان وأعلى فرد منهم.

ويدلّ على ذلك كونهم أوّل ما خلق الله، وكونهم علّة غائيّة لإيجاد العالم بأسرها، وكونهم معلّم الملائكة في تسبيح الله تعالى وتهليله وتمجيده، وكونهم أفضل من عامّة النبيّين والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقرّبين، وخطاب الله لهم بأنّهم لولاكم لما خلق العالم.

وكلّ ذلك قد ورد في أخبار متواترة لا يمكن ردّها، وستعرف تفصيلها في أبواب المقام الثالث وفي باقي هذا المقام إن شاء الله.

وإذا ثبت ذلك وقلنا بأنّ القرآن مخلوق خصوصاً الأفراد المخلّفة من الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي الّتي في المصاحف وفي الصدور وفي الألسنة، فلا يبق ريب وشكّ في أفضليّتهم وأشرفيّتهم من القرآن.

هذه وجوه تقريرات الدليل العقليّ أعني الدليل الّذي يكون أحد مقدّماته عقليّة، لا العقليّ

---

١. العنكبوت: ٦٩.

الصرف بحيث يكون جميع مقدّماته عقليّة.

[وأمّا الكتاب]

وأمّا الكتاب، فيدلّ على المطلوب آيات:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[١]... إلى آخر الآيات.

وتقريب الاستدلال: أنّ آدم عليه السلام خليفة الله في الأرض، وكذلك كلّ رسول ونبيٍّ صلى الله عليه وآله كما هو المصرّح به في داود عليه السلام بقوله: ﴿ **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْحَقِّ** ﴾[٢] الآية، وهما من غير أُولي العزم، فأُولوا العزم منهم أولى بكونهم خليفة الله في الأرض، ولا ريب أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله أفضلهم وخاتمهم، فهو خليفة الله في الأرض.

ولا ريب في أنّ الخليفة أفضل وأجلّ وأشرف من غيره من عامّة المخلوق، فإنّه قد ثبت من الآية الأُولى أفضليّة آدم من الملائكة، فكيف من غيرهم، وكيف بأُولي العزم الأفضل من آدم، وكيد بأفضلهم وخاتمهم بالنسبة إلى الملائكة، فكيف بغيرهم.

فثبت من ذلك كلّه أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله أفضل خلائق الله في أرضه، والقرآن العظيم خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله، وخليفة الله أفضل من خليفة النبيّ قطعاً.

وقد ثبت بالأخبار الكثيرة والروايات المعتبرة والزيارات الكثيرة: أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام خلفاء الله في أرضه، مثل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خليفة الله في أرضه، وخليفة الله أجلّ وأشرف وأفضل من خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا ينافيه كونهم خليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً، كما ورد في أخبار متواترة في عليٍّ عليه السلام أنّه خليفة النبيّ وكذلك سائر الأئمّة، وإنّما المقصود أنّهم خلفاء الله.

ولا ريب في ثبوته في حقّهم دون القرآن، فإنّا لم نجد في آية، أو رواية أنّه خليفة الله، وإنّما

---

١. البقرة: ٣٠.

٢. ص: ٢٦.

الثابت بأخبار الثقلين وغيرها أنّه خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا ريب في أنّ خليفة الله أفضل وأشرف وأجلّ من سائر المخلوقات، كما دلّت الآيات الأُوَل بأفضليّتهم من الملائكة حيث أمرهم الله بالسجود له، ولا يأمر بسجود الأفضل للمفضول، والقرآن من المخلوقات؛ فخليفة الله أفضل وأشرف وأجلّ منه أيضاً وإن كان خليفة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، كما لا يخفى.

ويدلّ على أنّ كون عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام خليفة الله في أرضه ـ سوى ما أشرنا إليه سابقاً ـ وروده في الزيارات والروايات بحدٍّ لا يمكن إنكاره، خصوص رواية رواها الشيخ الطوسيّ في أماليه عن الشيخ المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن سعد، عن أيّوب بن نوح، عن صفوان، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود النبيّ.

فيأتي النداء من عند الله: لسنا إيّاك أردنا وإن كنت لله خليفة.

ثمّ ينادى ثانية: أين خليفة الله في أرضه؟

فيقوم أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فيأتي النداء من قبل الله: يا معشر الخلائق! هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفة الله في خلقه وأرضه، وحجّته على عباده؛ فمن تعلّق بحبله في دار الدنيا فليتعلّق بحبله في هذا اليوم، يستضيء من نوره، ويتبعه إلى الدرجات العلى من الجنّات.

قال: فيقوم الناس الّذين قد تعلّقوا بحبله في الدنيا، فيتّبعونه إلى الجنّة.

ثمّ يأتي النداء من عند الله: ألا من ائتمّ بإمامٍ في الدنيا فليتّبعه إلى حيث يذهب به. فحينئذٍ: **﴿ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾**[1]»[2]، انتهى.

---

١. البقرة: ١٦٦ و ١٦٧.

٢. الأمالي للفميد، ص ٢٨٥؛ الأمالي للطوسي، ص ٦٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣.

ورواه أيضاً عن المفيد، عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد مثله[١].

وهذا خبر عال سنداً ودلالةً، وفيه إشارات لطيفة. منها كونه خليفة الله في أرضه مُطلقاً، أعني قبل وجوده الظاهريّ أيضاً، كما يدلّ عليه قوله تعالى: «يا معشر الخلائق!»[٢] ولم يقل: يا أمّة محمّد! فهذا خبرٌ شريف. فاضبطه ينفعك في الأبواب الآتية.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا** ﴾[٣] الآية.

والتقريب أنّهم وليّ الناس أي: الأولىٰ بهم من أنفسهم، كما أنّ الله ورسوله وليّهم وأولىٰ بهم من أنفسهم، وتدلّ على أنّ الولاية الثابتة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام هي الولاية الثابتة لله ورسوله ـ بعد الآية الشريفة ـ أخبار كثيرة:

منها: ما رواه الصدوق في أماليه مسنداً إلى ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولاية عليّ بن أبي طالبٍ ولاية الله، وحبّه عبادة الله، واتّباعه فريضة الله، وأولياءه أولياء الله، وأعداءه أعداء الله، وحربه حرب الله، وسلمه سلم الله»[٤].

وهذه الأخبار كثيرة، ومعنى الولاية هو السلطنة القائمة والقيّوميّة الكلّيّة يعني القيّم بأنفسهم والتصرّف فيهم بما يصلحهم، ولا ريب في أفضليّة الوليّ والقيّم بهم من غيرهم، ولا ريب في ثبوت هذه الولاية لهم بالنسبة إلى القرآن، فإنّهم قيّم القرآن، والعالم به، والحافظ له، والمفسّر له، ولهذا جعلهم النبيّ الأكرم قرينه الّذي لا يفارقونه، لاحتياجه إلى قيمومتهم له، ولذا ورد أخبار كثيرة: أنّ علم القرآن عندهم ولا يؤخذ القرآن وتفسيره إلّا منهم. وورد أخبار كثيرة في النهي عن تفسير القرآن بالرأي وعن أخذه من غيرهم.[٥]

والحاصل، أنّ كونهم عليهم السلام قيّماً للقرآن أي: حافظاً ومفسّراً له وعالماً به دون غيرهم أمر

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٩٩.

٢. نفسه.

٣. المائدة: ٥٥.

٤. الأمالي للصدوق، ص ٣٢؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٣١.

٥. راجع: بحارالانوار، ج ٢٣، ص ١٨٨، ب ١٠.

معلوم، فكما أنّهم وليّ الناس وقيّمهم، فهم وليّ القرآن وقيّمه، وكما أنّ الآية الشريفة دالّة على ثبوت مرتبة الولاية الكلّيّة الكاملة لهم بالنسبة إلى الناس، فهي دالّة على ثبوتها لهم بالنسبة إلى عامّة المخلوقات ومنها القرآن، وخصوص كونهم قيّماً للقرآن ثابت لهم بالأدلّة الخاصّة الكثيرة.

ولذا ترى سائر الفرق الباطلة يحتجّون بظاهر القرآن ومتشابهاتها فضلّوا وأضلّوا وانحصر الحقّ المعلوم من القرآن ممّا صدر منهم وفسروه للناس وميّزوا بين محكماته ومتشابهاته وناسخه ومنسوخه وعامّه وخاصّه ومطلقه ومقيّده.

بل أقول: كونهم قيّماً للقرآن أظهر من كونهم قيّماً ووليّاً للناس، فإنّ الناس بحسب الظاهر مكلّفون مختارون، والقرآن لا تصرّف ولا اختيار له في نفسه، وإنّما المتصرّف القيّم لأحكامه وآياته هو الإمام الغير المفارق عنه إلى يوم القيامة. ولا ريب أنّ الوليّ القيّم بأمره والمتصرّف في أحكامه أجلّ وأشرف وأفضل من المقوّم عليه، كما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إليه.

ثالثها: قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] فإنّ المراد به «أنفسنا» أي: نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام باتّفاق أخبار الفريقين فيها، ولا ريب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل وأجلّ وأشرف من القرآن، فكذلك من جعله الله بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وصاحب الرسالة قد سلّم أفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأشرفيّته من القرآن في مطاوي كلماته، كما سيجيء الإشارة إليها في المقام الثالث إن شاء الله، ومنع أفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام منه، والآية الشريفة حجّة واضحة عليه.

رابعها: قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ﴾ ... إلى قوله: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ** ﴾ ... إلى قوله: ﴿ **فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾[2]

---

١. آل عمران: ٦١.

٢. الأعراف: ١٥٦ و١٥٧.

وتقريب الاستدلال: أنّ الله تعالى اختصّ وجوب الرحمة المدلولة بقوله: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ للموصوفين بالصفات المذكورة، واختصّها في آخرها بقوله: ﴿ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾. فإنّ المراد بالنور هو أميرالمؤمنين عليه السلام لا من جهة لفظ النور، فإنّ إطلاقه بالقرآن أيضاً وارد في القرآن، بل لقوله: ﴿ أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ للفرق البيّن بين «أُنزل إليه» و«أُنزل معه» والقرآن أُنزل إليه، وإنّما النور الّذي أُنزل معه، وكان متابعته سبباً لوجوب الرحمة هو أميرالمؤمنين عليه السلام، وفي لفظة «مع» دلالات أكيدة وإشارات شريفة:

منها: أنّه النور الّذي أُنزل معه أي: مع نور النبوّة لا متأخّراً عنه.

ومنها: أنّ متابعة النبيّ صلى الله عليه وآله تصير سبباً للنجاة والوصول إلى رحمة الله لو كانت مع متابعة أميرالمؤمنين عليه السلام وإلّا فلا.

ومنها: إنّه كافي عامّة المقامات والمراتب الّتي كانت وتكون للنبيّ مع النبيّ خرج منها ما خرج وهو النبوّة، وبقي الباقي ومنه أفضليّته وأشرفيّته على عامّة المخلوقين والممكنات ومنها القرآن.

ولعمري إنّ لفظ الآية الشريفة دالّة على انحصار المنزل معه في عليٍّ عليه السلام ولا حاجة معه إلى دلالة أُخرى، ولكن وردت روايات في أنّ المراد به أميرالمؤمنين عليه السلام للتأكيد.

ففي «الكافي» بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ قال: «النور في هذا الموضع هو أميرالمؤمنين عليه السلام»[١].

وفي «الكافي» أيضاً: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد مسنداً إلى أبي عبيدة الحذّاء، قال: «سألت أبا جعفرٍ عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال: وتلا هذه الآية: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٢]

يا أباعبيدة! الناس مختلفون في إصابة القول وكلّهم هالك.

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٩٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٣١٠ مع اختلاف في النقل.

٢. هود: ١١٨ ـ ١١٩.

قال: قلت: ﴿ إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ ﴾؟

قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ يقول: لطاعة الإمام عليه السلام، والرحمة الّتي يقول: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ يقول: علم الإمام ووسع علمه الّذي هو من علمه كلّ شيء هم شيعتنا.

ثمّ قال: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ يعني: ولاية الإمام وطاعته.

ثمّ قال: ﴿ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوراةِ وَٱلإِنْجِيلِ ﴾ يعني: النبيّ والوصيّ والقائم ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ إذا قام ﴿ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ﴾ والمنكر من أنكر فضل الإمام وجحده ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ ﴾ أخذ العلم من أهله ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ ﴾ قول من خالف ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ وهي الذنوب الّتي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام ﴿ وَٱلأَغْلاَلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ والأغلال: ما كانوا يقولون ممّا لم يكونوا أُمروا به من ترك فضل الإمام، فلمّا عرفوا فضل الإمام وضع عنهم إصرهم، والإصر: الذنوب وهي الآصار.

ثمّ نسبهم فقال: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعني بالإمام ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ يعني: الّذين اجتنبوا الجبت والطاغوت أن يعبدوها، والجبت والطاغوت: فلان وفلان وفلان، والعبادة: طاعة الناس لهم.

ثمّ قال: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ ﴾[١] ثمّ جزّاهم فقال: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ ﴾[٢] والإمام يبشّرهم بقيام القائم وبظهوره وبقتل أعدائهم وبالنجاة في الآخرة والورود على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والصادقين على الحوض»[٣]، انتهى.

وهذا خبر شريف نقلته بطوله لكثرة فوائده ودلائله على المطلوب.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم في معنى الآية:

ثمّ ذكر الله فضل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفضل من تبعه، فقال: «﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ

---

١. الزمر: ٥٤.

٢. يونس: ٦٤.

٣. الكافي، ج ١، ص ٤٢٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٣٥٣.

ٱلْأُمِّيَّ ﴾ ... إلى أن قال: ﴿ **فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ** ﴾ يعني: برسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ **وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ** ﴾ يعنى: أميرالمؤمنين عليه السلام ﴿ **أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾.

فأخذ الله ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء أن يخبروا أُممهم وينصروه، فقد نصروه بالقول وأمروا أُممهم بذلك، وسيرجع رسول الله صلى الله عليه وآله ويرجعون فينصرونه في الدنيا»[1].

وكذلك المنقول عن تفسير العيّاشيّ عن أبي جعفر عليه السلام: «أنّ النور الّذي أُنزل معه هو عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام».

والحاصل، أنّ سياق الآية الشريفة من أوّلها إلى آخرها خصوصاً تخصيص وجوب الرحمة للّذين يؤمنون بعليّ بن أبي طالب عليه السلام المعبّر عنه بما أُنزل مع النبيّ، فيها دلالات وإشارات بحسب التنزيل على مقام عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام ومقارنته مع رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المقامات والفضايل، حتّى أنّ نجاة المؤمن برسول الله صلى الله عليه وآله موقوفة على الإيمان بعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

مضافاً إلى أنّ هذا المقام الثابت في هذه الآية الشريفة لأميرالمؤمنين عليه السلام من اختصاص الفلاح والنجاح للمؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله بمن آمن بعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام مقام جليل ثبت به رفعة مقامه بحيث يساوق مقام النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يثبت هذا المقام للقرآن العظيم.

كيف وعامّة الفِرَق الباطلة ـ خصوصاً المخالفين ـ مؤمنون بالقرآن ويتمسّكون به ويعملون بظواهره بزعمهم وإن أخطأوا في أخذ التفسير من غير أهل التفسير حتّى أنّ جماعة من الخوارج المقاتلين مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعرفون بذي النطاقين ويعلّقون في أعناقهم علاقتين: إحداهما من القرآن والأُخرى للسيف الّذي يقاتلون به مع أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان أكثرهم من العبّاد والنسّاك المتهجّدين في الليل، وكان كلامهم في الخلاف مع أميرالمؤمنين عليه السلام في العمل بحكم القرآن وظاهره، وذلك كلّه من جهة إيمانهم بالقرآن.

وكذلك عامّة الفِرَق الإسلاميّة المؤمنين بالله ورسوله يؤمنون بالقرآن ويعملون به ويأخذون بظواهره ولم يكن ذلك ناجياً لهم ولا مُجدياً بخلاف الإيمان بأميرالمؤمنين والأئمّة

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٣٠٩.

المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ فإنّه ناجٍ لهم ويضع عنهم إصرهم وآثامهم ويختصّهم برحمته.

فهلّا يكفي ذلك في إثبات أفضليّتهم وأشرفيّتهم من القرآن؟ بلى والله! هم أشرف وأجلّ وأفضل منه بنفس القرآن ولفظه. فافهم واغتنم!

خامسها: قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[١] فإنّ المراد بالموصول هو أميرالمؤمنين عليه السلام الناصر له والقيّم، يدفع أعدائه بنفسه الثابت معه في جميع الأهوال والأحوال، كما ظهر ذلك في مواضع عديدة: منها غزوة الأحزاب، وغزوة أُحد، وليلة المبيت وغيرها ممّا لا تحصى.

وهذا أمرٌ معلوم لكلّ مطّلع على أحواله حتّى المخالفين القاصرين المقصّرين عن مقام تفضيله، فهذا هو أبو هريرة على ما رواه شرف الدين النجفيّ، قال: تأويله: ذكره أبو نعيم في «حلية الأولياء» بطريقه عن أبي هريرة قال: «نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وهو المعنيّ بقوله ﴿ **مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾»[٢]، انتهى.

فانظر مقامه عليه السلام حيث قرنه الله في كفايته لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، فقال: ﴿ **حَسْبُكَ ٱللَّهُ** ﴾ وعليّ أميرالمؤمنين عليه السلام، ويعلم ذلك كلّه من الآية الشريفة، فإنّ قبلها: ﴿ **وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ** ﴾[٣].

سادسها: قوله تعالى: ﴿ **فَٱسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[٤].

ففي «الكافي» عن محمّد بن يحيى مسنداً إلى الثماليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أوحى الله إلى نبيّه: ﴿ **فَٱسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ إنّك على ولاية عليٍّ عليه السلام،

---

١. الأنفال: ٦٤.

٢. تأويل الآيات، ص ٢٠١.

٣. الأنفال: ٦٢.

٤. الزخرف: ٤٣.

وعليٌّ هو الصراط المستقيم»[١]، انتهى.

وعلى طبقه وردت الروايات في «بصائر الدرجات»[٢]، وفي تفسير عليّ بن إبراهيم[٣]، وتفسير محمّد بن العبّاس، وكتب المخالفين كابن المغازليّ في «المناقب».

والآية الّتي قبل الآية الشريفة قوله تعالى: ﴿ **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ** ﴾[٤] فوردت في الروايات «فإنّا منهم ـ بعليٍّ ـ منتقمون» تأويلاً وتنزيلاً.

ففي تفسير محمّد بن العبّاس عن يوسف الأزرق في الآية: ﴿ **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم** ـ بعليٍّ ـ **مُّنتَقِمُونَ** ﴾ قال: «مُحيت والله! من القرآن واختلست والله! من القرآن»[٥].

أقول: وأنا أفهم من الآية الشريفة بعد ملاحظة هذه الروايات: أنّ الله تعالى أمر نبيّه بالاستمساك بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وولايته ونصرته له، وهذا مقام رفيع جليل لا يثبت لغير أميرالمؤمنين عليه السلام حتّى القرآن العظيم.

وإن أبيت يكفينا قوله تعالى: إنّك على ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعليٌّ هو الصراط المستقيم»[٦].

وكونه الصراط المستقيم ثابت بالروايات المتواترة بحسب المعنى قطعاً، ويكفينا ذلك في إثبات أشرفيّته وأفضليّته من القرآن، فإنّه لم يرد مثله بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن العظيم، وهذا كافٍ في المطلوب.

فانظر ماقبل الآية وهو الآية السابقة وما بعدها من قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤١٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٣.

٢. بصائر الدرجات، ص ٧١.

٣. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٨٦.

٤. الزخرف: ٤١.

٥. تأويل الآيات، ص ٥٤٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٢، ص ٣١٣.

٦. الكافي، ج ١، ص ٤١٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٣.

وَسَوْفَ تُسْـأَلُونَ ﴾[١] فورد في الروايات: أنّ القرآن مذكّرٌ لك ولقومك يـعني عـليّاً وأولاده الأئمّة المعصومين، وسوف تُسئلون عن ولايته؛ فالقرآن مبلّغٌ ولايتهم كرسول الله ﷺ.[٢]

وبعد هذه الآية: ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٣] وورد في تفسيرها روايـات مـتظافرة بأنّ السـؤال كـان ليـلة المـعراج، وأجابوه عليهم السلام بأنّ الله بعثنا بتوحيده ورسالتك وولاية عليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام.[٤]

ويكفينا هذا القدر من الآيات وفي ما ذكرنا لك في هذه الأخيرة من الإشـارة إلى قـبلها وبعدها دُستوراً وميزاناً في أنّ أكثر آيات القرآن العـظيم قـد ورد تأويـلها في ولايـة الأئمّـة المعصومين.

فتصفّح في تفسير عليّ بن إبراهيم الّذي اعتمد صاحب الرسالة على ذكره خبر الثقلين في ديباجة تفسيره دراية مشيراً إلى اعتقاده بأكبريّة القرآن العظيم منه، فقلّما آية فيها إشعار بخير أو سوء إلّا وقد أورد تأويلها في ولاية عليٍّ عليه السلام وأولاده أو البرائة من أعدائه وأعدائهم.

وتصفّح تفسير العيّاشيّ، وتصفّح تفسير فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ وتفسير محمّد بن العبّاس الماهيار، وقد وثّقه جمع من العلماء العاملين، مثل السيّد الأجلّ عليّ بن طاووس في كتاب «اليقين في تسمية مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام» بأنّـه صرّح بـتوثيقه وأمـانته وجـلالته مكرّراً. ومثل السيّد الصمدانيّ السيّد هاشم البحرانيّ، فإنّه صرّح غير مرّة في كتابه «غـاية المرام» وتفسيره «البرهان» بأنّه الثقة الجليل الأمين إلى غير ذلك من التـعظيمات، وبـالغ في الثناء عليه في كتاب «اليقين» بما فوق الوثاقة مكرّراً.

وأكمل من الكلّ في هذا المطلب ما كتبه صاحب كتاب «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار» الّذي برز منه هذه المـقدّمة الشريـفة لتـفسير القـرآن، وقـد ألحـقه أهـل العـصر بـتفسير

---

١. الزخرف: ٤٤.

٢. تأويل الآيات، ج ٢، ص ٥٦٢.

٣. الزخرف: ٤٥.

٤. تأويل الآيات، ج ٢، ص ٥٦٤.

«البرهان»، وسمعت من بعض العلماء المعاصرين أنّه رأى منه شيئاً من تفسيره ذلك في سورة البقرة وآل عمران، وقال: إنّه مأة ألف بيت أو ما يقربه، وهو موجود عند أحفاد صاحب «الجواهر» ﷺ، ونقل أنّهم قالوا: إنّ المصنّف لهذا التفسير هو جدّ شيخنا صاحب «الجواهر» من قبل أُمّه، كما صرّح به في «الجواهر»، وإسمه الشريف المولى أبوالحسن.

ونقل له كتاباً شريفاً في الإمامة يزيد على مأة ألف بيت، وأرجو من ألطاف الله وبركاته أن يرينا تفسيره وكتابه في الإمامة، فإنّه في كتابه المرآة ذلك قد ادّعى أنّ ظاهر القرآن وتنزيله في الأُصول الثلاثة المعروفة من التوحيد والنبوّة والمعاد، وباطنه وتأويله مخصوص بالولاية وإمامة الأئمّة الهادية، والبرائة من أعدائهم. وقد أثبته بما لا مزيد عليه بأدلّة قويمة يقطع الأعذار، ويفضح أهل الإنكار.

وبعد الإيمان ببطن القرآن بمقتضى الأخبار المتواترة في أنّ له بطناً وبطوناً، وأنّه من الله تبارك وتعالى كما أنّ ظاهره منه جلّ جلاله، وملاحظة ما ورد في تأويلها من أوّلها من قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[1] و﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[2] فعليٌّ هو الصراط المستقيم، والكتاب عليّ لا شكّ فيه ... إلى قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[3] وما ورد أنّ الأئمّة هم المحسودون، وأنّ الفلق تابوت فيه الخليفتان.

فهل يبقى شكّ في أنّ الغرض من القرآن العظيم وإرساله باطناً هو تبليغ ولايتهم وإمامتهم للناس إلى يوم القيامة؟ فإنّه لا شكّ ولا ريب أنّ الغرض والفائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب هو هداية الناس وإرشادهم إلى النجاة من الشقاوة الأبديّة والفوز بالسعادة السرمديّة.

ولا شكّ ولا ريب في أنّ طريق النجاة هذا منحصرٌ في ولاية عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وإمامته والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

---

١. الفاتحة: ٦.

٢. البقرة: ١ و٢.

٣. الفلق: ٥.

وإذا ثبت ذلك بهذا التقرير والتحرير، فلا يبق شكّ وريب في أفضليّتهم من كتاب فضائلهم مناقبهم وبيان الإرشاد إلى متابعتهم وإمامتهم. فافهم واغتنم!

وإذا أحطْتَ خُبْراً بما تلوناه عليك من وجوه العقل وآيات القرآن العظيم، تعلم علماً يقيناً أنّهم أفضل وأجلّ وأشرف من القرآن العظيم، فهل تجد في نفسك احتمالاً غير ذلك معتَمَداً على رواية الثقلين بمحض أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قد جعل القرآن أكبر منهم، مع أنّ المتواتر من هذه الروايات هو الخالي عن هذا اللفظ، أو عن تعيينه.

وتواتر المشتمل على هذا اللفظ مع التعيين غير معلوم مع تغييره في بعضها بلفظ «الأطول» البعيد في الغاية عن معنى الأفضليّة، وأكثر الروايات فيها أنّ أحدهما أكبر من الآخر من غير تعيين.

وستعرف التصريح بعدم تواتر ذلك من شيخنا البهائيّ، وادّعى أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «أحدهما أكبر من الآخر» وأجمله ولم يعيّن الأكبر، ولعلّه أخفاه لمصلحة كإخفاء ليلة القدر، والمصلحة تعظيمهما معاً مع ما عرفت من معنى الأكبر، وبُعد التعبير عن الأفضليّة والأشرفيّة بالأكبريّة بحسب العرف، ولا يكون بعيداً حمل التعيين على زعم الحاضرين بأنّ القرآن الّذي هو عندكم حجّة من الله الكريم هو خليفتي عليكم ولا يفارق عترتي ولا يفارقونه فإن أخذتم به أخذتم بهم، وإن أخذتم بهم أخذتم به، وأخذكم بهذه الحجّة عندكم يكفي لدلالته وأمره وتحريصه بالأخذ بهم والتمسّك بحبلهم، ولكنّ الأفضل والأكبر هو أهل بيتي، لأنّهم القيّم بالقرآن، المفسّر له العالم بتفسيره وتنزيله وتأويله.

فلا أستبعد أنّ الأخبار المشتملة على أنّ أحدهما أكبر من الآخر وهو أكثرها دالٌّ على أشرفيّتهم، وما اشتمل على التعيين مبنيٌّ على زعم الحاضرين من جهة إلزامهم بعقيدتهم، فلا تبق حجّة لصاحب الرسالة، وعرفت خبطه من أنّه لا يتصوّر خلاف ذلك.

[وأمّا الأخبار]

الثالث: الأخبار وهو العمدة العماد في إثبات هذا المراد، ومنها يتحقّق هذا المفاد، وفي

ضمنها يتبيّن الإجماع من علمائنا الأعلام، ويتّضح تقريرات الوجوه العقليّة الّتي ذكرناها في المقام، وفي مطاويها يذكر آيات من كتاب الملك العلّام، بل يتضوّع منها نور الولاية في قلوب أهل الإيمان والإسلام، وهي أصناف:

الصنف الأوّل:

ما يدلّ على أنّ نوع الإنسان أشرف المخلوقات وأجلّ الكائنات الأرضين والسماوات، فضلاً عن ساير الحيوانات والجمادات

أقول: إعلم! أوّلاً أنّ أشرفيّة نوع الإنسان من سائر أنواع المخلوقات ممّا لا حظّ للعقل الصّرف مستقلّاً فيها إلّا في بعض الأفراد. وأمّا عموماً فانحصر الدليل في السمعيّات من الكتاب والسنّة بأنواع الدلالات.

أمّا أشرفيّته من السفليّات من الأرضين والجبال والجمادات والنباتات وسائر أنواع الحيوانات، فممّا لا يحتاج إلى البيان؛ لأنّ نوع الإنسان من أهل العقول والتكليف، وشرافته على غير ذوي العقول الساقطة عنهم التكاليف ظاهرة معلومة، فيبقى الكلام بالنسبة إلى نوع الأجنّة وأنواع العلويّات.

أمّا تفضيله على نوع الجنّ، فقد نطقت به آيات من القرآن ـ وستعرفها في مقام أشرفيّته من الملائكة ـ وأخبار كثيرة في كونهم قبل الإنسان في الأرض، فعصوا ربّهم وجعلهم تحت الأرض، وآيات وأخبار تدلّ على أنّ إبليس الأبالسة منهم وقد كان من مؤمني الجنّ، فلمّا رأى عصيانهم دعا الله في مفارقته عنهم فجعلهم تحت الأرض، فعبد الله حتّى أصعده في السماء، فعبد الله وأصعده من سماء إلى سماء، حتّى صار أعبد الملائكة وخطيبهم وواعظهم، حتّى خلق الله آدم فأمرهم بالسجود فأبى واستدلّ بأنّه خير من آدم؛ فردّه الله وطرده وأبعده ولعنه.

وأمّا العلويّات، فغير ذوي العقول منها كالأفلاك والكواكب السيّارة وغيرها ـ إن قلنا بأنّهم من غير ذوي العقول، كما هو الظاهر من بعض الأخبار ـ فمعلوم أيضاً لشرافة ذوي العقول على غيرها. ولو قلنا بأنّها ذوات العقول والإدراك، فحالها حال الملائكة، وبالقياس

إلى الملائكة يعلم أحوالها.

وأمّا بالنسبة إلى الملائكة، فيكفي في تفضيل الإنسان على الملائكة ما أورده الصدوق في كتاب «علل الشرايع» رسالة عن محمّد بن بحر الشيبانيّ المعروف بالذهبيّ في كتابه من قول مفضّلي الأنبياء والرسل والأئمّة والحجج على الملائكة، وهي طويلة نقلها بطولها العلّامة المجلسيّ في مجلّد السماء والعالم من كتاب «بحار الأنوار».

وحاصلها مع نهاية الاختصار والإشارة بما ذكره في آخر الرسالة هو أنّ ترتيب الله عزّ وجلّ في خلق العالم يدلّ على ذلك، فإنّه جعل الأرض دون النّامي، والنّامي أعلا وأفضل من الأرض، وجعل النامي دون الحيوان، وجعل الحيوان أعلى وأرفع من النامي، وجعل الحيوان الأعظم دون الحيوان الناطق، وجعل الحيوان العالم الناطق المحجوج دون الحيوان العالم الحجّة.

ويجب على هذا الترتيب أنّ العرب المبين أفضل من العجم الغير الفصيح، ويكون المأمور المزجور مع تمام الشهوات وما فيهم من طباع حبّ اللذات ومنع النفس من الطلبا والبغيات ومع البلوى بعد ويمهل يمتحن بمعصيته إيّاه وهو يزيّنها له محسناً بوسوسة في قلبه وعينه أفضل من المأمور المزجور مع فقد آلة الشهوات وعدم معادات هذا المتوسّل له بتزيين المعاصي والوسوسة إليهم.

ثمّ إنّ هذا الجنس نوعان: حجّة ومحجوج، والحجّة أفضل من المحجوج، ولم يحجج آدم الّذي هو أصل البشر بواحد من الملائكة تفضيلاً من الله عزّ وجلّ إيّاه عليهم، وحجج جماهير الملائكة بآدم فجعله العالم بما لم يعلموا، وخصّه بالتعليم ليبيّن لهم أنّ المخصوص بما خصّه به ممّا لم يخصّهم أفضل من غير المخصوص بما لم يخصّه به.

وهذا الترتيب حكمة الله عزّ وجلّ؛ فمن ذهب يروم إفسادها ظهر منه عناد في مذهبه، والحادُ في طلبه، فانتهى الفضل إلى محمّد وآله ، لأنّه وارث آدم وجميع الأنبياء، ولأنّه الاصطفاء الّذي ذكره الله عزّ وجلّ، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ

عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾[1] فمحمّد ﷺ، الصفوة والخالص نجيب السجاية من آل إبراهيم فصار خير آل إبراهيم بقوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾[2] واصطفى الله ـ جلّ جلاله ـ آدم ممّن اصطفاه عليهم من روحانيّ وجسمانيّ، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

ونقله الصدوق وأمضاه وما ردّ ما فيه إلّا ما فيه من أنّ إبليس من الملائكة، فقال: «إنّه من الجنّ، وهاروت وماروت كانا ملكين»[3]... إلى آخر ما ذكره.

والعمدة في الباب هو الكتاب والسنّة:

أمّا الكتاب:

فآيات كثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[4]... إلى آخر الآيات الدالّة على أمر الملائكة بالسجود لآدم، وعصيان إبليس، ودلالتها على المرام من وجوه:

منها: أنّ خليفة الله من نوع البشر، ولم نجد إطلاق هذه المنقبة العظيمة على ملك في السماء والأرض، كما سبق.

منها: إنّ الله تعالى أمر بسجود الملائكة لآدم، والحكيم لا يأمر بسجود الأفضل للمفضول، كما هو ظاهر.

ومنها: تعليم آدم للملائكة بأسماء الأشياء، ولا ريب أنّ العالم أفضل من الجاهل، والمعلّم أفضل من المتعلّم.

ومنها: طرده لإبليس حيث استكبر عن سجود آدم فصار من الملعونين المطرودين إلى يوم

---

١. آل عمران: ٣٣.

٢. آل عمران: ٣٤.

٣. علل الشرايع، ج ٢، ص ٤٨٩؛ بحارالأنوار، ج ٦٢، ص ٢٢٥ مع اختلاف في النقل.

٤. البقرة: ٣٠.

الدين.

ومن الآيات: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[1] فإنّ التكريم مرادف، أو مساوق، أو ملازم للتفضيل، وحذف المتعلّق يفيد العموم، أي: كرّمناهم على جميع المخلوقين ومنهم الملائكة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] وتقريب الاستدلال بها أنّ الله تبارك وتعالى وصف نفسه بالأكرم عند وصف خلق الإنسان من شيء خسيس كالعلق، ثمّ وصفه بتعليمه بالقلم وما يعلم، ولم يصف نفسه بهذا الوصف في خلق الملائكة والعرش والكرسيّ والسماوات والأرض، ولا نهاية لكرم الله ـ جلّ جلاله ـ وتفضّله وإحسانه مع الإنسان.

ومن الآيات: الدالّة على المرام قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾[3]

فإنّه تبارك وتعالى لمّا قال: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ وهو الإنسانيّة، وخلق العلق والإدراك فيه، وهو المسمّى بالنفس الناطقة المايزة له عن سائر الحيوانات، قد أثنى على نفسه، فقال: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾ ولم يقل مثله في خلق السماوات والأرضين ولا الملائكة المقرّبين.

وفي «الفقيه» رواية في هذه الآية الشريفة يعجبني ذكرها في هذا المقام، فروى بإسناده إلى جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا وقع الولد في جوف أمّه ـ وساق

---

١. الإسراء: ٧٠.

٢. العلق: ١ ـ ٥.

٣. المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

الكلام في حالاته إلى خروجه في الدنيا وإلى كبره ورشده، ثمّ قال: ـ وقد ذكر الله تعالى نسبة الإنسان في محكم كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ ﴾ ... إلى قوله بعد ﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾ .. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[١].

قال جابر بن عبدالله الأنصاريّ: فقلت: يا رسول الله! هذه حالنا، فكيف حالك وحال الأوصياء بعدك في الولادة؟

فسكت رسول الله ﷺ مليّاً، ثمّ قال: يا جابر! لقد سألت عن أمرٍ جسيمٍ لا يحتمله إلّا ذو حظٍّ عظيمٍ، إنّ الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله ـ جلّ ثناؤه ـ يودع الله أنوارهم أصلاباً طيّبة وأرحاماً مطهّرة طاهرة، يحفظها بملائكته، ويربّيها بحكمته، ويغذوها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف، وأحوالهم تدقّ عن أن تُعلم، لأنّهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريّته، وخلفاؤه على عباده، وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه. يا جابر! هذا من مكنون العلم ومخزونه؛ فاكتمه إلّا من أهله»[٢]، انتهى.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾[٣]

فإنّ نسبة خلق الإنسان بيديه مع نسبة خلق غيره بأمر «كُن» كما يدلّ عليه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٤] وما نسب خلق غيره بيديه وهذا كمال العناية منه ـ جلّ جلاله ـ في حقّ الإنسان.

ومنها: الآيات الدالّة على خلق العالم للإنسان، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي

---

١. المؤمنون: ١٥ و١٦.

٢. الفقيه، ج ٤، ص ٤١٣؛ بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٣٥٢.

٣. ، ص: ٧٥.

٤. يس: ٨٢.

٥. البقرة: ٢٩.

ٱلأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ مِهَاداً * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً * وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ﴾[٢]

فإنّ جميع هذه الآيات في مقام الامتنان وإحصاء النعم الّتي خلقها الله للإنسان.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ ﴾[٣]... إلى غير ذلك من الآيات الّتي نزلت على أنّ خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والجبال والأنهار والأنعام وأنواع الحيوان للإنسان، والإنسان كالمخدوم المطاع في هذا العالم بخدمة السماوات والأرضين والرياح وأنواع الحيوان ليتعيّش بها الإنسان.

فخلق السماوات كالسقف لهذه الدنيا والأرض وإدارتها ليحصل به الربيع والصيف والخريف والشتاء، ويحصل بتربيتها أنواع النبات لأكل الإنسان، وأنزل من السماء ماء ليخضّر الأرض، ويخرج منه الحبوب والأشجار، ويحصل منه الأثمار المأكولة، وليشرب منه الإنسان، فإنّ منه الحياة، وجعل الشمس والقمر منوّرين كالسّراجين لتنوّر الأرض بهما، ولتربيتها ما في الأرض.

---

١. المؤمنون: ١٨ ـ ٢١.

٢. النبأ: ٦ ـ ١٦.

٣. يس: ٧١ ـ ٧٣.

فالإنسان هو المقصود من خلق هذا العالم لانتظام أُمور معاشه ليتمّ به حياته، ويعرف ربّه، ويعبد إلهه، ويتخلّق بأخلاقه، ولا يزال يتقرّب به حتّى يعود إلى ما بدأ منه، ويرجع إلى ما خرج منه، كما في أخبار متعدّدة.

ففي «الكافي»:

«لا يزال عبدي المؤمن يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أكون سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به ... إلى أن قال: وما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض روح عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مسائته»[١] ... إلى آخر الخبرا لشريف المشهور، وسيجيء الإشارة إلى هذه الأخبار في مطاوي أبواب المقام الثالث إن شاء الله.

ويظهر من هذه الأخبار كمال العناية الرحمة والرأفة من الله سبحانه في حقّ الإنسان المقصود منه المؤمن خصوصاً إظهاره التردّد فيما حتم لهم من الموت من جهة مسائته لهم.

فانظر! هل تجد مثل هذه العطوفة والعناية في حقّ أحدٍ من الملائكة ... إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على أنّ المقصود من خلق العالم هو الإنسان، ولا تطيق إحصاءها حوصلة هذه الرسالة المختصرة.

ومنها: ما يدلّ على تفضيل المؤمن على الملائكة، وسيجيء الإشارة إليها.

ومنها: ما يدلّ على أنّ مطلق الأنبياء أفضل من الملائكة، ولا ريب في أنّ الملائكة أشرف وأفضل من ساير المخلوقات؛ فيدلّ على أنّ الأنبياء أفضل من عامّة المخلوقات.

ومنها: ما يدلّ على أنّ محمّد وآله الطاهرين أفضل من الأنبياء حتّى أُولواالعزم منهم، فتدلّ على أنّ محمّداً وآل محمّد عليهم السلام أجلّ وأشرف وأفضل من عامّة المخلوقات.

ومنها: القرآن خصوصاً، القرآن الّذي بأيدينا في المصاحف والصدور والألسنة.

فإن قلت: إنّ هذا الاستدلال بأشرفيّة الإنسان على الملائكة يقتضي أن يكون أفراد الإنسان بما هو إنسان أجلّ وأشرف من القرآن العظيم والملائكة المقرّبين، وهذا ممّا لم يقل به أحد.

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٧٢، ص ١٥٥ مع اختلاف في النقل.

قلت: لا، فإنّ أقصى ما يدلّ عليه هذه الأدلّة أنّ هذا الجنس أجلّ وأشرف من ذلك الجنس، أي: جنس الإنسان أجلّ وأشرف من جنس الملائكة ومن ساير الأجناس، ولا يلزم منه أفضليّة كلّ أحد من أفراد الإنسان على كلّ فرد من أفراد الملائكة، كما صرّحوا بذلك في بحث المعرّف بـ«لام الجنس»، فقالوا: إنّ الرجل خير من المرأة، وهذا لا يدلّ على أنّ كلّ فرد من أفراد الرجل خير من كلّ فرد من أفراد المرأة، بل المراد أنّ هذا النوع ـ مع قطع النظر عن الأفراد ـ خير من ذلك النوع.

ولو قلنا في مثل المقام بأنّ أكثر أفراد الرجل خير من أكثر أفراد المرأة لكان له وجه وجيه فنقول بمثله فيما نحن فيه، ونقول: إنّ أكثر أفراد الإنسان أجلّ وأشرف من أكثر أفراد الملائكة بتقريب أنّ الكفّار هم شرّ من الأنعام فهم خارج عن المقام، فيبقى المؤمنون والمسلمون، وفيهم يصدق هذا الكلام: إنّ أكثر أفرادهم خير من أكثر أفراد الملك، فإنّه قد روينا عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «إنّ من الملائكة من باقة بقلٍ خيرٌ منه»[1].

وكذلك يصحّ أن يقال: إنّ أكثر أفراد الإنسان أجلّ وأشرف من أكثر أفراد القرآن، فإنّ الأنبياء والأوصياء خصوصاً نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم أجلّ وأشرف من أكثر أفراد القرآن.

وقد يقال: إنّ المؤمنين أجلّ وأشرف من هذه المصاحف الّتي بأيدينا. وستقف على كلام العلّامة المجلسيّ رحمه الله في كتابه الفارسيّ المسمّى بـ«مشكاة الأنوار» فإنّه قال: إنّ شرف القرآن بشرف محلّه؛ فالقرآن الّذي في صدور محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام أفضل أفراده وهم أفضل منه، والقرآن الّذي في صدور المؤمنين أشرف من المصاحف.

وقد يقال: إنّ المؤمن أشرف منها، وصاحب الرسالة قد نقل هذا وزيّفه وأورد عليه بما يناقض كلماته السابقة، وأنقله لك إن شاء الله وأُبيّن تزييف ما زيّفه به.

وأمّا الأخبار: الواردة في أنّ الأنبياء والحجج أجلّ وأشرف من الملائكة، فتدلّ على أشرفيّتهم على عامّة المخلوقات فسأتلوها عليك إن شاء الله. وقبل الخوض فيها أنقل في المقام كلمات العلماء، ثمّ نردفها بأخبار الباب.

---

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٣١٣.

قال شيخنا المفيد في كتاب «المقالات»: اتّفقت الإماميّة على أنّ أنبياء الله ورسوله من البشر أفضل من الملائكة، ووافقهم على ذلك أصحاب الحديث، واجتمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعم الجمهور منهم أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء والرسل، وقال نفرٌ منهم ـ سوى ما ذكرناه ـ بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر، وكان اختلافهم في هذا الباب على ما وصفناه، وإجماعهم على خلاف القطع بفضل الأنبياء على الملائكة حسبما شرحناه.

ثمّ قال: أمّا الرسل من الملائكة والأنبياء فقولي فيهم مع أئمّة آل محمّد عليهم السلام كقولي في الأنبياء والرسل، وأمّا باقي الملائكة فإنّهم وإن بلغوا بالملائكة فضلاً فالأئمّة من آل محمّد عليهم السلام أفضل منهم وأعظم ثواباً عند الله بأدلّة ليس موضعها هذا الكتاب.[١]

وقال صاحب كتاب «الياقوت»: الأنبياء أفضل من الملائكة، لاختصاصهم بشرف الرسالة مع مشقّة التكليف.

وقال العلّامة رحمه الله في شرحه: اختلف الناس في ذلك، فذهب الإماميّة وجماعة من الأشاعرة إلى أنّ الأنبياء أشرف من الملائكة. وقالت المعتزلة والفلاسفة: بل الملائكة أشرف.

وقال الصدوق رحمه الله في رسالة العقايد: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والحجج أنّهم أفضل من الملائكة، وقول الملائكة لله تعالى لمّا قال لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[٢] هو تمنّي فيها لمنزلة آدم، ولم يتمنّوا إلّا منزلة فوق منزلتهم.

والعلم يوجب فضيلة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[٣]

---

١. أوائل المقالات: ص ٤٩.

٢. البقرة: ٣٠.

٣. البقرة: ٣١ ـ ٣٣.

هذا كلّه يوجب تفضيل آدم على الملائكة وهو نبيّ لهم، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾.

وممّا يثبت تفضيل آدم على الملائكة أمر الله بالسجود لآدم عليه السلام، وقوله: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾[1] ولم يأمرهم بالسجود إلّا لمن هو أفضل، وكان سجودهم لله ـ عزّ وجلّ ـ طاعة لآدم، وإكراماً لما أودع الله صلبه من أرواح النبيّ والأئمّة عليهم السلام، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا أفضل من جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومن جميع الملائكة المقرّبين، وأنا خير البريّة وسيّد ولد آدم»[2] ... إلى آخر كلامه.

وقال السيّد الشريف المرتضى رحمه الله في كتابه المعروف بـ«الغرر والدرر» في تفضيل الأنبياء على الملائكة:

«إعلم أنّه لا طريق من جهة العقل إلى القطع بفضل مكلّف على الآخر؛ لأنّ الفضل المراعى في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب، ولا سبيل إلى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات؛ لأنّ الطائعين قد تتساوى في ظاهر الأمر حالهما وإن زاد ثواب واحدة على الأُخرى زيادة عظيمة.

وإذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالمرجع فيه إلى السمع، فإن دلّ سمع مقطوع به من ذلك على شيء عوّل عليه، وإلّا كان الواجب التوقّف عنه والشكّ فيه.

وليس في القرآن ولا في سمع مقطوع على صحّته ما يدلّ على فضل نبيٍّ على ملك ولا ملك على نبيّ، وسنبيّن أنّ آية واحدة ممّا يتعلّق به في تفضيل الأنبياء على الملائكة يمكن أن يستدلّ بها على ضرب من الترتيب نذكره، والمعتمد في القطع على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة إجماع الشيعة على ذلك؛ لأنّهم لا يختلفون في هذا، بل يزيدون ويذهبون إلى أنّ الأئمّة أفضل من الملائكة أجمعين، وإجماعهم حجّة؛ لأنّ المعصوم في جملتهم.

وقد بيّنّا في مواضع من كتبنا كيفيّة الاستدلال بهذه الطريقة، وأجبنا عن كلّ سؤال يسئل

---

١. الحجر: ٣٠ ـ ٣١.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٣٤٧.

عنه فيها، وبيّنّا كيف الطريق مع غيبة الإمام إلى العلم بمذاهبه وأقواله، وشرحنا ذلك، فلا معنى للتشاغل به.

هذا، ويمكن أن يستدلّ على ذلك بأمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم، وأنّه يقتضي تعظيمه عليهم وتقديمه وإكرامه، وإذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل علمنا أنّ آدم أفضل من الملائكة، وكلّ من قال: إنّ آدم أفضل من الملائكة، ذهب إلى أنّ جميع الأنبياء أفضل من جميع الملائكة، ولا أحد من الأُمّة فصّل بين الأمرين»[١].

ثمّ أطال الكلام في الجواب عن شُبه المنكرين، ولا نطيل الكلام بذكره، فإنّ المقصود نقل إجماع الشيعة على ذلك.

وقال الدوانيّ في «شرح العقايد»: هم ـ أي الأنبياء ـ أفضل من الملائكة العلويّة عند أكثر الأشاعرة، ومن الملائكة السفليّة بالاتّفاق، وعامّة البشر من المؤمنين أيضاً أفضل من عامّة الملائكة[٢]... إلى آخر ما قال.

وقال شارح «المقاصد»: ذهب جمهور أصحابنا والشيعة إلى أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة... إلى أن قال: لنا وجوه عقليّة ونقليّة:

الأُولى: إنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، والحكيم لا يأمر بسجود الأفضل للأدنى، وساق الكلام فيه.

الثانية: أنّ آدم أنبئهم بالأسماء وبما علّمه الله من الخصائص، والمعلّم أفضل من المتعلّم، وساق الكلام فيه.

الثالث: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾[٣] وقد خصّ من آل إبراهيم وآل عمران غير الأنبياء بدليل الإجماع؛ فيكون آدم ونوح وجميع الأنبياء مصطفون على العالمين، الّذين منهم الملائكة، إذ لا مخصّص للملائكة من

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٢٨٥.

٢. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٢٩٣.

٣. آل عمران: ٣٣.

العالمين.

الرابع: إنّ للبشر شواغل عن الطاعات العلميّة والعمليّة كالشهوة والغضب وسائر الحاجات الشاغلة والموانع الخارجة والداخلة، فالمواظبة على العبادات وتحصيل الكمالات بالقهر والغلبة على ما يضادّ القوّة العاقلة يكون أشقّ وأفضل وأبلغ في استحقاق الثواب، ولا معنى للأفضليّة سوى زيادة استحقاق الثواب والكرامة(١).

وأطال الكلام في الجواب عن الشُبَه وعن أدلّة المخالف.

وقال العلّامة المجلسيّ قدس سره القدّوسيّ:

إعلم! أنّ المسلمين اختلفوا في تفضيل الملائكة على البشر أو العكس، فذهب أكثر الأشاعرة إلى أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، وصرّح بعضهم بأنّ عوام البشر من المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواصّ الملائكة أفضل من عوام البشر ـ أي غير الأنبياء ـ وذهب أكثر المعتزلة إلى أنّ الملائكة أفضل من جميع البشر، ولا خلاف بين الإماميّة في أنّ الأنبياء والأئمّة أفضل من جميع الملائكة، والأخبار في ذلك مُستفيضة(٢)، انتهى.

ولو استقصينا ما وصل إلينا من كلماتهم لطال الكلام، وربّما انجرّ إلى الملام، وفيما ذكرناه غنية للمرام، وتحصّل منها تحقّق الإجماع من الإماميّة على تفضيل الأنبياء على الملائكة، وتفضيل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله أجمعين ـ على الأنبياء، ويتحقّق منه إجماعهم على تفضيلهم على عامّة المخلوقات الّتي منها القرآن الّذي بأيدينا؛ وهو المطلوب، وتفضيل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم على عامّة الأنبياء مُجمَعٌ عليه.

وأمّا الإجماع على تفضيل الأئمّة على عامّة الأنبياء فيُعلم من اتّفاقهم على أنّ كلّ فضل ثابت للرسول الخاتم فهو ثابت لعليّ أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا النبوّة، ومن اتّفاقهم وتلقّيهم بالقبول نقل الأخبار المستفيضة في تفضيل عليّ عليه السلام على سائر الأنبياء، وستعرفها إن شاء الله.

ومن اتّفاقهم على نقل خصوص خبر المنزلة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٢٩٣.

٢. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٢٨٥.

هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[١] كما ستعرف.

وإذا ثبت في عليٍّ عليه السلام ذلك ثبت في سائر الأئمّة، لعدم القول بالفصل منهم في المقام، وإن اختلفوا في اختلافهم في الفضل وتساويهم.

هذا هو تمام الكلام في كلمات علماء الأعلام، الحاصل منه الإجماع على المرام، وستعرف إنكار صاحب الرسالة لهذاالإجماع، وتصريحه بخلافه وتزييف كلامه إن شاء الله.

وأمّا الأخبار، فكثيرة جدّاً أذكر منها يسيرة اقتصاراً، وأُسقط سندها اختصاراً، وأُشير إلى الكتاب المأخوذ منه اعتباراً:

أحدها: ما في «الاحتجاج» فيما سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام:

«الرسول أفضل أم الملك المرسَل إليه؟

قال: بل الرسول أفضل»[٢].

والتقريب: أنّ الخبر يدلّ على أنّ الرسول الخاتم أفضل من جبرئيل، وإذا ثبت أفضليّته من ساير الملائكة لأنّه سيّد الملائكة، ولعدم القول بالفصل، بل يدلّ على أنّ كلّ رسول أفضل من جبرئيل؛ لأنّ جبرئيل هو المرسَل إلى الأنبياء بالوحي والأحكام.

ثانيها: في «العلل» بإسناده إلى عبدالله بن سنان قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟

قال: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما؛ فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم»[٣]، انتهى.

وهذا خبرٌ شريفٌ صريح الدلالة، مبيّن العلّة.

---

١. الكافي، ج ٨، ص ١٠٦؛ الاحتجاج، ج ١، ص ١٨٩؛ إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٢١٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٩، ص ٨٢.

٢. الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٤٨؛ بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٢٩٨.

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ٤؛ بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٢٩٩.

ثالثها: ما في «صحيفة الرضا عليه السلام» بالإسناد عنه عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن عند الله كمثل ملك مقرّب، وأنّ المؤمن عند الله أعظم من ملك، وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب، أو مؤمنة تائبة»(١)، انتهى.

والسياق يدلّ على أنّ مراده من ملك جنس الملك ونوعه لا فرد منه، وهذا الخبر من جهة إطلاق المؤمن أحسن للمرام.

رابعها: ما فيه أيضاً بهذا الإسناد قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ المؤمن ليعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده، وإنّه أكرم عند الله ـ عزّ وجلّ ـ من ملك مقرّب»(٢).

خامسها: في «مجالس» ابن الشيخ مسنداً إلى زيد بن عليّ عن أبيه في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾(٣) يقول: «فضّلنا بني آدم على سائر الخلق ﴿ **وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ يقول: على الرطب واليابس، ﴿ **وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ** ﴾ يقول: من طيّبات الثمار كلّها»...(٤) الخبر.

والتقريب من قوله: «فضّلنا بني آدم على سائر الخلق».

وهذه الأخبار يدلّ على أنّ الإنسان المؤمن خير من الملك المقرّب، فكيف بالأنبياء؟ وكيف بسيّدهم ومن في مرتبته؟

سادسها: ما في كتاب «تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام» للكراجكيّ بإسناده عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه قال:

«لمّا حمل المأمون أبا هدنة مولى أنس إلى خراسان، بلغني ذلك، فخرجت في لقائه، فصادفني في بعض المنازل، فرأيت رجلاً طويلاً خفيف العارضين، منحنياً من الكبر، وقد اجتمع عليه الناس، فقلت: حدّثني رحمك الله! فإنّي أتيتك من بلدٍ بعيدٍ أسمع منك.

---

١. صحيفة الرضا عليه السلام، ص ٤٦؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٩؛ بحارالأنوار، ج ٦، ص ٢١.

٢. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٢٩٩.

٣. الإسراء: ٧٠.

٤. الأمالي للشيخ الطوسي، ص ٤٨٩.

فلم يحدّثني من الرحمة الّتي كانت[١]، ثمّ رحل فتبعته إلى المرحلة الأُخرى، فلمّا نزل أتيته، فقلت له: حدّثني رحمك الله!

قال: أنت صاحبي بالأمس؟

قلت: نعم.

قال: إذاً والله! لا أُحدّثك إلّا قائماً لما بدا لي إليك، لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان عنده علم فكتبه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار[٢].

ثمّ قام قائماً وقال: كنت رأيت مولاي أنس بن مالك وهو معصّب بعصابة بيضاء، فقلت: وما هذه العصابة؟

قال: هذه دعوة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقلت: وكيف؟

فقال: أُهدي إلى رسول الله ﷺ طائر ورسول الله ﷺ في بيت أُمّ سلمة، وأنا حينئذٍ أحجب رسول الله، فأصلحته أُمّ سلمة وأتت به رسول الله ﷺ، وقالت أُمّسلمة: احتجب الباب ليتناول رسول الله ﷺ.

فلزمت الباب وقدّمته إلى النبيّ ﷺ، فلمّا وضعته بين يديه، رفع رسول الله ﷺ يديه وقال: اللّهمّ ايتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر.

سمعت دعوة رسول الله ﷺ وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فأتى عليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ عنك مشغول.

فانصرف، ثمّ دعا رسول الله ﷺ ثانية وقال: ايتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذاالطائر.

فأتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ عنك مشغول.

فانصرف، ثمّ دعا ﷺ ورفع رأسه ثالثة وقال: يا ربّ! ايتني بأحبّ خلقك إليك يأكل

---

١. في بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠٠: «الزحمة» بالزاء العجمة بدل «الرحمة».

٢. في نسخة: نار.

معي هذا الطائر.

فأتى عليّ عليه السلام، فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنك مشغول.

فقال: وما يشغل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنّي.

ودفعني، فدخل، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبّل مابين عينيه، فقال: يا أخي! من الّذي حبسك عنّي وقد دعوت الله ثلاثاً أن يأتيني بأحبّ خلقه إليه يأكل معي من هذا الطائر؟

فقال: قد جئت ثلاثاً كلّ ذلك يردّني أنس.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لم رددت عليّاً؟

فقلت: يا رسول الله! إنّي سمعت دعوتك فأحببت أن يكون رجلاً من الأنصار فأفتخر به الأبد.

فقال عليّ عليه السلام: اللّهمّ ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس.

فظهر هذا الّذي ترى وهي دعوةُ عليٍّ عليه السلام»[1]، انتهى.

أقول: قال المجلسيّ عند ذكر هذا الخبر: «في سائر الأخبار: إنّ دعوة أميرالمؤمنين عليه السلام عليه أن استشهده فأبى أن يشهد، وهذا ـ يعني خبر الطائر ـ من الأخبار المتواترة وممّا احتجّ به يوم الشورى فصدّقوه، ويدلّ على أنّه أفضل جميع خلق الله، وخرج الرسول بالإجماع والنصوص المتواترة؛ فيدلّ على فضله على الملائكة، وكلّ من قال بفضله قال بفضل سائر الأئمّة وجميع الأنبياء؛ فثبت فضل الجميع على الجميع»[2]، انتهى.

سابعها: ما في الكتاب المذكور عن محمّد بن أحمد بن شاذان مسنداً إلى ابن عبّاس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

عليٌّ عليه السلام أفضل من خلق الله غيري، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما، وإنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين، ولو أنّ لفاطمة عليها السلام خيراً من عليّ لم أُزوّجها

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠٠.

٢. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠١.

منه»[١]، انتهى.

وهذا الخبر يدلّ على أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أفضل من جميع خلق الله ومنهم الملائكة، وكلّ من قال بفضله قال بفضل سائر الأئمّة وجميع الأنبياء؛ فثبت فضل الجميع على الملائكة، وفضل الأئمّة على أجمعهم، وفضله على جميع خلق الله يثبت فضله على القرآن، لأنّه مخلوق عند الإماميّة.

ثامنها: ما فيه أيضاً عن ابن شاذان مسنداً إلى أبي ذر ـ الّذي لا يكون أصدق لهجة منه بنصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «نظر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال:

هذا خير الأوّلين والآخرين من أهل السماوات والأرضين، هذا سيّد الصدّيقين وسيّد الوصيّين، وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين، إذا كان يوم القيامة جاء على ناقة من نوق الجنّة قد أضائت القيامة من نورها، على رأسه تاج مرصّع بالزبرجد والياقوت، فيقول الملائكة: هذا ملك مقرّب، وقال النبيّون: هذا نبيٌّ مرسل.

فينادي منادٍ من بطنان العرش: هذا الصدّيق الأكبر، هذا وصيّ حبيب الله ربّ العالمين، هذا عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

فيجيء عليٌّ حتّى يقف على متن جهنّم فيخرج منها من يحبّ، ويأتي أبواب الجنّة فيدخل فيها أوليائه بغير حساب»[٢].

تاسعها: ما فيه عن ابن شاذان مسنداً إلى حميد المغربيّ قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا سيّد الأوّلين والآخرين، وأنت يا عليّ! سيّد الخلائق بعدي، أوّلنا كآخرنا»[٣].

أقول: «بعدي» بمعنى غيري، كما لا يخفى.

عاشرها: ما فيه عن ابن شاذان مسنداً إلى ابن عبّاس قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠٢.

٢. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠٢.

٣. نفسه.

يقول: لمّا أُسري بي إلى السماء ما مررت بملأ من الملائكة إلّا سألني عن عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام حتّى ظننت أنّ اسم عليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام في السماوات أشهر من إسمي.

فلمّا بلغت السماء الرابعة ونظر إلى ملك الموت، قال لي: يا محمّد! ما خلق الله خلقاً إلّا وأنا أقبض روحه إلّا أنت وعليّ، فإنّ الله ـ جلّ جلاله ـ يقبض أرواحكما بقدرته. وجزت تحت العرش فإذا بعليّ بن أبي طالب عليه السلام واقفاً تحت العرش، فقلت: يا عليّ! سبقتني؟

فقال جبرئيل: من هذا الّذي تكلّمه يا محمّد؟

فقلت: هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: يا محمّد! ليس هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولكنّه ملك من الملائكة خلقه الله على صورة عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام؛ فنحن الملائكة المقرّبون كلّما اشتقنا إلى وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام زُرنا هذا الملك لكرامة عليّ بن أبي طالبٍ على الله سبحانه»[1].

قال المجلسيّ رحمه الله بعد نقل هذا الخبر:

دلالته أوّلاً وآخراً على فضله لايخفى على المتأمّل، ودلّت عليه الأخبار المستفيضة الدالّة على مباهاة الله به ليلة المبيت ويوم أُحد، وقول جبرئيل: أنا منكما[2].

وأقول: ما اشتمل عليه من إقباض الله روحهما كرامة لهما لا ينافيه ما ورد في خبر وفات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من مجيء عزرائيل بإذنه وحضوره عنده، فلعلّه كان قد حضر تعظيماً وإكراماً كسائر الملائكة، وقبض روحه كان بيد الله تعالى، والأخبار الدالّة على هذه الفقرة أيضاً كثيرة.

حادي عشرها: ما رواه في «العيون» و«العلل» و«إكمال الدين» بسندٍ واحد متّصل إلى الرضا عليه السلام عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي.

قال عليٌّ عليه السلام: فقلت: يا رسول الله! فأنت أفضل أو جبرئيل؟

فقال: يا عليّ! إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠٣.

٢. نفسه.

على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك ـ يا علي ! ـ وللأئمّة من بعدك، وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا.

يا عليّ! الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا عليّ! لولا نحن ما خُلق آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه»[1].

وساق الحديث إلى قوله: «فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم عليه السلام كلّهم أجمعون، لكوننا في صلبه، وإنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمّد!

فقلت: يا جبرئيل! أتقدّم عليك؟

فقال: نعم، لأنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه على الملائكة أجمعين، وفضّلك خاصّة... إلى آخر الخبر بطوله»[2].

ثاني عشرها: في «العلل» مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان جبرئيل إذا أتى النبيّ قعد بين يديه قعدة العبيد، وكان لا يدخل حتّى يستأذنه»[3].

ثالث عشرها: ما في «الاحتجاج» و «تفسير الإمام عليه السلام» قال:

«سأل المنافقون النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن عليّ هو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل شرّفت الملائكة إلّا بحبّها لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السلام وقبولها لولايتهما، إنّه لا أحد من محبّي عليّ عليه السلام نظّف قلبه من قذر الغشّ والدغل والغلّ ونجاسة

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٦٢؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٥؛ كمال الدين، ج ١، ص ٢٥٤؛ بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٣٤٥.

٢. نفسه.

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ٧؛ بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٦.

الذنوب إلّا كان أظهر وأفضل من الملائكة»[1]... الخبر.

رابع عشرها: ما في «إكمال الدين» بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا سيّد من خلق الله، وأنا خير من جبرئيل وإسرافيل وحملة العرش وجميع الملائكة المقرّبين وأنبياء الله المرسلين»[2]... الحديث.

والتقريب أنّ هذا الفضل ثابت لعليٍّ عليه السلام بقرينة سائر الأخبار خصوصاً خبر المنزلة، ولسائر الأئمّة بعدم القول بالفصل.

فهذه أربع عشر روايات معتبرة الأسانيد، متقنة المتون، بعدد أنوارهم المقدّسة دالّة على أفضليّة أميرالمؤمنين وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام من الملائكة المقرّبين، وفي بعضها تصريح بأنّه وأنّهم أفضل من جميع المخلوقات، فإنّ كان فيها بعد النبيّ المختار فهو وإلّا فخارجٌ بالنصّ والإجماع، فيبقى الباقي تحت العموم، كما هو قاعدة العلم.

والمراد بلفظ «بعد» كقوله: «والفضل بعدي لك»[3] أي: دوني في الرتبة لا البُعديّة الزمانيّة وهو ظاهر من سياق الرواية لاينكرها إلّا مكابر، ولو ضممنا إلى ذلك ما يدلّ على أنّ أفضل الملائكة وسادتهم كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل يخدمونهم ويباهون بخدمتهم أو زيارتهم أو ولايتهم ليبلغ أفضليّتهم عليهم حدّ التواتر المعنويّ ودلالتها على أفضليّتهم عليهم معلومة، فإنّ الأفضل لا يخدم الفاضل، ولا يباهي بولايته وزيارته وخدمته وهو ظاهر.

[صنف آخر من الأخبار الدالّة على أفضليّتهم ممّا سوى النبيّ المختار على سائر المخلوقات]

ومن أصناف الأخبار الدالّة على أفضليّتهم صنف يدلّ على أفضليّتهم ممّا سوى النبيّ المختار على سائر المخلوقات من جهة وجوب ولايتهم على غيرهم، وأنّ درجات قرب

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٥٢؛ تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٣٨٣؛ بحارالأنوار، ج ٢١، ص ٢٢٦.

٢. كمال الدين، ج ١، ص ٢٦١؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٣٤٢.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٦٢؛ كمال الدين، ج ١، ص ٢٥٢؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٥؛ تأويل الآيات، ص ١٩٣؛ بحارالأنوار، ج ١١، ص ١٣٩.

المخلوقين بحسب قبولهم لولايتهم حتّى النبيّين والمرسلين، بل يدلّ على وجوب ولايتهم على غير ذوي العقول من المخلوقات كالحيوانات بل النباتات، بل الجمادات، وكلّ ما قبل حسن خلقه، وما لم يقبل ساء كالماء العذب والماء الأُجاج، والجبال والبلاد والوحوش والطيور.

وهذا معنى الولاية الكلّيّة الثابتة بالنصّ والإجماع والأخبار لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المختار، وسيأتى الكلام فيه في المقام الثالث في باب الولاية، وهذا النوع من الأخبار على أصناف كلّها بالغة حدّ التواتر المعنويّ، بل زائدة عليها.

صنفٌ منها ما يدلّ على وجوب ولايتهم على الأنبياء والمرسلين:

منها: ما ورد في تفسير كريمة: ﴿ **وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا** ﴾[1] ولقد ذكر السيّد الصمدانيّ السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» من طرق العامّة ثلاثة أحاديث في أنّه في المعراج أمره الله تعالى أن يسألهم على ماذا بُعثوا، فسألهم، «فقالوا: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أو بشهادة لا إله إلّا الله والإقرار بنبوّتك والولاية لعليٍّ عليه السلام»[2].

ومن طريق الخاصّة ستّة أحاديث وفيها تصريحات بولاية الأئمّة المعصومين وأنّ الفضل لهم.

وروى السيّد رحمه الله في تفسير «البرهان» أحاديث في شرح الآية الشريفة بالمعنى المذكور.

منها: ما رواه عن الطبرسيّ عن أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله «﴿ **وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا** ﴾.

فهذا من براهين نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم الّتي آتاه الله إيّاها وأوجب أنّه الحجّة على سائر خلقه؛ لأنّه لمّا ختم به الأنبياء وجعله الله رسولاً إلى جميع الأُمم وسائر الملل خصّه بالارتقاء إلى السماء عند المعراج وجمع له يومئذٍ الأنبياء، فعلم منهم ما أُرسلوا به، وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه، وأقرّوا أجمعين بفضله وفضل الأوصياء والحجج في الأرض بعده، وفضل شيعة

---

١. الزخرف: ٤٥.

٢. مئة منقبة، ص ١٤٩؛ العمدة، ص ٣٥٢؛ كشف الغمة، ج ١، ص ٣١٢؛ الطرائف، ج ١، ص ١٠١؛ تأويل الآيات، ج ٣٦، ص ١٥٥.

وصيّه من المؤمنين والمؤمنات الّذين سلّموا لأهل الفضل فضلهم، ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أُممهم وسائر من مضى ومن غبر، تقدّم أو تأخّر»[١]، انتهى.

قوله: «فعلم منهم» أي: سألهم فأخبروه و«عرف من أطاعهم وعصاهم» الظاهر أنّه عطفٌ على علم أي: عرّف رسوله ذلك.

وهذا الخبر؛ خبر شريفٌ دالٌّ على إقرار الأنبياء بفضل الأوصياء عليهم كفضل النبيّ ﷺ عليهم لمكان عطف فضلهم على فضله، وفضله عليهم من صدر الخبر لائح.

فإن قلت: فقوله: «وفضل شيعة وصيّه» تدلّ على إقرارهم بفضل المؤمنين والمؤمنات عليهم أيضاً لمكان العطف وهذا أمرٌ منكر.

قلت: ليس بمستنكر إلّا أنّه يجب تخصيصه ببعضهم، كما أشار إليه بالبيان الّذي بيّنه، وعلى طبقه ما هو المشهور: «علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل»[٢]، وإن أبيت عن ذلك تخصّص ببعض الأنبياء.

وإن أبيت عن ذلك أيضاً نقول: إنّ هذه الفقرة خارجة عن السياق الدالّ على أفضليّتهم على الأنبياء بما دلّ على ذلك من الخارج، ويكون معناه إقرارهم بفضلهم المطلق لا عليهم، خرج ما خرج، وبقي الباقي ـ أي في الأوصياء ـ خصوصاً بقرينة سائر الأخبار. فافهم!

والأخبار الدالّة على فضل الشيعة كثيرة لسنا بصدده.

ثمّ قال السيّد في تفسيره «البرهان» بعد ذكر كثير من الروايات في ذلك المعنى في تفسير الآية الشريفة من طرق الخاصّة والعامّة ما لفظه:

لطيفةٌ: شرف الدين النجفيّ قال: والإقرار به ما ورد في أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أفضل من النبيّين ـ صلوات الله على نبيّنا وآله وعليهم أجمعين ـ ما روي مُسنداً مرفوعاً عن جابر بن عبدالله أنّه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: يا جابر! أيّ الإخوة أفضل؟

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٢٤٨.

٢. الألفين، ص ٣٣٢؛ الصراط المستقيم، ج ١، ص ١٣١؛ عوالي اللآلي، ج ٤، ص ٧٧؛ منية المريد، ص ١٨٢؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ٢٢؛ مستدرك الوسائل، ج ١٧، ص ٣٢٠.

قال: قلت: البنون من الأب والأمّ.

فقال: إنّا معاشر الأنبياء إخوة وأنا أفضلهم، ولأحبّ الإخوة إليّ عليّ ابن أبي طالب عليه السلام فهو عندي أفضل من الأنبياء؛ فمن زعم أنّ الأنبياء أفضل منه فقد جعلني أقلّهم، ومن جعلني أقلّهم فقد كفر لأنّي لم أتّخذ عليّاً أخاً إلّا لما علمت من فضله».

ثمّ قال: وما معنى الأُخوّة بينهما إلّا المماثلة في الفضل إلّا النبوّة، لما روى المفضّل ابن عمر المهلّبيّ عن رجاله مسنداً عن محمّد بن ثابت قال: حدّثني أبوالحسن موسى عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: أنا رسول الله المبلّغ عنه، وأنت وجه الله الموتم به، فلا نظير لي إلّا أنت، ولا مثل لك إلّا أنا»[١]، انتهى كلامه، رفع مقامه.

وأقول: إنّ هذا وما ضاهاها من الأخبار الدالّة على مساواة عليٍّ عليه السلام للنبيّ المختار إلّا النبوّة تنادي بأعلى صوتٍ على أفضليّته من سائر المخلوقات الّتي من جملتها القرآن، كما عليه استقرّ مذهب الإماميّة الإثنى عشريّة.

وأصحّ كلّ هذه الروايات وأدلّها خبر المنزلة من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ! أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٢].

فإنّه خبر منقول عن النبيّ صلى الله عليه وآله من الطرفين بحدّ التواتر، ودلالتها خصوصاً مع الاستثناء ظاهرة.

فأقول: من الأخبار الدالّة على أفضليّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام من سائر الخلق بعد الرسول المختار صلوات الله عليهما ما دامت الليل والنهار، وبعدم القول بالفصل يتمّ في الباقي خبر المنزلة وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ! أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٣].

---

١. الصراط المستقيم، ج ١، ص ٢١١؛ تأويل الآيات، ص ٥٤٨.

٢. الكافي، ج ٨، ص ١٠٦؛ الاحتجاج، ج ١، ص ١٨٩؛ إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٢١٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٩، ص ٨٢.

٣. نفسه.

وقد روى السيّد هذا الخبر من طرق العامّة بمائة طريق عدّدها مفصّلاً في كتابه «غاية المرام» ومن طرق الخاصّة بسبعين طريقاً، وما هذا شأنه فهو متواتر مغنى عن تنقيح السند وتعرّضه، مضافاً إلى أنّ اقتصاره على السبعين لا يكون من جهة حصره لغاية طرق الخاصّة، كما صرّح به في آخر الباب، فقال ما لفظه: على هذا القدر نقتصر من روايات الخاصّه في قوله لعليٍّ عليه السلام ذلك، والروايات من طريق العامّة والخاصّة بذلك متواترة.

وقال السيّد المرتضى في «الشافي»: العلماء مطبقون على قبول هذا الحديث، انتهى.

وأمّا دلالته على نحو ما أشرنا إليه فإنّ قوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»[1] يدلّ دلالة ظاهرة على أُخوّته له، وأنّه شريكه في فضائله، كما هو معنى الأُخوّة إلّا النبوّة، فإنّ هارون مضافاً إلى الأُخوّة والفضيلة كان نبيّاً، فاستثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المنزلة خصوص النبوّة فيبقى الباقي تحت عموم المنزلة.

ولا شكّ ولا ريب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من المخلوقات من غير تخصيص، فهو ثابت لعليٍّ عليه السلام مع التخصيص بغير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنصّ والإجماع.

قال السيّد في «غاية المرام» بعد نقل المائة حديث من طريق العامّه ما لفظه: قال ابن أبي الحديد: يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نصّ الكتاب والسنّة قول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[2].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي».

فأثبت له جميع مراتب هارون ومنازله من موسى، فإذا هو وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولولا أنّه خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم لكان شريكاً في أمره[3].

---

١. نفسه.

٢. طه: ٢٩ ـ ٣٢.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١١.

ثمّ قال: قال مؤلّف هذا الكتاب: أُنظر إلى ما روته المخالفون في النصّ من رسول الله ﷺ على عليٍّ أميرالمؤمنين بأنّه الخليفة بعده بالنصّ المجمع على روايته بين فرق الإسلام، كما ذكره ابن أبي الحديد في هذا الكلام وذكر غيره.

وهذا صريح من المخالفين كابن أبي الحديد في بعض المواضع من شرحه فهو باطل، لقيام البرهان على خلافه واعترافه بالنصّ، كما ذكرناه نحن من كلامه هذا من أنّ جميع مراتب هارون ومنازله هي ثابتة لعليٍّ عليه السلام ما عدا النبوّة... إلى آخر كلامه.

هذا كلّه من جهة دلالة نفس قوله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[١] على أفضليّته على الأنبياء، وعندهم من عامّة المخلوقات وإلّا فلو تأمّلت في أخبار هذا الباب لوجدتها ملأى من التصريحات والتلويحات والكنايات الّتي هي أبلغ من التصريح على ذلك، ولولا خوف الإطالة والملالة لتلونا بعضها عليك؛ هذا أيضاً صنفٌ من الأخبار.

وصنفٌ آخر من الأخبار دالّة على أفضليّتهم من جميع البريّة والمخلوقات.

وهي أيضاً كثيرة:

منها: ما في «العيون» بإسناد التميميّ إلى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال النبيّ ﷺ لعليٍّ: أنت خير البشر ولا يشكّ فيك إلّا كافر»[٢].

ومنها: ما نقله في «البحار» عن «مناقب» ابن بطّة في الإمامة بإسناده عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة وأبو صالح المؤذّن في «الأربعين» والسمعاني في «الفضائل» بإسنادهما عن عبدالرزاق، عن معمّر، عن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس ـ واللفظ له ـ قال:

«لمّا زوّج النبيّ ﷺ فاطمة من عليٍّ، قالت: زوّجتني من عائلٍ لا مال له.

فقال ﷺ: يا فاطمة! أما ترضين أنّ الله اطّلع على أهل الأرض واختار منها رجلين

---

١. الكافي، ج ٨، ص ١٠٦؛ الاحتجاج، ج ١، ص ١٨٩؛ إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٢١٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٩، ص ٨٢.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٥٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٣٠٦.

أحدهما أبوك والآخر بعلك»[١].

وفي «أمالي» الشيخ مُسنداً عن جابر بن عبدالله قال: «كنّا جلوساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قد أتاكم أخي.

ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثمّ قال: والّذي نفسي بيده! إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة.

ثمّ قال: إنّه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعده الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم بالرعيّة، وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مزيّة.

قال: فنزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[٢].

قال: فكان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل عليٌّ عليه السلام قالوا: قد جاء خير البريّة»[٣].

وفي «أمالي» الشيخ أيضاً مسنداً قال: «سألت جابر بن عبدالله، عن عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقال: ذاك خير البشر»[٤].

وفي «أمالي» الصدوق مُسنداً إلى عطاء قال: «سألت عائشة عن عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقالت: ذاك خير البشر ولا يشكّ فيه إلّا كافر»[٥].

وفي «أمالي» الصدوق أيضاً مُسنداً عن حذيفة أنّه سئل عن عليٍّ عليه السلام، فقال: «ذاك خير البشر ولا يشكّ فيه إلّا منافق»[٦].

وفيه أيضاً مسنداً إلى حذيفة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «عليّ ابن أبي طالب عليه السلام خير البشر

---

١. كشف الغمة، ج ١، ص ٣٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٤.
٢. البيّنة: ٧.
٣. الأمالي للطوسي، ص ٢٥١؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٥.
٤. الأمالي للطوسي، ص ٣٣٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٥.
٥. الأمالي للصدوق، ص ٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٥.
٦. الأمالي للصدوق، ص ٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٥.

ومن أبى فقد كفر»[١].

وفي «البحار» عن «المناقب» قال ما لفظه: ابن مجاهد في التأريخ، والطبريّ في الولاية، والديلميّ في الفردوس، وأحمد في الفضايل، والأعمش عن أبي وائل، وعن عطيّة عن عائشة، وقيس عن أبي حازم، عن حريز بن عبدالله قالوا: «قال رسول الله ﷺ: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر، ومن رضي فقد شَكَر»[٢].

أبوالزبير وعطيّة العوفيّ وجواب قال كلّ واحد منهم: «رأيت جابراً يتوكّأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم وهو يروي هذا الخبر، ثمّ يقول: معاشر الأنصار! أدّبوا أولادكم على حبّ عليٍّ عليه السلام؛ فمن أبى فلينظر في شأن أُمّه»[٣].

الداريّ بإسناده عن الأصبغ بن نباتة، عن جميع التميميّ كليهما عن عائشة أنّها لمّا رويت هذا الخبر، قيل لها: «فلم حاربتيه؟

قالت: ما حاربته من ذات نفسي إلّا حملني طلحة وزبير»[٤].

وفي روايةٍ: «أمر قدر وقضاء غلب»[٥].

أبو وائل ووكيع وأبو معاوية والأعمش وشريك ويوسف القطّان بأسانيدهم أنّه سئل جابر وحُذيفة عن عليٍّ عليه السلام فقالا: «عليٌّ خير البشر لا يشكّ فيه إلّا كافر»[٦].

وروى عطا عن عائشة مثله[٧].

ورواه مسلم بن الجعد عن جابر بأحد عشر طريقاً[٨].

---

١. الأمالي للصدوق، ص ٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ١١.

٢. بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٧.

٣. رجال الكشي، ص ٤٤؛ المناقب، ج ٣، ص ٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٧.

٤. المناقب، ج ٣، ص ٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٨.

٥. نفسه.

٦. المناقب، ج ٣، ص ٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٧.

٧. نفسه.

٨. نفسه.

الطبريّ في تأريخه: «إنّ المأمون أظهر القول بخلق القرآن وتفضيل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في شهر ربيع الأوّل سنة إثنى عشر ومأتين.

وقال البغداديّون وأكثر البصريّين من المعتزلة: أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ ابن أبي طالب وهو اختيار أبي عبيدالله البصريّ»[١]، انتهى ما في «البحار».

ومعلوم أنّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معناه سوى رسول الله وغيره لا بُعد الزمانيّ، وإذا ثبت الفضل لعليٍّ عليه السلام على سائر الخلق غير النبيّ فيتمّ في سائر الأئمّة بعدم القول بالفصل.

وفي «البحار» أيضاً: أبو نعيم الأصفهانيّ في «ما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام» بالإسناد عن عليّ عليه السلام قال: «نحن أهل بيت لا نقاس بالناس.

فقام رجل فأتى ابن عبّاس فأخبره بذلك، فقال: صدق عليٌّ، أوليس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يقاس بالناس؟ وقد نزل في عليّ عليه السلام ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ** ﴾[٢]»[٣]، انتهى.

فانظر إلى قول ابن عبّاس في الجواب: «أوليس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يقاس بالناس»[٤] وعليّ عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مضافاً إلى ورود الآية في شأنه. فافهم!

وفي «البحار» أيضاً: أبوبكر الشيرازيّ في كتاب «نزول القرآن في شأن أميرالمؤمنين عليه السلام» أنّه حدّث مالك بن أنس، عن حميد، عن أنس بن مالك قال: «﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ** ﴾ نزلت في عليٍّ عليه السلام، صدّق أوّل الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ** ﴾ تمسّكوا بأداء الفرائض، ﴿ **أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ** ﴾ يعني عليّاً عليه السلام أفضل الخليفة بعد النبيّ ... إلى آخر السورة»[٥].

فيه أيضاً: الأعمش مسنداً إلى جابر أنّه لمّا نزلت هذه الآية، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ خير

---

١. نفسه.

٢. البيّنة: ٧.

٣ ـ ٥. المناقب، ج ٣، ص ٦٨؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٨.

البريّة»[١].

وفيه أيضاً: في رواية جابر: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أقبل عليٌّ عليه السلام قالوا: جاء خير البريّة»[٢].

وفيه أيضاً: تأريخ الخطيب روى الأعمش مُسنداً عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يقل عليّ خير البشر فقد كفر»[٣].

وفيه أيضاً: الطبريّين في الولاية والمناقب بإسنادهما إلى مسروق عن عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم شرّ الخلق والخليقة بقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة أي: المخدج وأصحابه»[٤].

وفي «البحار» أيضاً: دخل سعيد بن أبي وقّاص على معاوية بعد مصالحة الحسن عليه السلام، فقال معاوية: «مرحباً بمن لا يعرف حقّاً فيتّبعه، ولا باطلاً فيجتنبه.

فقال: أردت أن أُعينك على عليٍّ عليه السلام بعد ما سمعت النبيّ ﷺ يقول لابنته فاطمة: أنت خير النساء أباً وبعلاً»[٥].

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الّتي بهذا المضمون من طرق الخاصّة والعامّة، ودلالتها بتصريحها، أو بإطلاقها وعمومها على أفضليّة عليٍّ عليه السلام من جميع المخلوقات واضحة، خرج النبيّ ﷺ وبقي الباقي، مضافاً إلى ما في جلّ منها من التصريح ببعد النبيّ ﷺ المراد منه غير النبيّ، كما هو ظاهر.

واعلم! أنّ ما تركته من أخبار هذا الباب أضعاف ما نقلته ونقل كثيراً منها العلّامة المجلسيّ رحمه الله في «البحار»، ثمّ قال في آخر الباب ما لفظه:

---

١. المناقب، ج ٣، ص ٦٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٨.

٢. المناقب، ج ٣، ص ٦٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٩.

٣. نفسه.

٤. نفسه.

٥. المناقب، ج ٣، ص ٧٠؛ الصراط المستقيم، ج ٢، ص ٧٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٩.

بيان: قد ظهر من أخبار هذا الباب أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسيّد الأوصياء، وأكثرها مصرّحة بأنّ المراد بالوصاية؛ الخلافة العظمى، وسائرها تورث مزيّة توجب تقديمه عليه السلام على غيره، ويبيّن أنّه خير البشر، وهو مخصّص بالرسول بالإجماع، فبقي غيره من سائر الخلق داخلاً تحت البشر، فثبت فضله عليهم.

وهذه درجة أرفع من الخلافة والإمامة، ولا يشكّ عاقل في استلزامه لهما، وكيف يجوز عاقل أن يكون من ليس بنبيّ ولا إمام أفضل من الأنبياء[1]... إلى آخر كلامه.

ونقلت كلامه ذلك لتعلم أنّ فهم العموم غير منحصر بي، بل هو متفاهم عامّة العلماء، فإنّه رحمه الله ترجمانهم.

ومنها صنف من الأخبار الدالّة على فضل النبيّ صلى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السلام على باقي الأئمّة وبالمساواة تدلّ على فضل عليٍّ عليه السلام على سائر الخلق كلّهم:

منها: ما رواه في «البحار» عن «قرب الإسناد» مُسنداً إلى الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما»[2].

وفي «العيون»[3] عن الرضا عليه السلام مثله.

وعن «قُرب الإسناد» أيضاً مُسنداً عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام فيما كتب إليه: «قال أبو جعفر عليه السلام: لا يستكمل عبدُ الإيمان حتّى يعرف أنّه يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم في الحجّة والطاعة والحلال والحرام سواء، ولمحمّد ولأمير المؤمنين فضلهما عليهما وعليهم السلام»[4].

وفي «العيون» بإسناد التميميّ عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «الحسن

---

١. بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٢٠.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٠.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٣٣.

٤. قرب الاسناد، ص ١٥٢؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٣٦٣.

والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما»[١].

وفي «العيون» أيضاً بهذا الإسناد عن عليٍّ عليه السلام قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختارني، ثمّ اطّلع ثانية فاختارك بعدي، فجعلك القيّم بأمر اُمّتي بعدي، وليس أحدٌ مثلنا بعدنا»[٢].

وفي «بصائر الدرجات» مسنداً عن يزيد قال: «قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: ﴿ قُلْ كَفَى بِـاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾[٣].

قال عليه السلام: إيّانا عنى، وعليّ عليه السلام أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم»[٤].

وفيه أيضاً مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: «رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في الأمر النهي والحلال والحرام يجري مجرى واحد، فأمّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام فلهما فضلهما»[٥].

وهذه الأخبار أيضاً كثيرة، وهي كلّها خصوصاً مثل قوله: «وليس أحد بعدنا مثلنا»[٦] دالّة على أفضليّتهما على جميع المخلوقات.

ومنها الأخبار الكثيرة الدالّة على حبّ الملائكة لعليٍّ عليه السلام وافتخارهم بخدمته:

ففي «الأمالي» ـ كما في «البحار» مسنداً ـ عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «معاشر الناس! والّذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة ما نصبت عليّاً علماً لاُمّتي في الأرض حتّى نوّه الله باسمه في سماواته، وأوجب ولايته على ملائكته»[٧].

قال المجلسيّ رحمه الله: أقول: أثبتُّ الخبر بتمامه في باب أخبار الغدير وسيأتي في باب تزويج

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦٢؛ منتخب الأنوار، ص ٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩١.
٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦٦.
٣. الرعد: ٤٣.
٤. بصائر الدرجات، ص ٢١٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢١٢.
٥. بصائر الدرجات، ص ٤٨٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٣٦٠.
٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩١.
٧. الأمالي للصدوق، ص ١٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ١٠٩.

فاطمة عليها السلام عن ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أنّ الملائكة تتقرّب إلى الله بمحبّته»[١].

وفي «البحار» عن «الأمالي» مسنداً إلى سيّد الشهداء حسين بن عليٍّ عليهما السلام عن سيّد الأوصياء أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ! أنت أخي وأنا أخوك، وأنا المصطفى للنبوّة وأنت المجتبى للإمامة، وأنا صاحب التنزيل وأنت صاحب التأويل، أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة.

يا عليّ! أنت وصيّي وخليفتي ووزيري ووارثي وأبو ولدي، شيعتك شيعتي، وأنصارك أنصاري، وأولياءك أوليائي، وأعداءك أعدائي.

يا عليّ! أنت صاحبي على الحوض غداً، وأنت صاحبي في المقام المحمود، وأنت صاحب لوائي في الآخرة، كما أنت صاحب لوائي في الدنيا، سعد من تولّاك، وشقي من عاداك، وإنّ الملائكة للتقرّب إلى الله بمحبّتك وولايتك، والله! إنّ أهل مودّتك في السماء لأكثر منهم في الأرض.

يا عليّ! أنت أمين أُمّتي وحجّة الله عليها بعدي، قولك قولي وأمرك أمري، وطاعتك طاعتي، وزجرك زجري، ونهيك نهيي، ومعصيتك معصيتي، وحربك حربي، وحزبك حزبي وحزبي حزب الله، ومن يتولّ الله ورسوله والّذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون»[٢]، انتهى.

وتأمّل في هذا الخبر وأمثاله كثير حتّى تفهم أنّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» صريح في عموم المنزلة، وأنّ عليّاً عليه السلام شريك معه في عامّة الفضائل سوى النبوّة، فإنّه لم يبق في هذا الخبر شيء إلّا ذكره حتّى المقام المحمود.

فإنكار عموم المنزلة إنكار لنصوص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى لو كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل على شيء فهو ثابت لعليّ عليه السلام أميرالمؤمنين بهذا العموم المؤيّد بهذه التصريحات والنصوص، وأفضليّته من جميع المخلوقات الّتي من جملتها القرآن ثابت، فثبت لعليّ عليه السلام حتّى

---

١. بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩٣.

٢. الأمالي للصدوق، ص ٣٣١؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٥٣.

أنّ صاحب الرسالة قد أثبته في مطاوي كلامه بالنسبة إلى الرسول، وسيأتي زيادة توضيح في البيان إن شاء الله.

وفي «البحار» عن «علل الشرائع» مسنداً إلى أبي هريرة قال: «غزى النبيّ غزاة فلمّا رجع إلى المدينة وكان عليّ عليه السلام تخلّف على أهله، فقسّم المغنم، فدفع إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام سهمين وهو بالمدينة متخلّف.

فقال: معاشر الناس! ناشدتكم بالله وبرسوله، ألم تروا إلى الفارس الّذي حمل على المشركين من يمين العسكر فهزمهم ثمّ رجع إليّ، فقال: يا محمّد! إنّ لي معك سهماً وقد جعلته لعليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام وهو جبرئيل.

معاشر الناس! ناشدتكم بالله وبرسوله هل رأيتم الفارس الّذي حمل على المشركين من يسار العسكر ثمّ رجع إليّ فقال: يا محمّد! إنّ لي معك سهم وقد جعلته لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ميكائيل؛ فوالله ما دفعت إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلّا سهم جبرئيل وميكائيل. فكبّر النّاس بأجمعهم»[١].

وفيه أيضاً عن «قرب الإسناد» مُسنداً عن ابن عبّاس قال: «انتدب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ليلة بدرٍ إلى الماء.

فانتدب عليّ عليه السلام فخرج وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة، فخرج بقربته، فلمّا كان إلى القليب لم يجد دلواً، فنزل إلى الجبّ تلك الساعة فملأ قربته ثمّ أقبل فاستقبلته ريح شديدة، فجلس حتّى مضت، ثمّ قام، ثمّ مرّت به أُخرى فجلس حتّى مضت، ثمّ قام ثمّ مرّت به أُخرى فجلس حتّى مضت، فلمّا جاء، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ما حبسك يا أباالحسن؟

قال: لقيت ريحاً ثمّ ريحاً شديدة فأصابتني قشعريرة. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أتدري ما كان ذلك يا عليّ؟

فقال: لا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك جبرئيل في ألف من الملائكة وقد سلّم عليك وسلّموا، ثمّ مرّ ميكائيل في

---

١. الأمالي للصدوق، ص ٣٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩٤.

ألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا، ثمّ مرّ إسرافيل في ألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا»[١]، انتهى.

وفيه أيضاً عن «تفسير عليّ بن إبراهيم» مسنداً إلى جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والّذي نفسي بيده ما وجّهت عليّاً قطّ في سريّة إلّا ونظرت إلى جبرئيل في سبعين ألف من الملائكة عن يمينه، وإلى ميكائيل عن يساره في سبعين ألف من الملائكة، وإلى ملك الموت أمامه، وإلى سحابة تظلّه حتّى يرزق حسن الظفر»[٢].

وفيه أيضاً عن «بصائر الدرجات» مسنداً إلى جابر عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان حين ناشد القوم: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في ثلاثة آلاف من الملائكة يوم بدر، غيري؟

قالوا: اللّهمّ لا»[٣].

وفيه أيضاً عن «مناقب ابن شهراشوب» أحاديث عليّ بن الجعدة، عن شعبة، عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[٤] الآية، قال أنس: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

لمّا كانت ليلة المعراج نظرت تحت العرش أمامي فإذا أنا بعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قائماً أمامي تحت العرش يسبّح الله ويقدّسه.

قلت: يا جبرئيل! سبقني عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام؟

قال: لا، لكنّي أُخبرك ما أعلم يا محمّد! إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يكثر من الثناء والصلاة على عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام فوق عرشه، فاشتاق العرش إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فخلق الله تعالى هذا الملك على صورة عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام تحت عرشه لينظر إليه العرش فيسكن

---

١. بحارالانوار، ج ٣٩، ص ٩٤.

٢. بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩٥.

٣. بصائر الدرجات، ص ٩٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩٦.

٤. الزمر: ٧٥.

شوقه، وجعل تسبيح هذا الملك وتقديسه وتمجيده ثواباً لشيعة أهل بيتك يا محمّد»[١].

وفيه عن الأعمش، عن أبي طالبٍ، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[٢] قال:

«كان جبرئيل جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله عن يمينه إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فضحك جبرئيل وقال: يا محمّد! هذا عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قد أقبل.

قال رسول الله: يا جبرئيل! وأهل السماوات يعرفونه؟

قال: يا محمّد! والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً! إنّ أهل السماوات لأشدّ معرفة له من أهل الأرض، ما كبّر تكبيرة في غزاة إلّا كبّرنا معه، ولا حمل حملة إلّا حملنا معه، ولا ضرب بسيف إلّا ضربنا معه.

يا محمّد! إذا اشتقت إلى وجه عيسى وعبادته وزهد يحيى وطاعته وملك سليمان وسخاوته فانظر إلى وجه عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

وأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً ﴾ يعني: شبهاً لعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، وعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام شبهاً لعيسى بن مريم ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ أي: يضحكون منه ويعجبون»[٣].

وروى في «البحار» عن أحمد في «الفضايل»: وقد خدمه جبرئيل في عدّة مواضع، روى عليّ بن الجعد عن شعبة، عن قتادة، عن ابن جبير، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ ﴾[٤].

قال: «لقد صام رسول الله صلى الله عليه وآله سبع رمضانات، وصام عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام معه، فكان

---

١. المناقب، ج ٢، ص ٢٣٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩٧.

٢. الزخرف: ٥٧.

٣. بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٩٨.

٤. القدر: ٤ ـ ٥.

كلّ ليلة القدر تنزّل فيها جبرئيل على عليّ عليه السلام فيسلّم عليه من ربّه»[١].

وروى عن الباقر عليه السلام في خبر يذكر فيه وفات النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه أتاهم آتٌ لا يرونه فيسمعون كلامه، فقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في الله عزاء من كلّ مصيبة، ونجاة من كلّ هلكة، ودركٌ لما فات، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[٢] الآية.

إنّ الله اصطفاكم وفضّلكم وطهّركم وجعلكم أهل بيت نبيّه، وأودعكم حكمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه، وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الذنوب، وآمنكم من الفتنة، فتعزّوا بعزاء الله ـ عزّ وجلّ ـ، لا ينزع عنكم نعمته، ولا يزيل عنكم بركته»[٣]، في كلامٍ طويلٍ.

إلى غير ذلك من روايات كثيرة تركنا نقلها أكثر ممّا أوردناه أضعافاً.

وقال المجلسيّ رحمه الله: أقول: «خلقة الملائكة على صورته يعني عليّ عليه السلام ومحبّيهم إلى زيارته ونصرته وإذنه لهم في مكالمته وكونهم في خدمته يدلّ على أنّه أكرم خلق الله بعد النبيّ صلوات الله عليهما»[٤].

وفي «البحار» عن «تفسير الإمام عليه السلام»: قال الإمام عليه السلام:

«قال الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ عليهما السلام:

إنّ الله ذمّ اليهود في بُغضهم لجبرئيل الّذي كان ينفّذ قضاء الله فيهم بما يكرهون، وذمّهم أيضاً وذمّ النواصب في بغضهم لجبرئيل وميكائيل وملائكة الله النازلين لتأييد عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام على الكافرين حتّى أذلّهم بسيفه الصارم، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ﴾[٥] من اليهود لدفعه عن بخت نصر أن يقتله دانيال من غير ذنب كان جناه بخت

---

١. المناقب، ج ٢، ص ٢٤٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٠١.
٢. آل عمران: ١٨٥.
٣. المناقب، ج ٢، ص ٢٤٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٠١.
٤. بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٠٢.
٥. البقرة: ٩٧.

نصر حتّى بلغ كتاب الله في اليهود أجله، وحلّ بهم ما جرى في سابق علمه، ومن كان أيضاً عدوّاً لجبريل من سائر الكافرين ومن أعداء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام الناصبين، لأنّ الله تعالى بعث جبرئيل لعليٍّ عليه السلام مؤيّداً، وله على أعدائه ناصراً.

ومن كان عدوّاً لجبريل لمُظاهرته محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وعليّاً عليه السلام ومعاونته لهما وإنفاذه لقضاء ربّه في إهلاك أعدائه على يد من يشاء من عباده ﴿ فَإِنَّهُ ﴾ يعني: جبريل ﴿ نَزَّلَهُ ﴾ يعني نزّل هذا القرآن ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ يا محمّد! ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بأمر الله، وهو كقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾[١] الآية»[٢].

...إلى أن قال: «من كان عدوّاً لإنعامه على محمّد وعليّ وآلهما الطيّبين وهؤلاء الّذين بلغوا من جهلهم أن قالوا: نحن نبغض الله الّذي أكرم محمّداً وعليّاً بما يدّعيان وجبرئيل ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ لأنّه جعله ظهيراً لمحمّدٍ وعليٍّ على أعداء الله، وظهيراً لسائر الأنبياء والمرسلين وكذلك ملائكته، يعني ومن كان عدوّاً لملائكة الله المبعوثين لنصرة دين الله وتأييد أولياء الله.

وذلك قول بعض النصّاب والمعاندين: برئت من جبريل الناصر لعليٍّ عليه السلام وهو قوله: ﴿ وَرُسُلِهِ ﴾[٣] ومن كان عدوّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موسى وعيسى وسائر الأنبياء الّذين دعوا إلى إمامة عليٍّ عليه السلام.

ثمّ قال: ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ وذلك كقول من قال من النواصب لمّا قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في عليٍّ عليه السلام: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وإسرافيل خلفه وملك الموت أمامه، والله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرضوان إليه ناصره.

وقال بعض النواصب: فأنا أبرأ من الله ومن جبرئيل وميكائيل وملائكة الله الّذين حالهم مع عليّ على ما قاله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١. الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

٢. تفسير الإمام، ص ٤٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٠٦.

٣. البقرة: ٩٨.

فقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ وهؤلاء تعصّباً على علىّ بن أبي طالبٍ عليه السلام ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾، فاعل بهم ما يفعل العدوّ بالعدوّ من إحلال النقمات، وتشديد العقوبات.

وكانت سبب نزول هاتين الآيتين ما كان من اليهود أعداء الله من قول يعني في جبرئيل وميكائيل وسائر ملائكة الله.

أمّا ما كان من النصّاب فهو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا كان لا يزال يقول وكان من أعداء الله من قول أسوء منه إلى الله في جبرئيل وميكائيل في عليّ عليه السلام الفضائل الّتي خصّه الله بها عزّ وجلّ، والشّرف الّذي أهّله الله له، وكان في ذلك يقول: أخبرني به جبرئيل عن الله، ويقول في بعض ذلك: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، يفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنّه على يمين عليّ الّذي هو أفضل من اليسار.

إلى أن قال: ويفتخران على إسرافيل الّذي خلفه بالخدمة، وملك الموت الّذي أمامه بالخدمة، وإنّ اليمين واليسار أشرف من ذلك.

إلى أن قال:

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول في بعض أحاديثه: إنّ الملائكة أشرفها عند الله أشدّها لعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام حبّاً، وإنّه قسّم الملائكة فيما بينها والّذي شرّف عليّاً عليه السلام على جميع الورى بعد محمّد المصطفى صلّى الله عليه وآله يقول مرّة: إنّ ملائكة السماوات والحجب ليشتاقون إلى رؤية عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام كما تشتاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البارّ الشفيق الآخر من بقي عليها بعد عشرة وفنتم.

فكان هؤلاء النصّاب يقولون: إلى متى يقول محمّد: جبرئيل وميكائيل والملائكة، كلّ ذلك تفخيم لعليّ بن أبي‌طالب عليه السلام وتعظيم لشأنه، ويقول الله لعليٍّ خاصّ من دون سائر الخلق: برئنا من ربّ ومن ملائكة ومن جبرئيل وميكائيل هم لعليّ مفضّلون بعد محمّد، وبرئنا من رسل الله الّذين لعليّ بعد محمّد مفضّلون»[1].

---

١. تفسير الإمام، ص ٤٥١؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٠٣.

ثمّ ساق بعض الخبر في سلمان ومقداد وهو طويل ... إلى أن قال:

«ثمّ دعا بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فعمّهم بعبائته القطوانيّة، ثمّ قال: هـؤلاء خمسة لا سادس لهم من البشر.

ثمّ قال: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم.

فقامت أُمّ سلمة، فرفعت جانب العبا لتدخل، فكفّها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لست هناك وأنت في خير وإلى خير.

فانقطع عنها طمع البشر، وكان جبرئيل معهم، فقال: يا رسول الله! أنا سادسكم؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم، وأنت سادسنا.

فارتقى السماوات وقد كساه الله من زيادة الأنوار ما كادت الملائكة لا تثبته، حتّى قال: بخّ بخّ مَن مِثلي؟ أنا جبرئيل سادس محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

فذلك ما فضّل الله به جبرئيل على سائر الملائكة في الأرضين والسماوات.

قال: ثمّ تناول رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن عليه السلام بيمينه، والحسين عليه السلام بشماله، فوضع هذا على كاهله الأيمن، وهذا على كاهله الأيسر، ثمّ وضعهما في الأرض، فمشى بعضهما إلى بعض يتجاوبان»[1].

وساق خبر اصطراعهما وقول رسول الله صلى الله عليه وآله للحسن عليه السلام «إيهاً أبا محمّد، واعتراض فاطمة عليها السلام وجوابه صلى الله عليه وآله: أنّ جبرئيل وميكائيل يشجعان الحسين، هذان سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين وأبوهما خير منهما، وجدّهما رسول الله خيرهم أجمعين.

قال عليه السلام: فلمّا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، قالت اليهود والنواصب: إلى الآن كنّا نبغض جبرئيل وحده والآن قد صرنا أيضاً نبغض ميكائيل لإذعانهما لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وعليٍّ إيّاهما ولولديه.

فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ

---

١. تفسير الإمام، ص ٤٥١؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٠٦.

لِلْكَافِرِينَ ﴾[١]»[٢].

إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة على تشرّف الملائكة بخدمتهم والافتخار بحبّهم وزيارتهم وما تركناها خوفاً من الإطالة أضعاف ما ذكرناه، من رامها يجدها في مظانّها، ولا أقلّ من كتاب واحد هو «البحار» فإنّ فيه أضعاف ذلك فضلاً من غيره وهو في غيره أيضاً.

وهذا الخبر طويل نقلنا بعضاً قليلاً منه وإن كان بقي لك شبهة أو وهم ولا أظنّ ذلك فاستمع لما أتلو عليك من تصريحات النبيّ المختار وجبرئيل أمين الملك الجبّار في وصف عليّ عليه السلام.

ففي «البحار» عن «أمالي» الشيخ مسنداً إلى الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا عليّ! إنّه لمّا أسري بي إلى السماء تلقّتني الملائكة بالبشارات في كلّ سماء حتّى لقيني جبرئيل في محفلٍ من الملائكة، فقالوا: لو اجتمعت أُمّتك على حبِّ عليٍّ ما خلق الله ـ عزّ وجلّ ـ النار.

يا عليّ! إنّ الله تبارك وتعالى أشهدك معي في سبعة مواطن حتّى آنست بك:

أمّا أوّل ذلك ليلة أُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل: أين أخوك يا محمّد؟

فقلت: خلّفته ورائي.

فقال: أُدع الله ـ عزّ وجلّ ـ فليأتك به.

فدعوت الله، فإذا مثالك معي، وإذا الملائكة وقوفاً صفوفاً.

فقلت: يا جبرئيل! من هؤلاء؟

فقال: هؤلاء الّذين يباهي الله بهم يوم القيامة.

فدنوت ونطقت بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة.

والثانية: حين أُسري بي إلى ذي العرش، قال لي جبرئيل: أين أخوك يا محمّد؟

فقلت: خلّفته ورائي.

---

١. البقرة: ٩٨.

٢. تفسير الإمام، ص ٤٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٠٦.

فقال: أُدع الله فليأتك به.

فدعوت الله ـ عزّ وجلّ ـ فإذا مثالك معي، وكشط لي عن سبع سماوات حتّى رأيت سكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك منها.

والثالثة: حين بعثت إلى الحقّ، فقال لي جبرئيل: أين أخوك؟

فقلت: خلّفته من ورائي.

فقال: أُدْعُ الله فليأتك به.

فدعوت الله ـ عزّ وجلّ ـ فإذا أنت معي، فما قلت لهم ولا ردّا عليّ شيئاً إلّا سمعته ووعيته.

والرابعة: خصّصنا بليلة القدر وأنت معي فيها وليست لأحد غيرنا.

والخامسة: ناجيت الله ـ عزّ وجلّ ـ ومثالك معي، فسألت فيك فأجابني إليها إلّا النبوّة، فإنّه قال: خصّصتها بك وختمتها بك.

والسادسة: لمّا طفت بالبيت المعمور كان مثالك معي.

والسابعة: هلاك الأحزاب على يدي وأنت معي.

يا عليّ! إنّ الله أشرف إلى الدنيا فاختارني على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الثانية فاختارك على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الثالثة فاختار فاطمة على نساء العالمين، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار الحسن والحسين والأئمّة من ولدها على رجال العالمين.

يا عليّ! إنّي رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربع مواطن، فآنست بالنظر إليه:

إنّي لمّا بلغت بيت المقدس في معارجي إلى السماء وجدت صخرتها: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، أيّدته بوزيره ونصرته به».

فقلت: يا جبرئيل! ومن وزيري؟

فقال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فلمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت مكتوباً عليها: «لا إله إلّا الله أنا وحدي، ومحمّد صفوتي من خلقي، أيّدته بوزيره ونصرته به.

فقلت: يا جبرئيل! ومن وزيري؟

فقال: عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

فلمّا جاوزت السدرة وانتهيت إلى عرش ربّ العالمين وجدت مكتوباً على قائمة من قوائم العرش: «لا إله إلّا الله أنا الله وحدي، محمّد حبيبي وصفوتي من خلقي، أيّدته بوزيره وأخيه ونصرته به».

يا عليّ! إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أعطاني فيك سبع خصال:

أنت أوّل من ينشقّ القبر عنه معي.

وأنت أوّل من يقف على الصراط فتقول للنار: خذي هذا فهو لكِ وذري هذا فليس هو لك.

وأنت أوّل من يُكسى إذا كُسيت، وتحيى إذا حييت.

وأنت أوّل من يقف معي عن يمين العرش.

وأوّل من يقرع معي باب الجنّة.

وأوّل من يسكن معي العلّيّين.

وأوّل من يشرب معي الرحيق المختوم الّذي ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»[١]، انتهى.

وهذا خبر شريف مشتمل على مزايا عظيمة، فانظر إلى قوله صلى الله عليه وآله في المرّة الثالثة: «فدعوت الله فإذا أنت معي»[٢] ولم يقل مثالك، خصوصاً مع قوله بعد ذلك: «فما قلت لهم شيئاً ولا ردّوا عليّ شيئاً إلّا سمعته ووعيته»[٣]، فإنّ هذا الفقرة يكشف أنّ الحاضر في الدعوتين الأوّليّين أيضاً هو عليه السلام لا مثاله.

وظنّي أنّه إنّما عبّر ـ صلوات الله عليه وآله ـ بلفظ المثال لضرب من المصلحة، ويكشف عنك لك أنّه ـ صلوات الله عليه وآله ـ لمّا رجع أخبره عليّ عليه السلام بجميع ما رآه حتّى قال صلى الله عليه وآله

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٦٤١؛ بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٣٨٨.

٢. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٣٥؛ بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٤٠٥.

٣. نفسه.

له عليه السلام: «كأنّك معنا»[١].

فبهذا الخبر اتّضح وضوحاً لا يشوبه شكّ وشبهة أنّ كلّ فضيلة حازها ـ صلوات الله عليه وآله ـ اشترك معه عليّ عليه السلام إلّا النبوّة، كما يكشف عنه قوله صلى الله عليه وآله: «فسألت فيك فأجابني إليها إلّا النبوّة»[٢].

وهذا الخبر الشريف المعتبر المعتضد مشتمل على مراتب المعراج ومراتب الخاتميّة والولاية العامّة وينبغي شرحها برسالة منفردة.

ولعمري إنّ هذا الصنف من الأخبار فوق حدّ التواتر المعنويّ، كما سنبيّن لك زيادة بيانٍ إن شاء الله.

فأقول: هذه أصناف كثيرة من الأخبار، وكلّ صنفٍ منها متواترة أو مستفيضة، ومجموعها فوق التواتر المعنويّ قطعاً لا يشكّ فيه أحد، كلّها مشتركة في أفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله من جميع ما خلق الله حتّى من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين، ومن جملتها القرآن، فإنّه مخلوق عند الإماميّة الحقّة، وهذا العموم الثابت بحيث لا يقبل التخصيص أبداً فإنّه بكثرتها وبلوغها آلاف من العدد لا يذكر فيها تخصيص، مع أنّ كلّها في مقام البيان وفي بيان إحصاء جهات العموم.

فهل يحتمل عاقلاً فضلاً عن عالم مطّلع على شيء من الأخبار معارضتها بنحو أكبريّة القرآن الوارد في قليل من الأخبار مع أنّ الأكبريّة غير الأفضليّة ويكون مجمل المعنى والمراد، فإنّ أكبريّة القرآن لايكون متواتراً ولو كان لا يكون معارضاً لهذه الأخبار الكثيرة المصرّحة بالأفضليّة، وليس في أخبار القرآن لفظ الأفضل أبداً، كما عرفت وستعرف إن شاء الله.

هذا كلّه، مضافاً إلى أنّ الأفضليّة والأشرفيّة إن أُريد الحكم بها لشيء فلابدّ من ملاحظة جهاتها وأسبابها، وليس مثل الأُمور التعبّديّة الصرفة الّتي لا يعقل جهات المصالح والمفاسد في حكمها كبطلان الصلاة مع لبس الجورب الكذائيّ، أو اللباس الكذائيّ ... إلى غير ذلك من

---

١. بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٣٣٨.

٢. نفسه.

أكثر الأحكام الشرعيّة التعبّديّة الصرفة الغير المعلومة جهات المصلحة أو المفسدة فيها.

بل لو قلنا بأنّ الشخص الفلانيّ أشرف وأفضل من عامّة الملائكة والأنبياء والمرسلين أكثرها قد اشتملت على علّتها، كما دريت من قول رسول الله ﷺ: «كيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبّحنا الله ومجّدناه قبلهم وهم تعلّموا التسبيح والتهليل منّا؟ وكيف لا يكون آدم أفضل من الملائكة وقد أمرهم بالسجود له وبتعليمهم الأسماء»[١]... إلى غير ذلك من العلل الواردة في الأخبار.

فقول صاحب الرسالة:

إنّ حقيقة القرآن والإمام غير معلوم لنا فلا طريق لنا إلى الحكم بالأفضليّة لأحدهما إلّا بطريق التعبّد؛

لا وجه له، فإنّ المجهول كنه حقيقة الإمام والقرآن وتمام شئونه وأنّى بالإحاطة به، كما صرّح الرضا عليه السلام في بيان وصف الإمام في الرواية الطويلة، فقال: «هيهات! هيهات! ضلّت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيّرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وخسرت الخطباء وجهلت الألبّاء وكلّت الشعراء وعجزت الأُدباء وعيّيت البلغاء عن وصف شأنٍ من شئونه أو فضيلة من فضائله»[٢]... إلى آخر ما قال.

والمراد معرفته، أو معرفة كلّ من صفاته بالكنه، ولهذا قال: «وكيف يوصف بكلمة أو يُنعت بكنهه»[٣] وستعرف تمام الخبر إن شاء الله، ولكن العلم بأفضليّة أحدهما على الآخر لا تكون موقوفاً على معرفة تمام كنهها، بل يكفي فيه ما ظهر لنا من الأوصاف والآثار الدالّة على الأفضليّة.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٦٢٦؛ كمال الدين، ج ١، ص ٢٥٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٧، ص ٣٠٣.

٢. كمال الدين، ج ٢، ص ٦٧٨؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢١٩؛ الأمالي للصدوق، ص ٦٧٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٢٤.

٣. نفسه.

ألا ترى إنّا مكلّفون بمعرفة النبيّ والإمام ولا يحيط عقولنا الناقصة بإدراك تمام حقيقتهما، وأوضح منهما معرفة الله تعالى.

إذا عرفت ذلك فنقول: جهات الأفضليّة والأشرفيّة مدركة منقولة مصرّحة فإنّها إمّا بالنسب والحسب، وإمّا بالملكات النفسانيّة والأخلاق المستحسنة الإلهيّة والخلقيّة كالعلم والحلم والعصمة والعدالة والسخاوة والشجاعة والنصفة وغير هذه ممّا عدّها الأئمّة الأبرار في الروايات، مثل رواية سماعة بن مهران عن الصادق عليه السلام في جنود العقل والجهل، وإمّا بالأفعال المحمودة كالعبادات والزهادات والقناعات، وإمّا بالموهبيّات الإلهيّة من ربّ العالمين وإن كانت كلّها موهوبة من الله إلّا أنّ بعضها كالكسبيّات مثل العبادات، وبعضها كالموهبيّات الصرفة مثل العصمة.

وإذا فحصنا كلّ الفحص في جهات الشرافة والفضيلة والجلالة تراها مجتمعة في عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وسائر الأئمّة الأطهار، ولم نجد مثلها في أصناف القرآن.

فلا مناص لنا إلّا الحكم بأفضليّتهم من القرآن، وها نحن بعون الله تعالى نذكر جهات الفضيلة والشرافة ونثبتها للذات المقدّس المبارك العلويّة عليه السلام، ثمّ نردفها بالأخبار الواردة على طبقها من محمّدٍ وآله الأطهار عليهم السلام، فنقول:

إعلم! أوّلاً كما أشرنا إليه أنّ جهات الشرافة والجلالة والفضيلة إمّا بالنسب والحسب، أو بالأخلاق المحمودة والملكات الحميدة، أو بالأفعال المستحسنة المطلوبة المرغوبة.

وبعبارةٍ أُخرى: إمّا من جهة الذات، أو من جهة الأوصاف والملكات القلبيّة، أو من جهة الأفعال والعبادات والمعاملات والمعاشرات الخارجيّة.

فنشير إلى كلّ واحد من هذه الجهات الثلاثة ونثبتها للذات المقدّس العلويّ عليه السلام.

فأقول: أمّا نسبه، فبدؤ خلقه من نور الله المعبّر عنه في أخبار متواترة بنور عظمة الله، أو نور قدرة الله قبل خلق عامّة الممكنات، فكان أوّل ما بدأ به من نور عظمته وقدرته نور محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ انشقّ منه نور عليّ عليه السلام -أو جعله نصفين: نصف نور محمّدٍ صلى الله عليه وآله ونصف نور عليٍّ عليه السلام- فالمؤاخاة بينهما متحقّقة من ذلك العالم، ثمّ انشق من نور محمّد صلى الله عليه وآله نور

فاطمة عليها السلام، ومن نورهما نور أولادهما الطيّبين الطاهرين، فكانوا يسبّحون الله ويمجّدونه ويهلّلونه ولا تسبيح ولا تكبير ولا تهليل.

فلمّا خلق الله العرش والكرسيّ والسماوات والأرض والملائكة من أنوارهم تعلّموا التسبيح والتهليل، فهلّلت الملائكة بتهليلهم، وسبّحت بتسبيحهم إلى أن خلق الله آدم، فجعل نورهما في جبهة آدم، فأمر الملائكة له بالسجود لذلك النور، ثمّ انتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهّرة إلى أن وصل إلى عبدالمطّلب، فجعل ذلك النور نصفين: نصفٌ في عبدالله، ونصفٌ في أبي طالب، إلى أن شرّفا هذا العالم بقدومهما.

فأوّل من أسلم لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام أوّلاً في زمان تولّده حين أسلمته فاطمة بنت أسد للرسول، فسلّم لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوّة.

وثانياً أسلم له بحسب الظاهر وهو ابن ستّ سنين وكان مع النبيّ ناصراً ومعيناً ومطيعاً معه ومهاجراً للهجرتين، ومتابعاً للبيعتين، ومصلّياً للقبلتين، إلى أن آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين نفسه وبين عليّ عليه السلام، وإلى أن زوّجه ابنته الجليلة وبضعته النبيلة فاطمة سيّدة نساء العالمين وأخذه صهراً فجعله الله نسباً وصهراً، حتّى عدّه الله نفسه يوم المباهلة، وجعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنفسه يوم آية البرائة.

فكان ناصره ومعينه في جميع الغزوات إلى أن وصل أوان هجرته من الدنيا، فأقامه وصيّاً وخليفة له في اُمّته، وأميرالمؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين وسيّد المتقين ويعسوب الدين ووليّ الله وحجّة الله في الأرضين، فأنّىٰ يمكن لأحد مثل هذا النسب الشريف والأصل الجليل؟

ولا أقول هذا الحسب والنسب من عندي، بل وردت عليه الأخبار المتواترة المتكاثرة، كما ستعرف في باب بدو خلقتهم بأزيد من أربعين طريقاً، وأنا أذكر لك في المقام روايات ثلاثة مشتملة على ذلك النسب الشريف غير ما يأتي من الأخبار المفصّلة:

أحدها: ما نقله في «البحار» عن كتاب «الروضة» وكتاب «الفضايل» عن ابن مسعود قال: «دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله! عليك السلام، أرني الحقّ لأنظر إليه.

فقال: يا عبدالله! فج المخدع.

فولجت المخدع، فإذا عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام يصلّي وهو يقول في سجوده وركوعه: اللهمّ بحقّ محمّدٍ عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي.

فخرجت حتّى أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيته يصلّي وهو يقول: اللهمّ بحقّ عليٍّ عبدك إغفر للخاطئين من أُمّتي.

قال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صلاته وقال: يابن مسعود! أكفر بعد إيمان؟

فقلت: حاشا وكلّا يا رسول الله! ولكن رأيت عليّاً عليه السلام يسأل الله بك ورأيـتك تسأل الله بعليّ عليه السلام، فلا أعلم أيّكما أفضل عند الله تعالى؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اجلس يابن مسعود!

فجلست بين يديه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إعلم! أنّ الله خلقني وعليّاً من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، إذ لا تسبيح ولا تهليل ولا تقديس، فـفتق نـوري فـخلق مـنه السماوات والأرضين، وأنا والله! أجلّ من السماوات والأرضين.

وفتق نور عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فخلق منه العرش والكرسيّ وعليّ بن أبي طالب والله! أفضل من العرش والكرسيّ.

وفتق نور الحسن عليه السلام، فخلق منه اللوح والقلم، الحسن والله! أفضل من اللوح والقلم.

وفتق نور الحسين عليه السلام، فخلق منه الجنان وحور العين، والحسين والله! أفضل من الجنان وحور العين.

ثمّ اظلمّت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله أن يكشف عنهم تـلك الظـلمة، فتكلّم الله بكلمة، فخلق منها روحاً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نوراً، فأضاف إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش، فزهرت المشارق والمغارب؛ فـهي فـاطمة الزهـراء عليها السلام ولذلك سمّيت الزهراء، لأنّ نورها زهرت به السماوات.

يابن مسعود! إذا كان يوم القيامة يقول الله ـ جلّ جلاله ـ لي ولعليّ: أدخلا الجنّة من شئتما

وأدخلا النار من شئتما، وذلك قول الله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[١].

فالكافر من جحد نبوّتي، والعنيد من جحد بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعترته، والجنّة لشيعته ومحبّيه»[٢].

هذه رواية واحدة في بدو خلقة عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام من نور قدرته تعالى، وبمعناه الأخبار المتواترة الآتية في بابه.

ثانيها: ما في «الاحتجاج» قال: قال سليم بن قيس: حدّثني سلمان والمقداد وحدّثنيه بعد ذلك أبوذر ثمّ سمعته من عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قالوا:

«إنّ رجلاً فاخر عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ لمّا سمع به ـ لعليّ عليه السلام: فاخر العرب، فأنت فيهم أكرمهم ابن عمّاً، وأكرمهم صهراً، وأكرمهم نفساً، وأكرمهم زوجة، وأكرمهم أخاً، وأكرمهم عمّاً، وأكرمهم ولداً، وأعظمهم وأكرمهم علماً، وأقدمهم سلماً، وأعظمهم غناءً بنفسك ومالك.

وأنت أقرأهم لكتاب الله، وأعلمهم بسنّتي، وأشجعهم لقاء، وأجودهم كفّاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشدّهم اجتهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبّهم إلى الله وإليّ.

وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش لك، ثمّ تجادهم في سبيل الله، فإذا وجدت أعواناً فقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت معي على تنزيله، ثمّ تقتل شهيداً تخضب لحيتك من دم رأسك، قاتلك يعدل عاقر الناقة في البغض إلى الله والبعد منه»[٣].

ثالثها: ما في «الاحتجاج» أيضاً قال: قال سليم بن قيس: «سأل رجل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له ـ وأنا أسمع ـ: أخبرني بأفضل منقبة لك؟

قال: ما أنزل الله في كتابه.

قال: وما أنزل فيك؟

---

١. ق: ٢٤.

٢. الفضائل، ص ١٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٧٣.

٣. كتاب سليم بن قيس، ص ٦٠٢؛ الاحتجاج، ج ١، ص ١٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١.

قال: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾[١]

قال: أنا الشاهد من رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾[٢] إيّاي عنى بمن عنده علم الكتاب.

فلم يدع شيئاً أنزل الله فيه إلّا ذكره، مثل قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[٣].

وقوله: ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[٤] و غير ذلك.

قال: قلت: فأخبرني فأفضل منقبة لك من رسول الله ﷺ.

فقال: نصبه إيّاي يوم غدير خم، فأقامني بالولاية بأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ بقوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

وسافرت مع رسول الله ﷺ ليس له خادم غيري، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة، حتّى يمسّ اللحاف الفراش الّذي تحتنا فأخذتني الحمّى ليلة فأسهرتني، فسهر رسول الله ﷺ لسهري، فبات ليلته بيني وبين مصلّاه، يصلّي ما قدر له ثمّ يأتيني ويسألني وينظر إليّ، فلم يزل ذلك دأبه حتّى أصبح، فلمّا صلّى بأصحابه الغداة، قال: اللهمّ اشف عليّاً وعافه فإنّه أسهرني الليلة ممّا به.

ثمّ قال رسول الله ﷺ بمسمع من أصحابه: بشّر يا عليّ!

قلت: بشّرك الله بخير يا رسول الله! وجعلني فداك.

قال: إنّي لم أسأل الله الليلة شيئاً إلّا أعطانيه، ولم أسأله لنفسي شيئاً إلّا سألت لك مثله، وإنّي دعوت الله أن يؤاخي بيني وبينك ففعل، وسألته أن يجعلك وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة،

---

١. هود: ١٧.

٢. الرعد: ٤٣.

٣. المائدة: ٥٥.

٤. النساء: ٥٩.

ففعل.

فقال رجلان أحدهما لصاحبه: أرأيت ما سأل فوالله! لصاع من تمر خير ممّا سأل، ولو كان لسأل ربّه أن ينزل إليه ملكاً يعينه على عدوّه، أو ينزل عليه كنزاً ينفعه وأصحابه فإنّ بهم حاجة كان خيراً ممّا سأل، وما دعا عليّاً قطّ إلى خيرٍ إلّا استجيب له»[١].

هذه هي ما أردت ذكره في المقام ذكراً لنسبه عليه السلام من بدو خلقته إلى ولايته، وإلى مؤاخاته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى ولايته للناس، وإلى خلافته للأُمّة بعد رسول ملك الناس.

وقد عرفت أنّ بدو خلقته من نور عظمة الله وقدرته، ووسطه في جبهة آدم المسجود لملائكته من جهته، وفي هذا العالم أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووزيره وخليفته ووليّ الله وحجّته وكلمته وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين ويعسوب المؤمنين.

وإذا لاحظت نسب ذاته في مقامه العنصريّ فطينته من طينة العلّيّين، وماءه من ماء الجنان وتحت عرش الرحمان لا من هذا الطين والماء المتعارف، كما وردت في الروايات المعتبرة في انعقاد نطفة الإمام[٢]، وسيجيء الإشارة إليها في أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

وإذا رأيت في المقايسة بهذه المقامات في القرآن العظيم: فأوّله كلام الله، وأوسطه في اللوح المحفوظ، وآخره في هذه المصاحف الّتي بأيدينا، وأين نور الله من كلام الله؟! وأين اللوح المحفوظ من مقام عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام؟!

وقد رويت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقسم بأنّ اللوح مخلوق من نور الحسن، والحسن خير من اللوح.

وفي الروايات أبوهما خير منهما، وفي هذه النشأة أخو رسول الله صلّى الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذي هو كنفسه، بل هو هو، وأين مقام الحقيقة العلويّة المساوقة للحقيقة المحمّديّة صلى الله عليه وآله وسلم من هذه المصاحف الّتي بأيدينا؟! هذا هو الكلام في مقام النسب.

أمّا الكلام في ملكاته الملكوتيّة والأخلاق الحسنة الإلهيّة، فأعلاها وأحسنها هو

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ١٥٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١.

٢. راجع: بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦، باب ٢.

العلم فإنّه الّذي مدحه الله في كتابه الكريم في مواضع، وهو الّذي امتاز به الإنسان عن غيره، وبه يكون الإنسان أشرف المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١)، وكقوله: ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾(٢) في مقام أفضليّة آدم عليه‌السلام عليهم لمّا جعله خليفة له في أرضه، فاحتجّ الله على الملائكة بعلمه وجهلهم، فاعترفوا وسجدوا له.

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾(٤)... إلى غير ذلك من الأدلّة من الكتاب والسنّة، ومن العقول الواضحة والبراهين الساطعة.

والكلام في علم عليٍّ عليه‌السلام مرّة على سبيل الإجمال، وأُخرى على بيان أقسامه وأسبابه وجهاته، وتارة في تفصيل الكلام في أصناف العلوم وإسناد الكلّ إليه عليه‌السلام، كما حقّقه العلماء الأعلام.

أمّا المرتبة الأُولى، فالأخبار فيها على أصناف:

صنفٌ ما يدلّ على أنّ كلّ علم علّمه الله لرسوله الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم خصوصاً ليلة المعراج قد علّمه عليّاً عليه‌السلام.

وصنفٌ منها ما يدلّ على أنّه عليه‌السلام ورثة الأنبياء وأنّ عنده علم جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى الخاتم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

وصنفٌ منها ما يدلّ على أنّ جميع الكتب السماويّة من الصحف والتوراة والإنجيل والقرآن عنده عليه‌السلام مع نصّ القرآن بأنّه ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٥)، وأنّه: ﴿مَا

---

١. العلق: ٥.

٢. البقرة: ٣٣.

٣. الزمر: ٩.

٤. البقرة: ٢٤٧.

٥. الأنعام: ٥٩.

﴿فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[١]، وأنّه: **﴿لَايُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَاكَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَاهَا﴾**[٢]

وعلم هذا كلّه عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما تدلّ عليه الأخبار الكثيرة التفسيريّة في قوله تعالى: **﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ﴾**[٣] لقوله تعالى: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾**[٤] والأخبار المتواترة الدالّة على أنّ علم القرآن تمامه عنده عليه السلام.

وصنفٌ منها ما يدلّ على أنّ عنده الجفر والجامعة وصحيفة فاطمة عليها السلام، وفيها حكم كلّ شيء حتّى أرش الخدش، وفي صحيفة فاطمة عليها السلام علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وما فيه من القرآن حرف واحد، كما ستعرف إن شاء الله.

وصنفٌ منها يدلّ على أنّ علم الغيب عندهم.

إلى غير ذلك من الأصناف مثل [أنّهم] خزنة علم الله، وأنّ عندهم علم السماء والأرض، وأنّه لا يخفى عليهم شيء، والأخبار في أكثرها متواترة فضلاً عن مجموعها، ونحن نـذكر في المقام بعض الأخبار من هذه الأصناف:

في «الكافي» عن محمّد بن يحيى مسنداً إلى أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: «قلت له: جعلت فداك! أخبرني عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ورث النبيّين كلّهم؟

قال: نعم.

قلت: من لدن آدم عليه السلام حتّى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبيّاً إلّا ومحمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أعلم منه.

قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله.

قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدر على هذه المنازل.

---

١. الأنعام: ٣٨.

٢. الكهف: ٤٩.

٣. الرعد: ٤٣.

٤. يس: ١٢.

قال: فقال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره، فقال: ﴿ مَا لِيَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ ﴾[١] حين فقده فغضب عليه.

فقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[٢].

وإنّما غضب لأنّه كان يدلّه على الماء، فهذا وهو طائر قد أُعطي ما لم يُعطَ سليمان، وقد كانت الريح والنمل والإنس والجنّ والشياطين والمردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه، وإنّ الله يقول في كتابه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[٣].

وقد ورثنا نحن هذا القرآن الّذي تُسيّر به الجبال ويُقطّع به البلدان ويُحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يُراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله ممّا كتبه الماضون جعله الله لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله يقول: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي ٱلسَّماءِ وَٱلأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[٤]، ثمّ قال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٥].

فنحن الّذين اصطفانا الله ـ عزّ وجلّ ـ وأورثنا هذا الّذي فيه تبيان كلّ شيء»[٦]، انتهى.

ومثله كثير من الأخبار.

وفي «الكافي» أيضاً عن عليّ بن محمّد مسنداً إلى سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ لله تبارك وتعالى علمين:

علماً أظهر عليه ملائكته وأنبيائه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبيائه فقد

---

١. النمل: ٢٠.

٢. النمل: ٢١.

٣. الرعد: ٣١.

٤. النمل: ٧٥.

٥. فاطر: ٣٢.

٦. الكافي، ج ١، ص ٢٢٦؛ بحارالأنوار، ج ١٤، ص ١١٢.

علمناه.

وعلماً استأثر به، فإذا بدا بشيءٍ منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمّة الّذين كانوا من قبلنا»[١].

وفي «الكافي» أيضاً: عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن الحرث بن مغيرة؛ وعدّة من أصحابنا منهم عبدالأعلى وأبو عبيدة وعبدالله بن البشر الخثعميّ سمعوا أبا عبدالله عليه السلام:

«إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون.

ثمّ مكث هنيئة، فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ، يقول: ﴿ **فيه تبيان كلّ شيء** ﴾»[٢].

وفيه أيضاً عن عليّ بن محمّد مسنداً إلى جماعة منهم ابن سعد الخثعميّ أنّه قال: «كان المفضّل عند أبي عبدالله عليه السلام، فقال له المفضّل: جعلت فداك! يفرض الله طاعة عبدٍ على العباد ثمّ يحجب عنه خبر السماء؟

قال: لا، الله أكبر وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبدٍ على العباد ثمّ يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً»[٣].

وفي «الكافي» أيضاً عن محمّد بن يحيى مسنداً إلى ضريس الكناسيّ، قال: سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام يقول ـ وعنده أُناس من أصحابه ـ:

«عجبت من قوم يتوالونا ويجعلونا أئمّة ويصفونا بأنّ طاعتنا مفروضة كطاعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ يكثرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصون حقّنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٥٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٩٣.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٦١؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٨٥.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٦١؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٠٩.

أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثمّ يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم»[١]... الخبر بطوله.

وفي «الكافي» أيضاً عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن عبدالله بن سليمان، عن حمران بن أعين، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال:

«إنّ جبرئيل أتى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله برمّانتين، فأكل رسول الله إحداهما وكسر الأُخرى بنصفين، فأكل نصفاً وأطعم عليّاً عليه‌السلام نصفاً.

ثمّ قال له رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: يا أخي! هل تدري ما هاتان الرمّانتان؟

قال: لا.

قال: أمّا الأُولى، فالنبوّة ليس لك فيها نصيبٌ، وأمّا الأُخرى فالعلم أنت شريكي فيه.

فقلت: أصلحك الله تعالى! كيف كان شريكه فيه؟

قال: لم يعلّم الله محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله علماً إلّا وأمره أن يعلّم عليّاً»[٢]، انتهى.

وهذه الأخبار أيضاً متعدّدة.

وفي آخر رواية منها: عن أبي جعفر عليه‌السلام: «انتهى العلم إلينا، ثمّ وضع يده على صدره»[٣].

وفي «الكافي» أيضاً: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عبدالله الحجّال، عن أحمد بن عمر الحلبيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه‌السلام فقلت: جعلت فداك! إنّي أسألك عن مسألة، هاهنا أحد يسمع كلامي؟

فرفع أبو عبدالله عليه‌السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه، ثمّ قال: يا أبامحمّد! سل عمّا بدا لك.

قال: فقلت: جعلت فداك! إنّ شيعتك يحدّثون أنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله علّم عليّاً عليه‌السلام باباً يفتح

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٦١؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٤٩.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٦٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٧٣.

٣. نفسه.

له منه ألف باب.

قال: فقال: يا أبا محمّد! علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب.

قلت: هذا والله! العلم؟!

قال: فنكت ساعة في الأرض، ثمّ قال: إنّه العلم وما هو بذاك.

قال: ثمّ قال: يا أبا محمّد! وإنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟

قال: قلت: جعلت فداك! وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإملائه، من فلق فيه وخطّ يمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج إليه الناس حتّى الأرش في الخدش، وضرب بيده إلى صدره، فقال لي: تأذن يا أبامحمّد؟

قال: قلت: جعلت فداك! إنّما أنا لك فاصنع ما شئت.

قال: فغمز بي بيده وقال: حتّى أرش هذا، كأنّه مغضب.

قال: قلت: هذا والله! العلم؟!

قال: إنّه العلم وليس بذاك.

ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: وإنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟

قال: قلت: وما الجفر؟

قال: وعاء من أدم فيه علم النبيّين والوصيّين، وعلم العلماء الّذين مضوا من بني إسرائيل.

قال: قلت: إنّ هذا هو العلم؟!

قال: إنّه لعلم وليس بذاك.

ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟

قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟

قال: مصحفٌ فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

قال: قلت: هذا والله! العلم؟!

قال: إنّه لعلم وما هو بذاك.

ثمّ سكت ساعة، ثمّ قال: إنّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

قال: قلت: جعلت فداك! هذا والله! هو العلم؟!

قال: إنّه لعلم وما هو بذاك.

قال: قلت: جعلت فداك! فأيّ شيءٍ العلم؟

قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»[١].

أقول: والأخبار في أعظميّة علم ما يحدث بالليل والنهار من العلوم السابقة كثيرة.

في رواية منصور بن حازم عن الصادق عليه السلام قال: «قلت: إنّ الناس يذكرون أنّ عندكم صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها ما يحتاج إليه الناس، وإنّ هذا هو العلم؟!

فقال أبو عبدالله عليه السلام: ليس هذا هو العلم، إنّما هو أثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنّ العلم الّذي يحدث في كلّ يوم وليلة»[٢]، انتهى.

أقول: «العلم» إسم إنّ، وخبره «الّذي».

وفي خبر آخر عن حمران بن أعين قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: عندكم التوراة والإنجيل والزبور وما في الصحف الأُولى: صحف إبراهيم وموسى؟

قال: نعم.

قلت: إنّ هذا هو العلم الأكبر؟!

قال: يا حمران! لو لم يكن غير ما كان ولكن ما يحدث بالليل والنهار علمه عندنا أكبر»[٣].

أقول: قوله: «لو لم يكن غير ما كان»[٤] أي: لو لم يكن لنا علم غير العلم الّذي كان للسابقين كان ما ذكر العلم الأكبر، ولكن ما يحدث من العلم عندنا في الليل والنهار أكبر.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٣٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٣٨.

٢. بصائر الدرجات، ص ١٣٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٠.

٣. بصائر الدرجات، ص ١٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٠.

٤. بصائر الدرجات، ص ١٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٠.

وحاصله، أنّ العلم الحادث لنا في كلّ يوم وليلة هو العلم الأكبر لا العلم بما يحدث في الليل والنهار.

ويظهر منه أنّ علمهم يزيد في كلّ يوم وليلة نظير علم العالم المحصّل منّا، وأخبار زيادة علمهم في كلّ زمان ويزيد في كلّ ليلة جمعة وإلّا لينفد؛ كثيرة مسطورة بعضها في «الكافي»[١] مابين معنونين بالعنوانين المذكورين.

وينشأ من هذا إشكالٌ عظيم وهو أنّه لو كان عندهم علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وهذا حاصلٌ لهم عند وجودهم، أو عند تفويض الإمامة إلى كلّ واحد منهم، أو عندما علّمه السابق من إمام إلى النبيّ، كما دلّت أخبار كثيرة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم علم ما كان وما يكون وجميع الشرايع والأحكام إمّا عند بعثته، أو ليلة المعراج، وقد علّم ذلك عليّاً عليه السلام، وعلّم عليٌّ الحسن عليهما السلام وهكذا، فأيّ شيءٍ يبقى حتّى يحدث لهم بالليل والنهار؟

ونظير هذا الإشكال وارد في أخبار ليلة القدر، وأنّ الملائكة ينزلون إلى إمام كلّ عصر في ليلة القدر ويجيئون بأحكام ذلك السنة إلى ليلة القدر القابل.

وهذا أيضاً أمر معلوم من أخبار كثيرة قطعيّة من الفريقين من العامّة والخاصّة، ولهذا ورد في أخبارنا: «خاصموا الناس بسورة إنّا أنزلناه»[٢] وهو أدلّ حجّة عليهم، فإنّ تنزّل الملائكة والروح بأحكام كلّ سنة في ليلة القدر ولصاحب الأمر معلوم مسلّم، فهل هو ـ مثلاً ـ منصور الدوانيقيّ، أو هارون، أو مأمون وأشباههم من السلاطين الباطلة؟ وهو محال لا يقول به أحد، فلابدّ في كلّ زمانٍ من وجود إمام تنزّل الملائكة والروح إليه في ليلة القدر، فلهذا يكون الحجّة على خصومنا.

وإذا تحقّق أنّ الإمام يعلم علم ما كان وما يكون فأيّ شيء يبقى حتّى يأتي به الملائكة والروح في ليلة القدر؟

والجواب عن هذا الإشكال القويّ بوجوه:

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٥٤.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٤٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٧١.

أحدها: ما قيل: إنّ العلم ليس يحصل بالسماع وقراءة الكتب وحفظها، فإنّ ذلك تقليد، وإنّما العلم ما يفيض من عند الله سبحانه على قلب المؤمن يوماً فيوماً، وساعة فساعة، فينكشف من الحقائق ما تطمئنّ به النفس، وينشرح به الصدر، ويتنوّر به القلب.

والحاصل، أنّ ذلك مؤكّد ومقرّر لما علم سابقاً يوجب مزيد الإيمان واليقين والكرامة والشرف بإفاضة العلم إليهم بغير واسطة المرسلين.

ثانيها: أن يفيض عليهم تفاصيل ما عندهم مجملاتها وإن أمكنهم استخراج التفاصيل ممّا عندهم من أُصول العلم وموادّه.

الثالث: أن يكون مبنيّاً على البداء، فإنّ فيما علموا سابقاً ما يحتمل البداء والتفسير، فإن أُلهموا بما غُيّر من ذلك بعد الإفاضة على أرواح من تقدّم من الحجج، أو أكّد ما علموا بأنّه حتميّ لا يقبل التغيير كان ذلك أقوى علومهم وأشرفها.

وهذه الثلاثة ذكرها المجلسيّ ﷺ بعين هذه العبارات في «البحار»[1]، والكلّ محلّ نظر.

أمّا الأوّل: فهو يقتضي أن يكون علومهم أوّلاً علوماً ضعيفة كالعلوم التقليديّة ثمّ يتقوّى شيئاً فشيئاً إلى أن حصل لهم الاطمينان والعلم الواقعيّ.

وأمّا الثاني: فلا اقتضائه جهلهم بتفاصيل الأُمور في مدّة، وهذا صريح في الجهل بالتفاصيل وهو خلاف المقطوع وخلاف المعلوم من الأخبار أيضاً.

وأمّا الثالث: وهو أحسنها وعليه جملة من الأخبار إلّا أنّه يناسب أخبار ليلة القدر، لقلّة العلوم البدائيّة بالنسبة وظهور الدوام والاستمرار في هذه الأخبار في الازدياد في كلّ يوم وليلة وفي ليلة الجمعة، ولأنّ هذه الأخبار دالّة على أنّ هذا العلم الّذي هو أعظم وأكبر فيه زيادة كرامة وكمال وشرافة استكمال كقوله: «إنّما هو أثر عن رسول الله ﷺ»[2] ولا ظهور كمال في الاطّلاع على العلوم البدائيّة.

نعم، هو كرامة من الله، وأمّا كونه ترقّياً وكمالاً تامّاً للإمام فغير ظاهر؛ فالأحسن هو الّذي

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٠.

٢. بصائر الدرجات، ص ١٣٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٠.

جعله المجلسيّ ﵀ رابعاً [و] قال:

[رابعاً]: ـ وهو الأقوى عندي ـ وهو أنّهم في النشأتين سابقاً على الحياة البدنيّ ولاحقاً بعد وفاتهم يعرجون في المعارف الربّانيّة الغير المتناهية على مدارج الكمال، إذ لا غاية لعرفانه تعالى وقربه.

ويظهر ذلك من كثير من الأخبار وظاهر أنّهم إذا تعلّموا في بدو إمامتهم علماً لا يقفون في تلك المرتبة ويحصل لهم بسبب مزيد القرب والطاعات زوائد العلم والحكم والترقّيات في معرفة الربّ تعالى، وكيف لا يحصل لهم ويحصل ذلك لسائر الخلق مع نقص قابليّتهم واستعداداتهم، فهم ﷺ أولى بذلك وأحرى.

ولعلّ هذا أحد وجوه استغفارهم وتوبتهم في كلّ يوم سبعين مرّة وأكثر، إذ عند عروجهم إلى كلّ درجة رفيعة من درجات العارفين يرون أنّهم كانوا في المرتبة السابقة في النقصان فيستغفرون منها ويتوبون إليه تعالى»[١]، انتهى كلامه طاب منامه.

أقول: وهذا الأخير هو المعيّن المأخوذ من مشكاة النبوّة وأخبار أهل بيت العصمة، والله تعالى ـ جلّ جلاله ـ شاهد على أنّ هذا العبد القاصر لمّا رأيت في سالف الزمان أقوال المفسّرين في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[٢] من أنّ المراد ثبّتنا على دين الحقّ أو أدم لنا، لأنّ المراد بالصراط المستقيم هو دين الإسلام والإيمان، وهو حاصل، وطلب الحاصل لا معنى له، وخاصّة من رؤساء الدين؛ قلت في نفسي ولساني: لم لا يكون المراد طلب الترقّي في المعارف الربّانيّة وكلّ أحد يتحقّق في حقّه حقيقة هذا الطلب حتّى الحقيقة المحمّديّ ﷺ؛ لأنّ المعارف الربّانيّة لا نهاية لها.

ومن هذا الباب قوله تعالى لنبيّه: ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[٣] و﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[٤]،

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٠.

٢. الفاتحة: ٦.

٣. طه: ١١٤.

٤. يوسف: ١٠١.

فقوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ على حقيقته في حقّ كلّ مصلٍّ من طلب الإرشاد إلى الترقّي إلى المعارف الربّانيّة.

بل نقول: كما أنّ هذا جار على تنزيله، فهو بعينه جار على تأويله بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فإنّ الترقّي في معارفهم أيضاً كالترقّي في المعارف الربّانيّة، فإنّ فضائلهم ومناقبهم لا تحصى، كما دلّت عليه أخبار كثيرة متوافرة من الخاصّة والعامّة في أنّه لو كان الأشجار أقلاماً والبحر مداداً والجنّ والإنس كتّاباً لا يقدرون على إحصاء فضائلهم ومناقبهم.[١]

ونحمد الله على ذلك وسيأتي منّا جواب آخر عن الإشكال المذكور لم يسبقني إليه أحد في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

رجعنا إلى ما كنّا فيه من أخبار علم الإمام عليه السلام:

وعن «الكافي» أيضاً: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبدالعزيز، عن حمّاد بن عثمان، قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أنّي نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام.

قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟

قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا قبض نبيّه دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا الله ـ عزّ وجلّ ـ، فأرسل إليها ملكاً يسلّي غمّها ويحدّثها.

فشكت ذلك إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال لها: إذا حسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي.

فأعلمته بذلك، فجعل أميرالمؤمنين عليه السلام يكتب كلّما سمع حتّى أثبت في ذلك مصحفاً.

قال: ثمّ قال: أمّا إنّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»[٢]، انتهى الخبر.

إلى غير ذلك من الأخبار، ويظهر من هذا الخبر الأخير ومن أخبار أُخر أنّ مصحف

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٣٤.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٤٤.

فاطمة عليها السلام فيه سلطنة السلاطين وغلبة المتغلّبين إلى ظهور القائم عليه السلام، وما بعده إلى يوم القيامة والجفر والجامعة؛ أحدهما في أحكام الحلال والحرام، والآخر في علوم الأنبياء والمرسلين.

وفي أخبارٍ أُخَر: إنّ عندهم التوراة والإنجيل وزبور داود وصحف إبراهيم وآدم وشيث وموسى وغيرهم من الأنبياء وجميع علومهم وكتبهم وأسفارهم كما أُنزل، وكما هو الحقّ.

والواقع هذا كلّه مشترك بين عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام وبين سائر الأئمّة المعصومين بعده، وقد اختصّ أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله في المنبر وفي الجامع والمجالس العامّة: «سلوني قبل أن تفقدوني من أخبار السماء والأرض وممّا مضى وغبر إلى يوم القيامة»، وقوله عليه السلام مشيراً إلى صدره: «وإنّ هاهنا لعلماً جمّاً لو وجدت حملة»[١].

وهذه الأخبار أيضاً متواترة من طرق الخاصّة والعامّه، وسيأتي زيادة على ذلك في أبواب المقام الثالث، وفي باقي هذا المقام إن شاء الله.

وأمّا علم القرآن، ففيه أيضاً أخبار متواترة في أنّ علمه كلّه عند عليٍّ عليه السلام وسائر الأئمّة صلوات الله عليهم:

ففي «الكافي» في خبر سُدير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قصّة الجارية، وقال سدير: «نحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب.

قال: فقال: يا سدير! أما تقرأ القرآن؟

قلت: بلى.

قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ**﴾؟[٢]

قال: قلت: جعلت فداك! قد قرأته.

قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم من الكتاب؟

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٠٥؛ بحارالأنوار، ج ٦٥، ص ٢٢٤.

٢. النمل: ٤٠.

قال: قلت: أخبرني.

قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟

قال: قلت: جعلت فداك! ما أقلّ هذا؟!

فقال: يا سدير! ما أكثر هذا أن ينسبه الله -عزّ وجلّ- إلى العلم الّذي أُخبرك به.

يا سدير! فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله -عزّ وجلّ- أيضاً قوله تعالى: ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ** ﴾[١].

قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك.

قال: فمن عنده علم الكتاب كلّه أَفْهَمُ أمّن عنده علم الكتاب بعضه؟

قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلّه.

قال: فأومى بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب كلّه والله! عندنا علم الكتاب كلّه، والله! عندنا كلّه»[٢]، انتهى.

أقول: وما يفهم من هذا الخبر وأمثاله من الأخبار الكثيرة البالغة حدّاً يفيد العلم العاديّ يكفينا، ويعلم من الأخبار: أنّ المراد بعلم الغيب علم الأكوان البدائيّة يعني: ما قدّره الله وأمضاه ممّا كان أو يكون عِلمها عندهم، ولكن ما فيه البداء لا يعلمهم إلى أن حصل البداء، وإذا تحقّق البداء وتعلّقت مشيّة الله بشيء غير ما أظهره الله لملائكته وأنبيائه، أعلم الإمام ذلك، أي: إمام العصر.

ويظهر من أخبار كثيرة: أنّ هذا العلم أيضاً لا يختصّ بالإمام الحاضر، بل يعرض علمه للنبيّ والأئمّة الماضين، ثمّ يعرض لإمام العصر، فلا يبقى شيء يجهله الإمام عليه السلام إلّا العلوم البدائيّة في قدر من الزمان، وإذا تحقّق البداء وأمضى الله ما هو الواقع يعرض على النبيّ والأئمّة الماضين، ثمّ إلى إمام العصر.

وهذا أمرٌ استفدناه من الأخبار ولم نجد هذا البيان من أحد من العلماء، وستعرف تمام ما

---

١. الرعد: ٤٣.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٩٧.

ذكرته لك ـ إن شاء الله ـ في أبواب علومهم ومحصّله هذا الّذي ذكرته لك.

فالإمام عالم لا يجهل شيئاً، كما ورد هذا اللفظ في أخبار متعدّدة، ولا يكون موجود إلّا وقد علمه الإمام، والمعدوم غير قابل للعلم، لأنّه لا يكون، ولا ينكر هذا إلّا من ليس له خبرة بأخبار الأئمّة المعصومين، وهو قاصراً أو مقصّر.

وهذه الأخبار الّتي نقلنها بعض أخبار «الكافي» وهو أضبط الكتب وأحسنها وأعرفها.

وأختم هذا الباب بخبرٍ أخبر من غيره وهو ما رواه في «البحار» نقلاً عن كتاب «كشف اليقين» بإسناده إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ، عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال:

«قال عليٌّ عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لمّا أُسري بي إلى السماء ثمّ من السماء إلى سدرة المنتهى، وقفت بين يدي ربّي عزّ وجلّ، فقال: يا محمّد!

قلت: لبّيك وسعديك!

فقال: قد بلوت خلقي فأيّهم وجدت أطوع لك؟

قال: قلت: ربّ! عليّاً.

قال: صدقت يا محمّد! فهل اتّخذت لنفسك خليفة يؤدّي عنك ويعلّم من كتابي ما لا يعلمون؟

قال: قلت: إختر لي.

قال: قد اخترت لك عليّاً، فاتّخذه لنفسك خليفة ووصيّاً، ونحلته علمي وحلمي، وهو أمير المؤمنين عليه السلام حقّاً لم ينلها أحد قبله وليست لأحد بعده.

يا محمّد! عليٌّ راية الهدى، وإمام من أطاعني، ونور أوليائي، وهو الكلمة الّتي ألزمتها المتّقين، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، فبشّره بذلك يا محمّد!

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قلت: ربّ! فقد بشّرته، فقال عليّ عليه السلام: أنا عبد الله وفي قبضته؛ إن يعاقبني فبذنوبي لا يظلمني شيئاً، وإن يتمّ لي وعدي فالله مولاي.

قال: قلت: اللّهمّ اجلُ قلبه، واجعل ربيعة الإيمان به.

قال تعالى: قد فعلت ذلك به يا محمّد! غير أنّي مختصّه بشيء من البلاء لم أخصّ به أحداً من

أوليائي.

قال: قلت: ربّي! أخي وصاحبي.

قال: قد سبق في علمي أنّه مبتلى، لولا عليّ لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي»[1]، انتهى.

أقول: نقلت هذه الرواية لقوله: «نحلته علمي وحلمي»، وعلم الله وحلمه لا نهاية له، ولو تنزّلته على قدر الإمكان فهو فوق كلّ علم في ممكن.

وفي الروايات نكات لو بنينا على بيانها لطال الكلام، ولكن ينبغي أن يلتفت إليه العلماء مثل هذا، مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أمر الله تعالى ببشارة عليّ عليه السلام بذلك وهو في مكان قاب قوسين أو أدنى «قلت: ربّي! قد بشّرته، فقال عليٌّ عليه السلام كذا، أكان عليّ عليه السلام معه أم بشّره وعليّ عليه السلام في الأرض وهو في محلّه؟

ومثل قوله: «إجعل ربيعة الإيمان به» لا في قبله، أي: إجعل الإيمان ربيعاً في قلوب المؤمنين بعليّ عليه السلام وبهدايته وبسببه.

ومثل قوله تعالى: «لولا عليّ لم يعرف حزبي ولا أوليائي» وخصوصاً قوله: «ولا أولياء رسلي» فإنّ الرسل بصيغة الجمع ولم يكن حينئذٍ رسول إلّا محمّد صلى الله عليه وآله، فلا بدّ أن يكون المراد رسل الله تعالى قبله صلى الله عليه وآله.

ومثل قوله: «نحلته علمي وحلمي» وكيف حال صفات الله؟! فتفطّن أمثال هذه اللطائف في الروايات.

فإلى هنا ظهر إجمالاً عموم علمه وجهات علمه وأسبابه من الجفر والجامعة وصحيفة فاطمة عليها السلام وعلم علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلم حوادث الأيّام والليالي، وعلم يحدث أمراً بعد أمر، وعلم الكتاب كلّه، وفيه تبيان كلّ شيء، ويعلم من الأخبار أنّ الجفر والجامعة أحدهما في الأحكام الشرعيّة بأسرها، والآخر في علوم النبيّين والمرسلين، وصحيفة فاطمة فيه بيان السلاطين والأُمراء والحكّام إلى يوم القيامة، وفيه الفتن والغزوات والملاحم والمفاسد

---

١. كشف اليقين، ص ٢٧٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٣.

كلّها.

وقوله: «إنّه بقدر ثلاث مرّات من قرآنكم هذا وليس من قرآنكم فيه حرف واحد» يعني مصحف فاطمة عليها السلام بمقدار ثلاث مرّات من القرآن هذا وليس فيه شيء من أحكام الدين أُصولاً وفروعاً، وفيه قصص السلاطين والدول، والله أعلم.

بقي الكلام في تفصيل إسناد العلوم إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وأولاده الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

فأقول: أمّا اعتقاد الإماميّة في عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام، فهو معلوم منقول مأخوذ من الأخبار المنقولة عن أهل العصمة، وفي الأخبار المستفيضة: أنّ العلوم الشرعيّة الحقّة أُصولاً وفروعاً كلّها عنده عليه السلام وانتشر منه ما انتشر، وأعظمها علم الكتاب وعلم التوحيد وعلم أُصول الدين كلّها إلى المعاد، ثمّ علم الفقه من العبادات والمعاملات، ثمّ علم السياسات والمعاشرات.

أمّا علم القرآن، فقد ورد أخبار متواترة في أنّ علم القرآن وأحكامه وتنزيله وتأويله وناسخه ومنسوخه وعامّه وخاصّه ومطلقه ومقيّده كلّه عند عليٍّ عليه السلام، وغير الإماميّة أيضاً اعترفوا بأنّه أعلم من الكلّ في هذا العلم، كما ستعرف.

ففي «إرشاد» المفيد بإسناد ذكره إلى أصبغ بن نباتة قال:

«لمّا بويع أميرالمؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتمّاً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لابساً برديه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وأنذر، ثمّ جلس متمكّناً وشبّك بين أصابعه ووضعها أسفل سرّته، ثمّ قال:

يا معشر الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما والله! لو ثنيت[1] لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتّى ينتهي كلّ كتاب من هذه الكتب ويقول: يا ربّ! إنّ عليّاً قضى بقضائك، والله! إنّي لأعلم بالقرآن وتأويله من كلّ مدّعي علمه، ولولا آية

---

١. في نسخة: ثني.

في كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة.

ثمّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة! لو سألتموني عن آية آية لأُخبرنّكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها، خاصّها من عامّها، ومحكمها من متشابهها، ومكّيها من مدنيّها، والله! ما من فئة تضلّ أو تهدي إلّا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة»[١].

وفي «البحار» عن «مناقب ابن شهرآشوب» عن سفيان، عن ابن جريح، عن عطا، عن ابن عبّاس في قوله: «﴿ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ ﴾[٢] قال: قد يكون مؤمن ولا يكون عالماً، فوالله! لقد جمع لعليٍّ عليه السلام كلاهما: العلم والإيمان»[٣].

مقاتل بن سليمان، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس في قوله: «﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ ﴾[٤].

قال: كان عليّاً عليه السلام يخشى الله ويراقبه ويعمل بفرائضه، ويجاهد في سبيله»[٥].

الصفوانيّ في الإحن والمحن عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: ««حم» إسم من أسماء الله، «عسق» علم عليّ عليه السلام سبق كلّ جماعة وتعالى كلّ فرقة»[٦].

محمّد بن مسلم وأبو حمزة الثماليّ وجابر بن يزيد عن الباقر عليه السلام؛ وعليّ بن فضّال؛ والفضيل بن يسار؛ وأبو بصير، عن الصادق عليه السلام؛ وأحمد بن محمّد الحلبيّ؛ ومحمّد بن الفضيل، عن الرضا عليه السلام؛ وقد روي عن موسى بن جعفر عليهما السلام، وعن زيد بن عليّ؛ وعن محمّد بن الحنفيّ رضي الله عنه؛ وعن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه؛ وعن أبي سعيد الخدريّ؛ وعن إسماعيل السدّيّ أنّهم

---

١. الإرشاد، ج ١، ص ٣٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٤٤.
٢. الروم: ٥٦.
٣. المناقب، ج ٢، ص ٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٤٥.
٤. فاطر: ٢٨.
٥. المناقب، ج ٢، ص ٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٤٥.
٦. المناقب، ج ٢، ص ٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٤٥.

قالوا في قوله تعالى: « ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾[١] هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام »[٢].

الثعلبيّ في تفسيره بإسناده عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس؛ وروي عن عبدالله بن عطا، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قيل لها: « زعموا أنّ الّذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام!

قال: ذاك عليّ بن أبي طالب عليه السلام »[٣].

ثمّ روى أيضاً أنّه سُئل سعيد بن جبير: « ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾ عبدالله بن سلام؟

قال: لا، فكيف وهذه سورة مكّيّة »[٤].

وقد روى عن ابن عبّاس: « لا والله! ما هو إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لقد كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام »[٥].

وروي عن ابن الحنفيّة: « عليّ بن أبي طالب عليه السلام علم الكتاب الأوّل والآخر. رواه النطنزيّ في « الخصايص »، ومن المستحيل أنّ الله يستشهد بيهوديّ ويجعله ثاني نفسه »[٦].

وقوله: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾ موافق لقوله: « كلّا أُنزل في أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام »[٧] عدد حروف كلّ واحد منها ثمان مائة وسبعة عشر.

قال الجاحظ: « اجتمعت الأُمّة على أنّ الصحابة كانوا يأخذون العلم من أربعة: عليّ عليه السلام وابن عبّاس وابن مسعود وزيد بن ثابت.

وقال طائفة: عمر بن الخطّاب.

ثمّ أجمعوا على أنّ الأربعة كانوا أقرأ لكتاب الله من عمير.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: « يأمّ الناس أقرأهم » فسقط عمر.

---

١. الرعد: ٤٣.

٢. بصائر الدرجات، ص ٢١٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٤٢٠.

٣. المناقب، ج ٢، ص ٢٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٤٦.

٤ ـ ٧. نفسه.

ثمّ أجمعوا على أنّ النبيّ ﷺ قال: «الأئمّة من قريش» فسقط ابن مسعود وزيد وبقي عليّ عليه السلام وابن عبّاس إذ كانا عالمين فقيهين قرشيّين، فأكثرهما سنّاً وأقدمهما هجرة عليّ عليه السلام، فسقط ابن العبّاس وبقيّ عليّ عليه السلام أحقّ بالإمامة بالإجماع، وكانوا يسألونه ولم يسأل هو أحداً.

وقال النبيّ ﷺ: «إذا اختلفتم في شيء فكونوا مع عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام»[١].

أقول: واعتراف ابن عبّاس بأنّ عليّاً عليه السلام كان أعلم منه ومن جميع الناس بكتاب الله ونقله قصّة تعليمه ليلة واحدة في باء «بسم الله» وقوله: «لأوقرت سبعين بعيراً فيه»[٢] معروف مشهور.

فظهر من ذلك كلّه اتّفاق الخاصّة والعامّة على أنّ علم القرآن كلّه عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليس في الأمّة أعلم منه بكتاب الله.

وفي «البحار» عن ابن شبرمة: «ما أحد قال على المنبر سلوني غير عليٍّ عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٤]، وقال: ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٥].

فإذا كان ذلك لا يوجد في ظاهره فهل يكون موجوداً إلّا في تأويله؟ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[٦] وهو الّذي عنى عليه السلام بقوله: «سلوني قبل أن تفقدوني» ولو كان إنّما عنى ظاهره فكان في الأُمّة كثير يعلم ذلك، ولا يخفى ما فيه حرفاً، ولم يكن ليقول من ذلك على رؤوس الأشهاد ما يعلم أنّه ما يصحّ من قوله، وإنّ غيره يساويه فيه، أو يدّعي على شيء منه معه، فإذا ثبت أنّه لا نظير له في العلم صحّ أنّه أولى بالإمامة.

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٤٦.

٢. المناقب، ج ٢، ص ٤٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٧.

٣. النحل: ٨٩.

٤. يس: ١٢.

٥. الأنعام: ٥٩.

٦. آل عمران: ٧.

قال: ومن عجيب أمره في هذا الباب أنّه لا شيء من العلوم إلّا وأهله يجعلون عليّاً قدوة، فصار قوله قبلة، فمنه سمع القرآن».

وذكر الشيرازيّ في «نزول القرآن»، وأبو يوسف بن يعقوب في تفسيره عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾[١] كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يحرّك شفتيه عند الوحي ليحفظه، فقيل له: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ يعني بالقرآن، ﴿ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ من قبل أن يفرغ به من قرائته عليك، «إنّ عليّاً جمعه وقرآنه». قال: ضمن الله محمّداً صلّى الله عليه وآله أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

قال ابن عبّاس: فجمعه الله القرآن في قلب عليٍّ عليه السلام، وجمعه عليّ عليه السلام بعد موت رسول الله صلّى الله عليه وآله بستّة أشهر»[٢].

وفي أخبار أبي رافع: «إنّ النبيّ قال ـ في مرضه الّذي فيه توفّي ـ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا عليّ! هذا كتاب الله خذه إليك.

فجمعه عليّ في ثوبٍ فمضى إلى منزله، فلمّا قبض النبيّ صلّى الله عليه وآله جلس عليّ عليه السلام فألّفه كما أنزله الله، وكان به عالماً»[٣].

ونقل عن جماعة من علمائهم مثل ذلك: أنّ عليّاً عليه السلام بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله جمع القرآن وألّفه وكتبه، ثمّ قال: «وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام: «أنّه ـ يعني عليّاً ـ آلى أن لا يضع ردائه على عاتقه إلّا للصلاة حتّى يؤلّف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدّة إلى أن جمعه، ثمّ خرج إليهم به في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع مع التيه، فقالوا: لأمرٍ مّا جاء أبو الحسن عليه السلام.

فلمّا توسّطهم وضع الكتاب بينهم، ثمّ قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إنّي مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فهذا الكتاب وأنا العترة.

---

١. القيامة: ١٦.

٢. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٤.

٣. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٥.

فقام إليه الثاني فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما.

فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجّة.

ثمّ قال: وفي خبر طويلٍ عن الصادق عليه السلام: «أنّه حمله وولّى راجعاً نحو حجرته وهو يقول: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[١].

ولهذا قرأ ابن مسعود: «إنّ علياً جمعه وقرأه، فإذا قرأه فاتّبعوا قرائته»[٢].

أقول: يظهر من رواية ابن عبّاس السابقة وهذه الرواية وبيالي رواية من طرقنا عن أئمّتنا على طبقها أنّ «عليّاً» بالتشديد من دون ضمير المتكلّم أو معه أي: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام جمعه وقرانه أي جامعه وقاريه كما أُنزل، ولعلّنا نبيّنها عند إيراد روايتها.

فمن هذا كلّه علم أنّ تأليف القرآن وجمعه كما أُنزل كان من عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإن كان يظهر من أخبار كثيرة من طرقنا أنّ القرآن الّذي جمعه وألّفه مخزون عندهم إلى أن يظهر بقيّة الله في أرضه صاحب العصر والزمان، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين المعصومين، وأنّ هذا القرآن الّذي بأيدينا اليوم هو ما جمعه جماعة بأمر عثمان بعد الرجلين، وتفصيل القصّة مسطورة في مظانّها، ولعلّنا نقصّها عليك في مطاوي الأبواب الآتية إن شاء الله تعالى.

ومن العلوم، علم قرائة القراءات وقد نسبوه وأرجعوه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

ففي «البحار»: «والقرّاء السبعة المشهورين إلى قرائته يرجعون؛ فأمّا حمزة والكسائيّ فيقولان على قراءة عليّ عليه السلام وابن مسعود وليس مصحفهما إلّا مصحف ابن مسعود، فهما إنّما يرجعان إلى عليٍّ عليه السلام ويوافقان ابن مسعود فيما يجري مجرى الإعراب، وقد قال ابن مسعود: ما رأيت أحد أقرأ من عليّ بن أبي طالب عليه السلام للقرآن.

فأمّا نافع وابن كثير وأبو عمر، فمعظم قرائتهم ترجع إلى ابن عبّاس، وابن عبّاس قرأ على أُبيّ بن كعب وعليّ عليه السلام، والّذي قرأه هؤلاء القرّاء يخالف قرائة أُبيّ، فهو إذاً مأخوذ عن عليٍّ عليه السلام.

---

١. آل عمران: ١٨٧.

٢. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٥.

وأمّا عاصم، فقرأ على أبي عبدالرحمان السلميّ، وقال أبو عبدالرحمان: قرأت القرآن كلّه على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقالوا: أفصح القراءات قرائة عاصم، لأنّه أتى بالأصل وذلك أنّه يظهر ما أدغمه غيره ويحقّق من الهم ما ليّنه غيره، ويفتح من الألفات ما أماله غيره، والعدد الكوفيّ في القرآن منسوب إلى عليٍّ عليه السلام وليس في الصحابة من ينسب إليه العدد غيره، وإنّما كتب ذلك كلّ مصر عن بعض التابعين.

ومن العلوم الشريفة الشرعيّة علم التفسير، والمفسّرون الأقدمون كعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت كلّهم معترفون لعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام بالتقدّم، بل أخذوا منه عمدة ما قالوه»[1].

ففي «البحار» عن تفسير النقّاش: «قال ابن عبّاس: جلّ ما تعلّمت من التفسير من عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

وقال ابن مسعود: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف ما منها إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام علم الظاهر والباطن.

فضائل العكبريّ: وقال الشعبيّ: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله من عليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام.

وتاريخ البلاذريّ وحلية الأولياء: قال عليّ بن أبي طالب: «والله! ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، أم بليل نزلت أم بنهار، ونزلت في سهل، أو في جبل، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً».

وفي قوة القلوب: قال عليّ عليه السلام: «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب».

ولو وجد المفسّرون قوله لا يأخذون إلّا به.

ومن العلوم الشرعيّة هو الفقه، المسمّى بفروع الدين كلّها، وعلمائنا الفقهاء، وجميع فقهاء الأمصار يرجعون إليه، ومن بحره يغترفون.

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٦.

أمّا الإماميّة الإثنى عشريّة، فحالهم بالنسبة إلى إمامهم عليه السلام معلوم.

والمخالفون: أمّا أهل الكوفة، فقهاءهم سفيان الثوريّ والحسن بن صالح بن حيّ وشريك بن عبدالله وابن أبي ليلى وهؤلاء يفرعون المسائل ويقولون هذا قياس قول عليّ، ويترجمون الأبواب بذلك.

وأمّا أهل البصرة، ففقهائهم الحسن وابن سيرين وكلاهما كانا يأخذان عمّن أخذ عن عليٍّ عليه السلام، وابن سيرين يفصح بأنّه أخذ عن الكوفيّين وعن عبيدة السلمانيّ وهو أخصّ الناس بعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

وأمّا أهل مكّة، فإنّهم أخذوا عن ابن عبّاس عن عليٍّ عليه السلام، وقد أخذ عبدالله معظم علمه عنه.

وأمّا أهل المدينة، فعنه عليه السلام أخذوا، وقد صنّف الشافعيّ كتاباً مفرداً في الدلالة على اتّباع أهل المدينة لعليٍّ عليه السلام وعبدالله ... إلى أن قال: ومنهم الفرضيّون يعني أهل الحساب وتقسيم الفرايض، وعليٌّ عليه السلام أشهرهم فيها.

في فضائل أحمد: قال عبدالله: إنّ أعلم أهل المدينة بالفرايض عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال الشعبيّ: ما رأيت أفرض من عليٍّ ولا أحسب منه.

قال: ومنهم أصحاب الروايه نيّف وعشرون رجلاً منهم ابن عبّاس وابن مسعود وجابر بن عبدالله الأنصاريّ وأبو أيّوب وأبو هريرة وأنس وأبو سعيد الخدريّ وأبو رافع وغيرهم، وعليٌّ أكثرهم روايةً، وأتقنهم حجّة، ومأمون الباطل لقوله صلى الله عليه وآله: «عليٌّ مع الحقّ»[١].

وسألوا عنه: ما بالك أكثر أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله حديثاً؟

فقال عليه السلام: كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكتُّ ابتدأني.[٢]

قال: ومنهم المتكلّمون، وهو الأصل في الكلام، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «عليٌّ ربّانيُّ هذه الأمّة».

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٧٤.

٢. بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٩٧.

وفي الأخبار: إنّ أوّل من سنّ دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحقّ عليٌّ عليه السلام، وقد ناظر الملاحظة في مناظرات القرآن وأجاب مشكلات مسائل الجاثليق حتّى أسلم.

وقال لرأس الجالوت لمّا قال له: «لم تلبثوا بعد نبيّكم إلّا ثلاثين سنة حتّى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف»، فقال عليه السلام: «وأنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتّى قلتم لموسى إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة.

وقال عليه السلام في التوحيد: «أوّل معرفة الله توحيده، وأصل توحيده نفي الصفات عنه»... إلى آخر الخبر.

وما أطنب المتكلّمون في الأصول إنّما هو زيادة لتلك الجمل، وشرح لتلك الأُصول، فالإماميّة يرجعون إلى الصادق عليه السلام وهو إلى آبائه، والمعتزلة والزيديّه يرويه لهم القاضي عبدالجبّار بن أحمد، عن أبي عبدالله الحسين البصريّ وأبي إسحاق عبّاس، عن أبي هاشم الجبّائيّ، عن أبيه أبي عليّ، عن أبي يعقوب الشحّام، عن أبي الهذيل العلّاف، عن أبي عثمان الطويل، عن واصل بن عطا، عن أبي هاشم عبدالله بن محمّد بن عليّ، عن أبيه محمّد بن الحنفيّة، عنه عليه السلام.

قالوا: ومنهم النحاة، وهو واضع النحو، لأنّهم يرونه عن الخليل بن أحمد بن عيسى بن عمرو الثقفيّ، عن فلان، عن فلان، عن أبي الأسود الذئليّ عنه عليه السلام. والسبب في ذلك أغلاط في ألسنة الأعراب وجدوها في محاوراتهم، وقراءاتهم ونقلوها.

ومنهم الخطباء، وهو عليه السلام أخطبهم، ألا ترى إلى خطبة مثل التوحيد والشقشقيّة والهداية والملاحم والغرّاء والقاصعة والافتخار والأشباح والدرّة اليتيميّة واللؤلؤة والأقاليم والوسيلة والطالوتيّة والقصيبيّة والنخيلة والسلمانيّة والناطقة والدامغة والفاضحة، بل إلى «نهج البلاغة» عن الشريف الرضيّ رحمه الله، وكتاب «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام» عن إسماعيل بن مهران السكونيّ عن زيد بن وهب أيضاً.

قال السيّد الرضيّ رحمه الله: كان أميرالمؤمنين عليه السلام شرع الفصاحة وموردها، ونشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أُخذت قوانينها.

وروى الجاحظ في كتاب «الغرّة»: كتب عليٌّ عليه السلام إلى معاوية لعنه الله: «عَزَّلَ عِزُّل فصار قُصار ذلِك ذُلُك فَاخْش فاحِش فِعلك فَعْلَكَ تهدي بهدى. وقال عليه السلام: مَن آمن اَمِن.

وروى الكلينيّ عن أبي صالح وأبو جعفر ابن بابويه بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنّه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أنّ الألف أكثر دخولاً في الكلام، فارتجل عليٌّ عليه السلام الخطبة المونقة الّتي أوّلها: «حمدت من عظمت مننه، وسبغت نعمه، وسبقت رحمته، وتمّت كلمته، ونفذت مشيّته، وبلغت قضيّته»... إلى آخرها.

ثمّ ارتجل إلى خطبة أُخرى من غير النقطة الّتي أوّلها:

«الحمد لله أهل الحمد ومأواه، وله أوكد الحمد وأحلاه، وأسرع الحمد وأسراه، وأطهر الحمد وأسماه، وأكرم الحمد وأملاه»... إلى آخرها، وقد أوردتها في «المخزون المكنون».

ومن كلامه عليه السلام: «تحفّظوا تلحقوا، فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم».

وقوله: «ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّما يقبض عنهم بيد واحدة ويقبض عنه أيدي كثيرة، ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودّة».

وقوله: «من جهل شيئاً عاداه، مثله: ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ** ﴾[1]».

وقوله عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه؛ فإذا تكلّم ظهر، مثله: ﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ** ﴾[2]».

وقوله: «قيمة كلّ امرء ما يحسن، مثله: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ** ﴾[3]».

وقوله عليه السلام: «القتل يقتل القتل، مثله: ﴿ **وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾[4]».

قال: ومنهم الشعراء، وهو أشعرهم.

---

١. يونس: ٣٩.

٢. محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ٣٠.

٣. البقرة: ٢٤٧.

٤. البقرة: ١٧٩.

الجاحظ في كتاب «البيان والتبين»، وفي كتاب «فضايل بني هاشم» أيضاً، والبلاذريّ في «أنساب الأشراف»: إنّ عليّاً أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم وأكتبهم.

تاريخ البلاذريّ: كان أبوبكر يقول الشعر، وعمر يقول الشعر، وعثمان يقول الشعر، وكان عليّ أشعر الثلاثة.

ومنهم العروضيّون، ومن داره خرجت العروض.

روي: أنّ الخليل بن أحمد أخذ رسم العروض من رجل من أصحاب محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام -أو عليّ بن الحسين عليه السلام- فوضع لذلك أُصولاً.

ومنهم أصحاب العربيّة، وهو أحكمهم.

ابن الحريريّ البصريّ في «درّة الغوّاص» وابن فيّاض في «شرح الأخبار»: إنّ الصحابة قد اختلفوا في «الموؤودة»، فقال لهم عليه السلام: «إنّها لا تكون موؤودة حتّى يأتي عليها السيّارات السبع». فقال له عمر: صدقت أطال الله بقاءك. أراد بذلك المبنيّة في قوله: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ** ﴾[1] الآية، فأشار أنّه إذا استهلّ بعد الولادة ثمّ دفن فقد وئد.

ومنهم الوعّاظ، وليس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ والزواجر مثل ما له، نحو قوله:

«من زرع العدوان حصد الخسران».[2]

«من ذكر المنيّة نسى الأُمنيّة».[3]

«من قعد به العقل قام به الجهل».[4]

«يا أهل الغرور! ما أجهلكم بدارٍ خيرها زهيد، وشرّها عنيد، ونعيمها مسلوب،

---

١. المؤمنون: ١٢.

٢. غرر الحكم، ص ٢٤١.

٣. غرر الحكم، ص ٩٧١.

٤. غرر الحكم، ص ٩٧.

وعزيزها منكوب، وسالمها مخروب، ومالكها مملوك، وتراثها متروك».[١]

وقد صنّف عبدالواحد الآمديّ «غرر الحكم» من كلامه عليه السلام.

ومنهم الفلاسفة، وهو أرجحهم.

قال عليه السلام: «أنا النقطة، أنا الخطّ، أنا الخطّ، أنا النقطة، أنا النقطة والخطّ».[٢]

فقال جماعة: إنّ القدرة هي الأصل، والجسم حجابه، والصورة حجاب الجسم؛ لأنّ النقطة هي الأصل، والخطّ حجابه ومقامه، والحجاب غير الجسد الناسوتيّ.

وسئل عليه السلام عن العالم العلويّ، فقال: «صور عارية عن الموادّ، عالية عن القوّة والاستعداد، تجلّى لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفسٍ ناطقةٍ؛ إن زكّاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد».

أبو علي سينا: لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قطّ إلّا عليّ عليه السلام.

الشريف المرتضى: من سمع كلامه لا يشكّ أنّه كلام من قنع في كسر بيت، أو انقطع في سفح جبل، لا يسمع إلّا حسّه، ولا يرى إلّا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنّه كلام من يتغمّس[٣] في الحرب منصلتاً سيفه، فيقطّ الرقاب، ويجدل الأبطال، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً، وهو مع ذلك زاهد الزهّاد، وبدل الأبدال. وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه الّتي جمع بها بين الأضداد.

ومنهم المهندسون، وهو أعلمهم.

حفص بن غالب مرفوعاً قال: بينا رجلان جالسان في زمان عمر، إذ مرّ بهما عبد مقيّد، فقال أحدهما: إن لم يكن في قيده كذا وكذا فامرأته طالق ثلاثاً، وحلف الآخر بخلاف مقالته. فسئل مولى العبد أن يحلّ قيده حتّى يعرف وزنه.

---

١. غرر الحكم، ص ١٨٧.

٢. مشارق انوار اليقين، ص ١٩١.

٣. في البحار: ينغمس.

فأبى، فارتفعا إلى عمر، فقال لهما: اعتزلا نسائكما، وبعث إلى عليٍّ عليه السلام وسأله عن ذلك.

فدعا بإجّانة فأمرا لغلام أن يجعل رجله فيها، ثمّ أمر أن يصبّ الماء حتّى غمر القيد والرجل، ثمّ علّم في الإجّانة علامة وأمره أن رفع قيده عن ساقه، فنزل الماء عن العلامة، فدعا بالحديد فوضعه في الإجّانة حتّى تراجع الماء إلى موضع، ثمّ أمر أن يوزن الحديد، فوزن فكان وزنه بمثل وزن القيد، وأخرج القيد فوزن فكان مثل ذلك؛ فتعجّب عمر.[1]

التهذيب: قال رجل لأميرالمؤمنين عليه السلام: إنّي حلفت أن أزن الفيل.

فقال عليه السلام: لم تحلفون بما لا تطيقون.

فقال: قد ابتليت.

فأمر بقرفور فيه قصب [فأخرج منه قصب] كثير، ثمّ علّم صبغ الماء [بقدر ما عرف صبغ الماء] قبل أن يخرج القصب، ثمّ صيّر الفيل فيه حتّى رجع إلى مقداره الّذي كان انتهى إليه صبغ الماء أوّلاً، ثمّ أمر بوزن القصب الّذي أخرج، فلمّا وزن قال: هذا وزن الفيل.

ومنهم المنجّمون، وهو أكيسهم.

سعيد بن جبير: أنّه استقبل أميرالمؤمنين عليه السلام دهقان، فقال له: يا أميرالمؤمنين! تناحست النجوم الطالعات، وتناحست السعود بالنحوس، فإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا يوم صعب قد اقترن فيه كوكبان، وانكفى فيه الميزان، وانقدح من زحل[2] النيّران وليس الحرب لك بمكان.

فقال له أميرالمؤمنين ... إلى آخر الخبر بطوله وهو مشهور، وفي الكتب مسطور.

... إلى أن قال: فقال الدهقان: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله، وأنّك عليّ وليّ الله.[3]

ومنهم الحساب وهو أوفرهم نصيباً.

---

١. في البحار: فعجب عمر.

٢. في البحار: من برجك.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٢٢٧.

ابن أبي ليلى: إنّ رجلين تغذّيا في سفر ومع أحدهما خسمة أرغفة ومع الآخر ثلاثة، وساق الحديث... إلى آخر ما يأتي عنه في باب قضاياه إن شاء الله.

ومنهم **أصحاب الكيميا**، وهو عليه السلام أكثرهم حظّاً.

سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن الصّنعة؟

فقال عليه السلام: «هي أُخت النبوّة، وعصمة المروّة، والناس يتكلّمون فيها بالظاهر، وإنّي لأعلم ظاهرها وباطنها، هي والله! ما هي إلاّ ماء جامد، وهواء راكد، ونار حائلة، وأرض سائلة.

وسئل عليه السلام في أثناء خطبته: هل الكيميا تكون؟

فقال: «الكيميا كان وهو كائن وسيكون».

فقيل: من أيّ شيءٍ هو؟

فقال عليه السلام: «إنّه من زئبق الرّجراج، والأسرب والزّاج، والحديد المزعفر وزنجار النحاس الأخضر الحبور، إلّا توقف على عابرهنّ».

فقيل: فهمنا لا يبلغ إلى ذلك.

فقال: «إجعلوا البعض أرضاً، واجعلوا البعض ماء، وأفلجوا الأرض بالماء وقد تمّ».

فقيل: زدنا يا أميرالمؤمنين!

فقال عليه السلام: «لا زيادة عليه، فإنّ الحكماء القدماء ما زادوا عليه كيما تلاعبت به الناس».

ومنهم **الأطبّاء**، وهو أكثرهم فطنة.

أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: إذا كان الغلام ملتاث الإزرة، صغير الذكر، ساكن النظر؛ فهو ممّن يُرجى خيره ويؤمن شرّه، وإذا كان الغلام شديد الإزرة، كبير الذكر، حادّ النظر؛ فهو ممّن لا يرجى خيره ولا يؤمن شرّه».

وعنه عليه السلام أنّه قال: «يعيش الولد لستّة أشهر ولسبعة ولتسعة ولا يعيش لثمانية أشهر».

وعنه عليه السلام: «لبن الجارية وبولها يخرج من مثانة أُمّها، ولبن الغلام يخرج من العضدين والمنكبين».

وعنه عليه السلام: «يشبّ الصبيّ كلّ سنة أربع أصابع بأصابع نفسه».

وذكر عنه عليه السلام وجه شباهة الولد أباه وأُمّه تارة وخاله وعمّه أُخرى ...

وذكر عنه عليه السلام وجه تذكّر الرجل وتأنّث المرأة.

ثمّ قال: «ومنهم من تكلّم في علم المعاملة على طريق الصوفيّة وهم يعترفون أنّه الأصل في علومهم ولا يوجد لغيره إلّا اليسير، حتّى قالت مشايخهم: لو تفرّغ إلى إظهار ما علم من علومنا لأغنانا[1] في هذا الباب».

ومن فرط حكمته ما روي عن أُسامة بن زيد وأبي رافع في خبرٍ: «أنّ جبرئيل نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد! ألا أُبشّرك بخبيئة لذرّيّتك؟

فحدّثه بشأن التوراة وقد وجدها رهط من أهل اليمن بين حجرين أسودين وسمّاهم له صلى الله عليه وآله، فلمّا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال لهم: كما أنتم حتّى أُخبركم بأسمائهم وأسماء آباءكم وإنّكم وجدتم التوراة وقد جئتم بها معكم.

فدفعوها له وأسلموا، فوضعها النبيّ صلى الله عليه وآله عند رأسه، ثمّ دعا الله باسمه، فأصبحت عربيّة، ففتحها ونظر فيها، ثمّ دفعها إلى عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وقال: هذا ذكرٌ لك ولذرّيّتك من بعدي».

وعن أميرالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ **وَرُسُلاً قَدْقَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾[2] قال: «بعث الله نبيّاً أسود لم يقصّ علينا قصّته».

ومن وفور علمه أنّه عبّر منطق الطير ولاوحوش والدوابّ.

زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: عُلّمنا منطق الطير كلّه كما علّمه سليمان بن داود، وكلّ دابّة في برٍّ أو في بحرٍ».

ابن عبّاس قال: قال عليّ عليه السلام: نعيق الديك: «اذكروا الله يا غافلين»، وصهيل الفرس: «اللّمّ انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين»، ونهيق الحمار أن يلعن العشّارين وينهق في عين الشيطان، ونعيق الضفدع: «سبحان ربّي المعبود المسبّح في لجج البحار»، وأنين

---

١. في البحار: لأغنا.

٢. النساء: ١٦٤.

القبّرة: «اللّهمّ العن مبغضي آل محمّد عليهم السلام».

وروي عن سعد بن ظريف عن الصادق عليه السلام، وروى أبو أمامة الباهليّ كلاهما عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبرٍ طويلٍ ـ واللفظ لأبي أمامة ـ:

«إنّ الناس دخلوا على النبيّ صلى الله عليه وآله وهنّؤوه بمولوده الحسين عليه السلام، ثمّ قام رجل في وسط الناس فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله! رأينا من عليّ عجباً في هذا اليوم.

قال صلى الله عليه وآله: وما رأيتم؟

قال: أتيناك لنسلّم عليك ونهنّئك بمولودك الحسين عليه السلام، فحجبنا عنك وأعلمنا أنّه هبط عليك مائة ألف ملك وأربعة وعشرون ملك، فعجبنا من إحصائه وعدّة الملائكة.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله ـ وأقبل بوجهه عليه متبسّماً ـ: ما علّمك أنّه هبط عليّ مائة وأربعة وعشرون ألف ملك؟

قال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله! سمعت مائة ألف لغة وأربعة وعشرين لغة فعلمت أنّهم مائة وأربعة وعشرون ألف ملك.

قال: زادك الله علماً وحلماً يا أباالحسن!»

ثمّ ذكر بعض تكلّماته بالنبطيّة والروميّة والفارسيّة، ثمّ نقل تفسيره صوت الناقوس بأشعار مسطورة في الكتب، وقال الراويّ: ثمّ انقطع صوت الناقوس فسمع الديرانيّ ذلك وأسلم، وقال: إنّي وجدت في الكتاب أنّ في آخر الأنبياء من يفسّرها الناقوس.

ثمّ قال: وأجمعوا على أنّ خيرة الله من خلقه هم المتّقون، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[1].

ثمّ أجمعوا على أنّ خيرة المتّقين الخاشعون، لقوله تعالى: ﴿ **وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ـ إلى قوله: ـ مُنِيبٍ** ﴾[2].

ثمّ أجمعوا على أنّ أعظم الناس خشية العلماء، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ**

---

١. الحجرات: ١٣.

٢. ق: ٣١ـ٣٣.

﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[١].

وأجمعوا على أنّ أعلم الناس أهداهم إلى الحقّ وأحقّهم أن يكون متّبعاً ولا يكون تابعاً، لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[٢].

وأجمعوا على أنّ أعلم الناس بالعدل أدلّهم عليه وأحقّهم أن يكون متّبعاً ولا يكون تابعاً، لقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[٣].

فدلّ كتاب الله وسنّة نبيّه وإجماع الأُمّة على أنّ أعلم الناس وأفضل هذه الأُمّة بعد نبيّها عليّ عليه السلام»[٤].

انتهى كلام ابن شهرآشوب بطوله على ما نقله العلّامة المجلسيّ رحمه الله في «بحار الأنوار» ووجدته فيه كما نقل.

وقال المجلسيّ بعد نقله:

اعلم أنّ دأب أصحابنا في إثبات فضائله عليه السلام الاكتفاء بما نقل عن كلّ فرقة من الانتساب إليه عليه السلام لبيان أنّه كان مشهوراً في العلم، مُسلّماً في الفضل عند جميع الفرق وإن لم يكن ذلك ثابتاً، بل وإن كان خلافه عند الإماميّة ظاهراً كانتساب الأشعريّة وأبي حنيفة وأضرابهم إليه، فإنّ مخالفتهم له أظهر من تباين الظلمة والنور.

ومن ذلك ما نقله ابن شهر آشوب رحمه الله من كلام له عليه السلام في الفلسفة، فإنّ غرضه أنّ هؤلاء ينتمون إليه ويروون إليه، وإلّا فلا يخفى على من له أدنى تتبّع في كلامه أنّ هذا الكلام لا يشبه شيئاً من غرر حكمه وأحكامه، بل لا يشبه كلام أصحاب الشريعة بوجهٍ، وإنّما أُدرجت فيه مصطلحات المتأخّرين، وهل رأيت في كلام أحد من الصحابة والتابعين، أو بعض الأئمّة الراشدين لفظ الهيولى أو المادّة أو الصورة أو الاستعداد أو القوّة؟

---

١. فاطر: ٢٨.

٢. يونس: ٣٥.

٣. المائدة: ٩٥.

٤. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٧ ـ ١٧٢.

والعجب أنّ بعض أهل دهرنا ممّن ضلّ وأضلّ كثيراً يتمسّكون في رفع ما يلزم عليهم من القول بما يخالف ضرورة الدين إلى أمثال هذه العبارات. وهل هو إلّا كمن يتعلّق بنسج العنكبوت للعروج إلى أسباب السماوات؟

أولا يعلمون أنّ ما يخالف ضرورة الدين ـ ولو ورد بأسانيد جمّة ـ لكان مؤوّلاً أو مطروحاً؟

مع أنّ أمثال ذلك لا ينفعهم فيما هم بصدده من تخريب قواعد الدين؟ هدانا الله وإيّاهم إلى سلوك مسالك اليقين[1]، ونجّانا وجميع المؤمنين من فتن المضلّين»[2].

وأقول: قد أحسن وأجاد في الاعتذار المذكور عن ابن شهرآشوب وأشباهه من نقل كلمات العلماء العامّه في المقام من انتساب كلّ فرقة إلى عليّ عليه السلام فإنّ ذلك نقل زعمهم وإنّ علمائهم يزعمون انتسابهم إليه، لوفور علمه واشتهار فضله، فيقولون ذلك إثباتاً لمذهبهم وإلّا فأكثر أهوائهم من المطالب الفاسدة ولا يثبت من اعترافهم بانتسابهم إليه حقّيّة مذاهبهم، بل لا يثبت إلّا كونه رئيساً مطاعاً لجميع أصناف العلماء، وجلّ ما نقله ابن شهرآشوب من هذه المناقب معلوم.

وأمّا قوله: «وأنا النقطة وأنا الخطّ، أنا الخطّ أنا النطقة، أنا النقطة والخطّ»[3] فرواه المحدّث الشريف الجزائريّ في «شرح العيون في غرر الحكم عن أميرالمؤمنين عليه السلام»، وذكر في توجيهه وجوهاً:

أحدها: أن يكون المراد من النقطة القدرة الإلهيّة الّتي هي الأصل، ومن الخطّ محلّها وهو الجسد النورانيّ، ووجه المناسبة ظاهر.

ثانيها: أنّ العلوم والأخبار ينتهي إليه وعلمه ممتدّ إلى جميع الأئمّة عليهم السلام كما أنّ النقطة نهاية الخطّ وهو الامتداد الطّوليّ.

---

١. في البحار: المتقين.

٢. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٧٢.

٣. المناقب، ج ٢، ص ٤٩؛ الصراط المستقيم، ج ١، ص ٢٢٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٦٥.

ثالثها: أن يكون إشارة إلى قول الإمام عليه السلام: «أنا الأوّل أنا الآخر، أنا الظاهر أنا الباطن»[١].

والسرّ في ذلك لما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله من «أنّ الله خلق نوري ونور عليّ عليه السلام وسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهلّلنا وهلّلت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة»[٢].

وفي روايةٍ: «إنّ الأمين جبرئيل قال: أتاني هذا الشابّ في عالم الأنوار وقال لي: إذا قال ربّك: من أنا ومن أنت؟ فقل: أنت الربّ الجليل وأنا الحقير جبرئيل».

وقد روي أيضاً أنّه قال: «يا محمّد! إنّ الله بعث عليّاً مع الملائكة باطناً وبعثه معك ظاهراً، وهو يرجع في القيامة الصغرى وهو دابّة الأرض الّتي تخرج آخر الزمان، وقد كان حاضراً مع جميع الأنبياء، وخلّص كلّ واحد منهم من البليّة»[٣].

ومن غرائب أسراره حضوره عند كلّ محتضر من الأبرار والفجّار.

رابعها: إنّه عليه السلام مركز دائرة الكون ومحيطها، ولولاه لما خلق الله شيئاً، كما يستفاد من بعض الروايات وعليه دارت القرون في الدنيا والآخرة وعلمه وقدرته محيطان بدائرة الإمكان، كما يظهر من خطبة البيان.

خامسها: إنّه صاحب رياسة الإمامة الّتي هي منتهى الكمالات وإذعانها واجب على جميع الموجودات وهي ممتدّة منه إلى ولده صاحب العصر والزمان، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه.

سادسها: إنّه عليه السلام قد اجتمعت فيه أسرار النبوّة الّتي هي الغاية، والإمامة العامّة الممتدّة إلى السلطنة القاهرة، عجّل الله تعالى فرجه.

سابعها: إنّه العالم العلويّ بالنظر إلى أسرار قدسه وتجرّده، والسّفليّ لكونه بشراً مركّباً من العناصر الأربعة. انتهى كلامه.

---

١. المناقب، ج ١، ص ٢٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٥٢٥.

٢. ارشاد القلوب، ج ٢، ص ٤٠٤.

٣. مصباح الكفعمي، ص ٧٣٣.

وما رواها من الروايات أكثرها لا أراها في الروايات ولا أرويها من أحد، والعهدة عليه.

وقال ابن أبي الحديد المعتزليّ العاميّ ظاهراً كما يظهر من مطاوي شرحه لـ«نهج البلاغة»، فإنّه مع أنّه كتبه للوزير العلقميّ وكان يعلم أنّه شيعيّ المذهب، فمشى على ميله، يعلم منه في مظانّه أنّه مستقرّ على مذهب العامّة العمياء ـ فقال: «فأمّا فضائله عليه السلام، فإنّها قد بلغت من العظم والجلال والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمج معه التعرّض لذكرها، والتصدّي لتفصيلها»[١].

... إلى أن قال: «وما أقول في رجلٍ أقرّ أعداءه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنّه استولى بنو أُميّة على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاءه [نوره] والتحريف عليه ووضع المعائب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديثٍ يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً حتّى حظروا أن يسمّى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلّا رفعةً وسموّاً، وكان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه، وكلّما كتم تضوّع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عيناً واحدة أدركته عيون كثيرة أُخرى.

وما أقول في رجل تعزى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة؛ فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها وسابق مضمارها، ومجلّي حليتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

وقد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلٓهيّ؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه اقتبس وعنه نُقل وإليه انتهى، ومنه ابتدء:

فإنّ المعتزلة ـ الّذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر، ومنهم تعلّم الناس هذا الفنّ ـ تلامذته وأصحابه، لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبدالله ابن محمّد بن الحنفيّة، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ عليٍّ عليه السلام.

---

١. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٥؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣٩.

وأمّا الأشعريّة، فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن أبي بشير الأشعريّ وهو تلميذ أبي علي الجبّائيّ، وأبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة؛ فالأشعريّة ينتهون بالأخرة إلى أُستاد المعتزلة ومعلّمهم وهو عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

وأمّا الإماميّة والزيديّة فانتماءهم إليه ظاهر.

ومن العلوم علم الفقه؛ وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيدٌ من فقهه:

أمّا أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمّد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة، وأمّا الشافعيّ فقرأ على محمّد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأمّا أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعيّ، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد عليهما السلام، وقرأ جعفر عليه السلام على أبيه، وينتهي الأمر إلى عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

وأمّا مالك بن أنس فقرأ على ربيعة، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبدالله بن عبّاس عن عليّ عليه السلام.

وإن شئت رددت إليه فقه الشافعيّ لقرائته على مالك كان لك ذلك؛ فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

وأمّا فقه الشيعة، فرجوعه إليه ظاهر.

وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطّاب وعبدالله بن عبّاس وكلاهما أخذ عن عليٍّ عليه السلام.

أمّا ابن عبّاس فظاهر.

وأمّا عمر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثيرٍ من المسائل الّتي أُشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرّةٍ: «لولا عليّ لهلك عمر» وقوله: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن»، وقوله «لا يفتينّ أحد في المسجد وعليّ حاضر».

فقد عرف بهذا الوجه انتهاء الفقه إليه.

وقد روت العامّة والخاصّة قوله صلى الله عليه وآله: «عليٌّ أقضاكم» والقضاء هو الفقه؛ فهو [إذن]

أفقههم.

وروى الكلّ أيضاً: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له ـ وقد بعثه إلى اليمن قاضياً ـ: اللّهمّ اهد قلبه وثبّت لسانه.

قال عليه السلام: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.

وهو الّذي أفتى في المرأة الّتي وضعت لستّة أشهر.

وهو الّذي أفتى في الحامل الزانية.

وهو الّذي قال في المنبريّة: صار ثمنها تسعاً، وهذه المسألة لو فكّر الفرضيّ فيها فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنّك بمن قاله بديهة وأقضاه ارتجالاً.

ومن العلوم علم تفسير القرآن؛ وعنه أُخذ، ومنه فرّع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك، لأنّ أكثره عنه، وعن عبدالله بن عبّاس، وقد علم الناس حال ابن عبّاس في ملازمته له وانقطاعه إليه، وأنّه تلميذه وخرّيجه.

وقيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟

فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوّف؛ وقد عرفت أنّ أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرّح بذلك الشبليّ والجنيد وسري وأبو يزيد البسطاميّ وأبو محفوظ معروف الكرخيّ وغيرهم، ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة الّتي هي شعارهم إلى اليوم وكونهم يسندونها بإسناد متّصل إليه عليه السلام.

ومن العلوم علم النحو والعربيّة؛ وقد علم الناس كافّة أنّه هو الّذي ابتدعه وأنشاه وأملى على أبي الأسود الدئليّ جوامعه وأُصوله، من جملتها:

«الكلام كلّه ثلاثة أشياء: إسم وفعل وحرف».

ومن جملتها تقسيم الإسم إلى المعرفة والنكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجرّ والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات؛ لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط.

وإن رجعت إلى الخصائص الخُلقيّة والفضائل النفسانيّة والدينيّة وجدته ابن جلاها، وطلّاع ثناياها.

...إلى أن قال: وأمّا الفصاحة، فهو إمام الفصحاء وسيّد البلغاء، وعن كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة.

...إلى أن قال: ويكفي هذا الكتاب الّذي نحن شارحوه دلالة على أنّه لا يجارى في الفصاحة ولا يبارى في البلاغ، وحسبك أنّه لم يدوّن أحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العشر ممّا دوّن له.

...إلى أن قال: وأمّا قرائة القرآن والاشتغال به، فهو المنظور إليه في هذا الباب، اتّفق الكلّ على أنّه يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن يحفظه غيره.

ثمّ هو أوّل من جمعه، نقلوا كلّهم أنّه تأخّر عن بيعة أبي‌بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنّه تأخّر مخالفة للبيعة، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن.

فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع القرآن، لأنّه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما احتاج إلى أن تشاغل لجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمّة القراءات كلّهم يرجعون إليه، كأبي عمرو بن العلا وعاصم بن أبي النجود وغيرهما، لأنّهم يرجعون إلى عبدالرحمان بن السّلميّ القاري وأبو عبدالرحمان كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفنّ من الفنون الّتي ينتهي إليه أيضاً مثل كثير ممّا سبق»[1].

أقول: هذا كلّه لإثبات أنّ جميع الفرق والأصناف من العلماء ينتسبون إليه عليه السلام ويعترفون بأنّ مرجعهم إليه، ويعترفون بأنّ بحار العلوم وينبوعه لديه، وإلّا فمذهب الإماميّة الإثنى عشريّة إنّه خازن علم الله ولا يعزب عنه شيء في السماوات والأرض.

وأعلى العلوم وأجلّها علم جوامع التوحيد، فإنّ به يحصل معرفة الخالق الّذي هو الغرض

---

١. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٥ ـ ٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣٩ ـ ١٤٩.

من خلق ذوي العقول، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] وبه تنال الدرجات الرفيعة من القرب إلى المعبود والمبدء تعالى شأنه ولم يحصل في هذا العلم من غيره عشر أعشار ما حصل عنه عليه السلام، وهذا الأمر واضح يشهد عليه خطبه عليه السلام وكلماته المعروفة المشهورة.

فهذا هو الشيخ الجليل رئيس المحدّثين وعماد المتكلّمين ثقة الإسلام والمسلمين محمّد بن يعقوب الكلينيّ صاحب كتاب «الكافي» الّذي صدع بجمعه ونقده وتهذيبه عشرين سنة من عمره ـ عظم الله قدره وضاعف أجره ـ حيث نقل خطبته الشريفة حين استنهض الناس في حرب معاوية في المرّة الثانية، فلمّا حشر الناس قام خطيباً، فقال:

«الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرّد»[٢]... إلى آخرها بطولها.

قال: وهذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام، حتّى لقد ابتذلها العامّة ـ أي: وجدوها مبذولة مصانة عن تصرّفات الأغيار وغير المستأهلين ـ وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها وفهم ما فيها ـ إذ فيها أُصول مسائل التوحيد وأركان مباحثه الّتي هي العمدة العلوم الإلهيّة والمعارف الربوبيّة ـ فلو اجتمع ألسنة الجنّ والإنس وليس فيها لسان نبيّ ـ أي: من أعاظم الأنبياء كأُولي العزم منهم ـ على أن يبيّنوا التوحيد بمثل ما أتى به هو ـ بأبي وأُمّي ـ ما قدروا عليه ولو لا إبانته عليه السلام ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد[٣].

ثمّ بيّن ذلك بتفسير جمل من كلامه عليه السلام في كلامٍ طويل.

وهذا هو عبدالحميد بن أبي الحديد المعتزليّ قال في شرحه لكلماته:

وأمّا الحكمة والبحث في الأُمور الإلهيّة فلم يكن من أحد من العرب ولا نقل في كلام أحد من أكابرهم وأصاغرهم شيء من ذلك أصلاً، وهذا ممّا كانت اليونانيّون وأوائل الحكماء وأساطين الحكمة ينفردون به.

---

١. الذاريات: ٥٦.

٢. الكافي، ج ١، ص ١٣٤؛ بحارالأنوار، ج ٤، ص ٢٦٩.

٣. الكافي، ج ١، ص ١٣٤.

وأوّل من خاض فيه من العرب عليّ عليه السلام ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه، ولا تجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ولا يتصوّرونه ولو فهموه لم يفهموه، وأنّى للعرب ذلك؟

ولهذا انتسب المتكلّمون الّذين لججوا في بحار المعقولات إليه خاصّة دون غيره، وسمّوه أُستادهم ورئيسهم، واجتذبه كلّ فرقة من الفرق إلى نفسها ثمّ استشهد باستناد أصحابه وغيرهم إليه عليه السلام.

وقال بعض أفاضل الحكما المتأخّرين رحمه الله: ونحن لا نتكلّم الآن في سائر فضائله ومناقبه وأخلاقه الكريمة وكمالاته النفسانيّة كالشجاعة والسخاوة والزهد والورع والتقوى والعبادة وغيرها الّتي هو في كلّ منها آية عظيمة من آيات الله، بل كلامنا في مرتبته في علم التوحيد والربوبيّات.

وقد ورد عنه في خطبه وكلماته من أسرار التوحيد والقضاء والقدر وكيفيّة ترتيب الملائكة ونزول الوحي والكتاب وأسرار النبوّة والمعاد ما لم يأت في كلام أحد من أكابر العلماء وأساطين الحكمة.

وممّا يدلّ على ذلك تربية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعلم الخلائق له من أوّل عمره إلى أن أعدّه لأعلى مراتب الكمالات النفسانيّة.

قال عليه السلام في تربية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له في خطبة المسمّاة بالقاصعة:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة؛ وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسّني جسده ويشمّني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه....

ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن إذ كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومكارم الأخلاق ليله ونهاره.

ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ علماً من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنةٍ بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ...أرى نور الوحي والرسالة،

وأشمّ ريح النبوّة.

ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزول الوحي إليه، فقلت: يا رسول الله! وما هذه الرنّة؟

فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبيّ ولكنّك وزيرٌ»[١]... إلى آخر الكلام، فصار بهذه المرتبة أُستاد العالمين.

ومن الشواهد أيضاً من طريق الكلّ قول النبيّ ﷺ:

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٢].

ومنها: قوله: «أُعطيت جوامع العلم وأُعطي عليّ جوامع العلم»[٣].

وكفى بهذه الشهادة فضلاً وعلماً والشواهد النقليّة في هذا الباب كثيرة.

أقول: وسيأتي في الأبواب الآتية من علومه وقضاياه ما يدلّ على ذلك زيادة على ما مرّ، ويكفينا الأخبار الدالّة على قول النبيّ ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، وكذب من زعم أنّه يدخلها من غير بابها»[٤].

وأنّ النبيّ ﷺ علّمه ألف باب ينفتح من كلّ باب ألف باب، وأنّه كان شريك النبيّ ﷺ في العلم دون النبوّة، وأنّه علم كلّ ما علم رسول الله ﷺ، وأنّه أعلم من ساير الأنبياء، هذا هو الكلام في الإشارة إلى صفة علمه عليه السلام.

وأمّا سائر ملكاته الحسنة وأخلاقه المرضيّة، فلو أردنا الإشارة إلى كلّ واحد واحد بقدر ما أشرنا إليه في العلم لطال الكلام، ويحتاج إلى كتاب كبير، ونخرج بها عن المرام، وفي كلّ واحد منها له باب عليحدّة مسطور في كتب المناقب، ونشير إلى بعض الكلمات فيها:

فقال ابن أبي الحديد:

«**أمّا الشجاعة**، فإنّه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحى اسم من يأتي بعده،

---

١. شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ١٩٧؛ بحارالأنوار، ج ٦٠، ص ٢٦٤.

٢. الكافي، ج ٨، ص ١٠٦؛ بحارالأنوار، ج ٣١، ص ٣٧٠.

٣. الصراط المستقيم، ج ١، ص ١٦٨.

٤. بشارة المصطفى، ص ٢٠٨.

ومقاماته في الحرب مشهورة، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الّذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلّا قتله، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأُولى إلى ثانية.

وفي الحديث: «كانت ضرباته وتراً».

ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك.

فقال معاوية: ما غشتنى منذ نصحتني إلّا اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي، وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته؟

فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر. قالت أُخت عمرو بن عبد ودّ [ترثيه]:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبداً ما دمت في الأبد
ولكنّ قاتله من لا نظير له ... وكان يُدعى أبوه بيضة البلد

وانتبه معاوية يوماً، فرأى عبدالله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد فقال له عبدالله يداعبه: يا أميرالمؤمنين! لو شئت أن أفتك بك لفعلت.

فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبابكر وما الّذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصفّ أزاء عليّ بن أبي طالب.[١]

قال: لاجرم إنّه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها.

وجملة الأمر، أنّ كلّ شجاع في الدنيا إليه ينتهي وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها.

وأمّا القوّة والأيد، فبه يضرب المثل فيها.

قال ابن قتيبة في «المعارف»: ما صارع أحداً قطّ إلّا صرعه، وهو الّذي قلع باب خيبر

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٣٦٤.

واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الّذي أقلع هبل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً كبيراً جدّاً فألقاه إلى الأرض، وهو الّذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها، فأنبط الماء من تحتها.[١]

وأمّا **السخاء والجود**، فحاله عليه السلام فيه ظاهر؛ كان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أنزل: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً** ﴾[٢].

وروى المفسّرون أنّه لم يكن يملك إلّا أربعة دراهم؛ فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية؛ فأنزل فيه: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً** ﴾[٣].

وروي عنه أنّه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتّى مجلت يده ويتصدّق بالأُجرة ويشدّ على بطنه حجراً.

وقال الشعبيّ ـ وقد ذكره عليه السلام ـ: كان أسخى الناس، كان على الخلق الّذي يحبّه السخاء والجود، ما قال: «لا» لسائل قطّ.

وقال مبغضه وعدوّه الّذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبّي لمّا قال له: جئتك من عند أبخل الناس؛ فقال: ويحك! وكيف تقول: إنّه أبخل الناس وهو الّذي لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه.

وهو الّذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلّي فيها.

وهو الّذي قال: يا صفراء! ويا بيضاء! غرّي غيري.

وهو الّذي لم يخلّف ميراثاً وكانت الدنيا كلّها بيده إلّا ما كان من الشام.

وأمّا **الحلم والصفح**، فكان أحلم الناس عن ذنب وأصفحهم عن مسيء، ولقد ظهرت

---

١. المعارف، ص ٦٩.

٢. الإنسان: ٨ و٩.

٣. البقرة: ٢٧٤.

صحّة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له وأشدّهم بغضاً، فصفح عنه.

وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغب اللئيم عليّ بن أبي طالب.

وكان عليّ عليه السلام يقول: «ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى شبّ عبدالله».

وظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه، وقال: «إذهب! فلا أرينّك» لم يزده على ذلك.

وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة وكان له عدوّاً، فأعرض عنه ولم يقل شيئاً.

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلمّا ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمّمهنّ بالعمائم وقلّدهنّ بالسيوف، فلمّا كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكره به وتأفّفت[1] وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الّذين وكّلهم بي.

فلمّا وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهنّ وقلن لها: إنّما نحن نسوة.

وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف وسبّوه ولعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا! لا يتبع مولٍ، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ومن لم يأخذ أثقالهم ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم.

ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنّه أبى إلّا الصفح والعفو وتقيّل[2] سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكّة، فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد، والإسائة لم تنس.

ولمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا الشريعة الفرات وقالت رؤساء الشام له: أُقتلهم بالعطش، كما قتلوا عثمان عطشاً.

سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يسوّغوا لهم شرب الماء.

---

١. في البحار: وتأنّفت.

٢. في البحار: وتقبّل.

فقالوا: لا والله! لا قطرة حتّى تموتوا كما مات ابن عفّان.

فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموت لا محالة، تقدّم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرّؤوس والأيادي وملكوا عليهم الماء وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم.

فقال له عليه السلام أصحابه وشيعته: إمنعهم الماء يا أميرالمؤمنين! كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضاً بالأيدي ولا حاجة لك إلى الحرب.

فقال: «لا والله! لا أُكافيهم بمثل فعلهم، إفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السف ما يغني عن ذلك».

فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر بمثله عليه السلام.

وأمّا **الجهاد في سبيل الله**، فمعلوم عند صديقه وعدوّه، أنّه سيّد المجاهدين، وهل الجهاد لأحد من الناس إلّا له؟

وقد عرفت أنّ أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشدّها نكاية في المشركين البدر الكبرى؛ قُتل فيها سبعون من المشركين، قتل عليّ عليه السلام نصفهم، وقتل المسلمون الملائكة النصف الآخر.

وإذا رجعت إلى مغازي محمّد بن عمر الواقديّ و«تاريخ الأشراف» ليحيى بن جابر البلاذريّ وغيرهما علمت صحّة ذلك، دع من قتله في غيرها كأُحد وخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه، لأنّه من المعلومات الضروريّة كالعلم بوجود مكّة ومصر ونحوهما.

وأمّا سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيّا والتبسّم، فهو المضروب به المثل فيه، حتّى عابه بذلك أعداءه.

قال عمرو بن العاص لأهل الشام: إنّه ذو دعابة شديدة.

وقال عليّ عليه السلام في ذلك: «عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة وأنّي امرء

تلعابة، أُعافس وأُمارس».

وعمرو بن العاص إنّما أخذها عن عمر بن الخطّاب، لقوله لمّا عزم على استخلافه: لله أبوك لولا دعابة فيك، إلّا أنّ عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها وسمجها[١].

قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: وكان فينا كأحدنا؛ ليّن الجانب، وشدّة تواضع، وسهولة قياد، وكنّا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه.

وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن! فلقد كان هشّاً بشّاً ذا فكاهة.

قال قيس: نعم، كان رسول الله ﷺ يمزح ويبتسّم[٢] إلى أصحابه ...

ثمّ قال ابن أبي الحديد: وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً في محبّيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك.

أقول: الحمد لله الّذي جعلنا من محبّيه ومواليه ويسمّينا أعداءنا ومخالفونا بهذا الاسم ويجعلونا نتوارث عنه، ويكفينا للنجاة هذا الإسم والعنوان والإرث.

وأشار بقوله: «كما بقي الخشونة والوعورة في الجانب الآخر» إلى ما في الخليفة الثاني من الفظاظة والغلظة والخشونة المذمومة، وهذا كالصريح في ذمّه، فإنّ البقاء معناه الوجود في المبدأ ولو لم يكن في كلامه الطويل هذا إلّا هذه الكلمة الشريفة الحقّه الّتي أجرى الله على لسان قلمه لكفانا عذراً لنقله بطوله.

ثمّ قال: **وأمّا الزهد في الدنيا**، فهو سيّد الزهّاد وبدل الأبدال، وإليه يشدّ الرحال من الناس، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعامٍ قطّ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.

قال عبدالله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد فقدّم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدّم فأكل، فقلت: يا أميرالمؤمنين! فكيف تختمه؟

قال: خفت هذين الولدين أن يلتناه بسمن أو زيت.

---

١. في البحار: ونسجمعا.

٢. في البحار: يبسم.

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أُخرى ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرابيس الغليظ، فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطّه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبقى سدى لا لحمة له.

وكان يأتدم إذا ائتدم بخلٍّ أو بملح، فإن ترقّى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإذا ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلّا قليلاً، ويقول: «لاتجعلوا بطونكم مقابر الحيوان».

وكان مع ذلك أشدّ الناس قوّة وأعظمهم أيداً، لم ينقص الجوع قوّته، ولا تحور الإقلال منّته، وهو الّذي طلّق الدنيا، وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام»[١].

...إلى أن قال: **وأمّا العبادة**، فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة اللّيل وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على وِرده أن يبسط له نطع بين الصفّين ليلة الهرير، فيصلّي عليه وِرده والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته.

وما ظنّك برجل كان جبهته كثفنة البعير لطول سجوده.

وأنت إذا تأمّلت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيه من تعظيم الله وسبحانه وإجلاله وما يتضمّنه من الخضوع والخشوع لعزّته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أيّ قلب خرجت، وعلى أيّ لسان جرت[٢].

وقال في موضع آخر من كتابه:

كان أميرالمؤمنين ذا أخلاق متضادّة؛ فمنها أنّ الغالب على أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية، وفتك وتنمّر[٣] وجبريّة.

والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذّها والاشتغال بمواعظ الناس

---

١. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٨؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٤٢.

٢. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٧؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٤٨.

٣. في شرح نهج البلاغة: وتمرّد.

وتخويفهم المعاد وتذكيرهم الموت أن يكونوا ذوي رقّة ولين وضعف قلب وخور طبع، وهاتان حالتان متضادّتان وقد اجتمعتا له عليه السلام.

ومنها أنّ الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعيّة وطباع حوشيّة وغرائز وحشيّة، وكذلك الغالب على أهل الزهادة وأرباب الوعظ والتذكير ورفض الدنيا أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق وعبوس في الوجوه ونفار من الناس واستيحاش.

وأمير المؤمنين عليه السلام كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذّ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيّام الله ومثلاته، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة وآداباً لنفسه في المعاملة، وكان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً، وأسفرهم وجهاً، وأكثرهم بشراً، وأوفاهم هشاشة وبشاشة، وأبعدهم عن انقباض موحش، أو خلق نافر، أو تهجّم مباعد، أو غلظة وفظاظة ينفر معهما نفس، أو يتكدّر معهما قلب، حتّى عيب بالدعابة، ولمّا لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مطعناً تعلّقوا بها واعتمدوا في التنفير عنه عليها «وتلك شكاة ظاهر عنك عارها»، وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة.

أقول: وقد أرمز بقوله: «غلظة وفظاظة ينفر معهما نفس...» إلى ما في الخليفة الثاني من هذه الفظاظة والغلظة المنفرة عنها الطباع، وكنّى بقوله: «ولمّا لم يجدوا فيه مغمزاً» إلى ما صدر عنه أيضاً من نسبة عليّ عليه السلام إلى الدعابة، فإنّه الّذي قالها أوّلاً خصوصاً حين أُجرح ورأى الرواح إلى ما أعدّه الله له، فعدّ من يطمع في الخلافة وعيّب كلّ أحد بما فيه، فقال في أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه ذو دعابة، وقتل من الناس كثيراً فأشار بقوله هذا إلى ذلك. فافهم!

ومنها، أنّ الغالب على شرفاء الناس وهو من أهل السيادة[1] والرئاسة أن يكون ذا كبروتيهٍ وتعظّم [وتغطرس]؛ خصوصاً إذا أُضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أُخرى.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في مصاص الشرف ومعدنه [ومعانيه]، لا يشكّ فيه عدوّ ولا صديق إنّه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمّه ـ صلوات الله عليه ـ.

---

١. في شرح نهج البلاغة: من أهل بيت السيادة.

وقد حصل له من الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعدّدة، قد ذكرنا بعضها، ومع ذلك فكان أشدّ الناس تواضعاً لصغيرٍ وكبيرٍ، وألينهم عريكة، وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بحقّ، وكانت هذه حاله في كلّ شيءٍ زمانيه: زمان خلافته، والزمان الّذي قبله ما غيّرت سجيّته الإمرة، ولا أحالت خلقه الرئاسة، وكيف تحيل الرئاسة خلقه وما زال رئيساً؟ وكيف تغيّر الإمرة سجيّته وما برح أميراً؟ لم يستفد بالخلافة شرفاً ولا اكتسب بها زينة، بل هو كما قال عبدالله بن أحمد بن حنبل ـ ذكر ذلك الشيخ أبوالفرج عبدالرحمان بن عليّ الجوزيّ في تأريخه المعروف بـ«المنتظم» قال: تذاكروا عند أحمد خلافة أبي بكرٍ وعليٍّ عليه السلام وقالوا فأكثروا، فرفع رأسه إليهم وقال ـ: قد أكثرتم، إنّ عليّاً لم تزنه الخلافة ولكنّه زانها.

وهذا الكلام دالٌّ بمفهومه وفحواه على أنّ غيره ازداد[1] بالخلافة وتمّت نقيصته، وأنّ عليّاً عليه السلام لم يكن فيه نقص حتّى يحتاج إلى أن يتمّم بالخلافة، وكانت الخلافة ذات نقص في نفسها، فتمّ نقصها بولايته إيّاها.

ومنها؛ أنّ الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الأنفس وإراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصّفح، بعيدي العفو، لأنّ أكبادهم وغرّة وقلوبهم ملتهبة والقوّة الغضبيّة عندهم شديدة، وقد علمت حال أميرالمؤمنين عليه السلام ... في الشجاعة والسخاء، كيف هي وهذا من أعاجيبه أيضاً»[2].

وقال في موضعٍ آخر بعد أن نقل أربعة وعشرين حديثاً في مناقبه من قول الرسول المختار صلى الله عليه وآله وسلم في حقّه وقد عنونها بقوله:

اعلم أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه بالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته الّتي آتاه الله [تعالى] إيّاها وأخصّه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافّة لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق ـ صلوات الله عليه وآله ـ في أمره.

وعدّ هذا العدد من كلماته في حقّه ولمّا عدّدها إلى الرابع والعشرين كلّها من أحاديث

---

١. في شرح نهج البلاغة: ازدان.

٢. شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٠؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٨٩.

النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

واعلم أنّا إنّما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا لأنّ كثيراً من المنحرفين عنه إذا مرّوا على كلامه في «نهج البلاغة» وغيره المتضمّن للتحدّث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول صلى الله عليه وآله له وتمييزه إيّاه من غيره ينسبونه إلى التيه والزّهو والفخر، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة.

قيل لعمر: ولّ عليّاً أمر الجيش والحرب.

فقال: هو أتيه من ذلك.

وقال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من عليٍّ وأُسامة.

فأردنا بإيراد هذه الأخبار هنا عند تفسير قوله: «نحن الشعار والأصحاب، ونحن الخزنة والأبواب» أن ننبّه على عظيم منزلته عند الرسول، وأنّ من قيل في حقّه ما قيل لو رقى إلى السماء وعرج في الهواء وفخر على الملائكة والأنبياء تعظّماً وتبجّجاً لم يكن ملوماً، بل كان بذلك جديراً، فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قطّ مسلك التعظّم والتكبّر في شيء من أقواله ولا من أفعاله.

وكان ألطف البشر خُلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدّهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً، وأطلقهم وجهاً، حتّى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح، وهما خلقان ينافيان التكبّر والاستطالة، وإنّما يذكر أحياناً ما يذكر من هذا النوع نفثة مصدور وشكوى مكروب وتنفّس مهموم، ولا يقصد به [إذا ذكره] إلّا شكر النعمة، وتنبيه الغافل على ما خصّه الله به من الفضيلة، فإنّ ذلك من باب الأمر بالمعروف والحضّ على اعتقاد الحقّ والصواب في أمره والنهي عن المنكر الّذي هو تقديم غيره عليه في الفضل.

فقد نهى الله سبحانه عن ذلك، فقال: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1].[2]

...إلى غير ذلك من كلماته في حقّه، مع أنّه من المنحرفين عنه بتقديم غيره عليه.

هذا هو الدراية، وأمّا الروايات، ففي أخلاقه وصفاته الملكوتيّة متظافرة لا يسعها هذه

---

١. يونس: ٣٥.

٢. شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ١٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٨٦.

الرسالة:

في «كشف الغمّة» عن كتاب «كفاية الطالب» عمّن أسنده قال: ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند عائشة، وابن عبّاس حاضر، فقالت عائشة: كان من أكرم رجالنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال ابن عبّاس: وأيّ شيءٍ يمنعه عن ذاك؟ اصطفاه الله لنصرة رسوله، وارتضاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأُخوّته، واختاره لكريمته، وجعله أبا ذرّيّته ووصيّه من بعده، فإن ابتغيت شرفاً فهو في أكرم منبت وأورق عود، وإن أردت إسلاماً فأوفر بحظّه وأجزل بنصيبه، وإن أردت شجاعة فبهمّة حرب وقاضية حتم، يصافح السيوف أُنساً، لا يجد لوقعها حسّاً، لا ينهاه نفعة، ولا يقلبه[1] الجموع، الله ينجده، وجبرئيل يرفده، ودعوة الرسول يعضده، أحدّ الناس لساناً، وأظهرهم بياناً، وأصدعهم بالصواب في أسرع جواب، عظته أقلّ من عمله، وعمله يعجز عنه أهل دهره، فعليه رضوان الله وعلى مبغضيه لعائن الله»[2].

وفي «أمالي» الشيخ عن المفيد بإسناده إلى عمّار بن ياسر قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام: يا عليّ! إنّ الله تعالى قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها؛ زيّنك بالزهد في الدنيا، وجعلك لا ترزأ منها شيئاً، ولا ترزأ منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً؛ فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويلٌ لمن أبغضك وكذب عليك، فأمّا من أحبّك وصدّق فيك فأولئك جيرانك في دارك، وشركاءك في جنّتك، وأمّا من أبغضك وكذّب عليك فحقّ على الله أن يوقفه موقف الكذّابين»[3].

وفيه أيضاً عن المفيد بإسناده إلى جابر بن عبدالله قال: «سمعت عليّاً ينشد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شكّ في نسبي ... ومعه ربّيت وسبطاه هما ولدي

---

١. في المصدر: ولا تقلّه وفي البحار: ويقلّه.

٢. كشف الغمة، ج ١، ص ٣٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٥١.

٣. الأمالي للطوسي، ص ١٨١؛ بحارالأنوار، ج ٦٥، ص ٢٢.

جـدّي وجـدّ رسـول الله منفرد　　وفـاطم زوجتي لا قـول ذي فـند
فـالحمد لله [شكـراً] لا شـريك له　　البـرّ بـالعبد والبـاقي بـلا أمـد

قال: «فابتسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: صدقت يا عليّ»[١].

وفيه أيضاً عن جماعة عن أبي المفضّل مسنداً إلى جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: «لمّا نزل الطائف ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فحصر أهل «وجّ» أيّاماً فسأله قوم أن يبرح عنهم ليقدم عليه وفدهم فيشترط له ويشترطون لأنفسهم، فسار حتّى نزل مكّة، فقدم عليه نفر منهم بإسلام قومهم ولم يبخع القوم له بالصلاة ولا الزكاة.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه لا خير في دينٍ لا ركوع فيه ولا سجود.

أما والّذي نفسي بيده ليقيمنّ الصلاة وليؤتنّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليهم رجلاً هو منّي كنفسي، فليضرب أعناق مقاتليهم، وليسبينّ ذراريهم، هو هذا.

وأخذ بيد عليٍّ عليه السلام فأشالها، فلمّا صار القوم إلى قومهم بالطائف أخبروهم بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقرّوا له بالصلاة، وأقرّوا له بما شرط عليهم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما استعصى عليّ أهل مملكة ولا أُمّة إلّا رميتهم بسهم الله عزّ وجلّ.

قالوا: وما سهم الله عزّ وجلّ يا رسول الله؟

قال: عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام؛ ما بعثته في سريّة إلّا رأيت جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملكاً أمامه، وسحابة تظلّه حتّى يعطي الله عزّ وجلّ حبيبي النصر والظفر»[٢].

وفي «البحار» عن ابن شهرآشوب في مناقبه: روى الثقات عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: يا عليّ! لك أشياء ليس لي مثلها:

إنّ لك زوجة مثل فاطمة عليها السلام وليس لي مثلها؛

ولك ولدان من صلبك وليس لي مثلهما من صلبي؛

ولك مثل خديجة أُمّ أهلك وليس لي مثلها حماة؛

---

١. الفصول المختارة، ص ١٧١؛ الأمالي للطوسي، ص ٢١١؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٩.

٢. الأمالي للطوسي، ص ٥٠٤؛ بحارالأنوار، ج ٢١، ص ١٥٣.

ولك صهر مثلي وليس لي صهر مثلي؛

ولك أخ في النسب مثل جعفر وليس لي مثله في النسب.

ولك أمّ مثل فاطمة بنت أسد الهاشميّة المهاجرة وليس لي مثلها.

سلمان وأبوذر والمقداد: «إنّ رجلاً فاخر عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ! فاخر العرب فأنت أكرمهم ابن عمّ، وأكرمهم نفساً، وأكرمهم زوجة، وأكرمهم ولداً، وأكرمهم أخاً، وأكرمهم عمّاً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، وأقدمهم سلماً».

وفي خبرٍ: «أشجعهم قلباً، وأسخاهم كفّاً».

[وفي خبر آخر: أنت أفضل أُمّتي فضلاً][١].

وفي «أمالي» الشيخ: جماعة عن أبي المفضّل عن فلان، عن فلان، عن يونس بن حبيب النحويّ ـوكان عثمانيّاًـ: قال: «قلت للخليل بن أحمد: أُريد أن أسألك عن شيء فتكتمها عليّ.

قال: إنّ قولك يدلّ على أنّ الجواب أغلظ من السؤال، فتكتمه أنت أيضاً.

قال: قلت: نعم، أيّام حياتك.

قال: سل.

قال: قلت: ما بال أصحاب رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ورحمهم ـكأنّهم كلّهم بنو أُمٍّ واحدة وعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام من بينهم كأنّه ابن علّة؟

قال: من أين لك هذا السؤال؟

قال: قلت: قد وعدتني الجواب.

قال: قد ضمنت لي الكتمان.

قال: قلت: أيّام حياتك.

فقال: إنّ عليّاً تقدّمهم إسلاماً، وفاقهم علماً، وبذّهم شرفاً، ورجحهم زهداً، وطالهم

١. المناقب، ج ٢، ص ١٧٠؛ بحارالانوار، ج ٤٠، ص ٦٨.

جهاداً؛ فحسدوه، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى من بان منهم. فافهم»[١]!

وفي «البحار»: وجدت في كتاب سليم بن قيس الهلاليّ ـ وهو يناسب الخبر السابق على هذا ـ أنّه قال: حدّثني أبوذر وسلمان والمقداد، ثمّ سمعته من عليٍّ عليه السلام قالوا: «إنّ رجلاً فاخر عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليٍّ: [أي أخي] فاخر العرب فأنت: أكرمهم ابن عمّ، وأكرمهم أباً، وأكرمهم أخاً، وأكرمهم نفساً، وأكرمهم [زوجة، واكرمهم] ولداً، وأكرمهم عمّاً، وأكرمهم غناء بنفسك ومالك، وأتمّهم حلماً، وأكثرهم علماً، وأنت أقرأهم لكتاب الله، وأعلمهم بسنن الله، وأشجعهم قلباً، وأجودهم كفّاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشدّهم اجتهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبّهم إلى الله وإليّ.

وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش، ثمّ تجاهد في سبيل الله إذا وجدت أعواناً، تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله الناكثين والقاسطين والمارقين من هذه الأُمّة، تُقتل شهيداً مخضّب لحيتك من دم رأسك، قاتلك يعدل عاقر الناقة في البغض إلى الله والبُعد من الله، ويعدل قاتل يحيى بن زكريّا وفرعون ذي الأوتاد».

وقال أبان: «وحدّثت بهذا الحديث الحسن البصريّ عن أبي ذر.

قال: صدق أبوذر، ولعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام السابقة في العلم والدين، وعلى الحكمة والفقه، وعلى الرأي والصحبة، وعلى الفضل في البسطة وفي العشرة، وفي الصهر وفي النجدة، وفي الحرب وفي الجود وفي الماعون، وعلى العلم بالقضاء، وعلى القرابة، وعلى البلاء. إنّ عليّاً في كلّ أمره عليّ. وصلّى عليه، ثمّ بكى حتّى بلّ لحيته.

فقلت له: يا أبا سعيد! تقول ذلك لأحد غير النبيّ إذا ذكرته؟

قال: ترحّم على المسلمين إذا ذكرتهم، وتصلّي على آل محمّد، وإنّ عليّاً خير آل محمّد.

فقلت: يا أبا سعيد! خير من حمزة وجعفر؟ وخير من فاطمة والحسن والحسين؟

فقال: إي والله! خير منهم، [ومن يشك أنّه خير منهم؟

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٦٠٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٩، ص ٤٩٥.

ثمّ إنّه قال: لم يرج عليهم اسم شرك ولا كفر ولا عبادة صنم ولا شرب خمر وعلي عليه السلام خير منهم] بالسبق إلى الإسلام والعلم بكتاب الله وسنّة نبيّه، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: «زوّجتك خير أُمّتي».

فلو كان في الأُمّة خيرٌ منه لاستثناه.

وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين أصحابه وآخى بين عليّ وبين نفسه؛ فرسول الله خير منهم نفساً وخيرهم أخاً.

ونصبه يوم غديرخمٍّ للناس، وأوجب له الولاية على الناس مثل ما أوجب لنفسه، وقال له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»، ولم يقل ذلك لأحد من أهل بيته، ولا لأحد من أُمّته غيره في سوابق كثيرة ليس لأحد من الناس مثلها.

فقلت له: من خير هذه الأُمّة بعد عليٍّ؟

قال: زوجته وابناه.

قلت: ثمّ من؟

قال: ثمّ جعفر وحمزة خير الناس، وأصحاب الكساء الّذين نزلت فيهم آية التطهير، ضمّ فيه نفسه وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ قال: «هؤلاء ثقلي وعترتي وأهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

فقالت أُمّ سلمة: أدخلني معك في الكساء.

فقال لها: يا أُمّ سلمة! أنتِ بخير وإلى خير، فإنّما نزلت هذه الآية فيّ وفي هؤلاء.

فقلت: يا أبا سعيد! ما ترويه في عليّ عليه السلام وما سمعتك تقول فيه؟!

قال: يا أخي! أحقن بذلك دمي بين هؤلاء الجبابرة الظلمة ـ لعنهم الله ـ يا أخي! لولا ذلك لقد شالت بي الخشب ولكنّي أقول ما سمعت فيبلغهم ذلك فيكفّون عنّي، وإنّما أعني ببغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيحسبون أنّي لهم وليّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1] هي التقيّة»، انتهى.

---

١. فصّلت: ٣٤.

أقول: ويكفينا في زهده وورعه وتقواه ما ورد في أخبار معتبرة كثيرة:

منها في «المحاسن» عن أبي أيّوب الأنصاريّ قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إنّ الله زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بشيءٍ أحبّ إلى الله منها، ولا أبلغ عنده منها، الزهد في الدنيا، وإنّ الله قد أعطاك ذلك، جعل الدنيا لا تنال منك شيئاً، وجعل لك من ذلك سيماء تعرف بها»[1].

وفي «أمالي الطوسيّ» في حديث عمّار:

«يا عليّ! إنّ الله قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها، زيّنك بالزهد في الدنيا وجعلك لا ترزأ منها شيئاً، ولا ترزأ منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً»[2].

وفي «الخرايج» قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياكم بطمريه، ويسدّ فورة جوعه بقرصيه، لا يطعم الفلذة في حوله إلّا في سنّة أضحية، ولن تقدروا على ذلك، فأعينوني بورع واجتهاد»[3].

وفي «مناقب ابن شهر آشوب» عن الباقر عليه السلام أنّه أتى البزّازين، فقال لرجل: «بعني ثوبين.

فقال الرجل: يا أميرالمؤمنين! عندي حاجتك.

فلمّا عرفه مضى عنه، فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، فقال: يا قنبر! خذ الّذي بثلاثة دراهم.

فقال: أنت أولى به؛ تصعد المنبر وتخطب الناس.

فقال: وأنت شابّ ولك شره الشباب، وأنا أستحيي من ربّي أن أتفضّل عليك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ألبسوهم ممّا تلبسون، وأطعموهم ممّا تأكلون، فلمّا لبس القميص مدّ

---

١. المحاسن، ج ١، ص ٢٩١؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣٣٤.

٢. الأمالي للطوسي، ص ١٨٦؛ بحارالأنوار، ج ٦٥، ص ١١٥.

٣. الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٤٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣١٨.

كمّ القميص فأمر بقطعه واتّخاذه قلانس للفقراء.

فقال الغلام: هلمّ أكفّه.

فقال: فدعه كما هو، فإنّ الأمر أسرع من ذلك»[١].

«الإحياء» للغزاليّ: إنّه كان له سويق في إناء مختوم، فقيل له: «أتفعل هذا بالعراق مع كثرة الطعام؟

فقال: «أمّا إنّي لا أختمه بخلاً به ولكنّي أكره أن يجعل فيه ما ليس منه، وأكره أن يدخل بطني غير طيّب»[٢].

وعن الأصبغ بن نباتة: «قال عليٌّ: دخلت بلادكم بأشمالي هذه ورحلتي وراحلتي هاهي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت، فإنّني من الخائنين»[٣].

وقال لأهل البصرة: «ما تنقمون منّي؟ إنّ هذا لمن غزل أهلي»، وأشار إلى قميصه»[٤].

«وترصّد غذائه عمرو بن حريث، فأتت فضّة بجراب مختوم، فأخرج منه خبزاً شعيراً أخشناً.

فقال عمرو: يا فضّة! لو نخلت هذا الدقيق وطيّبته.

قالت: كنت أفعل فنهاني، وكنت أضع في جرابه طعاماً طيّباً فختمه»[٥].

وفي «المحاسن» عن أبي عبدالله عليه السلام: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام أشدّ الناس طعمة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ يأكل الخبز والخلّ والزيت، ويطعم الناس الخبز واللحم»[٦].

وفي «الكافي» بسنده إلى حميد وجابر العبديّ، قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

إنّ الله قد جعلني إماماً لخلقه، وفرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي

---

١. المناقب، ج ٢، ص ٩٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣٢٢.

٢ و ٣. المناقب، ج ٢، ص ٩٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣٢٥.

٤ و ٥. نفسه.

٦. المحاسن، ج ٢، ص ٤٨٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣٣٠.

كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يطغي الغنيّ غناه»[١].

وفي «نهج البلاغة» في كتاب كتبه إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ وهو من جلائل كتبه ومشهور معروف:

«ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه.

ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد.

فوالله! ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عليها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله.

وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس في مظانّها في غدٍ جدث تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لضغطها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التراب المتراكم، وإنّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

ولو شئت لاهتديت السبيل إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات! أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أن أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكبادٌ تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال [لي]: أمير المؤمنين ولا أُشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أُسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقحّمها، تكترش من أعلافها، وتلهوا عمّا يراد بها، أو أُترك سدى، أو أُهمل عابثاً، أو أجرّ حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة.

وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤١٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٣٣٦.

ومنازلة الشجعان.

ألا وإنّ الشجرة البرّيّة أصلب عوداً والرواتع الخضرة أرقّ جلوداً، والنابتات العذية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً.

وأنا من رسول الله ﷺ كالصنو من الصنو، والذراع من العضد.

والله! لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد في أن أُطهّر الأرض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس، حتّى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد.

إليك عنّي يا دنيا! فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وأفلتُّ من حبائلك، واجتنبت الذهاب في مداحضك، أين القرون الّتي غررتهم بمداعبك؟ أين الأُمم الّذين فتنتهم بزخارفك؟ هاهم رهائن القبور ومضامين اللحود.

والله! لو كنت شخصاً مرئيّاً وقالباً حسّيّاً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانيّ، وأُمم ألقيتهم بالمهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر.

هيهات! من وطئ دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازورّ عن حبالك وفّق، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه.

أغربي عنّي فوالله! لا أذلّ لك فتستذلّيني، ولا أسلس لكِ فتقوديني، وأيم الله ـ يميناً استثني فيها بمشيّة الله ـ لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نصب معينها مستفرغة دموعها، أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتبرض، ويأكل عليّ من زاده فيهجع؟ قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهائلة والسائمة المرعيّة.

طوبى لنفسٍ أدّت إلى ربّها فرضها، وعركت بجبنها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسّدت كفّها في معشرٍ أسهرت عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهممت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشّعت بطول

استغفارهم ذنوبهم و﴿ أُولٰئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ أَلَاْ إِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[١]

فاتّق الله يابن حنيف! ولتكفك أقراصك لتكون من النار خلاصك»[٢]، انتهى.

وفي «نهج البلاغة» من خطبة له عليه السلام: «ولأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً»[٣]... إلى آخره، وسيأتي.

ووالله! ما انتهى بيان زهده وتقواه وورعه، ولو أُريد الاستقصاء لما وصل إلينا لاحتاج هذا الباب إلى كتابٍ مخصوص، وليس في هذا المقام أحسن من كلماته في المواعظ، فإنّه يظهر منها زهده وورعه وتقواه وقوّته وجوعه مع كمال شجاعته ورأته وقوّته وسخائه وإيثاره وهما من الأضداد الّتي لا توجد إلّا في مثله عليه السلام.

وفي «نهج البلاغة» أيضاً من خبر ضرار بن ضمرة عند دخوله معاوية ومسألته له عن أميرالمؤمنين عليه السلام، قال:

«فأُشهد الله! لقد رأيته في بعض مواقفه ولقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابضٌ على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول:

«يا دنيا! [يا دنيا!] إليك عنّي، أبي تعرّضت؟ أم إليّ تشوّفت؟ لا حان حينك، هيهات! غرّي غيري، لا حاجة لي فيكِ، قد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشكِ قصير، وخطركِ يسير، وأملكِ حقير. آه! من قلّة الزاد وطول الطريق وبُعد السفر وعظم المورد وخشونة المضجع»[٤].

...إلى غير ذلك من الأخبار في زهده وتقواه.

ويكفينا في صبره عليه السلام على المكارم وشدّة ابتلائه بالبلايا ما في «النهج» أيضاً، قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

---

١. مجادلة: ٢٢.

٢. نهج البلاغة، ص ٤١٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٣، ص ٤٧٣.

٣. نهج البلاغة، ص ٣٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٧٢، ص ٣٥٩.

٤. نهج البلاغة، ص ٤٨٠؛ بحارالأنوار، ج ٧٠، ص ١٢٨.

«لمّا أنزل الله سبحانه ﴿ الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ﴾[١] علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله! ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله بها؟

فقال صلى الله عليه وآله: يا عليّ! إنّ أُمّتي سيفتنون من بعدي.

فقلت: يا رسول الله! أوليس قد قلت لي يوم أُحد حين استشهد من استشهد من المسلمين وأُخّرت عنّي الشهادة فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر! فإنّ الشهادة من ورائك.

فقال لي: إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذاً؟

فقلت: يا رسول الله! ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر»[٢].

وفي «المناقب» لابن شهرآشوب بإسناد ذكره عن أبي هريرة وابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾[٣] يقول: «يا محمّد! لا يكذّبك عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد ما آمن بالحساب»[٤].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في مقاماتٍ كثيرةٍ:

«أنا باب المقام، وحجّة الخصام، ودابّة الأرض، وصاحب العصاء، وفاصل القضاء، وسفينة النجاة؛ من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق»[٥].

وقال أيضاً: «أنا شجرة الندى، وحجاب الورى، وصاحب الدنيا، وحجّة الأنبياء، واللسان المبين، والحبل المتين، والنبأ العظيم الّذي عنه تعرضون، وعنه تُسئلون، وفيه تختلفون»[٦].

وقال عليه السلام: «فوعزّتك وجلالك وعلوّ مكانك في عظمتك وقدرتك! ما هبت عدوّاً، ولا

---

١. العنكبوت: ١ و٢.
٢. نهج البلاغة، ص ٢٢٠؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٧.
٣. التين: ٧.
٤. المناقب، ج ٢، ص ١١٨؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٥.

تملّقت وليّاً، ولا شكرت على النعماء أحداً سواك»[١].

وفي مناجاته:

«اللّهمّ إنّي عبدك ووليّك، اخترتني وارتضيتني ورفعتني وكرّمتني بما أورثتني من مقام أصفيائك وخلافة أوليائك، وأغنيتني وأفقرت الناس في دينهم ودنياهم إليّ، وأعززتني وأذللت العباد لي، وأسكنت قلبي نورك ولم تحوجني إلى غيرك، وأنعمت عليّ وأنعمت بي، ولم تجعل منّةً عليّ لأحدٍ سواك، وأقمتني لإحياء حقّك والشهادة على خلقك، وأن لا أرضى ولا أسخط إلّا لرضاك وسخطك، ولا أقول إلّا حقّاً، ولا أنطق إلّا صدقاً»[٢]، انتهى.

وفي «المناقب» هذا أيضاً:

كان أميرالمؤمنين عليه السلام يطوف بين الصفّين بصِفّين في غلالة، فقال الحسن عليه السلام: ما هذا زيّ الحرب.

فقال: يا بنيّ! إنّ أباك لا يبالي وقع على الموت أم وقع الموت عليه.

وكان عليه السلام يقول: ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدمٍ.

ولمّا ضربه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ قال: فزت وربّ الكعبة، فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ ﴾[٣] الآية.

ومن صبره ما قال الله تعالى فيه: ﴿ ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾[٤] والدليل على أنّها نزلت فيه أنّه قام الإجماع على صبره مع النبيّ صلى الله عليه وآله في شدائده من صغره إلى كبره، وبعد وفاته، وقد ذكر الله صفة الصابرين في قوله: ﴿ وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ﴾[٥] وهذا صفته بلا شكٍّ.

---

١ ـ ٢. نفسه.

٣. الجمعة: ٦.

٤. آل عمران: ١٧.

٥. البقرة: ١٧٧.

«مجمع البيان» وتفسير عليّ بن إبراهيم عن أبان بن عثمان: أنّه أصاب علياً عليه السلام يوم أُحد ستّون جراحة.

تفسير القشيريّ عن أنس بن مالك: أنّه أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله بعليٍّ عليه السلام وعليه نيّف وستّون جراحة.

وقال أبان: أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أُمّ سليم وأُمّ عطيّة أن تداوياه.

فقالتا: قد خفنا عليه.

فدخل النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة، فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله يمسحه بيده ويقول: إنّ رجلاً لقي هذا في الله لذ أبلى وأعذر.

وكان يلتئم، فقال عليّ عليه السلام: الحمد لله الّذي جعلني لم أفرّ ولم أُولّي الدّبر.

فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قول الله تعالى: ﴿**سَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ**﴾[1] و﴿**سَنَجْزِي ٱلشَّاكِرِينَ**﴾[2].

سعيد بن جبير عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿**أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ**﴾ يعني بالشاكرين صاحبك عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، والمرتدّين على أعقابهم الّذين ارتدّوا عنه.

سفيان الثوريّ مسنداً عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا**﴾[3] يعني: صبر عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام في الدنيا على الطاعات وعلى الجوع وعلى الفقر، وصبروا على البلاء لله في الدنيا ﴿**أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ**﴾.

وقال عليّ بن عبدالله بن عبّاس: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[4] عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

ولمّا نعى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بحال جعفر في غزوة مؤتة، قال: إنّا لله وإنّا إليه

١. آل عمران: ١٤٤.

٢. آل عمران: ١٤٥.

٣. المؤمنون: ١١١.

٤. البلد: ١٧، العصر: ٣.

راجعون، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ** ﴾[١] الآية»[٢].

...إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في الفريقين في صبره وشدّة ابتلائه.

وأمّا عبادته وخوفه، فيكفي فيها ما في «نهج البلاغة» قال عليه السلام:

«إنّ قوماً عبدوا الله رغبة؛ فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة؛ فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[٣].

وقال ابن ميثم: «أي: لأنّه مستحقّ للعبادة.

وقال عليه السلام في موضع آخر:

«إلهي! ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة، فعبدتك»[٤].

وفي «أمالي» الشيخ عن المفيد بإسنادٍ ذكره إلى عمران بن الحصين قال: كنت أنا وعمر بن الخطّاب جالسين عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ عليه السلام جالسٌ إلى جنبه إذ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾[٥].

قال: فانتفض عليّ عليه السلام انتفاض العصفور.

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ما شأنك تجزع؟

فقال: مالي لا أجزع والله يقول: إنّه يجعلنا خلفاء الأرض.

---

١. البقرة: ١٥٦ـ١٥٧.

٢. المناقب، ج ٢، ص ١١٩؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٢.

٣. نهج البلاغة، ص ٥١٠؛ بحارالأنوار، ج ٧٥، ص ٦٩.

٤. بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٤.

٥. النمل: ٦٢.

فقال له النبيّ ﷺ: لا تجزع، والله! لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»[١].

وفي «أمالي الصدوق»: سمع رجل من التابعين أنس بن مالك يقول: «نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾[٢].

قال الرجل: فأتيت عليّاً عليه السلام لأنظر عبادته فأشهد بالله لقد أتيته وقت المغرب، فوجدته يصلّي بأصحابه المغرب، فلمّا فرغ منها جلس في التعقيب إلى أن قام إلى عشاء الآخرة، ثمّ دخل منزله فدخلت معه فوجدته طول الليل يصلّي ويقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر.

ثمّ جدّد وضوءه وخرج إلى المسجد وصلّى بالناس صلاة الفجر، ثمّ جلس في التعقيب إلى أن طلعت الشمس، ثمّ قصده الناس فجعل يختصم إليه رجلان فإذا فرغا قاما واختصم آخران، إلى أن قام إلى صلاة الظهر.

قال: فجدّد لصلاة الظهر وضوء ثمّ صلّى بأصحابه الظهر، ثمّ قعد في التعقيب إلى أن صلّى بهم العصر، ثمّ أتاه الناس فجعل يقوم رجلان ويقعد آخران، يقضي بينهم ويفتيهم إلى أن غابت الشمس، فخرجت وأنا أقول: أشهد بالله أنّ هذه الآية نزلت فيه»[٣].

وفي «أمالي الصدوق» مسنداً إلى أصبغ بن نباتة قال: «دخل ضرار على معاوية فقال له: صف لي عليّاً.

قال: أو تعفيني؟

قال: لا، بل صفه لي.

قال ضرار: رحم الله عليّاً كان والله فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، ويقرّبنا إذا زرناه، لا يغلق له دوننا باب، ولا يحجبنا عنه حاجب، ونحن والله! مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه لهيبته، ولا نبتديه لعظمته، فإذا تبسّم فمن مثل اللؤلؤ المنظوم.

---

١. الأمالي للمفيد، ص ٣٠٧؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣.

٢. الزمر: ٩.

٣. الأمالي للصدوق، ص ٢٨١؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣.

فقال معاوية: زدني في صفته.

فقال ضرار: رحم الله عليّاً كان والله! طويل السّهاد، قليل الرّقاد، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، ويجود لله بمهجته، ويبوء إليه بعبرته، لا تغلق له الستور، ولا يدّخر عنّا البدور، ولا يستلين الاتّكاء، ولا يستخش الجفاء، ولو رأيته إذ مثّل في محرابه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهو قابض على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول:

يا دنيا! أبي تعرّضت أم إليّ تشوّقت؟ هيهات! هيهات! لا حاجة لي فيكِ، أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي عليك.

ثمّ يقول: آه آه! لبُعد السفر وقلّة الزاد وخشونة الطريق.

قال: فبكى معاوية وقال: حسبك يا ضرار! كذلك كان والله! عليّ رحم الله أباالحسن»[١].

وفي «الكافي»: العدّة عن أحمد بن محمّد إلى أبي بصيرٍ عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ عليّاً في آخر عمره كان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة»[٢].

وأقول: ورد في أخبارٍ كثيرةٍ معتبرة في الفريقين أنّه عليه السلام أعتق ألف عبد من كدّ يمينه.[٣]

... إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالّة على كثرة عباداته.

وقد رود في أخبار كثيرة متعدّدة عن عليّ بن الحسين الملقّب بزين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام من كثرة عبادته وسجوده أنّه ينظر كثيراً في طومار عبادة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام ويقول مكرّراً: «إذا كان هذا هو العبادة فما أقلّ عباداتنا في جنبها».

وهو مشهور معروف، مضافاً إلى أنّا نعتقد أنّ كلّ ما يفعله كانت من العبادات وأفضلها،

---

١. الأمالي للصدوق، ص ٦٢٤؛ بحارالأنوار، ج ٨٤، ص ١٥٦.

٢. الكافي، ج ٤، ص ١٥٤.

٣. بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٦٩.

حتّى قال رسول الله ﷺ: «ضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»[١]، فكيف بسائر أفعاله وعباداته، بأبي هو وأُمّي ومن يقدر على إحصاء طاعاته وعباداته.

وأمّا حلمه وحيائه، فيكفي فيه ما قاله ابن أبي الحديد في شرحه عن زرارة عن أبيه عن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليهما السلام قال: «كان عليّ إذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمعت إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلّمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم من مجلسه ذلك، فقام يوماً فمرّ رجل فرماه بكلمة هجرٍ.

ـقال: ولم يسمّه محمّد بن عليّـ

فرجع عوده على بدئه حتّى صعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة! فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس! إنّه ليس شيء أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا [شيء] أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرراً من جهل إمام وخرقه، ألا وإنّه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ، ألا وإنّه من أنصف من نفسه لم يزده الله إلاّ عزّاً، ألا وإنّ الذلّ في طاعة الله أقرب إلى الله تعالى من التعزّز في معصيته.

ثمّ قال: أين المتكلّم آنفاً؟

فلم يستطع الإنكار، فقال: ها أنا ذا يا أميرالمؤمنين!

فقال: أما إنّي لو أشاء لقلت.

فقال: أو تعفو وتصفح فأنت أهل لذلك.

فقال: عفوت وصفحت.

فقيل لمحمّد بن عليٍّ: ما أراد أن يقول؟

قال: أراد أن ينسبه.

وقال أيضاً: روى زرارة أنّه قال: قيل لجعفر بن محمّد عليهما السلام: إنّ قوماً هاهنا ينقصون عليّاً عليه السلام.

---

١. الاقبال، ص ٤٦٧؛ ارشاد القلوب، ج ٢، ص ٢١٥.

قال: بم ينقصونه لا أباً لهم؟ وهل فيه موضع نقيصة، والله! ما عرض لعليٍّ عليه السلام أمران قطّ»[١]... إلى آخر ما نقله.

وأمّا سخاؤه وإنفاقه في سبيل الله وإيثاره وسابقته فأمر مشهور معلوم، مثل شجاعته لا يحتاج إلى الإثبات.

ففي «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البقيعة[٢] ـ وفي نسخة: العنيفة ـ وكان الرجل ممّن يرجى نوافله، ويؤمّل نائله ورفده، وكان لا يسأل عليّاً عليه السلام ولا غيره شيئاً.

فقال رجل لأميرالمؤمنين عليه السلام: والله! ما سألك فلان ولقد كان يجزيه من الخمسة الأوساق وسقٌ واحد.

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: لا أكثر الله في المؤمنين ضربك، أُعطي أنا وتبخل أنت؟ [لله أنت] إذا لم أُعط الّذي يرجوني إلّا من بعد المسألة ثمّ أعطيته من بعد المسألة فلم أعطه ثمن ما أخذت منه؛ وذلك لأنّي عرّضته أن يبذل لي وجهه الّذي يعفره في التراب لربّي وربّه عند تعبّده له وطلب حوائجه إليه؛ فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدّق الله في دعائه له، حيث يتمنّى له الجنّة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله، وذلك أنّ العبد قد يقول في دعاه «اللّهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات» فإذا دعا بالمغفرة فقد طلب لهم الجنّة، فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحقّقه بالفعل»[٣].

أقول: على مثله عليه السلام فليقتدي المعطين لا الردّ بعد السؤال أيضاً.

وفي «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم بإسناده عن الحرث الهمدانيّ قال: «سامرت

---

١. شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ١٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣٢.

٢. في المصدر: البغيبغة: ضيعة أو عين بالمدينة، غريزه كثيرة النخل لآل الرسول عليهم السلام راجع: مجمع البحرين: مادة «بغبغ».

٣. الكافي، ج ٤، ص ٢٢؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٥.

أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين! عرضت لي حاجة.

قال: فرأيتني لها أهلاً؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين!

قال: جزاك الله عنّي خيراً، ثمّ قام إلى السراج فأغشاها وجلس ثمّ قال:

إنّما اغتشيت السراج لئلّا أرى ذلّ حاجتك في وجهك، فتكلّم! فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الحوائج أمانة من الله في صدور العباد؛ فمن كتمها كتبت له عبادة، ومن أفشاها كان حقّاً على من سمعها أن يعينه»[١].

وفي «الكافي» أيضاً: العدّة عن البرقيّ إلى الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يضرب بالمَرّ ويستخرج الأرضين وإنّه أعتق ألف مملوك من كدّ يده»[٢].

أقول: هذه الفقرة أعني: «عتق ألف مملوك من كدّ يمينه»[٣] متواتر بين الفريقين، نقله غير واحد منّا ومنهم.

وفي «البحار» عن تفسير فرات معنعناً عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «كان رجل مؤمن على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في داره حديقة، وله جارٌ له صبية، فكان يتساقط الرطب عن النخلة وينشدون صبيته يأكلونه، فيأتي الموسر فيخرج الرطب من جوف أفواه الصبية، وشكى الرجل ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرجل وحده، فقال: بعني حديقتك هذه بحديقة في الجنّة.

فقال له الموسر: لا أبيعك عاجلاً بآجل.

فبكى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ورجع نحو المسجد، فلقيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقال له: يا رسول الله! ما يبكيك، لا أبكى الله عينيك؟

فأخبره خبر الرجل الضعيف والحديقة.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتّى استخرجه من منزله وقال له: بعني دارك.

---

١. الكافي، ج ٤، ص ٢٤؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٦.

٢ و ٣. الكافي، ج ٥، ص ٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٧.

قال الموسر: بحائطك الحسنى.

فصفق على يده ودار إلى الضعيف فقال له: تحوّل إلى دارك، فقد ملّكها الله ربّ العالمين لك.

وأقبل أميرالمؤمنين عليه السلام ونزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: يا محمّد! إقرأ: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾[1]... إلى آخر السورة.

فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقبّل بين عينيه، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: بأبي أنت، قد أنزل الله فيك هذه السورة الكاملة»[2].

وفي «أمالي الصدوق» نقل رواية أنّه أعطى فقيراً حلّتين ومائة دينار، ثمّ قال: «إنّي لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأمواهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم!»[3]

وفي «العيون» بإسناد التميميّ عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ﴾[4] في عليٍّ عليه السلام»[5].

وعن العيّاشيّ عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[6] قال: عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام أفضلهم وهو ممّن ينفق ماله ابتغاء مرضات الله»[7].

وفي «جامع الأخبار»: «جاء عليّاً عليه السلام أعرابيّ فقال: يا أميرالمؤمنين! إنّي مأخوذ بثلاث علل: علّة النفس، وعلّة الجهل، وعلّة الفقر.

---

١. سورة الليل.

٢. تفسير فرات، ص ٥٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٧.

٣. الأمالي للصدوق، ص ٢٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٥.

٤. البقرة: ٢٧٤.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٥.

٦. البقرة: ٢٦٥.

٧. تفسير العيّاشي، ج ١، ص ١٤٨؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٥.

فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أخا العرب! علّة النفس تعرض على الطبيب، وعلّة الجهل تعرض على العالم، وعلّة الفقر تعرض على الكريم.

فقال الأعرابيّ: يا أمير المؤمنين! أنت الكريم وأنت العالم وأنت الطبيب.

فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم، وقال: تنفق ألفاً بعلّة النفس، وألفاً بعلّة الجهل، وألفاً بعلّة الفقر»[١].

وفي «كشف المحجّة» للسيّد الأجلّ عليّ بن طاووس رحمه الله عن بعض كتب المناقب: «إنّ عليّاً قال: تزوّجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش، وصدّقني اليوم لو قسمت على بني هاشم لوسعتهم.

وفيه أيضاً إنّه عليه السلام وقف أمواله وكانت غلّته أربعين ألف دينار، وباع سيفه وقال: من يشتري سيفي ولو كان عندي عشاء ما بعته.

وفيه أيضاً إنّه عليه السلام قال مرّة: من يشتري سيفي الفلانيّ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته.

قال: وكان يفعل هذا وغلّته أربعون ألف دينار من صدقته»[٢].

ويكفينا في حسن خلقه وبشره وحلمه ما عتبه به أعداؤه أنّ به دعابة، وأنّه يحبّ المساكين، ويجلس مع الفقراء.

وفي تواضعه ما عن الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يحطب ويستسقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز»[٣]، وإنّه يشتري التمر فيحمله في طرف ردائه، وكثيراً ما يركب ويمشي أصحابه خلفه، فيقول لهم: ألكم حاجة؟

فقالوا: لا يا أمير المؤمنين! ولكنّا نحبّ أن نمشي معك.

فيقول لهم: انصرفوا، فإنّ مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلّة للماشي.

...إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة على تواضعه عليه السلام، ويكفي فيه ما نقلنا من الرواية:

---

١. جامع الأخبار، ص ١٣٨؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٤٣.

٢. مجموعة ورّام، ج ٢، ص ١٢؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٤٣.

٣. المناقب، ج ٢، ص ١٠٤؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٥٤.

في «الكافي» عن الصادق عليه السلام: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام يضرب بالمرّ ويستخرج الأرضين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمصّ النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعة، وإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أعتق ألف مملوك من ماله وكدّ يده»[1].

وأمّا مهابته وشجاعته وسابقته في الجهاد، فقد مرّت الإشارة إليه.

وفي «المناقب» لابن شهر اشوب: «اجتمعت الأُمّة ووافق الكتاب والسنّة أنّ لله خيرة من خلقه، وأنّ خيرته من خلقه المتّقون، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2]، وأنّ خيرته من المتّقين المجاهدون، قوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾[3]، وأنّ خيرته من المجاهدين السابقون إلى الجهاد، قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾[4] الآية، وأنّ خيرته من المجاهدين أكثرهم عملاً في الجهاد، واجتمعت الأُمّة على أنّ السابقين إلى الجهاد البدريّون، وأنّ خيرة البدريّين عليّ عليه السلام؛ فلم يزل القرآن يصدّق بعضه بعضاً بإجماعهم حتّى دلّوا بأنّ عليّاً عليه السلام خيرة هذه الأُمّة بعد نبيّها.

...إلى أن قال: المعروفون بالجهاد عليّ عليه السلام وحمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث والزبير وطلحة وأبو دجانة وسعد بن أبي وقّاص والبراء بن عازب وسعد بن معاذ ومحمّد بن سلمة، وقد اجتمعت الأُمّة على أنّ هؤلاء لا يقاسون بعليٍّ عليه السلام في شوكته وكثرة جهاده.

فأمّا أبوبكر وعمر فقد تصفّحنا كتب المغازي فما وجدنا لهما فيه أثر ألبتّة.

وقد اجتمعت الأُمّة أنّ عليّاً عليه السلام كان المجاهد في سبيل الله، والكاشف الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، المقدّم في سائر الغزوات إذا لم يحضر النبيّ صلى الله عليه وآله، وإذا حضر فهو تاليه، والصاحب للراية واللواء معاً، وما كان قطّ تحت اللواء أحد، ولا فرّ من زحف، وإنّهما فرّا في

١. الكافي، ج ٥، ص ٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٧.

٢. الحجرات: ١٣.

٣. النساء: ٩٥.

٤. الحديد: ١٠.

غير موضع، وكانا تحت لواء جماعة.

واستدلّ أصحابنا بقوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[١] أنّ المعنيّ بها أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّه كان جامعاً لهذه الخصال بالاتفاق، ولا قطع على كون غيره جامعاً لها»[٢].

وفي «أمالي» الصدوق عن أبي جعفرٍ عليه السلام أنّه قال: «والله! إنّ عليّاً عليه السلام كان ليأكل أكل العبيد، ويجلس جلسة العبيد، وإنّه كان ليشتري القميصين السنبلانيين فيتخيّر غلامه خيرهما ثمّ يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبيه حذفه، ولقد ولّي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً، ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وإن كان ليطعم الناس خبز البرّ واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخلّ.

وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضى إلّا أخذ بأشدّهما، ولقد أعتق ألف مملوك من كدّ يده تربت فيه يداه وعرق فيه وجهه، وما أطاق عمله أحد من الناس، وأن كان ليصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وأن كان أقرب الناس شبيهاً[٣] به عليّ بن الحسين عليهما السلام وما أطاق عمله أحد من الناس بعده»[٤].

وفي «الأمالي» أيضاً مسنداً إلى ابن نباتة قال: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام إذا أُتي بالمال أدخله بيت مال المسلمين، ثمّ جمع المستحقّين، ثمّ ضرب يده في المال فنثره يمنة ويسرة وهو يقول: يا صفراء! يا بيضاء! لا تغرّيني، غرّي غيري.

هذا جناي وخياره فيه   إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه

ثمّ لا يخرج حتّى يفرّق ما في بيت المال ويؤتي كلّ ذي حقٍّ حقّه، ثمّ يأمر أن يكنس ويرشّ،

---

١. البقرة: ١٧٧.

٢. المناقب، ج ٢، ص ٦٦؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٥٢.

٣. في المصدر والبحار: شبهاً.

٤. الأمالي للصدوق، ص ٢٨١؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٠٢.

ثمّ يصلّي فيه ركعتين، ثمّ يطلّق الدنيا ثلاثاً، يقول بعد التسليم: يا دنيا! لا تتعرّضين لي ولا تشوّقين إليّ، ولا تغرّيني، فقد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي عليك»[١].

وفيه أيضاً عن الضحّاك بن مزاحم، قال: «ذكر عليّ عليه السلام عند ابن عبّاس رضي الله عنه بعد وفاته.

فقال: وا أسفاه على أبي الحسن! مضى ما غيّر وما بدّل ولا قصّر ولا جمع ولا منع ولا آثر إلّا الله. والله! لقد كانت الدنيا أهون عليه من شسع نعله، ليثٌ في الوغا، بحرٌ في المجالس، حكيم في الحكماء، هيهات! قد مضى إلى الدرجات العلى»[٢].

وفي «الكافي» مسنداً إلى الصادق عليه السلام إنّه ذكر عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى عمّاله:

«نوّقوا أقلامكم، وقاربوا سطوركم، واحذفوا عنّي فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإيّاكم والإكثار، فإنّ أموال المسلمين لا تحمل الأضرار»[٣].

أقول: أُنظر إلى احتياطه في أموال المسلمين في صفحة من ورق الكاغذ ونحوه، بأبي هو وأُمّي أين مثله؟!

وفي «نهج البلاغة» قصّة عقيل والحديدة المحماة ولفظها هذا:

«والله! لئن أبيت على حسك السعدان مسهّداً وأجرّ في الأغلال مصفّداً أحبّ إليّ من أن ألق الله ورسوله صلى الله عليه وآله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها.

والله! لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتّى استماحني من برّكم ساعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنّهم سوّدت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكّداً، وكرّر عليّ القول مردّداً، فأصغيت إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعه ديني وأتّبع قياده مفارقاً طريقتي.

فأحميت له حديدة ثمّ أدنيتها منجسمه، ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد

---

١. الأمالي للصدوق، ص ٢٨٣؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٠٣.

٢. الأمالي للصدوق، ص ٤٠٨؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٠٣.

٣. الخصال، ج ١، ص ٣١٠؛ بحارالأنوار، ج ١٠١، ص ٢٧٥.

أن يحترق من مسيسها.

فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل! أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نارٍ سجّرها جبّارها لغضبه؟ أتئنّ من الأذى ولا أئنّ من لظى؟

وأعجب من ذلك طارقٌ طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنئتها كأنّما عجنت بريق حيّة أو قيئها.

فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرّمٌ علينا أهل البيت؟

فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنّها هديّة.

فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبط أم ذو جنّة أم هجر؟

والله! لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة [أسلبها] جلب شعيرة ما فعلته، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعليّ ونعيم يفنى، ولذّة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل، وبه نستعين»[١].

أقول: بأبي أنت وأُمّي! كلماته الّتي لا يخرج مثلها إلّا من فيه.

وفي «المناقب» في خبرٍ طويلٍ: إنّه قام سهل بن حنيف فأخذ بيد عبده، فقال: «يا أميرالمؤمنين! قد أعتقت هذاالغلام، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف مولاه.

وسأله بعض مواليه مالاً، فقال: يخرج عطائي فأُقاسمكه.

فقال: لا أكتفي، وخرج إلى معاوية فوصله، فكتب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام يخبره ممّا أصاب من المال.

فكتب إليه أميرالمؤمنين عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ ما في يدك من المال قد كان له أهل قبلك وهو سائرٌ إلى أهل من بعدك، فإنّما لك ما مهّدت لنفسك، فآثر نفسك على أحوج ولدك، فإنّما أنت جامع لأحد رجلين: إمّا رجلٌ عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت، وإمّا رجلٌ عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، وليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك، ولا تبرد له

---

١. نهج البلاغة، ص ٣٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٧٢، ص ٣٥٩.

على ظهرك، فارج لمن مضى رحمة الله، وثِقْ لمن بقي رزق الله»[١].

وفي «كشف الغمّة» عن كتاب ابن طلحة: «روي أنّ سودة بنت عمارة الهمدانيّة دخلت على معاوية بعد موت عليٍّ عليه‌السلام فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيّام صفّين والإمرة... إلى أن قال: ما حاجتك؟

قالت: إنّ الله مسائلك عن أمرنا، وما افترض عليك من حقّنا، ولا يزال يقدم علينا من قِبك من يسمو بمكانك ويبطش بقوّة سلطانك فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإن عزلته عنّا شكرناك وإلّا كفرناك.

فقال معاوية: إيّاي تهدّدين بقومك يا سودة؟! لقد هممت على أن أحملك على قتب أشوس فأردّك إليه فينفذ فيك حكمه.

فأطرقت سودة ساعة، ثمّ قالت:

صلّى الإلٓه على روحٍ تضمّنها ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟

قالت: هو والله! أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه‌السلام. والله! لقد جئته في رجلٍ كان قد ولّاه صدقاتنا، فجار علينا، فصادفته قائماً يصلّي، فلمّا رآني انفتل من صلاته ثمّ أقبل إليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف، وقال: ألكِ حاجة؟

قلت: نعم، فأخبرته الخبر.

فبكى، ثمّ قال: اللهمّ أنت الشاهد عليّ وعليهم وإنّي لا آمرهم بظلم خلقك.

ثمّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

---

١. المناقب، ج ٢، ص ١١١؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١١٧.

مُؤْمِنِينَ ﴾[1] فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتّى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام.

ثمّ دفع الرقعة إليّ، فوالله! ما ختمها بطينٍ ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبها فانصرف عنّا معزولاً.

فقال معاوية: أُكتبوا لها كتاباً كما تريد واصرفوها إلى بلدها غير شاكية»[2].

وفي «الكافي» عن الأصبغ: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرجل، يقول: والله! لأنت أعجز من تارك الغسل يوم الجمعة، فإنّه لا يزال في طهر إلى الجمعة الأُخرى»[3].

وفي «إرشاد القلوب» في جواب ضرار على معاوية: «كان والله! بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته.

كان والله! غريز العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفّيه، ويخاطب نفسه ويناجي ربّه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب. كان والله! فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه... إلى آخر ما نقلناه سابقاً.

قال: فوكفت دموع معاوية على لحيته (النجسة الكثيفة المنحوسة)، فنشفها بكمّه واختنق القوم بالبكاء. ثمّ قال: كان والله! أبوالحسن كذلك، فكيف صبرك يا ضرار؟

قال: صبر من ذبح ولدها على صدرها، فهي لا ترقى عبرتها، ولا تسكن حسرتها، ثمّ قام وخرج وهو باك.

فقال معاوية: أمّا إنّكم لو فقدتموني لما كان فيكم من يثني عليّ هذا الثناء.

فقال بعض من حضر: الصاحب على قدر صاحبه»[4].

---

١. الأعراف: ٨٥.

٢. كشف الغمّة، ج ١، ص ١٧٣؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١١٩.

٣. الكافي، ج ٣، ص ٤٢؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٢٣.

٤. ارشاد القلوب، ج ٢، ص ٢١٨؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٢٠.

وفي «الكافي» بسندٍ صحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله متّكئاً منذ بعثه الله إلى أن قبضه تواضعاً لله، وما رُئي ركبتيه أمام جليسه في مجلسٍ قط، [ولا صافح رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً قطّ فنزع يده حتّى يكون الرجل هو الّذي ينزع يده، ولا كافى رسول الله صلى الله عليه وآله بسيّئة قطّ،] قال الله له: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾[١] ففعل، وما منع سائلاً قطّ، إن كان عنده أعطى وإلّا قال: يأتي الله به، ولا أعطى على الله شيئاً قطّ إلّا أجازه الله إن كان ليعطي الجنّة فيجيز الله ذلك له.

قال: وكان أخوه من بعده[٢] [و] الّذي ذهب بنفسه؛ ما أكل من الدنيا حراماً قطّ حتّى خرج منها. والله! إن كان ليعرض له الأمران كلاهما لله طاعة فيأخذ بأشدّهما على بدنه. والله! لقد أعتق ألف مملوك لوجه الله عزّ وجلّ دبرت فيهم يداه. والله! ما أطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله سواه. والله! ما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة قطّ إلّا قدّمه فيها ثقة به منه، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه برايته فيقاتل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثمّ ما يرجع حتّى يفتح الله له»[٣].

وفيه أيضاً بسندٍ كالصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: «كان عليّ عليه السلام أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله صلى الله عليه وآله: كان يأكل الخبز والزيت، ويطعم الناس الخبز واللحم.

قال: وكان عليّ عليه السلام يستقي ويحطب، وكانت فاطمة عليها السلام تعجن وتطحن وتخبز وترقع، وكانت من أحسن الناس وجهاً كأنّ وجنتيها وردتان صلّى الله عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وبنيها»[٤].

وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام قال: «لمّا ولّى عليّ عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

---

١. المؤمنون: ٩٦.

٢. يعني: أميرالمؤمنين عليه السلام.

٣. الكافي، ج ٨، ص ١٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣٠.

٤. الكافي، ج ٨، ص ١٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣١.

إنّي لا أزرؤكم من فيئكم درهماً ما قام لي غدق بيثرب، فلتصدّقكم أنفسكم، أفـتروني مانعاً نفسي ومعطيكم؟

قال: فقام إليه عقيل ـكرّم الله وجهه ـ فقال له: والله! لتجعلني وأسود بالمدينة سواء؟!

فقال: إجلس، أما كان هاهنا أحد يـتكلّم غـيرك؟ ومـا فـضلك عـليه إلّا بسـابقة أو بتقوى»[١].

وعن «دعوات» الراونديّ: «قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام: ما شأنك جاورت البصرة؟

فقال: إنّي أجدهم جيران صفق؛ يكفون السيّئة ويذكّرون الآخرة»[٢].

وقال زين العابدين عليه السلام: «ما أُصيب أميرالمؤمنين عليه السلام بمصيبة إلّا صلّى في ذلك اليوم ألف ركعة، وتصدّق على ستّين مسكيناً، وصام ثلاثة أيّام»[٣]، انتهى.

هذه جملة من أخلاقه وأحواله وملكاته، وأنّىٰ لنا بإحصائها في مضيق مضمار هذه الرسالة المختصرة، وقد وردت أخبار متواترة من الفريقين: «لو أنّ الرياض أقـلام، والبـحر مـداد، والجنّ حسّاب، والإنس كتّاب ما أحصوا فـضائل عـليّ بـن أبي طـالبٍ عليه السلام»[٤] هـذا لفـظ أخبارالعامّة، ولفظ أخبار الخاصّة على طبق الآية الشريفة في تفسير الآية الشريفة ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾[٥] فراجع، وكذلك سائر الأئمّة ـ صلوات الله عليهم ـ.

كيف ولو تأمّلت في جميع أحوالهـم وخَـلقهم وخُـلقهم وعـلمهم وأوصـافهم وأفـعالهم وآثارهم لوجدت كلّها على الفرد الأفضل الأكمل من الإمكان، وعلى وجه خاصّ بهم تكون من قبيل خرق العادات، ولا يكونون خلقاً وخلقاً، وذاتاً ووصفاً، وفعلاً وأثراً، كأحـد مـن عامّة النوع.

---

١. الكافي، ج ٨، ص ١٨٢؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣١.

٢. الدعوات، ص ٢٧٩؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٣٢.

٣. الدعوات، ص ٢٨٧؛ بحارالأنوار، ج ٧٩، ص ١٣٣.

٤. بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ١٩٧.

٥. الكهف: ١٠٩.

فإذا تأمّلت في بدء خلقتهم رأيت الأخبار المتواترة ناطقة بأنّهم مخلوق من نور الله ومن نور عظمة الله ومن نور قدرة الله كنور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو من نوره، ويطابقها الأخبار الواردة في انتقال نورهم من جبهة آدم إلى الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة.

وورد على طبقها أخبار كثيرة في بدء خلقتهم في هذا العالم العنصريّ الظاهريّ بأنّه يقطر من عين تحت العرش ماء على طعام، أو فاكهة فيأكل الإمام فتحصل منه نطفة الإمام اللّاحق، فإذا مضى عليهم في الأرحام أربعون يوماً يسبّحون الله في أرحام أُمّهاتهم ويهلّلونه ويقدّسونه بحيث تسمعها أُمّهاتهم ويأنسوهنّ في خلواتهنّ، كما عليها أخبار مستفيضة[1].

وعلى طبقها أخبار ولادتهم، فيتولّدون طاهراً نظيفاً مطهّراً مختوناً، وأوّل ما يدخلون في هذا العالم يسجدون لله، فإذا أخذهم نبيّ أو إمام سلّموا عليه ويكلّمونه بكلامٍ، وقد كلّم عليٌّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بما كلّم من التوراة والإنجيل والصحف والقرآن الّذي لم ينزل على محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم[2]، وكان مكتوباً على أعضادهم: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾[3] وهم كلمات الله كما في الأخبار المستفيضة.[4]

وإذا نشأوا في هذاالعالم كان سمعهم يسمع ما لم يسمعه أحد غيرهم، ويبصرون ما لا يبصر أحد غيرهم، فيسمعون صوت الملك ويرون شخصه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام: «تسمع ما أسمع وترى ما أرى»[5].

ويسمعون بقوّة سمعهم الأصوات البعيدة في الغاية، ويرون الأشياء بأبصارهم الظاهريّة من البُعد في النهاية، وإن كان البعد من السماء إلى الأرض، ولو تأمّلت في الأخبار تجد من ذلك ما لا تحصى من الشواهد.

---

١. أُنظر: بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦، باب ٢.

٢. بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٢٢.

٣. الأنعام: ١١٥.

٤. راجع: بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦، باب ٢.

٥. بحارالأنوار، ج ١٤، ص ٤٧٦.

منها ما نقله رسول الله صلى الله عليه وآله من معراجه ومن مقامه في قاب قوسين أو أدنى أنّ الله تعالى قال له: بشّر عليّاً بكذا.

فقال صلى الله عليه وآله: إلهي! بشّرته.

فقال عليٌّ: أنا عبد كذا وسجد لك شكراً، فما معنى قوله «بشّرته» إلّا أنّه صلى الله عليه وآله رآه في الأرض من ذلك المكان وأسمعه بشارة ربّه وتكلّم عليٌّ عليه السلام بالجواب وهو في مقامه من الأرض؟[1] ولا حاجة لنا إلى التأويل، لأنّه لا يخالف عقلاً ولا نقلاً.

ومنها ما يظهر من عليٍّ عليه السلام في مقامات لا تحصى: مثل رؤيته الأرواح في وادي السلام وأخباره، ونحو ذلك وغير ذلك كثير.

ومنها ما ظهر من الحسين عليه السلام يوم الطفّ وهو في الخيمة فيسمع نداء الشهداء ويجيبهم، ويخبر أهل حريمه بشهادته.

ومنها ما ورد في زيارات الأئمّة المعصومين من الخطاب إليهم: «أشهد أنّك تسمع كلامي وتردّ سلامي وتشهد مقامي»[2] ولا داعي إلى التأويل بالعلم، وكذلك ما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3] بأنّ المراد بالمؤمنون الأئمّة عليهم السلام، إلى غير ذلك.

فسمعهم وبصرهم وحواسّهم الظاهريّة أيضاً لا تكون كحواسّ العامّة، بل كانت على أكمل أفرادها الإمكانيّ، يرون في المشرق والمغرب، ويسمعون الأصوات من المشرق والمغرب، وتأويل كلّ ذلك غير ممكن ولا صارف له.

وقد عرفت حواسّهم الباطنيّة وأخلاقهم المرضيّة وملكاتهم القلبيّة كالعلم والحلم والشجاعة والسخاوة وغيرها كلّها على أكمل أفرادها الممكنة، ولذلك يكونون بعد خروجهم عن هذا المقام الظاهري، فإنّهم أحياء بأجسادهم عند ربّهم يُرزقون، ويرون ويبصرون،

---

١. بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٣٧١.

٢. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٢٩٥.

٣. التوبة: ١٠٥.

ويفعلون ما شاؤوا، كما وردت أخبار بأنّ أجسادهم العنصريّة رفع من قبورهم بعد ثلاثة أيّام.

وكلّ ذلك بقدر فهمنا وتصوّرنا، وإلّا فلهم التصرّف في أبدانهم وأرواحهم بما شاؤوا، وإلّا فكيف تعترف بحضورهم عند موت كلّ ميّتٍ، كما في أخبار كثيرة، وستعرف كلّ ذلك في الأبواب الآتية إن شاء الله.

وإذا أحطْتَ خُبراً بما ذكرنا في معرفة الإمام عليه السلام مع قصورنا من كلّ جهة، وعرفت ما ذكرنا في معرفة القرآن وحقيقته وأفراده، لا أظنّك شاكّاً في أفضليّة الإمام عليه السلام من القرآن خصوصاً أصنافه الّتي هي الخليفة علينا من الرسول المختار وهو ما في قلوب الحافظين وصدور الواعين وألسنة القارين وأفواه التالين وهذه المنقوشات في هذه القراطيس، فإنّ أجلّها ما في قلوب المؤمنين العالمين بها العاملين بما فيها، فإنّه لا شكّ ولا ريب أنّ هذا الصنف منه أجلّ وأشرف وأفضل من هذه المنقوشات في القراطيس فيما بين الدفّتين، ضرورة أفضليّة قلب المؤمن من هذه القراطيس واشتراكهما في نقشهما في صدق القرآن عليهما وكونهما قرآن حقيقة، وأفضل أفراد هذا الصنف الأجلّ من القرآن هو ما في قلب الإمام عليه السلام وصدر أميرالمؤمنين عليه السلام.

ولا ريب في أنّ هذا الحافظ للقرآن والعالم الحامل له أجلّ من محموله ومحفوظه، فإنّه شأن من شئونه وصفة من صفاته، غاية الأمر إنّه من أعظم صفاته وأجلّ شئونه ومعلوماته الّذي ازداد الإمام من جهته رفعة وشأناً وجلالة كالعلم بالله وصفاته للمؤمن بالنسبة إلى سائر علومه وشئونه، فهل ترى في نفسك أن تقول: هذا المحفوظ في قلب أميرالمؤمنين عليه السلام الّذي هو صور هذه الألفاظ المخصوصة مع قطع النظر عن كونه لفظاً أجلّ وأشرف وأفضل من ذات أميرالمؤمنين عليه السلام وحيقته الحامل له؟! كلّا وحاشا.

مضافاً إلى أنّ هذا الفرد من القرآن المحفوظ المنقوش في قلب أميرالمؤمنين عليه السلام لا يكون هو القرآن الّذي أوصل بحفظه النبيّ صلى الله عليه وآله وجعله أحد المخلّفين في الأُمّة، فإنّه لا يتصوّر ابتلاء الأُمّة به، وإنّما الّذي هو محلّ ابتلاء الأُمّة غير الأئمّة وهو ما في قلوبهم وصدورهم وألسنتهم وقرائتهم، وهذه المثبتة في الدفاتر والقراطيس.

والفرق بين هذا الصنف من القرآن وبين ما في قلب أمير المؤمنين عليه السلام كالفرق بيننا وبين أمير المؤمنين عليه السلام.

ولا تتوهّم أنّ الإمام أيضاً من الأُمّة بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وكلّ حكم ثابت للأُمّة لهم سوى ما خرج من المختصّات للطرفين، فما في صدورهم وقلوبهم من القرآن أيضاً داخل في القرآن الموصىٰ به للنبيّ المختار، وهم داخلون في المخاطب بقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين»[١]؛ فهم أيضاً مأمورون بالتمسّك، والأمر بالتمسّك دالّ على أفضليّة المتمسّك به من المتمسّك، وهذا هو المطلوب.

لأنّا نقول: كون الأئمّة داخلاً في الأُمّة مُسلّمٌ، لكن دخولهم في المخاطب بهذا الخطاب غير معلوم، بل معلوم عدمه، لأنّهم أحد الثقلين الّذين أمر الأُمّة بالتمسّك بهما.

ولا ريب في أنّ قوله صلى الله عليه وآله: «معاشر الناس! إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وهذا عليّ أكبرهم وسيّدهم وأفضلهم» ـ مثلاً ـ لا يكون خطاباً لعليّ والحسن والحسين عليهما السلام بل خطاب لسائر الأُمّة.

وهذا ظاهر لا سترة فيه، وبهذا القدر من المعرفة للإمام والقرآن حصل العلم بأنّ الإمام أجلّ وأشرف وأفضل من القرآن، ولا يتوقّف الحكم بالأفضليّة على الإحاطة بتمام حقيقتهما حتّى يقال كما قال صاحب الرسالة:

إنّه لا سبيل لنا إلى الحكم بالأفضليّة بعقولنا القاصرة، لعدم إحاطتنا بحقيقتهما.

وإلّا فيقال: لا نعلم أفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله من الإمام، لعدم إحاطتنا بحقيقتهما، أو يقال: لا نعلم أفضليّة جبرئيل من الملك الموكّل بهذا الشجر ـ مثلاً ـ لعدم الإحاطة بحقيقتهما.

بل يلزم أن يقول: لا نعلم أفضليّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله من إبليس، أو من فلان المنافق، لعدم الإحاطة بحقيقتهما.

وبعد الإحاطة بما تلوته عليك أذكر لك في المقام ما ذكره صاحب الرسالة في نقل كلام المجلسيّ رحمه الله في المقام والردّ عليه بما يؤول إلى الشنعة والملام، ولا محيص لي من نقل كلامه

---

١. الأمالي للصدوق، ص ٤١٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٣٩٨.

بطوله، لئلّا تتّهمني فيما أوردت عليه من سوء الظنّ وسوء الأدب بالنسبة إلى جماعة من العلماء أعرضهم عليك، فقال ما لفظه:

شبهةٌ أُخرى مدروئة ـ يعني للقائلين بأفضليّة الإمام من القرآن ـ وهي من أقوى شبهاتهم بزعمهم، وأوثق متمسّكاتهم الّتي صالوا بها على خصومهم.

قال صاحب «بحار الأنوار» في كتابه الفارسيّ المسمّى بـ«مشكاة الأنوار» بعد نقله جملة من الأخبار الواردة في فضائل القرآن وحامليه المنقول أكثرها من «الكافي» المسطورة فيه في أبواب فضائل القرآن ما حاصله:

إنّ القرآن لمّا لم يكن جوهراً قائماً بذاته، بل كان عرضاً حالّاً في محالّ مختلفة بصور وظهورات متفاوتة، كما كان لم يزل في علم الواجب الوجود، ثمّ منه ظهر في اللوح المحفوظ ومنه انتقل إلى الروح الأمين وبواسطته ارتسم في روع سيّد المرسلين ومنه وصل إلى قلوب الأوصياء والمؤمنين، ثمّ برز في الألواح والقراطيس بصور كتيبة كانت لمحلّه على تفاوت مراتب ظهوره حرمة وكرامة، فكلّ محلّ ظهر فيه ظهوراً أوفراً ورثه حرمة وكرامة أكثر، فإذا كان ظهوره في الألواح ونقشه فيها بالمداد مع أنّ هذا أدنى مرتبة ظهوراته يفيد حرمتها وحرمة دفّتيها حتّى أنّه لا يرتكب أحد من المسلمين بالنسبة إليها خلاف الأدب إلّا وقد كفر؛ فقلب المؤمن الحامل له المرتسم هو فيه يكون أكثر حرمة من هذه القراطيس المنقوشة فيها هذه النقوش والأشكال، ولا سيّما إذا كان المؤمن عالماً بما فيه.

ولذا ورد أنّ المؤمنين أكثر حرمة من القرآن أي: من هذا القرطاس المنقوش فيه هذه النقوش.

وخلاصة ما أفاده: أنّ لمحلّ القرآن باعتباره حرمة وكرامة وهي تختلف باختلاف المحلّ خسّة وشرفاً ثمّ بظهوره فيه شدّة وضعفاً، فلمّا كان قلب المؤمن أشرف من الألواح والقراطيس وقد ظهر فيه القرآن أشدّ ظهوراً منه فيها لتحقّقه فيه صورة ومعنى، بخلاف تلك الألواح والكواغيذ كان قلبه المظهر له أكثر حرمة من هذه الأشياء المظاهر له، ثمّ حمل على ذلك ما ورد في الخبر.

والوجه فيه: أنّ القرآن على رأيه في هذه الرسالة عبارة عمّا نقشت فيه نقوش القرآن، فقرآن المؤمن وهو قلبه المنقوش فيه هذه النقوش أكثر حرمة عنده من هذا القرآن وهو القرطاس المنقوش فيه هذه النقوش.

وسيأتي ما في تعريف القرآن من الخلط والاضطراب بعون الله الملك الوهّاب.

فهذا الخبر الغير المعلوم سنده ـ على ما حمله عليه ـ لا يفيد كون المؤمن أكثر حرمة من شخص القرآن الحال في قلبه ولاسيّما ما كان قائماً باللوح المحفوظ وهو الّذي أخبر الله عنه سبحانه بقوله: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** ﴾[١] وقوله: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾[٢]

كيف؟ والمفروض أنّ القرآن هو الّذي أفاده وأفاد قلبه بظهوره فيه فضلاً وحرمة، كما أفاد بظهوره في تلك القراطيس فضلها وحرمتها حتّى لا يجوز خلاف الأدب إليها ولا إلى جلدها، ومنه يعلم أنّ كونه عرضاً حالاً في محلّ لا يعطي كون ذلك المحل أشرف من ذلك الحالّ، كما سننبّه عليه بفضل الله المتعال.

ثمّ كيف يمكن القول بذهابه إلى أفضليّة المؤمن وأكثريّة حرمته من نوع القرآن الحاصل في ضمن أشخاصه حتّى يلزم منه كون كلّ مؤمن أفضل من كلّ قرآن، كما توهّمه من كلامه المنقول آنفاً كثير من مقلّديه في مصرنا هذا؟

وهو قد ذكر الأخبار الواردة في أكبريّة القرآن وأفضليّته من العترة في أغلب كتبه العربيّة والفارسيّة من غير نكير ولا تأويل، مع أنّ المعروف منه في «بحار الأنوار» ونحوه أنّه يورد بيانات يذكر فيها ما يطابق رأيه.

سلّمنا أنّه يرى ذلك، ولكنّه كيف يكون رأيه هذا حجّة وقد وردت على خلافه هذه الأخبار المتواترة معنى، المنقولة عند علمائنا المتقدّمين والمتأخّرين، الصريحة في أكبريّة القرآن من العترة فضلاً عن غيرهم من المؤمنين؟

---

١. البروج: ٢١ و٢٢.

٢. الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

وقل لي هل هو معصوم يكون قوله وفعله وتقريره حجّة أم له على ذلك دليل من قول المعصوم يكون أقوى وأسدّ وأشهر وأصرح ممّا ذكرناه من الأخبار، ولا يكون منسوخاً بها؟

وإن كان الواقع هو الثاني فهو مطاع ومقبول، ولكنّه ليس فليس على أنّ كون المؤمن أكثر حرمة من هذا القرآن وهو هذا المؤلّف المخصوص لا من حيث تعيين المحلّ معارض بقوله عليه السلام «القرآن أفضل كلّ شيءٍ دون الله» الحديث كما سبق، وظاهر أنّ المراد بالقرآن المذكور فيه وفي أمثاله هو هذا المنقول في هذه المصاحف تواتراً، فإذا تعارضا تساقطاً وبقي سائر الأخبار الدالّة على أكبريّة القرآن وأكثريّته حرمة من كلّ مؤمن حتّى من العترة الطاهرة، سالمة من مزاحمة المعارض.

وظنّي أنّ هذا الخبر على فرض ثبوته وصحّته في معزل من الاعتبار، لأنّه إن كان عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فهو منسوخ بما مرّ لما مرّ، وإن كان من أحد من الأئمّة فلا وجه له وهو يفيد نسخ جميع ما سبق من الأخبار النبويّة الدالّة على أكبريّة القرآن وأكثريّته حرمة من العترة، فضلاً عن غيرهم من المؤمنين.

وقد مضى أنّ النسخ لا يكون بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يتصوّر في أخبارهم المنهيّة إليه، فإنّ علومهم مقتبسة من تلك المشكاة خبر بنسخ ما قاله في آخر يوم قبض فيه من أيّام الدنيا؟ فالوجه فيه ما أشرنا إليه. انتهى كلامه في المقام.[1]

وفي كلامه أنظار كثيرة:

منها أنّه قد رام الإيراد على قول المجلسيّ رحمه الله بأنّ القرآن له حرمة في نفسه، ولمّا كان من الأعراض القائمة بالمحلّ، فكلّ محلّ يكون ظهوره فيه أتمّ زاداً لمحلّ حرمة من جهة أتمّيّة ظهوره فيه بالنسبة إلى محلٍّ يكون ظهوره فيه أنقص، ورتّب المجلسيّ على هذا التحقيق أنّ القرآن الحالّ في قلب المؤمن لمّا كان ظهوره فيه أتمّ وأكمل من ظهوره في القرطاس لظهوره في المؤمن نقشاً ومعنى، وفي القرطاس نقشاً فازداد المؤمن حرمة أكثر من حرمة ذلك القرطاس الحالّ فيه نقش القرآن فقط.

---

١. مشكاة الأنوار، ص ٨٥.

وهذا معنى صحيح معلوم الصحّة ولا تحتاج في صحّته إلى خبر، ويؤكّده ذلك الخبر فأسأله أيّ جزء من هذا الكلام قابل للخدشة والإنكار؟ فإنّه مركّبٌ من مقدّمات ونتيجة:

المقدّمة الأُولى: إنّ للقرآن في نفسه حرمة وكرامة.

[المقدّمة] الثانية: إنّه من الأعراض المحتاجة إلى محلٍّ يقوم به.

[المقدّمة] الثالثة: إنّ كلّ محلٍّ شريف يكون ظهور القرآن فيه أتمّ تزيد حرمة وكرامة من جهة حرمة القرآن وأتمّيّة ظهوره فيه.

والنتيجة الحاصلة من هذه المقدّمات: أنّ المؤمن الحالّ في قلبه وروحه القرآن ازداد حرمة وكرامةً من هذا القرطاس الحالّ فيه القرآن، لأنّ ظهور القرآن في المؤمن أتمّ وأكثر، لحلول نقشه ومعناه فيه، بخلاف هذا القرطاس الحالّ فيه القرآن، فإنّه قد حلّ فيه نقشه فقط دون معناه.

فهل ينكر المقدّمة الأُولى ـ وهو أنّ للقرآن حرمة في نفسه ـ وهو غير قابل للإنكار؟ مع أنّه مخالف لفرضه، وهو إثبات حرمة القرآن، أو ينكر المقدّمة الثانية وهو أنّ القرآن عرض يحتاج إلى محلٍّ يحلّ فيه؟

وهذا أيضاً غير قابل للإنكار، فإنّ المؤلّف المخصوص مع قطع النظر عن خصوصيّة المحلّ القائم به لا يكون شيئاً إلّا العرض الحال في تلك المحال المختلفة.

أو ينكر المقدّمة الثالثة وهو أنّ المحلّ الحامل له كلّما ازداد فيه ظهوراً ازداد حرمة؟ فإنّ هذا أيضاً من جهة القرآن وهو غرضه التامّ في هذه الرسالة.

وإذا سلّم هذه المقدّمات، فهل يمكن إنكار أنّ ظهور القرآن في قلب المؤمن أتمّ وأكمل من ظهوره في هذا القرطاس الخارجيّ، مع أنّه معلوم لحلوله في قلب المؤمن صورة اللفظ والمعنى، وفي الثاني صورة الألفاظ فقط؟

وإذا تحقّقت هذه المقدّمات فينتج نتيجة بديهيّة وهو أنّ المؤمن الحالّ فيه القرآن لفظاً ومعنى أجلّ وأشرف من ذلك القرطاس الحالّ فيه القرآن.

فنقول له: إنّ المؤمن العالم بالقرآن وهذا القرطاس الخارجيّ المنقوش فيه القرآن قد

اشتركا في حلول القرآن وظهوره فيهما، ضرورة أنّ المنقوش في قلب المؤمن وروحه قرآن حقيقيّ، ولهذا يقال: إنّه حافظ للقرآن، والمنقوش في هذا القرطاس أيضاً قرآن حقيقي؛ فمن هذه الجهة هما مشتركان، واختلفا في كيفيّة الظهور، ولا ريب أنّ ظهوره في قلب المؤمن وروحه أتمّ وأكمل لظهوره فيه نقشاً ومعنى، بخلاف ظهوره في ذلك القرطاس الخارجيّ، فإنّه نقش صرف وإن كان قرآناً حقيقيّاً، وكما يقال لهذا القرطاس المنقوش فيه القرآن: إنّه قرآن ويكون لذلك القرطاس والجلد حرمة من جهة كونه محلّاً للقرآن، فكذلك قد يقال لهذا المؤمن المنقوش في روحه وقلبه: إنّه قرآن من جهة كونه محلّاً للقرآن نقشاً ومعنى.

ولمّا كان ظهوره في قلب النبيّ صلى الله عليه وآله وروحه وأرواح الأئمّة الطاهرين عليهم السلام أشدّ وأكثر وآكد من المؤمن، فكأنّهم في الحقيقة أحقّ بكونهم قرآناً حقيقيّاً لظهوره فيهم نقشاً ومعنى وعلماً وعملاً.

ولهذا ورد في النبيّ صلى الله عليه وآله: كان خلقه القرآن، وقد صرّح بهذا المعنى المجلسيّ رحمه الله في هذا المقام، فقال ما لفظه بالفارسيّة:

و از مضامين و اخلاق حسنه قرآن هر چند در مؤمن بيشتر ظهور كرده موجب احترام او زياد گرديده، و هرچند خلاف آن اوصاف از نقايص و معاصى و اخلاق ذميمه ظهور كرده موجب نقصان ظهور قرآن و نقص حرمت گرديده، پس اين مراتب ظهورات قرآن و اوصاف آن زياده مى‌گردد تا چون به مرتبه جناب با رفعت نبوى صلى الله عليه وآله و اهل‌بيت گرام او مى‌رسد مرتبه ظهورش به نهايت مى‌رسد.

چنانچه در وصف حضرت رسول صلى الله عليه وآله وارد شده: «وكان خلقه القرآن» يعنى: خلق آن حضرت قرآن بوده.

بلكه اگر به حقيقت نظر كنى قرآن حقيقى ايشانند كه محلّ لفظ قرآن و معنى قرآن و اخلاق قرآنند، چنانچه دانستى كه قرآن چيزى را گويند كه نقش قرآن در آن باشد، و نقش كامل قرآن به حسب معنى و لفظ در قلوب مطهّرهٔ ايشان حاصل است.

چنانچه حضرت اميرالمؤمنين عليه السلام بسيار مى‌فرمودند: منم كلام الله ناطق ... إلى آخر

ما أفاده ﷺ.[١]

ولمّا كان هذا المعنى غير قابل للإنكار فلقد ضرب عنه صاحب الرسالة صفحاً وجعل النسبة بين المؤمن وبين القرآن الّذي هو في اللوح المحفوظ فقال: «وهذا الخبر الغير المعلوم سنده ـ على ما حمله عليه ـ لا يفيد كون المؤمن أكثر حرمة من شخص القرآن الحالّ في قلبه ولاسيّما ما كان قائماً باللوح المحفوظ»... إلى آخر كلامه.

فجعل النسبة بين المؤمن وبين الحالّ في قلبه، ثمّ جعل الحالّ في قلبه هو القائم باللوح المحفوظ، وغيّر مراد المجلسيّ ﷺ، فإنّه ﷺ ـ كما عرفت ـ جعل المؤمن بمنزلة القرطاس الخارجيّ المنقوش فيه القرآن، والقرآن الّذي في قلب المؤمن بمنزلة النقش في هذا القرطاس الخارجيّ، وقال: إنّ ذلك القرطاس قد اكتسب الحرمة من القرآن الحالّ فيه، وقلب المؤمن أولى بهذه الحرمة من جهة القرآن الحالّ فيه لحلول النقش في الأوّل فقط، وقيام النقش والمعنى معاً في الثاني، وكما يقال لمجموع هذا القرطاس المنقوش فيه القرآن: إنّه قرآن وإنّه يجب احترامه؛ فكذلك المؤمن الحالّ في روحه وقلبه نقش القرآن ومعناه وأوصافه وأخلاقه أولى بالاحترام من جهة حرمة القرآن، بل إطلاق القرآن عليه أولى وأحقّ من إطلاق القرآن على ذلك القرطاس الحالّ فيه القرآن نقشه فقط، وأين هذا من القرآن القائم باللوح المحفوظ، كما قاسه عليه؟

وقد عرفت تصريح المجلسيّ ﷺ بما قلنا، وليس في كلامه ما قال، وكلّ كلامه ممّا نقله، وممّا تركه وهو أكثر ممّا نقله في مقايسة المؤمن الحامل للقرآن بالقرطاس المنقوش فيه القرآن وإنّه كما اكتسبه القرطاس المنقوش فيه القرآن حرمة وكرامة من جهة القرآن فالمؤمن الحامل للقرآن أولى بهذا الاحترام والكرامة، لشرافته على القرطاس، ولأكمليّة ظهور القرآن فيه من جهة اللفظ والمعنى والخلق والوصف.

وكما أنّ هذا القرطاس ومابين الدفّتين يطلق عليه القرآن لانتقاش القرآن فيه، فالمؤمن أحقّ وأولى بإطلاق القرآن عليه لأكمليّة حلول القرآن فيه، وعليه حمل ما ورد أنّ

---

١. مشكاة الأنوار، ص ٥٨.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان خلقه القرآن، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: «أنا كتاب الله الناطق»، وما أجود هذا التفسير لهذا الكلام، كما لا يخفى على الخبير البصير.

والمجلسيّ رحمه الله بعد ما نقله ـ ونقلنا عنه ـ أطال الكلام في هذا المرام بأنّ الإمام حقيقة هو القرآن وهو الصلاة وهو الزكاة وهو الحجّ، ونقل في هذا المطلب أخباراً وبيّنه بالبيان الشافي.[1]

ولولا خوف الإطالة لنقلت لك في تحقيق هذا المرام للمجلسيّ رحمه الله حديث المفضّل المشتمل على كتاب كتب إليه الصادق عليه السلام في جوابه وهو حديث مبسوط نقله الشيخ الجليل محمّد بن الحسن الصفّار في آخر كتاب «بصائر الدرجات»[2] وعنونه بباب فيه شرح أُمور النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة أنفسهم وهو مشتمل على إطلاق الزكاة والصلاة والحجّ وكلّ عبادة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والإمام، ويصحّ إطلاق الخمر والميسر وكلّ منكر على أعدائهم حتّى يتّضح لك ما حقّقه المجلسيّ رحمه الله في المقام من إطلاق القرآن على الإمام.

فإن قلت: لو كان الأمر كما ذكرت، لكان إطلاق القرآن على المؤمن والإمام الّذي هو أجلّ وأكمل أفراده على سبيل الحقيقة، كما يطلق حقيقة على هذه المصاحف ونحوها وليس الأمر كذلك، ضرورة أنّه لو استعمل القرآن في الإمام فلاريب في أنّه مجاز لغويّ.

قلت: الأمر كما ذكرت، ولكنّ السرّ فيه أمر يؤيّد ويؤكّد ما نحن بصدده من أنّ ظهور القرآن في الإمام ـ بل في المؤمن ـ أشدّ وأكمل وأتمّ بمراحل من ظهوره في هذه القراطس مثلاً.

والسرّ في إطلاق القرآن على هذه المصاحف على سبيل الحقيقة دون الإمام: أنّ هذه المصاحف مركّبة من أشياء لا اعتداد بشأنها، مع قطع النظر عن نقش القرآن فيها فإنّها ـ كما عرفت ـ مأخوذة من قطع الأثواب، أو الجلود الغير القابلة عند العرف، فتكون مستهلكة في جنب النقش الحالّ فيه عرفاً، بخلاف وجود الإمام عليه السلام، فإنّه مركّبٌ من جوهر مأخوذ من العناصر العلويّة الحياتيّة ماء وتراباً، وروح مخلوق من نور عظمة الله وقدرته الّذي ليس في

---

١. بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٥٩.

٢. بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٤٥٢.

الوجود أجلّ وأشرف منه، فلا يكون مستهلكة في جنب القرآن الحالّ فيه، بل حقيقة القرآن الحالّ في قلبه والمحفوظ في صدره أحد شئونه وواحد من أوصافه وأخلاقه.

فهذا هو السرّ في إطلاق القرآن على هذه المصاحف على سبيل الحقيقة دون الإمام.

وهذا يؤيّد ويروّج ما نحن بصدده من أنّ الإمام أشرف وأجلّ وأفضل من القرآن بمراتب، فإنّ القرآن الموجود في قلب الإمام أجلّ أفراد القرآن وأشرفها وأنورها، مع اشتماله على أُمور جليلة وجواهر نفيسة وأنوار مضيئة مشتقّة من نور الله جلّ جلاله. فاحفظ ذلك واغتنم!

والعجب من صاحب الرسالة كيف غفل، أو تغافل عن مطلقه وصرفه إلى غير ما كان بصدده، فأورد عليه بما أورد، وبعد هذا الخلط رتّب عليه أنّ الخبر الّذي ذكره من أنّ المؤمن أكثر حرمة من القرآن غير معلوم السند، مع أنّ المطلب الّذي هو مراده أمر عقليٌّ غير محتاج إلى الخبر، وإنّما الخبر الّذي ذكره إنّما هو شاهد ومؤكّد للأمر المعقول الّذي حقّقه وبيّنّاه لك تشريحاً بالمقدّمات البديهيّة، مع ضرورة الإنتاج؛ فهذا هو النظر الثاني في كلامه.

ومن الأنظار في كلامه أنّه صرف كلام المجلسيّ رحمه الله عن مرامه إلى مراده الفاسد، ثمّ استبعد أن يكون ذلك مراد المجلسيّ رحمه الله مستدلّاً بأنّ دلالة أخبار الثقلين على أفضليّة القرآن مسلّمة وقد نقلها المجلسيّ رحمه الله في كتبه العربيّة والفارسيّة ولم يعقّبه ببيان، فيظهر منه تسلّمه هذه الدلالة.[1]

وأنا أقول: إنّ المسلّم أكبريّة القرآن وهو غير الأفضليّة، ولا يحتمل توهّم أفضليّة القرآن أعني هذه المصاحف الّتي بأيدي الناس من أميرالمؤمنين عليه السلام حتّى يبيّن ذلك في المقام.

نعم، ينبغي له أن يبيّن معنى الأكبريّة لئلّا يتوهّم منه الأفضليّة، وإنّما تركه لعدم الحاجة إلى تعرّض هذا المطلب وعدم لزومه ولاحتياجه إلى بسطٍ تمام، كما أنّا لو لم يتعرّض صاحب الرسالة بعد تفضيل القرآن على الإمام لإنكار فضائل أئمّة الأنام طرّاً ما تعرّضنا لردّه ولم نتعرّض لهذا المطلب أبداً، فإنّ الاعتقاد بأنّ القرآن أفضل، أو الإمام ليس من العقائد اللّازمة، أمّا لو أصرّ عالمٌ مشهور بتفضيل القرآن على أميرالمؤمنين عليه السلام بحيث انجرّ هذا التفضيل إلى

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٩٨.

إنكار أغلب فضائل أهل بيت العصمة والطهارة ومناقبهم، وكتب في ذلك تلك الرسالة الكذائيّة فيجب علينا دفعه، لئلّا يضلّ به من لا خبرة له بالأخبار الواردة ويعتقد إنكار فضائلهم ومناقبهم، كما ستعرف ذلك كلّه.

ومنها: إنّ قوله: «ومنه يعلم أنّ كونه عرضاً حالّاً في محلّ لا يعطي كون ذلك المحلّ أشرف من ذلك الحالّ».

وفيه، أنّ المجلسيّ رحمه الله أفاد أنّ المحلّ المكتسب من القرآن الحالّ فيه حرمة وكرامة كالقرطاس والجلد في المصاحف، والمؤمن أولى بهذه الحرمة والكرامة الكسبيّة، لأتمّيّة ظهور القرآن فيه، وأين هذا الكلام من أنّ المؤمن الّذي هو محلّ للقرآن أشرف من القرآن الحالّ فيه؟ فانظر إلى خبطه وخلطه.

ومنها: إنّه رتّب على ما زعمه من رواية أنّ المؤمن أعظم حرمة من القرآن أنّه لو كان عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فهو منسوخ بأخبار الثقلين، لأنّها صدرت منه في آخر يوم من دنياه، وإن كان من أحد من الأئمّة عليهم السلام فلا وجه له.

وإنّما قال ذلك من جهة زعمه أنّ مفادّ الخبر ومراد المجلسيّ ـ طاب ثراه ـ أنّ المؤمن مع قطع النظر عن كونه حاملاً للقرآن أعظم حرمة من القرآن وليس كذلك، بل مراده: أنّ المؤمن الحامل للقرآن من جهة أنّه حامل للقرآن أعظم حرمة من هذه المصاحف من حيث أنّ نقش القرآن فيها، وأين هذا من ذاك؟

ومنها: قوله: «إنّ كون المؤمن أعظم حرمة من هذا القرآن وهو هذا المؤلّف المخصوص لا من حيث تعيين المحلّ معارضٌ بقوله عليه السلام: «القرآن أفضل كلّ شيءٍ دون الله» ولا شكّ أنّ المراد بالقرآن المذكور فيه وفي أمثاله هو هذا المنقول في هذه المصاحف تواتراً، فإذا تعارضا تساقطا وبقي أخبار الثقلين سالماً عن المعارض»... إلى آخر ما قاله.

وفيه: إنّ خبر «المؤمن أعظم حرمة من القرآن» هو مؤكّد للأمر المعقول والمعنى العقليّ والمعنى العقليّ الحاصل من المقدّمات الّتي ذكرنا وهو أنّ المؤمن الحامل للقرآن من حيث أنّه حامل للقرآن أعظم حرمة من هذه المصاحف من حيث أنّها محلّ القرآن ولو كان المصحف

قرآناً فالمؤمن أولى بكونه قرآناً، وهذا حكمٌ عقليٌّ ويؤكّده هذا الخبر المذكور.

وأمّا إنّ القرآن أفضل كلّ شيء دون الله، فليس كذلك وظاهره أنّ القرآن أفضل كلّ شيء غير الله. أي: لا يكون أفضل من الله، وظاهر الشيء غير ذوي العقول، فإنّه ـكما عرفت ـ من الأعراض، فلا ينافي مع أفضليّة الإمام عليه‌السلام بالنسبة إليه.

مضافاً إلى أنّا نقول: هذا الخبر بالمعنى الّذي حمله عليه صريح في أنّ القرآن أفضل من النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أيضاً ولا يقول به أحد؛ لاصاحب الرسالة ولا غيره، حتّى العامّة المبالغين في تفضيل كلمة من القرآن الّذي حمل عليه خبر أعظميّة حرمة اللمؤمن بالمؤلّف المخصوص، مع قطع النظر عن المحلّ، وعبّر عن القرآن الّذي ورد في خبر أنّ القرآن أفضل كلّ شيء دون الله بالمصاحف.

...إلى غير ذلك من الأنظار الغير المختفية على من أحاط خُبراً بمراد المجلسيّ رحمه‌الله على ما حقّقناه، ويتّضح كمال الوضوح من كلامه الطويل، ولا أظنّ أحداً ينظر في كلام المجلسيّ رحمه‌الله في المقام، فيحمله على ما حمله صاحب الرسالة.

والعجب من إساءة الأدب بالنسبة إليه بقوله: «أهو معصوم»... إلى آخر ما قاله، مع ما علمت من خبطه وخلطه، ولا نطيل الكلام أزيد من ذلك.

ثمّ قال بعد كلامه السابق:

ثمّ من العجب أنّ بعض المتوهّمين منهم بمجرّد ما زعمه وفهمه من كلام الفاضل المذكور ـ يعني المجلسيّ ـ كتب رسالة بناء على حسن ظنّه به وتقليده إيّاه، كما قلّده قومٌ آخرون وقد جاؤوا بذلك ظلماً وزوراً في ردّ جميع ما نقلناه من الصحاح والحسان الواردة في طريقي الخاصّه والعامّة البالغة حدّ التواتر معنى المستدلّ بها في كتب أصحابنا على إثبات الإمامة الغير القابلة للتأويل بوجه، وبنى الأمر فيه على تأويلات ركيكة وتصحيفات سخيفة وشعريّات ضعيفة غير لايقة إلّا بحاله وبفهم أمثاله، وذلك لعدم عثوره على خبر يناقضها ويعارضها.

فلمّا تبيّن له أنّه الحقّ وتنبّه بجهله وغلطه وقلّة تدبّره وسوء تفكّره وذلك من بعد إشارة من بعض أصحابنا الأزكياء إليه بذلك من قبل أن تصل رسالته هذه إلينا استكتمها واستدرجها

في بعض طاقات كفنه وأوصى بها خلطائه ونظرائه ومن يرى رأيه من الجهلة الغفلة أن يدفنوها معه في قبره، فعندما وصلت حكايته هذه إلينا قلنا: الآن قد تحقّق مصداق المثل السائر الّذي لا يعرف الفقه قد صنّف فيه كتاباً. انتهى كلامه.

وأقول: ظنّي -بل يقيني- أنّ مراده بهذا البعض ما نقله السيّد الجليل النبيل الفاضل الماهر في فنون كثيرة السيّد عبدالله بن نور الدين بن نعمت الله الحسينيّ الموسويّ الجزائريّ التستريّ، وهذا جدّه هو السيّد نعمة الله الجزائريّ صاحب الأنوار المعروف ومصنّفاته وشروحه على «التهذيب» و «الكافي» وغيرها كثير جزير، ونجله هذا صاحب التصانيف الرائقة والرسائل الكثيرة، منها شرحه على «المفاتيح» وفي مقدّمته دراية ورجال، لم أر متتبّعاً مثله.

وله معرفة بطبقات العلماء وكتبهم وتصانيفهم، وله تصانيف كثيرة في فنون شتّى حتّى في الرمل والطلسمات، وهذا السيّد الجليل قد كتب إجازة مبسوطة لعالمين من أهل زمانه، وهذه الرسالة كثيرة الفوائد مخصوصاً لإحصاء طبقات العلماء من المتأخّرين، وعدّ مشايخ إجازته كما هو الدأب فعدّ منهم بما لفظه:

ومنهم السيّد الجليل المتكلّم الحسيب صدرالدين بن محمّد باقر الرضويّ القمّيّ المجاور بالغريّ وهو أفضل من رأيتهم بالعراق وأعمّهم نفعاً وأجمعهم للمعقول والمنقول، أخذ العقليّات من علماء أصبهان، ثمّ لمّا كثرت الفتن في عراق العجم بسبب استيلاء الأغيار عليها واختلال الدول القديمة انتقل إلى المشهد -يعني الغرويّ- وعظم موقعه في نفوس أهلها وكان الزوّار يقصدونه ويتبرّكون بلقائه ويستفتونه في مسائلهم.

وله كتاب في الطهارات استقصى فيه المسائل، وله حاشية على «المختلف» ورسائل كثيرة عديدة، منها رسالة في حديث الثقلين وأنّ أحدهما أكبر من الآخر، أطال الكلام في تعيين الأكبر، وجرت بينه وبين المولى إسماعيل الخاتون آباديّ الساكن بمحلّة خاجو من محلّات أصبهان مراسلات في ذلك يردّ أحدهما على الآخر، وناولني السيّد منها نسخة فلم أرتضاها منه وقلت له: أيّ ضرورة بنا إلى معرفة أنّ الأئمّة عليهم السلام أفضل أم القرآن؟ وما معنى هذا

التفضيل؟ وإنّ المحار بين شيئين المفضّل أحدهما على الآخر لابدّ له أن يطلب للمفضّل وجوه الفضل والشرف وللمفضّل عليه وجوه المنقصة والقصور حتّى يتمّ له ما هو بصدده، وهذا سوء أدبٍ منّا بالنسبة إلى القرآن والأئمّة عليهم السلام، وهل هذا إلّا من الخوض فيما لا يعني؟ وإنّ علينا من الأُمور الّتي يجب تحصيل العلم بها ما هو أهمّ من هذا وأولى بالنظر.

فاستحسن رحمه الله هذا الكلام وأثنى عليّ واستردّ الرسالة وقال: سأغمسها في الماء لئلّا تشتهر منّي، توفّي رحمه الله عشر الستّين بعد المائة والألف وهو ابن خمس وستّين، انتهى كلامه، طاب ثراه.

فانظر إلى كثرة تشنيعه على هذا السيّد الجليل وكيف نسب إليه الغلط والغفلة والتقليد مكرّراً، وظنّي أنّ السيّد المذكور لمّا رأى رسالة المولى المعظّم المذكور وسمع منه ما يقرب إلى السبّ والشتم -كما يشير إليه قول المولى المذكور، وأشار إليه بعض أصحابنا- انضجر ورأى أنّ هذا غير طريق السداد، ويقرب من المهارات والعصبيّة، استكتم رسالته وأوصى أقاربه أن يدفنوها معه في قبره ليحتجّ به يوم القيامة على المولى المذكور في أصل مطلبه من تفضيل أميرالمؤمنين عليه السلام على القرآن العظيم، ويحاجّ معه عند جدّه سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأمّا ما قاله السيّد الجليل السيّد عبدالله الناقل من أنّ الأولى ترك التعرّض لأمثال هذه المسائل، لأنّه غير واجب، ولأنّه يستلزم سوء الأدب بالنسبة إلى المفضول؛ فأقول: نعم، الحقّ معه لو لم يكتب المولى المذكور المشهور المعروف هذه الرسالة، ولو لم ينجرّ أمر تفضيل القرآن إلى إنكار جلّ فضائل أهل البيت ومناقبهم الثابتة لهم بالأخبار المتواترة.

وهذا أمر باطل يستلزم إضلال من نظر في رسالته وليس له مرتبة التميّز فيعتقد أنّ إمامه كأحد علماء الأمّة، أو هو أعلمهم، وأنّ كلّ فضيلة ومنقبة يسمعه ويراه في المنابر والكتب يظنّه أنّه من مجعولات الزنادقة والغلاة والمتصوّفة، كما صرّح به المولى المذكور.

وقد ذكرت لك في أوائل الرسالة أنّه لو اقتصر على مطلبه من تفضيل القرآن على الإمام مستدلاً بأخبار الثقلين وظاهرها ما كتبت هذه الرسالة، فإنّه وإن كان باطلاً، لكن كما قاله السيّد المعظّم المذكور ليس من الاعتقادات الواجبة، ولكن لمّا آل أمره إلى كتابة تلك الرسالة وإصراره في إنكار مقامات الإمام يجب علينا دفعه، لئلّا يقع من لا خُبرة له في ما وقع فيه

صاحب الرسالة.

وأمّا ما قاله السيّد المعظّم المذكور من استلزام الخوض في المطلب المذكور إساءة الأدب بالنسبة إلى المفضول؛ فقد ظهر مصداقه في رسالة المولى المذكور من إنكار مقامات الإمام وإساءة الأدب بالنسبة إلى أساطين العلماء الأعلام.

وأمّا ما نحن في رسالتنا هذه وإن كانت أضعاف رسالة المولى المذكور، فلم يظهر منّا كلمة من ذلك بالنسبة إلى القرآن العظيم، ولم يصدر ما يظهر نقص في كلام الله المجيد، بل كلّها ـ بحمد الله ـ في فضائل الإمام وإثبات شيء من مقاماته وشئونه حسبما دلّت عليها الأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة من الكتاب والسنّة والعقل والنقل من الأخبار المتواترة المستفيضة، والحمد لله الّذي هدانا لهذه كلّها وما كنّا لنتهدي لولا أن هدانا الله.

وكلّما أردت الاختصار، رأيت من صاحب الرسالة الإصرار، وإنكار ما لا ينبغي فيه الإنكار، فانظر إلى ما أفاده في معنى كلام أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق»[1]، فقال ما لفظه:

شبهةُ أُخرى مدروئة: قد تشبّث جمع كثير منهم في مقام المعارضة بقوله عليه السلام: «أنا كلام الله الناطق»[2] قالوا: وهذا يدلّ على كونه أفضل من القرآن.

وأنت وكلّ سليم الفطرة خبير بأنّ هذا غرور منهم وجهل، لأنّ من البيّن أنّ المراد به إنّه كان مفسّر كلام الله الناطق، ومبيّن ما اختلف فيه الأُمّة منه بعد نبيّهم، ولذا قرنه به وجعله خليفته في أُمّته ثقة به واعتماداً عليه بكونه عالماً بما فيه من المحكم والمتشابه والعامّ والخاصّ والناسخ والمنسوخ والتأويل والتنزيل والسورة والآية والقراءات والمعاني والمباني وما فيه من البطون وغير ذلك علماً يقينيّاً كان يخبر من مراده تعالى، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبر عنه وما كانت معرفته بتنزيله استنباطاً ولا استخراجاً، كما لم يكن معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك كذلك.

---

١. بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٥٤٦.

٢. نفسه.

وقد أخبر هو بذلك حيث قال: «والله! ما نزلت من آية في برّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أيّ شيءٍ نزلت» لأنّ ذاته الشريف وعنصره اللطيف هو هذاالكلام الّذي هو من سنخ العرض، لكونه مؤلّفاً من الحروف والأصوات المتصرّفة المتجدّدة، فتبيّن أنّ هذا الكلام لا يدلّ على كونه أفضل من القرآن.

أقول: الظاهر المتبادر من قوله: «أنا كلام الله الناطق» أنّه مشارك مع القرآن في كونهما كلام الله؛ إمّا لأنّ كليهما صادر من الله ومخلوق منه، أو لأنّ كليهما ترجمان لمراد الله، والفرق بينهما أنّ القرآن كلام صامتٌ والإمام كلام ناطق، لا يفهم من هذا الكلام أحد غير هذا.

وهذا العالم الّذي يشنّع على أساطين العلماء قد حرّف هذا الكلام الظاهر إلى أنّ معناه: أنّ القرآن ناطق وأنا مفسّرٌ للقرآن الناطق، ومعلوم أنّ نسبة النطق إلى القرآن مجاز بعيد، بخلاف استعمال كلام الله في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام، فإنّه وإن كان مجازاً إلّا أنّه ورد به القرآن العظيم في موارد كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿**بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ**﴾[١]، ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً**﴾[٢] و«الكلمات التامّات»[٣] و«كلمات ربّي»[٤]... إلى غير ذلك ممّا ورد في أخبار كثيرة أنّ المراد منها الإمام، كما سيأتي.

ويرشدك إلى المعنى الّذي ذكرنا مقام مشهور في إفادته هذا الكلام وهو في حرب صفّين ومكر عمرو بن العاص ورفع المصاحف على أسنّة الرماح ورفع أصواتهم بأنّ هذا كلام الله، إجعلوه حكماً بيننا.

فقال عليه السلام: «كيف يحكم القرآن وهو صامت وأنا كلام الله الناطق وأنا مفسّرٌ له؟»

مع أنّه لو كان ناطقاً صحّ جعله حكماً، كما هو مدّعى معاوية وعمرو وأصحابهما، وهذا اعوجاج صرف لا يحتمله أحد من هذا الكلام.

---

١. آل عمران: ٤٥.

٢. الأنعام: ١١٥.

٣. بحارالأنوار، ج ٩٢، ص ١٣٢.

٤. بحارالأنوار، ج ٨٨، ص ١٧٨.

وأيضاً قد نقل جمع من العلماء منهم السيّد السائل عن شيخنا البهائيّ ـ كما ستعرف ـ قول أميرالمؤمنين عليه السلام في صفّين: «هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق»[١] وقد قرّره شيخنا البهائيّ في كون الرواية كذلك[٢].

وعلى هذا فبطلان كلّ ما ذكره صاحب الرسالة أوضح والذهاب إليه أفضل، ضرورة مقابلة الصامت بالناطق وإشارته إلى المصاحف، مضافاً إلى أنّ اللفظ «كتاب الله» وهو غير كلام الله الّذي قال: إنّه من الأعراض المتصرّفة، فلا يمكن حمله على عليٍّ عليه السلام.

وأيضاً أقول: وليت شعري كيف فرّع قوله الأخير: «لا أنّ ذاته الشريف وعنصره اللطيف هو هذا الكلام الّذي هو من سنخ العرض»... إلى آخره على ما ذكره سابقاً، والحال أنّ ما ذكره سابقاً هو أنّ الإمام عليه السلام عالمٌ بجميع علوم القرآن، وأيّ دلالة وإشارة في ذلك إلى ذلك؟ وكيف فرّع على هذا قوله! «فتبيّن»؟ فإنّه لم يتبيّن ذلك من كلامه السابق، فإنّه قد ادّعى في ظاهر كلامه الأوّل أنّ الناطق صفة لكلام الله في المعنى يعني أنّ كلام الله ناطق وأنا كلام الله.

ثمّ أطال الكلام في علمه بعلوم القرآن، فمن أين تبيّن ذلك منه؟ وهذا عجيبٌ، ثمّ قال بعد كلامه المنقول:

وأمّا ما قالوا في مقام الدلالة من الفرق بين الناطق والصامت فمبنيٌّ على جعلهم الناطق صفة له عليه السلام بعد جعلهم الكلام محمولاً عليه حملاً حقيقيّاً وهو ـ كما عرفت ـ ممتنع، بل هو وصف للكلام، كما سيأتي بعون الله الملك العلّام.

قال:

ويدلّ على ما ذكرناه ما رواه عليّ بن إبراهيم الثقة في تفسيره في حديث طويل عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** ﴾[٣] قال عليه السلام بعد كلامٍ طويل: «فيقول الله تعالى لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله: يعني إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فهل

---

١. تأويل الآيات، ص ٢١٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٥٤٦.

٢. الاربعين، ص ٢١٢.

٣. المائدة: ١١٩.

استخلفت من بعدك في أُمّتك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي ويفسّر لهم كتابي ويبيّن لهم ما يختلفون فيه من بعدك حجّة لي وخليفة في الأرض؟

فيقول محمّد ﷺ: نعم يا ربّ! قد خلّفت فيهم عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام أخي ووصيّي ووزيري وخير أُمّتي، ونصبته علماً لهم في حياتي، ودعوتهم إلى طاعته، وجعلته خليفتي في أُمّتي»[١]، الحديث.

وقال المدقّق الخفريّ: المتبادر والمشهور في استعمال الكلام إنّما هو العبادات والألفاظ الدالّة وهذا علامة كونه حقيقة فيها، ولذا قال المصنّف ـ يعني به نصير الملّة والدين الطوسيّ قدّس الله روحه القدّوسيّ في شرح رسالة العلم ـ:

والأصل في الكلام إنّما هو المؤلّف من الحروف المسموعة الدالّة بالوضع على ما قصد دلالته عليه لتشخيص التفاهم بين أشخاص النوع، ووجوده لا يتحصّل إلّا بعد العلم بالمعاني وتقدير ترتيب أجزاء المؤلّف في الذهن حتّى يمكن أن يؤلّف الكلام منها، فبعض الناس كالمنطقيّين يطلقون إسم الكلام على ذلك التقدير في الذهن، وبعضهم يطلقون على ذلك العلم، والمتكلّمون يصفونه تعالى بالكلام لورود الشريعة بذلك، إذ لولاه لما توهّم العوام الوحي، فنهم من قال: إنّه العلم، ومنهم من قال: إنّه زائد على العلم قديم غير مؤلّف ولا مسموع، ومنهم من قال: إنّه زائد على العلم محدث أو قديم غير مسموع لكن يطابق المسموع، ومنهم من قال: إنّه مؤلّف مسموع، والّذين يقولون مع ذلك أنّه قديم لا يتفكّرون في معنى قولهم.

قال الخفريّ: وأقول: قد أشار بقوله: «الأصل في الكلام» إلى أنّ معنى من المعاني المغائرة لهذا المعنى إذا استعمل فيه الكلام والكلمات فإنّه مجازيّ كمعاني الألفاظ والموجودات العينيّة والعلم بالألفاظ كما ورد في حقّ عيسى عليه السلام: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[٣] وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

---

١. المناقب، ج ٣، ص ٢٣٨؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ٢٨٠.

٢. النساء: ١٧١.

٣. فاطر: ١٠.

«أنا كلام الله الناطق»، وكما قيل: إنّ بسائط الموجودات حروف ومركّباتها كلمات... إلى آخر ما أفاده هناك.

مراده أنّ إطلاق الكلام عليه من قبيل إطلاق الكلمة على عيسى عليه السلام فيكون إطلاقاً مجازيّاً، أو أراد إنّه لمّا كان عالماً بمعاني تلك الألفاظ والعبارات الدالّة على مراد الله تعالى ولم يكن علم غيره بها كعلمه بها أطلق عليه الكلام مجازاً، وحاصله يؤول إلى ما أشرنا إليه.

أقول: إنّما مراده من هذا الكلام الطويل دعوى أنّ كون أمير المؤمنين عليه السلام كلام الله، أو قرآناً مجاز مرجوح بالنسبة إلى الحقيقة لا يصار إليه إلّا مع تعذّر المعنى الحقيقيّ والقرينة الصارفة وإنّما قال هذا الكلام لما رأى من المجلسيّ رحمه الله في كلامه الّذي نقلناه بعين عبارته الفارسيّة في رسالة المشكاة من قوله: «بلكه اگر به حقيقت نظر كنى قرآن حقيق ايشانند كه محلّ لفظ قرآن و معناى قرآن و اخلاق قرآنند»[1] فزعم أنّه يدّعي أنّ الإمام قرآن حقيقة في مقابل المجاز.

وأقول: كيف غفل عن المراد وضلّ عن المطلب وضاع المذهب؟ فإنّ مراد المجلسيّ رحمه الله ومرادنا من أنّ الإمام قرآن أو صلاة أو زكاة أو حجّ في الحقيقة ليس الحقيقة في مقابل المجاز، بل المراد في الحقيقة أي: في الواقع وتحقيق الأمر وإلّا فإنّه لا يكون مجازاً لفظيّاً أيضاً، بل هو من قبيل بطون القرآن والمعاني التأويليّة للآيات، فإنّ الخبر الوارد في قوله تعالى: ﴿**الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾[2] أنّ المراد بالكتاب هو عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك الأخبار الواردة في أنّ الصراط المستقيم في أُمّ الكتاب هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام أو ولايته، أو أنّ المراد بالصلاة والزكاة ـ مثلاً ـ هو لا يكون المراد إنّه استعمل فيه لفظ القرآن على سبيل المجاز، بل هو من البطون الواردة: «إنّ للقرآن بطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن»[3].

وذلك للأخبار والإجماع على أنّ ظاهر هذه الألفاظ مراد الله قطعاً وإرادة المعنى الحقيقيّ مع

---

١. مشكاة الأنوار، ص ٢٤.

٢. البقرة: ١ و ٢.

٣. عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٠٧.

المجازيّ في استعمال واحد غير جايز بالاتّفاق، وربّما ورد في الأخبار ذكر معاني متعدّدة لآية واحدة فلا يمكن أن يقال: إنّ كلّها مستعمل فيه اللفظ حتّى يقال: إنّه حقيقة أو مجاز، بل هو من قبيل البطون.

بل مراده ومرادنا أنّ الإمام لمّا كان مبيّناً للقرآن ومفسّراً لمراد الله تعالى وعنده جميع علومه، والقرآن كما أُنزل موجود في علمه، فكونه قرآناً أحقّ من كون هذه المصاحف قرآناً، ولمّا كانوا حاملين له علماً وعملاً ووصفاً وخلقاً فهم كأنّهم حقيقة القرآن، لا أنّ استعمال القرآن، أو الكلام فيهم حقيقة حتّى أورد عليه بما ذكره من الخفريّ، فإنّ هذا أمرٌ معلوم لا يحتاج إلى البرهان.

فأُقسمك بالله! أُنظر إلى كلام المجلسيّ ﷺ هل يتوهّم منه ما ذكره من أنّ كلام الله الناطق وإرادة عليّ عليه السلام حقيقة بحسب اللفظ أو مراده إنّه لمّا كان حاملاً لعلم القرآن وعاملاً بأوصافه ومتّصفاً بأخلاقه كأنّه حقيقة القرآن، وأين ذلك من الحقيقة في مقابل المجاز؟

وأمّا قوله: «وأمّا ما قاله في مقام الدلالة من الفرق بين الناطق والصامت فمبنيّ على جعلهم الناطق صفة له عليه السلام بعد جعلهم الكلام محمولاً عليه حملاً حقيقيّاً وهو ـ كما عرفت ـ ممتنع، بل وصف للكلام»... إلى آخره؛ فهو كلام غريب أيضاً، فإن أراد بجعل الناطق صفة لعليٍّ عليه السلام المراد بقوله: «أن» الصفة النحويّة فلايمكن وكيف الحال إنّ قوله عليه السلام: «أنا» مبتدأ، وكلام الله خبره، والناطق صفة نحويّة للكلام.

وإن أراد إنّهم أرادوا إنّه صفة لعليٍّ عليه السلام لا للقرآن بعد حمل كلام الله عليه حملاً حقيقيّاً ـ ولو ادّعاءً ـ يعني أنّ القرآن كلام الله الصامت وأنا كلام الله الناطق، فهو حقّ صحيح مطابق للواقع، ولا يصحّ إنكاره.

وقوله: «وهو ـ كما عرفت ـ ممتنع» إنّما أراد بهذا الامتناع ما ذكره سابقاً من قوله: «لا أنّ ذاته الشريف وعنصره اللطيف هو هذا الكلام الّذي هو من سنخ العرض، لكونه مؤلّفاً من الحروف والأصوات المتصرّفة» كما نقلنا عين عبارته.

فأُقسمك بالله! هل يخطر ببال أداني الطلّاب إرادة هذا المعنى من قوله: «أنا كلام الله

الناطق»[1] من إرادة الحروف والأصوات من كلام الله ؟

وما أشبه هذا بأن يقال : لو وجد في كلام عليٍّ عليه السلام أنا أسد الله الناطق أنّ المراد بالأسد هو الحيوان المفترس المعهود، وحمله على ضمير المتكلّم المراد به ذاته الشريف ممتنع، لأنّ الأسد حيوان معلوم وهو عليه السلام إنسان وهذا ممّا تضحك منه الثكلى، ومن البديهيّات أنّه من قبيل المجاز المرسل والقرينة لفظ الناطق المتّصل به، وقد عرفت ـ وتعرف فيما بعد ـ أنّ استعمال الكلمة والكلام والكلمات في الأنبياء والأئمّة مجازاً شايع مأنوس قد ورد به القرآن العظيم تنزيلاً وتأويلاً والأخبار الكثيرة فوق حدّ الإحصاء، وإنكار مثل هذا بمثل هذه الكلمات من أغرب الأشياء.

وأراد بقوله : «حملاً حقيقيّاً» إنّهم أرادوا أنّ عليّاً عليه السلام كلام الله حقيقة والحال أنّه ليس كذلك، بل كونه كلاماً مجاز قطعاً كما عرفت، والكلام الحقيقيّ هو القرآن وإنّما أراد من هذا الكلام أعني من كون كلام الله حقيقة في القرآن ومجازاً في عليّ عليه السلام ترويج مذهبه من تفضيل القرآن على عليٍّ عليه السلام ضرورة فضل الحقيقة على المجاز، وأين هذا من مطلبنا ومطلب القوم من المعنى العالي والمطلب المتعالي من كون الإمام حقيقة القرآن وحقيقة الصلاة وحقيقة الزكاة وروحه ولبّه ولبابه، كما ورد في الأخبار، وكما صرّح به العلماء الأخيار منهم المجلسيّ رحمه الله في رسالته هذه، فقال بعد كلامه السابق الّذي نقلناه بعينه الفارسيّة :

و اين است معناى آن حديث كه حضرت صادق عليه السلام فرمود در حديث طولانى كه : قرآن به صورت نيكويى به صحراى محشر خواهد آمد و شفاعت حاملان خود خواهد كرد.

راوى پرسيد كه : آيا قرآن سخن مى تواند گفت ؟

حضرت تبسّم نمود و فرمود كه : خدا رحم كند ضعيفان شيعيان ما را كه آنچه از ما مى‌شنوند تسليم مى‌نمايند و اذعان مى‌كنند. بعد از آن فرمود كه: نماز شخصى‌است و صورتى دارد وخلقتى دارد و امر و نهى مى كند.

---

١. بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٥٤٦.

راوی می‌گوید که: صورت من متغیّر شد و گفتم: این سخن را در میان مردم نـقل نمی‌توانم کرد.

حضرت فرمود که: هرکه از شیعیان ما را به نماز نشناسد حقّ ما را نشناخته و انکار حقّ ما کرده. بعد از آن فرمود که: می‌خواهی سخن قرآن را به تو بشنوانم؟

گفتم: بلی.

فرمود که: در قرآن است که نماز نهی می‌کند از فحشا و منکر، و ذکر خدا بزرگتر است.

حضرت فرمود که: چون نماز نهی می‌کند پس سخن مـی‌گوید و فـحشا و مـنکر مردمی چندند، و ماییم ذکر خدا و ما بزرگتریم.

و چون این مطلب در حلّ اخبار اهل بیت بسیار دخیل است، اگـر زیـاده از ایـن توضیح نماییم اصوب است:

بدان که هر چیزی را صورتی و معنایی و جسدی و روحی هست؛ خواه اخلاق و خواه عبادات و خواه غیر آنها، و جمعی که حشویّه‌اند به ظاهر آنها دست زده‌اند و پا از آن به در نمی‌گذارند و خود را از بسیاری از حقایق محروم گردانیده‌اند، و جمعی به بواطن و معانی چسبیده و از ظواهر دست برداشته‌اند و به سبب آن ملحد شده‌اند، و صاحب دین آن است که: هر دو را به سمع یقین بشنود و هر دو را اذعان نماید، مثل آنکه بهشت را صورتی است که عبارت است از در و دیوار و درخت و انهار وحور و قصور و معنای بهشت کمالات معارف و قرب و لذّات معنوی است کـه در بـهشت صوری می‌باشد.

حشوی می‌گوید که: در بهشت به جز لذّت خوردن و آشامیدن و جماع کردن معنا ندارد.

ملحد می‌گوید که: بهشت در و دیوار و درختی می‌دارد همان لذّت‌های معنوی را به این عبارت تعبیر کرده‌اند و به این سبب منکر ضروری دیـن گـردیده‌انـد و کـافر

شده‌اند.

امّا صاحب یقین می‌داند که هر دو حقّ است و در ضمن آن لذّت‌های معنوی حاصل می‌شود، چنانچه در اوّل کتاب به این معنا اشاره کردیم.

پس مثال صراط را در دنیا و آخرت ذکر کرده بعد از آن فرموده: و هم‌چنین نماز را در دنیا روحی و بدنی هست؛ بدن نماز آن افعال مخصوصه است، و روح نماز ولایت علیّ بن ابی طالب عليه السلام و اولاد او است، و کار روح آن است که آن جسد را باقی می‌دارد و منشأ حرکات و آثار بدن می‌شود. پس نماز بی‌ولایت چون موجب کمالی نمی‌گردد باعث قرب نمی‌شود و از عذاب نجات نمی‌بخشد، مانند بدن مرده است، پس ولایت روح آن است و چون نماز کامل از ایشان صادر می‌شود و اگر از دیگری صادر شود به برکت ایشان می‌شود، پس بقای نماز به ایشان است به این سبب خود روح نمازند، و چون وصف نماز در ایشان کامل گردیده و خُلق ایشان شده گویا با نماز متّحدند.

پس هم چنانچه لفظ انسان را بر بدن آدمی و بر روح او و بر روح با بدن هر سه اطلاق می‌نمایند هم چنین نماز را بر این افعال و بر آن ذوات مقدّسه و بر آن ذوات با اتّصاف به این صفت اطلاق می‌نمایند. پس نماز که در قرآن واقع می‌شود و ظاهرش این افعال است مراد است و باطنش که ولایت است مراد است و منافات با یکدیگر ندارد... الی آخر ما قاله فی هذا المرام[1].

وأقول: أفمن شرح بهذا البيان هذا المطلب ينسب إليه أنّه أراد من قوله: «أنا كلام الله الناطق»[2] إنّه حقيقة بحسب اللفظ وأورد عليه بأنّه مجاز، وأطال الكلام في ذلك... إلى أن قال في آخر كلامه:

وبالجملة، إنّه عليه السلام كان حاملاً للقرآن كسائر حامليه ولم يكن عينه ولا فرداً منه ولا مصداقه إلّا مجازاً وإنكار ذلك سفه وجهل وغرور، بل غلوّ في الدين وخروج عن طريقة

---

١. مشكاة الانوار، ص ٧٤.

٢. بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٥٤٦.

المؤمنين. فيا أيّها الّذين آمنوا: لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا إلّا الحقّ.

وأقول ـ بعد الإحاطة بما ذكرتك إليه ـ: لا حاجة إلى بيان ما في كلامه وخلطه وسهوه وغفلته وسوء فهمه وفطنته حتّى يجعل بطن الكلام ظهراً وظهره بطناً، وبَعُد عن المرام بمراحل وكلّما ازداد شرحاً ازداد بعداً وخفاءً، بل ضلّة وضلالاً، فإنّ نسبة الغلوّ إلى مثل المجلسيّ ﵀ جهل وسفه وغرور وأصل المطلب غيّ وزور وضلال، كما عرفت بحمد الله. فافهم ذلك واغتنمه!

والحاصل، إنّ دلالة قوله ﵇: «أنا كلام الله الناطق»[1] على أفضليّته من القرآن وأنّه كلام الله، كما أنّ القرآن كلام الله، ولا ريب أنّ الناطق أشرف وأجلّ من الصامت؛ أمر معلوم، منكره مكابر متعسّف، خصوصاً مع ملاحظة مقام صدور هذا الكلام منه ﵇، كما أشرنا.

وروي في كتب السير وبعض كتب الأخبار: إنّه لمّا ضاق الأمر على عسكر معاوية في حرب صفّين وغلب أصحاب أميرالمؤمنين ﵇ عليهم وقرب انهزامهم من معسكرهم، خدع عمرو بن العاص خدعة وقال لمعاوية: نرفع المصاحف فوق أسنّتنا ونقول: هذا كتاب الله اجعلوه حكماً بيننا. فيصير هذا سبب التفرقة بين أهل العراق وتشتّتهم عن أميرالمؤمنين ﵇، فنستريح من القتال.

فرفعوا المصاحف الكثيرة على رؤوس الرماح ورفعوا أصواتهم وقالوا: هذا كتاب الله ندعوكم إلى ما فيها وهو الحكم بيننا وبينكم.

فلمّا رفعوها وسمع أهل العراق أصواتهم اختلفوا، فقال جماعة منهم: نجيب إلى كتاب الله ونعم الحكم كتاب الله ولا نقاتلهم.

فقال أميرالمؤمنين ﵇: «أنا أعرف بهم وبحالهم، إنّهم ليسوا من أصحاب القرآن وإنّما رفعوه مَكيدة وخديعة لما رأوا وهنهم».

فقال الّذين صاروا خوارج من ذلك اليوم: يا عليّ! أجب إلى كتاب الله وإلى ما فيه وإلّا أخذناك ورفعناك إلى القوم.

---

١. نفسه.

فقال لهم أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا كتاب الله الناطق ـ أو كلام الله الناطق ـ وهذا كتاب الله الصامت وأنا آمركم وأقول لكم: اقطعوا هذه الأسنّة بسيوفكم».

فأبوا إلّا ترك القتال وتنازعوا حتّى ضرب بعضهم بعضاً بأسواطهم وتشتّت كلمتهم، وآل أمرهم إلى التحكيم، فحكّموا أبا موسى الأشعريّ وعمرو بن العاص ورضوا بحكمهما، وآل أمرهم إلى ما آل، والقصّة مشهورة معروفة مسطورة في كتب السير والتواريخ.[١]

ولا ريب أنّ هذا الكلام منه عليه السلام في هذا المقام في أقصى غاية الدلالة على أفضليّة من جهة أنّه ناطق والقرآن صامت، فيدلّ على وجوب متابعته عليه السلام في المقام وإن كان موقوفاً على قطع تلك الأسنّة بالسيوف، مع كون القرآن على رؤوسها، كما أنّ السيّد الفاضل السائل عن شيخنا البهائيّ رحمه الله أيضاً فهم من هذا الكلام هذا حيث قال:

هل يدلّ على أفضليّتهم حديث صفّين: «هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق»؟ وما وجه الدلالة؟ إذ ليس كلّ ناطق أفضل من القرآن وإلّا لكان كلّ إنسان كذلك إلّا أن يقال: إنّ الناطق من حيث كونه ناطقاً أفضل من الصامت من حيث كونه صامتاً؛ فأميرالمؤمنين عليه السلام مساو للقرآن من حيث أنّه كتاب الله وأفضل منه من حيث اختصاصه بالناطقيّة وليس كذلك من ليس كتاب الله من الناطقين ويثبت حينئذٍ أفضليّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً، لأنّه أفضل من عليٍّ عليه السلام، ويبقى الكلام عن باقي الأئمّة. لكن ما تقول في هذا الخبر هل هو متواتر يقوم بحجّيّة ذلك أم واحد صحيح أم ضعيف؟ هذا كلام السيّد السائل[٢].

وكتب الشيخ في حاشية قوله: «ما وجه الدلالة؟» ما لفظه:

وجه الدلالة إنّما قال ذلك الكلام أن رأى برأي مخالفيه لمّا انخدعوا برفع المصاحف على الرماح ومالوا عنه، فغرضه أنّ الميل إليه هو الصواب وهو يعطي الأفضليّة، لكن لقائل يقول: لعلّ غرضه أنّ القرآن لا يدعوكم إلى نفسه في ذلك الوقت، بل هو ساكت عن ذلك وأنا أدعوكم إلى نصرتي وأكون مع الفرقة الّتي أنا إمامهم، فكيف عمّن يدعوكم في هذا الوقت

---

١. راجع: العمدة لابن البطريق، ج ٣٣٠.

٢. الاربعين، ص ٣١٤.

وتستنصرون من هو صامت من دعوتكم، وعلى هذا فلا دلالة على الأفضليّة.

ثمّ قال:

وهذا الخبر ليس متواتراً وإنّما هو آحاد ولا يحضرني كون سنده صحيحاً، انتهى كلامه رفع مقامه[١].

أقول: أمّا بيان وجه الدلالة على الأفضليّة فهو كما ذكرنا، وأمّا ما ذكره الشيخ ﵀ أخيراً بقوله: «ولكن لقائل أن يقول» فغرضه أنّ الكتاب العظيم وإن كان حجّة لنا ولكم، لكنّه ساكت لا دلالة فيه على دعواكم بمخالفتي وأنا حجّة من الله ناطق أدعوكم إلى متابعتي والإقرار بأنّي حجّة الله وعلى هذا فلا دلالة له على الأفضليّة.

وفيه نظر، إذ خطابه عليه السلام بهذا الخطاب كان إلى أصحابه الّذين قالوا بإمامته وحجّيّته إلى ذلك اليوم فيقول لهم: هذا كتاب الله حجّة وأنا حجّة أيضاً، ولكنّه حجّة ساكتة وأنا حجّة ناطقة وهو لا ينطق بصحّة دعواهم، وأنا ناطق ببطلانهم، ويلزم من ذلك كونه أفضل، لأنّه حجّة ناطقة، كما لا يخفى.

ونحن بحمد الله لا نحتاج إلى الاستدلال بهذه الفقرة، لما أسلفنا من الأدلّة الساطعة والبراهين القاطعة على أفضليّتهم، ولنمسك أعنّة الأقلام من النقض والإبرام، فإنّ الإيراد على جزئيّات الكلام ممّا ينجرّ إلى طول الكلام وكثرة الملام، وصرفه إلى أصل المطلب أولى وأحرى.

وقد نقلنا لك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مستجمع لجميع الكمالات الصوريّة والمعنويّة والأخلاق الحسنة المحمودة والملكات الكاملة العقليّة بقدر فهمنا وقصورنا، وبقدر تتبّعنا ووسعنا وإلّا فأنّىٰ لنا والإحاطة بمقام الإمام عليه السلام وشئون حجج الله الملك العلّام، ولا يمكننا تعقّل ما ثبت منهم واستفاض عنهم مثل حضورهم عند كلّ موت واحد من البشر، ومثل وجودهم في أمكنة متعدّدة في زمان واحد، ومثل صيرورة شخصهم آخر منهم، ومثل طيّهم للزمان كالمكان ... إلى غير ذلك من أصناف علومهم وأسرارهم، كما ورد في أخبار مستفيضة

---

١. نفسه.

أنّ أخبارهم صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا نبيّ أو ملك مقرّب أو مؤمن امتحن الله قلبه، بل في بعضها لا يتحمّلها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسلٌ ـ نقل بالمعنى ـ[١].

فكيف نتصوّر قرائة عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين ولادته القرآن الّذي لم ينزل بعد على رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّا نقبلها من باب التسليم بما ورد عنهم وإن نفهم ظاهرها.

وأنّىٰ لنا بإحصاء فضائله في هذه المختصرات ولم نقدر على إحصاء ما نقله أعدائه، والشيعة يرى أنّه لا يوجد أشدّ عداوة من عمر بن الخطّاب لعليٍّ عليه السلام فلو تلوت عليك ما نقله العامّة عن خليفتهم عمر هذا في فضائله ومناقبه لزدت عجباً، ولا عجب، فإنّه بتعريفه قد عرّف نفسه.

ففي «البحار» عن «أمالي» الصدوق مسنداً، قال الراوي: «وقع رجل في عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمحضر من عمر بن الخطّاب، فقال له عمر: تعرف صاحب هذا القبر محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب، وعليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب، ولا تذكرنّ عليّاً إلّا بخير، فإنّك إن تنقّصته آذيت هذا في قبره»[٢].

وفي «البحار» أيضاً عن «أمالي» الشيخ مُسنداً قال: «أُتي عمر بن الخطّاب رجلان يسألان عن طلاق الأمة، فالتفت إلى خلفه، فنظر إلى عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقال: يا أصلع! ما ترى في طلاق الأمة؟

فقال بإصبعيه هكذا ـ وأشار بالسبابة والّتي تليها ـ فالتفت إليهما عمر وقال: ثنتان.

فقالا: سبحان الله! جئناك وأنت أمير المؤمنين، فسألناك فجئت إلى رجل سألته، والله! ما كلّمك.

فقال عمر: تدريان من هذا؟

قالا: لا.

قال: هذا عليّ بن أبي طالبٍ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو أنّ السماوات السبع

---

١. راجع: بحارالأنوار، ج ٢، ص ١٨٢، باب ٢٦.

٢. الأمالي للصدوق، ص ٣٨٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١١٧.

والأرضين السبع وضعتا في كفّة ووضع إيمان عليٍّ في كفّة لرجح إيمان عليٍّ»[١].

وفيه روايات كثيرة قول عمر: «اللّهمّ لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب حيّاً»[٢].

وفيه أيضاً ما نقله عن غير واحد من كتب الأصحاب ووجدته في كتاب «ربيع الأبرار» للزمخشريّ: أنّ عمر بن الخطّاب خطبهم وقال في خطبته: لو صرفناكم عمّا تعرفون إلى ما تنكرون ـ وفي نسخة: إلى ما تذكّرون ـ ما كنتم صانعين؟

قال الراوي: فأرمّوا، قال ذلك ثلاثاً.

فقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: إذاً [كنّا] نستتيبك، فإن تبت قبلناك.

قال: وإن لم أتب؟

قال عليه السلام: إذاً نضرب الّذي فيه عيناك.

فقال: الحمد لله الّذي جعل في هذه الأمّة من إذا اعوججنا أقام أوَدنا»[٣].

أقول: كما قال المجلسيّ رحمه الله وهو عجيب وفيه خبٌ[٤] يظهر لمن تأمّله.

وقوله: «إلى ما تذكّرون»[٥] على بناء المجهول فمن باب التفعيل، أو المعلوم من باب التفعّل مع حذف التاء مثل «تنزّل»، وكان غرضه أن يُذكّرهم ما كانوا عليه من عبادة الأصنام ويصرفهم عن التوحيد إليها. وهذا هو الخباء الّذي أشار إليه عليّ بن عيسى، الخباء: الشيء الخفيّ والمستور.

وقوله: «فأرمّوا» بالراء المهملة الميم المشدّدة من باب الإفعال، أو بالزاء المعجمة والميم المخفّفة، قال الجزريّ فيه: «إنّه قال: أيّكم المتكلّم؟ فأرمّ القوم أي: أمسكوا عن الكلام. وقال

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٢٣٨؛ بحارالأنوار، ج ١٠١، ص ١٥٣.

٢. كشف الغمّة، ج ١، ص ١١٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٨٠.

٣. كشف الغمّة، ج ١، ص ١١٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٨٠.

٤. الخِبّ: الخداع، والخبث والغشّ. راجع: لسان العرب: ج ٤، ص ٧.

٥. نفسه.

في رمم: فأرمّ القوم أي: سكتوا ولم يجيبوا»[١].

أقول: وعلى نسختي من «ربيع الأبرار» بالراء المهملة والميم المشدّدة.

وتنكرون مقابل تعرفون يعني تنكرونه اليوم من عبادة الأصنام.

وفي كلامه دلالة على كفره أو ميله إليه، ولمّا رأى من أميرالمؤمنين عليه السلام ذلك الثبات صرف وجه كلامه إلى إرادة الامتحان، كما لا يخفى على المتأمّل في أُسلوب الكلام.

وفيه عن «أمالي» الشيخ مسنداً إلى ابن عمر قال: «سألني عمر بن الخطّاب فقال لي: يا بنيّ! من أخبر الناس بعد رسول الله؟

قال: قلت له: من أحلّ الله له ما حرّم على الناس، وحرّم له ما أحلّ للناس.

فقال: والله! لقد قلت وصدقت؛ حرّم على عليّ بن أبي طالب الصدقة وأُحلّت للناس، وحرّم عليهم أن يدخلوا المسجد جُنب وأحلّ له، وأُغلقت الأبواب وسُدّت ولا يُغلق لعليّ باب ولم يُسدّ»[٢].

وفيه عن كتاب «الفضائل» مسنداً قال: «سأل رجل عمر بن الخطّاب، فقال: يا أميرالمؤمنين! ما تفسير «سبحان الله»؟

قال: إنّ في هذا الحائط رجلاً إذا سُئل أنبأ، وإذا سكت ابتدأ.

فدخل الرجل فإذا هو عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقال: يا أباالحسن! ما تفسير «سبحان الله»؟

قال له: هو تعظيم جلال الله وتنزيهه عمّا قال فيه كلّ مشرك، فإذا قالها العبد صلّى عليه كلّ ملك»[٣]، انتهى.

فانظر إلى قوله: «وإذا سَكت ابتدأ»، فإنّه ظاهر في أنّ كلّ من يريد السؤال عن شيء إذا تكلّم وسأل أنبأه عن سؤاله، وإذا سكت أخبره عن ضميره وعمّا جاء به ليسأله.

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٨١.

٢. الأمالي للطوسي، ص ٢٩١؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٠.

٣. التوحيد، ص ٣١١؛ بحارالأنوار، ج ٩٠، ص ١٧٧.

وفيه عن الكتاب المذكور مُسنداً إلى حارثة بن زيد قال: «شهدت إلى عمر بن الخطّاب حجّة في خلافته فسمعته يقول: اللّهمّ إنّك قد تعلم جيئتي لبيتك وكنت مطّلعاً من سترك.

فلمّا رآني أمسك، فحفظت الكلام، فلمّا انقضى الحجّ وانصرف إلى المدينة تعمّدت إلى الخلوة فرأيته على راحلته وحده، فقلت له: يا أميرالمؤمنين! بالذي هو أقرب إليك من حبل الوريد! أن أخبرتني عمّا أُريد أن أسألك عنه.

فقال: اسأل عمّا شئت.

فقلت له: سمعتك يوم كذا وكذا تقول كذا وكذا. وكأنّي قد ألقمته حجراً، فقلت له: لا تغضب فوالّذي أنقذني من الجهالة وأدخلني في هداية الإسلام ما أردت بسؤالي إلّا وجه الله عزّ وجلّ.

قال: فعند ذلك ضحك وقال: يا حارثة! دخلت على رسول الله ﷺ وقد اشتدّ وجعه فأحببت الخلوة معه وكان عنده عليّ بن أبي طالب والفضل بن العبّاس، فجلست حتّى نهض ابن العبّاس وبقيت أنا وعليّ، فبيّنت لرسول الله ما أردت، فالتفت إليّ وقال: يا عمر! جئت لتسألني إلى من يصير ذلك الأمر من بعدي؟

فقلت: صدقت يا رسول الله.

فقال: يا عمر! هذا وصيّي وخليفتي من بعدي.

فقلت: صدقت يا رسول الله.

فقال: هذا خازن سرّي؛ فمن أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن تقدّم عليه فقد كذّب بنبوّتي.

ثمّ أدناه وقبّل بين عينيه ثمّ أخذه فضمّه إلى صدره.

ثمّ قال: وليّك الله، ناصرك الله، والى الله من والاك، وعادى الله من عاداك، وأنت وصيّي وخليفتي في أُمّتي.

وعلا بكاؤه وانهملت عيناه بالدموع حتّى سالت على خدّيه وخدّ عليّ بن أبي طالب، فوالّذي منّ عليّ بالإسلام! لقد تمنّيت تلك الساعة أن أكون مكان عليّ ابن أبي طالب.

ثمّ التفت إليّ وقال: يا عمر! إذا نكث الناكثون، وقسط القاسطون، ومرق المارقون، قام هذا مقامي حتّى يفتح الله عليه بخير وهو خير الفاتحين.

قال حارثة: فتعاظمني ذلك وقلت: ويحك يا عمر! فكيف تقدّمتموه وقد سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك؟!

قال: يا حارثة! بأمرٍ كان!

قلت: أمن الله أم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أم من عليٍّ عليه السلام؟

فقال: لا، بل الملك عقيم، والحقّ لعليّ بن أبي طالب»[١].

أقول: آثار الصدق من هذا الخبر لائحة، فإنّه لمّا سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الخلافة بعده أخبره بأنّ الحقّ من الله ورسوله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ تذكّر بما يفعلون به بعده وبكى وعلم أنّ عمر في نفسه يريد أن يسأل عمّن يتصدّى للخلافة بعده لما في خاطره من إخبار حفصة عن عائشة من إخبار النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بخلافة أبي بكر بعده، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ** ﴾[٢] في سورة التحريم، فأراد السؤال عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم عمّن يلي بعده الأمر ليطمئنّ في مخالفة عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فأخبره بذلك أيضاً، فقال: «إذا نكث الناكثون»[٣]... إلى آخر كلامه، والكلّ إشارة إلى تقدّم غيره ممّن تقدّم عليه، فأخبره صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحقّ وبما يقع من غصبهم حقّه.

وفيه أيضاً عن كتاب «فضائل» ابن شاذان وكتاب «روضة الواعظين» لمحمّد بن عليّ بن أحمد الفارسيّ ـ وأثنى المجلسيّ رحمه الله عليه بأنّه جليل وإنّ كتابه من الكتب المشهورة عند الشيعة ـ ممّا رواه الحكم بن مروان أنّ عمر بن الخطّاب نزلت قضيّة في زمن خلافته بمقام لها وقعد وارتجّ لها ونظر من حوله، فقال: معاشر الناس والمهاجرين والأنصار! ما تقولون في هذا الأمر؟

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٢١.

٢. التحريم: ٣.

٣. الفضائل، ص ١٢٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٦.

فقالوا: أنت أمير المؤمنين وخليفة رسول الله ﷺ والأمر بيدك.

فغضب من ذلك وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾[1] ثمّ قال: والله! لتعلمنّ من صاحبها ومن هو أعلم بها.

فقالوا: يا أمير المؤمنين! كأنّك أردت عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام؟!

قال: أنّى نعدل عنه؟ وهل لقحت حرّة بمثله؟

قالوا: نأت به يا أمير المؤمنين.

قال: هيهات، هناك شيخ من هاشم ونسب من رسول الله ولا يأتي، فقوموا بنا إليه.

قال: فقام عمر ومن معه وهو يقول [أي: عليّ بن أبي طالب عليه السلام]: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾[2] ودموعه تجري على خدّيه.

قال: فأخمش القوم ببكائه، ثمّ سكت فسكتوا، وسأله عمر عن مسألته، فأصدر لها جواباً، فقال: أم والله يا أبا الحسن! لقد أرادك الله للحقّ ولكن أبى قومك.

فقال له أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: يا أبا حفص! عليك من هنا ومن هنا، ﴿ إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً ﴾[3].

[قال:] فضرب عمر بإحدى يديه على الأُخرى وخرج مربدّ اللون، كأنّما ينظر في سواد»[4].

قال المجلسيّ رحمه الله: «وهذا الحديث من كتاب «إعلام النبوّة» في القائمة الأُولى»[5].

...إلى غير ذلك ممّا ورد عن عمر من الإقرار بمناقبه وفضائل كقوله: «إنّه مولاي ومولى

---

١. السجدة: ٧٠.

٢. القيامة: ٣٦ـ٣٨.

٣. النبأ: ١٧.

٤. الفضائل، ص ١٣٦؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٢.

٥. بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٢.

كلّ مؤمن »[١] و« من لم يكن هو مولاه فليس بمؤمن »[٢] في زمن خلافته، وإلّا فقوله يوم غدير خمّ: « بخّ بخّ لك يابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة »[٣].

وفي كثير من الروايات المستفيضة، وكذلك ما ورد عن أبي بكرٍ في شأنه مثل: أنّه خلق من نور وجه عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام ملائكة يسبّحون ويقدّسون ويكتبون ثواب ذلك لمحبّيه ومحبّي ولده عليه وعليهم السلام »،[٤] وغير ذلك، وكذا قول غيره حتّى معاوية الملعون الّذي حاربه سبعة عشر شهراً في صفّين وكذا تبعتهم وعلمائهم ورؤسائهم.

وما ورد عن الشافعيّ من الأشعار وغيره في حقّ عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام مشهور، حتّى قال:

ومات الشافعيّ وليس يدري   عليٌّ ربّه أم ربّه الله

وعن أحمد بن حنبل أيضاً ورد مناقب كثيرة، مثل قوله: « ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالبٍ »[٥]، وقوله لمن قال له من علماء الشيعة إنّي أعتقد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان خير الناس بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّي أقول: إنّهم خيرهم وإنّه كان أفضلهم وأعلمهم وإنّه كان الإمام بعده. فقال أحمد: « وما عليك يا شيخ! في هذا وقد تقدّمك في هذا القول أربعة من أصحاب رسول الله: جابر وسلمان والمقداد وأبو ذر »[٦]... إلى غير ذلك ممّا ورد عنه.

ومنها أخبار كثيرة فوق حدّ الاستفاضة من الخاصّة والعامّة من قوله عليه السلام: « إنّ هاهنا

---

١. المناقب، ج ٣، ص ٣٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٩، ص ٧٩.
٢. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٤.
٣. العمدة، ص ١٩٤؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٣٤٤.
٤. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٥.
٥. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٤.
٦. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٢٣.

لعلماً جمّاً لو ودت له حملة واحد».[١]

منها ما رواه ابن البختريّ من العامّة بستّة طرق، وأبو المفضّل بعشر طرق، وإبراهيم الثقفيّ من أربعة عشر طريقاً: «إنّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار ـ وأشار إلى صدره وقال ـ: كيف ملأ علماً لو وجدت له طالب، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، هذا ما زقّني رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله زقّاً، فاسألوني! فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين.

أما والله! لو ثنّيت لي الوسادة ثمّ أجليت عليها لحكمت بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينادي كلّ كتاب: إنّ عليّاً حكم فيّ بحكم الله.

ثمّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة! لو سألتموني عن آية آية في ليلٍ أُنزلت أو في نهار، مكّيها ومدنيّها، وسفريّها وحضريّها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم»[٢].

وفي «نهج البلاغة» المجمع على اعتباره:

«فوالّذي نفسي بيده! لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة إلّا أُنبئكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت مَوتاً».[٣]

وعن سلمان إنّه قال: «عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب ومولد الإسلام ومولد الكفر، وأنا صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر ودولة الدول، فاسألوني عمّا يكون إلى يوم القيامة وعمّا كان قبلي وعلى عهدي وإلى أن يُعبد الله».

وقال ابن المسيّب (من علماء العامّة): ما كان في أصحاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أحد يقول:

---

١. بحارالأنوار، ج ١، ص ١٩١.

٢. المناقب، ج ٢، ص ٣٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٣.

٣. نهج البلاغه، ص ٨٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٣ و ١٥٤.

«سلوني قبل أن تفقدوني» غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال ابن شبرمة: ما أحد قال على المنبر «سلوني» غير عليّ عليه السلام.

وقال الله تعالى: ﴿ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[2]، وقال: ﴿ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[3].

فإذا كان ذلك لا يوجد في ظاهره فهل يكون موجوداً إلّا في تأويله؟ كما قال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[4] وهو الّذي عنى عليه السلام بقوله: سلوني قبل أن تفقدوني»[5]... إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.

ومنها أخبار كثيرة مستفيضة من الخاصّة والعامّة في أنّه عليه السلام هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾، وقد مرّت إليها الإشارة:

واحدة منها ما روي عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: «كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام في بعض غزواته، فمررنا بواد مملوء نملاً، فقلت: يا أمير المؤمنين! ترى يكون أحد من الخلق يعلم عدد هذا النمل؟

قال عليه السلام: يا عمّار! أنا أعرف رجلاً يعلم عدده، وكم فيه ذكر، وكم فيه أُنثى.

فقلت: من ذلك الرجل يا مولاي؟

فقال: يا عمّار! أما قرأت في سورة يس: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾؟

فقلت: بلى يا مولاي!

فقال: أنا ذلك الإمام المبين»[6].

---

١. النحل: ٨٩.

٢. يس: ١٢.

٣. الأنعام: ٥٩.

٤. آل عمران: ٧.

٥. المناقب، ج ٢، ص ٣٩؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٥٤.

٦. الفضائل، ص ٩٤؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٧٦.

ومنها ما يظهر منه عليه‌السلام من علمه بالقرآن في الموارد الخاصّة، فهذا هو «الكافي» المجمع على أنّه أحسن الكتب الأربعة وأضبطها، روى فيه مسنداً إلى أصبغ بن نباتة عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام إنّه قال:

«والّذي بعث محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله بالحقّ وأكرم أهل بيته! ما من شيء يطلبونه من حرز، أو حرق، أو غرق، أو سرق، أو إتلاف دابّة من صاحبها، أو ضالّه، أو آبق إلّا وهو في القرآن؛ فمن أراد ذلك فليسألني عنه».

فقام إليه رجل وسأل منه الأمن السباع، وآخر من السرق، وآخر من الحرق، وعلّمهم لكلّ واحد آية، وذكر قصّتهم، والخبر طويل؛ فراجع ولاحظ واغتنم»[1].

ومنها أخبار متعدّدة في قول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لعليّ عليه‌السلام: «إنّ جبرئيل أخبرني أنّ الله علّمك إسم كلّ شيء، كما علّم آدم الأسماء كلّها»[2].

ومنها أخبار كثيرة يخبر فيها عن الأمور المكتومة عن الناس وهي كثيرة لاتحصى في مواضع خاصّة:

واحدة منها ما نقله في «بصائر الدرجات» مسنداً: «إنّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام قال للحرث الأعور وهو عنده: هل ترى ما أرى؟

فقال: كيف أرى ما ترى وقد نوّر الله لك وأعطاك ما لم يُعط أحداً؟

قال: هذا فلان الأوّل على ترعة من ترع النار يقول: يا أباالحسن! استغفر لي، لا غفر الله له.

قال: فمكث هنيئة، ثمّ قال: يا حرث! هل ترى ما أرى؟

فقال: فكيف أرى ما ترى وقد نوّر الله لك وأعطاك ما لم يُعط أحداً؟

قال: هذا فلان الثاني على ترعة من ترع النار يقول: يا أباالحسن! استغفر لي، لا غفر الله

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٢٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٨٢.

٢. بصائر الدرجات، ص ٤١٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٨٦.

له »[١]... إلى غير ذلك من الأخبار.

ولو أشرت إلى كلّ صنفٍ من أصناف الأخبار لطال الكتاب، وفي هذا كفاية لأُولي الألباب.

وفي « البحار » قال: وجدت في كتاب سليم بن قيس عن أبان عنه عليه السلام قال: « جلست إلى عليٍّ عليه السلام بالكوفة في المسجد والناس حوله، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله! ما نزلت آية من كتاب الله إلّا وقد قرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلّمني تأويلها.

قال ابن الكوّاء: فما ينزل عليه وأنت غائب؟

فقال: بل يحفظ ما غيبت عنه، فإذا قدمت عليه قال [لي]: يا عليّ! أنزل الله بعدك كذا وكذا فيقرؤنيه، وتأويله كذا وكذا فيعلّمنيه.

قال أبان: قال سليم: قلت لابن عبّاس: أخبرني بأعظم ما سمعتم من عليٍّ عليه السلام ما هو؟

قال سليم: فأتاني بشيء قد كنت سمعته أنا من عليٍّ عليه السلام، قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده كتاب، فقال: يا عليّ! دونك هذا الكتاب.

قلت: يا نبيّ الله! ما هذا الكتاب؟

قال: كتاب من كتب الله فيه تسمية أهل السعادة والشقاوة من أُمّتي إلى يوم القيامة، أمرني ربّي أن أدفعه إليك »[٢].

ثمّ قال المجلسيّ رحمه الله: « وأقول: قال السيّد الداماد رحمه الله في بعض مؤلّفاته: رأيت في كتاب « قبس الأنوار » ـ في الأوفاق الحرفيّة والعدديّة ـ: كان عليّ ابن أبي طالبٍ عليه السلام يقول بالحروف والعدد، وكان أحسب الناس »[٣].

ثمّ نقل من كتب الرواية:

أنّ يهوديّاً أتاه، فقال: يا عليّ! أعلمني أيّ عدد يتصحّح منه الكسور التسعة [جمعاً من

---

١. بصائر الدرجات، ص ٤٢١؛ بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ١٩٥.

٢. كتاب سليم بن قيس، ص ٨٠٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٨٦.

٣. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٨٧.

غير كسر، وكذلك من كلّ من كسوره التسعة إلاّ من أربعة، فيكون له كلّ من الكسور التسعة] مصحّحاً من غير كسر [ولكلّ من كسوره التسعة كلّ من الكسور التسعة مصحّحاً من غير كسر] إلّا الثمن لربعه والربع لثمنه والسبع لسبعه والتسع لتسعه ؟

قال عليه السلام : إن أعلمتك تسلم ؟

قال : نعم .

فقال : اضرب أُسبوعك في شهرك، ثمّ ما حصل لك في أيّام سنتك تظفر بمطلوبك.

فضرب اليهوديّ سبعه في ثلاثين فكان المرتقى ٢١٠، فضرب ذلك في ثلاثمائة وستّين فكان الحاصل ٧٥٦٠٠ فوجد بغيته ؛ فأسلم.[١]

وفي كتب أصحاب الرواية : أنّه قالت اليهود لمّا سمعت قوله سبحانه في شأن أصحاب الكهف : ﴿ **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعاً** ﴾[٢] ما نعرف التسع .

ذكرها رهط من المفسّرين كالزجاج وغيره : أنّ جماعة من أحبار اليهود أتت المدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : ما في القرآن يخالف ما في التوراة إذ ليس في التوراة، إلّا ثلاثمائة سنين، فأشكل الأمر على الصحابة فبهتوا.

فرفع إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقال : لا مخالفة ؛ إذ المعتبر عند اليهود السنة الشمسيّة وعند العرب السنة القمريّة، والتوراة نزلت عن لسان اليهود، والقرآن العظيم عن لسان العرب، والثلاثمائة من السنين الشمسيّة ثلاثمائة وتسع من السنين القمريّة.[٣]

وأورده الّذي تفلسف في المتأخّرين من خفر فارس وكاد يتألّه في آخر شرحه لملخّص الجغميني في علم الهيئة، فقال : قالت اليهود : ما نعرف تسع سنين حين سمعوا ﴿ **وَٱزْدَادُوا تِسْعاً** ﴾ وقالوا : هذا لا يوافق التوراة، ووقع الإشكال على الصحابة، فحلّه على النهج المذكور

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ١٤١.

٢. الكهف : ٢٥.

٣. مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٢٨٤.

الإمام بالحقّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام»[١].

ثمّ بيّن صحّة الحساب وأنّ الاختلاف يسير والتفاوت بالأيّام اليسيرة عند تعداد السنين لا يُعتدّ به.

وفي «نهج البلاغة»:

«لو شئت أن أُخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، [ألا!] وإنّي مفضيه إلى الخاصّة ممّن يؤمن ذلك منه.

والّذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الحقّ! ما أنطق إلّا صادقاً، لقد عهد إليّ بذلك كلّه وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلّا أفرغه في أُذني وأفضى [به] إليّ.

أيّها الناس! إنّي [و] الله! لا أحثّكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها»[٢]، انتهى.

قال ابن أبي الحديد[٣] في قوله: «إنّي أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله» أي أخاف عليكم الغلوّ في أمري، وأن تفضّلوني على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ قال: وقد ذكرنا فيما تقدّم من أخباره عن الغيوب طرفاً صالحاً.

ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة الّتي يذكر فيها الملاحم وهو يشير إلى القرامطة: «ينتحلون لنا الحبّ والهوى، ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم ورّاثنا، وهجرهم أحداثنا».

وصحّ ما أخبر به عليه السلام؛ لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب عليه السلام خلقاً كثيراً وأسماؤهم مذكورة في كتاب «مقاتل الطالبيّين» لأبي الفرج الأصفهانيّ.

...إلى أن قال: وفي هذه الخطبة قال ـ وهو يشير إلى السّارية الّتي كان يستند إليها في

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٨٧.

٢. نهج البلاغة، ص ٢٥٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٤، ص ٢١٧.

٣. شرح النهج، ج ١٠، ص ١٣.

مسجد الكوفة ـ:

«كأنّي بالحجر الأسود منصوباً هاهنا، ويحهم! إنّ فضيلته ليست في نفسه، بل في موضعه [وأسسه]، والله! يمكث هاهنا برهة، ثمّ هاهنا برهة ـ وأشار إلى البحرين ـ ثمّ يعود إلى مأواه وأُمّ مثواه».

وقد وقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبره به[١].

ثمّ نقل قصّة خطبته عليه السلام وقوله: «سلوني قبل أن تفقدوني»: وقام تميم بن أُسامة بن زهير بن دريد التميميّ واعترضه وقال: كم في رأسي من الشعر؟

فقال عليه السلام: أما والله! إنّي لأعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرتك بذلك، ولقد أخبرتك بقيامك ومقالك، وقيل لي: إنّ على كلّ شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك، وشيطاناً يستفزّك، وآية ذلك إنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأو يحضّ على قتله.

وكان الأمر بموجب ما أخبر [به عليه السلام]، كان ابنه حصين ـ بالصاد المهملة ـ يومئذٍ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثمّ عاش إلى أن صار على شرطة عبيدالله بن زياد، وأخرجه عبيدالله بن زياد إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعّده على لسانه إن أرجأع ذلك، فقتل الحسين عليه السلام في اليوم الّذي ورد فيه الحصين [بالرسالة] في ليلته[٢].

أقول: وببالي في أخبارنا نسبة هذا الكلام إلى سعد، والمراد بالسخل عمر ابنه.

ثمّ قال: ومن ذلك قوله للبراء بن عازب يوماً: «يا براء! يُقتل الحسين عليه السلام وأنت حيٌّ فلا تنصره.

فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين!

فلمّا قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك، ويقول: أعظم بها حسرة، إذ لم أشهده وأُقتل دونه»[٣]، انتهى.

---

١. نفسه.

٢. شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ١٥.

٣. المناقب، ج ٢، ص ٢٧٠؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣١٥.

وقد ذكرنا لأنّه من العامّة ويشهد بإخباره عن الغيوب، ولذا عبّر بالعجب، ولقد صرّح في خطبة قصّة «چنگيز خان» وينبئ عن صفة وجوههم وقتلهم وصفة رئيسهم حتّى صوته، فقال: «كأنّي بالترك وجوههم كالمجانّ المطرقة»... إلى آخره[١].

وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه: إنّ هذا التفصيل الّذي ذكره من إخباره بالغيوب وقد وقع في ستّ مائة سنة بعد قوله هذا في زماننا، ويشرح في قتلهم البلاد ونهبهم الأموال والأولاد، ونحن معاشر الشيعة لا نتعجّب من ذلك ونقول لابدّ أن يكون الإمام عليه السلام كذلك.[٢]

ومن ذلك ما رواه في «البحار» عن كتاب «الاختصاص» مسنداً إلى أبي إبراهيم -يعني موسى بن جعفر عليه السلام -:

«إنّ الله أخبر محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بذهاب عمره ووصول أيّام وداعه الدنيا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [اللهمّ] عدتك الّتي وعدتني وإنّك لا تخلف الميعاد.

فأوحى الله إليه: أن ائت أُحداً [ومن تثق به.

فأعاد الدعاء فأوحى الله إليه: امض أنت وابن عمّك حتّى تأتي أُحداً ثمّ] اصعد على ظهره [فاجعل القبلة في ظهرك ثمّ] ادعُ وحش الجبل يجبك، فتأخذ جفرة منه أُنثى، فمر ابن عمّك يذبحها ويقلّب داخلها تجدها مدبوغة، وينزل جبرئيل ومعه دواة وقلم ومداد ليس هو من مداد الأرض يبقى المداد ويبقى الجلد لا تأكله الأرض، ولا يبليه التراب، لا يزداد كلّما نشر إلّا جدة، يأتيك علم وحي بعلم ما كان وما يكون إليك، وتمليه على ابن عمّك وليكتب وليستمدّ من تلك الدواة.

ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ ما أُمر به، ونزل جبرئيل وعدّة من الملائكة لا يحصي عددهم إلّا الله، ومن حضر ذلك المجلس بين يديه، وجاءته الدواة والمداد أخضر كهيئة البقل وأشدّ خضرة.

ثمّ نزل الوحي على محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وكتب عليّ عليه السلام يصف كلّ زمان وما فيه، ويخبره بالظهر

---

١. راجع: شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٢١٥.

٢. نفسه.

والبطن، وأخبره بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفسّر له أشياء لا يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم، ثمّ أخبره بكلّ عدوّ لهم في كلّ زمان من الأزمنة حتّى فهم ذلك كلّه وكتبه.

ثمّ أخبره بأمر ما يحدث عليه وعليهم من بعده، فسأله عنها.

فقال: الصبر الصبر، وأوصى إلينا بالصبر [وأوحى إلى أشياعهم بالصبر] والتسليم حتّى يخرج الفرج، وأخبره بأشراط أوانه وأشراط تولّده وعلامات تكون في ملك بني هاشم، فمن هذا الكتاب استخرجت أحاديث الملاحم كلّها وصار الوصيّ إذا أُفضي إليه الأمر تكلّم بالعجب»[١]، انتهى الخبر، وبعضه نقل بالمعنى بطوله ممّا لا يضرّ.

ومن هذه الأخبار أخبار «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[٢] وهي كثيرة متواترة.

ومن ذلك أخبار كثيرة أنّ الله علّم رسوله الحلال والحرام والتأويل، وعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمه كلّه عليّاً عليه السلام.[٣]

وهذه أيضاً كثيرة فوق حدّ الإحصاء، وفي بعضها تصريح بأنّ علم جميع الأنبياء والأخبار عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلّم كلّه عليّاً عليه السلام، وفي بعضها أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله بالإسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم الأنبياء إلى عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.[٤]

ومن ذلك أخبار وقضاياه الكثيرة وفيها إخبار بالغيوب وإعلام بعلم لا يمكن إلّا أن يكون من الله:[٥]

مثل قصّة الرجل والمرأة وقد أمر عليه السلام بإحضارهما وسأل عن شأنهما، فأخبر الرجل إنّي تزوّجت بهذه ولمّا دنوت منها رأيت الدم، فأخبرها بقصّتها الطويلة وإلقائها ولدها في البئر

---

١. بصائر الدرجات، ص ٥٠٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٦.

٢. الأمالي للصدوق، ص ٣٤٣؛ الأمالي للطوسي، ص ٥٥٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٠٥.

٣. بصائر الدرجات، ص ٤٠٤.

٤. بصائر الدرجات، ص ٩٨.

٥. بصائر الدرجات، ص ١٨٤.

بعد شجّها جنينها وفرارها، وقولها: اللّهمّ احفظه يا حافظ الودايع!

فأحضر الرجل وأظهر جنينها وأخبرها بأنّه ولدها ردّه الله إليها وأمرها بالشكر، وقصّ عليه السلام قصّتها الطويله من أوّلها إلى آخرها، وصدّقته.[١]

وقصّة من سأل أبابكر عن رجل تزوّج بامرأة بكرة فولدت عشيّة فحاز ميراثه الابن والأمّ فلم يعرف.

فقال عليّ عليه السلام: كانت الجارية حبلى من المولى فأعتقها وتزوّجها بكرة فولدت عشيّة فمات المولى.[٢]

وقصّة رجل دفع إلى الوصيّ عشرة آلاف درهم، قال: إذا أدرك ابني فأعطه ما أحببت منها.

فلمّا أدرك استعدى عليه أميرالمؤمنين عليه السلام، قال له: كم تحبّ أن تعطيه؟

قال: ألف درهم.

قال: أعطه تسعة آلاف درهم فهي الّتي أحببت وخذ الألف»[٣]، انتهى.

أقول: وذلك لمّا علم أنّه أراد ذلك.

وقصّة «تسعة إخوة أو عشرة لهم أُخت، قالوا لها: كلّ ما يرزقنا الله نطرحه بين يديك فلا تتزوّجي لحميّتنا.

فقبلت إلى أن حاضت مرّة وصارت إلى عين تغتسل، فخرجت من المياه علقة ودخلت جوفها، فبعد زمان كبرت العلقة وعلت بطنها، فظنّت الإخوة أنّها حبلى وقد خانت، وأرادوا قتلها، فقال بعضهم: نرفع أمرها إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وجاؤوا بها إليه، فأمر بإحضار طشت مملوءاً بالحماة وأمرها أن تقعد عليه، فلمّا أحسّت العلقة برائحة الحماة نزلت من جوفها...»[٤].

---

١. بحار الانوار، ج ٣٢، ص ٤٨.

٢. بحار الانوار، ج ٣٢، ص ٨٩.

٣. المناقب، ج ٢، ص ٣٨١؛ بحارالأنوار، ج ١٤، ص ١٤٢.

٤. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٤٢.

وقصّة «امرأتين تنازعتا في ولد عند عمر فتحيّر واستدعى من عليّ عليه السلام، فوعظهما فأقامتا على التنازع، فقال: ايتوني بمنشارٍ.

فقالتا: ما تصنع بها؟

فقال عليه السلام: أقدّه نصفين لكلّ واحد منكما نصفه.

فسكت إحداهما وقالت الأُخرى: الله الله يا أباالحسن! إن كان لابدّ من ذلك فقد سمحت به لها.

فقال عليه السلام: الله أكبر! هذا ابنك ولو كان ابنها لرقّت عليها.

فاعترفت الأُخرى بذلك. نُقل بالمعنى»[١].

وقصّة «رجل كانت له سريّة فأولدها في زمن عثمان، ثمّ اعتزلها وأعتقها وأنكحها عبداً له، ثمّ توفّي السيّد فعتقت بملك ابنها لها، وورث ولدها زوجها، ثمّ توفّي الإبن فورثت من ولدها زوجها.

فارتفعتا إلى عثمان يختصمان تقول: هذا عبدي ويقول هي امرأتي ولست مفرّجاً عنها.

فقال عثمان: هذه مشكلة وأميرالمؤمنين عليه السلام حاضر. قال: سلوها هل جامعها بعد ميراثها له؟

فقالت: لا.

فقال: لو أعلم أنّه فعل ذلك لعذّبته، إذهبي فإنّه عبدكِ ليس له عليك سبيل؛ إن شئت أن تسترقّيه أو تعتقيه أو تبيعيه فذلك لك»[٢]؛ وهذا لفظ الرواية.

وقصّة «امرأة ولدت على فراش زوجها ولداً له بدنان ورأسان على حقوٍ واحد، فالتبس الأمر على أهله أهو واحد أم اثنان؟

فصاروا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام (وذلك في زمن خلافته الظاهريّة)، فقال عليه السلام لهم: اعتبروه إذا نام ثمّ [أنبهوا أحد البدنين والرأسين] انتبه فإن انتبها [جميعاً] معاً في حالة واحدةٍ فهما

---

١. المناقب، ج ٢، ص ٣٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٥٢.

٢. المناقب، ج ٢، ص ٣٧١؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٥٧.

إنسان واحد، وإن استيقظ أحدهما والآخر نائم فهما اثنان، وحقّهما من الميراث حقّ اثنين»[١].

وقصّة مجيء شخص لشريح القاضي واستدعى الخلوة، وقال: «إنّ لي ما للرجال وما للنساء فرجلٌ أنا أم امرأة؟

فسأل عنه عند خروج البول.

فقال: من كليهما خروجاً وانقطاعاً، وأعجب من ذلك أنّ أبي زوّجني على أنّني امرأة فحملت من الزوج وابتعت جارية [تخدمني] فأفضيت إليها فحملت منّي.... فأنهى قصّته إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فسأل عنه واعترف بذلك كلّه، فأمر أن يشدّ عليه تبّان وأخلاه في بيتٍ ثمّ ولجه وعدّ أضلاعه وكانت من الجانب الأيسر سبعة ومن الجانب الأيمن ثمانية.

فقال عليه السلام: هذا رجل، وأمر بطمّ شعره وألبسه القلنسوة والنعلين والرداء، وفرّق بينه وبين الزوج.

وفي رواية: إنّ ذلك بعد [ما ادّعاه من الفرجين] أمر [أميرالمؤمنين عليه السلام] عدلين من المسلمين أن يحضرا بيتاً خالياً مع ذلك الشخص وأمر بنصب مرآتين أحدهما مقابلة الفرج الشخص والأُخرى مقابلة لتلك المرآة، فكشف عن عورته في مقابلة المرآة حيث لا يراه العدلان، وأمر العدلين بالنظر في المرآة المقابلة لها، فلمّا تحقّق العدلان صحّة دعواه اعتبر حاله بعدّ أضلاعه»[٢].

وقصّة «شابّ وجده أميرالمؤمنين عليه السلام في المسجد يبكي، فسأل عن حاله، فقال: إنّ أبي قد خرج مع هؤلاء الجماعة إلى السفر ولم يرجع، وهؤلاء يقولون: إنّه مات، وإنّي اتّهمتهم في قتله من جهة ماله.

فأمر عليه السلام بإحضارهم وإحضار شرطة الخميس وجمعهم في موضع، وأحضر واحداً واحداً فسأله عن خروجهم مع ذلك الرجل وموته في أيّ يومٍ ودفنه وغسله وكفنه بحيث لا يسمع صوته الباقون.

---

١. الارشاد، ج ١، ص ٢١٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٥٧.

٢. المناقب، ج ٢، ص ٣٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٥٨.

وعبيدالله ابن أبي رافع حاضر يكتب كلّ ما يقول، فقال الأوّل بموته وكفنه ودفنه، فأمر بإخراجه إلى باب الحبس وأمر بإحضار الآخر فسأله التفصيل كذلك، فنقل مخالفاً للأوّل في اليوم ومكان الدفن وبعض الخصوصيّات، فكتبه عبيدالله وكبّر عليه السلام جهاراً وأمر بإخراجه إلى باب الحبس، وأحضر الرابع، فظنّ من تكبيره أنّ الثاني والثالث أقرّا بالقتل، فصدّق ونقل قصّة القتل وأنّهم قتلوه في يوم كذا ودفنوه في موضع كذا، ودفنوا ماله في موضع كذا.

فأحضر الباقين وأخبرهم بالقصّة فأقرّوا جميعاً، فأمر بذهابهم مع الشابّ ولد المقتول إلى موضع المقتول فحضروه ووجدوه فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه وكشفوا عن موضع دفنوا ماله، فأخرجوه وسلّموه إلى ولده.

فقال عليه السلام للغلام: ما الّذي تريد؟ قد عرفت ما صنع القوم.

قال: أُريد أن يكون القضاء بيني وبينهم بين يدي الله وقد عفوت عن دمائهم في الدنيا.

فدرأ أميرالمؤمنين عليه السلام حدّ القتل وأنهكهم عقوبة القتل.

فقال شريح: يا أميرالمؤمنين! كيف هذا الحكم؟

فنقل عليه السلام قصّة داود أنّه رأى غلماناً يلعبون وينادون باسم واحد منهم: يا مات الدين!

فسأله عن اسمه، فقال: سمّتني أُمّي كذلك.

فذهب إلى أُمّه وسألها عن ذلك.

فقالت: إنّ أبا هذا الغلام سافر مع جماعة فرجعوا ولم يرجع معهم فسألتهم، فقالوا: إنّه مات ودفنّاه.

فسألتهم عن ماله.

فقالوا: لا مال له.

فسألتهم هل أوصى بوصيّة؟

قالوا: قال: إنّ زوجتي حامل فقولوا لها أن تسمّيها مات الدين، فما خالفته.

فقال لها داود: هل تعرفين هؤلاء؟

قالت: نعم، ودلّته عليهم، فأحضرهم وحكم بنحو هذا الحكم عليهم وثبّت عليهم الدم

واستخرج منهم المال.

وقال عليه السلام لها: يا أمة الله! سمّيه عاش الدين»[١]؛ وهذا منقول بالمعنى.

وفي «الكافي» بعد نقل قصّة الأولى، قال:

«إنّ الفتى والقوم اختلفوا في مال الفتى فأخذ أميرالمؤمنين عليه السلام خاتمه وجميع خواتيم من عنده، ثمّ قال: أجيلوا هذه السهام فأيّكم أخرج خاتمي فهو صادقٌ في دعواه، لأنّه سهم الله وسهم الله لا يخيب»[٢].

وقصّة «امرأه هوت غلاماً فدعته إلى نفسها، فامتنع الغلام، فمضت وأخذت بيضة وألقت بياضها على ثوبها، ثمّ علّقت بالغلام ورفعته إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقالت: إنّ هذا الغلام كايدني[٣] على نفسي وقد فضحني، ثمّ أخذت ثيابها فأرت بياض البيض وقالت: ماؤه على ثوبي.

فجعل الغلام يبكي ويتبرّأ ممّا ادّعته ويحلف.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام لقنبر: مر من يغلي ماء حتّى يشتدّ حرارته ثمّ لتأتني به على حاله.

فجيء بالماء، فقال: ألقوه على ثوب المرأة، فألقوه عليه، فاجتمع بياض البيض والتئم، وأمر بأخذه ودفعه إلى رجلين من أصحابه فقال عليه السلام: تطعماه وألفظاه.

فطعماه فوجداه بيضاً، فأمر بتخلية الغلام وجلد المرأة عقوبة على ادّعائها الباطل»[٤]؛ وهذا لفظ الخبر.

وقصّة «رجلين اصطحبا في سفر فجلسا يتغذّيان فأخرج أحدهما خمسة أرغفة وأخرج الآخر ثلاثة، فمرّ بهما رجل فسلّم، فقالا له: الغذاء.

فجلس يأكل معهما، فلمّا فرغ من أكله رمى إليهما ثمانية دراهم وقال لهما: هذا عوض ما

---

١. المناقب، ج ٢، ص ٣٧٩؛ بحارالأنوار، ج ١٤، ص ١١ مع اختلاف في النقل.

٢. الكافي، ج ٧، ص ٣٧٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٦٢.

٣. في البحار: كابرني.

٤. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٦٣.

أكلت من طعامكما.

فاختصما، فقال صاحب الثلاثة: هذا نصفان بيننا.

وقال صاحب الخمسة: لي خمسة ولك ثلاثة.

فارتفعا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقصّا إليه القصّة.

فقال عليه السلام: هذا أمر فيه دناءة والخصومة غير جميلة فيه والصلح أحسن.

فقال صاحب ثلاثة أرغفة: لست أرضى إلّا بمرّ القضاء.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إذا كنت لا ترضى إلّا بمرّ القضاء، فإنّ لك واحداً من ثمانية، ولصاحبك سبعة.

فقال: سبحان الله! كيف صار هذا هكذا؟

فقال له: أُخبرك، أليس كان لك ثلاثة أرغفة؟

قال: بلى. ولصاحبك خمسة؟

قال: بلى.

قال: هذه أربعة وعشرون ثلثاً؛ أكلت أنت ثمانية وصاحبك ثمانية والضيف ثمانية، فلمّا أعطاكم الثمانية كان لصاحبك سبعة ولك واحد.

فانصرف الرجلان على بصيرة من أمرهما في القضيّة»[1]؛ وهذه القصّة مسطورة في «الكافي» كما ذكرنا.

وقصّة «ستّة نفر نزلوا الفرات فتعاطوا فيها لعباً، فغرق واحد منهم، فشهد اثنان على ثلاثة منهم أنّهم غرقوه، وشهد الثلاثة على الإثنين أنّهما غرقاه، فقضى عليه بالدية أخماساً على الخمسة نفر؛ ثلاثة أخماس منها على الإثنين بحساب الشهادة عليهما وخمسان على الثلاثة بحساب الشهادة أيضاً»[2].

وقصّة من أوصى بسهم من ماله، فحكم عليه السلام بالثمن مستدلاً بآية: ﴿ **إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ**

---

١. الكافي، ج ٧، ص ٤٢٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٦٣ مع اختلاف في النقل من الكافي.

٢. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٦٥.

لِلْفُقَرَاءِ ﴾[١] وهم ثمانية، لكلّ واحد منهم سهم.

وفيمن أوصى بجزء ماله قضى عليهم بالسبع مستدلّاً بقوله تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[٢].

وفيمن أوصى بعتق كلّ عبد عتيق، فقضى بعتق كلّ عبد ملكه ستّة أشهر مستدلّاً بقوله تعالى: ﴿ كَالْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[٣] وقد ثبت أنّ العرجون إنّما ينتهي إلى الشبه بالهلال في تقويسه وضوأته بعد ستّة أشهر [من أخذ الثمرة منه].

وفي من نذر أن يصوم حيناً ولم يعيّن وقتاً بعينه، [أن] يصوم ستّة أشهر مستدلّاً بقوله تعالى: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[٤] وذلك في ستّة أشهر.

وقصّة «رجل قال له عليه السلام: إنّ بين يدي تمر فبدرت زوجتي فأخذت منه واحدة، فألقمتها في فيها، فحلفت أنّها لا تأكلها ولا تلفظها، فقال عليه السلام: تأكل نصفها وتلفظ نصفها وقد تخلّصت عن يمينك»[٥].

وقصّة «امرأة تركت طفلاً ابن ستّة أشهر على سطح، فمشى الطفل يحبو حتّى خرج من السطح وجلس على رأس الميزاب وبعد عن السطح، فجاءت أُمّه على السطح فما قدرت عليه، فجاؤوا بسُلّمٍ ووضعوه على الجدار، فما قدروا على الطفل من أجل طول الميزاب وبعده عن السطح، والأُمّ تصيح وأهل الصبيّ يبكون ـ وكان ذلك في أيّام عمر بن الخطّاب ـ فجاؤوا إليه، فحضر مع القوم فتحيّروا فيه.

فقالوا: ما لهذا إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فحضر عليه السلام، فصاحت أُمّ الصبيّ في وجهه.

---

١. التوبة: ٦٠.

٢. الحجر: ٤٤.

٣. يٓس: ٣٩.

٤. إبراهيم: ٢٥.

٥. الإرشاد، ج ١، ص ٢٢٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٦٦.

فنظر أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الصبيّ، فتكلّم الصبيّ بكلامٍ لا يعرفه أحد.

فقال عليه السلام: أحضروا هاهنا طفلاً مثله.

فأحضروه، فنظر بعضهم إلى بعضٍ وتكلّم الطفلان بكلام الأطفال، فخرج الطفل من الميزاب إلى السطح، فوقع فرحٌ في المدينة لم يُر مثله، ثمّ سألوا أميرالمؤمنين عليه السلام: علمت كلامهما؟

فقال عليه السلام: أمّا خطاب الطفل، فإنّه سلّم عليّ بإمرة المؤمنين، فرددت عليه فما أردت خطابه، لأنّه لم يبلغ حدّ الخطاب والتكليف، فأمرت بإحضار طفل مثله حتّى يقول له بلسان الأطفال: يا أخي! إرجع إلى السطح ولا تحرق قلب أُمّك وعشيرتك بموتك.

فقال: دعني يا أخي! قبل أن أبلغ فيستولي عليّ الشيطان.

فقال: إرجع إلى السطح، فعسى أن تبلغ وتجيء من صلبك ولد يحبّ الله ورسوله ويوالي هذا الرجل.

فرجع إلى السطح بكرامة الله على يد أميرالمؤمنين عليه السلام»[١].

وقصّة «جابر[٢] أنّ صوتاً عظيماً قد أخذ بجامع الكوفة، فأمر عليه السلام جابراً أن يحضره ذوالفقار، فقال له: أُخرج وامنع الرجل من ظلامة المرأة، فإن انتهى وإلّا منعته بذي الفقار.

فخرج جابر، فرأى رجلاً وامرأة تعلّقا بزمام جمل وتنازعا فيه.

فقال جابر للرجل: ينهاك أميرالمؤمنين عليه السلام عن ظلامة المرأة.

فقال: يشتغل عليّ بشغله ويغسل يده من دماء المسلمين الّذين قتلهم بالبصرة. [يريد يأخذ جملي ويدفعه إلى هذه المرأة الكاذبة].

فرجع جابر وأخبره بالخبر.

فخرج عليه السلام والغضب في وجهه، وقال: يا ويلك! خلّ جمل المرأة.

فقال: هو لي.

---

١. الفضائل، ص ٦٣؛ بحارالأنوار، ج ٤، ص ٢٦٧.

٢. في البحار: روي عن عمّار بن ياسر.

فقال عليه السلام: كذبت يا لعين!

فقال: فمن يشهد للمرأة؟

فقال عليه السلام: الشاهد الّذي لا يكذّبه أحد من أهل الكوفة.

فقال: إذا شهد بشهادته وكان صادقاً أُسلّمه إلى المرأة.

فقال عليه السلام: تكلّم أيّها الجمل! لمن أنت؟

فقال الجمل بلسان فصيح: يا أميرالمؤمنين! عليك السلام، أنا لهذه المرأة منذ تسعة عشر سنين.

فقال عليه السلام: خذي جملك، وعارض الرجل بضربة قسمه نصفين»[1].

وقصّة غلام يافع أتى عمر بن الخطّاب وقال: إنّ أُمّي جحدت [حقّي من] ميراث أبي [وأنكرتني] وقالت: إنّك لست بولدي.

فأحضر أُمّه، فقالت: إنّي بكرٌ لم يمسسني رجل، وأرشت سبع نفر من النساء كلّ واحدة بعشرة دنانير يشهدنّ بأنّها بكر لم تتزوّج ولم تعرف بعلاً، وأحضرتهنّ وشهدن بأنّها بكر لم يمسّها ذكر ولا بعل.

فقال عمر: إنّها مسألة مشكلة، لا يعرفها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيٍّ، فقوموا بنا إلى أبي‌الحسن.

فمضى الغلام وهو يقول: أين منزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام كاشف الكروب؟ أين خليفة هذه الأُمّة حقّاً؟

فجاؤوا به إلى منزل عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام كاشف الكروب ومحلّ المشكلات، فخرج عليه السلام، وأخبره الغلام بقصّته، فأمر قنبر بإحضار المرأة فأحضرها، فقال لها: ويلك! لم جحدت ولدك؟

فقالت: يا أميرالمؤمنين! أنا بكر ليس لي ولد ولم يمسسني بشر.

فقال لها: لا تطيلي الكلام، أنا ابن عمّ البدر التمام، وأنا مصباح الظلام، وإنّ جبرئيل أخبرني بقصّتك.

---

١. الفضائل، ص ٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٦٧.

فقالت: يا مولاي! أحضر قابلة تنظرني أنا بكر عاتق.

فأحضروا قابلة من أهل الكوفة، فلمّا دخلت بها أعطتها سواراً كان في عضدها وقالت: اشهدي بأنّي بكر، فخرجت وقالت: يا مولاي! إنّها بكر.

فقال عليه السلام: كذبت العجوز، يا قنبر! فتّش العجوز وخُذ منها السوار.

فأخرجه من كتفها، فعند ذلك ضجّ الخلائق.

فقال عليه السلام: أُسكتوا فأنا عيبة علم النبوّة.

ثمّ أحضر الجارية وقال لها: يا جارية! أنا زين الدين، أنا قاضي الدين، أنا أبو الحسن والحسين، إنّي أُريد أن أزوّجك من هذا الغلام المدّعي عليك فتقبليه منّي زوجاً.

فقالت: لا، يا مولاي! أتبطل شرع محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال لها: بماذا؟

فقالت: تزوّجني بولدي كيف يكون ذلك؟!

قال الإمام: جاء الحقّ وزهق الباطل، فأصلح بينهما وألحق الولد بوالدته وبإرث أبيه»[١].

وقصّة المقدّسيّ المشهور المعروف وهو شابٌّ من أهل بيت المقدّس ورد مدينة الرسول صائم النهار قائم الليل يتمنّى الناس زهده وعبادته، ويجيء إليه عمر ويسأله حاجة إليه وهو يقول: الحاجة إلى الله.

إلى أن عزم الناس حجّ بيت الله الحرام، فجاء المقدّسيّ إلى عمر وقال: يا أبا حفص! قد عزمت الحجّ ومعي وديعة أحبّ أن تستودعها منّي إلى أن أعود وهو حُقّ من عاج عليه قفل من حديد مختوم بخاتم الشابّ.

فقبلها منه وخرج الشاب مع الوفد وخرج عمر إلى مقدّم الوفد وأوصاه بالغلام وودّعه، وكان في الوفد امرأة من الأنصار فهوت المرأة ذلك الشابّ وتنزل بقربه حيث نزل، فدنت منه في بعض الأيّام وسألته على نفسها، فأبى الشابّ.

فقالت له: لئن لم تفعل ما آمرك لأرمينّك بداهية من دواهي النساء ومكرهنّ لا تنجوا منها.

---

١. الفضائل، ص ١٠٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٦٨.

فلم يلتفت إليها ولم يعبأ بها.

فلمّا كان في بعض الليالي وقد سهر أكثر ليله بالعبادة فرقد في آخر الليل وغلب عليه النوم، فأتته وتحت رأسه مزادة فيها زاده، فانتزعتها من تحت رأسه وطرحت فيها كيساً خمسمائة دينار، ثمّ أعادة المزادة تحت رأسه.

فلمّا ثوّر الوفد قامت الملعونة من نومتها وقالت: يا لله! ويا للوفد! يا وفد! أنا امرأة مسكينة وقد سرقت نفقتي ومالي، وأنا بالله وبكم.

فجلس المقدّم على الوفد وأمر رجالاً من المهاجرين والأنصار أن يفتّشوا الوفد، ففتّشوا الوفد ولم يجدوا شيئاً ولم يبق في الوفد إلّا الرجل المقدّسيّ.

فقالت المرأة: يا قوم! ما ضرّكم لو فتّشتموه فله أُسوة بالمهاجرين والأنصار، وما يدريكم أنّ ظاهره مليح وباطنه قبيح.

ولم تزل المرأة حتّى جاؤوا إليه وهو قائم يصلّي.

فقال: ما حاجتك؟

فقالوا: هذه المرأة الأنصاريّة قد سرقت مالها وقد فتّشنا رحال الوفد كلّهم وهي مصرّة بتفتيش رحلك وما نفتّش إلّا بإذنك لما سبق من وصيّة عمر بن الخطّاب.

قال: فتّشوا رحلي ما يضرّني ذلك، ثقة من نفسه، فلمّا فتّشوا المزادة الّتي فيها زاده وقع منها الهميان.

فصاحت الملعونة: الله أكبر، هذا والله! كيسي ومالي وهو كذا وكذا ديناراً، وفيه عقد لؤلؤ وزنه كذا وكذا مثقالاً.

فأحضروه فوجدوه كما قالت الملعونة، فمالوا عليه بالضرب الموجع والسبّ والشتم وهو لا يردّ جواباً، فسلسلوه وقادوه راحلاً إلى مكّة.

فقال لهم: يا وفد! بحقّ الله! وبحقّ هذا البيت! إلّا تصدّقتم عليّ وتركتموني أقضي الحجّ وأُشهد الله تعالى ورسوله عليّ بأنّي إذا قضيت الحجّ عُدت إليكم وتركت يدي في أيديكم.

فأوقع الله الرحمة في قلوبهم له، فأطلقوه.

فلمّا قضى مناسكه عاد إليهم وقال لهم: قد عُدت إليكم فافعلوا بي ما تريدون.

فقالوا: لو أراد المفارقة لما عاد إليكم.

فتركوه ورجع الوفد إلى مدينة الرسول.

فأعوزت زاد تلك المرأة الملعونة في الطريق فوجدت راعياً، فسألته الزاد بالقيمة.

فقال: عندي ما تريدين إلّا أنّي لا أبيعه إلّا أن تمكّنيني من نفسك أعطيتك.

ففعلت وأخذت منه الزاد، فلمّا انحرفت اعترضها إبليس، فقال لها: أنت حامل.

قالت: ممّن؟

قال: من الراعي.

فصاحت وافضيحتاه!

قال: لا تخافي إذا رجعت إلى الوفد قولي لهم: إنّي سمعت قراءة المقدّسيّ فقربت منه، فلمّا غلب عليّ النوم دنا منّي وواقعني ولم أتمكّن من الدفاع عن نفسي بعد القراءة وقد حملت منه وأنا امرأة من الأنصار وخلفي جماعة من الأهل.

ففعلت الملعونة ما أشار به إليها إبليس، فلم يشكّوا من قولها لما عاينوا من وجود المال في رحله، فأوجعوه ضرباً وشتماً وعادوه إلى السلسلة وهو لا يردّ إليهم جواباً، فلمّا قربوا المدينة خرج عمر بن الخطّاب ومعه جماعة للقاء الوفد ولم تكن له همّة إلّا السؤال عن المقدّسيّ.

فقالوا: يا أبا حفص! ما أغفلك عن المقدّسيّ، فقد سرق وفسق وقصّوا عليه القصّه.

فأحضره بين يديه، فقال له: يا ويلك! تظهر بخلاف ما تبطن حتّى فضحك الله، لأنكلنّ بك أشدّ النكال، وهو لا يردّ جواباً.

فاجتمع الخلق وازدحم الناس لينظروا ماذا يفعل به، وإذا بنورٍ قد سطع وشعاع قد لمع، فتأمّلوه فإذا بعيبة علم النبوّة عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

فقال: ما هذا الرهج في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقالوا: يا أميرالمؤمنين! إنّ الشابّ المقدّسيّ الزاهد قد سرق وفسق.

فقال عليه السلام: والله! ما سرق وما فسق ولا حجّ أحد غيره.

فلمّا سمع عمر كلامه قام قائماً وأجلسه في موضعه، فنظر إلى الشابّ المقدّسيّ وهو مسلسل مطرق إلى الأرض والمرأة جالسة.

فقال لها أميرالمؤمنين عليه السلام: ويلك قصّي قصّتك.

قالت: يا أميرالمؤمنين! وقصّت قصّة السرقة وقصّة المواقعة، ما تمكّنتُ من المدافعة خوفاً من الفضيحة وقد حملت منه.

فقال عليه السلام: كذبت يا ملعونة! يا عمر! إنّ هذا الشابّ لمجبوب ليس معه إحليل، وإحليله في حقّ من عاج.

ثمّ قال: يا مقدّسيّ! اين الحُقّ؟

فرفع رأسه وقال: يا مولاي! من علم بذلك يعلم أين الحُقّ.

فالتفت عليه السلام إلى عمر وقال: يا أبا حفص! أحضر وديعة الشابّ.

فأرسل عمر وأحضر الحُقّ بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام، ففتحوه وإذا فيه خرقة من حرير وفيها إحليله.

فعند ذلك قال الإمام عليه السلام: يا مقدّسيّ! قم.

فقام وجرّدوه من ثيابه فإذا هو مجبوب؛ فضجّ الناس، فأمر أميرالمؤمنين عليه السلام أن اسكتوا واسمعوا منّي حكومة أخبرني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ قال: يا ملعونة! لقد تجرّأت على الله ويلك! أما أتيت إليه وقلت كيت وكيت، ولم يجبك، فقلت له: والله! لأرمينّك بحيلة من حيل النساء لا تنجوا منها؟

فقالت: بلى يا أميرالمؤمنين! كان ذلك، وأقرّت بتركها الكيس في مزادته.

فقال عليه السلام: اشهدوا عليها.

ثمّ قال: حملك من الراعي الّذي طلبت منه الزاد وقصّ عليها قصّتها.

فقالت: صدقت يا أميرالمؤمنين!

فقصّ عليها قصّة الشيخ وتعليمه لها.

فقالت: صدقت.

فقال: أتعرفين ذلك الشيخ؟

قالت: لا.

قال عليه السلام: هو إبليس.

فتعجّب القوم من ذلك، فأمر عليه السلام أن [يصبروا حتّى تضع حملها وتجدوا من ترضعه و] تحفر لها حفيرة في مقابر اليهود وتدفن إلى نصفها وترجع بالحجارة، والمقدّسيّ لم يزل ملازماً مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى مات.

فعند ذلك قال عمر: لولا عليّ لهلك عمر ـ ثلاثاً ـ»[1] والخبر منقولٌ بالمعنى، والراوي سلمان رحمه الله.

ومنها قصّة إحياؤه الميّت الفتى وأنقله بألفاظه لما فيها من الفصاحة، ففي «البحار» مُسنداً رفعه إلى أبي جعفر ميثم التّمار إنّه قال:

كنت بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة في جماعة من أصحابه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو كأنّه البدر بين الكواكب، إذ دخل علينا من باب المسجد رجل طويل، عليه قباء خزّ أدكن وقد اعتمّ بعمامة صفراء وهو متقلّد بسيفين، فدخل وبرك بغير سلام، ولم ينطق بكلام، فتطاولت إليه الأعناق ونظروا إليه بالآماق، وقد وقف عليه الناس من جميع الآفاق، ومولانا أميرالمؤمنين عليه السلام لا يرفع رأسه إليه، فلمّا هدأت من الناس الحواسّ أفصح عن لسانه كأنّه حسام جذب عن غمده: أيّكم المجتبى في الشجاعة والمعمّم بالبراعة؟ أيّكم المولود في الحرم والعالي في الشيم والموصوف بالكرم؟ أيّكم الأصلع الرأس والبطل الدعاس والمضيّق للأنفاس والآخذ بالقصاص؟ أيّكم غصن أبي طالب الرطيب وبطله المهيب والسهم المصيب والقسم المجيب؟ أيّكم خليفة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الّذي نصره في زمانه واعتزّ به سلطانه وعظم به [شأنه]؟

فعند ذلك رفع أميرالمؤمنين عليه السلام رأسه إليه فقال: مالك يا أبا سعد بن الفضل بن الربيع بن مدركة بن نجيبة بن الصلت بن الحارث بن وعران بن الأشعث بن أبي السمّع الدوسيّ

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٧٢ مع اختلاف في النقل.

الروميّ ؟ إسأل عمّا شئت، أنا عيبة علم النبوّة.

قال: قد بلغنا أنّك وصيّ رسول الله ﷺ وخليفته على قومه بعده، إنّك محلّ المشكلات، وأنا رسول إليك من ستّين ألف رجل يقال لهم: «العقيمة» وقد حمّلوني ميّتاً قد مات من مدّة، وقد اختلفوا في سبب موته، وهو بباب المسجد، فإن أحييته علمنا أنّك صادق نجيب الأصل، وتحقّقنا أنّك حجّة الله في أرضه وخليفة محمّد ﷺ على قومه، وإن لم تقدر على ذلك رددناه إلى قومه وعلمنا أنّك تدّعي غير الصواب وتظهر من نفسك ما لا تقدر عليه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا ميثم! إركب بعيرك وناد في شوارع الكوفة ومحالّها: من أراد أن ينظر إلى ما أعطاه الله عليّاً أخا رسول الله وزوج ابنته من العلم الربّانيّ فليخرج إلى النجف.

فخرج الناس إلى النجف، فقال الإمام عليه السلام: يا ميثم! هات الأعرابيّ وصاحبه.

فخرجت ورأيته راكباً تحت القبّة الّتي فيها الميّت، فأتيت بهما النجف، فعند ذلك قال عليّ عليه السلام: قولوا فينا ما ترون منّا وارووا عنّا ما تشاهدونه منّا.

ثمّ قال: يا أعرابيّ! أبرك الجمل وأخرج صاحبك أنت وجماعة من المسلمين.

قال ميثم: فأخرجت تابوتاً وفيه وطاء ديباج أخضر، وفيه غلام أوّل ما تمّ عذاره على خدّه بذوائب كذوائب الامرأة الحسناء.

فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: كم لميّتكم؟

قال: أحد وأربعون يوماً.

قال: وما سبب موته؟

فقال الأعرابيّ: يا فتى! إنّ أهله يريدون أن تحييه ليخبرهم من قتله، لأنّه بات سالماً وأصبح مذبوحاً من أذنه إلى أذنه ويطالب بدمه خمسون رجلاً يقصد بعضهم بعضاً؛ فاكشف الشكّ والريب يا أخا محمّد ﷺ!.

قال الإمام عليه السلام: قتله عمّه، لأنّه زوّجه ابنته فخلّاها وتزوّج بغيرها، فقتله حنقاً عليه.

قال الأعرابيّ: لسنا نقنع بقولك، فإنّا نريد أن يشهد لنفسه عند أهله، لترتفع الفتنة والسيف والقتال.

فعند ذلك قام الإمام عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبيّ صلى الله عليه وآله فصلّى عليه وقال: يا أهل الكوفة! ما بقرة بني إسرائيل بأجلّ عند الله منّي قدراً وأنا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله و[إنّها] أحيت ميّتاً بعد سبعة أيّامٍ.

ثمّ دنى أميرالمؤمنين عليه السلام من الميّت وقال: إنّ بقرة بني إسرائيل ضرب بعضها الميّت فعاش، وأنا أضرب هذا الميّت ببعضي لأنّ بعضي خير من البقرة كلّها، ثمّ أهزّه برجله وقال له: قُم بإذن الله يا مدرك بن حنظلة ابن غسّان بن بحير بن فهر بن سلامة بن الطيّب بن الأشعث، فها قد أحياك الله على يد عليّ بن أبي طالبٍ.

قال ميثم التّمار: فنهض غلام أضوء من الشمس أضعافاً ومن القمر أوصافاً، فقال: لبّيك لبّيك يا حجّة الله على الأنام، المتفرّد بالفضل والإنعام!

فعند ذلك قال: يا غلام! من قتلك؟

قال: قتلني عمّي الحارث بن غسّان.

قال له الإمام عليه السلام: إنطلق إلى قومك، فأخبرهم بذلك.

فقال: يا مولاي! لا حاجة لي إليهم، والله! لا أُفارقك، بل أكون معك حتّى يأتي الله بأجلي من عنده، فلعن الله من اتّضح له الحقّ وجعل بينه وبين الحقّ ستراً، ولم يزل بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام حتّى قُتل بصفّين.

ثمّ إنّ أهل الكوفة رجعوا إلى الكوفة واختلفوا أقوالاً فيه»[1].

أقول: وفي بعض النسخ بعد قوله: «قال له الإمام إرجع إلى قومك وأخبرهم بخبرك» قال: لا حاجة لي إليهم أخاف أن يقتلوني مرّة أُخرى ولا يكون من يحييني. فالتفت الإمام عليه السلام إلى صاحبه وقال له: إمض إلى أهلك فأخبرهم بما ترى.

وفيه أيضاً عن كتاب «الفضايل» وغيره بالإسناد يرفعه إلى عمّار بن ياسر وزيد بن أرقم قالا:

كنّا بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام وكان يوم الإثنين لسبع عشر خلت من صفر، وإذا بزعقة

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٧٤.

عظيمة أملأت المسامع، وكان عليه‌السلام على دكّة القضاء.

فقال: يا عمّار! ائتني بذي الفقار.

وكان وزنه سبعة أمنان وثلثي منّ مكّيّ، فجئت به، فانتضاه من غمده وتركه على فخذه، وقال: يا عمّار! هذا يوم أكشف لأهل الكوفة الغمّة ليزداد المؤمن وفاقاً، والمخالف نفاقاً. يا عمّار! ائت بمن على الباب.

قال عمّار: فخرجت وإذا على الباب امرأة في قبّةٍ على جمل وهي تشتكي وتضجّ: يا غياث المستغيثين، ويا بغية الطالبين، ويا كنز الراغبين، ويا ذاالقوّة المتين، ويا مطعم اليتيم، ويا رازق العديم، ويا محيي كلّ عظم رميم، ويا قديم سبق قدمه كلّ قديم، ويا عون من ليس له عون ولا معين، يا طود من لا طود له، يا كنز من لا كنز له، إليك توجّهت، وبوليّك توسّلت، وخليفة رسولك قصدت، فبيّض وجهي، وفرّج عنّي كربتي.

قال عمّار: وحولها ألف فارس بسيوف مسلولة؛ قومٌ لها و[قوم] عليها، فقلت: أجيبوا أميرالمؤمنين عليه‌السلام، أجيبوا عيبة علم النبوّة.

قال: فنزلت المرأة من القبّة ونزل القوم معها ودخلوا المسجد، فوقفت المرأة بين يدي أميرالمؤمنين عليه‌السلام وقالت: يا مولاي! يا إمام المتّقين! إليك أتيت وإيّاك قصدت، فاكشف كربتي وما بي من غمّة، فإنّك قادر على ذلك وعالم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

فعند ذلك قال: يا عمّار! ناد في الكوفة: من أراد أن ينظر إلى ما أعطاه الله أخا رسول الله، فليأت المسجد.

قال: فاجتمع الناس حتّى امتلأ المسجد، فقام أميرالمؤمنين عليه‌السلام فقال: سلوني ما بدا لكم يا أهل الشام!

فنهض من بينهم [شيخ] قد شاب، عليه بردة يمانيّة، فقال: السلام عليك يا أميرالمؤمنين ويا كنز الطالبين، يا مولاي! هذه الجارية ابنتي قد خطبها ملوك العرب، وقد نكّست رأسي بين عشيرتي، وأنا موصوف بين العرب وقد فضحتني بين أهلي ورجالي، لأنّها عاتق حامل وأنا فليس بن عفريس، لا تخمد لي نارٌ ولا يضام لي جار، وقد بقيت حائراً في أمري، فاكشف

هذه الغمّة لي، فإنّ الإمام خبير بالأمر، فهذه غمّة عظيمة لم أر مثلها ولا أعظم منها.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ما تقولين يا جارية! فما قال أبوك؟

قالت: يا مولاي! أمّا قوله: «إنّي عاتق» صدق، وأمّا قوله: «إنّي حامل» فوحقّك يا مولاي! ما علمت من نفسي خيانة قطّ، وإنّي أعلم أنّك أعلم بي منّي، وإنّي ما كذبت فيما قلت؛ ففرّج عنّي يا مولاي!

قال: فعند ذلك أخذ الإمام ذاالفقار وصعد المنبر، فقال: الله أكبر! الله أكبر! ﴿ **جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾[1].

ثمّ قال: عليّ بداية الكوفة.

فجائت امرأة تسمّى «لبناء» وهي قابلة نساء أهل الكوفة، فقال: إضربي بينك وبين الناس حجاباً وانظري هذه الجارية عاتق حامل أم لا.

ففعلت ما أُمرت به، ثمّ خرجت وقالت: نعم، يا مولاي! هي عاتق حامل.

فعند ذلك التفت الإمام إلى أبي الجارية وقال: يا أبا الغضب! ألست من قرية كذا وكذا من أعمال دمشق؟

قال: وما هذه القرية؟

قال: هي قرية تسمّى أسعار؟

قال: بلى يا مولاي!

قال: ومن منكم يقدر على قطعة ثلج في هذه الساعة؟

قال: يا مولاي! الثلج في بلادنا كثير، ولكن ما نقدر عليه هاهنا.

فقال عليه السلام: بيننا وبينكم مائتان وخمسون فرسخاً؟

قال: نعم، يا مولاي!

ثمّ قال: يا أيّها الناس! أنظروا إلى ما أعطاه الله عليّاً من العلم النبويّ والّذي أودعه الله ورسوله من العلم الربّانيّ.

---

١. الإسراء: ٨١.

قال عمّار بن ياسر: فمدّ يده من أعلى منبر الكوفة وردّها وإذا فيها قطعة من الثلج يقطر الماء منها، فعند ذلك ضجّ الناس وماج الجامع بأهله، فقال عليه السلام: أُسكتوا! فلو شئت أتيت بجبالها.

ثمّ قال: يا داية! خذي هذه القطعة من الثلج واخرجي بالجارية من المسجد واتركي تحتها طشتاً وضعي هذه القطعة ممّا يلي الفرج، فترى علقة وزنها سبعمائة وخمسون درهماً ودانقان.

فقالت: سمعاً وطاعة لله ولك يا مولاي! ثمّ أخذت بها وخرجت بها من الجامع فجاءت بطست، فوضعت الثلج على الموضع كما أمرها، فرمت علقة ووزنتها الداية فوجدتها كما قال عليه السلام، فأقبلت الداية والجارية فوضعت العلقة بين يديه.

ثمّ قال: يا أبا الغضب! خذ ابنتك فوالله! ما زنت وإنّما دخلت الموضع الّذي فيه الماء فدخلت هذه العلقة في جوفها وهي بنت عشر سنين وكبرت إلى الآن في بطنها.

فنهض أبوها وهو يقول: أشهد أنّك تعلم ما في الأرحام وما في الضمائر، وأنت باب الدين وعموده.

قال: فضجّ الناس عند ذلك وقالوا: يا أميرالمؤمنين! لنا اليوم خمس سنين لم تمطر السماء علينا، وقد أمسك عن الكوفة هذه المدّة وقد مسّنا وأهلنا الضرّ فاستسق إيّانا يا وارث محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فعند ذلك قام في الحال وأشار بيده قبل السماء، فسال الغيث حتّى سقيت الكوفة غدراناً.

فقالوا: يا أميرالمؤمنين! كفينا وروينا.

فتكلّم بكلام فمضى الغيث وانقطع المطر وطلعت الشمس.

فلعن الله الشاكّ في فضل عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام»[١].

وقصّة وزن القيد الّذي عيّنه عليه السلام في زمن عمر بن الخطّاب، وذلك أنّه اجتاز عبد مقيّد على جماعة، فقال أحدهم: إن لم يكن وزن قيده كذا وكذا فامرأتي طالق ثلاثاً.

وقال الآخر: إن كان الأمر كما قلت فامرأتي طالق ثلاثاً. وذهبا إلى مولاه، فقال: امرأتي

---

١. الفضائل، ص ١٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٤، ص ٢٧٩.

طالق إن حللت قيده. فارتفعوا إلى عمر، فقال عمر: مولاه أحقّ به، فاعتزلوا نسـاءهم، ثمّ أتوا عليّاً عليه السلام وقصّوا عليه القصّة.

فقال عليه السلام: ما أهون ذلك، ثمّ أمر بجفنة وأمر أن يحطّ العبد رجله في الجفنة وأن يصبّ الماء عليها، ثمّ قال: إرفعوا القيد من الماء.

فرفع قيده وهبط الماء، فأرسل عوضه زبراً من الحديد إلى أن صعد الماء إلى موضع كان فيه مع القيد.

ثمّ قال: أخرجوا هذه الحديد وزنوه، فإنّ وزن القيد وزنه.

قال: فلمّا فعلوا ذلك وانفصلوا و حلّت نساؤهم عليهم خرجوا وهم يقولون: نـشهد أنّك عيبة علم النبوّة وباب مدينة علمه، فعلى مـن جـحد حـقّك لعـنة الله والمـلائكة والنـاس أجمعين»[١].

نقل هذه القصّة في «البحار» عن «الفضايل» و «الروضة» و «من لايحـضره الفـقيه»، ورأيتها في كتاب «الخرائج» للراونديّ و «مجموع الرائق».

وقصّة الأسود الّذي أقرّ بالسرقة أوّلاً وثانياً فأمر بقطع يده اليمنى، فأخذها بيده اليسرى ومدحه مدحاً كثيراً، فقال ابن الكوّاء: تمدحه وهو قطع يدك؟!

فقال: كيف لا أمدحه وقد خالط حبّه لحمي ودمي، وقد قطع يدي بحقٍّ أوجب الله عليه.

فورد ابن الكوّاء على أميرالمؤمنين عليه السلام وأخبره بخبره.

فقال عليه السلام: ائتني بعمّك الأسود.

فأتى به، فأخذ بيده المقطوعة وستره برداء وتكلّم بشيءٍ أوصل يده وصحّ وقال ما قال وبأبي أنت وأُمّي يا وارث علم النبوّة»[٢].

وما في «الكافي» من قصّة قومٍ وجدهم عليٌّ عليه السلام في المسجد يفطرون، فقال لهم: يهود أم نصارى؟

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٨٠.

٢. الفضائل، ص ١٧٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٨١ مع اختلاف في النقل.

قالوا: لا.

فقال لهم: مسافرون أم بكم علّة؟ أيّ دين؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وأمّا محمّد فلا نعرفه! رجل دعى الناس إلى نفسه.

فأمر لهم بحفيرة وقتلوهم بالدخان، فسار بفعله الركبان وتحدّث به الناس.

فبينا ذات يوم في المسجد قدم يهوديّ في عدّة من أهل بيته من أهل يثرب قد أقرّوا له بأنّه أعلمهم وأوحدهم، وكذلك كانت آباؤه من قبل، ووقفوا على باب المسجد واستأذنوا الدخول، أو يخرج إليهم، فخرج عليه السلام إليهم، فقال لهم عظيمهم: ما هذه البدعة الّتي أحدثت في دين محمّدٍ؟

فقال عليه السلام: وأيّ بدعة؟

فقال: قتلت بالدخان قوماً شهدوا أن لا إله إلّا الله ولم يقرّوا بمحمّدٍ.

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: نشدتك بالتسع آيات الّتي أُنزلت على موسى بطور سيناء، وبحقّ الكنائس الخمس القدس، وبحقّ الصمد الديّان هل تعلم أنّ يوشع بن نون وصيّ موسى بن عمران أُتي بقوم أقرّوا بأن لا إله إلّا الله ولم يقرّوا بموسى، ففعل بهم ما فعلت بهؤلاء؟

فقال اليهوديّ: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّك وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وأنّك أولى الناس بالناس بعد محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلّ وبايعوا أميرالمؤمنين عليه السلام ودخلوا المسجد.

فقال أميرالمؤمنين: الحمد لله الّذي لم أكن عنده منسيّاً، وأثبت إسمي في صحيفة الأبرار»[1].

والخبر منقول بالمعنى ملخّصاً.

وما رواه في «الكافي» أيضاً أنّه أتت أميرالمؤمنين عليه السلام امرأة وقالت: طهّرني! فإنّي زنيت.

فقال له: ذات بعل أم غير ذات بعل؟ حاضر أم غائب؟

فقالت: ذات بعل وبعلي حاضر.

فقال عليه السلام: إذهبي وضعي ما في بطنك، ثمّ ائتيني حتّى أحكم عليك.

---

١. الكافي، ج ٤، ص ١٨١؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٦٠ مع اختلاف في النقل.

فذهبت وجاءت بعد وضعها وقالت مثل ما قالت الأوّل.

فتجاهل عليه السلام وقال: لعلّك لم يكن لك بعل، أو بعلك غائب.

فأقرّت أيضاً بمثل ما أقرّت أوّلاً، ثمّ قال عليه السلام لها: إذهبي وأرضعي ولدك حولين ثمّ ائتيني.

فذهبت وجاءت بعد الفطام وقالت مثل ما قالت أوّلاً وثانياً.

فتجاهل عليه السلام أيضاً وأقرّت ثالثة بما أقرّت أوّلاً وثانياً. فقال عليه السلام لها: إذهبي واكفلي ولدك حتّى يعقل أن يأكل ويشرب ولا يتردّى من سطح ولا يتهوّر في بئر.

فذهبت وقالت: اللهمّ أُشهدك أنّي أتيت وليّك ليطهّرني وقد خفت أن يأتي عليّ الموت ولم يقم عليّ الحد ولم يطهّرني.

فسمعه عمرو بن حريث واستخبر منها قصّتها.

فقال: إرجعي إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فإن أراد من يكفل ولدك فأنا أكفله، وأتى بها إلى أميرالمؤمنين عليه السلام. فظهر منه الغضب، فقال: ما بالك؟

فأقرّت رابعة.

فقال عمرو: قلت: إنّي أتكفّله إن كنت تحبّ ذلك وإن كرهته فلك، قل لها بحكمك أن تتكفّلها.

فقال عليه السلام: أبعد أربع شهادات؟ وصعد المنبر وقال: يا قنبر! ناد في الناس الصلاة جامعة.

فنادى واجتمع الناس حتّى غصّ المسجد بأهله، فقال عليه السلام بعد الحمد والصلاة: أيّها الناس! إنّ إمامكم خارج بهذه المرأة إلى هذا الظهر ليقيم عليها الحدّ، فعزم عليكم أن تخرجوا متنكّرين ومعكم أحجاركم لا تتعرّف منكم أحد إلى أحد حتّى تنصرفوا إلى منازلكم، ثمّ نزل عليه السلام.

فلمّا أصبح الناس بكرة خرج بالمرأة وخرج الناس متنكّرين متلثّمين بعمائمهم وبأرديتهم والحجارة في أرديتهم وأكمامهم حتّى انتهى بها إلى ظهر الكوفة.

فأمر عليه السلام بحفيرة يحفر لها ثمّ دفنها، ثمّ ركب عليه السلام بغلته وأثبت رجليه في غرر الركاب، ثمّ نادى بأعلى صوته: يا أيّها الناس! إنّ الله تبارك وتعالى عهد إلى نبيّه عهداً عهده محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم

إليّ بأنّه لا يقيم الحدّ من الله من عليه حدّ؛ فمن كان لله عليه مثل ما عليها فلا يقيم عليها الحدّ.

قال الراوي: فانصرف الناس كلّهم ما خلا أميرالمؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحدّ وما معهم غيرهم.

قال: فانصرف فيمن انصرف محمّد بن أميرالمؤمنين عليه السلام»[1]، انتهى ملخّصاً [والخبر منقول] بالمعنى.

وقصّة ما رواه في «الكافي» في رجل نظير ذلك، فجاء وأقرّ بالزنا أربع مرّات إلّا أنّه عليه السلام في الرابعة غضب وقال: ما أقبح الرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش، فيفضح نفسه على رؤوس الملأ! أفلا تاب في بيته، فوالله! لتوبته فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحدّ.

وأخرجه وقال نظير ما في الخبر السابق، فانصرف الناس كلّهم وما بقي سواه والحسن والحسين عليهما السلام، فرماه بنفسه ثلاثة حجارات مع ثلاث تكبيرات، وفعل مثل فعله الحسن والحسين عليهما السلام، فمات وصلّى عليه ودفنه»[2].

ونقل أخبار كثيرة في «الكافي» في قومٍ قالوا لعليٍّ عليه السلام: أنت ربّنا وأنت هو، فأخافهم بالقتل وأن يتوبوا، فلم يتوبوا، فأمر لهم ببئر وقتلهم بالدخان.[3]

وفي الكافي أيضاً إنّه أتى رجل مع غلام حاجّاً، فأذنب فضربه مولاه، فادّعى الغلام لمولاه أنّك عبدي، وتشاجرا حتّى أتيا الكوفة عند أميرالمؤمنين عليه السلام، فأقاما على التداعي كلّ واحد على الآخر بأنّه عبده، فقال عليه السلام: اصطحبا في هذه الليلة واصطلحا ولا تجيئاني إلّا بالحقّ.

فلمّا أصبح قال أميرالمؤمنين عليه السلام لقنبر: أُثقب في الحائط ثقبتين.

فجاء الرجلان واجتمع الناس، فقال لهما: أدخلا رأسكما في هذين الثقبتين، ففعلا، ثمّ قال: يا قنبر! عليّ بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله عجّل أضرب رقبة العبد منهما.

---

١. الكافي، ج ٧، ص ١٨٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٩٢.

٢. الكافي، ج ٧، ص ١٨٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٩٢ مع اختلاف في النقل.

٣. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣٠١.

فأخرج الغلام رأسه مبادراً ومكث الآخر في الثقب.

فقال عليه السلام: عليّ بالغلام، ألست تزعم أنّك لست بعبدٍ؟

قال: بلى، ولكنّه ضربني وتعدّى عليّ، فقلت ذلك»[١].

وروى فيه «قصّة اليتيمة القيّمة لرجل غاب كثيراً عن زوجه، فلمّا بلغت اليتيمة خافت امرأته أن يزوّجها زوجها وكان غائباً عنها، فجمعت نساء من جواريها وأعطتهنّ مالاً أمسكنها وفضّت بكارتها بإصبعها.

فلمّا أتى زوجها رمت الجارية اليتيمة بالفجور وأقامت عليها جواريها اللاتي أمسكنها، فرفعها إلى عمر فلم يدر كيف ذلك.

فحضر عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وعرض عليها قصّتها، فأحضر عليه السلام زوجة الرجل واللّاتي شهدت لها من جواريها وجمعهنّ في موضع وأحضر بين يديه زوجة الرجل، فوعظها وطلب منها الصدق وسيفه حاضر بين يديه، فأقامت على ما قالت.

فقال عليه السلام بحبسها في بيتٍ وأحضر بين يديه إحدى النسوة اللّاتي قد شهدن لها، فقال عليه السلام: تعرفيني أنا عليّ بن أبي‌طالب وهذا سيفي وقد قالت امرأة الرجل ما قالت ورجعت إلى الحقّ، فأعطيتها الأمان وإن لم تصدّقيني لأُمكّننّ السيف منك.

فالتفتت إلى عمر وقالت: يا أميرالمؤمنين! الأمان على الصدق.

فقال [لها] عليّ عليه السلام: لك الأمان، فأتيني بالصدق.

فنقلت القصّة كما وقعت من أوّلها إلى آخرها، فقال: الله أكبر! الله أكبر! أنا أوّل من فرّق [بين] الشهود إلّا دانيال النبيّ، وألزمهنّ عليّ عليه السلام بحدّ القاذف وألزمهنّ جميعاً العقر وجعل عقرها أربعمائة درهم، وأمر المرأة أن تنفى من الرجل ويطلّقها زوجها وزوّجها الجارية.

فسأل عمر عن قصّة دانيال، فأعلمه بقصّة القاضيين ودانيال النبيّ والملك ووزيره»[٢]، انتهى ملخّصاً [والخبر منقول] بالمعنى.

---

١. الكافي، ج ٧، ص ٤٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣٠٨ مع اختلاف في النقل.

٢. الكافي، ج ٧، ص ٤٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣٠٩.

في الكافي أيضاً: «إنّ رجلاً قال لرجل على عهد أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّي احتلمت بأُمّك.

فرفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وعرض القصّة، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: إن شئت أقمته في الشمس، فأجلد ظلّه، فإنّ الحلم مثل الظلّ، ولكنّا سنضربه حتّى لا يعود يؤذي المسلمين.

وفي روايةٍ أُخرى: ضربه ضرباً وجيعاً»[١].

إلى غير ذلك من قضاياه الغريبة وأحكامه العجيبة، وكتب أخبارنا ـ ولا سيّما أُصولنا الأربعة المعتبرة إجماعاً ـ مشحونة منها، ولا نطيل الكلام بإيرادها، وكلّها كاشفة عن غزارة علمه عليه السلام وأنّه أعلم من كان ومن يكون بعد النبيّ المختار ـ صلوات الله عليهما ـ، وعلمه بالمغيّبات نوعاً.

وهذا المعنى ممّا يدلّ كلّها عليه بحدّ التواتر كتواتر نوع المعجزة عن الأنبياء وإن لم يكن كلّ واحد منها متواتراً بل ولا معلوماً، وما ذكرناه أقلّ من عشر عشير ما علمناه وذكرناه، وما علمناه عشر معشار ما لم نعلمه.

ولا ريب أنّ العلم فضيلة يستحقّ صاحبه الأفضليّة ممّن لا يبلغ مبلغه، ومع أنّ الفضل بالعلم ضروريّ عند كلّ من يعلم وهو الفارق بين الإنسان والحيوان، يدلّ عليه آيات من القرآن وشواهد كثيرة من الأخبار والآثار؛ أمّا الأخبار فقد عرفتها، وأمّا الآيات:

فقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلأَلْبَابِ ﴾[٣].

وقوله تعالى في قصّة آدم عليه السلام وقد قالت الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلأَسْمَاءَ

---

١. الكافي، ج ٧، ص ٢٦٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٣١٣.

٢. يونس: ٣٥.

٣. الزمر: ٩.

كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّماواتِ وَٱلأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[١].

فنبّه الله ـ جلّ جلاله ـ الملائكة على أنّ آدم أحقّ بالخلافة منهم، لأنّه أعلم منهم بالأسماء وأفضلهم في علم الأسماء.

وقال تقدّست أسمائه في قصّة طالوت: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَٱللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

فجعل جهة حقّيّته في التقدّم عليهم ما زاده الله من العلم لبسطة في العلم والجسم واصطفاه على كافّتهم بذلك.

وهذه الآيات موافقة لدلائل العقول في أنّ الأعلم أحقّ بالتقدّم وأفضل من غيره، ويذعن ويسلّم له غيره من العرف إذا رأوا منه آثار العلم لقبح ترجيح المرجوح على الراجح.

وما أظنّك شاكّاً بعد جميع ما نقلناه من أصناف الأخبار الّتي أشرنا إلى كلّ صنفٍ منها وكلّ صنف منها يزيد عن الاستفاضة وربّما يبلغ حدّ التواتر أنّه عليه السلام أفضل من جميع من سواه بعد النبيّ المختار ـ صلوات الله عليه ـ من الملك الجبّار ما دامت الليل والنهار.

مضافاً إلى ما نجدها منه في زهده وورعه وتقواه وكثرة عبادته وصلاته وصيامه وجهاده وإنفاقه وإيثاره ويقينه وخوفه وسخاوته وشجاعته وكرمه وخضوعه وخشوعه. وبالجملة، استجماعه لجميع الكمالات النفسانيّة وحيازته لكافّة الأخلاق المرضيّة والملكات الحسنة.

فلا أظنّك شاكّاً في أنّه أفضل جميع الخلايق بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وإذا ثبت فيه عليه السلام ثبت لسائر

---

١. البقرة: ٣٠ ـ ٣٣.

٢. البقرة: ٢٤٧.

الأئمّة عليهم السلام إنّ أنوارهم وأرواحهم وطينتهم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض، وبعدم القول بالفصل، وبما وجدنا من علومهم وصفاتهم وملكاتهم وأخلاقهم ممّا صدّقه المخالفون فضلاً عمّن يقولون بإمامتهم.

هذه قطرة من بحار ما أدركنا من فضائلهم ومناقبهم، وقد ثبت بذلك لنا أفضليّتهم عمّا سواهم من المخلوقات عامّة، كما أثبتنا ذلك بأنّهم أوّل ما خلق الله، وأنّهم علّة غائيّه لما سواهم، وأنّهم أفضل من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين، كما أثبتنا ذلك بالأخبار المتواترة معنى ممّن ثبت عصمتهم وطهارتهم بنصّ القرآن المبين.

وأمّا القرآن، فلو قلنا بأنّه قديم راجع إلى صفات الله الذاتيّة ـ كما قالته الأشاعرة ـ وهذا مثبت لأفضليّته بالنسبة إلى الإمام عليه السلام، بل لا نسبة بينهما، لأنّه راجع إلى الخالق الواجب تعالى وجوده، ولا نسبة بينه وبين مخلوقه.

ولمّا ثبت بطلان هذا المطلب الشنيع الّذي ينافي الإسلام والتوحيد وقلنا بأنّه مخلوق، إذ ليس بخالق قطعاً ـ كما ذهب إليه عامّة العدليّة الموحّدة وجماعة الإثنى عشريّة المحقّة ونطقت عليه أخبارهم وانعقد عليه إجماعهم ـ فلا طريق لنا في إثبات أفضليّته بالنسبة إلى الإمام؛ لأنّ أفضل أفراده ما في اللوح بأيّ معنى كان من كونه مخلوقاً نورانيّاً، أو مَلكاً، أو في حقيقة جبرئيل وميكائيل وهذا القرآن الّذي قال تعالى في حقّه ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[1]، ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[2] فهذا أفضل أفراده، وهذا مع أنّه لا يكون مخلّفاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يكون محلّ ابتلاء أُمّته الّذين أوصاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسّك به، فقد أثبتنا أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من العرش والكرسيّ والسماوات واللّوح والقلم ومن ميكائيل وجبرئيل وسائر الملائكة المقرّبين بالأخبار الخاصّة في ذلك البالغة حدّ التواتر، الغنيّة عن ملاحظة السند والاعتبار، فكيف بسائر أفراده، خصوصاً ما هو محلّ ابتلاء الناس ممّا أوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فهو لا يكون إلّا ما بين الدفّتين، أو المحفوظ في صدور الحفّاظ، أو في

---

١. المطفّفين: ٢٠ و٢١.

٢. الواقعة: ٧٩.

قرائة الناس وكلّها ممّا لا يحوم حوله شكّ في أنّه مخلوق لا يبلغ شرفه وفضله فضل الإمام عليه السلام؛ فإنّ مابين الدفّتين مركّب من كاغذ ومداد وجلد ونحو ذلك وفيها ثابت نقوش من مدادٍ أو غيره يحكي ما أوحى الله تعالى به رسوله الصادق الأمين وكذلك ما في صدور الحفّاظ ولسان القرّاء.

فلا أدري ما يقول المفضّل للقرآن على عليٍّ عليه السلام وإنّ ما في الدفّتين أفضل منه، أو ما في صدور الناس أفضل منه.

فإن قال ذلك فذا أمر عجيب وقول غريب، وقد عرفت الجواب عن عامّة شبهاته واستدلالاته وذكرنا وجوهاً عديدة في معنى الأكبريّة، وأنّ المراد منها أحد تلك الاحتمالات الغير المنافية لأفضليّتهم من القرآن، وإنّما ذكره من معنى الأكبر أيضاً مجاز ولا يصار إليه من دون قرينة صارفة والقرينة مفقودة.

مضافاً إلى ما عرفت من أنّ التعبير بالأكبريّة في أخبار كثيرة وعدم التعبير في شيء منها بالأفضليّة والأشرفيّة فيه، دلالة على عدم إرادة الأشرفيّة والأفضليّة، مع أنّ اللفظ المأنوس المعبّر عن هذا المعنى هو الأشرف والأفضل، بل الأدلّة الّتي ذكرناها قرينة على إرادة أحد تلك الوجوه الّتي ذكرناها.

فإن قلت: ما ذكرت من الوجوه أيضاً احتمالات فمن أين لك اليقين ينفي احتمال ذكره صاحب الرسالة وإرادة أحد هذه الوجوه؟

قلت: مع أنّه المدّعي المستدلّ ويكفينا الاحتمال وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال وعليه الإثبات أنّ القرينة المعيّنة لإرادة أحد هذه الاحتمالات هي الأخبار الكثيرة المتواترة بالمعنى الّتي يكون القدر المشترك من الكلّ أفضليّة الإمام بعد النبيّ المختار عمّا سوى الملك الجبّار، أو لا تكون تلك الأخبار الكثيرة كافية في إرادة أحد هذه الوجوه الغير المنافية لأفضليّتهم وصارفة عن الوجوه المنافي.

بل نقول: لو كان المعنى الّذي ذكره صاحب الرسالة للأكبريّة معنى حقيقيّاً وضعيّاً ثابتاً حقيقتها فيه لكانت هذه الأخبار كافية في الصرف عن المعنى الحقيقي وإرادة المعنى المجازيّ

الغير النافي لأفضليّتهم فضلاً عن كون ذلك المعنى من المعاني المجازيّة قطعاً للأكبر والأصغر ولا يصار إليه ولا يحمل عليه إلّا مع وجود القرينة، وما جعله قرينة من عدم إمكان إرادة المعنى الحقيقيّ من أكبريّة الجسم لا يعيّن إرادة المعنى المجازيّ الّذي ذكره من الأكبريّة بحسب الشّأن والفضل والشرف، فلعلّ المراد أحد الوجوه الخمسة أو غيرها ممّا ذكرناه واحتملناه في صدر الرسالة، وربّما يجيء الإشارة إلى ما لم نذكرها أيضاً.

والحاصل، أنّ القرينة في المجاز لابدّ أن يكون صارفة ومعيّنة كـ« يرمي » في قولك: « رأيت أسداً يرمي »، والقرينة الصارفة الصرفة لا يكفي في صحّة الاستعمال المجازيّ، والمعاني الّتي ذكرنا تكفي في تعيين المراد أحدها تلك الأخبار الغير المحصورة الدالّة على أفضليّتهم ممّا سواهم بعد النبيّ المختار، فما ذكره صاحب الرسالة وأصرّ عليه كلّ الإصرار من صدر الرسالة إلى آخرها من دلالة هذه الأخبار المتواترة على أفضليّة القرآن منهم عليهم السلام وشنّع على مخالفيه كلّ التشنيع، قد عرفت ـ بحمد الله ـ فساده، وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار شناعة ما ذهب إليه من أنّه مفضول بالنسبة إلى مابين الدفّتين من هذا القرآن الّذي بأيدينا اليوم، وظهر ـ بحمد الله ـ نهاية الظهور أظهر من النور على الطور أفضليّتهم بالنسبة إلى ما سواهم سوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وليته اكتفى بهذا القدر من الشناعة والخطاء الموجب للفصاحة، فإنّه خطاء في الرأي وله صورة علميّة ووجه استدلاليّ من أخذ الأخبار المتواترة في تخلّف الثقلين وتصريح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بعضها بأنّ الأكبر كتاب الله والأصغر أهل بيتي، وأخطأ في معنى الأكبر والأصغر، ولولا الأخبار الكثيرة المتواترة في أفضليّتهم عمّا سوى الله تعالى بعد النبيّ المختار لكان لما ذكره وجه، مع أنّ الفطرة الشيعيّة والطينة الإثنى عشريّة الحقّة المحقّة يأبى عن تفضيل شيء من المخلوقين بالنسبة إليهم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي هو النقطة المركزيّة وأصل الشرافة الإلهيّة.

ولكنّه من جهة قصر باعه في الأخبار المعصوميّة والآثار التفضيليّة ضلّ الطريق وضاع عن الحقّ والتحقيق، وأكّد هذه الغمّة وزاد في الطنبور نغمة، فأنكر أكثر فضائل أهل بيت

العصمة وجعلهم كعلماء الأُمّة، غاية الأمر أنّه رئيسهم وأعلم منهم بالأحكام العامّة، فإنّه أنكر كونهم علّة غائيّة وأنّهم أوّل صادر عن الخالق، وأنكر كونهم عين الله الناظرة، وأذن الله الواعية، ويده الباسطة، ووجه الله الّذي يؤتى منه، وأنكر علمهم بالغيب وبما في الضماير المكنونة، وأنكر إحياءهم وإماتتهم بإذن الله، وأنكر وجودهم في عالم الأنوار قبل الأرضين والسماوات وقبل آدم وحوّاء، وأنكر كونهم أكبر حجّة الله على خلقه، وكونهم شاهداً على كلّ غائب، وحجّة على كلّ جاحد، وأنّهم الطريق المستقيم إلى كلّ خير، والصراط الممدود بين الجنّة والنار، وأنكر قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا وعليّ عليه السلام من نور واحد»[١] و«خلق الله روحي وروح عليّ من قبل أن يخلق الخلق بألفي عام»[٢] ونحو ذلك من فضائلهم ومناقبهم الواردة في الأخبار الكثيرة في الأُصول المعتبرة والكتب المعتمدة المتكثّرة.

وأُقسم بالله صادقاً، أنّ هذا العبد القليل البضاعة علماً وعملاً وكتاباً وفرصةً لقادر على أن أثبت كلّ واحد من هذه العناوين الّتي ذكره وأنكره من مائة طريق من الكتب المعتبرة والأُصول المعتمدة، بل أكثرها مسطورة في الكتب المتداولة الّتي اشتهرت بالأُصول الأربعة للشيعة الإثنى عشريّة وأكثرها واردة في الزيارات والأدعية المعتبره المتداولة بين الزائرين من العلماء العاملين المتلقّاة بالقبول بين العلماء والفقهاء كالزيارة الجامعة الكبيرة المعروفة، وزيارة أميرالمؤمنين عليه السلام الّتي نقلها صفوان عن الصادق عليه السلام مع زيارة عاشورا، والدعاء المعروف بالعلقمة، وزيارات صاحب الزمان، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وخطب «نهج البلاغة» عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، والكتب الّتي كتبها عليه السلام.

ولعمري إنّي على عجب من أمر صاحب الرسالة وغفلته أو لا قرء الزيارة الجامعة الكبيرة المنقولة في «الفقيه» و«التهذيب» في عمره مرّة؟ وإذا قرء كيف غفل عن التأمّل في فقراتها مثل قوله: «وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل

---

١. بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١١.

٢. بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٤٣.

الدنيا والآخرة والأُولى»[١].

والمراد بالأُولى ظاهر أنّه مقابل الآخرة من عالم الأوّل قبل عالم الدنيا وهو عالم الأنـوار والملائكة الأبرار والقدّوسيّين والكرّوبيّين، ولا أقلّ من شمولها أهل الدنيا للنبيّين والمرسلين.

فلو تأمّل وعلم معنى حجّة الله على جميع الأنبياء والمرسلين سوى خاتم النبيّين لما قال ما قال، ولا أنكر ما أنكر.

وما معنى المثل الأعلى بالمعنى المتبادر والعرفيّ منه؟ وكذلك قوله: «حفظة سرّه الله وحملة كتاب الله»[٢]؟

أوما يدلّ حفظهم لأسرار الله وعلمهم بكلّ شيء في كتاب الله الّذي لا رطب ولا يابس إلّا فيه بعلمهم بالغيب وما في ضمائر الناس؟

أوما قرأ قوله: «واصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيبه واختاركم لسرّه واجتباكم بقدرته»[٣].

أي: جعل قدرته فيكم كما أنّ جعل علمه وسرّه وغيبه فيكم، «واجتباكم لنوره وأيّدكم بروحه ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريّته وحفظة لسرّه وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته»[٤].

وكذلك قوله عليه السلام: «وشهداء على خلقه»[٥] أم زعم أنّ كونهم حجّة أو شهداء مخصوصة بأُمّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّه عليه السلام صرّح في هذه الزيارة بأنّهم شهداء دار الفناء.

العيّاشي عن الكاظم عليه السلام في قوله: ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾[٦] قال: «نشهد للرسل

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٢؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٢٧.
٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٢؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٤٨.
٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٢٧.
٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٢٩.
٥. نفسه.
٦. آل عمران: ٥٣.

على أُمّهم»[١].

وقد عرفت وتعرف مفصّلاً في إثبات الولاية الكلّيّة لهم أنّهم حجّة الله على أهل الدنيا والآخرة، بل على أهل العوالم قبل عالم الدنيا، كما ورد في أخبار مفصّلة مفسّرة كثيرة أُخرى.

أوما قرء قوله: «وإياب الخلق إليكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم»؟[٢] أم قرء وزعم أنّ إياب الأُمّة المخصوصة إليهم وحسابهم عليهم، مع أنّه خلاف ظاهر الخلق عمومه؟

وكذلك قوله: «أنتم السبيل الأعظم والصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء والرحمة الموصولة والآية المخزونة والأمانة المحفوظة»[٣].

فإنّ الظاهر من شهداء دار الفناء أنّهم شهداء على عامّة أهل دار الفناء الّذين منهم النبيّين والمرسلين الّذين قبلهم.

وظاهر «الأمانة المحفوظة»[٤] الأمانة المعروضة على السماوات والأرضين وجميع المخلوقين، وهي ولايتهم العامّة المفروضة على عامّة المكلّفين حتّى النبيّين والمرسلين والملائكة المقرّبين من السابقين واللاحقين، كما نطقت به الأخبار المستفيضة بالنسبة إلى عامّة الأنبياء والمرسلين كالنبوّة العامّة أي: يجب على عامّة الخلق من لدن آدم إلى الخاتم الإقرار بالنبوّة لخاتم النبيّين، وأنّه أفضلهم وقائدهم وحجّتهم.

وكذلك المعنى في الولاية العامّة وسيأتي في هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ تفسير آخر للأمانة المعروضة.

ولقد صرّح بذلك في هذه الزيارة المباركة حيث أنّه بعد أن ذكر الفقرات من قوله: «سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضلّ من فارقكم، وفاز من تمسّك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدّقكم، وهُدي من اعتصم بكم، من اتّبعكم فالجنّة مأواه،

---

١. المناقب، ج ٤، ص ٢٨٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٣٣٦.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٢٩.

٣ و ٤. نفسه.

ومن خالفكم فالنار مثواه، ومن جحدكم كافر»[١]... إلى آخر الفقرات؛ أتبعها بقوله: «أشهد أنّ هذا سابقٌ لكم فيما مضى، وجارٌ لكم فيما بقي»[٢].

فإنّ هذا إشارة إلى ما أثبته لهم من الولاية العامّة وآثارها، فشهد أنّ هذه الولاية العامّة ثابت لهم فيما مضى من الزمان وجار لهم فيما بقي من الدهر إلى يوم القيامة.

ثمّ قال: «وأنّ أرواحكم»[٣] ـ أي: أشهد أنّ أرواحكم ـ «ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض»[٤].

فإذا قرأ هذا وفهمه كيف أنكر رواية:

«إنّ أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد»[٥]، فإنّه بعد وحدة النور والروح والطينة كلّهم واحد، ويُصدّقها قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا من عليّ وعليٌّ منّي»[٦] و«حسين منّي وأنا من حسين»[٧].

أوما قرء قوله عليه السلام: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتّى منّ علينا بكم»؟[٨].

وإن قرء وفهم كيف أنكر خلقهم قبل آدم وقبل عامّة الخلق، فإنّ قوله: «خلقكم الله أنواراً»[٩]... إلى آخره ظاهر ـ بل صريح ـ في أنّ خلق أنوارهم قبل خلق الخلائق؟

أوما قرء «فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرّمين وأعلى منازل المقرّبين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق»[١٠].

فإنّ معناه الظاهر أنّ محلّهم ومنزلتهم ودرجتهم أشرف وأعلى وأرفع من عامّة المكرّمين وكافّة المقرّبين وجميع النبيّين والمرسلين، وأكّد ذلك بقوله: «حيث لا يلحقه لاحق»[١١] أي: لا يبلغ منزلتكم ودرجتكم أحد ممّن مضى وممّن غبر.

---

١ ـ ٥. نفسه.

٦. تأويل الآيات، ص ٢٣٢.

٧. كامل الزيارات، ص ٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٢٦١.

٨. بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٢٩.

٩ ـ ١١. نفسه.

بل أكّد ذلك بقوله المؤكّد بما هو نصّ فيه بقوله عليه السلام بعد ما مضى: «حتّى لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا صدّيق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنيّ ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبّار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلّا عرّفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلّكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصّتكم لديه».

وفيه إشارة بسبق وجود أنوارهم وأخذ الميثاق على ولايتهم، كما أشرنا إليه بأبي هم وأمّي.

وبعد هذا التأكيد الأكيد والتشديد الشديد والتصريح الصريح بعدم استثناء أحد وشيء؛ هل يبقى شكّ وشبهة في أنّهم أفضل من جميع ما خلق الله ومن خلق الله؟ خرج شخص واحد مركز دائرة الخلق كلّهم هو نفس محمّد صلى الله عليه وآله بالدليل والقطع، فبقي الباقي من غير شبهة.

ولو قرء صاحب الرسالة وعرف معنى قوله عليه السلام: «من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجّه إليكم»[١] لا ينكر كونهم وجه الله الّذي يُؤتى منه.

ولو لم يكن كذلك فما معنى قولك في الدعاء قبل كلّ صلاة: «اللّهمّ إنّي أتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرحمة وآله محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار الأئمّة الأبرار»؟[٢].

وما معنى قول الحجّة بقيّة الله في أرضه في التوقيع المبارك الّذي ظهر بيد محمّد بن عبدالله الحميريّ في زيارته عليه السلام، فقال عليه السلام: «فإذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا كما قال الله سبحانه: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾[٣]»[٤]... إلى آخر الزيارة المسطورة في كتب الزيارات.

والمعنى الظاهر للفقرات الثلاث: من أراد معرفة الله بدأ بمعرفتكم، لأنّه تعالى لا يعرف

---

١. نفسه.

٢. بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ٢٤٧.

٣. الصافّات: ١٣٠.

٤. الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٩٢؛ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ١٧١.

بالكنه والذات فلا يعرف إلّا بالصفات وهم الصفات العليا ومظاهر صفاته وأسمائه؛ فمن عرفهم عرف الله. «ومن وحّده قبل عنكم»[١] يعني: من قال بتوحيد الله تعالى قاله بتعليمكم، فإنّ توحيده ـ أيضاً ـ لا يُعرف إلّا بهم وبتعليمهم.

«ومن قصده توجّه بكم»[٢] أي: قصد الله لحاجة من حاجات الدنيا والآخرة توجّه بكم إلى الله، وإلّا لا تقضى حاجته، كما لا يقبل الله توبة آدم عليه السلام إلّا بالتوجّه إليكم والتوسّل بهم، كما ورد في روايات مستفيضة[٣] في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾[٤].

مضافاً إلى ما ورد في الكلمات التامّات وكذا غيره عليه السلام من سائر الأنبياء في سائر الموارد، كما ورد في كثير من الروايات المعتبرة.

ولابدّ أن تعلم أنّ الأفعال المذكورة في الفقرات الثلاث فعل ماضٍ ومن جهة الوقوع في الجملة الشرطيّة المبتدئة بالموصولة الدالّة على العموم دالّة على الدوام والثبات بالنسبة إلى الماضي والمستقبل، فمعناها: من أراد الله من لدن آدم إلى الخاتم بدء بكم، ومن وحّده قبل عنكم من آدم إلى الخاتم، ومن قصده توجّه بكم من آدم إلى الخاتم، فدلّ على أنّ عامّة النبيّين والمرسلين والشهداء والصالحين والصدّيقين كان معرفتهم لله بمعرفتهم وتوحيدهم له تعالى بتعليمهم وقضاء حاجاتهم بالتوجّه إليهم ـ صلوات الله عليهم ـ، وعلى طبق هذه المعاني قد وردت أخبار كثيرة مستفيضة في موارد متشتّتة لا نطيل الكلام بذكرها؛ هذا هو المعنى الظاهريّ الّذي يفهمه العامّة، كما عرفت.

وتعرف تعليمهم للملائكة في أوّل خلقتهم التهليل والتسبيح وهو التوحيد والتنزيه، كما قد ورد: «لولانا ما عُرِف الله وما عُبِد الله» وقوله عليه السلام: «فبكم فتح الله وبكم يختم [الله، خ ل]

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٣١.

٢. نفسه.

٣. لاحظ! تفسير نورالثقلين، ج ١، ص ٦٧.

٤. البقرة: ٣٧.

وبكم ينزّل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه وبكم ينفّس الهمّ وبكم يكشف الضرّ »[١].

والمعنى الظاهريّ لهذه الفقرات: أنّ الله بدء بخلقكم قبل خلق الخلائق كلّها، كما وردت في الروايات المستفيضة، بل المتواترة السابقة بأنّهم أوّل ما خلق الله، لأنّهم العلّة لخلق العالم والغاية لكلّ خلق.

أو المعنى: أنّ الله فتح بكم جميع الفيوضات والخيرات يعني أنّكم وسائط الفيوض الإلهيّة.

وهذا أيضاً معلوم من معنى الوليّ وأنّه لو خلت الأرض من الحجّة لساخت الأرض بأهلها.[٢]

« وبكم يختم » على الأوّل إشارة إلى الرجعة أي: ختم هذا العالم أيضاً بوجودكم، كما أنّ بدءه بوجودكم، كما ورد في الروايات أنّه إذا انقضى زمان دولتهم ورجعتهم ورفعوا إلى السماء يمضي أربعون يوماً مع الهرج والمرج التمام والحيرة العامّة التامّة ثمّ وقعت النفخة، ولذا ورد: أنّ بين انقضاء دولتهم والقيامة أربعون يوماً.

وعلى الثاني ـ أي يصل كلّ فيض وخير إلى صاحبه بسببكم ـ فإفاضة الفيوضات والخيرات من الله بسبيلكم، ووصولها إلى كلّ شيء بسببكم، وكذلك في قوله: « وبكم ينزّل الغيث » أي: بسببكم، أو بدعائكم وببركتكم كلّ رحمة تنزل إلى الأرض وإلى الخلق.

« وبكم يُمسك السماء » أي: بسبب وجودكم استقرّ العالم، كما نطق الأخبار الكثيرة في كلّ زمان، بل في كلّ آن، ولولا وجود الحجّة لخربت السماوات والأرض، وتفنى الخلق، وساخت الأرض بأهلها مع وجود أسبابها من الخلق من ادّعاء الوَلَد والآلهة لله تعالى، كما أشار إليه قوله: ﴿ **تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً** ﴾[٣].

---

١. نفسه.

٢. راجع: الكافي، ج ١، ص ١٧٧، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّة.

٣. مريم: ٩٠ و٩١.

«وبكم ينفّس الهمّ»[١] من كلّ مهموم «ويكشف الضرّ»[٢] عن كلّ من مسّه الضرّ من الأوّلين والآخرين، كما ورد في قصّة النبيّين والمرسلين مثل آدم عليه السلام وهمّه من خطيئته وقبول توبته بكلمات تلقّاها من ربّه وهي أسماء الخمسة، بل توسّل بهم، ومثل نوح ونجاته من غرقه، كما ورد في الأخبار، ويونس ونجاته من بطن الحوت وهي الظلمات الثلاث، كما في أخبار، وكذلك في أيّوب ويعقوب ويوسف والأسباط وموسى وعيسى ومن بينهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين فضلاً عن أُمّتهم وشيعتهم.[٣]

وأصرح من هذه في المرام قوله عليه السلام: «وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته»[٤] فإنّ هاتين الفقرتين دالّة بدلاله واضحة أنّ كلّ ما نزلت به رسل الله عندهم، وكلّ ما هبطت به ملائكة الله فهو عندهم.

فمعناه أنّهم جامعون لجميع علوم ما كان وما يكون؛ فجميع ما نزل على الأنبياء من الوحي والكتب وما سمعوه من الملائكة وما علموه من الجمادات والحيوانات وجميع إلهاماتهم من جميع ما حدّثهم به روح القدس وسائر الملائكة فهو عند محمّد وأهل بيته، وجميع ما هبطت به الملائكة مطلقاً ـ سواء كانت الملائكة ملائكة الوحي والإلهام، أو التدبير للأمر، أو زواجر السحاب، أو غيرهم ـ فكلّهم عند محمّدٍ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، كما أشار إلى تفصيل بعضهم سيّد الساجدين في دعاء الصحيفة في الصلاة على الملائكة، قال عليه السلام: «وحمّال الغيب إلى رسلك، والمؤتمنين على وحيك»[٥].

ثمّ قال: «والّذين على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك، وخزّان المطر وزواجر السحاب والّذي بصوت زجره يسمع زجر الرّعود، وإذا سبّحت به حقيقة السحاب استمعت صواعق البروق، ومشيّعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، والقوّام على خزائن الرياح،

---

١ و ٢. نفسه.

٣. راجع: بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٣١٩، باب ٧.

٤. نفسه.

٥. الصحيفة السجاديّة، ص ٣٦؛ بحارالأنوار، ج ٥٦، ص ٢١٦.

والموكّلين بالجبال فلا تزول، والّذين عرّفتهم مثاقيل المياه وكيل ما تحويه لواعج الأمطار وعواجلها، ورسلك من الملائكة إلى الأرض بمكروه، وما تنزل من البلاء ومحبوب الرجاء، والسفرة الكرام البررة، والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه، ومنكر ونكير ورومان فتّان القبور، والطافين بالبيت المعمور، ومالك والخزنة ورضوان وسدنة الجنان والّذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[١]... إلى آخر الدعاء.

فإنّ هؤلاء ونظائرهم من الملائكة ينزلون بأحكام ما وُكّلوا به على جميع الأشياء، وما من ذرّة في الأرض ولا في السماء إلّا وعليها ملائكة يؤدّون إليها جميع أحكام خلقها ورزقها وحياتها ومماتها، فكلّ ذلك عند الإمام، كما هو مفادّ قوله تعالى: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[٢]، ﴿ **وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾[٣] كما وردت في أخبار كثيرة:

ففي «الاحتجاج» للطبرسيّ‏ؒ في حديث طويل فيه: «قال الله لصاحبكم أمير المؤمنين علیه‌السلام: ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ** ﴾[٤] وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ وعلم هذا الكتاب عنده»[٥]، الحديث.

وقد ذكرنا في ذكر الأخبار السابقة: أنّ الإمام المبين هو أمير المؤمنين علیه‌السلام.

وأصرح من الكلّ في المرام قوله تعالى: ﴿ **وَآتَاكُم مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾[٦] فهو سبحانه أتى جميع العالمين الّذين هم جميع الخلق جميع ما يحتاجون إليه في أحوال النشأتين وما به صلاحهم وبقاء نظامهم في الدارين متفرّقاً، بمعنى أنّ بعض ذلك يوجد عند بعض العالمين،

---

١. نفسه.

٢. يس: ١٢.

٣. الأنعام: ٥٩.

٤. الرعد: ٤٣.

٥. الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٧٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٤٢٩.

٦. المائدة: ٢٠.

وبعضه عند بعض الآخرين، ولم يجمع الكلّ عند أحد منهم إلّا عند محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فإنّه جمع لكلّ واحد منهم جميع ما كان عند جميع الخلائق متفرّقاً؛ فهم مساوون لجميع الخلق. أي: كلّ واحد منهم مساوٍ لجميع الخلق، وزادهم الله على جميع الخلائق ما يختصّون به ممّا لم يُعط أحداً من خلقه؛ لا مجتمعاً ولا متفرّقاً، ولا يحتملها سواهم، وبذلك صحّ أن يقال: «آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين»[1].

والإجماع والأخبار مطابقان بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم آتاه الله ما لم يؤت أحداً من الأوّلين والآخرين وجميع ما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الله سبحانه أنهاه إلى عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يدفع جميع ذلك إلى من بعده، وكذلك أمر من بعده واحداً بعد واحد إلى آخرهم، كما نطقت به الأخبار المستفيضة.

ففي «الكافي» بسنده إلى معلّى بن خُنيس قال: «سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[2]

قال عليه السلام: أمر الإمام الأوّل يدفع إلى الإمام الّذي بعده كلّ شيء»[3].

وعن «بصائر الدرجات» بسنده إلى إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك! النبيّ ورث علم النبيّين كلّهم؟

قال لي: نعم.

قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟

قال: نعم.

قلت: ورثهم النبوّة وما كان في آبائهم من النبوّة والعلم؟

قال عليه السلام: ما بعث الله نبيّاً إلّا وقد كان محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أعلم منه.

قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم يبرئ الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى بإذن الله.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٣١.

٢. النساء: ٥٨.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٧٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٢٧٦ مع اختلاف في النقل.

قال: صدقت.

قلت: وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير.

قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقدر على هذه المنازل. فقال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره: ﴿ مَا لِيَ لاَ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ ﴾[١] وكان المردة والريح والنمل والجنّ والإنس والشياطين طائعين وغضب عليه فقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[٢] وإنّما غضب لأنّه كان يدلّ على الماء.

فهذا وهو طير قد أُعطي ما لم يُعط سليمان وإنّما أراده ليدلّه على الماء، فهذا لم يُعط سليمان وكانت المردة له طائعين ولم يعرف الماء تحت الهواء، وكانت الطير تعرفه، وإنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[٣].

فقد ورثنا نحن هذا القرآن الّذي فيه ما تسير به الجبال، أو تقطّع به البلدان وتُحيى به الموتى بإذن الله عزّ وجلّ، ونحن نعرف ما تحت الهواء، وإن كان في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأمور الّتي أعطاها الله الماضين والمرسلين إلّا وقد جعل الله ذلك كلّه لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي ٱلسَّماءِ وَٱلأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٤]»[٥]، الحديث.

وبالجملة، ما ورد في أنّ جميع ما وصل إلى الملائكة والأنبياء والمرسلين ـ بل وجميع الخلق ـ من العلوم بكلّ نوع فهو عندهم كثير يكاد لا يمكن حصره، فقد أعطى محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته الطاهرين جميع ما أعطى الملائكة والأنبياء والمرسلين، بل عامّة الخلائق أجمعين،

١. النمل: ٢٠.

٢. النمل: ٢١.

٣. الرعد: ٣١.

٤. النمل: ٧٥.

٥. بصائر الدرجات، ص ١١٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٦١.

واختصّهم بلطيف صنعه وسابغ إحسانه بما لم يعطه لأحد منهم من الأوّلين والآخرين ممّا نعلمها بتعليمهم وما لم نعلمها، لعدم وصولها إلينا، أو لعدم تمكّن عقولنا من الإحاطة بها فلم يبيّنوها.

فمّا علمناها أنّ الله خلقهم قبل خلق العوالم كلّها بعاليها وسافلها ومجرّدها ومادّيها وملائكتها وإنسها وجنّها وأفلاكها وكواكبها وشمسها وقمرها وآدمها وحوّاها بدهرٍ طويلٍ يسبّحون الله ويحمدونه ويهلّلونه ويكبّرونه ويطوفون حول الحجاب الأسرار قائمين بأحكام الأقدار ولم يكن معهم خلقٌ؛ لا سماء ولا هواء ولا ماء ولا إنس ولا جانّ، كما نطقت به الأخبار المستفيضة بل المتواترة.

ومنها أنّه تعالى خلقهم له وخلق سائر الناس لهم، كما في بعض أخبار خلق نورهم لنور محمّدٍ ﷺ: «خلقتك لنفسي وخلقت الخلق لك»[١] بهذا المضمون، وكما في كتاب لأميرالمؤمنين عليه السلام إلى معاوية مسطور في «نهج البلاغة»: «نحن صنائع ربّنا والخلق كلّهم صنائع لنا»[٢].

ومنها النبوّة والولاية العامّة، فهذا هو الشيخ للطائفة المحقّة قد ذكر في مصباحه في خطبة أميرالمؤمنين عليه السلام في يوم الجمعة والعيد حيث قال:

«لم يكن الدعائم من أطراف الأكناف ولا من أعمدة فساطيط السجاف الأعلى كواهل أنوارنا ونحن العمل ومحبّتنا الثواب وولايتنا فصل الخطاب، ونحن حجّية الحجاف إلى آخرها»[٣].

وروى الشيخ رحمه الله في مصباحه أيضاً مسنداً عن الرضا عن آبائه عن الحسين عليه السلام قال: اتفق في بعض سني أميرالمؤمنين عليه السلام الجمعة والغدير، فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك

---

١. فيض القدير شرح جامع الصغير، ج ٢، ص ٣٨٧.

٢. نهج البلاغة، ص ٣٨٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٣، ص ١٧٨ مع اختلاف في النقل.

٣. رجعت ثانياً إلى «المصباح» فلم أجدها فيه فلعلّه رأيتها في غيره. (منه رحمه الله). والظاهر أنّه قد روى نحوه الخصيبيّ في الهداية الكبرى:، ص ٤٣٤، ولعلّ المؤلّف رآها في هذا الكتاب.

اليوم، فحمد الله وأثنى عليه حمداً لم يسمع بمثله، وأثنى عليه ثناء لم يتوجّه إليه غيره، وكان ممّا حفظ من ذلك قوله:

الحمدلله ـ وساق إلى أن قال: ـ وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه به انفرد عن التشاكل والتماثل من النبيّين، وانتجبه آمراً وناهياً عنه، وأقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ولا تمثّله غوامض الأسرار، لا إله إلّا هو الملك الجبّار، قرن الاعتراف بنبوّته بالاعتراف بألوهيّته، واختصّه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريّته، فهو أهل ذلك لخاصّته وخلّته، إذ لا يختصّ من يشوبه التغيير، ولا يخالل من يلحقه التظنين.

...إلى أن قال: وإنّ الله تعالى اختصّ لنفسه بعد نبيّه ﷺ من بريّته خاصّة؛ علّاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدعاة إليه والأدلّاء بالإرشاد عليه، لقرن قرن وزمن زمن، أنشاهم في القدم قبل كلّ مذروء ومبروء أنواراً أنطقها بتحميده وألهمها شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كلّ معترف له بملكة الربوبيّة وسلطان العبوديّة، واستنطق بها الخرّسات بأنواع اللغات بخوعاً له بأنّه فاطر الأرضين والسماوات، وأشهدهم خلق خلقه وولّاهم ما شاء من أمره، وجعلهم تراجمة مشيّته وألسن إرادته، عبيداً لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون، يحكمون بأحكامه، ويستنّون بسنّته، ويتعهّدون حدوده، ويؤدّون فرضه.

...إلى أن قال: فلا يقبل توحيده إلّا بالاعتراف لنبيّه ﷺ بنبوّته، ولا يقبل ديناً إلّا بولاية من أمر بولايته، ولا ينتظم أسباب طاعة إلّا بالتمسّك بعصمته وعصم أهل ولايته.

...إلى أن قال: إنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾[1] أتدرون ما سبيل الله ومن سبيله؟ ومن صراط الله ومن طريقه؟

أنا صراط الله الّذي من لم يسلكه لطاعة الله فيه هوى به إلى النار، وأنا سبيله الّذي نصبني للإتّباع بعد نبيّه ﷺ، وأنا قسيم الجنّة والنار، وأنا حجّة الله على الأبرار والفجّار، وأنا نور

---

١. الصفّ: ٤.

الأنوار، فانتبهوا من رقدة الغفلة، وبادروا بالعمل قبل حلول الأجل.[١]

وسيأتي شرح هذه الخطبة ... إلى غير ذلك من كلماتهم وأدعيتهم وخطبهم وأحاديثهم، وكلّها صريحة في هذا المعنى وهو قوله: «وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته»[٢] وقوله: «وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين»[٣] ولاستجماعهم ما لا يجمعه أحد من الخلق من الأوّلين والآخرين.

قال عليه السلام بعد ذلك: «طأطأ كلّ شريف لشرفكم، وبخع كلّ متكبّر لطاعتكم، وخضع كلّ جبّارٍ لفضلكم، وذلّ كلّ شيءٍ لكم»[٤]؛ لأنّ علوّ العالي إمّا أن يكون بسبب نجابة الشخص، أو طهارة مولده ونوريّة طينته وطيبها، أو استقامة خلقه وخُلقه واعتدال مزاجه وحسن صورته وصوته، أو قوّته وشجاعته، أو كرمه وسخائه وجوده، أو زهده وتقواه وورعه ويقينه ومعرفته وعلمه وعبادته، أو قدرته واقتداره وانقياد أشخاص وأشياء لأمره وإرادته وميله ومحبّته، أو الاحتياج إليه في شيء ممّا ذكر، أو غيرته، أو حفظه، أو فهمه، أو غير ذلك من جميع الصفات الحميدة والأخلاق المرضيّة الحسنة، والطباع المستقيمة والأحوال المحبوبة للنفوس والعقول والمستطابة للأوهام والأفهام ممّا يتميّز بعض الصنف به عن أهل نوعه، أو كلّهم من كلّ محبوب ومطلوب ومرغوب، أو من جهة ما خصّة الله تعالى به من النعم والفضائل العظيمة والمنن الابتدائيّه، أو من جهة شرافة الآباء والاُمّهات وطهارة الأصل والفرع من كلّ الخبائط والأرجاس الظاهرة والباطنة وما أشبه ذلك، وهم ـ صلّى الله عليهم ـ قد جمعوا جميع ذلك، وجمع الله لهم جميع المتفرّقة حتّى أنّهم حلّوا في كلّ كمال وطهر وقدس بمكان لا يصل إلى أدنى أدانيه أحد من الخلق من الملائكة والناس والجنّ فضلاً عن غيرهم، ويلزم ذلك أن يطأطأ كلّ شريف لشرفهم ويخضع ويخشع كلّ شيءٍ لطاعتهم، وخضع كلّ جبّار لفضلهم، وذلّ كلّ شيء لهم.

فتأمّل في الفقرة الأخيرة خاصّة من شمول شيء وعموم كلّ من له عرى بهدى ولايتهم

---

١. المصباح، ص ٥٠٨.

٢ ـ ٤. بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٣١.

العامّة، وتأمّل في قوله: «وأشرقت الأرض بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم»[١] فقوله: «أشرقت الأرض بنوركم» إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[٢]:

في تفسير عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وفي تفسير «البرهان» عنه، عن أبيه، عن المفضّل بن عمر سمع أباعبدالله عليه‌السلام يقول في قوله تعالى: «﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ قال: «ربّ الأرض يعني إمام الأرض.

قلت: فإذا خرج يكون ماذا؟

قال: إذا استغنى الناس عن ضوء الشمس والنور القمر ويجتزون بنور الإمام»[٣].

وروى المفيد في محكي «الاختصاص» عن الصادق عليه‌السلام قال:

«إذا قائم قائمنا أشرقت الأرض بنور ربّها واستغنى عن ضوء الشمس وذهبت الظلمة»[٤]، انتهى.

أقول: ربّ الأرض، إمام الأرض، لا بأس به، لأنّ الربّ بمعنى المربّي لها والمصلح لأمورها، والإمام مربٍّ للأرض وأهلها ومنه إصلاحها وإصلاح أُمورها، ولو لم يرد به الرواية أيضاً نقول به، كما نقول ربّ البيت وربّ البلد، كما ورد الأخبار بالنسبة إلى الوالدين.

فلا ريب في أنّ الإمام مُربٍّ للأرض وأهلها، فإنّ كلّ الخير والفيض منهم وبسببهم، كما عرفت، ولهذا قال عليه‌السلام بعد هذه الفقرات.

وأمّا ما ورد في الخبر من أنّ الإشراق بنور الإمام يظهر في الرجعة فهو على ظاهره لا بأس به، كما ورد في الأخبار من نور وجه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله مثل قصّة عائشة والإبرة في الليلة الظلماء.[٥]

---

١. نفسه.

٢. الزمر: ٦٩.

٣. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٣.

٤. الإرشاد، ج ٢، ص ٣٨١؛ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٧.

٥. بحارالأنوار، ج ١٦، ص ١٧٦.

وفي خبر آخر: «إذا اجتاز أضائت أرجاء المدينة وجُدرانها».[١]

وفي «الكافي» عن الصادق عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رُئي في الليلة الظلماء رُئي له نور كأنّه شقّة قمر»[٢].

فلا نحتاج إلى التأويل.

وبالجملة، «إن ذُكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه»[٣] كأنّه أراد بهذا الكلام بأنّه لا أُطيل الكلام في إحصاء ثنائكم وتعداد مناقبكم، كلّ خير دنيويّ أو أُخرويّ، صوريّ أو معنويّ، حسّيّ أو عقليّ فمنكم وعنكم وإليكم وبكم وفيكم وأصله منكم، لأنّكم سبب كلّ خيرٍ وبقاؤه منكم؛ لأنّ استمرار كلّ شيءٍ بوجود الإمام، ورجوعه إليكم، ومنتهاه عندكم وفيكم.

فبعد أن ثبت أنّهم المقصود والمراد من خلق العالم وإنّما سائر الخلق خُلق لهم وبهم، وثبت أنّهم واسطة كلّ فيض، وثبت أنّهم مجمع جميع الكمالات والأخلاق المرضيّة والملكات المستحسنة فينتج هذا الكلام بأنّ كلّ أمر حسن خُلق في هذا العالم من الحسنات خُلق لهم؛ فالمال والعلم والحلم والشجاعة والسخاوة وسائر الملكات النفسانيّة أكملها فيهم وأصلها ثبت منهم؛ فكلّ من وجد شيئاً منها فقد وجد منهم وبمتابعتهم كلّ الأفعال والعبادات من الصلاة والزكاة والصدقات وسائر العبادات فإقامتها منهم، وأحكامها منهم، وقبولها منهم، وردّها بخلافهم، وحسابها عليهم، ومنتهاها إليهم، وروحها ولايتهم.

ولهذا ورد: «نحن الصلاة والزكاة والحجّ»[٤] وكذلك عامّة الخيرات والأُمور الحسنة فلا نحتاج إلى التطويل.

وكذلك سائر فقرات الزيارة الشريفة كلّها دالّة على كمال فضلهم ونهاية شرفهم

---

١. راجع: بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٦٤.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٤٦؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ١٨٩.

٣. بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٣١.

٤. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٣٠٣.

وأفضليّتهم عمّا سواهم بعد الرسول.

إلى أن قال: «بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من دنيانا»[١] معنى هاتين الفقرتين: أنّ الله بسبب متابعتكم علّمنا أُصول ديننا وفروعه من كتابه وسنّة نبيّه وأخباركم، فإنّ من أخذ معالم دينه من الكتاب بتفسيرهم، ومن السنّة وتعليمهم فاهتدى، وإلّا ضلّ وغوى، كما ترى من العامّة ولم يتّبعوا الأئمّة ففسد دينهم وجعلوا دينهم أهواءهم وآراءهم وأقيستهم الفاسدة، ففسدت أُصولهم وفروعهم، وإنّما الدين أُصولاً وفروعاً هو الّذي بيّنها الأئمّة المعصومون من علم الكتاب وقول الرسول، وكلاهما عندهم لا عند غيرهم.

وكذلك واتّباعهم في الأُمور الدنيويّة من التجارات والزراعات والمكاسب والمداخل والمخارج صلح ما فسد من دنيانا، فإنّه لو عمل الشخص في التكّسب والتجارة وكيفيّة العمل والكسب وكيفيّة الخرج والإنفاق لا يفسد عليه أُمور دنياه بحسب الظاهر، مثل أنّ من أخبار الكسب الحلال علم بما يجب عليه من الزكاة والخمس حلّ له ماله، فيحصل له بسببه بركة عظيمة، ولو عمل في معاملاته من الإنفاق بعياله وجيرانه وخُدمائه وأولاده وأصدقائه وإخوانه بما ورد عنهم من الدستور من الاقتصاد في الخرج ـ مثلاً ـ وعدم الإسراف والإتلاف والإيثار على الإخوان وغيرهم بنحو ما ورد فلا يحصل في دنياه خلل، بخلاف من لم يتّبع ما ورد عنهم فلا يؤدّي الزكاة والخمس ـ مثلاً ـ فيحرم ماله وتذهب عنه البركة، بل لو حصل له أولاد يكونون من مال الحرام، فيبتلى بشرارة الأولاد وفسادهم، وربّما يضرّ أب المُربّي له الّذي هو ربّه باللسان والعِرض والمال، وكلّ ذلك من آثار المال الحرام الّذي حصل من عدم متابعة الإمام فيما أقاموا من الأحكام.

وكذلك كثيراً ما ترى ابتلاء الناس بأسوء الأهل والعيال والجيران والأصدقاء وأكثر ذلك من آثار نفس العبد وعدم عمله بما ورد عن سيّده ومولاه، وربّما ابتلي بكثرة الدين والفقر والفضيحة كلّ ذلك نشأ من عدم اقتصاده في الإنفاق وعدم بصيرته في المصارف، وقد ورد جميع ذلك في الروايات في المعاملات وكتب الأخلاق، من رامها يجدها ويصدّقنا فيما قلنا،

---

١. بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٣١.

ويفهم ما أفاده الإمام بهذا الكلام.

وبذلك ظهر معنى الفقرات الثلاثة الّتي بعدها وهي: «بموالاتكم تمّت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الفرقة»[١]؛ فإنّ بموالاتهم تمّت كلمة التوحيد والإسلام، كما ورد في أخبار كثيرة خصوصاً خبر عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حين خروجه من نيشابور واجتماع علمائها واستدعائهم زيارة وجهه واستماع حديث منه، فحدّثهم بهذا الحديث الشريف.

وقد ورد في كتب الآثار والروايات أنّهم كتبوها بإثني عشر ألف محبرة ذهبيّة وغيرها، ولقد عظّموها وأكرموا شأنها، فأمرهم السلاطين بكتابتها بماء الذهب، فاشتهر بالسلسلة الذهبيّة، واستشفعوا بقرائتها وكتابتها وشُرب مائها المرضى والمصروعين منهم، كما نقله السيّد الجزائريّ وغيره في الكتب، ونذكر هذا السند الشريف في هذا الموضع تيمّناً وتبرّكاً وتأسّياً بهم:

قال: قال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، حدّثني أبي موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام، قال: حدّثني أبي محمّد الباقر عليه السلام، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام، قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، قال: حدّثني أخي الحسن المجتبى عليه السلام، قال: حدّثني أبي عليّ بن أبي طالبٍ أميرالمؤمنين عليه السلام، قال: حدّثني رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه عليه وعليهم ـ قال: حدّثني جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم، عن الله عزّ وجلّ أنّه قال:

«لا إله إلّا الله حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي»[٢].

وفي بعض النسخ: «ودخل جنّتي».

وفي بعض النسخ: «كلمة لا إله إلّا الله حصني»[٣].

---

١. بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٣١.

٢. صحيفة الرضا عليه السلام، ص ٣٩؛ الأمالي للطوسي، ص ٢٧٩؛ بحارالأنوار، ج ٩٠، ص ١٩٤.

٣. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٠٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ١٢٧.

فقالوا: حسبنا يابن رسول الله!

فلمّا ازدحموا واجتمعوا على كتابته ـ كما نقلنا ـ قال عليه السلام: «لكن بشرطها وشروطها وأنا من شروطها»[١].

فألحقوا هذا الكلمة، فإنّ مفاد هذا الكلام كسائر الأخبار الواردة عن أهل العصمة بحدّ التواتر المعنويّ أنّه لا يقبل الله الإسلام إلّا بموالاتهم والقول بإمامتهم؛ فلا ينفعهم قول: «لا إله إلّا الله ومحمّد رسول الله» إلّا في الدنيا بحفظ دمهم ومالهم وعيالهم، ولا يحصل لهم الثواب ولا الجنّة ولا النجاة من النار إلّا بقبول ولايتهم وإمامتهم.

فظهر أنّ إتمام كلمتي الإسلام بحيث يأثر في الآخرة موقوف على اعتقاد إمامتهم ومتابعتهم في الأُصول والفروع.

وقوله عليه السلام: «وعظمت» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً ﴾[٢].

وذلك يوم غديرخم بعد نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام إماماً وخليفة ووصيّاً بعده.

فظهر أنّ إكمال الدين وإتمام النعمة الظاهريّة والباطنيّة من انتظام أُمور الدنيا وقبول الأعمال وإثمارها الجنّة والنجاة والفوز بها وما جمعت من النعم الإلٰهيّة والنجاة من النار وأهوالها لا تكون إلّا بموالاتهم ومتابعتهم.

وكذلك بموالاتهم حصل الايتلاف وذهب الاختلاف الّذي كان بين الناس قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفعالهم السيّئة وعاداتهم الخبيثة من نهب الأموال وقتل النفوس وسبي النساء والأولاد، وكلّ ذلك ارتفعت بدين الإسلام، وتامّ دين الإسلام في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما بعده في زمن الخلفاء وفتوحاتهم وغزواتهم كلّها بشجاعة عليٍّ عليه السلام وسيفه ومتابعة رأيه وحِكَمِه وحُكْمِه حتّى في زمن الخلفاء، ويظهر تمام هذه الكلمة وكمالها في زمن ظهور الإمام عليه السلام، فيصير الدين كلّه ديناً واحداً وتذهب هذه الاختلافات والفسادات كلّها، ويكون

---

١. صحيفة الرضا عليه السلام، ص ٣٩؛ الأمالي للطوسي، ص ٢٧٩؛ بحارالأنوار، ج ٩٠، ص ١٩٤.

٢. المائدة: ٣.

الدين كلّه لله كما في الآيات والروايات.

وقوله عليه السلام: «وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ولكم المودّة الواجبة»[١].

أقول: معنى هاتين الفقرتين أيضاً ظاهر من الأخبار الكثيرة المتظافرة المتواترة بأنّ أعمال المخالفين غير مقبولة ولا مثمرة؛ فلا تقبل صلاتهم ولا زكاتهم وحجّهم وكلّ أعمالهم، لعدم الموالات فيهم، فإنّ المراد بالموالات قطعاً هو القول بإمامتهم واعتقاد وجوب إطاعتهم ومتابعتهم؛ فكلّ من لم يتديّن به فليست عباداته مقبولة؛ وهذا عليه الإجماع من الإماميّة والأخبار المتواترة.

وأمّا إنّهم مسلمون أم كافرون؟ فلا ريب أنّ النصّاب منهم أي: من يظهر عداوتهم وبغضهم فهو كافر بالإجماع، لأنّهم منكر لضروريّ الدين وهو وجوب مودّتهم وهو خلاف الآيات المقبولة عند الطرفين بأنّ المراد منها هم لا غيرهم.

وأمّا غيرهم ممّن يظهر الإسلام ومودّتهم ولا يقول بإمامتهم وإن كان جمع من العلماء كالسيّد المرتضى ومن حذا حذوه قائلين بكفرهم أيضاً إلّا أنّ الجمع بين الأخبار يقتضي بخلافهم، فإنّ الأخبار الكثيرة في أنّهم مسلمون ويعامَل معهم معاملة الإسلام في طهارتهم ومناكحتهم والمعاملات معهم، وليس محض الجمع بل ورد في أخبار متعدّدة هذا المعنى أعني من تديّن بكلمتي الإسلام ولم يعرف إمامتهم ولم يظهر عداوتهم وبغضهم ولا يعرفهم فهؤلاء مسلمون، لهم الطهارة الظاهريّة، ويجوز الأكل معهم، وحلّت ذبيحتهم والتناكح معهم.

وأمّا النصّاب منهم فهم كافرون لإنكارهم ضروريّ الدين، والسيّد المرتضى ومن تبعه في كفرهم جميعاً استندوا إلى إنكارهم نصّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على إمامة عليٍّ عليه السلام وهو معلوم ضروريّ عند علمائهم فيكونون مثل النصّاب، والتفصيل في محلّه.

وكلّ هذه الأحكام ظاهرة من الأخبار الكثيرة المستفيضة المعتبرة في إسلامهم ظاهراً، وكفر نصّابهم وعدم قبول عباداتهم في الآخرة إلّا المستضعفين منهم كالنساء والبُله والصبيان

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٣١.

وبعض عوامهم، فقد ورد في الأخبار أنّهم لا يخلدون في النار ولا في الجنّة ومقام المؤمنين.[١]

وكذلك ظهر معنى قوله عليه السلام: «ولكم المودّة الواجبة»[٢]، فإنّه ورد في آيات متعدّدة أنّ مودّتهم قد جعلها الله أجر الرسالة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد افترضه على أُمّته، ووردت في تفسير الآيات وشأن نزولها أخبار كثيرة يؤدّي هذا المعنى، ويظهر من هذا كلّه ما أفاده الشارح مولانا التقيّ المجلسيّ رحمه الله في المقام، فقال:

«وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة»[٣] كما تقدّم إنّها من أُصول الدين، كما في الأخبار المعتبرة المتواترة، ولم يقبل الفروع بدون الأُصول، «ولكم المودّة الواجبة»[٤] فإنّها أجر رساله نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لاَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمٰنُ وُدّاً﴾[٦].

وروي في الأخبار الكثيرة إنّها وردت فيهم، والأخبار بوجوب المودّة متواترة، وأقلّ مراتبها أن يكونوا أحبّ إلينا من أنفسنا، وأقصاها العشق،[٧] انتهى كلامه ورفع مقامه.

وأنت خبير بأنّه ليس في كلامه القصير هذا ما يقبل النقض والإبرام، فإنّ قوله: «من أُصول الدين كما تقدّم» مراده الإشارة بقوله السابق: «وبموالاتكم تمّت كلمة الإسلام»... إلى آخرها.

وقد عرفت أنّ موالاتهم من أُصول الدين الصحيح المقبول أي: لا يقبل الدين عند الله ولا يثمر في الآخرة إلّا بموالاتهم، وإن ترتّب عليه الآثار الدنيويّة من حفظ الدم والأهل والمال، وليس مراده من أُصول الدين هو المصطلح عند العامّة في مقابل أُصول المذهب.

---

١. بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٠١.

٢. نفسه.

٣ و ٤. نفسه.

٥. الشورى: ٢٣.

٦. مريم: ٩٦.

٧. بحار الانوار، ج ٩٩، ص ٢٧٤.

ويظهر من كتبهﷺ أنّه قائل بطهارتهم ظاهراً وحلّ ذبيحتهم وجواز المناكحة منهم إلّا أنّ دينهم وأعمالهم عند الله غير مقبولة ولا مثمرة للجنّة والنجاة من النار؛ وهذا هو مراده في المقام.

والشيخ الجليل الإحسائيّ ـ أعلى الله مقامه ـ انحرف في المقام وأخذ بلفظ أُصول الدين وأطال الكلام في النقض والإبرام بأنّ إمامتهم ليست من أُصول الدين، ونقل أخباراً دالّةً على إسلامهم وهي كثيرة غير محتاجة إلى بيان، والمجلسيّ ﵀ أيضاً قائل بإسلامهم الظاهريّ ولا يقول بمذهب السيّد المرتضى وإن كان غير بعيد عن الصواب.

ثمّ انجرّ إلى لفظ العشق وشرع في التشنيع والملام بالنسبة إلى هذا العلم العلّام وقال: إنّ هذا اللفظ من ألفاظ الصوفيّة وهو منهم. ودأبه وديدنه في عامّة تصانيفه مذمّة الصوفيّة والتشنيع عليهم، وفي المقام جعل مثل ذلك العالم الكامل المجتهد المحقّق الّذي قلّ نظيره في العلماء علماً وعملاً من الصوفيّة في المقام بمحض استعمال لفظ العشق في المقام وذكر أخبار الردّ على الصوفيّة من الأئمّة ﭺ ونسبها إلى «حديقة الشيعة» للأردبيليّ خوفاً من التهمة. والكلّ تعسّف واعتساف وخروج عن جادّة الانصاف، وفي كلّ ما ادّعاه في كلامه ألف كلام:

فأمّا أوّلاً أسألكم وأُنشدكم بالله هل يحتمل منصف متديّن ورود هذه الأخبار في مثل المجلسيّ ﵀؟ لا والله! بل مصبّ الأخبار هم الصوفيّة الّذين انتحلوا الإسلام وأظهروا الزهد والمعرفة لردّ الأئمّة والطريقة الحقّة الإثنى عشريّة كسفيان الثوريّ وأمثاله، وفي الروايات لعنهم وطردهم ومنع الأصحاب عن مجالستهم. وأمّا من أخذ عامّة دينه أُصولاً وفروعاً من أخبارهم وآثارهم وعمل بها فيها كلّاً وتبعهم كلّ المتابعة، غاية الأمر أنّه يقول: ينبغي للإنسان مضافاً إلى ذلك أن يكمل معرفته بالله ورسوله وبإمامه بالمجاهدات النفسانيّة والرياضات العلميّة ولو بترك المعاشرات ومواظبة الخلوات ومراقبة الذكر لساناً وقلباً.

وهب إنّه يقول: قد جرّبنا أنّ ترك الحيوانيّ ومواظبة الذكر ومداومة الخلوة أربعين يوماً يؤثّر في فتح الأبواب على القلب ورفع الحجاب عنه، كما ورد في الروايات أنّه «من أصبح لله أربعين صباحاً ـ أو يوماً ـ مخلصاً فتح الله على قلبه ينابيع الحكمة وأجرى على لسانه وبصره

داؤه ودواؤه»[1] وبهذا المعنى وردت روايات، فهذا الشخص من الصوفيّة الّذي ذمّهم الإمام في هذه الأخبار والآثار؟ كلّا وحاشا.

مضافاً إلى أنّ حقيقة معنى الصوفيّ ارتباط العبد بالله وفناؤه في الله وبقاؤه بالله مع الالتزام بظواهر الشروع وعباداته الواجبة والمندوبة ومداومته الذكر، وهذا المعنى موجود في الروايات الصحيحة، ويظهر من كلام بعض الكمّل من أصحاب الأئمّة وهم أصحاب أسرارهم لا ترك العبادات بإدّعاء الوصول إلى الحقّ وشرب الحشيش أو المسكر وأخذ الأمارد ونحو ذلك.

وأمّا ثانياً، فإنّ نسبة هذا الباب من كتاب «حديقة الشيعة» إلى الأردبيليّ كلامٌ نقله المولى محمّد جعفر الثقة الهمدانيّ في رسالته من المحقّق القمّيّ ﷺ فإنّه نقل فيها ما حاصله:

إنّي قلت له يوماً ـ ساق كلامه إلى وحدة الوجود ـ أنّ المقدّس الأردبيليّ أجاب عن الشبهة المنسوبة إلى ابن كمونة في الحاشية الفلانيّة بوحدة الوجود، فتعجّب المحقّق القمّيّ ﷺ من كلامي هذا فاستبعده.

فقلت: كتابه هذا موجود عندي.

فقال: ايتيني به غداً.

فلمّا رجعت إلى منزلي أرسل رسولاً في الساعة وطلب الكتاب معلمات منّيم ذلك الموضع، فعلمته وأرسلته إليه.

فلمّا تشرّفت غداً بخدمته قال ﷺ: الحقّ معك وهذا مؤيّدك، سمعت من العلماء ـ وسمّى لي واحداً منهما ونسي الآخر ـ أنّ هذا الباب من كتاب «الحديقة» ليس من الأردبيليّ وألحقه به بعض القشريّين، انتهى.

ونقلت هذا، لأنّ الشيخ ﷺ من جهة رفع التهمة عن نفسه واعتقاد منتحل الكلام عن الأردبيليّ وإلّا فالحقّ أحقّ أن يُتَّبَع لا الألفاظ الصادرة من أيّ شخصٍ كان.

والحاصل، إنّ طعنه على المجلسيّ ﷺ شنيع في الغاية، مع أنّ عندي كتاب كبير من أحد

---

١. لاحظ: بحارالأنوار، ج ٥٣، ص ٣٢٦.

تلاميذ هذا الشيخ وهو أخ المولى محمّد تقيّ البرقانيّ الشهير بالشهيد الثالث في ألسنة المتأخّرين، فيه رياضات الشيخ كثيراً في الأربعينيات واختياره الخلوات ومداومة الذكر والمراقبات، حتّى نقل أذكاره، فبمحض أن رأى لفظ العشق منه أخذ في الطعن عليه وجعله من الصوفيّة الّذين ورد فيهم اللعن من الإمام عليه السلام، مع أنّ المجلسيّ رحمه الله صاحب المقامات العالية والكرامات المتعالية يجدها من تصفّح أحواله وكتبه، ومثل هذا من هذا الشيخ الجليل كثير.

فترى في أوّل الكتاب نقل عن المجلسيّ رحمه الله رؤياه الصادقة وقراءته بهذه الزيارة عند حجّة الله في الأرضين صاحب العصر والزمان كمدح المدّاحين، وبعد فراغه قال عليه السلام: نعمة الزيارة.

فقلت: من جدّك ـ وأشرت إلى قبر الهادي عليه السلام ـ؟

فقال: نعم، وأظهر بالنسبة إليه إحسانات وإكرامات.

ثمّ قال: من جهة اعتمادي بهذا الرؤيا الصادقة كانت زيارتي غالباً في تلك المشاهد المشرّفة بهذه الزيارة المباركة.

فأخذ هذا الشيخ في الطعن عليه بعدم الاعتماد على النوم في الأحكام الشرعيّة وهو في غير محلّه.

وقد نقل الشيخ نفسه رؤيا في أواسط الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد من الأئمّة عليهم السلام وإخباره له بأنّ فلاناً ـ مثلاً ـ مؤمن متّقي وفلان شقيّ فوجدتهما كما أخبر عليه السلام، ويجدها من رامها، وليس يبالي تفصيل كلامه ومنامه.

مضافاً إلى أنّ قوله: «لفظ العشق لم يوجد في كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والعترة وإنّما هو من مخترعات المتصوّفة واستعمالاتهم» كلام مبنيّ على ادّعاء كمال التبحّر والإحاطة بالأخبار الواردة، مع أنّه بنفسه كثيراً ما ينقل أخباراً لم يعلم إلى الآن مستندها، مثل خبر الحسن العسكريّ عليه السلام المشتمل على الصّافورة والباكورة ولم يوجد مثلهما في الأخبار ولم يعلم مستنده.

ولفظ «العشق» موجود في الأخبار، مثل ما رواه ثقة الإسلام في «الكافي» في باب العبادة عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبدالله عليه السلام

قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده، وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا؛ على عسرٍ أم على يسر»[١]، انتهى، ولعلّه يوجد في ساير الأخبار.

وفي القدسيّات المشهورة: «من طلبني وجدني، ومن وجدني عرفني، ومن عرفني عشقته، ومن عشقني عشقته» الخبر.[٢]

وسيأتي زيادة بيان منافي لفظ الصوفيّ في أواخر الكتاب إن شاء الله، رجعنا إلى المرام:

فعامّة هذه الفقرات وغيرها الواردة في سائر الأدعية والزيارات ناطقة بفضائلهم ومناقبهم، وأنّهم أفضل من عامّة الخلق ممّا سواهم.

وقد أنكر صاحب الرسالة فيما أنكر كونهم عليهم السلام يد الله وجنب الله وعين الله وأذن الله، وهو أيضاً عجيب، ولا أدري أما قرء في عمره الشريف الزيارة المعتبرة المنقولة عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عند قبر جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ كما نقله صفوان مع زيارة عاشوراء وصلاته والدعاء بعده ـ وهو حمد الله قد قرءها في عمره ألف مرّة، فكيف غفل عمّا فيه أو نسيه حين تحرير الرسالة فإنّ فيه:

«السلام عليك يا قائد الغرّ المحجّلين، السلام عليك يا باب الله، السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة وأُذنه الواعية وحكمته البالغة ونعمته السابغة، السلام على قسيم الجنّة والنار... إلى قوله: السلام على أخي رسول الله وابن عمّه وزوج ابنته والمخلوق من طينته، السلام على الأصل القديم والفرع الكريم»[٣].

أقول: هذه الفقرة الأخيرة صريحة فيما ذكرنا من كون طينته من طينة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقوله صلى الله عليه وآله: «أنا من عليّ وعليّ منّي»[٤] صحيح.

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٨٣؛ مجموعة ورّام، ج ٢، ص ٣٧؛ بحارالأنوار، ج ٦٧، ص ٢٥٣.

٢. لاحظ! اللمعة البيضاء: ص ٥٥١.

٣. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٣٠٥.

٤. تأويل الآيات، ص ٢٣٢.

«والأصل القديم»[١] دالّ على خلقهم قبل خلق العالم وخلق آدم، كما نقلنا الروايات الكثيرة وها أنا ذا أثبت لك في المقام ما اختلج بخاطري ـ كلّما زرته عليه السلام بهذه الزيارة قريباً أم بعيداً، ولا أخاف من لومة لائم ـ وهو أنّ المراد من قوله عليه السلام: «السلام على آدم صفيّ الله ونوح نجيّ الله ... إلى قوله: ومحمّد حبيب الله ومن بينهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين»[٢] هو أمير المؤمنين عليه السلام أي: إنّه آدم ونوح وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، كما ورد نظيره في روايات أُخر من قوله: «من أراد أن ينظر إلى آدم ... إلى آخره فلينظر إلى عليّ بن أبي طالبٍ، عليه ألف سلام»[٣].

وورد مثله في أحوال بقيّة الله في أرضه صاحب العصر والزمان ـ عليه وعلى آبائه الطاهرين ألف ألف سلام ـ إنّه يقول في منبر مسجد الكوفة بعد ظهوره عليه السلام:

أنا آدم وأنا فلان وفلان حتّى عدّ آباءه، ويدلّ على هذا باتّحاد السياق قوله: «السلام على شجرة طوبى وسدرة المنتهى»[٤] فإنّ المراد بهما هو عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، ولا يكون السلام على الشجرة والسدرة المنتهى، فكلّ ما يقولون فيهما نقول في السلام على آدم... إلى آخره.

وبعد هذا فصحّ بطلان ما ذكره صاحب الرسالة من قوله: «أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد وكلّنا محمّد»[٥] وأكثر فقراتها دالّة على صحّة ما ادّعينا وبطلان ما أنكره.

قوله: «السلام على نور الأنوار وسليل الأخيار وعناصر الأبرار»[٦] يعني: كلّ الأنوار من النبيّين والمرسلين منك والحال أنّك من أولادهم.

و«عناصر الأخيار» أي: أصل الأخيار، فإنّه تبع لوجودك، فأنت الأصل، كما عرفت في

---

١. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٣٠٥.
٢. نفسه.
٣. بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٣٩.
٤. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٣٠٥.
٥. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٣.
٦. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٣٠٥.

بدء خلقتهم وكونهم علّة إيجاد العالم.

قوله: «السلام على حبل الله المتين وجنبه المكين»[١] فهو في جنب الله الّتي من فرّط فيه ندم، كما في أخبار كثيرة في قوله تعالى: ﴿ يَاحَسْرَتَي عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾[٢] في «الكافي»[٣] وغيره، كما سيأتي.

وقوله عليه السلام: «السلام على صاحب الدلالات والآيات الباهرات والمعجزات القاهرات»[٤] أي: الأدلّة والآيات على توحيد الله وصفاته، فإنّهم مظهر صفاته ومظهر آياته، والمنجي من المنجي من الهلكات الّتي ذكره الله في محكم الآيات، «فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[٥].

قال عليه السلام: يعني أمير المؤمنين عليه السلام مكتوب في الفاتحة، في قوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[٦].

قال أبو عبدالله عليه السلام: هو أمير المؤمنين عليه السلام.

عليّ بن إبراهيم، حدّثني عن عمّاد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ هو أمير المؤمنين ومعرفته والدليل على أنّه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ ﴾»[٧]... إلى آخره.

محمّد بن العبّاس، عن أحمد بن إدريس، عن عبدالله بن محمّد بن عيسى، عن موسى القاسم، عن محمّد بن عليّ بن جعفر قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: قال أبو عبدالله عليه السلام وقد تلا

---

١. نفسه.

٢. الزمر: ٥٦.

٣. الكافي، ج ١، ص ١٤٥.

٤. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٣٠٥.

٥. الزخرف: ٤.

٦. الفاتحة: ٦.

٧. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٨٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٣٧٢.

هذه الآية: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[١].

وبإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: «خرجنا مع أميرالمؤمنين عليه السلام حتّى انتهينا إلى صعصعة بن صوحان رضي الله عنه وهو على فراشه، فلمّا رأى عليّاً عليه السلام خفّ له، فقال له ـ صلوات الله عليه ـ: لا تتّخذنّ زيارتنا فخراً على قومك.

قال: لا يا أميرالمؤمنين! ولكن ذخراً وأجراً.

فقال له: والله! ما كنت علمتك إلّا خفيف المؤونة كثير المعونة.

فقال صعصعة: وأنت والله! يا أميرالمؤمنين! إنّك ما علمتك إلّا بالله لعليم، وإنّ الله في عينك لعظيم، وإنّك في كتاب الله لعليّ حكيم، وإنّك بالمؤمنين لرؤوف رحيم»[٢].

وفيه أيضاً مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لمّا صرّع زيد بن صوحان يوم الجمل، جاء أميرالمؤمنين عليه السلام حتّى جلس عند رأسه، فقال: رحمك الله يا زيد! قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة.

فرفع زيدٌ رأسه إليه فقال: وأنت جزاك الله خيراً يا أميرالمؤمنين! فوالله! ما علمتك إلّا بالله عليماً وفي أُمّ الكتاب عليّاً حكيماً، وإنّ الله في صدرك عظيم»[٣].

الشيخ في «التهذيب» مُسنداً إلى الصادق عليه السلام وذكر فضل يوم الغدير والدعاء فيه... إلى أن قال:

«فاشهد يا إلٰهي إنّه الإمام الهادي المرشد الرشيد عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام الّذي ذكرته في كتابك، فقلت: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾»[٤].

الديلميّ مسنداً عن الصادق عليه السلام «وقد سأله سائل عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٢٢٩.
٢. تأويل الآيات، ص ٥٣٨؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٢٤٨.
٣. تأويل الآيات، ص ٥٣٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٢١١.
٤. التهذيب، ج ٣، ص ١٤٥.

ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾، قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام»[١].

البرسيّ يرفعه إلى الثقاة الّذين كتبوا الأخبار إنّهم أوضحوا ما وجدوا وبان لهم من أسماء أمير المؤمنين عليه السلام فله ثلاثمائة إسم في القرآن:

منها ما رووه بالإسناد الصحيح عن ابن مسعود قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾.

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلآخِرِينَ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٥] والمنذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام الهادي.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾[٦] من أهله، فالبيّنة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والشاهد أمير المؤمنين عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَٱلأُولَىٰ ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[٨].

وقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ

---

١. تأويل الآيات، ص ٥٣٧؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢١٠.

٢. مريم: ٥٠.

٣. الشعراء: ٨٤.

٤. القيامة: ١٧.

٥. الرعد: ٧.

٦. هود: ١٧.

٧. الليل: ١٢ و١٣.

٨. الأحزاب: ٥٦.

ٱلسَّاخِرِينَ ﴾[١]، جنب الله هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[٢]، معناه عليّ عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٤]، معناه عن حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٥].

ابن شهرآشوب: «قال أبو جعفر الهارونيّ في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ أُمّ الكتاب، الفاتحة يعني إنّ فيها ذكره»[٦]، انتهى ما نقلناه عن تفسير «البرهان».

فثبت أنّ المراد بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام مذكور في فاتحة الكتاب وهو قوله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

وكذلك قوله: «السلام على اسم الله الرضيّ»[٧] والمراد أنّه الأسماء الحسنى فقد ورد: «ونحن والله! الأسماء الحسنى ووجهه المضيء وجنبه العليّ ورحمة الله وبركاته ... إلى قوله: وأشهد أنّك جنب الله وبابه وأنّك حبيب الله ووجهه الّذي يُؤتى منه، وأنّك سبيل الله وأنّك عبدالله ... إلى قوله: وصلّ على أميرالمؤمنين عبدك المرتضى، وأمينك الأوفى، وعروتك الوثقى، ويدك العلياء، وجنبك الأعلى، وكلمتك الحسنى، وحجّتك على الورى»[٨]... إلى آخر الفقرات ... إلى قوله:

---

١. الزمر: ٥٦.

٢. يس: ١٢.

٣. يّس: ٣ و٤.

٤. التكاثر: ٨.

٥. الفضائل، ص ١٧٤.

٦. المناقب، ج ٣، ص ٧٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٣٦٥.

٧. الإقبال، ص ٦١٠؛ بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٢٤٥.

٨. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٢٧.

«السلام عليك يا وليّ الله والشهاب الثاقب، والنور العاقب، يا سليل الأطائب، يا سرّ الله»[١]؛ فهو سرّ الله، وهو وجه الله، وهو يد الله، وهو أُذن الله، وهو عين الله، وهو جنب الله، وهو باب الله، وهو سبيل الله، وهو صراط الله، وهو نور الله، وهو عروة الله الوثق، وهو كلمته الحسنى، وهو حجّة الله، وهو أمين الله، وهو أسد الله.

في تفسير «البرهان»: ابن بابويه مسنداً إلى عبدالسلام بن صالح الهرويّ، قال: قلت لعليّ بن موسى عليه السلام: «يابن رسول الله! ما تقول في الحديث الّذي يرويه أهل الحديث: «إنّ المؤمنين يزورون ربّهم في منازلهم في الجنّة»؟

فقال عليه السلام: يا أبا الصلت! إنّ الله فضّل نبيّه على جميع خلقه من النبيّين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومبايعته مبايعته، وزيارته زيارته، فقال عزّوجلّ: ﴿**مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾[٢]، وقال: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[٣].

وقال النبيّ: «من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله» ودرجة النبيّ في الجنّة أرفع الدرجات؛ فمن زاره في درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى.

قال: فقلت له: يابن رسول الله! فما معنى الخبر الّذي رووه: «أنّ ثواب لا إله إلّاالله النظر إلى وجه الله؟»

فقال عليه السلام: يا أبا الصلت! من وصف الله بوصف كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياءه ورسله وحججه ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ هم الّذين بهم يتوجّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى دينه ومعرفته، وقد قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ**﴾[٤]، وقال عزّ وجلّ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[٥].

---

١. نفسه.

٢. النساء: ٨٠.

٣. الفتح: ١٠.

٤. الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

٥. القصص: ٨٨.

فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة.

وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة».

قال عليه السلام: «إنّ فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني».

يا أبا الصلت! إنّ الله تعالى لا يوصف بمكان ولا تدركه الأبصار والأوهام»[١].

العيّاشي مسنداً إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «حدّثني أبي ـ وهو خير منّي ـ عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: ما من رجل من فقراء المؤمنين من شيعتنا إلّا وليس عليه تبعة.

قلت: جعلت فداك! وما التبعة؟

قال: من الإحدى والخمسين ركعة ومن صوم ثلاثة أيّام من الشهر، فإذا كان يوم القيامة خرجوا من قبورهم ووجوههم مثل القمر ليلة البدر، يقال لرجل منهم: سل تُعط.

فيقول: أسأل ربّي النظر إلى وجه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فيأذن الله عزّ وجلّ لأهل الجنّة أن يزوروا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فينصب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منبراً من نور على درنوك من درانيك الجنّة، له ألف مرقاة، من المرقاة إلى المرقاة ركضة الفرس، فيصعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام.

قال: فيحفّ ذلك المنبر شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فينظر الله إليهم، وهو قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[٢].

قال: فيلقى عليهم من النور حتّى أنّ أحدهم إذا رجع لم تقدر الحور أن تملأ بصرها منه.

قال: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: يا هاشم! لمثل هذا فليعمل العاملون»[٣].

وفي «الكافي» مسنداً إلى أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: «قلت: ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[٤].

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١١٥؛ بحارالأنوار، ج ٤، ص ٣؛ البرهان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٣٠.

٢. القيامة: ٢٢ و ٢٣.

٣. تأويل الآيات، ص ٧١٦؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ١٩٣.

٤. الملك: ٢٢.

قال: إنّ الله ضرب مثلاً من حاد عن ولاية عليٍّ عليه السلام كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام»[١]. هذا لفظ «الكافي».

العيّاشيّ مسنداً إلى أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «تلا هذه الآية وهو ينظر إلى النـاس: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي ﴾ الآية، يعني والله! عليّاً والأئمّة ـ وفي نسخة: الأوصياء ـ»[٢].

وفي «الكافي» أيضاً مسنداً إلى الفضيل قال: «دخلت مع أبي جعفرٍ عليه السلام المسجد الحرام وهو متّكئ عليّ، فنظر إلى الناس ونحن على باب بني شيبة، فقال: يا فضيل! هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة لا يعرفون حقّاً ولا يدينون ديناً.

يا فضيل! أُنظر إليهم، فإنّهم مكبوبون على وجوههم، لعنهم الله من خلق ممسوخ منكّبين على وجوههم، ثمّ تلا هذه الآية ﴿ أَفَمَن يَمْشِي... إلى قوله: عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يعني والله! عليّاً والأوصياء ـ صلوات الله عليه وعليهم ـ ثمّ تلا هـذه الآيـة: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾[٣] أمير المؤمنين عليه السلام.

يا فضيل! لم يسمّ بهذا الإسم غير عليّ إلّا مفترٍ كذّاب إلى يوم القيامة. أما والله! يا فضيل! ما لله حاجّ غيركم، ولا يغفر الذنوب إلّا لكم، ولا يتقبّل إلّا منكم، وإنّكم لأهل هذه الآيـة ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[٤].

يا فضيل! أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفّوا ألسنتكم وتدخلوا الجنّة؟ ثمّ قرء ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٥] أنتم

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٣٣٦.

٢. تفسير العياشي، ص ٢٤٣.

٣. الملك: ٢٧.

٤. النساء: ٣١.

٥. النساء: ٧٧.

والله ! أهل هذه الآية »[١].

وفي «الكافي» مسنداً إلى أبي جعفرٍ عليه السلام «في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾.

قال: هذه نزلت في شأن عليّ عليه السلام وأصحابه الّذين عملوا ما عملوا، يرون أميرالمؤمنين عليه السلام في أغبط الأماكن فتسيء وجوههم ويقال لهم: هذا الّذي كنتم به تدّعون الّذي انتحلتم إسمه أي: سمّيتم أنفسكم بأميرالمؤمنين »[٢].

وفي «الكافي» أيضاً مسنداً إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الخلائق، كان نوح أوّل من يُدعى به، فيقال له: قد بلّغت؟

فيقول: نعم.

فيقال له: من يشهد لك؟

فيقول: محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فيخرج نوح فيتخطّ الناس حتّى يجيء إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو على كثيب المسك ومعه عليّ عليه السلام وهو قول الله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾.

فيقول نوح لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمّد! إنّ الله تبارك وتعالى يقول وسألني هل بلّغت؟ قلت: نعم، قال: فمن يشهد لك؟ فقلت: محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: يا جعفر! ويا حمزة! إذهبا فاشهدا له إنّه قد بلّغ.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء بما بلّغوا.

قلت: جعلت فداك! فعليّ أين هو؟

قال: فهو أعظم منزلة من ذلك »[٣].

هذا في كون عليّ عليه السلام وجه الله، وقد عرفت عموم ذلك بالنسبة إلى سائر النبيّين والأئمّة من

---

١. الكافي، ج ٨، ص ٢٨٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٣١٤.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٦٨.

٣. الكافي، ج ٨، ص ٢٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ٢٨٢.

الرواية.

وأمّا كونه جنب الله، ففي «الكافي» مسنداً إلى أبي الحسن موسى بن جعفرٍ عليهما السلام «في قول الله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾[1].

قال: قال: جنب الله أميرالمؤمنين عليه السلام، وكذلك نحن ما بعده من الأوصياء بالمنزل الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم»[2].

وفي «الكافي» مسنداً إلى هاشم بن أبي عمّار الحسينيّ قال: «سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: أنا عين الله، أنا جنب الله، أنا باب الله»[3].

وفي تفسير «البرهان» عن ابن بابويه مسنداً إلى أبي بصيرٍ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته:

«أنا الهادي، وأنا المهدي، وأبو اليتامى والمساكين، وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف، ومأمن كلّ خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنّة، وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثق، وكلمة الله التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله الّذي يقول: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾، وأنا يده المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطّة من عرفني وعرف حقّي فقد عرف ربّه؛ لأنّي وصيّ نبيّه في أرضه، وحجّته على خلقه، لا ينكر هذا إلّا رادٌّ على الله ورسوله»[4].

ورواه المفيد في «الاختصاص»[5] بسندٍ آخر عن أبي بصير مثله.

وعنه مسنداً إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: أنا علم الله، وأنا قلب الله

---

١. الزمر: ٥٦.

٢. الكافي، ج ١، ص ١٤٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٢.

٣. الكافي، ج ١، ص ١٤٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤ مع اختلاف في النقل.

٤. بحارالأنوار، ج ٤، ص ٨.

٥. الاختصاص، ص ٢٤٨.

الواعي ولسانه الناطق، وعين الله، وأنا جنب الله، وأنا يد الله»[١].

وروى عن محمّد بن إبراهيم المعروف بـ«ابن زينب النعماني» مسنداً إلى جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: «وفد على رسول الله ﷺ أهل اليمن، فقال النبيّ ﷺ: جاءكم أهل اليمن يبسّون بسيساً.

فلمّا دخلوا على رسول الله ﷺ قال: قوم رقيق قلوبهم، راسخ إيمانهم، منهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيّي، حمائل سيوفهم المسك.

فقالوا: يا رسول الله! ومن وصيّك؟

فقال: من أمركم الله بالاعتصام به فقال عزّ وجلّ: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا** ﴾[٢].

فقالوا: بيّن لنا هذا الحبل.

فقال: هو قول الله: ﴿ **إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾[٣] فالحبل من الله كتابه، والحبل من الناس وصيّي.

فقالوا: يا رسول الله! ومن وصيّك؟

فقال: هو الّذي أنزل الله فيه: ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ** ﴾.

قالوا: يا رسول الله! وما جنب الله هذا؟

فقال: الّذي يقول الله فيه: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً** ﴾[٤] هو وصيّي والسبيل إلى من بعدي.

فقالوا: يا رسول الله! بالذي بعثك بالحقّ! أرناه فقد اشتقنا إليه.

---

١. بصائر الدرجات، ص ٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٨.

٢. آل عمران: ١٠٣.

٣. آل عمران: ١١٢.

٤. الفرقان: ٢٧.

فقال: هو الّذي جعله الله آية للمتوسّمين، فإن نظرتم إليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم أنّه وصيّي كما عرفتم أنّي نبيّكم.

فتخلّلوا الصفوف وتصفّحوا الوجوه فمن أهوت إليه قلوبكم، فإنّه هو، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾[1] إليه وإلى ذرّيّته عليهم السلام.

قال: فقام أبو عامر الأشعريّ في الأشعريّين، وأبو غرّة الخولانيّ في الخولانيّين، وضبيان وعثمان بن قيس في بني قيس، وعرنة الدوسيّ في الدوسيّين، ولاحق بن علاقة فتخلّلوا الصفوف وتصفّحوا الوجوه وأخذوا بيد أصلع البطين، وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله!

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنتم نخبة الله حين عرفتم وصيّ رسول‌الله قبل أن تعرفوه، فبم عرفتم أنّه هو؟

فرفعوا أصواتهم يبكون وقالوا: يا رسول الله! نظرنا إلى القوم فلم تحن لهم قلوبنا، ولمّا رأيناه رجفت قلوبنا، ثمّ اطمئنّت نفوسنا، وانجاشت أكبادنا، وهملت أعيننا، وانثلجت صدورنا حتّى كأنّه لنا أب ونحن عنده بنون.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[2] أنتم منه بالمنزلة الّتي سبقت لكم بها الحسنى، وأنتم عن النار مبعدون.

قال: فبقي هؤلاء القوم المسمّون حتّى شهدوا مع أميرالمؤمنين عليه السلام الجمل وصفّين، فقتلوا بصفّين رحمهم الله، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يبشّرهم بالجنّة وأنّهم يستشهدون مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[3].

العيّاشيّ مسنداً إلى أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمّدٍ، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام «في قول الله: ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾.

---

١. إبراهيم: ٣٧.

٢. آل عمران: ٧.

٣. الغيبة للنعماني، ص ٣٩.

قال: خلقنا الله والله! من نور جنب الله ـ وفي نسخة: خلقنا الله جزء من جنب الله ـ وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾ يعني في ولاية عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام»[١].

وعنه أيضاً بإسناد آخر إلى أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليهما السلام «في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾.

قال: قال عليّ عليه السلام: أنا جنب الله، وأنا حسرة للناس يوم القيامة»[٢].

وعنه أيضاً بإسناده إلى أبي الحسن عليه السلام «في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾.

قال: جنب الله أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وكذلك من كان بعده من الخلفاء والأوصياء بالمكان الرفيع حتّى ينتهي إلى الأخير منهم، والله أعلم بما هو كائنٌ بعده»[٣].

وعنه أيضاً مسنداً إلى سدير الصيرفيّ قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ـ وقد سأل رجل عن قول الله عزّ وجلّ ـ: ﴿ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾.[٤]

فقال أبو عبدالله عليه السلام: نحن والله! خلقنا من نور جنب الله تعالى، وذلك قول الكافر إذا استقرّت به الدار: ﴿ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾ يعني ولاية محمّد وآل محمّد، صلوات الله عليهم»[٥].

والشيخ في مجالسه إلى أبي بصيرٍ عن خيثمة قال: سمعت الباقر عليه السلام يقول:

نحن جنب الله، ونحن صفوة الله، ونحن خيرة الله، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أُمناء الله، ونحن حجج الله، ونحن حبل الله، ونحن رحمة الله على خلقه، ونحن الّذين بنا يفتح الله

---

١. تأويل الآيات، ص ٥٠٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٢.

٢. تأويل الآيات، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ١٥٠.

٣. تأويل الآيات، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٢.

٤. الزمر: ٥٦.

٥. تأويل الآيات، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٢.

وبنا يختم، ونحن أئمّة الهدى، ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى، ونحن علم المعروف لأهل الدنيا، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، ومن تمسّك بنا لحق، ومن تخلّف عنّا غرق.

ونحن قادة الغرّ المحجّلين، ونحن حرم الله، ونحن الطريق والصراط المستقيم إلى الله تعالى، ونحن مِن نعم الله على خلقه، ونحن المنهاج، ونحن معدن النبوّة، ونحن موضع الرسالة، ونحن أُصول الدين وإلينا تختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهُداة إلى الجنّة، ونحن عُرى الإسلام، ونحن الجسور، ونحن القناطير؛ من مضى علينا سبق، ومن تخلّف عنّا محق، ونحن السنام الأعظم، ونحن الّذين بنا تنزل الرحمة، وبنا يُسقون الغيث، ونحن الّذين بنا يصرف الله عنكم العذاب؛ فمن أبصرنا وعرفنا وعرف حقّنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا.[١]

ابن شهرآشوب عن السجّاد عليه السلام والباقر عليه السلام والصادق عليه السلام وزيد بن عليّ عليه السلام في هذه الآية قالوا: «جنب الله عليّ وهو حجّة الله على الخلق يوم القيامة»[٢].

أبوذر في خبرٍ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا أباذر! يُؤتى بجاحد عليٍّ يوم القيامة أعمى وأبكم يتكبكب في ظلمات يوم القيامة، يُنادي: ﴿ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾ وفي عنقه طوقٌ من نار»[٣].

الطبرسيّ في «الاحتجاج» ـ في حديثٍ طويلٍ ـ عن عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الزنديق الّذي سأله عن المتناقضات في القرآن ـ وهو حديث شريف يزيد على كرّاسين، فيه أكثر الآيات المحتاجة إلى التأويل، وفيه ممّا نحن بصدده كثير، وفيه كثير من الفضائل، وفيه ما يأتي ـ:

«وهم وجه الله الّذي قال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[٤]، هم بقيّة الله ـ يعني

---

١. الامالي للطوسى رحمه الله، ص ٤٠٤.

٢. تفسير فرات، ص ٣٦٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩١.

٣. المناقب، ج ٣، ص ٢٧٣؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ٢١١.

٤. البقرة: ١١٥.

المهدي عليه السلام ـ الّذي يأتي عند انقضاء هذه النظرة فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ... إلى قان قال:

قد زاد جلّ ذكره في التبيان وإثبات الحجّة بقوله في أصفيائه وأوليائه عليهم السلام إذ يقول: ﴿ **يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ** ﴾ تعريفاً للخيفة قربهم.

ألا ترى إنّك تقول: فلان إلى جنب فلان إذا أردت أن تصف قربه منه، وإنّما جعل الله تبارك وتعالى هذه الرموز الّذي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه، لعلمه ما يحدث في كتابه المدلّسون من إسقاط أسماء حججه وتلبيسهم ذلك على الأُمّة ليعينوهم على باطلهم، فأثبت فيه هذه الرموز وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدالّ على ما أحدثوا فيه، وجعل أهل الكتاب القيّمين والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كلّ حين بإن ربّها أي: يظهر مثل هذا العالم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت»[1]، ... إلى آخر ما قال.

محمّد بن الحسن الصفّار مسنداً إلى مالك الجهنيّ قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: أنا شجرة من جنب الله؛ فمن وصلنا وصله الله.

قال: ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ** ... إلى قوله: **لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ** ﴾ »[2] ... إلى آخره.

الطبرسيّ: روى العيّاشيّ بالإسناد إلى أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «نحن جنب الله»[3].

هذا كلّه نقلته من تفسير «البرهان» للسيّد الصمدانيّ السيّد هاشم البحرانيّ.

وأمّا الأسماء الحسنى، «فقال الله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾[4]

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٢٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٩٠، ص ١١٨.

٢. بصائر الدرجات، ص ٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤.

٣. بحارالأنوار، ج ٧، ص ١٥٩.

٤. الأعراف: ١٨٠.

قال عليه السلام: نحن والله! الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل الله من العباد إلّا بمعرفتنا»[١].

العيّاشيّ مُسنداً إلى الرضا عليه السلام قال: «إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ، وهو قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ »[٢].

المفيد في «الاختصاص» مسنداً إلى محمّد بن مسلم، عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: «سمعت جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: قلت: يا رسول الله! ما تقول في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟

قال: ذلك نفسي.

قلت: فما تقول في الحسن والحسين عليهما السلام؟

قال: هما روحي، وفاطمة إنّها بنتي؛ يسوئني من أساءها ويسرّني من سرّها، أُشهد الله أنّي حربٌ لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم.

يا جابر! إذا أردت أن تدعوا الله فيستجيب لك فادعه بأسمائهم»[٣].

إلى غير ذلك من الأخبار المعتبرة المستفيضة في كلّ واحد واحد.

وفي زيارة مولانا صاحب الزمان عليه السلام الّتي خرجت في التوقيع المباركة بيد محمّد بن عبدالله الحميريّ المذكور في المزارات:

«قد أتاكم الله يا آل يس! خلافته، وعلم مجاري أمره فيما قضاه ودبّره ورتّبه وأراده في ملكوته فكشف لكم الغطاء وأنتم خزنته وشهداؤه وعلماؤه وأُمناؤه وساسة العباد وأركان البلاد وقضاة الأحكام وأبواب الإيمان ... إلى أن قال:

فلا نجاة ولا مفزع إلّا أنتم، ولا مذهب عنكم يا أعين الله الناظرة، وحملة معرفته، ومساكن توحيده في أرضه وسمائه ... إلى أن قال في أواخر الزيارة الطويلة:

فالحقّ ما رضيتموه، والباطل ما سخطتموه، [و] المعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٤٣؛ بحارالأنوار، ج ٩١، ص ٦.

٢. تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ٤٢؛ بحارالأنوار، ج ٩١، ص ٥.

٣. الاختصاص، ص ٢٢٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٣٤٧.

عنه، والقضاء المثبت ما استأثرت به مشيّتكم، والمحوّ ما استأثرت بـه سـنّتكم»[١]... إلى آخر الزيارة.

ولو أردت استقصاء ما وردت في خصوص الزيارات من هذه الإطلاقات عليهم لصـار كتاباً كبيراً، وإنّما المراد والمقصود أنّ الفاضل المتبحّر صاحب الرسالة أنكر هذه الإطـلاقات وقال: إنّها لم يرد في كتاب تسكن النفس إليه قليلاً.

ولم يكتف بهذه... إلى أن قال: والمظنون بها أنّها من مجعولات الغلاة والصوفيّة والزنادقة.

فهذا القدر القليل الّذي كالقطرة من البحر ممّا نقلته لك بالنسبة إلى ما لا نقلته لك، أيجوز أن تركن النفس إليه؟ أم يجوز أنّها كلّها من مجعولات الغلاة، أو الصوفيّة والزنادقة؟

مع أنّ كثيراً من الأخبار السالفة مسطورة في «الكافي»[٢] وبعضها في «التهذيب»[٣] وكثير منها في كتب الصدوق، وليست هذه الكتب ممّا تركن النفس إليها قليلاً خصوصاً مـا وردت منها في الزيارات المعتبرة المتلقّاة بالقبول من جميع الشيعة كالزيارة الجامعة الكبيرة وزيارات أميرالمؤمنين عليه السلام الّتي نقلها صفوان مع زيارة عاشوراء، وقلّ شيعة لما قرئها في عشر العاشور، بل في سائر الأيّام، كما وردت به الرواية، وكذلك سائر الزيارات، مثل: زيـارة مـولد النـبيّ لأميرالمؤمنين ـ عليهما صلوات الله ـ وزيارة يوم الغدير له عليه السلام، وبعض زيـارات بـقيّة الله في أرضه وإمامنا صاحب العصر والزمان ـ أرواحنا فداه ـ فإنّها مشحونة بهذه العناوين السابقة.

وقد عرفت الإشارة إلى الأخبار المستفيضة في أكثرها، وستعرف تفصيلها من الأخبار في كلّها في المقام الثالث الآتي إن شاء الله تعالى.

فما أدري ما أقول في الاعتذار عن كلمات صـاحب الرسـالة في إنكـار فـضائلهم هـذه، فلعمري. إنّه لأعجب شيءٍ رأيناه من علماء مذهبنا، خصوصاً المتأخّرين الّذين سهـل لهـم الاطّلاع بالأخبار بإعباء تحمّلها العلماء الماضون في جمع الأخبار وتنقيدها وتبويبها:

---

١. بحارالأنوار، ج ٩١، ص ٣٦.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٥٨.

٣. التهذيب، ج ٢، ص ٩٧.

مثل الكلينيّ الّذي صنّف «الكافي» في عشرين سنة من سني الغيبة الصغرى واستجماعه مع النوّاب إلى الإمام في بلدٍ واحدٍ وشهد بصحّة ما أورده في كتابه ذلك مع انفتاح باب العلم له وسهولته له، وهذه خصوصيّة من حجّة للكافي على غيرها لم نجد من تفطّن عليها.

ومثل الصدوق الّذي صرّح في «الفقيه» بأنّ أوّل الغلو نفي السهو عن النبيّ والإمام[١] وأورد هذه الأخبار في كتبه من «العيون» و«الخصال» و«التوحيد» و«فضائل الشيعة» و«الأمالي» وغيرها.[٢]

ومثل الشيخ ـ الملقّب بالمفيد ـ والطوسيّ ـ الملقّب بشيخ الطائفة ـ في أماليه وابنه في مجالسه وغيرهم[٣].

وبالجملة، الأدلّة الدالّة على أفضليّة آل محمّد ﷺ ممّن سواه ـ صلوات الله عليه وآله ـ وجلالة شأنهم وعظم أمرهم وكبر خطرهم وسرّهم عموماً وخصوصاً كثيرة جدّاً لا يكاد يمكن حصرها في هذه المختصرات، وما وصل إلينا من أخبارهم الدالّة على المطلوب على أصناف كثيرة كلّ صنف منها فوق حدّ التواتر المعنويّ، كما ستعرف شيئاً يسيراً منها في الأبواب الآتية في المقام الثالث، وجملة أصنافها مشتركة في دلالتها على علوّ مقامهم وجلالة شأنهم بحيث لا يمكن إدراك كنهها ولا يجوز قياس أمرهم في جهة من جهاتهم على غيرهم، واستجمعوا كلّ شرف وفيض وخير ومزيّة وكلّ ما يتصوّر ويتعقّل أن يكون به الشرف والجلالة والفضل، فأكملها فيهم بحيث لا يمكن أن يكون أعلى منهم شيء أو أحد، لوراثتهم عن الرسول الخاتم ﷺ كلّ فضل وشرف ومزيّة له سوى النبوّة وخصائصه، ولا شكّ ولا خلاف في أفضليّته وأشرفيّته عمّا سواه.

ولا يستلزم عدم نبوّتهم مفضوليّتهم بالنسبة إلى سائر الأنبياء لا عقلاً ولا نقلاً، بل الثاني دالّ بأقسامه كتاباً وسنّة وإجماعاً على أفضليّتهم عمّا سوى الرسول الخاتم ﷺ، فإنّهم

---

١. الفقيه، ج ١، ص ٣٥٩.

٢. عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٣٩؛ التوحيد، ص ٨٤.

٣. الامالي للمفيد رحمه الله، ص ٢٩٩؛ الامالي للطوسي رحمه الله، ص ٤٩٤.

حائزون كلّ منقبة وشرف وفضل كان لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله سوى النبوّة.

ولا ريب في أفضليّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله وأعلميّته وأشرفيّته من سائر الأنبياء ـ عليه وعلى آله وعليهم صلوات الله ـ فكذلك أوصياؤه، مضافاً إلى الأدلّة الخاصّة، كما ستعرف ـ إن شاء الله ـ في المقام الآتي.

فإنّ الله تبارك وتعالى قد أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله والأئمّة الطيّبين الطاهرين عليهم السلام ما أعطى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين وعامّة الخلائق أجمعين، واختصّهم بلطيف صنعه وقديم إحسانه بما لم يعطه لأحدٍ منهم من الأوّلين والآخرين ممّا نعلمها بتعليمهم وما لم نعلمها، لعدم وصولها إلينا ولم يصدر منهم، لعدم تمكّن عقولنا من إدراكها، والأخبار الدالّة على حجّتنا عن العلوم والأسرار الّتي لم يطقها عقولنا فصارت مكتومة مكنونة عندهم؛ كثيرة، منها أخبار: «حديثنا صعب مستصعب»، فإنّ الكليني رحمه الله قد عقد باباً لهذا العنوان والمراد من الحديث الشأن والقصّة والأمر كما يظهر من أخبار الباب، وأخبارها على قسمين:

قسمٌ منها: «إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»[1].

والمعنى أنّ بعض الملائكة أو الأنبياء المرسلين، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان يحتمل حديثنا وغيرهم لايحتمله.

وقسمٌ آخر منها لفظه: «لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»[2] من دون لفظ الاستثناء.

يعني: إنّ أمرنا وسرّنا مخصوص بنا لايطيق حمله أحد من الملائكة المقرّبين ولا الأنبياء المرسلين فكيف بغيرهم فلايطيقه أحد.

فمن الأوّل ما رواه فيه مسنداً عن جابر قال: قال أبو جعفرٍ عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يؤمن به إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله

١. الكافي، ج ١، ص ٤٠١؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ١٨٣.
٢. بصائر الدرجات، ص ٢١؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ٧١.

قلبه للإيمان؛ فما ورد عليكم من حديث آل محمّد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمّد، وإنّما الهالك أن يحدّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله! ما كان هذا، والله! ما كان هذا، والإنكار هو الكفر»[١]، انتهى.

وقد أشرنا أنّ المراد من حديثهم أمرهم وشأنهم يعني: ما ورد عليكم من حديث يشتمل شيئاً من أمرنا.

قال المحقّق الصالح: لعلّ المراد أنّ حديثهم وحديث ما هم عليه من شرافة الذات ونورانيّتها والكمالات الفاضلة والأخلاق الكاملة والإشراقات الّتي يختصّ بها عقولهم والقدرة على ما لا يقدر عليه غيرهم من العلم بالأمور الغيبيّة والأسرار الإلهيّة والأخبار الملكوتيّة والآثار اللّاهوتيّة والأطوار الناسوتيّة والأوضاع الفلكيّة والأوصاف الملكيّة والأحكام الغريبة والقضايا العجيبة صعب في نفسه مستصعب فهمه على الخلق، لا يؤمن به ولا يقبله إلّا ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان وأعدّه بتطهيره وامتحانه وابتلائه بالتكاليف العقليّة والنقليّة، وكيفيّة سلوك سبيله لحصول الإيمان الكامل بالله وبرسوله وبالأئمّة وباليوم الآخر حتّى يتجلّى بالكمالات العلميّة والعمليّة والفاضل الخلقيّة والنفسيّة، ويعرف مبادي كمالاتهم وقدرتهم وكيفيّة صدور هذه الغرائب والعجائب عنهم فيصدّقهم ولا يستنكر ما ذكر من فضائلهم وما يأتون به من قول أو فعل وأمر ونهي وإخبار...[٢] إلى [آخر] ما ذكره.

وما رواه فيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ذُكرت التقيّة يوماً عند عليّ بن الحسين عليهما السلام.

فقال: والله! لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبيٌّ مرسل، أو ملك مقرّب، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٠١؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ١٨٩.

٢. شرح أُصول الكافي، ج ٧، ص ٣.

فقال: وإنّما صار سلمان من العلماء، لأنّه امرء منّا أهل البيت فلذلك نسبه إلى العلماء»[١].

أقول: لعلّ المراد أنّ ما في قلب سلمان هو العلوم والأسرار الّتي لا يحتمله مثل أبي‌ذر فكيف بغيره، وعدم احتماله حتّى يقتله أنّه يكفّر سلمان لما في قلبه من العقايد ويوجب قتله فيقتله، ومن هذا يُعلم عدم احتمال غير هؤلاء يعني أنّ غيرهم لا يجوّزون ما اشتمل الحديث كونه حقّاً وصدقاً يصدر من الإمام الحقّ فيكذّبه فيكفر.

وحاصله في التقيّة أنّه لابدّ من كتمان الأسرار وعدم إذاعته حتّى من الإخوان المشتركين معه في أصل الدين؛ لأنّ مراتب الإيمان متفاوتة في الغاية فكيف بغيرهم، ولهذا يبالغ الأئمّة لأصحابهم الّذين يرون شيئاً من أسرارهم في الكتمان وعدم الإذاعة حتّى توعّدوهم بالقتل.

بل وقع ذلك في قصّة معلّى بن خنيس من أصحاب الصادق عليه السلام حيث رأى الصادق عليه السلام أنّه حزينٌ، فعلم أنّه يهوى أهله وأولاده، فقال له ذلك، فصدّقه، فأذهب به في الآن من المدينة إلى الكوفة في بيته واستتر نفسه عنه حتّى قارب أهله، فناداه وأرجعه في الحال إلى المدينة وأمره بالكتمان وهدّده بالقتل لو أذاعه، [فلم يـ] حفظه وحدّث به فقتله داود إلى المدينة ودعا عليه الإمام عليه السلام فمات في ليلته، ومثله بالنسبة إلى داود الرقّي.

ويظهر من أخبار مُعلّى هذه أنّ المراد بالصعب من حديثهم مثل فعله به حيث أن مسح وجهه في مجلسه بالمدينة وقال له: «أين تراك؟

فقال: أراني في بيتي هذه زوجتي، وهذا ولدي، فاستتر منه حتّى نال من أهله وملأ منهم، فناداه، فمسح وجهه وقال له: أين تراك؟

فقال: أراني معك في المدينة، فقال له:... [يا معلّى! إنّه] من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين يديه وزوّده القوّة والبأس[٢]، ومن أذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتّى يعضّه السلاح... وقال: أنت مقتول فاستعدّ»[٣].

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٠١؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٣٤٣.

٢. في البحار: ورزقه الله العزّة في الناس.

٣. الاختصاص، ص ٣٢١؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ٧١.

أقول: [يعني:] إنّك لا تطيق كتمانه فتذيعه، فتُقتل. فيظهر من ذلك معنى الصعب من الحديث، وفعله عليه السلام هذا غير طيّ الأرض، وإن كان هو أيضاً من الصعب فهمه، فإنّه مسح بوجهه وقال له قوله، فرأى نفسه في الكوفة وبالعكس في الحال من دون حركة.

والمراد من قوله: «إنّ علم العلماء صعب»[1] علم الأئمّة عليهم السلام، لأنّ علم سلمان كان ممّا علّمه أميرالمؤمنين عليه السلام، ولهذا قال [في] آخر الحديث: «وإنّما صار من العلماء، لأنّه امرء منّا أهل البيت»[2] فلذلك نسبه الى العلماء.

قوله: «وإنّما صار من العلماء»[3] يعني: إنّ علمه من علم الإمام عليه السلام، ولذا قال عليّ عليه السلام: «سلمان علم علم الأوّل والآخر»[4].

وأمّا توجيه «لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله»[5] مع كونهما من أجلّاء أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام ـ حتّى ورد في الأوّل بأنّه منّا أهل البيت وقيل بعصمته ولم يكن بعيداً بمعنى العصمة عن الذنب لا عصمة الإمامة الّتي بمعنى السهو والخطاء، وورد فيه أنّه علم علم الأوّل والآخر، وورد في الثاني: «ما أظلّت السماء»[6]... إلى آخره، وورد فيه ما يدلّ على أنّه يعلم المستقبل، كما أخبر بنته بمجيء جماعة من الأصحاب لكفنه ودفنه ـ ويمكن على وجوه:

منها: أن يكون سلمان عالِماً بأسرار الربوبيّة وأسرار الولاية بتعليم أميرالمؤمنين عليه السلام الّتي لا يجوز إظهارها ويجب كتمانها بحيث لو أظهرها يباح له القتل وإن كانت من الأُمور الصحيحة الواقعيّة، كما في بعض أخبار وجوب كتمان أسرارهم توعيدهم بأنّه لو أذاعوها يباح دمهم بهذا المضمون، فإنّ إباحة الدم وإن كان الظاهر منها الإباحة التكوينيّ إلّا أنّه على هذا الوجه يكون

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٠١؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٣٤٣.

٢ و ٣. نفسه.

٤. شرح أُصول الكافي، ج ٧، ص ٧.

٥. الكافي، ج ١، ص ٤٠١؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ١٩٠.

٦. بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٢٤١.

معناها الإباحة الظاهريّة الشرعيّة.

وهذا يكون على ظاهر الأمر من انحصار اطّلاع أبي ذر بما في قلب سلمان بـإظهاره، ولو أظهر يباح دمه ولا يظهر أبداً، فلا قتل، ولذا عبّر بـ«لو» المعروف أنّه للامتناع عند الامتناع.

فإن قلت: إنّ أباذر كان من المؤمن الممتحن فكيف لا يحتمل علوم سلمان؟

قلت: سيجيء جوابه في الخبر الآتي من القسم الثاني وحاصله: أنّ الأسرار منها ما لا يحتمله غير محمّد وآله ـ صلّى الله عليهم أجمعين ـ وقد أظهر أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً منها لسلمان، لأنّه منهم، وهذا مخصوص به، كما يدلّ عليه أنّه منّا أهل البيت.

ثانيها: إنّ هذا الكلام من قبيل قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[1] فإنّ المقصود في مواضع استعمال «لو» أنّ عدم الجزاء مترتّب على عدم الشرط، وأمّا ثبوته فقد يكون محالاً لابتنائه على ثبوت الشرط، وثبوت الشرط قد يكون محالاً عادة أو عقلاً، كعلم أحدنا بجميع ما في قلب الآخر، وثبوت حقيقة الملكيّة للمتكلّم في قوله: «لو كنت ملكاً لم أعص»، وقوله تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ منه لامتناع ثبوت الشرك منه.

هذا على ظاهر الآية الشريفة، وإلّا فقد وردت أخبار كثيرة بأنّ المراد إشراك غير عليٍّ معه في الخلافة الّذي أشار إليه بعض أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وببالي رواية في أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال في مقام تأكيد إقامة حدود الله ما مضمونه: أنّه لو زنت فاطمة عليها السلام لأقمت عليها الحدّ، فبعده أنزل الله هذه الآية.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لجبرئيل: أيحتمل منّي الشرك؟

فقال له: هذا بذاك، يعني قولك في فاطمة عليها السلام بأبي وأمّي لها.[2]

ثالثها: إنّه يكون من قبيل قصّة موسى وخضر عليهما السلام، فإنّ موسى عليه السلام قال له: ﴿**لَقَدْ**

---

١. الزمر: ٦٥.

٢. بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٤٣.

جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾[١] و ﴿ شَيْئاً نُكْراً ﴾[٢] مع أنّه نبيّ مرسل. وحاصل حلّه أنّ خضراً عليه السلام كان وليّاً عالماً بالباطن، ومقام موسى عليه السلام مقام علم الظاهر ولهذا قال له: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴾[٣] فما قاله صواب وما فعله خضر عليه السلام أيضاً صواب إلّا أنّ أحدهما مبنيّ على علم الظاهر. نظير بعض قضايا أميرالمؤمنين عليه السلام على الباطن الغير المطابق للظاهر في بعض المقامات.

...إلى غير ذلك من الوجوه المحتملة الّتي تركناها لضيق المجال، مثلاً اختلاف الملكين في قصّة داود مع أنّ الملك معصوم.

ومنها ما رواه فيه عن الصادق عليه السلام: «إنّ حديثنا صعب مستصعب لايحتمله إلّا صدور منيرة، أو قلوب سليمة، أو أخلاق حسنة، إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق، كما أخذ على بني آدم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[٤]؛ فمن وفى لنا وفى الله له الجنّة، ومن أبغضنا ولم يؤدّ إلينا حقّنا ففي النار خالداً مخلّداً»[٥]، انتهى.

أقول: ومنها دلالة على أخذ الميثاق يوم الذرّ الأوّل وهو عالم في الأرواح بولايتهم، كما أخذ الميثاق بربوبيته، ودلالته على أنّ الشيعة أقرب بولايتهم فوفى لهم في عالم الأبدان، وغيرهم لم يقرّ بولايتهم فأنكرهم وأبغضهم في عالم الأبدان فلا ينفعهم الإقرار بربوبيّته فيكونون خالداً مخلّداً في النار.

والمراد بالأخلاق الحسنة صاحبها بحذف المضاف، كما هو ظاهر، وشرح مسألة الظنّيّة بحيث لا ينافي العدل ولا يستلزم الجبر طويل الذيل وبما يجيء الإشارة إليه في مطاوي الأبواب الآتية إن شاء الله.

---

١. الكهف: ٧١.

٢. الكهف: ٧٤.

٣. الكهف: ٦٨.

٤. الأعراف: ١٧٢.

٥. الكافي، ج ١، ص ٤٠١؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ١٨٣.

وأمّا القسم الآخر منها ما رواه في «الكافي» عن الصادق عليه السلام أنّه قال لأبي بصير:

«يا أبا محمّد! إنّ عندنا والله! سرّاً من أسرار الله، وعلماً من علم الله، والله! ما يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله! ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه فبلّغناه عن الله عزّ وجلّ، أمرنا بتبليغه فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمّالة يحتملونه حتّى خلق الله لذلك أقواماً خُلقوا من طينته، خلق منها محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وذرّيّته عليهم السلام ومن نور خلق الله منه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وذرّيّته وصنعهم بفضل صنع منها محمّداً وذرّيّته، فبلّغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه واحتملوا ذلك عنّا فقبلوه، واحتملوه وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أنّهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله! ما احتملوه.

ثمّ قال: إنّ الله خلق أقواماً لجهنّم والنار، فأمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم، واشمأزّوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردّوه علينا ولم يحتملوه وكذّبوا به وقالوا: ساحرٌ كذّاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثمّ أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة فيكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عُبِد الله في أرضه، فأمرنا بالكفّ عنهم [والستر والكتمان، فاكتموا عمّن أمر الله بالكفّ عنه] واستروا عمّن أمر الله بالستر والكتمان عنه.

قال: ثمّ رفع يده وبكى وقال: اللّهمّ إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون فاجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم، ولا تسلّط عليهم عدوّاً لك فتفجعنا بهم، فإنّك إن أفجعتنا بهم لم تُعبد أبداً في أرضك، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليما»[١].

أقول: وقد نقلنا الخبر بطوله مع كفاية بعضه في المقصود لما فيه من الفوائد الشريفة، ولها دخل في أصل مقصودنا، ويظهر من صدر الخبر أنّ علومهم على قسمين:

قسم يختصّ بهم، فلا يجوز إظهارها، منها بعض أسرار الربوبيّة والإلهيّة، ومنها بعض أسرار الولاية.

وقسم منها لا يختصّ بهم، فهم مأمورون بتبليغه إلى الخلق، ولكن لا يقبله منهم إلّا من

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٠٢؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ١٨٤.

كان بينه وبينهم مناسبة ذاتيّة وموافقة روحانيّة، ولا يكون هذا إلّا في شيعتهم المخلوقين من فاضل طينتهم وأجسادهم من شعاع طينة أجسادهم، وأرواحهم، من شعاع أنوار أرواحهم فإنّ طينتهم من طينة علّيّين، وروحهم من نور عظمة الله وقدرته ورحمته، وطينة شيعتهم وأرواحهم من تحت طينة أئمّتهم، وأنوارهم من تحت أنوارهم.

وأمّا مخالفوهم، فطينتهم من سجّين، وأرواحهم من الظلمات فلا يقبلون ولايتهم ولا علومهم ولا أسرارهم، مع أنّهم قد بلّغوهم فطبع الله على قلوبهم وقالوا: إن هذا إلّا سحر وكذب.

وأمّا ما قد يصدر عنهم بإقرارهم بعلومهم وبعض أسرار ولايتهم الّتي من قبيل القسم الثاني، فإنّما هو حقّ أجرى الله على لسانهم ليدفع الله بذلك شرّ رؤسائهم وسلاطينهم عن شيعتهم وإلّا فلا يوافقها قلوبهم، ولولا ذلك الدفع لأفنوا هذه الفئة القليلة الحقّة، وإذا فنوا فلم يُعبد الله في أرضه، فإنّ التوحيد لا ينفع بدون الولاية، ولولا دعاؤهم وحفظهم لأفنوا الأعداء شيعتهم، فتفنى العبادة مع الولاية.

وهذه المناسبة الذاتيّة والموافقة الروحانيّة هي التيم توجعهم وتفجعهم بمصيبة شيعتهم، وتفجعنا بمصائبهم.

بأبي هُم وأُمّي ونفسي وكلّ ما هو منّي، فكيف لا توجعنا مصيباتهم وغصبهم حقّهم وقتلهم وسبي أهاليهم وذبح أولادهم وأكبادهم وغيبتهم عنّا، فرّج الله عنّا بفرجهم بحقّهم وشأنهم ومقامهم، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً.

وشرح فقرات الرواية وبيان رموزها ونكاتها ممّا يحتاج إلى مجالٍ واسع، فظهر بحمد الله أنّ لهم علوماً وأسراراً لا يحتمله إلّا هؤلاء الفرق الثلاث، وعلوماً وأسراراً لا يحتملها هؤلاء الفرق أيضاً فكيف بغيرهم، ولابدّ من استثناء الرسول الخاتم ﷺ، كما هو معلوم بالأدلّة القطعيّة، فإنّ كلّ علومهم منه ـ صلوات الله عليه وآله ـ وهذا قسم من الدليل العام على المطلوب، ويطابقه الأخبار الخاصّة:

مثل ما رواه في «الخرائج» بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أتى الحسين عليه السلام رجلٌ

فقال: حدّثني بفضلكم الّذي جعل الله لكم.

فقال عليه السلام: إنّك لا تطيق حمله.

قال: بل حدّثني يابن رسول الله! إنّي أحتمله.

فحدّثه بحديث، فما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتّى ابيضّ رأس الرجل ولحيته وأنسى الحديث.

فقال الحسين عليه السلام: أدركته رحمة الله حيث أنسى الحديث»[١].

وفي رواية أُخرى: «إنّ ثلاثة رجال جاؤوا إليه وسألوه ذلك، فلمّا حدّث واحداً منهم قام طائر العقل، ومرّ على وجهه وذهب وكلّمه صاحباه فلم يردّ عليهما شيئاً»[٢].

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام: «لو أُذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند الله أو منزلتنا عنده لما احتملوا»[٣]... الخبر.

وبالجملة، الأخبار الدالّة على هذا المعنى وعلى أنّ مدار الأئمّة عليهم السلام كان على التكلّم مع الناس على وفق المصلحة ومراعاة أحوال السائلين وعلى قدر مقتضى عقولهم ووصول أفهامهم عامّاً وخاصّاً؛ كثيرة، والكلّ مشترك الدلالة على أنّ شأنهم ومقامهم وعلومهم وأسرارهم بمقام رفيع لا يبلغه علوم العلماء وإفهام الحكماء، بل لهم أسرار لا يحتمله نبيّ مرسل ولا ملك مقرّب ولا مؤمن كامل فضلاً عن غيرهم، ومن هذا القبيل الشعر المشهور عن عليّ بن الحسين عليه السلام.

وبالجملة، هذه الأخبار بمكان من الكثرة لا ينكرها إلّا مكابر متعسّف.

ومنها ما قاله الرضا عليه السلام ـ في حديثٍ طويل ـ في «الكافي» ذكر فيه صفات الإمام وعظم شأنه:

«أنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها

---

١. الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٧٩٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٧٩.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٧٨.

٣. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٨٥.

الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شريفة شرّفه بها... إلى أن قال:

هيهات! هيهات! ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسرت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وعجزت الأدباء، وكلّت الشعراء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله فأقرّت بالعجز والتقصير.

وكيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه أو يغني غناءه، كيف لا»[١]... إلى [آخر] الخبر بطوله وسيجيء في الأبواب الآتية إن شاء الله.

والحاصل، إنّ الله تبارك وتعالى قد خصّص محمّداًﷺ والأئمّة من آله الّذين خلقوا من نور واحد بالتشريف والتقديم والمطاعيّة على كلّ الخلق أجمعين بحيث لا يساويهم أحدٌ أبداً، فشرّفهم بذلك فخصّهم بالإيجاد من نور عظمته قبل خلق المخلوقين، بل خلق لأجلهم سائر الموجودين، ثمّ اصطفاهم لكمال قابليّتهم وعدم البخل في فيّاضيّته بمزيد كرامته بحيث منحهم جميع محامد الفعال ومكارم الخصال وغرائب الأحوال، وعلّمهم جميع العلوم والحكم، وأودعهم المعاجز والأسرار والإسم الأعظم.

وأنعم عليهم بفضائل عميمة عظيمة لم يعطها أحداً غيرهم قد أوجب على سائر الخلق ولايتهم بعد معرفته كما كلّفهم بإطاعته، بل قرن إطاعتهم بعبادته وتوحيده بحيث جعل عبادته بدون ذلك عين مخالفته، ثمّ فوّض إليهم أمر خلقه ليسوسهم على عبادته، كما يفوّض الملك شيئاً من أُمور مملكته إلى بعض المعتمدين من وزرائه الّذين يعلم أنّهم لا يخالفونه فيما أُمروا به، بل فيما علموا إرادته لذلك، كما قال تعالى: ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ** ﴾[٢]، وقال: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّآ أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ** ﴾[٣]

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٠١؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٢٤.

٢. الأنبياء: ٢٦ـ٢٧.

٣. الإنسان: ٣٠.

فلهم خصائص وفضائل وعلوم وأسرار عجيبة غريبة ممّا نعلمها لحجبهم عنّا وسترها علينا، لأنّا لا نطيق بفهمها وما نعلمها بتبليغهم قد فاقوا بها كلّ فائق، واستبقوا كلّ سابق بحيث لا يطمعها طامع، ولا يلحقهم لاحق، وما بلغناها يثبت لهم مقام معلوم يشهده المقرّبون، ويتقرّب بهم المتقرّبون، ولا يبلغ مقامهم أحد غيرهم لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل فضلاً عن غيرهم، ولا يشرك معهم أحد سواهم فيها.

فإن سألت عن بدء خلقهم فأرواحهم مخلوقون قبل خلق العالمين من نور عظمة الله، وخلق سواهم لأجلهم سواء في ذلك الأفلاك والأملاك والعرش والكرسيّ وأنبيائه ورسله فضلاً عن غيرهم وغيرها.

فإن سألت عن طينة أجسادهم، فخلقهم من صفوة طينته علّيّين، وقد فسّرت بطينة الجنان الّتي عرش الرحمان سقفه.

وإن سألت عن مبدأ خلق أبدانهم، فمن ماء عين الجنان لا من المطعومات الدنيويّة السفليّة.

وإن سألت عن مقامهم في أرحام أُمّهاتهم، فهم بعد أربعين يوماً يسبّحون الله فيها بحيث يسمعونها أُمّهاتهم وتستأنس بهم، وقصّة حركة عليّ عليه السلام في بطن أُمّه فاطمة إلى حيث توجّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحيث يحرّكها إليه مسطوره في الأخبار.

والأخبار يُفسّر بعضها بعضاً: ففي خلقة أنوارهم قبل خلق العالم ما هو مُطلق.

وفي بعضها: خلق روحاً ثمّ خلق نوراً.

وفي بعضها: فصّل خلق الروح وخلق طينة أجسادهم.

فبهذا يعلم المراد في الأوّلين، وسيأتي أخبارها في الأبواب الآتية في المقام الثالث، وأذكر في المقام خبراً واحداً من القسم الثالث حتّى كون على بصيرة في أخبار المقام وفي مقامات الإمام.

فلقد رأيت من الفقهاء الظاهرين عند ذكر هذا المطلب يحلف بالله أنّ محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم قبل تولّده من أُمّه آمنة لم يكن موجوداً بشيءٍ إلّا في علم الله.

فانظر في مثل هذا الخبر، لتعلم خلق روحهم وطينة أجسادهم جميعاً قبل خلق العالم وقبل

خلق آدم:

في كتاب «المعراج» للصدوق بإسناده عن ابن عبّاس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب عليّاً عليه السلام ويقول:

«يا عليّ! إنّ الله تعالى كان ولا شيء معه فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله، فكنّا أمام العرش نسبّح الله ونقدّسه ونهلّله، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرضين.

فلمّا أراد أن يخلق آدم خلقني وإيّاك من طينة علّيّين وعجننا بذلك النور وغمسنا في جميع الأنوار وأنهار الجنّة، ثمّ خلق آدم واستودع صلبه تلك الطينة والنور.

فلمّا خلقه استخرج ذرّيّته من ظهره واستنطقهم وقرّرهم بربوبيّته.

فأوّل خلق الله أقرّ له بالربوبيّة أنا وأنت والنبيّون على قدر منازلهم وقربهم من الله عزّ وجلّ.

فقال الله: صدقتما وأقررتما يا محمّد! ويا عليّ! وسبقتما خلقي إلى طاعتي وكذلك كنتما في سابق علمي فيكما، فأنتما صفوتي من خلقي والأئمّة من ذرّيّتكما وشيعتكما، وكذلك خلقتكم.

ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ! فكانت الطينة في صلب آدم ونوري ونورك بين عينيه، فما زال ذلك النور بين أعين النبيّين والمنتجبين حتّى وصل النور والطينة إلى صلب عبدالمطّلب فافترق نصفين: فخلقني الله من نصفه واتّخذني نبيّاً ورسولاً، وخلقك من النصف الآخر فاتّخذك خليفة على خلقه ووصيّاً ووليّاً.

فلمّا كنت من عظمة ربّي كقاب قوسين أو أدنى، قال لي: يا محمّد! من أطوع خلقي لك؟

فقلت: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: اتّخذه خليفة ووصيّاً.

فقال: اتّخذته صفيّاً ووليّاً.

...إلى أن قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ! فمن ذا الّذي يلج بيني وبينك وأنا وأنت من نور واحد وطينة واحدة؟ [فأنت أحقّ الناس بي في الدنيا والآخرة] وولدك ولدي وشيعتكم

شيعتي »[1] ... الخبر.

فتأمّل في هذا الخبر وأشباهه حتّى تعرف أنّ ما ورد من الخبر واشتهر «أنّ أوّل ما خلق الله نوري ».[2] على حقيقة من خلقة روحهم وطينتهم، لا أنّه لمّا كانت علّة غائيّة فكأنّما خلق أوّلاً. وانظر إلى خلقة روحهما أوّلاً من نور جلاله وعند خلق آدم عليه السلام خلق الله أوّلاً جوهر طينتهما من علّيّين وعجّنها بنور روحهما، ثمّ خلق آدم عليه السلام وجعل جوهرا طينتهما اللـيف النوريّ في صلبه ونورهما يسطع من بين عينيه، وكذلك كانا في الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهّرة محفوظاً متقلّباً في الساجدين والراكعين والعابدين إلى أن انتقلا إلى صلب عبدالمطّلب فافترق نصفين، وكن ؟؟ على ذكر من طلب امرأة كثيرة المال والجمال عبدالله بن عبدالمطّلب ليكون زوجاً لها ونبذ له ماها حتّى انتقل النور الّذي بين عينيه إلى رحم آمنة، فلمّا كان من غد جاءت ولم تر ذلك النور فسألت عبدالله هل واقف هلك ؟

فقال: نعم.

فقالت: ما شاء الله كان ورجعت محرومة؛ هذا في الرواية ولم أتذكّر إسمها وتفصيلها.

هذا حالهم إلى ورودهم هذه الدار الفانية، فإذا وردوا كانوا طاهرين مطهّرين من جميع الأدناس والأرجاس المعروفة من أبناء جنس الإنسان، فيسجدون لإظهار العبوديّة وكمال الخضوع بالنسبة إلى معبودهم وخالقهم في ابتداء هذا العالم الصوريّ.

ثمّ إذا حضر النبيّ أو الإمام الّذي قبله يسلّم عليه بالنبوّة، أو الإمامة، كما في عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأئمّة بالنسبة إلى آبائهم عليهم السلام ويتكلّم بما يريد من مقامه النورانيّ والولاية، فيقرء أميرالمؤمنين عليه السلام التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم والقرآن الّذي لم ينزل بعد ولم يأت به جبرئيل الأمين من ربّ العالمين.

وكذلك ما ورد في ولادة مولانا وسيّدنا وإمامنا بقيّة الله في أرضه صاحب العصر والزمان ـ أرواحنا فداه ـ وطلبه الحسن العسكريّ عليه السلام حين دخوله عليه وقراءة آيات من القرآن،

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣.

٢. بحارالأنوار، ج ١، ص ٩٧.

وكذا في سائرهم عليهم السلام.

وكذلك ما ظهر منهم في حال صغرهم من الإخبار بالمغيّبات وخوارق العادات خصوصاً ما ورد في خليفة الله في أرضه عند أبيه الحسن العسكريّ عليه السلام وفضّة القمّيّين وما جاؤوا إليه من الدراهم والدنانير وتفصيلها، وقصّة من أراد سؤال الحسن العسكريّ عليه السلام عن المفوّضة وعن الشيعة الّذين يدخلون الجنّة وإخبار حجّة الله المنتظر بما أراد السؤال عنه والجواب، كما سيجيء في أواخر الأبواب الآتية كلّ ذلك من مقام إمامتهم وولايتهم المتحقّقة وآدم بين الماء والطين بعد تفويض الإمامة في الظاهر، فقد عرفت جملة أحوالهم وأخلاقهم وعلومهم وستعرف تفصيلها في تمام الأبواب الآتية في المقام الثالث إن شاء الله.

وكلّ هذه الفضائل والمناقب والمطالب من شئون الولاية العامّة الكلّيّة والسلطنة والرّانيّة التامّة لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطيّبين والأئمّة المعصومين بالنسبة إلى من سواهم وما سواهم عموماً على سائر المخلوقات، وبعد إثباتها لهم عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيّات بالبراهين الساطعة والأدلّة القاطعة من الكتاب والسنّة المتواترة معنى قطعاً، فلا إشكال في هذه الفضائل والمزايا لهم.

وأُحبّ أن أذكر في المقام بعض أخبارها المعتبرة، ليكون على ذكر منك، ولا يصدر منك فكر حتّى يجيء تفصيلها في بابها إن شاء الله.

ففي «الكافي» بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال:

«ولاية عليٍّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّة عليٍّ عليه السلام»[١].

وفيه بإسناده عن عبدالأعلى قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«ما من نبيٍّ جاء قطّ إلّا بمعرفة حقّنا وتفضيلنا على من سوانا»[٢].

وفي «أمالي» الشيخ بإسناده إلى الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن عليٍّ عليهم السلام قال:

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٣٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٨٠.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٣٧؛ تأويل الآيات، ص ٥٤٨.

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

ما قبض الله نبيّاً حتّى أمره [الله] أن يوصي [إلى أفضل عشيرته من عصبته]، وأمرني أن أُوصي، فقلت: إلى من؟ [يا ربّ!]

فقال: [أوص يا محمّد!] إلى ابن عمّك عليّ بن أبي طالبٍ، فإنّي قد أثبتُّه في الكتب السالفة، وكتبت فيها أنّه وصيّك وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي، أخذت مواثيقهم لي بالربوبيّة ولك يا محمّد! بالنبوّة ولعليٍّ بن أبي طالب بالولاية »[١].

وفي « البصائر » بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « يا عليّ! ما بعث الله نبيّاً إلّا وقد دعاه إلى ولايتك؛ طائعاً أو كارهاً »[٢].

وروى بإسناده عن حذيفة بن أُسيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« ما تكاملت النبوّة لنبيٍّ إلّا ظلّه حتّى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثّلوا له فأقرّ بطاعتهم وولايتهم »[٣]، انتهى.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم روايات مشتملة على ذلك وعلى فضائل كثيرة أُخرى وتفسير آيات في جلالة محمّدٍ صلى الله عليه وآله وآله أنقلها في المقام:

قال في تفسير آية: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقاً غَلِيظاً** ﴾[٤] حدّثني أبي عن النضر بن سويد، عن الحلبيّ، عن ابن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام :

« أوّل من سبق إلى الميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان المكان الّذي قال له جبرئيل ـ لمّا أسرى به إلى السماء ـ: تقدّم يا محمّد! لقد وطئت موطئاً لم يطأه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، ولولا أنّ روحه ونفسه من ذلك المكان لما

---

١. الأمالي للطوسي، ص ١٠٤؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١٨.

٢. بصائر الدرجات، ص ٧٢؛ بحارالأنوار، ج ١١، ص ٦٠.

٣. بصائر الدرجات، ص ٧٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٨١.

٤. الأحزاب: ٧.

قدر أن يبلغه مكان من الله عزّ وجلّ، قال الله: كـ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[١] أي: بل أدنى، فلمّا خرج الأمر وقع من الله إلى أوليائه عليهم السلام»[٢].

فقال الصادق عليه السلام: «كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة ولرسوله بالنبوّة ولأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام بالإمامة، فقال: ألست بربّكم ومحمّد صلى الله عليه وآله نبيّكم وعليٌّ إمامكم والأئمّة الهادين أئمّتكم؟

قالوا: بلى.

فقال الله: ﴿ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ أي: لئلّا تقولوا يوم القيامة: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾[٣].

فأوّل من أخذ الله الميثاق على الأنبياء له بالربوبيّة وهو قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ تذكّر جملة الأنبياء ثمّ أبرز عزّ وجلّ فضلهم بالأسامي فقال: ﴿ وَمِنْكَ ﴾ يا محمّد!

فقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّه أفضلهم ﴿ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسوله الله صلى الله عليه وآله أفضلهم.

ثمّ أخذ بعد ذلك الميثاق لرسول الله على الإيمان به وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾[٤] يعني أمير المؤمنين عليه السلام تخبروا أممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة عليهم السلام»[٥]، انتهى.

أقول: بعد علمي بأنّ الخبر المتواتر ما رواه الرواة المختلفة بحيث ممتنع عادة تواطئهم على الكذب إنّ الأخبار في هذا المعنى متواترة بالمعنى قطعاً، وسيجيء في بابها أدلّتها، وبعد ثبوت

---

١. النجم: ٩.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٥، ص ٢٣٦.

٣. الأعراف: ١٧٢.

٤. آل عمران: ٨١.

٥. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٥، ص ٢٣٦.

هذه السلطنة العظمى والرياسة الكبرى لهم على من سوى الله عموماً فلا إشكال في استجماعهم ما لم يجمعه أحد، وأنّهم أفضلهم ضرورة أفضليّة الرئيس بالنسبة إلى رعيّته، وأشرفيّة السلطان من الله عمّا هم عليها سلطان، وشئون هذه الولاية والسلطنة منها ما لا تتحمّلها عقولنا القاصرة، ولا نعلم أكثرها، وبعضها ممّا علمناها بتعليمهم ولا نطيق العلم بكنهها لقصورنا كحضورهم عند كلّ ميّت من شقيّ أو سعيد، وبعضها ممّا نعلمها في الجملة منه تعلّمناها بتعليمهم أنّ الله خلقهم أنواراً قبل خلق العوالم كلّها بعاليها وسافلها ومجرّدها ومادّيّها وملائكتها وإنسها وجنّها وأفلاكها وكواكبها وشمسها وقمرها وآدمها وحوّاها بدهرٍ طويل خلقهم عالمين فيسبّحون الله ويحمدونه ويهلّلونه ويكبّرونه ويطوفون حول حجاب الأسرار قائمين بأحكام الأقدار ولم يكن منهم خلق سواهم لا سماء ولا هواء ولا ماء ولا إنس ولا ملك ولا جانّ، كما نطقت به الأخبار المستفيضة بل المتواترة قطعاً.

ومنها أنّ الله تعالى خلقهم خاصّة لنفسه وخلق سائر الناس فضلاً عن غيرهم لهم عليهم السلام وهذا معنى كونهم علّة غائيّة لغيرهم، كما في أخبار كثيرة مضى شطر منها، وكما في كتاب من أميرالمؤمنين عليه السلام إلى معاوية اللعين مسطور في «نهج البلاغة» «نحن صنائع ربّنا والخلق كلّهم صنائع لنا»[1] وبعض عبارات هذا الكتاب المبارك منقول في رسالتنا هذه.

ومنها النبوّة والولاية العامّة الكلّيّة أي: إنّ نبوّة محمّدٍ بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم وولاية عليّ وأولاده المعصومين ثابتة لعامّة الخلائق حتّى النبيّين والمرسلين الماضين والملائكة المقرّبين، وقد أثبتناها في هذه الرسالة بالآيات والأخبار المستفيضة والبراهين الساطعة، وكلّ ذلك بتعليمهم، والحمد لله على ذلك.

وقد وردت في الزيارات المعتبرة والخطب الكثيرة والأدعية الدائرة منها إشارات لطيفة ودلالات بليغة تغني عن غيرها وترشد إليها من تأمّلها، فهذا هو الشيخ للطائفة المحقّة الشيخ الطوسي ـ قدّس الله سرّه ـ في مصباحه الّذي قد عمله للعمل قد نقل خطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام في جمعة وفيها: «لم يكن الدعائم من أطراف الأكناف ولا من أعمدة فساطيط السجاف إلّا

---

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٦٦؛ بحارالأنوار، ج ٥٣، ص ١٧٨ مع اختلاف في النقل.

على كواهل أنوارنا ونحن العمل ومحبّتنا الثواب وولايتنا فصل الخطاب ونحن حجبته الحجاف»... إلى آخرها.[١]

أقول: «دعامة» ـ بالكسر ـ: عماد البيت الّذي يقوم عليه، وفي الحديث: «لكلّ شيءٍ دعامة ودعامة الإسلام الشيعة»[٢]، وفيه: «دعامة الإنسان العقل»[٣]، وفي الزيارات: «أشهد أنّكم دعائم الدين»[٤].

وفي عقلي ولبّي وروحي ونفسي وديني أنّهم دعائم العالم ودعائم الدنيا والآخرة، ودعائم السماوات والأرضين، ودعائم الجنّة ودعائم الكرسيّ والعرش، ودعائم العلم والعمل.

و«الأكناف» ـ بالنون ـ أي: النواحي والجوانب.

و«الأعمدة»: جمع عمود وهو ما يقوم به الفسطاط، وفساطيط جمعه.

و«السجاف»: جمع سجف أي: الستور، وأسجف الستر أرسله وأسبله أي: الفساطيط الساترة الحاجبة.

«كواهل»: جمع كهال وهو جمع كاهل وهو مابين الكتفين أي: لم يكن دعائم العالم من عامّة أطرافها ونواحيها وظاهرها وباطنها ولبّها ولبابها وقشرها وحقيقتها وأوّليّتها وآخريّتها ودنياها وآخرتها لا تقوم إلّا بنا وبنورنا وبحقيقتنا وحقّنا ووجهنا ووسيلتنا وشرفنا وقربنا وشأننا وسببنا وجاهنا وتوجّهنا وحبّنا وشفاعتنا.

قوله: «ونحن العمل ومحبّتنا الثواب وولايتنا فصل الخطاب» من قبيل قولهم: «نحن الصلاة ونحن الزكاة ونحن الحجّ»[٥] وقد شرح الإمام هذا المعنى في خبر طويل مكاتبة في جواب المفضّل، وقد أوردنا كثيراً من فقراتها في هذه الرسالة ولعلّ محصّلها أنّه لمّا كانت

---

١. انظر: الهداية الكبرى: ص ٤٣٤.

٢. الكافي، ج ٨، ص ٢١٢؛ بحارالأنوار، ج ٦٥، ص ٨٠.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٥؛ بحارالأنوار، ج ١، ص ٩٠.

٤. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٣٢٥.

٥. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٣٠٣ مع اختلاف في النقل.

الأعمال كلّها بتعليمنا وقبولها مشروط بـولايتنا ومـتابعتنا، بـل روحـها وحـياتها بمـحبّتنا وولايتنا، فكان العمل بغيرها لا يكون عملاً ويكون كالجسد بلا روح لا يترتّب عليها أثر، ولا يجتنى منها ثمرة، ولا يجدي إلّا للنّار، فكأنّنا العمل، وعلى سياقه «ومحبّتنا الثواب» أي: لمّا كانت الثواب والجزاء منحصرة في العمل بمحبّتنا، فكان محبّتهم نفس الثواب والأجر جـرياً للمسبّب على السبب، بل العلّة التامّة.

وبحقّهم أُقسم! وبجاههم أسأل! أن لا ثواب ولا أجر أعظم وأكبر وأجـلّ وأشرف مـن محبّتهم وولايتهم، فأين حلاوة المحبّة من الحور والقصور؟ وأين لذّة الولاية من لحـم الطيور والشراب الطهور؟ وإليه الإشارة في قوله تـعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[1] فـإنّه مـفسَّرٌ بولايتهم.

اللّهمّ إنّي أسألك بحقّهم وولايتهم أن تجعل ثوابي في الدنيا والآخرة محبّتهم وولايتهم.

قوله: «ونحن حجبة الحجاف» في كليهما بتقديم المهملتين على المعجمتين، و«حـجبة»، فعلة ـ بكسر العين ـ جمع حاجب والضمير راجع إلى الله.

و«الحجاف» كأنّـه جمـع الحـجف أصـله بمـعنى الترس. وفي القـاموس: احـتجفه أي: استخلصه، والشيء حاذه.

فلعلّ المعنى: نحن حجبته الّذين جعلنا الله خالصاً له أي: اختارنا حـاجباً، أي: كـما أنّ الناس لا يمكنهم الوصول إلى السلطان إلّا بتوسّط الحجاب والبوّاب، فكذلك نحن بالنسبة إلى سلطان السلاطين وربّ الأرباب؛ فنحن باب الله ونحن حجاب الله، أو كما أنّ الحاجب يستر السلطان وأسراره، فكذلك نحن خزنة سرّ الله ... إلى غير ذلك، والله أعلم.

وأيضاً قد نقل في ذلك الكتاب الشريف خطبة جليلة برواية عالية بتوسّط خمسة أكثرهم وأوائلهم من مشايخ الإجازة المعروفين كالمفيد والتلّعكبريّ عن الرضا عليه السلام عـن أبـيه، عـن آبائه، عن جدّه الشهيد الحسين بن عليّ ـ عليهما وعليهم السلام ـ قال الرضا عليه السلام: «اتّفق في بعض سني أميرالمؤمنين عليه السلام الجمعة والغدير، فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك

---

١. العنكبوت: ٤٥.

اليوم، فحمد الله وأثنى عليه حمداً لم يسمع بمثله، وأثنى عليه ثناء لم يتوجّه إلى غيره، وكان ممّا حفظ من ذلك»[١]، ثمّ نقل الخطبة بطولها.

أقول: وقد نقلنا بعض فقرات هذه الخطبة في مطاوي كلماتنا السالفة، وتركناها على غيرها، ولكن لمّا كانت هذه الخطبة الشريفة من خصائص هذه الرسالة وسلالة هذه العجالة حيث لم أجد من ذكرها واستند إليها في مقام بيان جلائل مقاماتهم حتّى أنّ المجلسيّ صاحب كتاب «بحار الأنوار» مع تبحّره في بحار أخبار الفضائل وإصراره وتكراره ما اشتمل على الجلائل لم أجده تعرّض لفقرات هذه الخطبة، مع أنّها مشتملة على ما لم يشتمل عليها غيرها من النصوص الصريحة والتصريحات الأكيدة في مقاماتهم العالية ومَناقبهم الرفيعة وفضائلهم الخاصّة أحببت إيراد أكثر فقراتها وشرح ما يحتاج إليه منها وجعلتها تحفة سنيّة لإخواننا العلماء وهديّة جليلة لمن يعثر عليها بعدنا، وذخيرة ليوم معادي، ووسيلة لشفاعة ساداتي وقادتي ـ صلوات الله عليهم ـ ولو لم يكن في هذه الرسالة غيرها لكفاها فضلاً وشرفاً لاختصاصها بها.

فأقول: قال الحسين عليه السلام: وممّا حُفِظ من ذلك قوله:

«الحمد لله ـ وساق الحمد والثناء وهو كما وصف والشهادة بالوحدانيّة، قال: ـ وأشهد أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأُمم على علم منه به، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس[٢] ـ وفي نسخة البدل: من النبيّين ـ وانتجبه[٣] آمراً وناهياً عنه، وأقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار، ولا تحويه [خواطر] الأفكار، ولا تمثّله غوامض الظنون والأسرار، لا إله إلّا هو الملك الجبّار، وقرن الاعتراف بنبوّته بالاعتراف بلاهوتيّته، واختصّه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريّته، فهو أهل

---

١. مصباح المتهجّد، ص ٧٥٢؛ مصباح الكفعمي، ص ٦٩٥؛ الإقبال، ج ١، ص ١٠؛ بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ١١٢.

٢. في نسخة البدل: من النبيّين. «منه رحمة الله».

٣. في البحار: وائتمنه.

ذلك لخاصّته وخلّته، إذ لا يختصّ من يشوبه التغيير، ولا يخالل من يلحقه التظنين، وأمر بالصلاة عليه مزيداً في تكرمته، وطريقاً للداعي إلى إجابته.

...إلى أن قال: وإنّ الله اختصّ لنفسه بعد نبيّه ﷺ من بريّته خاصّة علاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدعاة بالحقّ إليه، والأدلّاء بالإرشاد عليه لقرن قرن وزمن زمن. أنشأهم في القدم قبل كلّ مذروء ومبروء، أنواراً أنطقها بتحميده، وألهمها بشكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كلّ معترف له بملكة الربوبيّة وسلطان العبوديّة، واستنطق بها الخرسان بأنواع اللغات بخوعاً له بأنّه فاطر الأرضين والسماوات، وأشهدهم خلق خلقه، وولّاهم ما شاء من أمره، وجعلهم تراجم مشيّته وألسن إرادته، عبيداً ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[١] يحكمون بأحكامه، ويسنّون بسنّته، ويقيمون حدوده، ويؤدّون فروضه.

وساق الكلام في جعل العقل حجّة للخلق، ثمّ في فضائل الجمعة ...إلى أن قال عليه السلام:

ووهب من ثواب الأعمال فيه ـ أي في الجمعة ـ أضعاف ما وهب لأهل طاعته في الأيّام قبله، وجعله لا يتمّ إلّا بالايتمار بما أمر به، والانتهاء عمّا نهى عنه، والبخوع بطاعته فيما حثّ عليه وندب إليه؛ فلا يقبل توحيده إلّا بالاعتراف لنبيّه ﷺ بنبوّته، ولا يقبل ديناً إلّا بولاية من أمر بولايته، ولا تنتظم أسباب طاعته إلّا بالتمسّك بعصمه وعصم أهل ولايته.

فأنزل الله على نبيّه ﷺ في يوم الدوح ما بيّن به عن إرادته في خلصائه، وذوي اجتبائه، وأمره بالبلاغ وترك الخبل[٢] بأهل الزيغ والنفاق، وضمن له عصمته منهم، وكشف من خبايا أهل الريب وضماير أهل الارتداد ما رمز فيه، فعقله المؤمن والمنافق، فأعرض معرض[٣] وثبت على الحقّ ثابت، وازدادت جهالة المنافق وحميّة المارق، ووقع العضّ على النواجذ، والغمر على السواعد، ونطق ناطق، ونعق ناعق، ونشق ناشق، واستمرّ على مارقيّته مارق،

---

١. الأنبياء: ٢٧ و٢٨.

٢. في البحار: وترك الحفل.

٣. في البحار: فأعنّ معنّ.

ووقع الإذعان من طائفة باللسان دون حقائق الإيمان، ومن طائفة باللسان وصدق الإيمان، وأكمل الله دينه، وأقرّ عين نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين والتابعين، وقد كان ما شهده بعضكم وبلغ بعضكم وتمّت كلمة الله الحسنى على الصابرين، ودمّر الله ما كان يصنع فرعون وهامان وقارون وجنودهم وما كانوا يعرشون.

وبقيت حثالة عن الضلالة لا يألون الناس خبالاً يقصدهم الله في ديارهم ويمحوا الله آثارهم، ويبيد معالمهم، ويعقّبهم عن قرب الحسرات، ويلحقهم بمن بسط أكفّهم ومدّ أعناقهم ومكّنهم من دين الله حتّى بدّلوه، ومن حكمه حتّى غيّروه، وسيأتي نصر الله على عدوّه لحينه، والله لطيف خبير، وفي دون ما سمعتم كفاية وبلاغ.

ثمّ ساق الكلام... إلى أن قال: هذا يوم هذا يوم.

ثمّ قال عليه السلام: وتقرّبوا إلى الله تعالى بتوحيده وطاعة من أمركم أن تطيعوه، ولا تمسّكوا بعصم الكوافر، ولا يحتجّ بكم الغيّ فتضلّوا عن سبيل الرشاد[1] باتّباع أولئك الّذين ضلّوا وأضلّوا، قال الله عزّ من قائل في طائفة ذكرهم بالذمّ في كتابه: ﴿ إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلاَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُم مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[3]، ﴿ قَالُوا لَو هَدَانَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ﴾[4].

أتدرون الاستكبار ما هو؟ هو ترك الطاعة لمن أُمروا بطاعته، والترفّع على من ندبوا إلى مبايعته[5]، والقرآن ينطق من هذا عن كثير إن تدبّره متدبّر زجره ووعظه.

واعلموا أيّها المؤمنون! إنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ

---

١. في البحار: عن سبيل الله.

٢. الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨.

٣. غافر: ٤٧.

٤. إبراهيم: ٢١.

٥. في البحار: متابعته.

صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[١].

أتدورن ما سبيل الله؟ ومن سبيله؟ وما صراط الله؟ ومن طريقه؟

أنا سبيل الله الّذي من لم يسلكه طاعة لله[٢] هوى به إلى النار، وأنا سبيله الّذي نصبني الله للاتّباع بعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا قسيم الجنّة والنار، وأنا حجّة الله على الأبرار والفجّار [أنا نور الأنوار].

فانتبهوا من رقدة الغفلة، وبادروا بالعمل قبل حلول الأجل، وسابقوا إلى مغفرة من ربّكم قبل أن يضرب بالسور بباطن الرحمة وظاهر العذاب، فتنادون فلا يُسمع نداؤكم، وتضجّون فلا يحفل بضجيجكم، وقبل أن تستغيثوا فلا تُغاثوا»[٣]... إلى آخر الخطبة.

أقول: قوله: «استخلصه في القدم على سائر الأمم»[٤] أي: جعله خالصاً لنفسه وخاصّاً به.

في «القاموس»: استخلصه لنفسه: استخصّه[٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾[٦].

وقال في «مجمع البيان»: الاستخلاص: طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك، كأنّه يريد أن يكون خالصة له أي: اجعله خالصاً لنفسي أرجع إليه في تدبير مملكتي وأعمل على إشارته في مهمّات أُموري.

فمراده في المقام: إنّ الله جعله خالصاً لذاته الكريم، ويفوّض إليه تدبير أُمور خلقه.

---

١. الصفّ: ٤.

٢. في البحار: بطاعة الله فيه.

٣. مصباح المتهجّد، ص ٧٥٢؛ مصباح الكفعمي، ص ٦٩٥؛ الإقبال، ص ٤٦١؛ بحارالأنوار، ج ٩٤ ص ١١٢.

٤. نفسه.

٥. بحارالأنوار، ج ٤، ص ٢٧٣.

٦. يوسف: ٥٤.

و«القِدم» ـ بكسر القاف وفتح الدال ـ: ضدّ الحدوث، وهو في الأصل بمعنى السابق، ولهذا يقال في معنى القديم من أسماء الله: إنّه السابق على كلّ موجود؛ فالمعنى: أنّ الله جعله خالصاً لنفسه في السابق على غيره من الموجودات، كما دلّت عليه الأخبار المستفيضة ـ بل المتواترة ـ بأنّه أوّل ما خلق الله نور محمّد ﷺ، كما سلف وسيجيء في الباب الأوّل من المقام الثالث إن شاء الله.

وقوله: «على سائر الأمم»[١] متعلّق بقوله: «استخلصه» أي: جعله كذلك مقدّماً على سائر الأُمم. وسائر بمعنى الجميع، أو الباقي غيره ـ على الخلاف فيه ـ والمؤدّى واحد.

قوله: «على علمٍ منه به» فيه إشارة إلى أنّه تعالى جعله خاصّة به وخالصاً لنفسه الواجب، لأنّه يعلم أنّه أهل لذلك وقابل لهذه الخاصّة دون غيره لكماله في العبوديّة والطاعة له، كما في بعض الأخبار ما مضمونه: إنّي اصطفيتك من عامّة خلقي لأنّي وجدتك أطوع لي من غيرك.

وبهذا ينحلّ الإشكال العظيم المعروف في أخبار الطينة أنّ الله خلق المؤمن من طينة علّيّين فيؤمنون، والكافر من طينة سجّين فيكفرون، فيشكل حينئذٍ مسألة الثواب والعقاب والجنّة والنار.

ويظهر حلّه من هذا الكلام وهو أنّ الله لمّا علم أنّ المؤمن يختار الإيمان والإطاعة خلقه من طينة علّيّين، ولمّا علم أنّ الكافر يختار الكفر خلقه من طينة سجّين لا بالعكس[٢]، فكذلك في اصطفائه لمحمّدٍ ﷺ على سائر خلقه لمّا علم منه أنّه أطوع له من غيره اصطفاه واستخلصه لنفسه وفوّض إليه تدبير أُمور خلقه، كما يدلّ عليه أخبار التفويض وأشرنا إليها في هذه الرسالة وفسّرناها، كما سيجيء في مطاوي الأبواب الآتية إن شاء الله، وليكن ما أشرنا إليه من حلّ الإشكال على ذكر منك، فإنّه مع غاية الاختصار في كمال المتانة، وقد استفدناه من

---

١. مصباح المتهجّد، ص ٧٥٢؛ مصباح الكفعمي، ص ٦٩٥؛ الإقبال، ص ٤٦١؛ بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ١١٢.

٢. إلّا أنّه لمّا خلقه من طينة سجّين اختار الكفر «منه ﷺ».

كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام، كما قرّرناه.

قوله: «انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس»[١] ـ وفي نسخة البدل: من النبيّين ـ معنا بأنّ الرسول انفرد عن التشابه من سائر الأنبياء، فإنّهم أبناء جنسه، كأنّ هذه الجملة في مقام بيان العلّة لجعله من الله خالصاً له يعني: إنّه صلى الله عليه وآله كان منفرداً في كلّ خاصّة ومستجمعاً لعامّة الكمالات بحيث لا يكون له نظير ومثيل في الأنبياء، فلذا جعله الله خالصاً لوجهه دون غيره.

قوله: «وانتجبه آمراً وناهياً عنه»[٢] أي: اختاره واصطفاه لتبليغ الأمر أو النهي عنه، ومعنى ذلك أنّه جعله رئيساً وأميراً مطاعاً على من سواه، ولفظة «عنه» يدلّ على أنّ الرسول سلطان على كلّ من عليه ملكة الربوبيّة وسلطنة الألوهيّة.

وأوضحه كلّ التوضيح بقوله: «وأقامه في سائر عالَمه في الأداء مقامه»[٣] والعالَم ـ بفتح اللام ـ: جميع خلق الله أي: كلّ ما سواه، وهذا يفيد العموم في قوله ﴿**اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾[٤] خصوصاً مع إضافة «سائر» إليه أي: جعله قائماً مقامه في جميع عوالمه من المجرّدات والمادّيّات.

قال بعض العارفين: المصنوع اثنان: عالم المادّيّات وعالم المجرّدات، والكائن في الأوّل هو الجسم والفلك والفلكيّات والعنصر والعنصريّات والعوارض اللازمة له، وفي الثاني هم الملائكة المسمّاة بـ«الملأ الأعلى» والعقول والنفوس الفلكيّة والأرواح البشريّة المسمّاة بـ«النفوس الناطقة»؛ كذا نقله في «مجمع البحرين».[٥]

قوله: «في الأداء» أي: في الإيصال والقضاء.

---

١. بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ١١٢.

٢. الإقبال، ص ٤٦١.

٣. بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ١١٢.

٤. الفاتحة: ٢.

٥. مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢٣٥.

ففي «القاموس» وغيره: أدّاه تأدية أوصله وقضاه، والإسم الأداء.

فالمعنى: أنّ الله أقامه في الإيصال مقامه، وحذف المتعلّق يفيد العموم، أي: إيصال كلّ شيء وأداء كلّ فيض إلى كلّ شيء حتّى الملائكة والعقول والنفوس، ولا تكاد تجد في بيان مقاماته أجلّ وأعلى من هذه الفقرة، لكونها صريحة في إقامته مقام ذاته في إفاضته كلّ فيض إلى كلّ شيءٍ في عامّة العوالم من المجرّدات والمادّيات والعِلويّات والسِفليّات.

وفي الفقرة الآتية من قوله: «وإنّ الله اختصّ لنفسه بعد نبيّه من بريّته خاصّة علاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته»[١] دلالة واضحة على أنّ الأئمّة المصطفين مشاركون معه في هذا المقام الأعلى، والفضل الأسنى، والخاصّة الأوفى، ولازم ذلك ما ورد عن خاتم الأولياء ـ أرواحنا له الفداء ـ في الدعاء في كلّ يوم من رجب: «لا فرق بينك وبينها» أي: الولاة المأمونون «إلّا أنّهم عبادك وخلقك»[٢]؛ فاحفظها واغتنم!

والصراحة كلّ الصراحة في هذه الخصوصيّة الخاصّة تعليل هذا المعنى أي: أقامه مقام ذاته في عامّة عوالمه وكلّيّة خلقه في إيصال كلّ فيض إلى كلّ موجود بقوله: «إذ لا تدركه الأبصار ولا تحويه [خواطر] الأفكار ولا تمثّله غوامض الظنون والأسرار»[٣] يعني: لمّا لا يمكن إدراك ذات الواجب لا بالأبصار ولا بالأفكار؛ فلا يمكن معرفته، فلا يتصوّر عبادته، وقد ثبت أنّ الغرض من خلق الخلق معرفته وعبادته، خلق محمّداً ﷺ وأقامه مقام ذاته في الأفعال وإيصال كلّ ذي حقٍّ حقّه، وأداء كلّ فيض إلى من يستحقّه ويستعدّه، وجعله مظاهر صفاته وأسمائه ومصادر أفعاله وآثاره بحيث يكون معرفته معرفة الله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله، وشكره شكر الله، وحبّه حبّ الله، وبغضه بغض الله؛ لأنّه قد أفنى آنيّته في جنب الله، فيكون صفاته صفات الله، وأفعاله أفعال الله لا يشوبه شيء سوى الله، ولا يغيّره

---

١. بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ١١٢.

٢. الإقبال، ص ٦٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٩٥، ص ٣٩٢.

٣. بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ١١٢.

غير الله، ولذا قال تعالى عنه: ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[١]، وقال: ﴿ مَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[٢]، وقال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[٣].

وإلى ذلك كلّه أشار عليه‌السلام **بقوله**: «قرن الاعتراف بنبوّته بالاعتراف بلاهوتيّته»[٤] يعني: أوجب وحكم على كلّ من أقرّ بإلهيّته أن يقرّ بنبوّته سواء في ذلك الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين، بل سائر الملخوقات من المجرّدات والمادّيات من العقل الكلّي والنفس الكلّي والعرش والكرسيّ واللوح والقلم والسماوات العُلى والأرضين السفلى وما فيهنّ وما بينهنّ.

وبالجملة، كلّ موجود وإن كان من الجمادات والنباتات وغيرها، فإنّ الدلائل العقليّة والنقليّة قد قامت على أنّ كلّ شيء له شعور وإدراك يعرف صانعه، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[٥] وقد دلّت على هذه الكلّيّة آيات كثيرة وأخبار مستفيضة ـ بل متواترة ـ مثل قوله: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾[٦] وآيات أخذ الميثاق من النبيّين، وقد أوردناها مع أخبارها في باب الولاية الكلّيّة، فإنّها فرع، أصلها النبوّة الكلّيّة وغصن من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة.

وقوله: «واختصّه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريّته»[٧] يدلّ دلالة واضحة بأنّ نبيّنا أشرف وأفضل وأجلّ وأعلى من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين بحيث لا يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق.

ويقول عليه‌السلام بُعَيد ذلك: «علاهم بتعليته وسما بهم إلى رتبته»[٨] وبه تثبت هذه الأفضليّة

---

١. آل عمران: ٣١.

٢. الحشر: ٧.

٣. الأنفال: ١٧.

٤. نفسه.

٥. الإسراء: ٤٤.

٦. الزخرف: ٤٥.

٧ و ٨. نفسه.

للأئمّة الإثنى عشر، كما نصّ عليه في الزيارة الجامعة: «فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكرّمين»[١] وقد أوردنا أكثر فقراتها في هذه الرسالة.

قوله: «فهو أهل ذلك لخاصّته وخلّته»[٢] أي: لمّا اختصّه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد فصار أهلاً لأن يجعله الله خاصّة لنفسه وخليلاً لذاته دون غيره.

ولمّا كان هذا الكلام في مظنّة أن يقال: أن جعله خاصّة وخليلاً من جهة ما أعطاه من الأفضليّة، ولو أعطى ذلك غيره كان هو صاحب الخاصّة والخلّة علّله بقوله: «إذ لا يختصّ من يشوبه التغيير ولا يخالل من يلحقه التظنين»[٣] يعني: لا يتّخذ الله خاصّة لنفسه من يكون فيه شائبة من غير الله من نفسه أو غيره، ولا يخالل أي: لا يتّخذ الله أحداً خليلاً من يحتمل فيه التهمة في العبوديّة من الظنّة بمعنى التهمة يعني: لا يتّخذ أحداً خليلاً إلّا من لا يحتمل فيه نقص في عبوديّته.

قال في «النهاية»: الخُلّة ـ بالضمّ ـ: الصداقة والمحبّة الّتي تخلّلت القلب فصارت خلاله أي: في باطنه.

وإنّما قال ذلك، لأنّ خلّته كانت مقصورة على حبّ الله تعالى ليس فيها لغيره متّسع، ولا شركة من محابّ الدنيا والآخرة.

وحاصله: إنّ الله قد جعله خاصّة لنفسه واتّخذه خليلاً لما فيه من كمال العبوديّة بحيث أفنى آنيّته في معبوده وعبادته فحيث لم يشرك في عبادة ربّه غيره حتّى نفسه استخصّه الله واستخلصه واتّخذه خليلاً دون غيره، كما أشرنا إليه آنفاً في دفع الإشكال عن مسألة الطينة.

وحاصله ـ منطبقاً على المقام ـ: أنّ الله القادر العالم بما يكون على ما يكون قبل ما يكون قد أحدث الأشياء بفعله على حسب قوابلها لفعله لا من شيء مادّة وصورة، أعني إنّها قدّرها في علمه فأحدث موادّها وصورها وقدّر خلق الإنسان بهذه المادّة والصورة وركّب فيها

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٥؛ بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٢٩.
٢. مصباح المتهجّد، ص ٧٥٢؛ مصباح الكفعمي، ص ٦٩٥؛ الإقبال، ص ٤٦١.
٣. بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ١١٢.

الاختيار أي: خلقها بحيث يكون له قوّة الاختيار بعقله، وكان يعلم جميع أفراده على ما هم عليه في عالم وجودهم، فكلّ من يعلم أنّه يختار طاعته على غيرها اصطفاه واختاره وجعل فيه من نوره ما يشاء على مقدار قوّة طاعته له بحسب تفاوت درجات طاعتهم؛ فمن كان منهم أطوع زاد له من نوره.

ولمّا وجد محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أطوع له من أبناء جنسه بحيث لا يختار على طاعته شيئاً، ولا يحجبه عنها مانع؛ لا من نفسه ولا من عرضه ولا من أهله ولا أولاده، ويختار رضا ربّه عمّا سواه وأن عرف عظم اختاره واصطفاؤه على من سواه وما سواه واستخصّه واستخلصه لنفسه وأمدّه بنور منه وأيّده بروح منه فلا يكون اصطفاءه أحداً جزافاً، فلمّا علم من محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لا يختار شيئاً غيره على رضا ربّه وحبّه وطاعته وإن كان نفسه وأهله وأولاده؛ فاختاره واصطفاه على غيره وجعله رئيساً مطاعاً على من سواه وما سواه، ونبيّاً لكلّ من اعترف له بسلطان الأُلوهيّة وملكة الربوبيّة، وهذا معنى قوله عليه السلام: «إذ لا يختصّ من يشوبه التغيير ولا يخالل من يلحقه التظنين»[1] وهذا الإعطاء والاجتباء بعد علمه بأنّه كذلك.

ومقابله من يعلم أنّه يختار المعصية فيتركه واختياره ولا يمدّه بتوفيق وإعانة، وهذا أيضاً يختلف حسب ما يختلف مراتبهم في المعصية؛ فمن كان سريرته اختيار كلّ شيء على رضا ربّه وإن كان ذلك الشيء من أقبح القبائح عند العقل ولا يحتاج إليه ولا يضطرّ إليه في شيء فيتركه الله واختياره السوء، بل قد يمدّه في دنياه بكلّ ما يريد حتّى يظهر تمام سريرته وكمال جرأته وغاية طغيانه ليقطع عذره في عقابه الدائم الأبديّ؛ ويُسمّى الأوّل توفيقاً، والثاني خذلاناً، والثالث استدراجاً.

وهذا أيضاً كالأوّل له درجات؛ فأوّل أفراده هو المعبّر عنه بالجهل الصرف وهو أصل الشجرة الخبيثة، ولهذا ينسب إليه جميع الآثام والذنوب وهي أغصانها وتابعيه أوراقها، كما أنّ الأوّل هو العقل المحض الكلّيّ المعبّر عنه بنور محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وعليٍّ عليه السلام وهما أصل الشجرة الطيّبة والأئمّة أغصانها وشيعتهم أوراقها.

---

١. نفسه.

ولهذا ورد في الأخبار: أنّ أصل شجرة طوبى في دار عليٍّ عليه السلام ولكلّ واحد من شيعته غصن في داره[1]، فإنّه عليه السلام أصل الولاية.

وعلى طبقها الشجرة الخبيثة الّتي أصلها في أصل الجحيم، وطلعها كأنّه رؤوس الشياطين.

فطابق بين الآيات والروايات في أصل الولاية وأغصانها وأوراقها وأصل الجهل الّذي هو مخالفتها وإنكارها وأغصانها وأشجارها فإلى أصل الولاية يتفرّع كلّ خير وهدى ونعمة، وإلى أصل الضلالة يتفرّع كلّ شرٍّ وسوء وضلالة، وبهذا يلتئم الآيات والأخبار، وينحلّ أكثر ما فيها من التعبيرات المختلفة والاستعارات الشريفة؛ فافهم واغتنم!

وبهذا التحقيق أجبنا عن إشكال مسألة الطينة وحقّقنا به الأمر بين الأمرين في مسألة الجبر والتفويض، وبذلك الإمداد من الله في من يعلم أنّه يختار طاعة ربّه على جميع ما سواه -كما في الأنبياء والأئمّة- فسّرنا ملكة العصمة فيهم، وكمال هذا المعنى متحقّق في نبيّنا -صلوات الله عليه وآله-، فبإزائه جعله الله نبيّاً لكلّ من سواه، ومُطاعاً على ما سواه، ثمّ من بعده لأمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام، ثمّ أُولي العزم من الرسل، ثمّ باقي الأنبياء عليهم السلام على تفاوت درجاتهم، وكلّهم تابع ورعيّة لنبيّنا صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، فإنّه يجب عليهم الاعتراف بنبوّته والإقرار بولايتهم، كما يدلّ عليه آية المعراج أعني قوله تعالى: ﴿ **وَٱسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا** ﴾[2].

وآيات أخذ الميثاق من النبيّين وأخبار معتبرة متواترة منها هذه الخطبة الشريفة في قوله: «وجعلها الحجج على كلّ معترف له بملكة الربوبيّة وسلطان العبوديّة»[3].

---

١. بحارالأنوار، ج ٨، ص ١٢٠.

٢. الزخرف: ٤٥.

٣. مصباح المتهجّد، ص ٧٥٢؛ مصباح الكفعمي، ص ٦٩٥؛ الإقبال، ص ٤٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٩٤، ص ١١٢.

كما يدلّ على خلق أنوارهم قبل خلق كلّ شيء **قوله** عليه السلام: «أنشأهم في القِدم»[١] وأكّد هذا النصّ الصريح بقوله: «قبل كلّ مذروء ومبروء أنواراً»[٢].

ويدلّ على خلقهم عالماً في ذلك العالم قوله: «أنطقها بتحميده»[٣].

ويدلّ على كونهم عابدين لله في ذلك العالم قوله: «وألهمها شكره وتمجيده»[٤].

وقوله عليه السلام: «واستنطق بها الخرسان بأنواع اللغات بخوعاً له بأنّه فاطر الأرضين والسماوات»[٥] يدلّ على أنّ كلّ من وحّده وحمّده ومجّده وعبده كان بتعليمهم، فإنّ ضمير «بها» راجع إلى الأنوار مثل الضمير في أنشأها وجعلها وألهمها. «واستنطق بها الخرسان»[٦] أي: جعل الخرسان بهم ناطقاً بأنّه فاطر السماوات.

والمراد بالخرسان أي: من لم يعلم التنطّق لا من به عيب الخرس كالملائكة وغيرهم من أهل ذلك العالم، وإنّما أُمّتها من جهة الإشارة إلى أنّهم قبل التعلّم منهم كغير ذوي العقول حيث لا يعرفون حمد خالقهم وتسبيحه وتمجيده.

قوله: «بخوعاً له» ـ بتقديم الباء على الخاء ـ أي: خضوعاً وخشوعاً له.

فحاصل المعنى: أنّ الله بتعليمهم جعل الملائكة ناطقاً بأنّه خالق من سواه، كما ورد في أخبار كثيرة في بدء خلق أنوارهم: «فسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهلّلنا فهلّلت الملائكة»[٧]، ولولانا ما عرفوا» هكذا يفسّر هذه الفقرة.

ويحتمل أن يكون معناها: أنّ الله استنطق بهم الجمادات والنباتات، ومعنى نطقها مثل تسبيحها في قوله: ﴿ **إِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾[٨] أي: عرّفها التوحيد بتعليمهم، والأوّل أظهر وأوفق بالمقام، وعلى التقديرين يدلّ أنّ معرفة الله وتوحيده من غيرهم كان بهم، كما ورد في أخبار كثيرة: «لولانا ما عُرف الله»[٩] «وما عُبِد الله»[١٠]؛ فافهم!

---

١ ـ ٦. نفسه.

٧. تأويل الآيات، ص ٤٨٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٨٨.

٨. الإسراء: ٤٤.

٩. بصائر الدرجات، ص ٦١؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٤٦.

قوله: «وأشهدهم خلقه، أو خلق خلقه ـ على النسختين ـ» معناه واحد، فإنّه على الأوّل أيضاً الخلق بمعناه الظاهريّ أي: أراهم كيفيّة خلق الخلق، والضمير راجع إلى الله، فرتّب على إرائتهم خلق الخلق توليته لهم أمر الخلق وسياساتهم، فإنّه لمّا صاروا عالمين بكيفيّات خلقه للخلائق وقابليّاتهم وشئونهم واستعداداتهم كانوا أطبّاء حاذقين عالمين بتشريح الخلق، فجعلهم متولّياً لإيصال كلّ ذی حقٍّ بقدر ما يستعدّه من الحياة والرزق والعلم، وكلّ فيض فاز من المبدأ الواجب بتوسّط النبيّ ﷺ.

والضمير المفرد في قوله: «أمره» راجع إلى الخلق الثاني الّذي بمعنى المخلوق على نسخة تعدّد الخلق، وعلى نسخة الوحدة، ففيه نوع استخدام، فإنّ المراد بضميره الخلق بمعنى المخلوق ولولا هذه الجملة الثانية احتمل في قوله: «أشهدهم خلقه» على نسخة وحدة الخلق أن يكون المعنى جعلهم شهداء على خلقه.

ولكنّ النسخة الأُخرى وتعقيبه بقوله: «وولّاهم أمره» قرينة ظاهرة على معناه المذكور، فإنّ هذا المضمون متكرّر النقل في أخبار كثيرة خصوصاً في باب التفويض من «الكافي»، فدلّت هذه الفقرة على تفويض أمر الخلق إليهم.

وقد بيّنّا في هذه الرسالة أخباره والمعنى الصحيح منه من الباطل، مضافاً إلى ما نقول في المقام: إنّ التفويض الباطل غير متصوّر بالنسبة إليه تعالى مطلقاً وهو كتفويض الموكّل للوكيل بحيث يكون الموكّل معتزلاً عن الفعل بالكلّيّه، ضرورة أنّ كلّ ما يوجد في العالم داخل تحت قبضة مشيّته، مقهور بهيمنته وسلطانه، وما لم يشأ لم يوجد أبداً، ولا يمكن أن يوجد، والعقل والنقل والآيات والأخبار متعاضدة متطابقة على ذلك، فإنّ قهره وسلطانه أجلّ وأعلى من أن يخالفه ما لم يشأ فينقص سلطانه وينتقص اُلوهيّته، بل لمّا علم أنّ من خلقه وركّب فيه العقل والاختيار يختار عصيانه شاء ذلك وإن لم يرضه، ولو لم يشأ أن يفعل باختياره فلايقدر العبد أن يفعل وينتقص اختياره فلا يكون مختاراً؛ هذا في طرف مبغوضاته وما لم يرض به.

وأمّا في طرف محبوباته وما ارتضاه، فالأمر فيه أظهر لموافقة إرادته مشيّته، فشاء وأراد

---

١٠. الكافي، ج ١، ص ١٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٦٠.

وجوده، فسلطنته فيه ونسبة الفعل إليه أوضح لموافقة إرادته مشيّته.

نعم، لمّا جرت عادته بتوسيط الأسباب والوسائط، وأبى أن يجري الأشياء إلّا بأسبابها، جعل لكلّ شيءٍ سبباً يوجده بذلك السبب، في حالة نسبة ذلك الشيء إلى ذلك السبب يصحّ نسبته إلى الله تعالى، فيجوز أن يقال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1]، وأن يقال: ﴿ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[2]، ويصحّ أن يقال: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ﴾[3].

والكلّ حقيقة بلا ريب وبلا شبهة، ضرورة أنّه حين يفعل السبب ذلك الفعل هو في قبضة هيمنته وسلطانه وقهره، وهذا ظاهر في عامّة الأشياء والأفعال بالنسبة إلى أسبابها وفاعليها، ملكاً كان أم نبيّاً أم غيرهم، ولكن هؤلاء العاملين لابدّ من أن ينكشف لهم أمر الله فهم بأمره يعملون ولا يسبقونه بالقول.

وأمّا من استخصّه واستخلصه لنفسه وجعله خاصّة له دون غيره لما وجده لا يشوبه التغيير، أدّبه كما شاء، وأكمل تأديبه كما أحبّ بقدر ما يسعه الإمكان، فصار كاملاً عالماً بجميع ما خلق على نحو ما خلق بحيث يكون مشيّته مشيّته، وإرادته إرادته، ومحبوبه محبوبه، ومبغوضه مبغوضه، ففوّض إليه أمر خلقه، وولّاه أمرهم في إيصال كلّ فيض إلى من يستحقّه بقدر ما يستحقّه، وجعله واسطة لفيضه الموصل إلى ذلك الشيء المفاض عليه وهو الحقيقة المحمّدية ﷺ، وله سبحانه بعده خواصّ علاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته، وهم عليّ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة المعصومين، فأدّبهم كما أدّبه، وأكملهم كما أكمله، فجعلهم تراجم لمشيّته وإرادته، وولاة لأمر خلقه بعده، فكلّ فيض يفاض من المبدأ يصل إلى الحقيقة المحمّدية ﷺ، وبوساطته وترجمانه يصل إليهم، وهم يقسمون رحمة ربّهم، ويوصلون إلى كلّ ذى حقّ بقدر ما يستعدّه ويكون قابلاً له بنحو وجودهم لما مرّ أنّ الله أشهدهم خلق

---

١. الزمر: ٤٢.

٢. السجدة: ١١.

٣. النحل: ٢٨.

خلقه، فيعلمون مقدار قابليّته واستعداده فيوصلون إليه حقّه.

وهذا معنى الولاية العامّة الكلّيّة الثابتة لله تعالى أوّلاً وبالذات، وبتوليته للنبيّ الهادي ﷺ، ثمّ لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الأئمّة المعصومين طولاً، كما نطق عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[1].

فثبت أنّه وأنّهم محالّ مشيّة الله وأوكار إراداته، وأشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بأفصح كلام فقال: «وجعلهم تراجم مشيّته، وألسن إرادته»[2] أي: يكون مشيّتهم مشيّة الله، وإرادتهم إرادته، كأنّها لسان يعبّر عن إرادة الله، لأنّهم لا يشاؤون إلّا ما شاء الله، وإلّا أن يشاء الله.

فانظر! هل يمكن التعبير عن أنّ مشيّتهم مشيّة الله وإرادتهم إرادة الله بأكدّ وأظهر وأفصح من قوله: «تراجم مشيّة الله وألسن إرادة الله»؟ فإنّ الترجمة هو عين المترجم معنى، فكما أنّ اللسان يعرب عن المعنى الموجود في القلب فهم لسان الله الّذي يظهر بهم إرادته، ومترجم لمشيّته.

وعليك بملاحظة التوقيع المبارك الّذي خرج في إبطال التفويض وعلم الغيب تراه منادياً في إبطال التشريك منهم لله تعالى بحيث يكون مقابلاً له، وأمّا إنّ فعلهم فعل الله وبتوليته لهم وسائط وعلمهم من علم الله بتعليمه لهم؛ فلا يبطله ولا ينفيه بل يثبته ويحقّقه.

فانظر قوله: «عبيداً» حالٌ في مقام التعليل كقولك: أكلت جائعاً وجئتك زائراً يعني: جعلهم تراجم مشيّته وألسن إرادته، لأنّهم عبيد كاملون في العبوديّة بحيث لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون أي: لا يشاؤون إلّا ما شاء الله، ولا يريدون إلّا ما أراد الله.

قوله: «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم»[3] كناية عن علم الله بكنه حقيقتهم يعني أنّه يعلم أنّه أدّبهم وأكملهم حيث لا يشاؤون إلّا ما شاء الله يعني أنّ الله تعالى يعلم أنّهم بحيث لا تخالف مشيّتهم مشيّة الله، وإرادتهم إرادة الله، فلا يشفعون إلّا لمن هو أهل لذلك، ويقيمون حدوده،

---

١. المائدة: ٥٥.

٢. مصباح المتهجّد، ص ٧٥٢؛ الإقبال، ص ٤٦٢.

٣. بحارالأنوار، ج ٩٠، ص ١٢٧.

ويحكمون بأحكامه، لأنّ الأصل في ذلك العلم بأحوال الخلق، وملكة العصمة والولاية، وهم عالمون بالخلق وقابليّاتهم لفيوضات الحقّ بإشادهم الله خلق خلقه وجعلهم أولياء لهم بأن يتلقّون الفيوضات بترجمة الحقيقة المحمّديّة صلى الله عليه وآله وسلم من المبدأ ويقسمونها بين الخلق بما هو حقّهم وقابليّتهم، ولا يخطئون ولا يسهون، لكونهم مُسدّدين بروح القدس الّذي لا يلهو ولا يسهو ولا ينام ولا يغفل، وهذا معنى الولاية العامّة وتولّي الله لهم ذلك.

وإذا تحقّق هذا المقام لهم ثبت كون عامّة الخلق رعيّة لهم، وإن كان الأنبياء والمرسلين، وأين مقام التابع من المتبوع، والرعيّة من السلطان؟

ويظهر منه وجه تمسّك الأنبياء بهم والاستشفاع في مهالكهم بهم، وأمر الناس بذلك، كما أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة بقوله: «ولا تنتظم أسباب طاعته إلّا بالتمسّك بعصمته وعِصم أهل ولايته»[1].

وهذا بحر لا ينزف بهذه المختصرات، والغرض الإشارة إلى ثبوته ثمّ أُجري الكلام في بيان توليته هذه الولاية في هذا العالم مطابقاً لذلك العالم في قصّة غدير خم. ويقال لذلك: يوم الدوح، لأنّ الدوح جمع دوحة بمعنى الشجرة العظيم، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أمر أن يكنس بين الدوحتين والقصّة مشهورة.

وقوله: «وترك الخبل» هو الفساد أي: أمره الله بترك الخبل بأهل الزيغ والنفاق أي: لا يعتدّ النبيّ بفسادهم، لضمانه تعالى عصمته صلى الله عليه وآله وسلم من فسادهم.

وقوله: «ودمّر الله ما كان يصنع فرعون وهامان وقارون وجنودهم»[2] إشارة إلى الأوّل والثاني والثالث، فإنّ هذه الخطبة في زمن خلافته الظاهريّة، وقد دمّرهم الله تدميراً.

قوله: «وبقيّة حُثالة» إشارة إلى معاوية، فإنّ الحثالة ـ بضمّ المهملة ـ الرّديّ من كلّ شيء وهو أردء الضالّين بحسب الضلالة، لأنّه ترك صورة الدين أيضاً وبغى على وليّ الله ووليّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأظهر ما أبطنوه من الشقاق والنفاق.

---

١. مصباح المتهجّد، ص ٧٥٤؛ مصباح الكفعمي، ص ٦٩٥.

٢. مصباح الكفعمي، ص ٦٩٨.

وساق الكلام في بيان شرافة هذا اليوم بأسماء يُعرب عن آثار الولاية ولو فسّرنا كلّها لطال الكلام، فإنّ كلّ إسم إشارة إلى قصّة وآية ورواية يعرفها الراسخون في علوم ولايتهم وشئون خلافتهم، إلى أن صرّح بالدرّ المكنون، وأفصح عن السرّ المصون **بقوله**: «أتدرون ما سبيل الله؟ ومن سبيله؟ وما صراط الله؟ ومن طريقه؟ أنا سبيل الله الّذي من لم يسلكه بالطاعة لله هوى به إلى النّار، وأنا سبيله الّذي نصبني الله للاتّباع بعد نبيّه ﷺ»... إلى آخر ما ذكره.

فهذه الخطبة الشريفة مشتملة على جلّ العناوين الّتي بيّنّاها في هذه الرسالة من الأبواب مثل:

باب ابتداء الخلق بنورهم وخلق سائر الخلق بعدهم لهم؛

وباب ولايتهم على عامّة الخلق من الأوّلين والآخرين حتّى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين، ومعناها وإثباتها؛

وباب أنّهم محالّ مشيّة الله وألسن إرادته وتراجم وحيه؛

وباب أنّهم صراط الله المستقيم وأنّهم مظاهر صفاته وأسمائه؛

وباب أنّهم عين الله الناظرة ويده الباسطة وأُذنه الواعية وجنبه الأعلى وكلمة الحسنى ونعمته وحجّته، وأنّهم مظاهر علم الله وقدرته، فلا يعزب عنهم شيء، ولا يمتنع من قدرتهم شيء؛

كما سيأتي بيانها في الأبواب الآتية في المقام الثالث، وإلى عامّة فقراتها أشار عليه السلام في هذه الخطبة الشريفة؛ فاحفظها واغتنم وكن من الشاكرين.

هذا تمام الكلام في المقام الثاني.

المقام الثالث

في ما ذكره صاحب الرسالة في الجواب عن استدلال خصمه بأخبار الفضائل وإنكارها وجوابنا عنه بإبطال ما زعمه

وهذا هو العمدة من هذه الرسالة، والداعي المحرّك لتحرير هذه العجالة، فإنّ عرق الشيعة لا يسكن مع إنكار جلّ فضائلهم ونسبتها إلى الجعل من الزنادقة والغلاة، ولابدّ لنا من ذكر تمام كلامه هذا حتّى لا تتّهمني في النسبة، ويزيدك عجباً، وإن كنّا ذكرنا نبذاً من عبارته في أوّل الرسالة.

فقال ﷺ بعد نقل تخلّف أخبار الثقلين واشتمال بعضها على أنّ الأكبر هو القرآن والأصغر أهل بيت الرسول ﷺ والتأكيد الأكيد فيهم بقوله ﷺ: «أُذكّركم الله في أهل بيتي أو عترتي»[1] ثلاث مرّات، ودعواه أنّ الأكبريّة بمعنى الأفضليّة، لعدم احتمال معنى آخر للأكبر في المقام، وإثبات تواترها بنقل أربعة وعشرين سنداً معتبراً لها، وتشديد دلالتها على مرامها، قال ما لفظه:

توجيهٌ وتنبيهٌ: هذه الأخبار الدالّة على أكبريّة الكتاب وأفضليّته إمّا مخصّصة، أو ناسخة لكلّ ما يدلّ بعمومه، أو بخصوصه على أفضليّة العترة ممّا سوى الله حتّى من القرآن المجيد والفرقان الحميد على فرض تحقّق الأخبار الكذائيّة وثبوتها وصحّتها؛ لأنّ تأريخ الأُولى متأخّر عن تأريخ الثانية فهي ناسخة لها؛ لأنّها من جملة آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ ثمّ قبض من يومه، كما هو المصرّح به في عدّة أخبار، وقد مرّت الإشارة إلى نبذة منها، وبعد انقطاع الوحي وانقضاء زمانه لا يتصوّر نسخ، كما هو الظاهر والمبيّن في محلّه، ولذا قيّدوا بآخر

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٠٧.

خطبة خطبها، ليشيروا بذلك إلى أنّ هذا الحكم وهو وجوب الاقتداء والتمسّك بالثقلين ممّا لا يتطرّق إليه نسخ إلى آخر انقطاع زمن التكليف.

وكذلك كلّ حكم دلّ عليه هذا الخبر أبديّ لا يتطرّق إليه نسخ إلى آخر زمن انقطاع التكليف، ومنه أعظميّة القرآن وأكبريّته، فلا يتصوّر تحقّق خبر يدلّ على كونهم عليهم السلام أفضل من القرآن، وعلى فرض تحقّقه وثبوته فهو منسوخ بما مرّ لما مرّ.

وقد قال عليّ عليه السلام في رواية سليم بن قيس الهلاليّ: «أنّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مثل القرآن ناسخ ومنسوخ، وخاصّ وعام، ومحكم ومتشابه»[١].

وقال المحقّق وغيره ـ واللفظ للمحقّق على ما نقله عنه صاحب المعالم ـ: «إذا تعارض الخبران فإن كانا عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلم التأريخ كان المتأخّر أولى ومع جهله يجب التوقّف، لأنّه كما يحتمل أن يكون أحدهما ناسخاً يحتمل أن يكون منسوخاً، وإن كانا عن الأئمّة وجب القول بالتخيير علم تأريخهما أو جهل، لأنّ الترجيح مفقود هنا، والنسخ لا يكون بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

وبهذا التقرير ظهر فساد ما توهّمه بعضهم أنّ الأخبار المذكورة معارضة بأخبار أُخر دلّت على كون العترة أفضل من القرآن، كقول عليّ ـ عليه صلوات الله الملك المنّان ـ: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق أوّلاً نور نبيّنا وخلق منه إثنى عشر حجاباً ومكث في كلّ واحد منها مدّة طويلة دهريّة مسبّحاً لله تعالى وبعد خلق كثير من الأشياء منه خلق أنوار الأنبياء من تقاطر عرقه وكانوا يطوفون حوله مسبّحين لله تعالى، وخلق منها درّة ومنها العرش والماء والكرسيّ واللوح والقلم والسماوات والأرضين وسائر الملائكة والأنبياء»

وقوله عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء، وأنا وجه الله، وأنا يد الله، وأنا عين الله، وأنا جنب الله، وأنا القلم الأعلى، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا أُحيي وأُميت بإذن ربّي، وأنا عالم بضمائر قلوبكم، والأئمّة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنّا كنّا واحد: أوّلنا محمّد أوسطنا

١. الكافي، ج ١، ص ٦٣.
٢. راجع: معالم الدين، ص ٣٥٠.

محمّد آخرنا محمّد كلّنا محمّد صلى الله عليه وآله فلا تفرّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويل كلّ الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيّتنا وما أعطانا الله ربّنا، من أنكر شيئاً ممّا أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله ومشيّته [فينا] »[١].

وقوله عليه السلام في كريمة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[٢] وكريمة: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[٣] وكريمة: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[٤] فإنّما أراد بذلك استيلاء أُمنائه بالقدرة الّتي ركّبها فيهم على جميع خلقه، وأنّ فعله فعلهم.

وقوله عليه السلام: «كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين»[٥] هذا وأمثاله في عدّة أخبار متفرّقة.

وكقول أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «إنّ الصورة الإنسانيّة هي أكبر حجّة الله على خلقه وهي الكتاب الّذي كتبها الله بيده وهو الهيكل الّذي بناه بحكمته، وهو مجموع صور العالمين وهي المختصر من العلوم من اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كلّ غائب، وهي الحجّة على كلّ جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كلّ خير، وهي الصراط الممدود بين الجنّة والنار».

وقوله عليه السلام: «لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن فيها هو ولكن هو هو ونحن نحن».

وكقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا وعليّ من نور واحد وخلق الله روحي وروح عليّ قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، وبعث عليّاً مع كلّ نبيٍّ سرّاً ومعي جهراً».[٦]

هذا وما شاكله من الأخبار الغير المطابقة لظاهر الشريعة المطهّرة ـ على صادعها وآله السلام ـ إلّا بتكلّف وتأويل بعيد على أنّ جلّها ـ بل كلّها ـ ممّا لا دلالة على مرامهم، كما هو ظاهر لمن تأمّلها، وأكثرها غير مذكور في أصل وكتاب يُعتمد عليه، أو تركن النفس شيئاً

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٦.

٢. الزخرف: ٨٤.

٣. الحديد: ٤.

٤. المجادلة: ٧.

٥. عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٢١؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٢.

٦. عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٢٤.

قليلاً إليه.

وما هذا سبيله فحال سنده معلوم، بل المظنون أنّه من موضوعات المتصوّفة والغلاة، فإنّ الزنادقة والغلاة من فرق الشيعة كأبي الخطّاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصائغ وأضرابهم قد وضعوا جملة من الحديث ليفسدوا به الإسلام ويضرّوا به مذهبهم. قال حمّاد بن زيد: وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة عشر ألف حديث، كذا في «دراية» الشهيد الثاني[١].

ومع قطع النظر عن ذلك فهي بين عامّ ومطلق، فيكون إمّا مخصوصة أو مقيّدة بما ذكرنا من الأخبار، كما يقتضيه رعاية قانون العلم بالأخبار فلا تعارض بينها وبين ما دلّ على أفضليّة الكتاب من العترة.

وساق الكلام طويلاً... إلى أن قال:

وأمّا ما يقال: إنّ هذه الأخبار وما شاكلها المعارضة لأخبار أفضليّة القرآن وإن لم يعلم حال سندها إلّا أنّها مشهورة بين المتأخّرين شهرة مغنية عن ذكر سندها وتصحيحها فيكون حجّة، ففيه ما عرفت أنّ شهرة الخبر إنّما يتحقّق إذا اشتهر بين أهل الأُصول والكتب من أصحاب الأئمّة عليهم السلام ومن والاهم بتكرّر نقله فيها لا بمجرّد تكرّره في الكتب المدوّنة، بل ولا في الكتب الأربعة أيضاً، لأنّ المحمّدين الثلاث قد ينقلون الخبر من أصل واحد ولا يوجد إلّا فيه وخاصّة هذه الأخبار ما وجدناها في الكتب الأربعة ولا في كتب معتمد عليه منها عيناً ولا أثراً وإنّما ذكر بعضها بعض المتأخّرين من أصحابنا في بعض رسائله ولا يعلم من أين أخذه وما هو سنده، وما هذا شأنه غير صالح لأن يعارض ما ذكرناه من الأخبار المذكورة في كتب أصحابنا المتقدّمين وأُصولهم المعروضة على الأئمّة الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين، هذا على تقدير التنزّل والمماشات وإلّا فالحال على ما عرفته فتذكّر! ثمّ تفكّر!

هذا تمام كلامه في المقام الّذي هيّجني ودعاني إلى كتابة هذه الرسالة.

أمّا ما ذكره من دلالة الأخبار النبويّة الواردة في تخلّف الثقلين المشتملة بعضها على أنّ القرآن أكبر وأهل بيته أصغر على أفضليّة القرآن من العترة الطاهرة وإن كان فاسداً من أصله

---

١. الرعاية في علم الدراية، ص ١٦٠.

إلّا أنّه ليس ممّا يقضي الشناعة والفضاحة في المذهب، فإنّه دعوى لها صورة ووجه وإنّما خطاؤه في معنى الأكبر والأصغر.

وأمّا ادّعاؤه أنّ أخبار الفضائل منسوخة، أو مخصّصة بأخبار الثقلين ولا يتصوّر خلاف ذلك زعماً منه أنّ أخبار الثقلين آخر خبر صدر عن النبيّ ﷺ وبموته انسدّ باب النسخ فقد عرفت أنّه وهم فاسد وزعمٌ باطل، لقضيّة تدريجيّة الأحكام ومعنى تبليغه جميع الأحكام ما عرفت.

وأمّا إنكاره لتلك الأخبار المشتملة على فضائل العترة وأنّها غير موجودة في الكتب والأُصول الّتي تركن النفس إليها قليلاً وغير موجودة في الكتب الأربعة وأنّها من موضوعات المتصوّفة والزنادقة والغلاة؛ فهذا شناعة وفضاحة في المذهب، وأشنع وأفضح من الكلّ قوله: «إنّها غير مطابقة لظاهر الشريعة المطهّرة إلّا بتكلّفات بعيدة» وكلّ كلامي في كلماته هذه، وقد عرفت ـ بحمد الله ـ ممّا ذكرنا فساد عامّة دعاويه هذه إلّا أنّه يعجبني تشريح ما أنكره وتفضيح ما قرّره، فنقول:

ما ذكره من الأخبار الّتي أشار صاحب الرسالة إليها وأنكرها على أصناف، أُعنونُ كلّ واحد بعنوان خاصّ في إثنى عشر باب عدد أنوارهم، وألتزم في إثبات كلّ عنوان بأربعين حديثاً من المعتبرات:

الباب الأوّل: في الأخبار الواردة في خلق نور نبيّنا ونور الأوصياء قبل خلق ما سواهم، وأنّ ما سواهم خلق من نورهم ولنورهم، حتّى النبيّين والمرسلين والعرش والكرسيّ واللوح والقلم والملائكة المقرّبين فضلاً عن السماوات والأرضين وما فيها من المخلوقين، وهذا أوّل خبر ذكره، كما عرفته.

الباب الثاني: في إطلاق عين الله ويد الله وأُذن الله وجنب الله والقلم الأعلى واللوح المحفوظ عليهم، وأنكرها في: «أنا النقطة تحت الباء وأنا وجه الله وأنا يد الله وأنا عين الله وأنا جنب الله».[1]

---

١. الكلمات الطريفة، ص ٣٨.

الباب الثالث : في أنّهم يحيون ويميتون بإذن الله تعالى، وقد أنكرها : «وأنا أُحيي وأُميت بإذن ربّي». [١]

الباب الرابع : في أنّهم عالمون بضمائر قلوب الناس والغيب وإنّما أنكرها بقوله «وأنا عالم بضمائر قلوبكم». [٢]

الباب الخامس : في أنّ كلّهم مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم متّحد ويجوز إطلاق محمّد عليهم.

الباب السادس : في أنّهم محالّ مشيّة الله؛ إذا شاؤوا شاء الله، وإذا كرهوا كره الله، وقد أنكرها بقوله: «إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله». [٣]

الباب السابع : في استيلائهم بالقدرة الّتي ركّبها الله فيهم على جميع خلقه وأنّ فعلهم فعل الله، وإنّما أنكرها بقوله: «فإنّما أراد بذلك استيلاء أُمنائه بالقدرة الّتي ركّبها الله فيها». [٤]

الباب الثامن : في إثبات ولايتهم العامّة اللازمة لقوله عليه السلام: «كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين». [٥]

الباب التاسع : في أنّ نوع الإنسان أشرف المخلوقات، لأنّ الله خلقهم بيده ولأنّ منهم حجّة الله على عامّة الخلق، ومنهم خليفة الله الّذي قامت به السماوات والأرضون، ولولاهم لساخت الأرض بأهلها، وخربت السماوات والأرضون وهم الصراط المستقيم، والصراط الممدود بين الجنّة والنار. [٦]

الباب العاشر : في فنائهم في الله وحياتهم بالله وبقائهم من الله ووجودهم لله، المعبّر عنها

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٤١.

٢. بصائر الدرجات، ج ٢، ص ١٤.

٣. بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٩٨.

٤. بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٨١.

٥. بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٩١.

٦. بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٤٠.

بقولهم: «لنا مع الله حالاتٌ»... إلى آخره.[١]

ونتبع هذه الأبواب ببابين آخرين مناسبين مكمّلين:

الباب الحادي عشر: في وفاتهم وشهاداتهم من هذا العالم.

الباب الثاني عشر: في أحوالهم بعد الموت وأنّهم يحيون ويبقون ويرزقون ويتنعّمون إلى زمان رجعتهم.

فهذه إثنى عشر باباً عدد أنوارهم المباركة مشتملة على جلّ فضائلهم ومناقبهم، ولقد أنكر جلّها صاحب الرسالة بصريح كلامه، كما عرفت، وها أنا ذا أقلّ عبيدهم عليهم السلام علماً وعملاً وأسباباً، وأكثرهم خطأً وزللاً واختلالاً أثبت لك كلّ واحد من هذه العناوين بالأخبار المستفيضة ـ بل المتواترة في أكثرها ـ بحيث حصل القطع لكلّ من يطّلع عليها فضلاً عن ركونه إليها كثيراً في مقابل ما قاله: «إنّها غير مذكورة في أصل وكتاب يركن النفس إليه قليلاً وإنّما ذكره بعض المتأخّرين في بعض رسائله ولا يعلم من أين أخذها».

وظنّي أنّه أراد به المجلسيّ رحمه الله، كما يظهر به في أواخر رسالته هذه من التصريح باسمه والطّعن على معاصريه ومقاربي زمانه بأنّهم مقلّديه وأنّه قد أخطأ بتفضيل الإمام على القرآن وأنّه غير معصوم، ويظهر منه عدم ميله إليه قدس سره.

وفي كلّ ذلك مستمّدٌ من هؤلاء سادتي وقادتي وموالّي وشفعائي في الدنيا والآخرة، صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين.

---

١. الكلمات الطريفة، ص ٩١.

الباب الأوّل

في الأخبار الدالّة على بدء خلقهم قبل خلق جميع من سواهم وأنّهم أوّل ما خلق الله

ومنها يظهر أنّهم العلّة الغائيّة لخلق السماوات والأرضين وما فيهنّ وما بينهنّ وما تحتهنّ، وأنّه لولاهم لما خلق الله هذا العالم ولا السماء ولا الأرض ولآدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار، وقد أنكرها في مقامين من كلامه المنقول:

أحدهما: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق أوّلاً نور نبيّنا».[١]

ثانيهما: في قوله: «وخلق الله روحي وروح عليّ قبل أن يخلق الخلق بألفي عام».[٢]

ودلالة هذه الأخبار على أفضليّتهم على عامّة المخلوقين والمخلوقات ظاهرة لا يحتاج إلى البيان، فإنّهم المقصود الأصليّ والمراد من خلق العالم وسائر المخلوقات تبع لهم، وخلق لأجلهم.

وهذه الأخبار فوق حدّ التواتر، ونذكر لك في المقام هذا العنوان بما يزيد عن أربعين خبر:

الأوّل: ما رواه في «البحار» عن «تفسير فرات بن إبراهيم» عن جعفر بن محمّد الفزاريّ بإسناده عن قبيضة بن زيد الجعفيّ قال: «دخلت على الصادق عليه السلام وعنده ابن ظبيان والقاسم الصيرفيّ، فسلّمت وجلست وقلت: يابن رسول الله! أين كنتم قبل أن يخلق الله سماء مبنيّة وأرضاً مدحيّة أو ظلمة أو نوراً؟

قال عليه السلام: كنّا أشباح نور حول العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر ألف عام،

---

١. بصائر الدرجات، ج ١، ص ٧٤.

٢. بصائر الدرجات، ج ١، ص ٩٧.

فلمّا خلق الله آدم فرّغنا في صلبه، فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر حتّى بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم »[١].

الخبر الثاني: ما رواه فيه عن جعفر بن محمّد بن بشرويه القطّان بإسناده، عن الأوزاعيّ، عن صعصعة بن صوحان؛ والأحنف بن قيس، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خلقني الله وعليّاً نوراً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بإثني عشر ألف سنة، فلمّا خلق الله آدم ألقى النور في صلبه، فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلى صلب حتّى افترقنا في صلب عبدالله بن عبدالمطّلب وأبي طالب عليهما السلام، فخلقني ربّي من ذلك النور، لكنّه لا نبيّ بعدي»[٢].

الثالث: ما نقله عن «علل الشرائع» بإسناده عن أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام.

قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟

قال: قدّام العرش نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده الخبر بطولها إلى انشقاق النور نصفين: نصف في عبدالله ونصف في أبي طالب عليه السلام... إلى أن قال: فما كان من نصف عليّ جعل في الحسن، ومن نصف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جعل في الحسين عليه السلام، فينتقل إلى الأئمّة الطاهرين»[٣].

الرابع: ما رواه عن «تفسير فرات بن إبراهيم» بسنده إلى أبي ذر الغفاريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، في خبرٍ طويلٍ في وصف المعراج ساقه... إلى أن قال: «قلت: يا ملائكة ربّي! هل تعرفونا حقّ معرفتنا؟

فقالوا: يا نبيّ الله! كيف لا نعرفكم وأنتم أوّل ما خلق الله، خلقكم أشباح نور من نوره في نور من سناء عزّه ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت

---

١. تفسير فرات، ص ٥٥٢؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٦.

٢. تفسير فرات، ص ٥٠٤؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٦.

٣. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٠٨؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٧.

سلطانه وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيّة والأرض مدحيّة، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، ثمّ رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبّحون وتقدّسون وتكبّرون، ثمّ خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتّى، وكنّا نمرّ بكم وأنتم تسبّحون وتقدّسون وتحمدون وتهلّلون وتكبّرون وتمجّدون، فنسبّح ونقدّس ونمجّد ونكبّر ونهلّل بتسبيحكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم، فما أُنزل من الله فإليكم، وما صعد إلى الله فمن عندكم، فلم لانعرفكم؟ إقرأ عليّاً منّا السلام.

وساقه ... إلى أن قال: ثمّ عرج بي إلى السماء السابعة، فسمعت الملائكة يقولون لمّا رأوني: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾[١].

قلت: فما الّذي صدقكم؟

قالوا: يا نبيّ الله! إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أن خلقكم أشباح نور من سناء نوره ومن سناء عزّه وجعلكم مقاعد في ملكوت سلطانه عرض ولايتكم علينا ورسخت في قلوبنا فشكونا محبّتك إلى الله، فوعد ربّنا أن يريناك في السماء معنا وقد صدقنا وعده»[٢].

الخامس: ما رواه عن «منتخب البصائر» بإسناده إلى سلمان الفارسيّ ﵁ ـفي حديثٍ طويل ـ قال: قال النبيّ ﷺ: «يا سلمان! فهل علمت من نقبائي؟ ومن الإثنى عشر الّذين اختارهم الله للإمامة بعدي؟

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: يا سلمان! خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعت، وخلق من نوري عليّاً فدعاه فأطاعه، وخق من نوري نور فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن عليّ وفاطمة؛ الحسن والحسين عليهما السلام فدعاهما فأطاعاه، فسمّانا بالخمسة الأسماء من أسمائه: الله المحمود وأنا محمّد، والله العليّ وهذا عليّ، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذوالإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين.

---

١. الزمر: ٧٤.

٢. تفسير فرات، ص ٣٧٢؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٨.

ثمّ خلق منّا من صلب الحسين عليه السلام تسعة أئمّة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة وأرضاً مدحيّة أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه نوراً نسبّحه ونسمع ونطيع»[١].

السادس: ما رواه عن «كنز الفوائد» عن كتاب «الواحدة» عن أبي محمّد الحسن بن عبدالله الكوفيّ، عن جعفر بن محمّد البجليّ، عن أحمد بن حميد، عن الثماليّ، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرّد في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النور محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم، وخلقني وذرّيّتي، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا.

فنحن روح الله وكلمته، وبنا احتجب عن خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف، نعبده ونقدّسه ونسبّحه قبل أن يخلق الخلق»[٢]، الخبر.

السابع: ما رواه عنه أيضاً عن محمّد بن الحسن الطوسيّ في كتابه «مصباح الأنوار» بإسناده عن أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنّة ولا نار.

فقال العبّاس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟

فقال: يا عمّ! لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة أُخرى فخلق منها روحاً، ثمّ مزج النور بالروح فخلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلمّا أراد الله تعالى أن يُنشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش؛ فالعرش من نوري، نوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش.

ثمّ فتق نور أخي عليّ، فخلق منه الملائكة؛ فالملائكة من نور عليّ، ونور عليّ من نور الله، وعليّ أفضل من الملائكة.

---

١. بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٩.

٢. تأويل الآيات، ص ١٢١؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٩.

ثمّ فتق نور ابنتي، فخلق منها السماوات والأرض؛ فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، وساق الخبر مثل ذلك من [أنّ] الشمس والقمر من [نور] الحسن، والحور من [نور] الحسين عليهما السلام»[١].

الثامن: ما نقله عن «معاني الأخبار» بإسناده إلى أبي ذر قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول:

خلقت أنا وعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام من نور واحد نسبّح الله يمنة العرش قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام، فلمّا أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، وساق الخبر إلى عبد المطّلب فقسمنا بنصفين»[٢]... إلى آخر.

التاسع: ما رواه عن «معاني الأخبار» بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال:

«إنّ محمّداً وعليّاً كانا نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن خلق الخلق بألفي عام، وإنّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً وقد انشقّت شعاع لامع، فقالت: إلهنا وسيّدنا! ما هذا النور؟

فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، أصله نبوّة وفرعه إمامة؛ فأمّا النبوّة فلمحمّدٍ عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة فلعليّ حجّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي»[٣]، الخبر.

العاشر: ما نقله عن المفيد مسنداً إلى أنس قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

كنت أنا وعليّ من يمين العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام.

ثمّ ساق الحديث من آدم والانتقال إلى عبدالمطّلب والانقسام بقسمين وانشقاق الإسمين... إلى أن قال: فأنا للنبوّة والرسالة وعليّ للوصيّة والقضيّة»[٤].

---

١. تأويل الآيات، ص ١٤٣؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١٠.

٢. معاني الأخبار، ص ٥٦؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١١.

٣. معاني الأخبار، ص ٣٥٠؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١١.

٤. الأمالي للطوسي، ص ١٨٣؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١٢.

أقول: «القضيّة» لعلّه بمعنى القضاء، فإنّ عليّاً أقضى الأُمّة.

الحادي عشر: ما نقله عن «أمالي الشيخ» مسنداً إلى أبي الحسن العسكريّ عليه السلام عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

يا عليّ! خلقني الله وأنت من نور الله وحين خلق آدم فأفرغ ذلك النور في صلبه فأفضى به إلى عبدالمطّلب، ثمّ افترق من عبدالمطّلب: أنا في عبدالله وأنت في أبي طالب، لا تصلح النبوّة إلّا لي، ولا تصلح الوصيّة إلّا لك»[1]، الخبر.

أقول: قوله: «لا تصلح النبوّة إلّا لي» أي: النبوّة العامّة المطلقة الكلّيّة وكذلك الولاية.

الثاني عشر: ما رواه أيضاً بإسناده عن أنس بن مالك قال: «قلت للنبيّ: يا رسول‌الله! عليّ أخوك؟

قال: نعم، عليّ أخي.

قلت: يا رسول الله! صف لي كيف عليّ أخوك؟

قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماءً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف، وساق الخبر إلى خلق آدم وجعله في صلبه إلى عبدالمطّلب عليه السلام، وجعله نصفين، قال: عليّ أخي في الدنيا والآخرة، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً**﴾[2]»[3].

أقول: وفي هذه الآية أخبار كثيرة أنّ المراد عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[4]

الثالث عشر: ما رواه عن «أمالي الشيخ» أيضاً مسنداً بقوله: جماعة، عن أبي المفضّل، وساق إلى أبي خالد الكابليّ، عن ابن نباتة قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ألا إنّي عبدالله وأخو رسول الله، وصدّيقه الأوّل؛ قد صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثمّ إنّي صدّيقه الأوّل في

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٢٩٤؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١٢.

٢. الفرقان: ٥٤.

٣. الأمالي للطوسي، ص ٣١٢؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١٣.

٤. راجع: تفسير البرهان، ج ٥، ص ٤٦٤.

أُمّتكم حقّاً؛ فنحن الأوّلون ونحن الآخرون»[١]، الخبر.

الرابع عشر: ما رواه عن كتاب «فضائل الشيعة» للصدوق بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ قال: «كنّا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل إليه رجل، فقال: يا رسول الله! أخبرني عن قول الله لإبليس: ﴿**أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ**﴾[٢] فمن هم يا رسول الله الّذين هم أعلى من الملائكة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وكنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم إلّا إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تعالى: ﴿**أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ**﴾ أي: من هؤلاء الخمس»[٣]، الخبر.

الخامس عشر: ما رواه عن «تفسير فرات بن إبراهيم» مسنداً إلى الصادق عليه السلام في حديثٍ له قال: «كنّا أشباح نور حول العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم فرغنا في صلب آدم فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر حتّى بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم.

فنحن عروة الله الوثقى من استمسك بنا نجى، ومن تخلّف عنّا هوى، لا ندخله في باب ضلالة، ولا نخرجه من باب هدى، ونحن رعاة شمس[٤] الله، ونحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن القبّة الّتي طالت أطنابها، واتّسع فناؤها، من ضوى إلينا نجى إلى الجنّة ومن تخلّف عنّا هوى إلى النار.

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٦٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٦، ص ١٧٨.

٢. ص: ٧٥.

٣. فضائل الشيعة، ص ٨؛ بحارالأنوار، ج ١١، ص ١٤٢.

٤. في البحار: ونحن رعاة دين الله.

قلت: لوجه ربّي الحمد ...»[١].

قوله: «نحن رعاة شمس الله» المراد به رسول الله ﷺ كما فسّرت به في آيات من القرآن، كقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٢]»[٣] وغير ذلك.

السادس عشر: ما رواه عن «كنز الفوائد» وغيره عن الصدوق في كتاب «المعراج» عن رجاله إلى ابن عبّاس قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو يخاطب عليّاً ويقول:

يا عليّ! إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه، فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله، فكنّا أمام عرش ربّ العالمين نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونهلّله وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرضين، فلمّا أراد أن يخلق آدم خلقني وإيّاك من طينة علّيّين وعجننا بذلك النور وغمسنا في جميع أنهار الجنّة، ثمّ خلق آدم واستودع صلبه تلك الطينة والنور، فلمّا خلقه استخرج ذرّيآته من ظهره فاستنطقهم وقرّرهم بربوبيّته؛ فأوّل ما خلق الله إقراراً بربوبيّته أنا وأنت والنبيّون على قدر منازلهم وقربهم من الله عزّ وجلّ.

فقال الله تبارك وتعالى: صدقتما وأقررتما يا محمّد! ويا عليّ! وسبقتما خلقي إلى طاعتي، وكذلك كنتما في سابق علمي فيكما، فأنتما صفوتي من خلقي والأئمّة من ذرّيّتكما وشيعتكما وكذلك خلقتكم.

ثمّ قال النبيّ ﷺ: يا عليّ! فكانت الطينة في صلب آدم ونوري ونورك بين عينيه، فما زال ذلك النور ينتقل بين أعين النبيّين والمنتجبين حتّى وصل النور والطينة إلى صلب عبدالمطّلب فافترق نصفين؛ فخلقني الله من نصفه واتّخذني نبيّاً ورسولاً، وخلقك من النصف الآخر فاتّخذك خليفة على خلقه ووصيّاً ووليّاً.

فلمّا كنت من عظمة ربّي كقاب قوسين أو أدنى، قال لي: يا محمّد! من أطوع خلقي لك؟

---

١. تفسير فرات، ص ٥٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ٢٠٣.

٢. الرحمن: ٥ و٦.

٣. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢.

فقلت: عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام.

فقال عزّ وجلّ: فاتّخذه خليفة ووصيّاً فقد اتّخذته صفيّاً ووليّاً. يا محمّد! كتبت إسمك وإسمه على عرشي قبل أن يخلق الخلق محبّة منّي لكما»[١]، الخبر بطوله.

السابع عشر: ما رواه من كتاب «المحتضر» للحسن بن سليمان ممّا رواه من كتاب «منهج التحقيق» بإسناده إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال: إنّ الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا.

فقيل: يابن رسول الله! عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟

فقال: هو محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين عليهم السلام تاسعهم قائمهم.

ثمّ عدّهم بأسمائهم، ثمّ قال: نحن والله! الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله، ونحن المثاني الّتي أعطاها الله نبيّنا، ونحن شجرة النبوّة ومنبت الرحمة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله ووديعة الله جلّ ثناؤه في عباده، وحرم الله الأكبر، وعهده المسئول عنه؛ فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن حقّره حقّر ذمّه الله وعهده [المسئول عنه، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفره فقد خفر ذمّة الله وعهده]، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحسنى الّتي لايقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا، ونحن والله الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه.

إنّ الله خلقنا وصوّرنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه على عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة، ووجه الّذي يُؤتى منه، وبابه الّذي يُدلّ عليه، وخزّان علمه وتراجمة وحيه وأعلام دينه والعروة الوثقى، والدليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، ونزل الغيث من السماء، ونبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولانا ما عرف الله وما عُبد الله[٢]، [وأيم الله!] لولا وصيّة سبقت وعهد

---

١. تأويل الآيات، ص ٧٤٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣.

٢. لم ترد في البحار: وما عبدالله.

أُخذ علينا لقلت قولاً يعجب [منه] أو يذهل منه الأوّلون والآخرون»[١].

الثامن عشر: ما رواه عن كتاب السيّد حسن بن كبش ممّا أخذه من «المقتضب» ووجدته في «المقتضب» أيضاً مسنداً عن سلمان الفارسيّ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا نظر إليّ قال: يا سلمان! إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً ولا رسولاً إلّا جعل له إثني عشر نقيباً.

قال: قلت: قد عرفت هذا من الكتابين.

قال: يا سلمان! فهل علمت نقبائي الإثني عشر الّذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: يا سلمان! خلقني الله عزّ وجلّ من صفاء نوره فدعاني فأطعته، وخلق من نوري عليّاً فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وساق الحديث كذلك في فاطمة منهما والحسنين منهم، ثمّ اشتقّ للخمسة خمسة أسماء من أسمائه، ثمّ قال:

ثمّ خلق من نور الحسين تسعة أئمّة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة وأرضاً مدحيّةً أو هواءً أو ماء أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونسمع له ونطيع»[٢]، الحديث بطوله.

التاسع عشر: ما رواه عن «إكمال الدين» مسنداً إلى أبي جعفر حمزة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: «إنّ الله خلق محمّداً وعليّاً والأئمّة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل أن خلق الخلق، يسبّحون الله ويقدّسونه وهم الأئمّة الهادية من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

العشرون: ما رواه عن «إكمال الدين» أيضاً بإسناده عن المفضّل قال: «قال الصادق عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٤.

٢. مصباح الشريعة، ص ٦٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٦.

٣. كمال الدين، ج ١، ص ٣١٨؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٣.

عام فهي أروحنا.

فقيل له: يابن رسول الله! ومن الأربعة عشر؟

فقال: محمّد وعليّ»[١]، الخبر... إلى آخره.

الواحد والعشرون: ما رواه من كتاب «رياض الجنان» لفضل الله بن محمود الفارسيّ، عن أنس بن مالك ـ في حديثٍ له طويل ـ قال العبّاس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألست أنا وأنت وعليّ وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟... إلى أن قال: قد صدقت، ولكن خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة ولا عرش ولا جنّة ولا نار، كنّا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلمّا أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش... فنور العرش من نوري ونوري من نور الله وأنا أفضل من العرش، إلى آخر الحديث بطوله وقد مرّ نظيره»[٢].

الثاني والعشرون: ما رواه عنه أيضاً مرفوعاً إلى جابر بن يزيد الجعفيّ قال: «قال أبو جعفرٍ محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام:

يا جابر! كان الله ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر، يفضل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونعبده حقّ عبادته.

وساق الحديث في خلق العرش والسماوات والجنّة والنار، فقال: ثمّ خلق الملائكة وأسكنهم السماء ثمّ تراءا لهم الله وأخذ عليهم الميثاق له بالربوبيّه ولمحمّد بالنبوّة صلى الله عليه وآله وسلم ولعليّ عليه السلام بالولاية.

ثمّ ساق الحديث في خلق الهواء والسماء وغيرها إلى خلق الجنّ والإنس، فقال: ثمّ خلق الله الجنّ والإنس وأسكنهم الهواء، وأخذ منهم الميثاق له منهم بالربوبيّة ولمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة

---

١. كمال الدين، ج ٢، ص ٣٣٥؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٣.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٦.

ولعليّ عليه‌السلام بالولاية. فأقرّ منهم بذلك من أقرّ، وجحد منهم من جحد، فأوّل من جحد إبليس ـ لعنه الله ـ فختم له بالشقاوة وما صار إليه، ثمّ أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبّح فسبّحت وسبّحوا بتسبيحنا، ولولا ذلك ما دروا كيف يسبّحون الله، ثمّ خلق الله الأرض.

وساق الحديث إلى خلق آدم عليه‌السلام: ثمّ خلق الله آدم عليه‌السلام من أديم الأرض فسوّاه ونفخ فيه من روحه، ثمّ أخرج ذرّيّته من صلبه فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبيّة ولمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه‌السلام بالولاية، أقرّ منهم من أقرّ، وجحد منهم من جحد، فكنّا أوّل من أقرّ بذلك.

ثمّ قال لمحمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله: وعزّتي وجلالي وعلوّ شأني! لولاك ولولا عليّ وعترتكما الهادون المهديّون الراشدون ما خلقت الجنّة والنار، ولا المكان ولا الأرض ولا السماء، ولا الملائكة ولا خلقاً يعبدني.

يا محمّد! أنت خليلي وحبيبي وصفيّي وخيرتي من خلقي، أحبّ الناس إليّ، وأوّل من ابتدأت إخراجه من خلقي، ثمّ من بعدك الصدّيق عليّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام وصيّك، به أيّدتك ونصرتك، وجعلته العروة الوثقى ونور أوليائي ومنار الهدى، ثمّ هؤلاء الهداة المهتدون الراشدون من أجلكم، ابتدأت خلق ما خلقت وأنتم خيار خلقي فيما بيني وبين خلقي، خلقتكم من نوري ونور عظمتي واحتجبت بكم عمّن سواكم من خلقي، وجعلتكم أُستقبل [بكم] وأُسئل بكم، فكلّ شيء هالك إلّا وجهي، وأنتم وجهي، لا تبيدون ولا تهلكون، ولا يبيد ولا يهلك من تولّاكم، ومن استقبلني بغيركم فقد ضلّ وهوى، وأنتم خيار خلقي وحملة سرّي وخزّان علمي وسادة أهل السماوات والأرض.

ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظلل من الغمام والملائكة، وأهبط أنوارنا أهل البيت معه، وأوقفنا نوراً صفوفاً بين يديه نسبّحه في أرضه كما سبّحناه في سماواته، ونقدّسه في أرضه كما قدّسناه في سماواته، ونعبده في أرضه كما عبدنا في سمائه.

فلمّا أراد الله إخراج ذرّيّة آدم عليه‌السلام لأخذ الميثاق سلك ذلك النور فيه ثمّ أخرج ذرّيته من صلبه يلبّون فسبّحناه فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا ذلك لا دروا كيف يسبّحون الله ثمّ تراءا لهم

بأخذ الميثاق منهم له بالربوبيّه، وكنّا أوّل من قال: بلى، عند قوله: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[١]، ثمّ أخذ الميثاق منهم بالنبوّة لمحمّد صلى الله عليه وآله، ولعليّ عليه السلام بالولاية، فأقرّ من أقرّ، وجحد من جحد.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فنحن أوّل خلق الله، وأوّل خلق عبد الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق، وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين، فبنا عُرف الله، وبنا وُحِّد الله، وبنا عُبِد الله، وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، وبنا أثاب من أثاب، وبنا عاقب من عاقب.

ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَابِدِينَ ﴾[٣].

فرسول الله صلى الله عليه وآله أوّل من عبد الله، وأوّل من أنكر أن يكون له ولد أو شريك، ثمّ نحن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أودعنا بذلك النور صلب آدم، فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام إلى صلب، ولا استقرّ في صلب إلّا تبيّن عن الّذي انتقل منه انتقاله، وشرّف الّذي استقرّ فيه حتّى صار في صلب عبدالمطّلب، فوقع بأُمّ عبدالله فاطمة، فافترق النور جزئين: جزء في عبدالله وجزء في أبي طالب.

فذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ ﴾[٤] يعني: في أصلاب النبيّين وأرحام نسائهم؛ فعلى هذا أجرانا الله تعالى في الأصلاب والأرحام، وولّدنا الآباء والأُمّهات من لدن آدم عليه السلام»[٥]، انتهى.

الثالث والعشرون: ما رواه في «البحار» أيضاً مرسلاً فقال: «وروى صفوان عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

لمّا خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول

---

١. الأعراف: ١٧٢.

٢. الصافّات: ١٦٥ ـ ١٦٦.

٣. الزخرف: ٨١.

٤. الشعراء: ٢١٩.

٥. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٧.

العرش سبعين مرّة، فقال عزّ وجلّ: هذان نوران لي مطيعان.

فخلق الله من ذلك النور محمّداً وعليّاً والأصفياء من ولده، وخلق من نورهم شيعتهم، وخلق من نور شيعتهم ضوء الأبصار»[١].

الرابع والعشرون: ما رواه فيه أيضاً مرسلاً فقال: «وسأل مفضّل الصادق عليه السلام: ما كنتم قبل أن يخلق السماوات والأرضين؟

قال: كنّا أنواراً حول العرش نسبّح الله ونقدّسه حتّى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبّحوا.

فقالوا: ربّنا! لا علم لنا.

فقال لنا: سبّحوا.

فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا إلّا أنّا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من دون ذلك النور، فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا.

ثمّ قرن عليه السلام بين إصبعه السبّابة والوسطى وقال: كهاتين»[٢]، الخبر.

الخامس والعشرون: ما رواه فيه أيضاً فقال: «ومن ذلك ما رواه ابن بابويه مرفوعاً إلى عبدالله بن مبارك، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«خلق الله نور محمّد قبل المخلوقات بأربعة عشر ألف سنة، وخلق معه إثني عشر حجاباً، والمراد بالحُجُب، الأئمّة عليهم السلام»[٣].

السادس والعشرون: ما رواه فيه أيضاً مُرسلاً فقال: ومن ذلك ما رواه جابر ابن عبدالله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: «أوّل شيء خلق الله ما هو؟

فقال: نور نبيّك يا جابر! خلق الله ثمّ خلق منه كلّ خير، ثمّ أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثمّ جعله أقساماً [، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢١.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢١.

٣. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢١.

وخزنة الكرسي من قسم.

وأقام القسم الرابع في مقام الحبّ ماشاء الله، ثمّ جعله أقساماً،][١] فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنّة من قسم.

وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله، ثمّ جعله أجزاءً [فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء.

وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثمّ جعله أجزاء،] فخلق العقل من جزء، و[العلم و] الحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء.

وأقام القسم الخامس في مقام الحياء ما شاء الله، ثمّ نظر إليه بعين الهيبة، فرسخ ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كلّ قطرة روح نبيّ ورسول، ثمّ تنفّست أرواح الأنبياء، فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين.

ثمّ قال ﷺ: ويؤيّد ذلك ما رواه جابر بن عبدالله في تفسير قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[٢] قال: قال رسول الله ﷺ:

أوّل ما خلق الله نور ابتدعه من نوره واشتقّه من جلال عظمته فأقبل يطوف بالقدرة حتّى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ سجد لله تعظيماً ففتق منه نور عليّ عليه السلام، فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور عليّ عليه السلام محيطاً بالقدرة.

ثمّ خلق بالعرش واللوح والشمس والقمر وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مشتقّ من نوره.

فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن السابقون ونحن المسبّحون، ونحن كلمة الله ونحن خاصّة الله، ونحن أحبّاء الله ونحن وجه الله، ونحن جنب الله ونحن يمين الله، ونحن أُمناء الله ونحن خزنة وحي الله وسدنة وغيب الله، ونحن معدن التنزيل ومعنى التأويل، وفي أبياتنا هبط جبرئيل.

---

١. مابين المعقوفين أثبتناه من البحار.

٢. آل عمران: ١١٠.

ونحن محالّ قدس الله، ونحن مصابيح الحكمة، ونحن مفاتيح الرحمة، ونحن ينابيع النعمة، ونحن شرف الأُمّة، ونحن سادة الأئمّة، ونحن نواميس العصر وأخيار الدهر، ونحن سادة العباد، ونحن ساسة البلاد، ونحن الكفاة [والولاة] والحماة والسقاة والرعاة وطريق النجاة، ونحن السبيل والسلسبيل، ونحن النهج القويم والصراط[1] المستقيم.

من آمن بنا آمن بالله، ومن ردّ علينا ردّ على الله، ومن شكّ فينا شكّ في الله، [ومن عرفنا عرف الله، ومن تولّى عنّا تولّى الله، ومن أطاعنا أطاع الله.

ونحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله] ولنا العصمة والخلافة والهداية، وفينا النبوّة والولاية والإمامة، و[نحن] معدن الحكمة وباب الرحمة وشجرة العصمة، ونحن كلمة التقوى والمثل الأعلى والحجّة العظمى والعروة الوثق؛ من تمسّك بها نجى»[2]، انتهى الخبر.

أقول: قد جمعت بين هذين الخبرين لعدم اشتمال الأوّل على الأئمّة تصريحاً.

السابع والعشرون: ما رواه السيّد السّند في «غاية المرام» عن ابن بابويه مسنداً إلى محمّد بن حرب أمير المدينة يقول: «سألت جعفر بن محمّد عليهما السلام فقلت له: في نفسي مسألة أُريد أن أسألك ـ وساق الخبر... إلى أن قال: ـ قال الصادق عليه السلام: وقال عليٌّ عليه السلام:

أنا من أحمد كالصنو من الصنو، أما علمت أنّ محمّداً وعليّاً كانا نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل خلق الخلق بألفي عام، وأنّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد شعب منه شعاع لاح، فقالوا: إلهنا! وسيّدنا! ما هذا النور؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم: هذا نور من نوري، أصله نبوّة وفرعه إمامة؛ أمّا النبوّة فلمحمّد عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة فلعليّ حجّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي»[3]، الخبر بطوله.

الثامن والعشرون: ما رواه فيه أيضاً عنه مسنداً إلى أبي ذر قال: «سمعت

---

١. في البحار: والطريق.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢١.

٣. معاني الأخبار، ص ٣٥٠؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١١.

رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: خلقت أنا وعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام من نور واحد نسبّح الله تعالى عند العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنّة ونحن في صلبه... الخبر إلى عبدالمطّلب والانشقاق بنصفين»[١].

التاسع والعشرون: ما رواه فيه أيضاً عن شرف الدين النجفيّ في «ما نزل في أهل البيت من القرآن» عن الشيخ أبي محمّد الفضل بن شاذان بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفيّ، عن الإمام العالم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد من نور اخترعه من نور عظمته وجلاله وهو نور لاهوتيّته الّذي تبدأ ـ من لاه أي: من إلهيّته من إنّيّته الّذي تبدأ منه ـ وتجلّى لموسى عليه السلام [في طور سيناء، فما استقرّ له ولا أطاق موسى عليه السلام] لرؤيته، ولا ثبت له حتّى خرّ صعقاً مغشيّاً عليه، وكان ذلك النور نور محمّد صلى الله عليه وآله.

فلمّا أراد أن يخلق محمّداً صلى الله عليه وآله منه قسّم ذلك النور شطرين: فخلق من الشطر الأوّل محمّداً ومن الشطر الآخر عليّاً، ولم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهما الله بيده ونفخ فيهما بنفسه لنفسه، وصوّرهما على صورتهما، وجعلهما أُمناء له، وشهداء على خلقه، وخلفاء على خليقته، وعيناً [له] عليهم، ولساناً له إليهم، قد استودع فيهما علمه، وعلّمهما البيان، واستطلعهما على غيبه، [وجعل أحدهما نفسه والآخر روحه، ولايقوم أحدهما بغير صاحبه، ظاهرهما بشريّة وباطنهما لاهوتيّة، ظهرا للحقّ على هياكل الناسوتيّة حتّى يطيقوا رؤيتهما وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ ﴾[٢] فهما مقاما ربّ العالمين وحجابا الخالق الخلائق أجمعين][٣]، وبهما فتح بدء الخلق[٤]، وبهما يختم الملك والمقادير.

---

١. معاني الأخبار، ص ٥٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٣٣.

٢. الأنعام: ٩.

٣. لم ترد مابين المعقوفين في البحار.

٤. في البحار: بدء الخلائق.

ثمّ اقتبس من نور محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة ابنته كما اقتبس نوره من نوره[١]، واقتبس من نور فاطمة وعليّ، الحسن والحسين عليهما السلام كاقتباس المصابيح، هم خلقوا من الأنوار وانتقلوا من ظهر إلى ظهر، ومن صلب إلى صلب، ومن رحِم إلى رحم في الطبقة العليا من غير نجاسة، بل نقلاً بعد نقلٍ، لا من ماء مهين ولا نطفة جشرة[٢] كسائر خلقه، بل أنواراً تنقّلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات، لأنّهم صفوة الصفوة اصطفاهم لنفسه وجعلهم خزّان علمه، وبلغاء عنه إلى خلقه، أقامهم مقام نفسه، لا يرى ولا يدرك ولا يعرف كيفيّته ولا إنّيّته، فهؤلاء ناطقون المبلّغون عنه، المتصرّفون في أمره ونهيه، فبهم يظهر قوّته، ومنهم تُرى آياته ومعجزاته، وبهم ومنهم عرّف عباده نفسه، وبهم يطاع أمره، ولولاهم ما عُرِف الله، ولا يُدرى كيف يُعبد الرحمان، فالله يجري أمره كيف يشاء، فيما يشاء، ولا يُسئل عمّا يفعل وهم يُسئلون»[٣].

الثلاثون: ما رواه فيه أيضاً عن ابن بابويه مسنداً إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه عن موسى بن جعفرٍ عليه السلام، عن أبيه كلّهم مسمّون إلى عليّ ابن أبي طالبٍ عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي، ولا أكرم عليه منّي.

قال عليٌّ عليه السلام: فقلت: يا رسول الله! أنت أفضل أم جبرئيل؟

فقال: يا عليّ! إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ! وللأئمّة من بعدك، فإنّ الملائكة خدّامنا وخدّام محبّينا.

يا عليّ! الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن آمنوا بولايتنا.

يا عليّ! لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض،

---

١. في البحار: نوره من المصابيح. في المصدر: كما اقتبس نور علي من نوره.

٢. في المصدر والبحار: خشرة. قال العلّامة المجلسي رحمه الله الخشارة: الرديء من كلّ شيء.

٣. تأويل الآيات، ص ٣٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٢٨.

فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؛ لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون، وأنّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا.

فلمّا شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلّا الله وأنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نُعبد معه أو دونه، فقالوا: لاإله إلّا الله، فلمّا شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر أن ينال عظم المحلّ إلّا به، فلمّا شاهدوا ما جعل الله لنا من العزّة والقوّة قلنا: لا حول ولا قوّة إلّا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله؛ فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

إنّ الله خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً له وإكراماً، وكان سجودهم عبوديّة ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون وإنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى، ثمّ قال: تقدّم يا محمّد.

فقلت له: يا جبرئيل! أتقدّم عليك؟

فقال: نعم، إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضّلك خاصّة.

فتقدّمت فصلّيت بهم ولا فخر، فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد! وتخلّف هو عنّي.

فقلت: يا جبرئيل! في مثل هذا الموضع تفارقني؟

فقال: يا محمّد! هذا انتهاء حدّي الّذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي.

فزجّ لي في النور زجّة حتّى انتهيت إلى ما شاء الله من علوّ ملكه، فنوديت: يا محمّد! أنت

عبدي وأنا ربّك فإيّاي فاعبد وعليّ فتوكّل، فإنّك نوري في عـبادي، ورسـولي إلى خـلقي، وحجّتي على بريّتي، لك ولمن تبعك خلقت جنّتي، ولمن خالفك ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي.

فقلت: ومن أوصيائي؟

فنوديت: يا محمّد! أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي.

فنظرت وأنا بين يدي ربّي إلى ساق العرش فرأيت إثنى عشر نوراً في كلّ نورٍ سطر أخضر عليه اسم كلّ وصيّ من أوصيائي، أوّلهم عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وآخرهم مهديّ أُمّتي.

فقلت: يا ربّ! هؤلاء أوصيائي من بعدي؟

فنوديت: يا محمّد! هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحجّتي بعدك على بـريّتي، وهـم أوصياؤك وخلفاؤك وخيرتك بعدك، وعزّتي وجلالي! لأُطهّرنّ بهم ديـني، ولأعـلينّ بهـم كلمتي، ولأُطهّرنّ الأرض بآخـرهم مـن أعـدائي، ولأُمكـنّه مشـارق الأرض ومـغاربها، ولأُسخّرنّ له الرياح ... ولأداولنّ الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة»[1].

الحادي والثلاثون: ما رواه أيضاً فيه عن ابن بابويه في كتاب النصوص عن الأئمّة الإثنى عشر مسنداً مؤرّخاً معيّناً للزمان والمكان غالباً إلى أنس بن مالك قال: «كنت أنـا وأبـوذر وسلمان وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ دخل الحسن والحسين عليهما السلام فقبّلهما رسول الله صلى الله عليه وآله، فقام أبوذر فانكبّ عليهما وقبّل أيديهما ثمّ رجع، فقعد معنا.

فقلنا له: يا أباذر! أنت رجل شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تقوم إلى صبيّين من بني هاشم فتكبّ عليهما وتقبّل أيديهما؟!

فقال: نعم، لو سمعتم ما سمعت فيهما من رسول الله صلى الله عليه وآله لفعلتم بهما أكثر ممّا فعلت.

قلنا: وماذا سمعت؟

قال: سمعته يقول لعليّ ـ وساق الحديث الشريف ... إلى أن قال: ـ ثمّ قام أبـوذرّ فـخرج

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٦٢؛ كمال الدين، ج ١، ص ٢٥٤؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٥؛ الاختصاص، ص ٨؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٣٧٧.

وتقدّمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله! أخبرنا أبوذر عنك بكيت وكيت.

قال: صدق أبوذر، والله! ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

ثمّ قال: خلقني الله تعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثمّ نقلنا إلى صلب آدم.

وساق الحديث... إلى أن قال: ثمّ قال: لمّا عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودّعني جبرئيل، فقلت: حبيبي جبرئيل! في هذا المقام تفارقني؟

فقال: يا محمّد! إنّي لا أُجاوز هذا الموضع فتحرق أجنحتي.

ثمّ زجّ بي في نورٍ إلى ما شاء الله، فأوحى الله إليّ: يا محمّدَ! إنّي اطّلعت على الأرض اطّلاعة فاخترتك منها وجعلتك نبيّاً، ثمّ اطّلعت ثانياً فاخترت منها عليّاً، فجعلته وصيّك ووارث علمك والإمام من بعدك، وأخرج من أصلابكما الذرّيّة الطاهرة والأئمّة المعصومين خزّان علمي؛ فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنّة ولا النار. يا محمّد! أتحبّ أن تراهم؟»[1]... إلى آخر الخبر.

الثاني والثلاثون: ما رواه فيه عن ابن بابويه من النصوص أيضاً مسنداً إلى محمّد بن الحنفيّة قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله تبارك وتعالى: لأُعذّبنّ كلّ رعيّة دانت بطاعة إمام ليس منّي.

وساق الحديث... إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأنا سيّد الأنبياء وأنت سيّد الأوصياء، وأنا وأنت من شجرة واحدة، ولولانا لم يخلق الله الجنّة ولا النار ولا الأنبياء ولا الملائكة.

قال: قلت: يا رسول الله! فنحن أفضل من الملائكة؟

قال: يا عليّ! نحن خير خليقة الله على بسيط الأرض، وخير من الملائكة المقرّبين، وكيف لا نكون خيراً منهم وقد سبقناهم إلى معرفة الله وتوحيده، فبنا عرفوا الله، وبنا عبدوا الله، وبنا

---

١. إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٤١٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٣٠١.

اهتدوا السبيل إلى معرفة الله. يا عليّ! أنت منّي وأنا منك، وأنت أخي ووزيري»[١]، الخبر بطوله.

الثالث والثلاثون: ما رواه فيه عن الشيخ الثقة محمّد بن العبّاس بن ماهيار صاحب التفسير «في ما نزل في القرآن في أهل البيت»، هذا كلّه لفظه رحمه الله: «قال: ومن ذلك مرفوعاً عن محمّد بن زياد قال: سأل ابن مهران عبدالله بن العبّاس عن تفسير قوله: ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ** ﴾[٢].

فقال ابن عبّاس: إنّا كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا رآه النبيّ صلّى الله عليه وآله تبسّم في وجهه وقال: مرحباً بمن خلق الله قبل آدم بأربعين ألف عام.

فقلت: يا رسول الله! أكان الإبن قبل الأب؟!

قال: نعم، إنّ الله خلقني وخلق عليّاً قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، خلق نوراً فقسّمه نصفين، فخلقني من نصفه وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء، ثمّ خلق الأشياء فكانت مظلمة، فنورها من نوري ونور عليّ عليه السلام، ثمّ جعلنا عن يمين العرش، ثمّ خلق الملائكة فسبّحنا وسبّحت الملائكة، وهلّلنا وهلّلت الملائكة، وكبّرنا وكبّرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ»[٣]، الخبر بطوله.

الرابع والثلاثون: ما رواه فيه عن محمّد بن يعقوب مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى: يا محمّد! إنّي خلقتك وعليّاً نوراً ـ يعني روحاً ـ بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتها واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين وقسّمت الثنتين ثنتين ثنتين، فصارت أربعة: محمّد واحد، وعليّ واحد، والحسن والحسين ثنتان، ثمّ خلق الله فاطمة من نور ابتدأها

---

١. كفاية الأثر، ص ١٥٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٣٤٩.

٢. الصافّات: ١٦٥ ـ ١٦٦.

٣. تأويل الآيات، ص ٤٨٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٨٨.

روحاً بلا بدن، ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا»[١].

الخامس والثلاثون: ما رواه في «الكافي» عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيدالله، عن محمّد بن عيسى ومحمّد بن عبدالله، عن عليّ بن الحديد، عن مرازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى:

يا محمّد! إنّي خلقتك وعليّاً نوراً ـ يعني روحاً ـ بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تسبّحني وتهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة»[٢]، الخبر الشريف.

السادس والثلاثون: ما رواه في «الكافي» أيضاً عن الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن عبدالله بن إدريس، عن محمّد بن سنان قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة.

فقال: يا محمّد! إنّ الله لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أُمورها إليهم؛ فهم يحلّون ما يشاؤون، ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء الله.

ثمّ قال: يا محمّد! هذه الديانة الّتي من تقدّمها مرق، ومن تخلّف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمّد!»[٣].

أقول: هذا الخبر مشتمل على مزايا جليلة سيجيء بيانها منّا إن شاء الله.

السابع والثلاثون: في «الكافي» أيضاً عن عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عليّ بن إبراهيم، عن عليّ بن حمّاد، عن المفضّل قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟

فقال: يا مفضّل! كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلّة خضراء نسبّحه ونقدّسه

---

١. بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١٨.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٤٠.

٣. الكافي، ج ١، ص ٤٤١؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١٩.

ونهلّله ونمجّده، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا حتّى بدأ الله خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثمّ أنهى علم ذلك إلينا»[١].

الثامن والثلاثون: ما رواه في «الكافي» أيضاً عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبدالله الصغير، عن محمّد بن إبراهيم الجعفيّ[٢]، عن أحمد بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبدالله بن عمر بن عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ الله كان إذ لاكان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الّذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار وهو النور الّذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة حتّى افترقا في أطهر طاهرين في عبدالله وأبي طالب عليهما السلام»[٣].

أقول: قوله: «إذ لاكان فخلق الكان»[٤] لعلّه بمعنى الكون الّذي هو كالظرف للزمان فتأمّل!

التاسع والثلاثون: ما رواه في «الكافي» أيضاً عن الحسين بن عبدالله، عن محمّد ابن عبدالله، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن جابر بن يزيد قال: «قال لي أبوجعفر عليه السلام: يا جابر! إنّ الله أوّل ما خلق، خلق محمّداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله.

قلت: وما الأشباح؟

قال: ظلّ النور أبدان نورانيّة بلا أرواح، وكان مؤيّداً بنور واحد وهي روح القدس فبه كان يُعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء يعبدون الله بالصلاة والصوم

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٤١؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٤.

٢. في المصدر والبحار: الجعفري.

٣. الكافي، ج ١، ص ٤٤١؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٤.

٤. نفسه.

والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلّون الصلوات ويحجّون ويصومون»[١].

أقول: نسختي «الكافي» كذلك وقوله: «فبه يُعبد الله» أي: بتأييد روح القدس، والضمير راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعترته عطف عليه يعني: إنّهم أيضاً بتأييد روح القدس يعبدون الله.

قوله: «ولذلك خلقهم» أي: لتأييدهم بروح القدس كانوا حلماء علماء، ولعلّ الأصل: وعترته كذلك، مع الكاف وكلمة واو بعد كذلك أي: وخلقهم، والمعنى واحد.

وأمّا روح القدس فورد في الأخبار إنّه ملك أفضل من جبرئيل وميكائيل مخصوص بمحمّد والأئمّة عليهم السلام.

وأقول: هو الروح في قوله تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ**﴾[٢]، ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ**﴾[٣] ويفهم من بعض الأخبار إنّه أشرف من الملك،[٤] يفهم منه كلّ بحسب.

الأربعون: ما نقله غير واحد من العلماء الأعلام مثل السيّد الجليل الصمدانيّ السيّد هاشم البحرانيّ قدس سره في كتبه والعلّامة المجلسيّ في مجلّدات «بحار الأنوار» مكرّراً وغيرهما عن الشيخ الجليل أبوالحسن البكريّ أُستاد الشهيد الثاني في كتابه المسمّى بـ«الأنوار» وهو خبر شريف طويل مسطور في مجلّد السماء والعالم من «البحار» و«غاية المرام» وغيره نذكر منه موضع حاجتنا وما يتعلّق به، قال:

روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «كان الله ولا شيء معه، فأوّل ما خلق نور حبيبه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قبل خلق الماء والعرش والكرسيّ والسماوات والأرض واللوح والقلم والجنّة والنار والملائكة وآدم وحوّاء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام، فلمّا خلق الله نور نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بقي ألف عام بين يدي الله عزّوجلّ واقفاً يسبّحه ويحمد، والحقّ تعالى ينظر إليه

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٤٢؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٥.

٢. القدر: ٤.

٣. الإسراء: ٨٥.

٤. راجع: بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٤٧، باب ٣.

ويقول: يا عبدي! أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزّتي وجلالي! لولاك لما خلقت الأفلاك، من أحبّك أحببته، ومن أبغضك أبغضته.

فتلألأ نوره وارتفع شعاعه، فخلق الله منه اثنى عشر حجاباً أوّلها القدرة، ثمّ حجاب العظمة، ثمّ حجاب العزّة، ثمّ حجاب الهيبة، ثمّ حجاب الجبروت، وعدّ الحجب إلى إثنى عشر... إلى أن قال:

ثمّ إنّ الله تعالى أمر نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل في حجاب القدرة فدخل وهو يقول: سبحان العليّ الأعلى، وبقي على ذلك إثنى عشر ألف عام، وعدّ مثل ذلك في الحجب مع ذكره، صلوات الله عليه وآله.

... إلى أن قال: قال الإمام عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: ثمّ إنّ الله خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عشرين بحراً من نور في كلّ بحر علوم لا يعلمها إلّا الله تعالى.

ثمّ قال لمحمّدٍ: إنزل في بحر العزّ، فنزل ـ... إلى أن قال: ـ حتّى تقلّب في عشرين بحراً، فلمّا خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي! ويا سيّد رسلي! ويا أوّل مخلوقاتي! ويا آخر رسلي! أنت الشفيع يوم المحشر.

فخرّ النور ساجداً.

ثمّ قال: فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كلّ قطرة من نوره نبيّاً من الأنبياء، فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كما تطوف الحجّاج حول بيت الله الحرام وهم يسبّحون الله ويحمدونه ويقولون: سبحان من هو عالم لا يجهل... إلى آخر الدعاء.

ثمّ قال: فإذا بالنداء من قبل الحقّ: أنت صفيّي وأنت حبيبي وخير خلقي، أمّتك خير أمّة أُخرجت للناس.

ثمّ خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم جوهرة ـ وساق الحديث... إلى أن قال: ـ وخلق القلم وقال له: أُكتب توحيدي.

فبقي القلم ألف عام سكران من كلام الله، فلمّا أفاق قال: أُكتب! قال: يا ربّ! وما أكتب؟

قال: أُكتب: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله.

فلمّا سمع اسم محمّد خرّ ساجداً وقال ما قال، وكتب ما أُمر به، فقال: يا ربّ! ومن محمّد الّذي قرن اسمه باسمك وذكره بذكرك؟

قال الله: يا قلم! فلولاه ما خلقتك، ولا خلقت الخلق إلّا لأجله؛ فهو بشير ونذير وسراج منير وشفيع وحبيب.

فعند ذلك انشقّ القلم من حلاوة ذكر محمّد، ثمّ قال القلم: السلام عليك يا رسول الله»[١]، ... إلى آخر الخبر بطوله، ونقل خلق السماوات والأرض وما تحتها وخلق آدم، ونقل الخبر بتمامه العلّامة المجلسيّ ﷺ في المجلّد السادس من «البحار»، والأخبار بهذه المضامين أكثر من أن تحصى في هذا الكتاب.

الحادي والأربعون: ما رواه الصدوق في «إكمال الدين» بإسناد معتبر إلى أصبغ ابن نباتة قال: «سمعت أميرالمؤمنين عليه‌السلام يقول: سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول: أفضل الكلام قول: لا إله إلّا الله، وأفضل الخلق أوّل من قال: لا إله إلّا الله.

فقيل: يا رسول الله! ومن أوّل من قال لا إله إلّا الله؟

قال صلى‌الله‌عليه‌وآله: أنا وأنا نور بين يدي الله جلّ جلاله أُوحّده وأُسبّحه وأُكبّره وأُقدّسه وأُمجّده، ويتلوني نور شاهد منّي.

فقيل: يا رسول الله! ومن الشاهد منك؟

قال: عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام أخي ووصيّي وصفيّي ووزيري وخليفتي وإمام أُمّتي وصاحب حوضي وحامل لوائي.

فقيل: يا رسول الله! فمن يتلوه؟

قال: الحسن والحسين عليهما‌السلام سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ الأئمّة من ولد الحسين إلى يوم القيامة»[٢]، انتهى.

---

١. بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٧.

٢. كمال الدين، ج ٢، ص ٦٦٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٢٦٣.

أقول: وظاهر أنّ المراد بالتالي بعده هو من قال: لا إله إلّا الله بعده معاضداً للأخبار الأُخر بأنّهم أوّل من وحّد الله إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المبثوثة في أبواب الأخبار. هذه أربعون حديثاً كاملاً من طرق شتّى وكتب مختلفة معتبرة. وقد ذكر صاحب الرسالة من خبر الثقلين ما يرتقي العشرين من طرق الخاصّة والعامّة وادّعى مكرّراً تواترها واستغنائها من التعرّض عن حال السند، وقد ذكرنا لهذا الأخبار أربعين حديثاً من طرق الخاصّة الحقّة، وقد نقله العلماء المخالفون في كتبهم وصحاحهم. ونقل السيّد الجليل السيّد هاشم البحرانيّ من طرقهم هذه المضامين من تسعة وعشرين حديثاً، ونقل العلّامة المجلسيّ ﷺ في كتاب الإمامة من «البحار» بعض الطرق، ولو شئت استقصاء ما وصل إليّ من هذه الأخبار لارتقى المائة قطعاً مع قصر باعي وقلّة بضاعتي وعدم استطاعتي.

وما كنت أردت ذكر الخبر الأخير المكمّل للعدد في عداد هذه الأخبار لما فيه من ضعف السند الغير المعلوم حاله، لكن ذكرناه لأنّ الفاضل المذكور أشار إليه وإلى مضمونه فلذلك نقلته وإلّا فالأخبار المسندة المعلومة السند الموثوق الراوي كثيرة مسطورة مشهورة في كتب الأصحاب قديماً وحديثاً، مع أنّ ما يدلّ منه على كونه ﷺ علّة غائيّة لغيره وما يؤدّي مؤدّاه، أو ما يقرب منه مشترك بينه وبين غيره، وما اختصّ به من المناقب كخلق الأنبياء من عرقه وطوافهم حوله واغتسال النبيّ في أبحر الحجب ونحوهما، وانشقاق القلم أو تسكّره من استماع اسم النبيّ ﷺ فهو دون مقام العلّيّة.

وقد عرفت اشتمال جملة منها على أن قال الله تبارك وتعالى فيه: «لولا محمّد وآل محمّد ما خلقت الخلق» باختلاف الألفاظ والمتون؛ ففي بعضها مخصوص بالنبيّ وبالأفلاك كهذا الخبر الأخير مع ما فيه مُكرّراً من التصريح بغير الأفلاك أيضاً، وفي بعضها: «لولاهما ما خلقت الخلق»[1] مُشيراً إلى محمّد ﷺ وعليّ عليه السلام، وفي بعضها: «لولاهم» مُشيراً إلى النبيّ وسائر الأئمّة.

وهذا المضمون أيضاً متواتر النقل في الأخبار، متلقّاة بالقبول من الأصحاب والعلماء

---

١. بحارالأنوار، ج ١٥، ص ١١.

الأخيار، وصرّحوا في كتبهم الكلاميّة والأخباريّة والإماميّة بأنّهم علّة غائيّة لإيجاد الخلق، فما ذكره الفاضل النحرير صاحب الرسالة من أنّ قوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[1] أوّلاً غير معلوم السند والصدور، وثانياً إنّه مخصوص بالنبيّ والكلام في الأئمّة، وأين هذا من ذاك؟ وثالثاً بأنّه مخصوص بالأفلاك وهو حقيقة في السماوات السبع ولا يشتمل العرش والكرسيّ أيضاً فضلاً عن غيرها، وشنّع على شيخنا البهائيّ حيث قال في جواب السائل المستدلّ به لعلّه جعل الأفلاك كناية عمّا سوى الله وأنكره؛ كلّها فاسدٌ باطلٌ بنصوص هذه الأخبار لتصريحها بغير النبيّ وغير الأفلاك وعموم عامّة الخلق.

ولعلّك بعد الإحاطة بما ذكرنا من الأخبار المتواترة واشتمال أكثرها على مثل: «لولاك لما خلقت الأفلاك» في حقّ عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام ـ بل في حقّ فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وعلى أبيها وابن عمّها وبنيها ـ كما عرفت في غير واحد من الأخبار وبعد الاطّلاع على أنّ مفاد قوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك» هو كونه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ علّة غائيّة لإيجاد غيره وهذه العلّيّة مجمع عليها في الأنوار الأربعة عشر من الفرقة الحقّة الإثنى عشريّة وصرّح به غير واحد من العلماء في كتبهم الكلاميّة أيضاً.

وهذا الرجل صاحب الرسالة يدّعي أنّه من المتكلّمين أيضاً نستبعد إنكاره، لورود مثله في الأئمّة وإنكاره للمسألة الإجماعيّة الّتي لم يظهر فيها مخالفٌ أبداً وهو بعيد غاية البعد فلابدّ من نقل كلامه الصريح في هذا الإنكار، فقال:

شبهةٌ أُخرى مدروءة: وأمّا قولهم حديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك» مناف لهذا الخبر ومناقض له فشيءٌ عجيب وأمر غريب، فإنّ المشرّف بخطاب: «لولاك» هو النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه والكلام إنّما يساق في أوصيائه عليهم السلام، فأين يذهبون؟ وما لهم كيف يحكمون؟

والقول بأنّهم مثل مثله في الدرجة والمرتبة وهو أفضل من كلّ ما بدء الله وخلقه ومنه القرآن، والدليل عليه إجماع أهل الإسلام متعاضداً بأخبار مستفيضة، فكلّ ما ثبت له فهو ثابت لهم؛ مدفوع بأنّ الإجماع غير ثابت على هذا الوجه، وخاصّة إجماع الأُمّة وإلّا لكان من

---

١. بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٥.

ضروريّات دين الإسلام، فكان يقول به كلّ من يقول بالإسلام.

ومن البيّن أنّ الأمر على خلافه، فإنّ العامّة لا يقولون بالمساواة، بل التفضيل منهم وهم الأكثرون يفضّلون من لا فضل له بوجه على عليٍّ عليه‌السلام فضلاً عمّن عداه.

وقد ذهبت طائفة منهم إلى أنّ آدم وإبراهيم أفضل من نبيّنا محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، ومنهم المعتزلة ومنهم صاحب «الكشّاف» فيه إلى أفضليّة جبرئيل منه وإن كان هذان القولان متروكين عند علماء الشيعة فكيف يدّعي انعقاد الإجماع على الوجه المذكور.

وكذا الكلام في إجماع الطائفة، فإنّه على فرض انعقاده يفيد العلم، بل يصير من ضروريّات مذهب أهل البيت ومثله يمتنع أن ينعقد إلّا بنصّ جليّ محكم متواتر مقطوع به لا معارض له بحيث لا يشوبه شكّ ولا يعتريه شبهة.

ومن الظاهر أنّ الأمر على خلافه. قال الشهيد رحمه‌الله ـ على ما نقل عنه في بعض فوائده ـ: «عدّة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّ، فمنهم المرسلون وعدّتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نبيّاً وهم أفضل ممّن عداهم، واولوا العزم منهم خمسة وقيل: ستّة».

ثمّ قال: «ولا شكّ أنّ محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أفضل من سائرهم بلا خلاف، وأمّا عليّ بن أبي طالبٍ عليه‌السلام فلا شكّ أنّه أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين عدا الخمسة. وقال بعض العلماء بتفضيله عليهم ما عدا محمّد».

ثمّ قال: «وأمّا الحسنان عليهما‌السلام، فلا خلاف لمساواتهما لأُولي العزم وقيل بتفضيلهما عليهم»... إلى آخر ما أفاده هناك.

أقول: ويظهر من خبر المفضّل بن عمر الجعفيّ المذكور في «التهذيب» حيث قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه‌السلام فقلت: إنّي أشتاق إلى الغريّ.

قال: فما شوقك إليه؟

فقلت: إنّي أُحبّ أن أزور أميرالمؤمنين عليه‌السلام.

فقال: هل تعرف فضل زيارته؟

فقلت: لا.

فقال: إذا زرت أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم! أنّك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وساق الكلام... إلى أن قال: فوالله! ما سكن فيه بعد أبويه الطيّبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين عليه السلام إنّهما أكرما منه عليه وعليهم السلام»[1].

وحمل البعديّة على الزمانيّة سخيف يتأذّى عنه العقل ويتأبّى منه الفهم»، انتهى كلامه المتعلّق بالمقام، وقد نقلنا كلام السابق بعين عبارته.

وفي كلماته السابقة وكلامه هذا ما لا يخفى من الإنظار:

أمّا أوّلاً: فقوله في كلامه السابق: «إنّ ظواهر هذه الأخبار غير مطابقة لظاهر الشريعة المطهّرة إلّا بتكلّف وتأويل بعيد» ليته بيّن جهة مغايرة مطابقتها لظاهر الشريعة، فهل الشريعة إلّا مأخوذة من الكتاب والسنّة وكونهم أوّل ما خلق الله وأنّهم علل غائيّة لإيجاد العالم قد وردت فيه أخبار متواترة، بعضها ما عرفت وكونهم يد الله وجنب الله وأذن الله وعين الله كذلك، كما ستعرف تواترها من الأخبار والزيارات والخطب وغيرها.

وأمّا ثانياً: فما ذكره من أنّ هذه الأخبار غير مذكورة في أصلٍ وكتابٍ معتبر تركن النفس قليلاً إليه فأمر عجيب، فإنّه بعد تواترها ـ كما عرفت ـ لا يحتاج إلى تصحيح السند. مضافاً إلى ما عرفت وتعرف من شيوعها في مثل «الكافي» والكتب المعروفة من الصدوق والشيخ وغيرهم، فهذه غفلة واضحة وزلّة ظاهرة.

وأمّا ثالثاً: فما ذكره من أنّ المظنون أنّها من موضوعات الزنادقة والغلاة والمتصوّفة فما أدري ماذا أراد؟ إن أراد اختار بدون الخلقة، فقد عرفت تواترها.

وإن أراد إطلاق يد الله وأُذن الله وعين الله وجنب الله عليهم؛ فلعمري إنّها ـ أيضاً ـ متواترة، كما عرفت من تلك الأخبار وستعرف زيادة توضيح لها.

وإن أراد مضمون «أنا العالم بضمائر ما في قلوبكم» فوالله! إنّ فيه ـ أيضاً ـ أخباراً متواترة عموماً وخصوصاً.

---

١. تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢٦ ولم ترد فيه: إنّهما اكرما منه عليه وعليهم السلام.

وإن أراد «أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد»[١] فلعمري إنّه ليس بأمر غريب وكذلك «كلّنا محمّد»[٢]، وهذا المضمون قد ورد في أخبار كثيرة معتبرة، كما في الزيارة الجامعة المعروفة المشهورة «أشهد أنّ طينتكم ـ وفلانكم وفلانكم ـ واحدة»[٣] وعلى طبقها أخبار كثيرة مستفيضة وإن لم يكن بلفظ «كلّنا محمّد»، وآية أنفسنا دالّة على تنزيل عليٍّ منزلة نفس النبيّ، فكيف ينكر مثل هذا الكلام، وهذا أيضاً غفلة ظاهرة لمن له أدنى أنس بأخبار أهل البيت.

أمّا من خفي عليه أنّهم أوّل ما خلق الله وأنّهم علّة غائيّة لإيجاد العالم، فهذه الغفلة منه غير عجيب، مع أنّ هذا الخبر قد نقله المجلسيّ رحمه الله في «البحار» عن الشيخ الحسن ابن سليمان في «المختصر» من كتاب السيّد حسن بن كبش بإسناده إلى المفيد رحمه الله رفعه إلى أبي بصيرٍ عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إنّ الله اختار من الأيّام يوم الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختار من الناس الأنبياء والرسل، واختارني من الرسل، واختار منّي عليّاً، واختار من عليٍّ الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء؛ يمنعون عن التنزيل تحريف الضالّين وانتحال المبطلين وتأوّل الجاهلين، تاسعهم باطنهم ظاهرهم قائمهم وهو أفضلهم»[٤].

ومنه عن زيد الشحّام قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيّما أفضل: الحسن أم الحسين عليهما السلام؟

قال: إنّ فضل أوّلنا يلحق بآخرنا، وفضل آخرنا يلحق بأوّلنا، وكلّ له فضل.

قال: قلت له: جعلت فداك! وسّع عليّ في الجواب، فإنّي والله! ما سألتك إلّا مرتاداً.

فقال: نحن من شجرة طيّبة واحدة فضلنا من الله، وعلمنا من الله، ونحن أُمناؤه على خلقه، والدعاة إلى دينه، والحجاب بينه وبين خلقه. أزيدك يا زيد؟

---

١. غيبة النعماني، ص ٨٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٣.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٥.

٣. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٢٧٣.

٤. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٣.

قلت: نعم.

فقال: خلقنا واحد، وفضلنا واحد، وكلّنا واحد عند الله.

فقلت: أخبرني بعدّتكم.

فقال: نحن إثني عشر هكذا حول عرش ربّنا عزّ وجلّ في مبدأ خلقنا: أوّلنا محمّد، وأوسطنا محمّد، وآخرنا محمّد»[١].

هذا هو تمام الرواية، وهذا لا إشكال فيه بوجه من الوجوه، فإنّ المراد بـ«أوّلنا محمّد» هو النبيّ، و«أوسطنا محمّد» هو الباقر [و] التقيّ الجواد، والآخر هو صاحب الأمر عجّل الله فرجه.

وأمّا ما ذكره بعد هذا الكلام: «وكلّنا محمّد» لم أجده في الرواية، مع أنّه لو كان، ليس فيه عيب وبأس ومنقصة، فإنّهم كنفس رسول الله ﷺ كما ينادي به الأخبار الكثيرة، بل ورد هذه اللفظة في رواية معرفة الإمام عليه السلام بالنورانيّة الّتي نقلها العلّامة المجلسيّ رحمه الله من كتاب في المناقب نقله والده المجلسيّ رحمه الله في كتاب عتيق وجده بنفسه ونقله في «البحار»[٢] كثيراً.

وإن أراد قوله: «لنا مع الله حالات هو نحن ونحن هو وهو هو ونحن نحن» فمع أنّه مذكور ومرويّ في كتاب «بصائر الدرجات» و«منتخب بصائر الدرجات» وهو كتاب معتبر متلقّى بالقبول عند الأصحاب؛ فمعاضد بمضامين أُخر وردت عنهم مثل الدّعاء في أيّام رجب: «لا فرق بينه وبينهم إلّا أنّهم عباد مربوبون» ظاهر، أو غيرها، ومعاضد بما ورد في «الكافي» وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[٣]، ومعاضد بما ورد في الكتب المعتبرة المتكرّر النقل: «لا زال عبدي المؤمن يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أكون سمعه وبصره وحتّى أراد لشيء أن يقول له كن فيكون»[٤] ومع الغضّ عن جميع ذلك فهذا خبر واحد وهو

---

١. غيبة النعماني، ص ٨٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٣.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١.

٣. الزخرف: ٥٥.

٤. عوالي اللآلي، ج ٤، ص ٦٠٣؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٩١.

قال: جلّها أو كلّها من موضوعات الغلاة، فهذه الواحدة جلّ أو كلّ ؟!

وأمّا رابعاً: فما قاله من اختصاص حديث «لولاك» بشخص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقد عرفت في الأخبار المذكورة التصريح بعمومهم، كما أنّه بعد ذلك يصرّح بأنّه مخصوص بالأفلاك، وشنّع على شيخنا البهائيّ بأنّه كناية عن جميع العالم بأنّه مجاز لا يصار إليه إلّا بدليل.

وهذا أيضاً غريب، لما عرفت في أخبارنا من التصريح بأنّه لولاهم لما خلق السماوات ولا الأرضين ولا الملائكة ولا الجنّة ولا النّار ولا الماء ولا الهواء، مع أنّ خلق الأفلاك من المعلوم أنّها تبعيّ لخلق الإنسان، كما هو صريح الآيات وجعلنا لكم الشمس والقمر والليل والنهار، وهذا أمر معلوم من العقل والنقل. فالتشنيع على الشيخ أمر شنيع في غاية الشناعة.

وأمّا خامساً: فقوله: «والقول بأنّهم مثله في الدرجة والرتبة، فكلّ ما ثبت له فهو ثابت لهم»... إلى آخره والدليل على ذلك الإجماع وهو مدفوع فيه، إنّا نثبت ذلك بالكتاب والسنّة والإجماع:

أمّا الكتاب، فآية ﴿أنفسنا﴾[1].

وأمّا السنّة، فخبر المنزلة: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[2]، وفي الباقي بعدم القول بالفصل.

مع أنّ كلامه في خصوص أميرالمؤمنين عليه السلام، لأنّه أكبر الثقل الأصغر الحاضر في زمن صدور أخبار الثقلين، والأخبار الكثيرة في أنّهم شجرة واحدة ونور واحد وطينتهم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض. وأخبار: «أنت يا عليّ! منّي وأنا منك» و«حسين منّي وأنا من حسين»[3]... إلى غير ذلك.

والإجماع من الإماميّة أيضاً محقّقٌ ثابت في ذلك، وصرّحوا بذلك في موارد شتّى في أوّل

---

١. أي: قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١].

٢. الكافي، ج ٨، ص ١٠٦؛ بحارالأنوار، ج ٨، ص ١.

٣. كامل الزيارات، ص ٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٢٦١.

ما خلق الله، وفي تفضيلهم على الملائكة، وفي تفضيلهم على المرسلين، كما ستعرف إن شاء الله.

وأمّا سادساً؛ فقوله: «إنّ الإجماع غير ثابت على هذا الوجه وخاصّة إجماع الأُمّة وإلّا لكان من ضروريّات دين الإسلام». فيه:

أوّلاً: إنّ الإجماع كثيراً ما يكون من العلماء وهذا غير مستلزم لضرورة الإسلام، مثل إجماع العلماء في الفروع كثيراً مع عدم كونها ضروريّاً للعوام.

وثانياً: إنّ إجماع العامّة لا اعتداد به، لأنّ مذهبهم الباطل الفاسد يبنى على هذا الإجماع المدّعى المعلوم بطلانه.

وأمّا سابعاً: فقوله: «وكذا الكلام في إجماع الطائفة، فإنّه على فرض انعقاده يفيد العلم، بل يصير من ضروريّات مذهب أهل البيت، ومثله يمتنع أن ينعقد إلّا بنصٍّ جليّ محكم متواتر». فيه:

أمّا أوّلاً: ما عرفت مثله من أنّه لعلّه إجماعيّ العلماء لا المذهب، والفرق بينهما بيّن.

وثانياً: امتناع انعقاده إلّا بنصٍّ جليّ ممنوع، فربّ مجمع عليه ليس فيه نصٌّ جليّ متواتر.

وثالثاً: إنّ هذا الإجماع محقّقٌ من العلماء والنصّ المحكم الجليّ المتواتر موجود: أمّا الإجماع، فلأنّا لم نجد من علماء الخاصّة خلافاً في ذلك ولا نقله أحد، وأمّا النصّ، فهو الآية والروايات المتواترة: آية ﴿أنفسنا﴾، ورواية: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»[1] وخصوص أخبار بدء خلقتهم، فإنّ في كثير منها يبلغ عددها العشرين ـ بل يرتقي منه ـ فيها تصريح بأنّه لولاهم لما خلق الخلق، وخصوص أخبار تفضيلهم على الملائكة المقرّبين من حملة العرش وجبرئيل وميكائيل وغيرهم، وخصوص أخبار تفضيلهم على الأنبياء والمرسلين وأُولي العزم منهم، كما ستعرف إن شاء الله تعالى.

وأمّا ثامناً فلأنّ ما ذكره من الشهيد لفظ منقول غير معلوم النسبة، وعلى فرضها فهو بعد أخبار الكثيرة البالغة حدّ التواتر لا اعتداد به.

---

١. الكافي، ج ٨، ص ١٠٦؛ كتاب سليم بن قيس، ص ٨٧٩؛ المناقب، ج ١، ص ٢٢٢؛ علل الشرائع، ج ١، ص ٢٢٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ١٩٩.

وأمّا تاسعاً: فما ذكره من الخبر وأخبار أنّ المراد إنّ آدم ونوح عليهما السلام أكرما عند الله من أمير المؤمنين عليه السلام مخالف لما نقله من عدم الخلاف في أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء عدا الخمسة، وآدم غير الخمسة، فهو مخالف للإجماع وعدم الخلاف الّذي نقله وسلّمه، فإنّه بنصّ الآية الشريفة ليس من أُولي العزم وهو قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً** ﴾[1] وعليه أخبار مفسّرة من الأئمّة عليهم السلام منهم ـ ما بالى ـ من أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

وأمّا عاشراً: فلعمري! إنّ الخبر ظاهرٌ في البعديّة الزمانيّة، وقوله: «سخيف يتأذّى منه العقل ويتأبّى منه الفهم» دعوى يدّعيه المخالف أيضاً، مع أنّ الأخبار الكثيرة الصريحة في تفضيله عليهما عموماً وخصوصاً بحدّ الاستفاضة.

أفلا تكفي هذه الأخبار في قرينة إرادة البعديّة الزمانيّة لو كان خلاف الظاهر؟ مع أنّه محال.

وإن كنت ممّن تعرف الحقّ بالرجال؛ فهذا هو العلّامة المجلسيّ رحمه الله بعد نقل الخبر المذكور عن كامل الزيارة قال: «بيان: قوله: «بعد أبويه» أي بعد زمان دفن أبويه، فلا ينافي كونه عليه السلام أفضل منهما، ولعلّ صدور أمثاله لضعف عقول الناس والخوف على ضعفاء الشيعة، أو للتقيّة من المخالفين، وأخبارنا مستفيضة في أنّ أئمّتنا عليهم السلام أفضل من غير نبيّنا من الأنبياء»[2]. انتهى كلامه طاب منامه.

فانظر إلى قوله: «أخبارنا مستفيضة»، كما عرفت.

والحاصل: إنّي أقول: الأخبار الصريحة المناطيق في أنّ محمّداً وآل محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم أوّل ما خلق الله من طرق الخاصّة والعامّة بحدّ التواتر قطعاً، وابتداء الله تعالى بخلقهم صريح الدلالة في أنّهم أفضل ممّا خلق الله بعده، فلو لم يكن لنا خبر واحد يدلّ على أفضليّتهم من سائر المخلوقات إلّا الأخبار الدالّة بأنّهم أوّل ما خلق الله، كفانا في الدلالة على أفضليّتهم من سائر المخلوقات، فإنّ فعل الله لا يكون عبثاً ولا سبب لتقديمهم إلّا أفضليّتهم من غيرهم.

---

١. طه: ١١٥.

٢. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٢٥٩.

مُضافاً إلى أنّ في كثير منها تصريحات بليغة من الله تبارك وتعالى بأنّه من جهة كونهم أطوع وأقدم في التوحيد والعبوديّة، وإلى أخبار دالّة بأفضليّتهم على الملائكة المقرّبين، وأخبار دالّة بأفضليّتهم من الأنبياء المرسلين وأولي العزم منهم.

كيف؟ وقد نطقت آيات متعدّدة بأنّ الله تعالى أخذ الميثاق عن النبيّين، خصوصاً أُولي العزم منهم، وقد فسّر الميثاق المأخوذ عنهم بالإقرار بالتوحيد ونبوّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وولاية عليٍّ وأولاده عليهم السلام، بل أخذ الميثاق عنهم بنصرتهم، كما في الآية الشريفة ﴿ **لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ** ﴾[١].

فورد في الأخبار: «تنصرنّ عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام».

والأخبار المفسّرة المعاضدة بأخبار متواترة كثيرة، فإنّ معنى النبوّة المطلقة لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم والولاية المطلقة لعليٍّ عليه السلام وأولاده ذلك.

وأنا أذكر في هذا الباب بعض الأخبار الدالّة على هذه النبوّة والولاية، وبعض الأخبار الدالّة على أفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام من أُولي العزم من الرسل، لتهيّج الشوق إلى ذلك، وإن كان لها باب مخصوص في هذا الكتاب يأتي تفصيلها:

أحدها: ما رواها شيخنا المفيد رحمه الله في «الاختصاص» رفعه عن جابر الجعفيّ قال: «كنت ليلة من الليالي عند أبي جعفرٍ عليه السلام، فقرأت هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾[٢].

قال: هذا تحريف يا جابر!

قال: قلت: تخبرني جعلني الله فداك.

قال: أفلا أُخبرك بتأويله الأعظم؟

قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك.

فقال: يا جابر! سمّى الله الجمعة جمعةً، لأنّ الله عزّ وجلّ جمع في ذلك اليوم الأوّلين

---

١. آل عمران: ٨١.

٢. الجمعة: ٩.

والآخرين، وجميع ما خلق الله من الجنّ والإنس، وكلّ شيء خلق ربّنا والسماوات والأرضين والبحار والجنّة والنار، وكلّ شيءٍ خلقه الله في الميثاق، فأخذ الميثاق منهم له بالربوبيّة، ولمحمّدٍ ﷺ بالنبوّة، ولعليٍّ عليه السلام بالولاية، وفي ذلك اليوم قال الله للسماوات والأرض: ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[1]؛ فسمّى الله ذلك اليوم الجمعة، لجمعه فيه الأوّلين والآخرين.

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾ من يومكم هذا الّذي جمعكم فيه، و«الصلاة» أميرالمؤمنين عليه السلام يعني بالصلاة الولاية وهي الولاية الكبرى.

في ذلك اليوم أتت الرسل والأنبياء والملائكة وكلّ شيءٍ خلق الله والثقلان: الجنّ والإنس، والسماوات والأرضون والمؤمنون بالتلبية لله عزّ وجلّ ﴿ فَامضوا[2] إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ «ذكر الله» أميرالمؤمنين عليه السلام ﴿ وَذَرُوا ٱلْبَيْعَ ﴾ يعني الأوّل ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ يعني: بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام وولايته ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من بيعة الأوّل وولايته ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلاَةُ ﴾ يعني: بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام ﴿ فَٱنتَشِرُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: بالأرض الأوصياء أمر الله بطاعتهم وولايتهم، كما أمر بطاعة الرسول وطاعة أميرالمؤمنين عليه السلام، كنّى الله في ذلك عن أسمائهم فسمّاهم بالأرض ﴿ وَٱتَّبِعُوا مِنْ فَضْلَ ٱللَّهِ ﴾[3].

قال جابر: ﴿ وَٱبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾.

قال: تحريف، هكذا نزلت: «﴿ وَٱتَّبِعُوا مِنْ فَضْلَ ٱللَّهِ ﴾[4] على الأوصياء ﴿ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

ثمّ خاطب الله عزّ وجلّ في ذلك الموقف محمّداً ﷺ فقال: يا محمّد! ﴿ إِذَا رَأَوْا ﴾ الشكّاك

---

١. فصّلت: ١١.

٢. كذا، وفي المصحف الشريف: فاسعوا.

٣. في المصدر والبحار: وابتغوا فضل الله.

٤. نفسه.

والجاحدون ﴿ **تِجَارَةً** ﴾ يعني الأوّل ﴿ **أَوْ لَهْواً** ﴾ يعني الثاني ﴿ **ٱنْصَرَفُوا إِلَيْهَا** ﴾.

قال: قلت: ﴿ **ٱنفَضُّوا إِلَيْهَا** ﴾.

قال: تحريف، هكذا نزلت. ﴿ **وَتَرَكُوكَ** ﴾ مع عليٍّ عليه السلام ﴿ **قَائِماً قُلْ** ﴾: يا محمّد! ﴿ **مَا عِندَ ٱللَّهِ** ﴾ من ولاية عليٍّ عليه السلام والأوصياء ﴿ **خَيْرٌ مِنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ** ﴾ يعني: بيعة الأوّل والثاني ﴿ **لِلَّذِينَ ٱتَّقَوا** ﴾.

قال: قلت: ليس فيها ﴿ **لِلَّذِينَ ٱتَّقَوا** ﴾.

قال: فقال: بلى، هكذا نزلت الآية، وأنتم هم الّذين اتّقوا ﴿ **وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ** ﴾»[١] انتهى.

أقول: مراد في أوّل الرواية من التحريف في القدر الّذي نقله من الآية غير معلوم ولا بيّنه عليه السلام، ولعلّه لعظمه بحيث يعظم على مثل جابر الجعفيّ الّذي يظهر من أخباره أنّه من عظمة أصحاب السرّ ويظهر كتمانه عنه أيضاً من قوله عليه السلام: «أفلا أُخبرك بتأويله الأعظم»[٢] بعد التماسه عنه عن تحريف هذا القدر من الآية، فأضرب عليه السلام عن بيان التحريف ببيان التأويل الّذي سمّاه الأعظم، لأنّه بيان للولاية العظمى والكبرى، كما صرّح بها، ولولا وجوب متابعة الإمام في كتمان ما كتمه لعلّه بيّنه من فهم التحريف من العلماء، ولكنّه لا يجوز فنتركه كما تركه الإمام ـ أرواحنا فداه ـ.

وقوله: «وفي ذلك اليوم قال الله للسماوات والأرض»[٣] ... إلى آخره، لعلّ معناه: أنّ الله تعالى قال لهما: ائتيا لقبول ولاية محمّدٍ وعليٍّ عليهما السلام ولو لم تأتيا طوعاً ائتيا كرهاً وإلّا أفنيتكما.

قالتا: أتينا طائعين، يعني: لو لم تقبلا طاعتهما لعذّبتكما حتّى تقبلا طاعتهما، قالتا: أتينا طائعين، هكذا أفهم ولا أفهم سوى ذلك، فمن ادّعى غير ذلك يبيّنه.

وأمّا قوله: «فامضوا إلى ذكر الله وذكر الله أميرالمؤمنين عليه السلام»[٤] فيه إشارة إلى ما كتمه أوّلاً

---

١. الاختصاص، ص ١٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٨٦، ص ٢٧٧.

٢ و ٣. نفسه.

٤. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٣٩٩.

بنحو من الكناية.

وفي التعبير عن الأوّل بالتجارة وعن الثاني باللّهو إشارات وكنايات يعرفها من عرفها.

وأمّا الكناية عن الإمام بالأرض فيه إشارة إلى أنّه كما يتوقّف حياتكم بالأرض ولا يمكن بدونه آناً مّا، فكذلك الإمام وولايته، فإنّها لهي الحيوان لو كنتم تعلمون، كما فسّر أميرالمؤمنين عليه السلام بمثل ذلك في خبر طويل نقله الطبرسيّ في «الاحتجاج» في احتجاجه على زنديق جاء إليه مستدلّاً بآي القرآن ومتشابهاته الّتي تحتاج إلى التأويل ومتناقضاته الّتي تفتقر إلى التفسير، وأورد آيات كثيرة وأجاب عنها أميرالمؤمنين عليه السلام مفصّلاً، وقد أوردنا شطراً من هذا الخبر في الباب السادس من هذا الكتاب:

في مطاوي ذلك الخبر الشريف قال عليه السلام: ﴿ **فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾[1] فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الّذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحلّ ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، وأمّا ما ينفع منه فهو التنزيل الحقيقيّ الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع هي محلّ العلم وقراره... إلى آخر ما قال.

ومراده من كلام الملحدين الّذين أثبتوه في القرآن ما حملوه عليه ألفاظ القرآن وفسّروه وحرّفوه وبدّلوه، كما أنّ المراد من التنزيل الحقيقيّ [الّذي] يثبت وينفع في قلوب المؤمنين هو ما علموه من تفسيره وتأويله ووضع كلّ آية موضعه وبيان ما أسقطوه من بين الألفاظ فتغيّر المعنى بسببه.

وليس المراد من الأوّل زيادة الملحدين في القرآن بحيث يكون بعض هذه الألفاظ من زياداتهم، فإنّ الإجماع والاتفاق متحقّقٌ في أنّ هذا المجموع كلّه بألفاظه قرآن وإنّما أسقط المنافقين منه آي كثيرة وقدّموا وأخّروا على ما لا يناقض مطلوبهم ظاهره من إطفاء نور الولاية، والله متمّ نوره ولو كره المشركون، وهذا المعنى الّذي ظاهر من ذلك الخبر الشريف ممّا تقدّم عمّا نقلنا وما تأخّر عنه؛ فراجع!

---

١. الرعد: ١٧.

والحاصل: أنّ المراد بالأرض هو الإمام الّذي هو معدن العلم وقراره، ومن العلم المأخوذ منهم تحصيل الحياة الأبديّ؛ فافهم! هكذا ينبغي فهم الروايات.

وأمّا التحريف في «ابتغوا» فإنّ المشهور بتقديم الباء المفردة والغين المعجمة بمعنى اُطلبوا، فقال الإمام التنزيل «اتّبعوا» بتقديم التاء والعين المهملة من المتابعة، والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ثانيها: ما رواه في «الكافي» عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ ابن الحكم، عن داود العجليّ، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذباً وماء مالحاً اُجاجاً، فامتزج الماء بالماء فأخذ طيناً من أديم الأرض، فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون: إلى الجنّة ولا اُبالي، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا اُبالي.

ثمّ قال: ألست بربّكم؟

قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين.

ثمّ أخذ الميثاق على النبيّين، فقال: ألست بربّكم وأنّ هذا محمّد رسولي وأنّ هذا عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام؟ قالوا: بلى.

فثبت لهم النبوّة، وأخذ الميثاق على اُولي العزم أنّني ربّكم ومحمّد رسولي وعليّ أميرالمؤمنين واُعْبَدُ به وأوصيائه من بعده ولاة أمري وخُزّان علمي عليهم السلام، وأنّ المهديّ أنتصر به لديني واُظهّر به أرضي، وأنتقم به من أعدائي، واُعبد به طوعاً وكرهاً؟

قالوا: أقررنا يا ربّ! وشهدنا.

ولم يجحد آدم ولم يقرّ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهديّ، ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهو قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً** ﴾[1]»[2]، الخبر.

---

١. طه: ١١٥.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٨؛ بصائر الدرجات، ص ٧٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٧٩.

وفي «**الكافي**» أيضاً عن عليّ بن إبراهيم إلى جابر عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «قلت له: لم سمّي أميرالمؤمنين عليه السلام أميرالمؤمنين؟

قال: سمّاه الله وهكذا أنزله في كتابه: «**وإذ أخذ ربُّك من بني آدمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذرّيّتهم وأشهَدَهُمْ على أنفُسِهِمْ ألست بربّكم وأنّ محمّداً رسولي وأنّ عليّاً أميرالمؤمنين**»»[١].

أقول: فتأمّل في الرواية الأُولى حيث ذكر عليه السلام أخذ الميثاق على الأنبياء بنبوّة محمّدٍ عليهم وولاية عليّ لهم، فلمّا أقرّوا ثبتت لهم النبوّة، يعني: لو لم يقرّوا بولاية عليٍّ وإمارته عليهم لم يثبت لهم النبوّة، كما أنّه ثبتت العزيمة والشرافة للأربع بالإقرار والعزم على انتصار المهديّ وآدم ـ على نبيّنا [وآله] وعليه السلام ـ لم يقرّ بذلك، فلم يكن من أُولي العزم. والمراد بأُولي العزم هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى دون محمّدٍ وهو سيّدهم وأفضلهم بقرينة أخذ الميثاق عنهم بأنّ محمّداً رسول الله.

وفي نسختي من «الكافي» والنسخة الّتي نقلها السيّد الجليل البحرانيّ في تفسير «البرهان» اختلاف في موضعين:

أحدهما: في قوله: «أُعبد به» ففي نسختي هذه الجملة بعد قوله في المهدي: «وأنتم به من أعدائي»، وفي نسخة «البرهان» في أخذ الميثاق على النبيّين برسالة محمّدٍ وإمارة أميرالمؤمنين بعد لفظ: «وعليّ أميرالمؤمنين» قال: «وأُعبد به» ثمّ قوله: «وأوصيائه من بعده».

والنسخة الأُولى أظهر، وإن كان المعنى صحيحاً في الموضعين، لأنّ عبادة الربّ في أوّل الإسلام كان بعليٍّ أميرالمؤمنين عليه السلام وفي آخره يكون بظهور المهديّ ـ أرواحنا فداه ـ على الوجه الأكمل.

ثانيهما: اختلاف في أخذ الميثاق على أُولي العزم، ففي نسختي: «إنّني ربّكم ومحمّد رسولي وعليّ أميرالمؤمنين»[٢]، وفي نسخة السيّد: «ومحمّد رسولي على النبيّين».

وأقول: وإن كان الأوّل أظهر وأوفق بسائر أحاديث الباب إلّا أنّ الثاني أيضاً صحيح

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤١٢.

٢. الكافي، ج ٢، ص ٨؛ بحارالأنوار، ج ٦٤، ص ١١٣.

بحسب المعنى، فإنّ معناه: أنّ محمّداً رسول الله على النبيّين يعني فضلاً عن سائر الناس.

ومعنى أخذ الميثاق على النبيّين برسالته أنّهم يقرّون برسالته عليهم وإلّا فأخذ الميثاق عليهم بأنّه يجيء محمّد وهو رسول الله على أُمّته فقط لا يناسب اهتمام أخذ الميثاق، كما يرشد إلى المعنى الأوّل قوله تعالى: ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾[1] وفي قوله: ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾[2] على الأخبار المفسّرة.

ومثله الكلام في أخذ الميثاق بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام وإمارته عليهم أي: على الأنبياء والولاية بمعنى الأولىٰ بالتصرّف، كما يرشد إليه إنّه ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[3] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟» ثمّ قوله: «من كنت مولاه».

وهذا معنى إمارته على المؤمنين الّذين منهم عامّة النبيّين، ويرشد إليه عامّة الأخبار الواردة في أخذ الميثاق على النبيّين الواردة في تفسير هذه الآية وآية: ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ وآية: ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾[4] كما يأتي إن شاء الله.

ثالثها: وهو أصرحها في المطلوب ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾[5] في سورة الأعراف، قال: حدّثني أبي عن النضر بن سويد، عن الحلبيّ، عن ابن سنان قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: أوّل من سبق إلى الميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تعالى، وكان بالمكان الّذي قال له جبرئيل ـ لمّا أسرى به إلى السماء ـ: تقدّم يا محمّد! لقد وطأت موطئاً لم يطأه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل.

---

١. النساء: ١٥٩.

٢. الزخرف: ٤٥.

٣. المائدة: ٥٥.

٤. الأحزاب: ٧.

٥. الأعراف: ١٧٢.

ولولا أنّ روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عزّ وجلّ كما قال الله كـ﴿ **قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ** ﴾[١] أي: بل أدنى، فلمّا خرج الأمر وقع من الله إلى أوليائه عليهم السلام»[٢].

فقال الصادق عليه السلام: «كان الميثاق المأخوذ عليهم لله بالربوبيّة ولرسوله بالنبوّة ولأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام بالإمامة، فقال: ألست بربّكم ومحمّد نبيّكم وعليّ إمامكم والأئمّة الهادون أئمّتكم؟

فقالوا: بلى.

فقال الله: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة ـ أي لئلّا تقولوا يوم القيامة ـ إنّا كنّا عن هذا غافلين؛ فأوّل ما أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء بالربوبيّة وهو قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ** ﴾[٣] فذكر جملة الأنبياء، ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ﴿ **وَمِنكَ** ﴾ يا محمّد! فقدّم رسول الله، لأنّه أفضلهم ﴿ **وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ** ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسول الله أفضلهم.

ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله على الأنبياء له بالإيمان به وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ** ﴾ يعني: رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ **لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ** ﴾[٤] يعني: أمير المؤمنين عليه السلام، تخبروا أُممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة»[٥]، انتهى.

أقول: بعد هذا الخبر الصريح فيما ذكرنا لا يبقى شكّ في أنّ رسول الله محمّد ابن عبدالله صلى الله عليه وآله نبيّ على الأنبياء، ويجب عليهم الاعتقاد بأنّه نبيّهم بين الله وبينهم، ويجب عليهم

---

١. النجم: ٩.
٢. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٥، ص ٢٣٦.
٣. الأحزاب: ٧.
٤. آل عمران: ٨١.
٥. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٥، ص ٢٣٦.

إطاعته، وإنّهم في حكم الرعيّة بالنسبة إليه، وكذا يجب عليهم الاعتقاد بأنّ عليّاً عليه السلام والأئمة الهادين أئمّتهم، ويجب عليهم إطاعتهم كطاعة رسول الله، وينكشف من هذا المطلب أُمور لا نظهرها إلّا ما قد ورد به الأخبار، فإذا ورد في خبرٍ بأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ظهر لموسى وهارون على فرعون ـ مثلاً ـ وقال كذا وفعل كذا لا تستبعده ولا تردّه.

وأمّا قصّة نصرة أميرالمؤمنين عليه السلام، ففيه إشكال:

أحدهما: إنّ مرجع الضمير في لفظ الآية هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الضمير المجرور وليس فيها ذكر من أميرالمؤمنين عليه السلام فكيف فسّر في الأخبار بنصرة أميرالمؤمنين عليه السلام؟

ثانيهما: إنّهم كانوا قبل أميرالمؤمنين عليه السلام فكيف يجبِ عليهم نصرته؟

والجواب عن الأوّل يحتمل على وجوه:

منها: إنّ اللفظ وجوب نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمراد نصرة أميرالمؤمنين عليه السلام ونصرته نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها: إنّ الخبر من التأويل، فلا يجب تطبيق لفظ التنزيل معه.

ومنها: إنّ في الآية تحريفاً بحذف إسم عليّ عليه السلام أو ما يدلّ عليه ولم يذكره الإمام كما لم يذكر من ذلك إلّا قليلاً.

والجواب عن الثاني أنّه يجب عليهم نصرته في الرجعة وقد ورد في الأخبار أنّهم يرجعون وينصرونه:

منها: ما رواه عليّ بن إبراهيم بعد هذا الخبر السابق بلا فصل، فقال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «﴿ **لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ** ﴾[١]».

قال: ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم فلهمّ جرّاً إلّا ويرجع إلى الدنيا فيقاتل وينصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأميرالمؤمنين عليه السلام»[٢]، الخبر.

---

١. آل عمران: ٨١.

٢. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٧؛ بحارالأنوار، ج ١١، ص ٢٥.

أقول: هذان الخبران صحيحان على الأصحّ، ونقلتهما من تفسيره ﵀ وجامع لشرائط الحجب والاعتبار بأقصى الغاية، وعلى طبقها أخبار بالغة حدّ الاستفاضة، ومفادّ الكلّ رجوع جميع الأنبياء في الرجعة والمقاتلة والنصرة لأميرالمؤمنين ﵇، ويكون هذا واجباً عليهم، وهلّا يثبت بذلك أفضليّته منهم ـ عليه وعليهم السلام ـ بل اتّحاد السياق في الجملتين الفعليّين المؤكّدين بتأكيدين صدراً وذيلاً يدلّ على أنّ وجوب الايمان بعليٍّ ﵇ أيضاً محتمل، فإنّ أصل المعنى مصرَّحٌ به في الرواية، وورد فيها تفسير النصرة لأميرالمؤمنين ﵇.

وقد عرفت أنّ المقاتلة والنصرة لها، فالإيمان أيضاً بهما على لفظ الآية الشريفة، بناء على هذا التفسير والإيمان بإمامته هو الولاية المطلوبة.

وهذا الخبر السابق خبر شريف مشتمل على مطالب جليلة نفيسة، وعلى تفسير آيات عديدة ينبغي أن لا يذهل عنها، وليس فيها ما يحتاج إلى التفسير سوى قوله: «فلمّا خرج الأمر وقع من الله إلى أوليائه ﵈»[1].

فظنّي أنّ فيه تصحيفاً من النسّاخ، والعبارة: «وقع من الله إلى أدنى به» أي: أقرب به، ولفظ «أدنى به» قريباً إلى أوليائه، ولعلّ الناسخ كتب أدنى بالألف مثل التلفّظ، لا بالياء، فاشتبه بأوليائه.

ومفادّه أنّه لمّا كان رسول الله ﷺ أقرب إلى الله من كلّ أحد وقع الأمر الصادر منه تعالى بقوله له: «ألست بربّكم؟» إلى الأقرب به وهو رسول الله، ولهذا كان أوّل من أجاب بـ«بلى».

ويحتمل أن يكون هذه الجملة تفسيراً من عليّ بن إبراهيم، لا لفظ الرواية، ولهذا كرّر بعده «فقال الصادق ﵇»، والله العالم.

هذه أخبار دالّة على النبوّة العامّة والولاية الكلّيّة لمحمّدٍ والأئمّة الهادين ﵈. وأمّا الأخبار الدالّة على أفضليّتهم ممّن سواهم حتّى أُولي العزم من الرسل:

أمّا رسول الله ﷺ، فيغنينا عن ذكر أخبار أفضليّته منهم اتّفاق الأمّة والإجماع الطائفة

---

١. تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٥، ص ٢٣٦.

الحقّة.

وأمّا عليّ عليه السلام، فقد وردت أخبار خاصّة صريحة في أفضليّته منهم غير الأخبار الدالّة على أنّ كلّ ما علّمه رسول الله علّمه عليّاً، ولا ريب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم من الأنبياء كلّهم، فعليّ عليه السلام أعلم منهم، والأعلم أفضل، وغير ذلك من الأخبار العامّة، فقد وردت أخبار خاصّة بحدّ الاستفاضة في أفضليّة عليٍّ عليه السلام وسائر الأئمّة من أُولي العزم وأعلميّته وأعلميّتهم منهم:

منها: ما في «الكافي» عن عبدالأعلى بن أعين قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدأ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنّة وخبر النار وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفّي، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «فيه تبيان كلّ شيء»»[1][2].

ومنها: ما في «الكافي» أيضاً عن عدّة من أصحابنا إلى الحارث بن المغيرة؛ وعدّة من أصحابنا منهم عبدالأعلى وأبو عبيدة وعبدالله بن بشير الخثعميّ سمعوا أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وأعلم ما يكون.

ثمّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «فيه تبيان كلّ شيء»»[3].

أقول: ويظهر ما في الخبر الأوّل من اتّقاء الإمام من هذا الخبر الّذي أخبرنا محمّد بن يعقوب الكلينيّ عن نحو عشرة من أصحاب الصادق عليه السلام.

ومنها: ما رواه محمّد بن الحسن الصفّار بإسناده عن عبدالله بن الوليد السمّان، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «يا أبا عبدالله! ما تقول الشيعة في عليٍّ وموسى وعيسى؟

---

١. الكافي، ج ١، ص ٦١؛ بحارالأنوار، ج ٨٩، ص ٩٨.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٦١؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١١٠.

قلت: جعلت فداك! وعن أيّ حالات تسألني؟

قال: أسألك عن العلم.

قلت: يقولون: إنّ موسى وعيسى أفضل من أميرالمؤمنين عليه السلام.

قال: هو والله! أعلم منهما، أليس يقولون: إنّ لعليٍّ عليه السلام ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العلم؟

قلت: نعم.

قال: فخاصمهم فيه، إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام: ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾[1] فأعلمنا أنّه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال الله تبارك وتعالى لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ **وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً** ﴾[2]، ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾[3]»[4].

وفيه أيضاً عنه قال: «قال لي أبو عبدالله عليه السلام: أيّ شيءٍ تقول الشيعة في عيسى وموسى وأميرالمؤمنين عليهم السلام؟

قلت: يقولون: إنّ موسى وعيسى أفضل من أميرالمؤمنين عليه السلام.

فقال: أيزعمون أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قلت: نعم، ولكن لا يقدّمون على أُولي العزم من الرسل أحداً.

قال أبو عبدالله عليه السلام: فخاصمهم بكتاب الله.

قلت: وفي أيّ موضعٍ منه أُخاصمهم؟

قال: قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام: ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ فعلمنا أنّه لم يكتب لموسى عليه السلام كلّ شيء، وقال الله تبارك وتعالى [لعيسى عليه السلام: ﴿ **وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ** ﴾[5].

---

١. الأعراف: ١٤٥.

٢. النساء: ٤١.

٣. النحل: ٨٩.

٤. بصائر الدرجات، ص ٢٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٩٤.

٥. الزخرف: ٦٣.

وقال الله تعالى لمحمّد صلى الله عليه وآله][1]: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ »[2].

أقول: ويُعلم من هذين الخبرين أنّ مناط الأفضليّة بالعلم، وأنّ عليّاً عليه السلام علم ما علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أفضل من موسى وعيسى عليهما السلام، وأنّ المراد من قوله: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ أي. إنّك شاهد على الأنبياء، أو عليهم وعلى الأئمّة وهو يُعطي الأفضليّة وهو أفضليّة الرسول وهو يستلزم أفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام، فإنّهما قد ذكر الجملتين في مقام الدلالة على أفضليّة عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام وإلّا اقتصرا على قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ ودلالة جملة الشهادة من جهة استلزام أفضليّة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام، كما أنّ أعلميّته يلازم أعلميّته، وفي الخبرين تعليم لمخاصمة من أنكر أفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام؛ فنحن نخاصم بما فيها صاحب الرسالة.

ومنها: ما رواه في «البصائر» بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله خلق أُولي العزم من الرسل وفضّلهم بالعلم وأورثنا علمهم وفضّلنا عليهم في علمهم، وعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يعلموا، وعلّمنا علم الرسول وعلمهم»[3].

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام: «لقد سأل موسى العالم مسألة لم يكن عنده جواب، ولو كنت بينهما لأخبرت كلّ واحد منهما بجواب مسألته ولسألتهما عن مسألة لم يكن عندهما جوابها»[4].

ومنها ما رواه في «الكافي» بإسناده إلى سيف التمّار قال: «كنّا مع أبي عبدالله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟

فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين.

---

١. مابين المعقوفين أثبتناه من المصدر.

٢. بصائر الدرجات، ص ٢٢٧.

٣. بصائر الدرجات، ص ٢٢٧؛ بحارالأنوار، ج ١٧، ص ١٤٥.

٤. بصائر الدرجات، ص ٢٢٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٩٥.

فقال: وربّ الكعبة، وربّ البنية ـ ثلاث مرّات ـ لو كنت بين موسى والخضر عليهما السلام، لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأنّ موسى والخضر أُعطيا علم ما كان ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

وفي «الكافي» أيضاً بإسناده عن حمران بن أعين، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برمّانتين، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إحداهما وكسر الأُخرى بنصفين، فأكل نصفاً وأطعم عليّاً عليه السلام نصفاً.

ثمّ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أخي! هل تدري ما هاتان الرمّانتان؟

قال: لا.

قال: أمّا الأُولى، فالنبوّة ليس لك فيها نصيب، وأمّا الأُخرى، فالعلم فأنت شريكي فيه.

فقلت: أصلحك الله! كيف كان شريكه فيه؟

قال: لم يعلّم الله محمّداً عليه السلام علماً إلّا وأمره أن يعلّمه عليّاً عليه السلام»[٢]، انتهى.

أقول: والأخبار في معنى قصّة موسى والخضر عليهما السلام وقصّة الرمّانتين وقصّة آية التوراة والقرآن ـ كما ذكرنا بعضها ـ مستفيضة وفي جميعها غير ما ذكرنا، ويستفاد من جميعها أفضليّة الأئمّة وأعلميّتهم من أُولي العزم من الرسل سوى نبيّنا ـ عليه وعليهم صلوات الله ـ فضلاً عن غيرهم من الأنبياء الّذين هم عامّة أفضل من الملائكة، والمصرّح به في هذه الأخبار المذكورة أنّ الأئمّة أعلم من أُولي العزم سوى نبيّنا.

ومن المعلوم من هذه الأخبار أنّ مناط الأفضليّة بالأعلميّة، والأعلميّة يستتبع الأعبديّة أي: عبوديّة الله تبارك وتعالى، أعني أنّ مناط الأفضليّة بكمال قوّتي العلم والمعرفة والعمل والعبوديّة، ولا ريب أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الهادية من أوصيائه أكمل وأقدم وأتمّ في هاتين القوّتين، فهم أفضل من غيرهم، ولذا ورد عنهم: «لولانا ما عُرف الله وما عُبد الله».

والأخبار والآيات الدالّة على أنّ مناط الأفضليّة والأقدميّة بالأعلميّة كثيرة، مثل قوله

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٦٠؛ بحارالأنوار، ج ١٣، ص ٣٠٠.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٦٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢١٠.

تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ ﴾[١]، ومثل قصّة آدم والملائكة وقصّة داود وجالوت وغيرهما من الآيات.

وفي هذه الأخبار المذكورة صراحة قويّة على أنّ مناط الأفضليّة هو الأعلميّة، ولهذا قال عليه السلام: «وفضّل الأنبياء بالعلم وأورثنا علمهم وفضّلنا عليهم في علمهم وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يعلموا وعلّمنا علم رسول الله وعلمهم»[٢].

فعلم منها أنّ كلّ ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد ورثهم، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم ما لم يعلموا، وأنّهم أفضل من أُولي العزم، لأنّهم أعلم منهم، ولهذه الأفضليّة والأعلميّة والأعبديّة بدء الله بهم في الخلق وختم بهم، فإنّ نشأ المعرفة والعبادة منهم، وكمال المعرفة والعبادة يختم بهم:

أمّا الأوّل، فلما عرفت من تعلّم الملائكة منهم العبادة وجميع الأنبياء علموا العبادة والمعرفة بتوسّط الملائكة، هذا في بدء خلقة أنوارهم وأرواحهم، وقد عرفت أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أوّل من أجاب بـ«بلى» في الذرّ الأوّل والثاني.

وأمّا الثاني، فلأنّ دين محمّد ناسخ الأديان وخاتم الأديان، فلابدّ أن يكون أكمل الأديان علماً وعملاً وسيكمل بظهور مهديّهم وزمان رجعتهم بحيث لا يبقى دين غيره، ولا يبقى أرض إلّا وفيه الإسلام والإيمان، ويتّصل ذلك بنفس الصور وهو يتّصل بيوم القيامة الكبرى.

ولهذا الكمال في المعرفة والعبوديّة جعلهم علّة غائيّه لخلق العالم أي: خلق من سواهم وما سواهم لهم وخلقهم لنفسه، فإنّ الآيات الكثيرة دلّت على أنّ خلق السماوات والأرض والنجوم والشمس والقمر والجماد والنبات والحيوان كلّها للإنسان، كقوله: وجعلنا السماء سقفاً مرفوعاً والنجوم لتهتدوا والشمس ضياء والقمر سراجاً والجبال أكناناً، وخلق لكم ما في الأرض جميعاً، وسخّرنا لكم الأنعام لتركبوها ولكم فيها منافع والأشجار والأثمار ليأكلوها ... إلى غير ذلك من مضامين الآيات، فخلق الجماد ليترقّى ويصير نباتاً، ويترقّى

---

١. الزمر: ٩.

٢. بصائر الدرجات، ص ٢٢٧؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ٢٠٥.

النبات ويصير حيواناً، ويترقّى الحيوان ويصير إنساناً، ويصير الإنسان عارفاً عابداً لله بالعبوديّة والمعرفة، كما ترى أنّ التراب يصير نباتاً وشجراً بتربية الأفلاك والشمس والقمر وإعانة الماء والهواء، فيحصل منها المأكول، فيأكله الحيوان ويأكلها أو الحيوان فيصير نطفة هي من الجماد، ثمّ يصير علقة ومضغة هي من النبات، ثمّ جنيناً هو من قبيل الحيوان، ثمّ يصير إنساناً، فأنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

والغرض من خلق الإنسان هو المعرفة والعبوديّة، كما قال الله تعالى: ﴿ **مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[1] واتّفق المفسّرون في تفسيره بـ«تعرفون».

وذلك من جهة أنّ العبادة لا يمكن بدون المعرفة، والمعرفة يستتبع العبوديّة فهما متلازمان غير منفكّان، وكما قال الله في الحديث القدسيّ المعروف: «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق لكي أُعرف»[2].

فظهر أنّ خلق الخلق للمعرفة والعبوديّة ، وقد عرفت أنّ المعرفة والعبوديّة بهم عُرِفت ومنهم عُلِمت، ولولاهم لم يُعرف الله، ولولاهم لم يُعبد الله.

فظهرت الحكمة في قوله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[3]، «ولولاكم لما خلقت الخلق».

فقد عرفت أنّ خلق العالم للإنسان، وعلم أنّ خلق النوع للكامل منه، والكامل للأكمل، ولا أكمل من محمّدٍ والأئمّة الهداة المهديّين عليهم السلام.

وبالجملة، قد قامت الآيات والأخبار مطبقة متّفقة على ما ذكرنا من أنّ الغرض من خلق العالم هو محمّد وأهل بيته الأنوار الأربعة عشر، وأنّهم أوّل ما خلق الله، وأنّهم أفضل ممّا سواهم، وأعلمهم وأشرفهم، وأنّ ولايتهم وطاعتهم واجبة على ما سواهم ومن سواهم، حتّى أُولي العزم من الرسل وسادة الملائكة المقرّبين، وأنّهم كلّهم نور واحد، وكلّهم متّحد ومشتقّ

---

١. الذاريات: ٥٦.

٢. بحارالأنوار، ج ٨٤، ص ١٩٨.

٣. تأويل الآيات، ص ٤٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٥.

من نور محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وعليٍّ عليه السلام، ونورهم وطينتهم ومنزلتهم وعلمهم ووجوب طاعتهم ومودّتهم وولايتهم على ما سواهم ومن سواهم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض.

فهذه أُمور خمسة معلومة من الأخبار المتواترة في كلّ واحد منها فكيف بالجميع، ووافقنا في ذلك كلّه مخالفونا، وإن شئت الاطّلاع به فعليك بمطالعة كتاب «غاية المرام» وكتاب «ينابيع المودّة» للفاضل المتبحّر المتأخّر، تجدهما ينقلون الأخبار الكثيرة من طرقهم في هذه الأُمور المذكورة.

ولو أردنا الإشارة إليها لطال الكلام ويحتاج استيفائها إلى كتاب ضخيم، ويكفينا ما أشرنا إليه في هذا الباب وهو يسير من كثير، ويقتر من قطمير، وعشر الأعشار من العشير، وقلّما كتاب خبر في الدين يخلوا من هذه المطالب والمعاني، بل قلّما خطبة طويلة منهم يخلوا منها، وقد عرفت الخطبة الشريفة من عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام في يوم الجمعة والغدير برواية عليّ بن موسى الرضا عليه السلام الّتي نقلناها من «مصباح» شيخ الطائفة وقلنا: إنّها من مخصوصات هذه الرسالة.

وهذا هو كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى معاوية المسطور في «نهج البلاغة» في كتاب من معاوية إليه وتفضيله الشيخين وتوبيخه بمخالفتها بعض ألفاظه المباركة:

«ما أنت والفاضل والمفضول؟ والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء وابن الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف صفاتهم؟ هيهات».

...إلى أن قال: «ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا يمجّها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرمية، فإنّا صنائع ربّنا والخلق بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قدم عزّنا وعادى طولنا على قومك أن خلطناكم»(١)... إلى آخر كلامه.

وهذه فاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة نساء العالمين في خطبتها المشهورة بمحضر المهاجرين والأنصار:

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ١٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٣، ص ٥٧.

«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن انبعثه إلى خلقه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبسرّ الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة»... إلى آخرها كقول ابنها وابن عمّها وبنيها، فإنّهم نورٌ واحد وكلامهم واحد، بأبي أنتم وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي»(١).

وهذا هو محمّد الباقر عليه السلام على ما روى عنه الصدوق مسنداً في أماليه إليه يقول:

«أوحى الله عزّ وجلّ إلى محمّدٍ صلى الله عليه وآله: يا محمّد! إنّي خلقتك ولم تك شيئاً، ونفخت فيك من روحي كرامة منّي أكرمتك بها حين أوجبت لك الطاعة على خلقي جميعاً؛ فمن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني، وأوجبت ذلك في عليّ وفي نسله، اختصصت منهم لنفسي»(٢).

وفيه أيضاً عن الأصبغ بن نباتة، عن عبدالله بن عبّاس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عرج بي إلى السماء السابعة ومنها إلى سدرة المنتهى ومنها إلى حجب النور، ناداني ربّي جلّ جلاله: يا محمّد! أنت عبدي وأنا ربّك، فلي فاخضع وإيّاي فاعبد، وعليَّ فتوكّل وبي فثِق، فإنّي قد رضيت بك عبداً وحبيباً ورسولاً ونبيّاً وبأخيك عليّ خليفة وباباً؛ فهو حجّتي على عبادي، وإمام لخلقي، به يعرف أوليائي من أعدائي، وبه يميّز حزب الشيطان من حزبي، وبه يقام ديني وتحفظ حدودي وتنفّذ أحكامي، وبك وبه وبالأئمّة من ولده أرحم عبادي وإمائي، وبالقائم منكم أعمر أرضي»(٣)... إلى آخر الخبر في تعريف المهدي صلوات الله عليه.

...إلى غير ذلك من الأخبار من سائر الأئمّة الأطهار ـ صلوات الله عليهم ـ بالأخبار المتواترة في هذه الأُمور الخمسة وغيرها في غيرها تخاصم من أنكرها وأنكر غيرها من فضائلهم، كما علّمونا في تفضيلهم على أُولي العزم من الرسول، وبتعليمهم أُخاصم صاحب الرسالة في تفضيل غير أُولي العزم مثل آدم على أميرالمؤمنين عليه السلام مُسنداً إلى رواية واحدة

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٩٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٩، ص ٢٢٠.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٤٠؛ الأمالي للصدوق، ص ٦٠٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٢٧.

٣. الأمالي للصدوق، ص ٦٣١؛ بحارالأنوار، ج ١٨، ص ٣٤١.

متشابهة، بل الظاهرة في خلاف مدّعاه ووفاق مدّعانا، كما عرفت في إنكار كونه وسائر الأئمّة شركاء للنبيّ في أنّهم الغرض من خلق من سواهم وما سواهم، وخلق ما سواهم بهم، وخلقهم لنفسه تبارك [وتعالى]، وفي إنكاره لعلمهم ومقامهم بشبهات لا تليق ذكرها مثل ما سمعه من عامّة الناس كالمدّاحين وغيرهم من قوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[1].

فزعم اختصاصه بالرسول وبالأفلاك وأثبت من ذلك المبنى أفضليّة هذه المصاحف الّتي بأيدينا من أميرالمؤمنين عليه السلام فضلاً عن غيره وهو من اعجب العجائب ممّن يدّعي أنّه من علماء شيعة آل محمّدٍ عليهم السلام.

ولنمسك أعنّة الأقلام فقد طلع الشمس الباهر، وارتفع الظلام بتوفيق الملك العلّام، وتعليم الإمام، والحمد لله على ذلك كلّه.

وبعد الاهتداء بما عدانا علمت أنّ شبهاته كلّها ترّهات لا ينبغي الإصغاء إليها ولا التعرّض لبيان فسادها مثل شبهته في «لولاك لما خلقت الأفلاك»[2] لاختصاصه بالنبيّ وبالأفلاك، ومثل شبهته في تفضيل أميرالمؤمنين عليه السلام على آدم، وشبهته في علم أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمّة بما في ضمائر الناس والغيوب، وكونهم أوّل ما خلق الله، وأنّهم أفضل من غيرهم بعد النبيّ، وزعمه أنّ أخبارها واحدة، بل موضوعة وغير مسطورة في أصل أو كتاب تركن بنفسه.

وقد عرفت تواتر الأخبار فيها وتأييدها بالآيات والإجماع، وتعرف في غيرها ممّا أنكرها في الأبواب الآتية إن شاء الله تعالى.

هذا تمام الكلام في الباب الأوّل مع ما يتبعه، كما عرفت.

---

١. تأويل الآيات، ص ٤٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٤٠٥.

٢. نفسه.

الباب الثاني

من الأبواب الإثنى عشر

في أنّهم عين الله ولسان الله وجنب الله وأُذن الله ويد الله ووجه الله

فقد أثبتنا ذلك بالأخبار المستفيضة والخطب والزيارات المعتبرة ما يغنيك، لكن نزيدك في هذا الباب بأخبار معتبرة لتزيدك بصيرة:

أحدها: ما في «البحار» عن «المناقب» لابن شهرآشوب عن أبي الجارود، عن الباقر عليه السلام «في قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾[1].

قال: نحن جنب الله»[2].

وعن الصادق عليه السلام مثله.

وفي خبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أباذر! يؤتى بجاحد عليّ يوم القيامة أعمى أبكم يتكبكب في ظلمات يوم القيامة وينادي: ﴿ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾ »[3].

الصادق والباقر والسجّاد عليهم السلام في هذه الآية، قال: «جنب الله عليّ عليه السلام وهو حجّة الله على الخلق يوم القيامة»[4].

الرضا عليه السلام: «﴿ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾ قال: في ولاية عليٍّ عليه السلام»[5].

---

١. الزمر: ٥٦.

٢. المناقب، ج ٤، ص ١٧٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩١.

٣. المناقب، ج ١٣، ص ٢٧٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩١.

٤ و ٥. المناقب، ج ٣، ص ٢٧٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩١.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا صراط الله، أنا جنب الله»[١].

وقوله تعالى: «﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٢] قال الصادق عليه السلام: نحن وجه الله»[٣].

وروى أبو حمزة عن الباقر عليه السلام، وضريس الكناسيّ عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٤] قالا: نحن وجه الله الّذي يُؤتىٰ الله منه»[٥].

ثانيها: ما في «الكنز» عن محمّد بن العبّاس بن مروان الثقة في تفسيره مُسنداً عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في قوله تعالى: «﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ ﴾.

قال: خلقنا الله جزءً من جنب الله، وذلك قوله: ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: في ولاية عليٍّ عليه السلام»[٦].

وبهذا الإسناد عن عبدالله بن حمّاد، عن سدير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ـ وقد سأله رجل عن قول الله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ ﴾ ـ فقال أبو عبدالله عليه السلام: نحن والله! خلقنا من نور جنب الله، وذلك قول الكافر إذا استقرّت به الدار: ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: ولاية محمّد وآل محمّد، صلّى الله عليهم أجمعين»[٧].

ثالثها: ما فيه عن محمّد بن العبّاس الثقة أيضاً مُسنداً عن حمزة بن بزيع، عن عليّ بن

---

١. نفسه.
٢. الرحمن: ٢٧.
٣. المناقب، ج ٣، ص ٢٧٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٢.
٤. القصص: ٨٨.
٥. بصائر الدرجات، ص ٦٦؛ بحارالأنوار، ج ٤، ص ٥.
٦. تأويل الآيات، ص ٥٠٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٢.
٧. تأويل الآيات، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٢.

سُويد السّائيّ، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: « ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ ﴾.

قال: جنب الله، أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ وكلّ من كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم، والله أعلم بما هو كائنٌ بعده »[١].

رابعها: ما فيه أيضاً عن محمّد بن العبّاس مُسنداً عن الحسن بن محبوب، عن الأحول، عن سلام بن المستنير قال: « سألت أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٢] قال: نحن والله وجهه الّذي قال، ولن نهلك إلى يوم القيامة بما أمر الله به من طاعتنا وموالاتنا، فذلك والله وجه الّذي هو قال: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾، وليس منّا ميّت يموت إلّا وخلفه عاقبه منه إلى يوم القيامة »[٣].

خامسها: ما في « الكنز » أيضاً مُسنداً إلى صالح بن سهل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « سمعته يقول: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ نحن والله عزّ وجلّ »[٤].

سادسها: ما في تفسير عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي حمزة، عن الباقر عليه السلام في قوله: « ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾.

قال: فيفنى كلّ شيء ويبقى الوجه الله أعظم من أن يوصف، لا ولكن معناه كلّ شيء إلّا دينه، ونحن الوجه الّذي يُؤتى الله منه، لم نزل في عباده ما دام الله له فيهم رؤية، فإذا لم يكن لهم فيهم رؤية رفعنا إليه ففعل بنا ما أحبّ.

قلت: جعلت فداك! وما الرؤية؟

قال: الحاجة »[٥].

---

١. تأويل الآيات، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٢.

٢. القصص: ٨٨.

٣. تأويل الآيات، ص ٤١٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٠٠.

٤. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٣.

٥. بصائر الدرجات، ص ٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٣.

قال المجلسيّ ﷺ: «الرؤية إمّا بالتشديد بمعنى التفكّر، فإنّ من له حاجة إلى أحد ينظر ويتفكّر في إصلاح أُموره. أو بالتخفيف مهموزاً أي نظر رحمة. والأظهر أنّه كان بالباء الموحّدة. قال الفيروزآباديّ: الرؤبة بضمّ: الحاجة. وعلى [أيّ] التقادير هي كناية عن إرادة بقائهم وخيرهم وصلاحهم»[١].

سابعها: ما في ذلك التفسير في قوله تعالى: ﴿ **وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم** ﴾[٢] من القرآن وولاية أميرالمؤمنين عليه السلام [والأئمة عليهم السلام] والدليل على ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّـهِ** ﴾[٣] قال: في الإمام، لقول الصادق عليه السلام: نحن جنب الله»[٤].

ثامنها: ما في ذلك التفسير أيضاً في الآية هكذا: «﴿ **مِن رَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّـهِ** ﴾ فلمّا فسّر الصادق عليه السلام جنب الله بالأئمّة دلّ ذلك على أنّ ما أمر الله بمتابعته في الآية السابقة شامل للولاية. فتدبّر!»[٥] انتهى.

تاسعها: ما رواه في «بصائر الدرجات» مسنداً إلى هاشم بن أبي عمّار قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: «أنا عين الله، أنا جنب الله، أنا باب الله، أنا يد الله»[٦].

عاشرها: ما فيه أيضاً مسنداً إلى قاسم بن يزيد عن مالك الجهنيّ قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّا شجرة من جنب الله؛ فمن وصلنا وصله، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ **أَن تَقُولَ**

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤.

٢. الزمر: ٥٥.

٣. الزمر: ٥٦.

٤. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤.

٥. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤.

٦. بصائر الدرجات، ص ٦١؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤.

نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ **لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ** ﴾ »[١].

قال المجلسيّ رحمه الله: «وفي بعض النسخ: «شجنة». قال الجزريّ فيه: الرحم شجنة من الرحمان، أي: قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، شبّه بذلك مجازاً، وأصل الشجنة بالضمّ والكسر: شعبة من غصن من غصون الشجرة»[٢].

أقول: على التقديرين هو كناية عن قربهم من جناب الربّ عزّ وجلّ، وأنّ من تمسّك بهم فهو يصل إليه تعالى.[٣]

حادي عشرها: ما رواه عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن المسليّ، عن عبدالله بن سليمان قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قول الله عزّوجلّ: ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ** ﴾ قال عليه السلام: عليّ عليه السلام جنب الله»[٤].

ثاني عشرها: ما في «الاحتجاج» في حديث طويل يذكر فيه إتيان رجل من الزنادقة أميرالمؤمنين عليه السلام وسؤاله عمّا اشتبه عليه من آيات القرآن وظنّ التناقض فيها، فأجابه عليه السلام وأسلم.

فكان ممّا سأله قوله: « ﴿ **يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ** ﴾ و﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ** ﴾[٥] و﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾[٦] و﴿ **وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ** ﴾[٧] و﴿ **وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ** ﴾[٨] ما معنى الجنب والوجه واليمين والشمال، فإنّ الأمر في ذلك ملتبس جدّاً؟

---

١. بصائر الدرجات، ص ٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤.
٢. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤.
٣. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٤ و ١٩٥.
٤. بصائر الدرجات، ص ٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٢، ص ٣٠.
٥. البقرة: ١١٥.
٦. القصص: ٨٨.
٧. الواقعة: ٢٧.
٨. الواقعة: ٤١.

فأجابه عليه السلام بأنّ المنافقين قد غيّروا وحرّفوا كثيراً من القرآن، وأسقطوا أسماء جماعة ذكرهم الله بأسمائهم من الأوصياء ومن المنافقين، لكن أعمى الله أبصارهم فأثبتوا كثيراً من الآيات الدالّة على فضل منزلة أوليائه وفرض طاعتهم.

ثمّ ذكّره كثيراً من ذلك ... إلى أن قال: وقد زاد جلّ ذكره من التبيان وإثبات الحجّة بقوله في أصفيائه وأوليائه: ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ** ﴾ تعريفاً للخليقة قربهم، ألا ترى إنّك تقول: فلان إلى جنب فلان، إذا أردت أن تصف قربه منه، إنّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز الّتي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه، لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدّلون من إسقاط أسماءِ حججه منه، وتلبيسهم ذلك على الأُمّة ليعينوهم على باطلهم، فأثبت فيه الرموز وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدالّ على إبطال ما أحدثوا فيه، وجعل أهل الكتاب القائمين والعاملين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها، أي: يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت، وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الّذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره.

ثمّ بيّن ذلك بأوضح البيان ... إلى أن قال: وأمّا قوله: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ فالمراد كلّ شيء هالك إلّا دينه؛ لأنّ من المحال أن يهلك منه كلّ شيء ويبقى الوجه، هو أجلّ وأعظم وأكرم من ذلك، وإنّما يهلك من ليس منه، ألا ترى إنّه قال: ﴿ **كلّ شيء فان ويبقى وجه ربّك** ﴾، ففصّل بين خلقه ووجهه»[١].

ثالث عشرها: ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن عليّ بن الحسين، عن البرقيّ، عن البزنطيّ، عن هشام بن سالم، عن أبي ظريف، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «﴿ **تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ** ﴾»[٢].

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٢٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٥.

٢. الرحمن: ٧٨.

فقال: نحن جلال الله وكرامته الّتي أكرم الله تبارك وتعالى العباد بطاعتنا»[١].

رابع عشرها: ما في «الإكمال» عن ابن وليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن عمر بن أبان، عن ضريس الكناسيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: « ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ قال: نحن الوجه الّذي يُؤتى الله منه»[٢].

خامس عشرها: ما رواه الصدوق في كتاب «التوحيد» عن العطّار، عن أبيه، عن سهل، عن ابن يزيد، عن محمّد بن سنان، عن أبي سلام، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نحن المثاني الّتي أعطاها الله نبيّنا، ونحن وجه الله نتقلّب في الأرض بين أظهركم؛ عرفنا من عرفنا، ومن جهلنا فأمامه اليقين»[٣].

سادس عشرها: ما رواه فيه عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن سيف، عن أخيه الحسين، عن أبيه، عن سيف بن عميرة، عن خيثمة قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾.

قال: دينه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأميرالمؤمنين عليه السلام دين الله ووجهه وعينه في عباده، ولسانه الّذي ينطق به، ويده على خلقه، ونحن وجه الله الّذي يُؤتى منه، لن نزال في عباده ما دامت فيهم رويّة.

قلت: وما الرويّة؟

قال: الحاجة، فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه فصنع بنا ما أحبّ»[٤].

سابع عشرها: ما رواه فيه عن الدقّاق، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن ابن أبان، عن بكر، عن الحسين بن سعد، عن الهيثم بن عبدالله، عن مروان بن صباح قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ خلقنا فأحسن خَلْقَنا، وصوّرنا فأحسن صُوَرنا، وجعلنا عينه

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٦.
٢. كمال الدين، ج ١، ص ٢٣١؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٦.
٣. التوحيد، ص ١٥٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٦.
٤. التوحيد، ص ١٥١؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٧.

في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الّذي يُؤتى منه، وبابه الّذي يدلّ عليه، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا أنزل غيث السماء، ونبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولا نحن ما عُبِد الله»(١).

قال المجلسيّ رحمه الله: «بيان: قوله عليه السلام: «لولا نحن ما عُبِد الله» أي: نحن علّمنا الناس طريق العبادة وآدابها، أو لا يتأتّى العبادة الكاملة إلّا منّا، أو ولايتنا شرط قبول العبادة، والأوسط أظهر»(٢)، انتهى.

[و] **أقول**: كلّ هذا البيان لظهور قوله: «وبعبادتنا عُبِدَ الله»(٣) في أنّه بعبادة الناس لنا عُبِد الله أي: عبادتنا عبادة الله، واستعمال العبادة كالعبوديّة مخصوص بذات الباري ولايجوز استعماله في غيره وهو حسنٌ جزاه الله عن الإسلام خيراً.

ثامن عشرها: ما في «توحيد الصدوق» أيضاً عن الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن الحسين، عمّن حدّثه، عن عبدالرحمان بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظر، وأنا جنب الله، وأنا يد الله»(٤)، انتهى.

قال الصدوق رحمه الله:

«قوله: «وأنا قلب الله» كما يقال: عبدالله وبيت الله وجنّة الله ونار الله، وأمّا قوله: «عين الله» فإنّه يعني به أي: الحافظ لدين الله، وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾(٥) وكذلك

---

١. التوحيد، ص ١٥١؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٧.
٢. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٧.
٣. التوحيد، ص ١٥١؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٧.
٤. التوحيد، ص ١٦٤.
٥. القمر: ١٤.

قوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[١] معناه على حفظي»[٢].

وأقول: وإن كان لا بأس به إلّا أنّه فيه شيء، فإنّه جعل قلب الله مثل عبدالله وبيت الله وجنّة الله ونار الله، وليس كلّها من وادٍ واحد، فإنّ كلّ ما يمكن إضافته إلى الله تعالى على معناه الحقيقيّ في المضاف والإضافة كعبد الله وجنّة الله ونار الله، فهو على معناه الحقيقيّ ويصحّ إضافتها إلى الله على معناه الحقيقيّ، مثل عبدالله وجنّة الله ونار الله، بل بإضافتها إلى الله تعالى يحصل فيها زيادة معنى في المقصود من إظهار العبوديّة في عبدالله وإظهار الرجاء في الجنّة والخوف، أو الوعد والوعيد في النار.

وأمّا قلب الله وعين الله ويد الله ونحوها فلا يجوز نسبتها إلى الله تعالى، فلايصحّ إضافتها على معناها الحقيقيّ فلابدّ من التجوّز.

وكذلك قوله: عين الله بمعنى حافظ دين الله، فإنّه جعل من العين بمعنى الناظر، وليس كذلك في جميع ما يُستعمل فيه، بل قد يستعمل فيه وقد يستعمل في المعنى الظاهر منه أي: الإبصار والرؤية، كما في الحديث المشهور المعتبر في «الكافي» وغيره: «لا يزال عبدي المؤمن يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أكون سمعه الّذي يسمع به، وعينه الّذي يبصر به»[٣] وسيجيء الإشارة إليه مفصّلاً إن شاء الله.

فلا يلزم علينا القول في عين الله بأنّه بمعنى حافظ دين الله، بل الحمل على ظاهره من آلة الإبصار إلّا أنّه لمّا انجرّ إلى التجسّم في ذات الباري فنحمله على أوليائه يعني: إنّه كما أنّ الله عالم بجميع المبصرات والمسموعات هم عالمون بها، وهذا أظهر احتمالاتها في عين الله وأُذن الله لا بمعنى الحافظ، ولكنّه أعلم بما قال، لكثرة اضطلاعه في الأخبار.

تاسع عشرها: ما في «التوحيد» و«جامع الأخبار» عن ابن الوليد، عن الحسين بن سعد، عن النصر، عن ابن سنان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال

---

١. طه: ٣٩.

٢. نفسه.

٣. عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٠٣؛ إرشاد القلوب، ج ١، ص ٩١.

أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة:

«أنا الهادي، وأنا المهدي، وأنا أبواليتامى والمساكين، وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف ومأمن كلّ خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنّة، وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثق وكلمة التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله الّذي تقول نفس: ﴿ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾، وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطّة، من عرفني وعرف حقّي فقد عرف حقّه لأنّي وصيّ نبيّه في أرضه، وحجّته على خلقه، لا ينكر هذا إلّا رادّ على الله ورسوله»[١].

قال الصدوق رحمه الله: ««الجنب»: الطاعة في لغة العرب، يقال: هذا صغير في جنب الله أي: في طاعة الله، فمعنى قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا جنب الله» أي: أنا الّذي ولايتي طاعة الله ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسُ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في طاعة الله»[٢]، انتهى.

[و] أقول: وقد عرفت من الأخبار خلاف هذا المعنى وفسّر بالشجرة أو الشجنة كما تقدّم، وهو أشبه شيء بالاجتهاد في مقابلة النصّ، ولا أقول: إنّ هذا المعنى حقيقة وما قاله مجاز، بل كلاهما مجازان، لكن استعماله في الطاعة بعيد لا يناسب المقام، وما ورد في الرواية أقرب وأنسب.

العشرون: ما في «البصائر» عن أحمد بن محمّد، عن البرقيّ، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن الحلبيّ رحمه الله، عن عبدالله بن مسكان، عن مالك الجهنيّ قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّا شجرة من جنب الله أو جذوة؛ فمن وصلنا وصله الله»[٣].

قال المجلسيّ رحمه الله: «الجذوة ـ بالكسر ـ: قطعة من اللحم، ذكره الفيروزآباديّ وقال: ما أحسن شجرة ضرع الناقة أي: قدره وهيئته، أو عروقه وجلده ولحمه، والظاهر أنّ الترديد

---

١. التوحيد، ص ١٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٨.

٢. التوحيد، ص ١٦٤.

٣. بصائر الدرجات، ص ٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٩.

من الراوي»[١].

الحادي والعشرون: ما فيه عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن فضالة، عن أبي حمزة، عن ابن عميرة، عن أبي بصير، عن الحرث بن المغيرة قال: «كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾.

فقال عليه السلام: ما يقولون؟

قلت: يقولون: هلك كلّ شيء إلّا وجهه.

فقال: سبحان الله! لقد قالوا عظيماً، إنّما عنى كلّ شيء هالك إلّا وجهه الّذي يُؤتى منه، ونحن وجهه الّذي يُؤتى منه»[٢].

الثاني والعشرون: ما في «البصائر» أيضاً عن الجمال، عن صالح بن السنديّ، عن ابن محبوب، عن الأحول، عن سلام بن المستنير، قال: «سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾.

قال: نحن والله! وجهه الّذي قال، ولن يهلك يوم القيامة من أتى الله بما أمر به من طاعتنا وموالاتنا، وذلك الوجه الّذي قال الله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ ليس منّا ميّت يموت إلّا خلّف عقبه منه إلى يوم القيامة».

الثالث والعشرون: ما فيه أيضاً عن ابن بريد، عن ابن أبي عمير، عن منصور، عن جليس لأبي حمزة، عن أبي حمزة قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلني الله فداك! أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾.

قال: يا فلان! فيهلك كلّ شيء ويبقى الوجه؟! الله أعظم من أن يوصف ولكن معناها كلّ شيء هالك إلّا دينه، نحن الوجه الّذي يُؤتى منه، لم نزل في عباد الله ما دام فيهم روية.

قلت: وما الروية، جعلني الله فداك؟!

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٩.

٢. بصائر الدرجات، ص ٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٠٠.

قال: حاجة، فإذا لم يكن له فيهم حاجة رفعنا إليه فيصنع بنا ما أحبّ»[١].

وفي «التوحيد» و«معاني الأخبار» مثله معتبر السند وقد مضى مثله[٢].

الرابع والعشرون: ما رواه الصدوق في توحيده بإسناده عن صفوان، عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام في قوله: «﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾.

قال: من أتى الله بما أمر به من طاعة محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله والأئمّة عليهم‌السلام من بعده فهو الوجه الّذي لا يُهلك، ثمّ قرأ: ﴿**مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾[٣]»[٤].

وبإسناده أيضاً عن صفوان عنه عليه‌السلام قال: «نحن وجه الله الّذي لا نهلك»[٥].

الخامس والعشرون: ما في «البحار» عن «محاسن» البرقيّ بإسناده عن الحرث النّضريّ قال: «سألت أبا عبدالله عن هذه الآية، قال: ﴿**كلّ شيء هالك إلّا**﴾ من أخذ الطريق الّذي أنتم عليه»[٦].

السادس والعشرون: ما في «العيون» ـ في حديث طويل قد مضى بعضه ـ عن أبي‌الصّلت، عن الرضا عليه‌السلام، قال: «فقلت: يابن رسول الله! فما معنى الخبر الّذي رووه أنّ ثواب «لا إله إلّا الله» النظر إلى وجه الله؟

فقال: يا أباالصلت! من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياؤه وحججه الّذين بهم يتوجّه إلى الله وإلى دينه ومعرفته، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين في القيامة،

---

١. بصائر الدرجات، ص ٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٢٠٠.

٢. التوحيد، ص ١٤٩؛ معاني الأخبار، ص ١٢.

٣. النساء: ٨٠.

٤. التوحيد، ص ١٤٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٠١.

٥. التوحيد، ص ١٥٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٠١.

٦. المحاسن، ج ١، ص ١٩٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٠١.

وقد قال النبيّ ﷺ: من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة»[١].

السابع والعشرون: عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: «قال: «اليمين» عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأصحابه شيعته»[٢].

أقول: هذه سبعة وعشرون من الأخبار الدالّة على المطلوب، ولو حاسبنا المكرّرات مع اختلاف السند تزيد على ثلاثين، فإنّ الخبر الثاني والعشرين أشرنا إلى ثلاثة أسانيد من ثلاثة كتب أُخر، وفي الخبر الأوّل الّذي رويناه عن «المناقب» إشارة إلى سبعة، أو ثمانية من الأخبار عن الأئمّة الأطهار.

وإن أُضيفت إلى هذه ما ذكرنا في زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الصفوان المعروفة بـ«زيارت ششم» لأنّ المجلسيّ رحمه الله جعلها في «تحفة الزائر» سادس زياراته، وما في الزيارة المولوديّة له عليه السلام، وفي زيارة مولانا صاحب الزمان عليه السلام بقيّة الله في أرضه وحجّة الله على خلقه، وما أشرنا في ذيل كلّ واحد منها من الخطب والأدعية لتجاوزت الأربعين، كما نقلنا أربعين حديثاً في بدء خلقهم وأنّه لولاهم لما خلق الله العالم.

فما وردت فيه أربعين حديثاً يستغنى عن ملاحظة السند وصحّته، مضافاً إلى ورودها في كتاب الله عزّ وجلّ واستعملها الأئمّة في ألفاظ الزيارات المعتبرة المتلقّاة بالقبول من جميع الأصحاب، فكيف يقال في مثلها: إنّها غير موجودة في أصلٍ، أو كتاب تركن النفس إليه قليلاً؟

وكيف يقال فيها: إنّها من موضوعات الغلاة والمتصوّفة والزنادقة؟

وكيف يصحّ أن يقال: إنّها مخالفة لظاهر الشريعة المطهّرة؟

فهل الشريعة إلّا ما نطقت بها أخبار الأئمّة وقد تلقّاها أئمّة الحديث ومهرة فنّ الأخبار المأنوسين بكلمات الأئمّة الأطهار عليهم السلام كالكلينيّ في «الكافي» والصدوق في أغلب كتبه، خصوصاً كتاب «معاني الأخبار»، والشيخ المفيد والطوسيّ ـ رحمهما الله ـ وكلّ المفسّرون

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١١٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٠١.

٢. تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٤٨.

كعليّ بن إبراهيم في تفسيره [والطبرسي في] مجمع البيان، والسيّد هاشم البحرانيّ في تفسيره «البرهان» فإنّهم كلّما وصلوا بآيات مشتملة على ذلك نقلوا تفسير الأئمّة لتلك الكلمات بهم، كما في أصحاب اليمين، وكما في ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ و ﴿يَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ و ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ و ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١] و ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢] و ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[٣] فذكروا جملة أو مفصّلاً ولم يردّوها.

وكذلك المتأخّرون كالمجلسيّين خصوصاً الثاني، فقال في كتاب التوحيد من «البحار» في باب نفي التجسيم:

معنى وجه الله وجنب الله ويد الله ولسان الله وعين الله وأُذن الله، وكذلك في كتاب صفات الأئمّة عليهم السلام، وفسّرها بالمعاني الّتي تلقّاها من أصحاب العصمة وصحّحها وأوردها وأثبتها، فقال:

«وجملة القول في ذلك أنّ تلك المجازات شائعة في كلام العرب، فيقال لفلان: وجه عند الناس، ولفلان يد على فلان وأمثال ذلك.

والوجه يُطلق على الجهة، فالأئمّة عليهم السلام الجهة الّتي أمر الله بالتوجّه إليهم، ولا يتوجّه إليه تعالى إلّا بالتوجّه إليهم، وكلّ شيء هالك باطل مضمحلّ إلّا دينهم وطريقتهم وطاعتهم، وهم عين الله الشاهدة على عباده، فكما أنّ الرجل ينظر بعينه ليطّلع على الأُمور فكذلك خلقهم الله ليكونوا شهداء من الله عليهم ناظرين في أُمورهم، والعين يطلق على الجاسوس وعلى خيار الشيء.

وقال الجزريّ في حديث عمر: إنّ رجلاً كان ينظر في الطواف إلى حُرَم المسلمين فلطمه عليّ عليه السلام، فاستعدى عليه.

---

١. الفتح: ١٠.

٢. الرحمن: ٧٨.

٣. الأعراف: ١٨٠.

فقال: ضربك بحقّ، أصابته عين من عيون الله، أراد خاصّة من خواصّ الله ووليّاً من أوليائه، انتهى.

وإطلاق اليد على النعمة والرحمة والقدرة شائع، فهم نعمة الله التامّة ورحمة الله المبسوطة، ومظاهر قدرته الكاملة.

والجنب: الجانب والناحية، وهم الجانب الّذي أمر الله الخلق بالتوجّه إليه. والجنب يطلق على الأمير، ويحتمل أن يكون كناية عن أنّ قرب الله لا يحصل إلّا بالتقرّب بهم، كما أنّ قريب الملك يكون بجنبه»[١].

وروى الكفعميّ رحمه الله عن الباقر عليه السلام في تفسير هذا الكلام أنّه قال: «معناه أنّه ليس شيء أقرب إلى الله من رسوله، ولا أقرب إلى رسوله من أخيه، فهو في القرب كالجنب، وقد بيّن الله ذلك في قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ يعني: في ولاية أوليائه.

وقال عليه السلام في قولهم: «باب الله» معناه أنّ الله احتجب عن خلقه بنبيّه والأوصياء من بعده وفوّض إليهم من العلم ما علم احتياج الخلق إليه، ولمّا استوفى النبيّ صلى الله عليه وآله على عليّ عليه السلام العلوم والحكمة قال: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» وقد أوجب الله على خلق الاستكانة لعليٍّ عليه السلام بقوله: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢] أي: الّذين لا يرتابون في فضل الباب وعلوّ قدره.

وقال في موضعٍ آخر: ﴿وَٱدْخُلُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٣] يعني: الأئمّة الّذين هم بيوت العلم ومعادنه، وهم أبواب الله ووسيلته والدعاة إلى الجنّة والأدلّاء عليها إلى يوم القيامة»[٤]، انتهى كلامه، طاب منامه.

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٠٢.

٢. البقرة: ٥٨.

٣. البقرة: ١٨٩. وفي الآية «وأتوا».

٤. نفسه.

وكلّ معنى ورد في هذه الأخبار المتكثّرة ونقلها هؤلاء الأجلّاء من العلماء في كتبهم هذه فهي متواترة متلقّاة بالقبول، قطعيّة الصدور من الإمام الحجّة، فلا يُعبأ بقول منكرها ومخالفها، ويضرب قوله عرض الجدار، كما لا يخفى على أُولي الأبصار.

مضافاً إلى أنّهم عليهم السلام قد أرشدونا وعلّمونا وجه التأويل في هذه الإطلاقات كلّيّة وما شابهها ممّا لا يجوز إطلاقه على الله، وإنّ أولياءه وحججه نازل منزلته، فكلّ ما ينسب إليه تعالى ولا يجوز عليه فالمراد حججه وأنبياؤه.

ففي «الكافي» عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن عمّه حمزة بن بزيع، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «﴿ **فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ** ﴾[1].

فقال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يأسف كأسفنا، ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه، لأنّه جعلهم الدعاة إليه والأدلّاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أنّ ذلك يصل إلى الله تعالى كما يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال: «من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها»، وقال: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾[2]، وقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾[3].

فكلّ هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء ممّا يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى الله الأسف والضجر، وهو الّذي خلقهما لجاز لقائل أن يقول: إنّ الخالق يبيد يوماً، لأنّه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ثمّ لم يعرف المكوّن من المكوّن، ولا القادر من المقدور عليه، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا [القول] علوّاً كبيراً، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة، [فإذا كان لا

---

١. الزخرف: ٥٥.

٢. النساء: ٨٠.

٣. الفتح: ١٠.

لحاجة] استحال الحدّ والكيف فيه. فافهم»[1]، انتهى الخبر الشريف.

وفي «احتجاج» الطبرسيّ. في الخبر الطويل الّذي سأل الزنديق عن أميرالمؤمنين عليه السلام عمّا يزعمه متناقضاً وعدّها وأجابه عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام مفصّلاً ما يؤيّد هذا الخبر، وفيه علوم كثيرة يتعلّق بالمقام.

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٤٤؛ بحارالأنوار، ج ٤، ص ٦٥.

الباب الثالث

في أنّ الأئمّة لهم الإحياء والإماتة بإذن الله

وهذا العنوان يحتمل على وجوه:

أحدها: إنّه هل يمكن ذلك أم لا بل يخصّ ذلك بالله تبارك وتعالى؟

ثانيها: إنّه هل يكون من شئون الإمامة أعني إنّ الإمام من يقدر على الإحياء والإماتة بإذن الله، فكما أنّ العصمة وطهارة المولد وسلامة الأعضاء والجوارح خلقة ـ مثلاً ـ من شئون الإمامة وشروطها؛ فكذلك نقول: إنّ الإمام عليه‌السلام من يقدر على إحياء الموتى وإماتة الأحياء بإذن الله؟

ثالثها: إنّه هل وقع ذلك من الأئمّة الطاهرين أم لا؟ وهذا أخصّ من الأوّل، لأنّ الوقوع أخصّ من الإمكان، وكذلك بالنسبة إلى الثاني، لأنّ المعجزة أيضاً لابدّ أن يكون من الأُمور الممكنة ويشترط فيها أن يعجز عنها الناس بحسب العادة والعلم.

أمّا الوجه الأوّل، فلا ريب أنّه من الأُمور الممكنة، كما ترى من يقتل آخر وكذلك بالنسبة إلى الإحياء، كما علمت وقوع ذلك من الله، كما أخبر بذلك في كتابه الكريم، والوقوع أخصّ من الإمكان.

وأمّا الثاني، فأقول: نعم، اعتقادي أنّ الإمام من يقدر على إحياء الميّت وإماتة الحيّ بإذن ربّه في خصوصيّة المورد، كما ستعرف في الأبواب الآتية إن شاء الله.

وأمّا الثالث، فقد وقع ذلك منهم عليهم‌السلام كثيراً بحيث يحصل القطع بصحّته من مجموعهم عليهم‌السلام.

الأوّل: ما ورد في قوله: ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا**

ءَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[١].

في «الكافي»: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم جالساً، إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، لولا أن يقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة.

قال: فغضب بذلك الأعرابيّان والمغيرة بن شعبة وعدّة من قريش، فقالوا: ما رضي أن يضرب لابن عمّه إلّا عيسى بن مريم.

فأنزل الله إلى نبيّه، فقال: **﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا ءَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَلَائِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾**.

قال: فغضب الحارث ونقل قصّة هلاكه ونزول **﴿ سَأَلَ سَائِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾**[٢]»[٣].

وقد نقل مثل هذا الخبر الشيخ في «التهذيب»، وعليّ بن إبراهيم في تفسيره، والعيّاشي في تفسيره، والطبرسيّ في «مجمع البيان»، وغيرهم في غيرها، وهذا يدلّ على تشبيهه ـ صلوات الله عليه وآله ـ لعليّ عليه السلام بعيسى بن مريم عليه السلام، وأشهر شيءٍ لعيسى بن مريم عليه السلام إحياؤه الموتى وإبراؤه الأكمه والأبصر، كما نصّ عليه في القرآن المجيد، فأوّل شيء يتبادر من التشبيه إحياؤه الموتى.

وقد ورد في الخبر المعتبر أيضاً، في «تفسير البرهان» عن العيّاشي قال محمّد ابن العبّاس

---

١. الزخرف: ٥٧ و٥٨.

٢. المعارج: ١.

٣. الكافي، ج ٨، ص ٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٣٢٣.

قال: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى، عن محمّد بن زكريّا، عن محمّد بن عمر النخعيّ، عن عمر بن قائد، عن الكلينيّ، عن أبي صالح قال: «بينا النبيّ ﷺ في نفر من أصحابه، إذ قال: الآن يدخل عليكم نظير عيسى بن مريم في أُمّتي.

فدخل أبوبكر، فقالوا: هو هذا؟

فقال ﷺ: لا.

فدخل عمر، فقالوا: هو هذا؟

فقال: لا.

فدخل عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقالوا: هو هذا؟

قال ﷺ: نعم.

فقال قوم: لعبادة اللّات والعزّى أهون من هذا!

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ** ﴾ الآيات»[١].

قال: «حدّثنا محمّد بن سهل العطّار، قال: حدّثنا أحمد بن عمر الدهقان، عن محمّد بن كثير الكوفيّ، عن محمّد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: جاء قومٌ إلى النبيّ ﷺ فقالوا: يا محمّد! إنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى، فأحيي لنا الموتى.

فقال لهم: ما تريدون؟

قالوا: نريد فلان، وإنّه قريب عهد بموت.

فدعا عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام فأصغى إليه بشيءٍ لا نعرفه، ثمّ قال: انطلق معهم إلى الميّت، فادعه باسمه واسم أبيه.

فمضى معهم حتّى وقف على قبر الرجل، ثمّ ناداه: يا فلان بن فلان!

فقام الميّت، فسألوه، ثمّ اضطجع في لحده، ثمّ انصرفوا وهم يقولون: إنّ هذا من أعاجيب

---

١. تأويل الآيات، ص ٥٤٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٣١٤.

بني عبدالمطّلب أو نحوها، فأنزل الله ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ الآية »[١].

الثاني: ما رواه في «الكافي» عن محمّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، عن عبدالله بن محمّد، عن عبدالله بن القاسم، عن عيسى شلقان، قال: «سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام له خؤولة في بني مخزوم وإنّ شابّاً منهم أتاه، فقال: يا خالي! إنّ أخي مات وقد حزنت عليه حزناً شديداً.

قال: فقال له: تشتهي أن تراه؟

قال: بلى.

قال: فأرني قبره.

قال: فخرج ومعه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله متّزراً بها، فلمّا انتهى إلى القبر تلملمت شفتاه ثمّ ركضه برجله، فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟!

قال: بلى، ولكنّا متنا على سنّة فلان وفلان، فانقلبت ألسنتنا»[٢].

ما رواه السيّد في «مدينة المعاجز» عن ابن شهرآشوب في «المناقب» من كتاب العلويّ المصريّ: أنّ جماعة من اليمن أتوا النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: «نحن بقايا الملك المقدّم من آل نوح، وكان لنبيّنا وصيّ اسمه سام وأخبرنا في كتابه أنّ لكلّ نبيّ معجزة وله وصيّ يقوم مقامه، فمن وصيّك؟

فأشار بيده نحو عليّ عليه السلام.

فقالوا: يا محمّد! إن سألناه أن يرينا سام بن نوح فيفعل؟

فقال صلى الله عليه وآله: نعم، بإذن الله.

وقال: يا عليّ! قم معهم إلى داخل المسجد واضرب برجلك الأرض عند المحراب.

فذهب عليّ عليه السلام وبأيديهم صحف إلى أن بلغوا محراب رسول الله صلى الله عليه وآله داخل المسجد،

---

١. نفسه.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٥٦.

فصلّى ركعتين ثمّ قام وضرب برجله على الأرض، فانشقّت الأرض وظهر لحد وتابوت، فقام من التابوت شيخ يتلألأ وجهه مثل القمر ليلة البدر وينفضّ التراب من رأسه، وله لحية إلى سرّته، وصلّى على عليٍّ عليه السلام وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله سيّد المرسلين، وأنّك عليّ وصيّ محمّد سيّد المرسلين، وأنا سام بن نوح.

فنشروا أولئك صحفهم، فوجدوه كما وصفوه في الصحف، ثمّ قالوا: نريد أن يقرء من صحفه سورة.

فأخذ عليه السلام في قرائته حتّى تمّ السورة، ثمّ سلّم على عليٍّ عليه السلام ونام كما كان، فانضمّت الأرض، وقالوا بأسرهم: إنّ الدين عند الله الإسلام، وآمنوا، وأنزل الله: ﴿ **أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ**... إلى قوله: **أُنِيبُ** ﴾[1] »[2].

الثالث: ما رواه فيه عن السيّد المرتضى في «عيون المعجزات» مُسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: ورواه البرسيّ قال: «روي أنّ جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتوه وقالوا: يا رسول الله! عليك السلام، إنّ الله اتّخذ إبراهيم خليلاً، وكلّم موسى تكليماً، وكان عيسى يحيي الموتى، فما صنع بك ربّك؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إن كان الله سبحانه اتّخذ إبراهيم خليلاً فقد اتّخذني حبيباً، وإن كان كلّم موسى من وراء الحجاب، فقد رأيت جلال ربّي وكلّمني مشافهة ـ أي: بغير واسطة ـ وإن كان عيسى يحيي الموتى بإذن ربّه فإن شئتم أحييت لكم موتاكم بإذن الله.

فقالوا: قد شئنا.

فأرسل معهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن رداه بردائه، وكان اسم الرداء المستجاب، فأخذ مطرقة فجعلها على كتفيه ورأسه»[3].

وفي رواية السيّد المرتضى: فأرسل معهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن رداه ببرد له يقال له:

---

١. الشورى: ٩ و ١٠.

٢. المناقب، ج ٢، ص ٣٣٩؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٢١٢.

٣. الفضائل، ص ٦٦.

المستجاب، وجعل طرفيه على كتفيه ورأسه، ثمّ أمرهم أن يسيروا مع أميرالمـؤمنين عليه السلام إلى المقابر، فسعوا، فلمّا أتوا المقابر سلّم أهل القبور ودعا ربّه وتكلّم بكلام لا يفقهونه، فاضطربت وارتجّت وقام الموتى وقالوا بأجمعهم: على رسول الله السلام، ثمّ على أميرالمؤمنين عليه السلام.

فتداخلهم رعبٌ شديد وقالوا: حسبك يا أميرالمؤمنين، يا أباالحسن! أقلنا أقالك الله.

فأمسك عن استمرار الكلام ودعائه، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: يا رسول الله! أقلنا أقالك الله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّما أردتم على الله لا أقالكم الله يوم القيامة.

الرابع: ما رواه فيه عن البرسيّ قال: «روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه كان يطلب قوماً من الخوارج، فلمّا بلغ الموضع المعروف اليوم بـ«ساباط» ـوكان هو ومن تابعه من الخوارج منهم عبدالله بن وهب وعمر بن جرموز، فلمّا أن وصل إلى الموضع بـ«ساباط» نوران ـ أتاه رجل من شيعته وقال: يا أميرالمؤمنين! أنا لك شيعيٌّ ومحبّ، ولي أخ وكنت شفيقاً عليه، فبعثه عمر في جنود سعد بن أبي وقّاص إلى قتال أهل المدائن، فقتل هاهنا وكان وقت مقتله إلى ذلك عدّة سنين كثيرة.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: فما الّذي تريد منه؟

قال: أُريد أن تحييه لي.

قال عليّ عليه السلام: لا فائدة في حياته لك.

قال: لا، أُريد غير ذلك يا أميرالمؤمنين!

قال له: إذ أبيت عن ذلك، فأرني قبره ومقتله.

فأراه إيّاه، فمدّ الرمح وهو راكب بغلته الشّهباء فركز بأسفل الرمح القبر، فخرج رجل أسمر طويل شيخ يتكلّم بالعجميّة، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: لم تقول بالعجميّة وأنت رجل من العرب؟

فقال: بلى، بغضك في قلبي ومحبّة أعدائك فانقلب لساني بالنار.

فقال الرجل: يا أميرالمؤمنين! ردّه من حيث جاء لا حاجة لنا فيه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إرجع.

فرجع إلى القبر وانطبق عليه.[(١)]

أعاذنا الله من ذلك الحال، ولله الحمد على ولاية عليٍّ وأولاده عليهم السلام.

الخامس: ما رواه فيه عن «ثاقب المناقب» عن سمرة بن عطيّة، عن سلمان رضي الله عنه -في حديثٍ طويلٍ أُخِصَ فائدته- قال: «إنّ امرأه من الأنصار قُتِلت تجنّياً بمحبّة عليٍّ عليه السلام يقال لها: «أمّ فروة» وكان عليّ عليه السلام غائباً، فلمّا وافى ذهب إلى قبرها ورفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ يا محيي النفوس بعد الموت، ويا منشئ العظام الدارسات بعد الفوت، أحي لنا أُمّ فروة واجعلها عبرة لمن عصاك.

فإذا بهاتفٍ قال: يا أمير المؤمنين! إمض لما سألت.

فرفس قبرها وقال: يا أمة الله! قومي بإذن الله تعالى.

فخرجت أُمّ فروة من القبر، فبكت وقالت: أرادوا إطفاء نورك، فأبى الله عزّ وجلّ لنورك إلّا ضياء، ولذكرك إلّا ارتفاعاً ولو كره الكافرون.

فردّها أمير المؤمنين عليه السلام إلى زوجها، وولدت بعد ذلك غلامين وعاشت بعد أمير المؤمنين عليه السلام ستّة أشهر»[(٢)]، انتهى، وقصّتها مشهورة في الكتب.

السادس: ما فيه عنه أنّه حدّث الأصبغ بن نباتة قال: «مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بمقبرة ونظر إلى القبور، فقال: أتحبّ أن أُريك آية بإذن الله تعالى؟

قلت: نعم يا مولاي!

فأشار بيده إلى قبر وقال: قم يا ميّت!

فقام شيخٌ وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رسول ربّ العالمين.

فقال عليه السلام: من أنت يا شيخ؟

قال: أنا عمرو بن دينار الهمدانيّ، إنّي قتلت في واقعة الأنبار، قتلني أصحاب معاوية مع

---

١. الفضائل، ص ٦٧؛ بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢١٦.

٢. الخرائج والجرائح، ص ١٦٦؛ بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١٩٩.

أمير الأنبار.

فقال: إذهب إلى أهلك وأولادك وحدّثهم بما رأيت وقل لهم: إنّ عليّ بن أبي طالب أحياني بأمر الله تعالى وردّني إليكم بإذن الله»[١].

السابع: ما رواه فيه عن صاحب «منهج التحقيق إلى سواء الطريق» عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه [قال: «كنّا جلوساً مع أميرالمؤمنين عليه السلام بمنزله لمّا بويع عمر بن الخطّاب][٢].

قال: كنت أنا والحسن والحسين عليهما السلام ومحمّد بن الحنفيّة ومحمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكنديّ.

قال له ابنه الحسن عليه السلام: يا أميرالمؤمنين! إنّ سليمان بن داود عليه السلام سأل ربّه مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فأعطاه ذلك، فهل ملكت ممّا ملك سليمان بن داود عليه السلام؟

قال عليه السلام: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة! إنّ سليمان بن داود سأل الله الملك، فأعطاه، وإنّ أباك ملك ما لم يملكه بعد جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبله ولا يملكه أحد بعده.

فقال الحسن عليه السلام: نريد أن ترينا ممّا فضّلك الله به من الكرامة.

فقال: أفعل إن شاء الله.

فقام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام فتوضّأ وصلّى ركعتين ودعا الله عزّ وجلّ بدعوات لم يفهمها أحد، ثمّ أومأ [بيده] إلى جهة المغرب، فما كان بأسرع من أن جاءت سحابة، فوقفت على الدار وإذا جانبها سحابة أُخرى.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: [أيّتها السحابة!] إهبطي بإذن الله تعالى.

فهبطت وهي تقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّك خليفته ووصيّه، من شكّ فيك فقد هلك [، ومن تمسّك بك سلك] سبيل النجاة.

قال: ثمّ انبسطت السحابة إلى الأرض حتّى كأنّها بساط موضع، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: إجلسوا على الغمامة.

---

١. الاحتجاج، ج ١، ص ٢٢٧؛ بحارالأنوار، ج ١٠، ص ٧٠.

٢. مابين المعقوفين لم ترد في البحار.

فجلسنا وأخذنا مواضعنا، فأشار أميرالمؤمنين عليه السلام إلى السحابة الأُخرى، فهبطت وهي تقول كما قالت الأُولى، وجلس أميرالمؤمنين عليه السلام عليها [مفردة]، ثمّ تكلّم بكلام وأشار إليها بالمسير نحو المغرب، وإذا بالريح قد دخلت [تحت] السحابين، فرفعتها رفعاً رفيقاً، فتمايلت[1] نحو أميرالمؤمنين عليه السلام وإذا به على كرسيّ والنور يسطع من وجهه يكاد يخطف بالأبصار.

فقال الحسن عليه السلام: يا أميرالمؤمنين! إنّ سليمان بن داود كان مُطاعاً بخاتمه وأميرالمؤمنين بماذا يُطاع؟

فقال: أنا عين الله في أرضه، وأنا لسانه الناطق في خلقه، أنا نور الله الّذي لا يُطفئ، أنا باب الله الّذي يُؤتى منه، وحجّته على عباده.

ثمّ قال: أتحبّون أن أُريكم خاتم سليمان بن داود؟

قلنا: نعم.

فأدخل يده إلى جيبه، فأخرج خاتماً من ذهب، فصّه من ياقوتة حمراء، عليه مكتوب: محمّد [وعلي].

قال سلمان: فتعجّبنا من ذلك.

فقال: من أيّ شيء تعجبون؟ وما العجب من مثلي؟ أنا أُريكم اليوم ما لم تروه أبداً.

وساق الحديث... إلى أن قال: فقال: تريدون أن أُريكم سليمان بن داود؟

فقلنا: نعم.

فقام ونحن معه، فدخل بستاناً ما رأينا أحسن منه، وفيه من جميع الفواكه والأعناب وأنهار تجري والأطيار يتجاوبن على الأشجار، فحين رأته الأطيار أتته ترفرف حوله حتّى توسّطنا البستان وإذا سرير عليه شابّ ملق على ظهره واضع يده على صدره، فأخرج أميرالمؤمنين عليه السلام الخاتم من جيبه وجعله في إصبع سليمان.

فنهض قائماً وقال: السلام عليك يا أميرالمؤمنين ووصيّ رسول ربّ العالمين، أنت والله! الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم، قد أفلح من تمسّك بك، وقد خاب وخسر من تخلّف عنك،

---

١. في البحار: فتأمّلت.

وإنّي سألت الله بكم أهل البيت فأُعطيت ذلك الملك.

قال سلمان: فلمّا سمعنا كلام سليمان بن داود لم أتمالك نفسي حتّى وقعت على أقدام أميرالمؤمنين عليه السلام أُقبّلها وحمدت الله تعالى على جزيل عطائه بهدايته لنا إلى ولاية أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وفعل أصحابي كما فعلت...»[١].

الثامن: ما رواه عن السيّد المرتضى في «عيون المعجزات» مُسنداً بسند طويل إلى الوزير أبي محمّد بن سايلويه رحمه الله فإنّه كان من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام العارفين، وروى جماعتهم عن أبي جرير، عن أبي الفتح المغازلي -رحمهما الله- عن أبي جعفر ميثم التّمار آنس الله به قلوب العارفين، قال: «كنت بين يدي مولاي أمير النحل -جلّت معالمه وثبتت كلمته بالكوفة- وجماعة من وجوه العرب حافّون به كأنّهم الكواكب اللّامعة في السماء الصاحية، إذ دخل علينا من الباب رجل عليه قباء خزّ أدكن قد اعتمّ بعمامة أتحميّة صفراء، وقد تقلّد بسيفين، فنزل من غير سلام ولم ينطق بكلام، فتطاول إليه الناس بالأقدام، ونظروا إليه بالآماق، ووقفت إليه الناس من جميع الآفاق، ومولانا أميرالمؤمنين عليه السلام لم يرفع رأسه إليه.

فلمّا هدأت من الناس الحواس، فصح عن لسانه كأنّه حسام صيقل جذب عن غمده، وقال:

أيّكم المجتبى في الشجاعة، والمعمّم بالبراعة، المدرّع بالقناعة؟ أيّكم المولود في الحرم، والعالي في الشيم، والموصوف بالكرم؟ أيّكم أصلع الراس، والثابت [بالأساس][٢]، والبطل الدعاس، والمضيق الأنفاس، والآخذ بالقصاص؟ أيّكم غصن أبي طالب عليه السلام الرطيب، وبطله المهيب، والسّهم المصيب، والقاسم المجيب؟ أيّكم الّذي نصر به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه، واعتزّ به سلطانه، وعظم به شانه؟ أيّكم قاتل العمروين، وأسر العمروين؟

-العمران اللذان قتلهما: عمرو بن عبدوّد، وعمرو بن الأشعث المخزوميّ، والعمران اللذان أسرهما: فأبو ثور عمرو بن معدي كرب، وعمرو بن سعيد الغسّانيّ أسره في يوم بدر.-

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٣٣.

٢. أثبتناه من المصدر.

قال أبو جعفر ميثم التمّار رضي الله عنه : قال أميرالمؤمنين عليه السلام : أنا يا سعيد بن الفضل الربيع بن مدركة بن الصلت بن الأشعث بن السّمعمع بن الأحيل بن فزارة بن دهيل بن عمرو الدوينيّ ؟

قال : لبّيك يا علي !

فقال : سل عمّا بدا لك ، فأنا كنز الملهوف ، وأنا الموصوف بالمعروف ، أنا الّذي قرعتني الصمّ الصلاب ، وهلّل بأمري صوت السحاب ، وأنا المنعوت في الكتاب ، أنا الطور ذو الأسباب ، أنا ق والقرآن المجيد ، أنا النبأ العظيم ، أنا الصراط المستقيم ، أنا البارع ، أنا الغشوش ، أنا القلمس ، أنا العفروس ، أنا المداعر ، أنا ذو النبوّة والسطوة ، أنا العليم ، أنا الحكيم ، أنا الحفيظ الرفيع ، بفضلي نطق كلّ كتاب ، وبعلمي شهد ذواالألباب ، أنا عليّ أخو رسول الله وزوج ابنته .

فقال الأعرابيّ : لا بتسميتك ولا رمزك .

فقال صلوات الله عليه : ﴿ **لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ** ﴾[١] .

ثمّ قال الأعرابيّ : بلغنا أنّك تحيي الموتى وتميت الأحياء ، وتفقر وتغني ، وتقضي في الأرض وتمضي ، ليس لك مطاول يطاولك ، ولا مصاول يصاولك ، أفهو كما بلغني يا فتى قومه ؟

فقال عليه السلام : قل ما بدا لك .

فقال : إنّي رسول إليك من سبعين ألف رجل يقال لهم : « العقيمة » وقد حملوا معي ميّتاً قد مات منذ مدّة وقد اختلفوا في سبب موته ، وعلى باب المسجد ، فإن أحييته علمنا أنّك صادق نجيب الأصل ، وتحقّقنا أنّك حجّة الله في أرضه ، وإن لم تقدر على ذلك رددته إلى قومه وعلمنا أنّك غير الصواب ، وتظهر من نفسك ما لا تقدر عليه .

فقال عليه السلام : يا أبا جعفر ميثم ! إركب بعيراً وطُف في شوارع الكوفة ومحالّها وناد : من أراد أن ينظر إلى ما أعطى الله عليّاً أخا رسول الله صلى الله عليه وآله وبعل فاطمة عليها السلام من الفضل وما أودعه رسول الله صلى الله عليه وآله من العلم ؛ فليخرج إلى النجف غداً .

فلمّا رجع ميثم ، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : يا أبا جعفر ! خذ الأعرابيّ إلى ضيافتك غداة غد سيأتيك الفرج إن شاء الله تعالى .

---

١. الأنبياء : ٢٣.

فقال أبو جعفر ميثم: فأخذت الأعرابيّ ومعه محمل فيه الميّت وأنزلته منزلي وأخدمته أهلي، فلمّا صلّى أميرالمؤمنين عليه السلام صلاة الفجر خرج وخرجت معه ولم يبق في الكوفة برّ ولا فاجر إلّا وقد خرج إلى النجف.

ثمّ قال الإمام: ائت يا أبا جعفر! بالأعرابيّ وصاحب الميّت، وهو راجل تحت القبّة الّتي فيها الميّت، فأتيت به النجف.

ثمّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: جلّت نعمته يا أهل الكوفة! قولوا فينا ما ترونه وارووا عنّا ما تسمعونه منّا.

ثمّ قال: إنزل يا أعرابيّ! عن جملك.

ثمّ قال: لتخرج صاحبك أنت وجماعة من المسلمين.

فقال ميثم: فأُخرج من التابوت عصيب ديباج أصفر، فأُحمل فإذا تحت عصيب ديباج أخضر، فأُحلّ فإذا تحته برمة من اللؤلؤة فيها غلام [ما] تمّ أعذاره، بذوائب كذوائب الحسناء.

فقال عليه السلام: كم لميّتك هذا؟

فقال: أحد وأربعين يوماً.

قال: فما كانت ميتته؟

فقال: إنّ أهله يريدون أن تحييه، ليعلموا من قتله إلّا أنّه بات سالماً وأصبح مذبوحاً من أُذنه إلى أُذنه.

فقال عليه السلام: ومن يطلب بدمه؟

فقال: خمسون رجلاً من قومه يقصد بعضهم بعضاً في طلب دمه، فاكشف الشكّ والريب يا أخا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب!

فقال عليه السلام: قتله عمّه، لأنّه زوّجه بابنته فخلّاها وتزوّج غيرها، فقتله حنقاً عليه.

فقال: لسنا نرضى بقولك، فإنّما نريد أن يشهد الغلام بنفسه عند أهله من قتله، فيرتفع من بينهم السيف والفتنة.

فقام عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: يا أهل الكوفة! إنّ بقرة بني إسرائيل ضُرب ببعضها الميّت فعاش، وإنّي أضربه ببعضي، لأنّ بعضي عند الله خير من البقرة.

ثمّ هزّه برجله وقال: قُم بإذن الله يا مدركة بن حنظلة بن غسّان بن بحير بن بهر بن سلامة بن طيب بن الأشعث بن أحوض بن ذاهلة بن عمرو بن الفضل بن حباب، قم فقد أحياك عليّ بإذن الله.

فقال أبو جعفر ميثم رحمه الله: فنهض غلام أحسن من الشمس [أضعافاً] ومن القمر أوصافاً، وقال: لبّيك يا محيي العظام، وحجّة الله في الأنام، والمتفرّد بالفضل والإنعام، لبّيك يا عليّ.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: من قتلك يا غلام؟

فقال: عمّي حريث بن ربيعة بن شكال بن الأصمّ.

ثمّ قال للغلام: إمض إلى أهلك.

فقال: لا حاجة لي في القوم.

فقال عليه السلام: فَلِمَ؟

قال: أخاف أن يقتلونني ثانياً ولا تكون أنت فمن يحييني؟

فالتفت ـ صلوات الله عليه ـ إلى الأعرابيّ وقال: إمض أنت إلى أهلك وأخبرهم بما رأيت.

فقال: أنا معك ومعه إلى أن يأتيني اليقين، لعن الله من أنجد له الحقّ ووضح وجعل بينه وبينه ستراً.

وكانا مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قُتلا بصفّين ـ رحمهما الله ـ.

فصار أهل الكوفة إلى أماكنهم واختلفوا في أمير المؤمنين عليه السلام، واختلفت أقاويلهم فيه»[١][٢].

وروى هذا الحديث البرسيّ عن شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل القمّيّ قال: حدّثني الشيخ

---

١. الفضائل، ص ١؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ٢٧٤.

٢. مشارق انوار اليقين، ص ٧٤.

محمّد بن أبي مسلم بن أبي الفوارس الداريّ، قد رواه كثير من الأصحاب حتّى انتهى إلى أبي جعفر ميثم التّمار، وساق الخبر بعينه ببعض التغيير، وقد سلف منّا في فضائله بغير هذا السند؛ فهذه ثلاثة.

التاسع: ما في «مدينة المعاجز» عن البرسيّ بالإسناد يرفعه إلى عمّار بن ياسر: أنّه قال: «لمّا سار أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام إلى صفّين، وقف بالفرات وقال عليه السلام لأصحابه: أين المخاض؟

قالوا: يا مولانا! ما نعلم أين المخاض؟

قال لبعض أصحابه: إمض إلى هذا التلّ وناد: يا جلنديّ بن المخاض!

قال: فسار حتّى وصل إلى التلّ ونادى: يا جلنديّ بن المخاض!

قال: فأجابه من تحت الأرض خلقٌ كثير.

قال: فذهب ولم يعلم ما يصنع، فأتى إلى الإمام وقال: يا مولاي! جاوبني خلق كثير.

فقال: يا قنبر! إمض وناد: يا جلنديّ بن كركر! أين المخاض؟

قال: فكلّمه واحد وقال: ويلكم! من عرف إسمي واسم أُمّي وأبي وأنا في هذا المكان قد بقيت تراباً وقد بقي قحف رأسي عظم، ولي ثلاثة آلاف سنة وما يعلم أين المخاض؟ فهو والله! أعلم بالمخاض منّي، ويلكم! ما أعمى قلوبكم وأضعف يقينكم، ويلكم! امضوا واتّبعوه فأين خاض خوضوا معه، فإنّه أشرف الخلق على الله»[1].

قال البرسيّ: النصيريّة أصحاب محمّد بن نصير النميريّ وسبب كفره: أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا أراد عبور الفرات قال: يا جلنديّ! يقول لك أميرالمؤمنين أين المخاض؟

فأجابه من القبور ستمائة كلّهم جلنديّ.

فرجع هارباً، فقال: قل: يا جلنديّ بن كركرة.

فأجابه وقال له: قل لمولاك: إنّي وفيت هنا منذ ستّة آلاف سنة ولا يعلم أحد في الدنيا أنّ هنا مقبرة، فمن يعلم حالنا، وتحيي له بعد البلى أوصابنا أفيعزب عنه المخاض؟

---

١. بحارالأنوار، ج ٣٣، ص ٤٥.

قال محمّد بن نصير هناك: يا مولاي! أنت الله الواحد القهّار.

وقال ابن شهرآشوب في «المناقب»: «قالت الغلاة: نادى بجمجمة: قم يا جلنديّ ابن كركر أين الشريعة؟

قال: هاهنا. فبنى هناك مسجد وسمّي مسجد الجمجمة. وجلنديّ هذا ملك الحبشة صاحب الفيل الهادم للبيت.

وقالوا أيضاً: إنّه نادى بسمكة: يا سمونة! أين الشريعة؟

فاطّلعت رأسها من الفرات وقالت: من عرف إسمي في الأسماء لا يخفى عليه الشريعة»[١].

العاشر: السيّد المرتضى في «عيون المعجزات» مُسنداً إلى الحارث بن عبدالله الهمدانيّ رحمه الله قال: كنّا مع أميرالمؤمنين عليه السلام ذات يوم على باب الرحبة الّتي كان أميرالمؤمنين عليه السلام ينزلها نتحدّث إذا اجتاز بنا يهوديّ من الحيرة ومعه حوتتان، فناداه أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال: يا يهوديّ! بكم اشتريت أبويك من بني إسرائيل؟

فصاح اليهوديّ صيحة عظيمة وقال: أما تسمعون كلام عليّ بن أبي طالبٍ يذكر أنّه يعلم الغيب وأنّي قد اشتريت أبي وأُمّي من بني إسرائيل؟!

فاجتمع عليه خلق كثير من الناس وقد سمعوا كلام أميرالمؤمنين عليه السلام وكلام اليهوديّ، فكأنّي أنظر إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقد تكلّم بكلام لم أفهمه، فأقبل على إحدى الحوتين وقال: أقسمت عليك تتكلّمين من أنا؟ ومن أنت؟

فنطقت السمكة بلسان فصيح وقالت: أنت أميرالمؤمنين عليه السلام.

ثمّ قالت: يا فلان! وأنا أُمّك فلانة بنت فلان، متُّ في سنة كذا، والعلامة في يدك كذا وكذا.

فقال القوم: نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّك أميرالمؤمنين حقّاً حقّاً.

وعادت الحوتتان إلى ماكانتا عليه، وآمن اليهوديّ فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّك أميرالمؤمنين.

وانصرف القوم وقد ازدادوا معرفه لأميرالمؤمنين عليه السلام.

---

١. المناقب، ج ٢، ص ٣٣٦؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٢١١.

الحادي عشر: ما ذكره السيّد في «عيون المعجزات» أيضاً قال: «عن الباقر عليه السلام حدّث عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه مرّ يوماً في أزقّة الكوفة فانتهى إلى رجل قد حمل جريثاً، فقال عليه السلام: أُنظر إلى هذا قد حمل إسرائيليّاً.

فأنكر الرجل، فقال: متى كان الإسرائيليّ جريثاً؟

فقال ـ صلوات الله عليه ـ: أمّا إذا كان يوم الخامس ارتفع لهذا الرجل من صدغه دخاناً فيموت مكانه.

فأصابوا في اليوم الخامس كذلك، فمات فحمل إلى قبره، فلمّا دفن جاء أميرالمؤمنين عليه السلام إلى قبره، فدعا الله ثمّ رفسه برجله الشريف، فإذا الرجل قائماً بين يديه وهو يقول: الرادّ على عليٍّ كالرادّ على الله وعلى رسوله.

فقال عليه السلام: عُد إلى قبرك، فانطبق عليه القبر»[١].

الثاني عشر: ما رواه الشيخ رجب البرسيّ في كتابه قال: «روى زاذان خادم سلمان: لمّا جاء أميرالمؤمنين عليه السلام ليغسّل سلمان ووجده قدمات، فرفع الشملة عن وجهه، فتبسّم وهمّ أن يقعد، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: عُد إلى موتك؛ فعاد»[٢].

الثالث عشر: السيّد في «المدينة» عن سلمان الفارسيّ قال: «كنت يوماً جالساً عند مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بأرض قفراء، فدعى درّاجاً فكلّمه عليه السلام، فقال له: مذ كنت أنت في هذه البريّة؟ ومن أين مطعمك ومشربك؟

فقالت: يا أميرالمؤمنين! من أربعمائة سنة أنا في هذه البريّة، ومطعمي ومشربي إذا جعلت فأُصلّي عليكم فأُشبع، وإذا عطشت فأدعوا على ظالميكم فأُروى.

قلت: يا أميرالمؤمنين ـ صلوات الله عليك ـ! هذا شيء عجيب، ما أُعطي منطق الطير إلّا سليمان بن داود عليه السلام.

قال: يا سلمان! أما علمت أنا أعطيت سليمان ذلك؟! يا سلمان! أتريد أن أُريك شيئاً أعجب

---

١. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ١٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ١٩٢.

٢. بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٣٨٤.

من هذا؟

قلت: بلى يا أمير المؤمنين ويا خليفة رسول ربّ العالمين.

قال: فرفع رأسه إلى الهواء قال: يا طاوس! إهبط، فهبط. ثمّ قال: يا صقر! إهبط، فهبط. ثمّ قال: يا باز! إهبط، فهبط. ثمّ قال: يا غراب! إهبط، فهبط.

ثمّ قال: يا سلمان! إذبحهم وانتف ريشهم وقطّعهم إرباً إرباً واخلط لحومهم.

ففعلت كما أمرني مولاي وتحيّرت في أمره، ثمّ التفت إليّ وقال: ما تقول؟

فقلت: يا مولاي! أطيار تطير في الهواء ولم أعرف لهم ذنباً أمرتني بذبحها.

قال: يا سلمان! أتريد أن أُحييها الساعة؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين!

فنظر إليها شزراً فقال: طيري بقدرة الله.

فطارت الطيور جميعاً بإذن الله.

قال: فتعجّبت من ذلك وقلت: يا مولاي! هذا أمر عجيب عظيم.

قال: لا تعجب من أمر الله، فإنّه قادر على ما يشاء، فعّالٌ لما يريد.

يا سلمان! إيّاك أن تحول بوهمك شيئاً، أنا عبد الله وخليفته، أمري أمره، ونهي نهيه، وقدرتي قدرته، وقوّتي قوّته.

الرابع عشر: السيّد المرتضى في «عيون المعجزات» قال: «حدّثني أبو التحف، قال: حدّثني سعيد بن مرّة، يرفعه برجاله إلى عمّار بن ياسر ـ رفع الله درجته ـ أنّه كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً في دار القضاء، فنهض إليه رجلٌ يقال له: «صفوان ابن الأكحل» وقال: أنا رجل من شيعتك وعليّ ذنوب وأُريد أن تطهّرني منها في الدنيا لأرتحل إلى الآخرة وما عليّ ذنبٌ.

فقال عليه السلام: قل لي بأعظم ذنوبك ما هي؟

فقال: أنا ألوط الصبيان.

فقال عليه السلام: أيما أحبّ إليك: ضربة بذي الفقار، أو أقلب عليك جدار، أو أضرم لك ناراً؟

فإنّ ذلك جزاء من ارتكب ما ارتكبته.

فقال: يا مولاي! أحرقني بالنار.

فقال: يا عمّار بن ياسر! أجمع ألف حزمة من قصب، فأنا أضرمه غداً بالنار. وقال للرجل: إمض وأوص.

قال: فمضى الرجل وأوصى بما له وعليه وقسّم أمواله بين أولاده، وأعطى كلّ ذي حقٍّ حقّه، ثمّ أتى باب حجرة أميرالمؤمنين عليه السلام [في] بيت نوح شرقيّ [جامع] الكوفة، فلمّا صلّى أميرالمؤمنين عليه السلام قال: يا عمّار! ناد في الكوفة: أُخرجوا وانظروا [حكم أميرالمؤمنين عليه السلام.

فقال جماعة منهم] كيف يحرق عليّ رجلاً من شيعته بالنار.

فقال: أهل الكوفة، قالوا: إنّ شيعة عليّ ومحبّيه لا تأكلهم النار وهذا رجل من شيعته يحرقه بالنار بطلت إمامته.

فسمع أميرالمؤمنين عليه السلام ذلك، قال عمّار: فأخرج الإمام الرجل وبنى عليه ألف حزمة من القصب، وأعطاه مقدحة من الكبريت وقال له: إقدح واحرق نفسك، فإن كنت من شيعة عليّ وعارفيه ماتمسّك النار، وإن كنت من المخالفين المكذّبين فالنار تأكل لحمك وتكسر عظمك.

قال: فقدح الرجل على نفسه واحترق القصب وكان على الرجل ثياب كتّان بيض لم تعلّقها النار ولم يقربها الدخان، فاستفتح الإمام عليه السلام وقال: كذب العادلون وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً.

ثمّ قال: أنا قسيم الجنّة والنار، شهد لي بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواطن كثيرة»[1].

وفيه قال عمّار بن ثعلبة:

عـــليٌّ حُـــبّه جُـنّة　　　قسيم النـار والجَـنّة
وصـيّ المصطفى حـقّاً　　　إمـام الإنس والجِـنّة[2]

الخامس عشر: السيّد المرتضى رحمه الله قال: في كتاب «الأنوار» تأليف أبي علي الحسن بن

---

١. الفضائل، ص ٧٤.

٢. المناقب، ج ٢، ص ١٦٠.

همام: حدّث العبّاس بن الفضل قال: حدّثني موسى بن عطيّة الأنصاريّ قال: حدّثنا حسان بن أحمد الأزرق، عن أبي الأعوض، عن أبيه، عن عمّار الساباطيّ قال: «قدم أميرالمؤمنين عليه السلام المدائن، فنزل بإيوان كسرى وكان معه «دلف» منجّم كسرى، فلمّا ظلّ الزوال قال لدف: قم معي.

وكان معه جماعة من أهل ساباط، فما زال يطوف في مكان كسرى ويقول لدلف: كان لكسرى هذا المكان لكذا وكذا.

فيقول دلف: هو والله! كذلك.

فما زال على ذلك حتّى طاف المواضع بجميع ما كانوا معه ودلف يقول: هو والله! يا سيّدي ومولاي! كأنّك وضعت هذه الأشياء في هذه الأمكنة.

ثمّ نظر عليه السلام إلى جمجمة نخرة، فقال لبعض أصحابه: خذ هذه الجمجمة.

وكانت مطروحة وجاء عليه السلام إلى الإيوان وجلس فيه ودعا بطست وصبّ فيه ماء وقال له: دع هذه الجمجمة في الطّست.

ثمّ قال: أقسمت عليك يا جمجمة! أخبرني من أنا ومن أنت؟

فنطقت الجمجمة بلسان فصيح وقالت: أمّا أنت، فأميرالمؤمنين وسيّد الوصيّين، وأمّا أنا، فعبد الله وابن أمة الله كسرى أنوشيروان.

فانصرف القوم الّذين كانوا معه من أهل ساباط إلى أهاليهم وأخبروهم بما كان وبما سمعوه من الجمجمة، فاضطربوا واختلفوا في معنى أميرالمؤمنين وحضروه وقال بعضهم: أفسد هؤلاء قلوبنا بما أخبروه عنك. وقال بعضهم فيه مثل ما قال النصارى في المسيح، ومثل ما قال عبدالله بن سبأ وأصحابه، فإن تركتهم على هذا كفر الناس.

فلمّا سمع ذلك منهم قال لهم: ما تحبّون أن أصنع بهم؟

قال: تحرقهم بالنار، كما حرقت عبدالله بن سبأ وأصحابه.

فأحضرهم وقال: ما حملكم على ما قلتم؟

قالوا: سمعنا كلام الجمجمة النخرة ومخاطبتها إيّاك، ولا يجوز ذلك إلّا لله تعالى، فمن ذلك

قلنا ما قلنا.

فقال: إرجعوا عن كلامكم وتوبوا إلى الله.

فقالوا: ما كنّا نرجع عن قولنا، فاصنع بنا ما أنت صانع.

فأمره عليه السلام أن تضرم لهم النار فحرقهم، فلمّا احترقوا قال: أسحقوهم واذروهم في الريح.

فسحقوهم وذرؤوهم في الريح. فلمّا كان اليوم الثالث من إحراقهم دخل إليه أهل ساباط وقالوا: الله الله! في دين محمّد، إنّ الّذين أحرقتهم بالنار قد رجعوا إلى منازلهم أحسن ما كانوا.

فقال: قد احترقتموهم بالنار وسحقتموهم وذريتموهم في الريح؟

قالوا: بلى.

قال عليه السلام: أحرقتهم، والله أحياهم.

فانصرف أهل ساباط متحيّرين»[1] ومثل ما قال عبدالله بن سبأ وأصحابه، فيعذّبهم ما فعل عبدالله بن سبأ وانتهى أمره إلى ما انتهى إليه أمر عبدالله بن سبأ وأصحابه إلى ما اخترعهم.

والشيخ البرسيّ[2] روى هذا الحديث... إلى أن قال: «ثمّ نظر ـ صلوات الله عليه ـ بجمجمة نخرة، فقال لبعض أصحابه: خذ هذه الجمجمة.

ثمّ جاء الإيوان وجلس فيه ودعا بطست فيه ماء، فقال للرجل: دع هذه الجمجمة في الطست.

ثمّ قال: أقسمت عليك يا جمجمة! لتخبرنّي من أنا ومن أنت؟

فقالت الجمجمة بلسان فصيح: أمّا أنت، فأمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وإمام المتّقين، وأمّا أنا، فعبدك وابن أمتك كسرى أنوشيروان.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كيف حالك على دين المجوس؟

فقال: يا أمير المؤمنين! إنّي كنت ملكاً عادلاً شفيقاً على الرعايا رحيماً، لا أرضى بظلم

---

١. الفضائل، ص ٧٠؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٢١٣.

٢. مشارق انوار اليقين، ص ٨٥.

ولكن كنت على دين المجوس وقد ولد محمّد ﷺ في زمان ملكي، فسقط من شرفات قصري ثلاثة وعشرين شرفة لتولّده، فهممت [أن] أؤمن به من كثرة ما سمعت من الزيادة من أنواع شرفه وفضله ومرتبته وعزّه في السماوات والأرض، ومن شرف أهل بيته، و[لكنّي] تغافلت عن ذلك وتشاغلت عنه في الملك، فيالها من نعمة ومنزلة ذهبت منّي حيث لم أؤمن به، فأنا محروم الجنّة، لعدم إيماني به، ولكنّي مع هذا الكفر خلّصني الله من عذاب النار ببركة عدلي وإنصافي بين الرعيّة، فأنا في النار محرّمة عليّ، فواحسرتاه! لو آمنت به لكنت معك يا سيّد أهل بيت محمّد ﷺ ويا أميرالمؤمنين!

قال: فبكى الناس، وانصرف القوم الّذين كانوا معه من أهل ساباط إلى أهلهم وأخبروهم بما كان وبما جرى من الجمجمة، فاضطربوا واختلفوا في معنى أميرالمؤمنين، فقال المخلصون منهم: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام عبد الله ووليّه ووصيّ رسول الله ﷺ.

وقال بعضهم: هو النبيّ.

وقال بعضهم: هو الربّ، هو مثل عبدالله بن سبأ وأصحابه، وقالوا: إنّه الربّ وإلّا كيف يحيى الموتى؟!

فسمع بذلك أميرالمؤمنين عليه السلام، فضاق صدره، وأحضرهم وقال: يا قوم! غلب عليكم الشيطان واستحوذ عليكم، إن أنا إلّا عبدٌ أنعم الله عليّ بإمامته وولايته ووصيّة رسول الله ﷺ والأمانة من قبل، فارجعوا عن الكفر فأنا عبد الله وابن عبده، ومحمّد ﷺ خير منّي وهو أيضاً عبد الله، وإن نحن إلّا بشرٌ مثلكم.

فخرج بعضهم عن الكفر، وبقي قوم على الكفر ما رجعوا، فألحّ عليهم أميرالمؤمنين عليه السلام بالرجوع، فما رجعوا، فأحرقهم بالنار، وتفرّق منهم في البلاد قوم وقالوا: لولا أنّ أميرالمؤمنين فيه الربوبيّة وإلّا فما كان النار أحرقنا. فنعوذ بالله من الخذلان»[١].

سادس عشرها: ما اشتملت على معجزات عديدة وكرامات كثيرة، منها إحياء الأموات، ما روي في تفسير الإمام أبو محمّد العسكريّ عليه السلام قال:

---

١. نفسه.

«ما أظهر الله عزّ وجلّ لنبيّ تقدّم آية إلّا وقد جعل لمحمّد ﷺ وعليٍّ عليه السلام مثلها وأعظم منها.

قيل: يابن رسول الله! وأيّ شيء جعل لمحمّدٍ وعليّ ما يعدل آيات عيسى: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإنباء بما يأكلون وما يدّخرون؟

قال عليه السلام: [إنّ] رسول الله ﷺ كان يمشي بمكّة وأخوه عليّ عليه السلام يمشي معه، وعمّه أبولهب يمشي خلفه يرمي عقبه بالأحجار وقد أدماه، ينادي: معاشر قريش! هذا ساحر كذّاب، فاقذفوه واهجروه واجتنبوه، وخدش عليه أوباش قريش فيتبعونهما يدمونهما، فما منها حجر أصابه إلّا أصاب عليّاً عليه السلام.

فقال بعضهم: يا عليّ! ألست المتعصّب لمحمّدٍ ﷺ والمقاتل عنه والشجاع الّذي لا نظير لك مع حداثة سنّك وإنّك لم تشاهد الحروب، ما بالك لاتنصر محمّداً فلا تدفع عنه؟

فناداهم عليٌّ عليه السلام: معاشر أوباش قريش! لا أُطيع محمّداً ﷺ بمعصيتي له أو أمرني لرأيتم العجب.

وما زالوا يتّبعونه حتّى خرج من مكّة، فأقبلت الأحجار على حالها تتدحرج، فقالوا: الآن نشرح هذه الأحجار محمّداً وعليّاً ونتخلّص منها، وتنحّت قريش عنه خوفاً على أنفسهم من تلك الأحجار، فرأوا تلك الأحجار قد أقبلت على محمّدٍ وعليّ كلّ حجر منها ينادي: السلام عليك يا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبدمناف، السلام عليك يا رسول ربّ العالمين وخير الخلق أجمعين، السلام عليك يا سيّد الوصيّين ويا خليفة رسول ربّ العالمين.

وسمعها جماعات قريش فوجموا. فقال عشرة من مردتهم [وعتاتهم]: ما هذه الأحجار تكلّمها، ولكنّهم رجال في حفرة بحضرة الأحجار وقد خبأهم محمّد تحت الأرض، فهي تكلّمها ليغرّنا ويختدعنا.

فأقبلت عند ذلك الأحجار عشرة من تلك الصخور وتحلّقت وارتفعت فوق العشرة المتكلّمين بهذا [الكلام]، فما زالت تقع بهاماتهم وترتفع وترضّضها حتّى ما بقي من العشرة

واحد إلّا سال دماغه ودماؤه من منخريه، وقد تخلخل رأسه وهامته ويافوخه.

فجاء أهلوهم وعشائرهم يبكون ويصيحون، يقولون: أشدّ من مصائبنا بهؤلاء تبجّج محمّد وتبذّحه بأنّهم قتلوا بهذه الأحجار آية له و[دلالة و] معجزة.

فأنطق الله عزّ وجلّ جنائزهم: صدق محمّد وما كذب، وكذّبتم أنتم وما صدقتم. واضطربت الجنائز ورمت من عليها وسقطوا على الأرض ونادت: ما كنّا لننقاد ليحملوا علينا أعداء الله [إلى عذاب الله].

فقال أبو جهل لعنه الله: إنّما سحر محمّد هذه الجنائز كما سحر تلك الأحجار والجلاميد والصخور حتّى وجد منها من النطق ما وجد، فإن كانت قتلت هذه الأحجار هؤلاء لمحمّدٍ آية له وتصديقاً لقوله وتبييناً لأمره فقولوا له: يسأل من خلقهم أن يحييهم.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا أبا الحسن! قد سمعت اقتراح الجاهلين وهؤلاء عشرة قتلى، كم جرحت بهذه الأحجار الّتي رمانا بها القوم يا علي؟!

[قال عليّ عليه السلام:] جرحت أربع جراحات.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: وقد جرحت أنا ستّ جراحات، فليسأل كلّ واحد منّا ربّه أن يحيي من العشرة بعدد جراحاته.

فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله لستّة منهم فنشروا، ودعا على الأربعة عليّ عليه السلام فنشروا.

ثمّ نادى المحيون: معاشر الناس! إنّ لمحمّد وعليّ شأناً عظيماً في الممالك الّتي كنّا فيها.

قالوا: رأينا لمحمّدٍ مثالاً على سرير عند بيت المعمور وعند العرش، ولعليٍّ مثالاً عند بيت المعمور وعند الكرسيّ، وأملاك السماوات والحجب وأملاك العرش يحفون بهما ويعظّمونهما ويصلّون عليهما ويصدرون عن أوامرهما ويقسمون على الله بحوائجهم إذا سألوه بهما.

فآمن منهم سبعة وغلب الشقاء على الآخرين»[1]... إلى آخر الخبر وهو طويل.

هذه ستّة عشر من الروايات في إحياء أميرالمؤمنين عليه السلام الموتى، وإن أردت تمام الأربعين فيه عليه السلام لكانت موجودة في الأخبار ولكنّي أردت إكمال الأربعين بإحياء باقي الأئمّة عليهم السلام، لأنّ

---

١. تفسير الإمام، ص ٣٧٣؛ بحارالأنوار، ج ١٧، ص ٢٥٩.

نورهم وطينتهم وحكمتهم وإمامتهم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض.

سابع عشرها: من الحسن المجتبى عليه السلام: في «مدينة المعاجز» عن أبي جعفرٍ محمّد بن جرير الطبريّ الشيعيّ رحمه الله قال: «روى عليّ بن أبي حمزة، عن عليّ بن عمر، عن أبيه، عن جابر، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: جاء الناس إلى الحسن عليه السلام فقالوا له: أرنا ما عندك من عجائب أبيك الّتي كان يريناها.

قال عليه السلام: وتؤمنون بذلك؟

قال كلّهم: نعم نؤمن به والله!

قال: فأحيا لهم ميّتاً بإذن الله تعالى، فقالوا بأجمعهم: نشهد بأنّك ابن أميرالمؤمنين عليه السلام حقّاً وإنّه يرينا هذا كثيراً».

ثامن عشرها: ما رواه السيّد عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبدالعزيز، عن محمّد بن الفضل، عن أبي حمزة الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «قلت له: أسألك جعلت فداك! عن ثلاث خصال أنفي عنّي فيه التقيّة.

فقال: ذلك لك.

قلت: أسألك عن فلان وفلان؟

فقال: عليهما لعنة الله بلعائنه كلّها، ماتا والله! وهما كافران مشركان بالله العظيم.

ثمّ قلت: الأئمّة يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء؟

فقال عليه السلام: ما أعطى الله نبيّاً شيئاً إلّا وقد أعطاه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم، وأعطاه ما لم يكن عندهم، فكلّ ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أعطاه أميرالمؤمنين، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين عليهما السلام، ثمّ من بعده كلّ إمام إلى الآخر إلى يوم القيامة مع زيادة الّتي تحدث في كلّ سنة وكلّ شهر وفي كلّ ساعة»[١].

تاسع عشرها: ما رواه السيّد عن الشيخ الفاضل التقيّ الزاهد الشيخ فخرالدين النجفيّ رأيته بالنجف ولي منه إجازة قال: «روي أنّ رجلاً مؤمناً من أكابر بلخ كان يحجّ بيت الله

---

١. بصائر الدرجات، ص ٢٦٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٢٩.

الحرام ويزور قبر النبيّ ﷺ في أكثر الأعوام، وكان يأتي إلى عليّ بن الحسين عليه السلام ويزوره ويحمل إليه الهدايا والتحف، ويأخذ مصالح دينه منه، ثمّ يرجع إلى بلاده.

فقالت له زوجته: أراك تهدي تحفاً كثيرة ولا أراه يجازيك عنها!

فقال: إنّ هذا الرجل الّذي نهدي إليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة وجميع ما في أيدي الناس تحف ملكه، لأنّه خليفة الله في أرضه وحجّته على عباده، وهو ابن رسول الله ﷺ وهو إمامنا ومولانا ومقتدانا.

فلمّا سمعت ذلك منه أمسكت عن ملامته.

قال: ثمّ إنّ الرجل تهيّأ للحجّ مرّةً أُخرى في سنة قابلة وقصد دار عليّ بن الحسين عليه السلام، فاستأذن عليه بالدخول، فأذن له ودخل وسلّم عليه وقبّل يديه ووجد بين يديه طعاماً، فقرّبه إليه وأمره بالأكل معه، فأكل الرجل حسب كفايته، ثمّ استدعى بطست وإبريق فيه ماء. فقام الرجل وأخذ الإبريق وصبّ الماء على يد الإمام.

فقال الإمام: يا شيخ! أنت ضيفنا فكيف تصبّ على يدي الماء؟!

فقال: إنّي أُحبّ ذلك.

فقال الإمام عليه السلام: حيث إنّك أحببت ذلك، فوالله! لأُريك ما تحبّ وترضى وتقرّ به عينيك.

فصبّ الرجل الماء على يديه حتّى امتلأ ثلث الطست، فقال الإمام للرجل: ما هذا؟

قال: ماء.

فقال الإمام: بل ياقوت أحمر.

فنظر الرجل إليه، فإذا هو قد صار ياقوتاً أحمراً بإذن الله تعالى.

ثمّ قال الإمام: يا رجل! صبّ الماء أيضاً، فصبّ على يده الماء حتّى امتلأ ثلثا الطست، فقال له: ما هذا؟

قال: هذا ماء.

فقال الإمام: بل هو زمرّد أخضر.

ثمّ قال الإمام أيضاً: صبّ الماء يا رجل!

فصبّ الماء على يدي الإمام حتّى امتلأ الطست، فقال للرجل: ما هذا؟

فقال: ماء.

قال: بل هو درٌّ أبيض.

فنظر الرجل، فإذا هو درٌّ أبيض بإذن الله، وجاء الطست ملئآناً من ثلاثة ألوان: درّ، ياقوت وزمرّد. فتعجّب الرجل غاية التعجّب وانكبّ على يدي الإمام يقبّلهما.

فقال الإمام: يا شيخ! لم يكن عندنا شيء نكافيك على هداياك إلينا، فخذ هذه الجواهر، فإنّها عوض هداياك إلينا واعتذر لنا عند زوجتك، لأنّها عتبت علينا.

فأطرق الرجل رأسه خجلاً وقال: يا سيّدي! ومن أنبأك بكلام زوجتي؟ فلاشكّ إنّك من أهل بيت النبوّة.

[ثمّ إنّ الرجل ودّع الإمام عليه السلام وأخذ الجواهر وسار بها إلى زوجته وحدّثها بالقصّة.

فقالت: ومن أعلمه بما قلت؟

فقال: ألم أقل لك إنّه من بيت][1] العلم والآيات الباهرات.

فسجدت لله شكراً وأقسمت على بعلها بالله العظيم أن يحملها معه إلى زيارته والنظر إلى طلعته.

فلمّا تجهّز بعلها للحجّ في السنة القابلة أخذها معه، فمرضت المرأة في الطريق وماتت قريباً من مدينة الرسول، فجاء الرجل إلى الإمام عليه السلام باكياً حزيناً وأخبره بموت زوجته وإنّها كانت قاصدة إلى زيارته وزيارة جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فقام الإمام وصلّى ركعتين ودعا الله عزّ وجلّ بدعوات لم تحجب عن ربّ السماوات، ثمّ التفت للرجل فقال له: قم وارجع إلى زوجتك، فإنّ الله قد أحياها بقدرته وحكمته وهو يحيي العظام وهي رميم.

فقام الرجل مسرعاً وهو فرح مصدّقٌ مكذّبٌ، فدخل إلى خيمته، فرأى زوجته جالسة في الخيمة على حال الصحّة، فزاد سروره واعتقد ضميره، وقال لها: كيف أحياك الله؟

---

١. أثبتناه من المصدر.

فقالت: والله! لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي وهمّ أن يُصعد بها، وإذا برجل صفته كذا وكذا، وجعلت تعدّ أوصافه الشريفة وبعلها يقول: نعم صدقت، هذه صفة سيّدي ومولاي عليّ بن الحسين عليهما السلام.

قالت: فلمّا رآه ملك الموت مقبلاً انكبّ على قدميه يقبّلها ويقول: السلام عليك يا حجّة الله في أرضه، السلام عليك يا زين العابدين.

فردّ عليه السلام، فقال له: يا ملك الموت! أعد روح هذه المرأة إلى جسدها، فإنّها قاصدة إلينا، فإنّي قد سألت الله ربّي أن يبقيها ثلاثين سنة أُخرى ويحييها حياة طيّبة لقدومها إلينا زائرة لنا، فإنّ للزائر علينا حقّاً واجباً.

فقال له ملك الموت: حبّاً وطاعة لك يا وليّ الله!

ثمّ أعاد روحي إلى صدري وأنا أنظر إلى ملك الموت قد قبّل يده الشريفة وخرج عنّي.

فأخذ الرجل بيد زوجته وأتى بها إلى مجلس الإمام عليه السلام وهو بين أصحابه، وانكبّت على ركبتيه تقبّلها وهي تقول: والله! هذا سيّدي ومولاي، هذا الّذي أحياني الله ببركته ودعائه.

قال: ولم تزل المرأة مع بعلها مجاورين عند الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام بقيّة أعمارهما بعيشة طيّبة في البلد الطيّبة إلى أن ماتا رحمة الله عليهما»[١].

العشرون: ما رواه السيّد عن «ثاقب المناقب» عن ثابت بن دينار، عن ثور بن سعيد، عن غلافة، قال: دخل محمّد بن الحنفيّة على زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام، فرفع يده فلطمه ـ وهو في عينه صغير ـ ثمّ قال: أنت الّذي تدّعي الإمامة؟

فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: اتّق الله! ولا تدّعين ما ليس لك.

فقال: هي والله! لي.

فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: قم بنا نأتي المقابر حتّى يستبين لي ولك.

فذهبا حتّى انتهيا إلى قبر طريّ، فقال عليه السلام [له]: هذا ميّت قريب العهد بالموت، فادعه وسله عن خبرك، فإن كنت إماماً أجابك وإلّا دعوته فأخبرني.

---

١. بحارالأنوار، ج ٦٤، ص ٤٧.

فقال له: [أو] تفعل ذلك؟

فقال: نعم.

فقال له محمّد بن الحنفيّة: فلا أستطيع أن أفعل ذلك.

قال: فدعا الله تعالى عليّ بن الحسين عليهما السلام بما أراد، ثمّ دعا صاحب القبر فخرج ينفض التراب من رأسه وهو يقول: الحقّ لعليّ بن الحسين عليهما السلام دونك.

قال: فأقبل محمّد بن الحنفيّة وانكبّ على رجل عليّ بن الحسين عليهما السلام يقبّلها ويلوذ به ويقول له: استغفر لي، الحديث[1].

الحادي والعشرون: ما ذكره السيّد فيه: قال الشيخ في أماليه، قال: «قرأ عليّ أبو القاسم بن شبل بن أسد الوكيل وأنا أسمع في منزله ببغداد في الربض بباب محول في سفر سنة ستّة عشر وأربعمائة ـ وساق السند مؤرّخاً إلى محمّد بن سليمان عن أبيه ـ قال: كان رجل من أهل الشام يختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وكان مركزه بالمدينة، يختلف إلى مجلس أبي جعفر عليه السلام يقول له: لا ترى إنّي إنّما أغشي مجلسك حبّاً منّي لك، ولا أقول إنّ أحداً في الأرض أبغض إليّ منكم أهل البيت، وأعلم أنّ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أميرالمؤمنين عليه السلام في بغضكم، ولكن أراك رجلاً فصيحاً لك أدب وحسن لفظ، وإنّما اختلافي إليك لحسن أدبك.

وكان أبو جعفر عليه السلام يقول له خيراً ويقول: لن تخفى على الله خافية.

فلم يلبث الشاميّ إلّا قليلاً حتّى مرض واشتدّ وجعه، فلمّا ثقل دعا وليّه وقال له: إذا أنت مددت عليّ الثوب فأت محمّد بن عليٍّ وسله أن يصلّي عليّ وأعلمه إنّي أنا الّذي أمرتك بذلك.

قال: فلمّا أن كان في نصف الليل ظنّوا أنّه قد برد، وسجّوه، فلمّا أن أصبح الناس فخرج وليّه إلى المسجد، فلمّا أن صلّى محمّد بن عليّ وتورّك، وكان إذا صلّى عقّب في مجلسه، قال له: يا أبا جعفر! إنّ فلاناً الشاميّ قد هلك وهو يسألك أن تصلّي عليه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: كلّا، إنّ بلاد الشام بلاد صرد[2]، والحجاز بلاد حرّ

---

١. الثاقب في المناقب: ص ٣٥١.

٢. في المصدر: بلاد صرّ. (الصرّ: البرد الشديد).

ولحمها[١] شديد، فانطلق فلا تعجلنّ على صاحبك حتّى آتيكم.

ثمّ قام من مجلسه فأخذ وضوءاً ثمّ عاد فصلّى ركعتين، ثمّ مدّ يده تلقاءً وجهه ما شاء الله، ثمّ خرّ ساجداً حتّى طلعت الشمس، ثمّ نهض فانتهى إلى منزل الشاميّ فدخل عليه، فدعاه فأجابه، ثمّ أجلسه فسنّده، ثمّ أتى له بسويق فسقاه وقال لأهله: املئوا جوفه وبرّدوا صدره بالطعام البارد، ثمّ انصرف.

فلم يلبث حتّى عوفي الشاميّ، فأتى أبا جعفر عليه السلام فقال: أخلني، فأخلاه، ثمّ قال: أشهد أنّك حجّة الله على خلقه، وبابه الّذي يُؤتى منه؛ فمن أتى غيرك خاب وخسر وضلّ ضلالاً بعيداً.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: وما بدا لك؟

قال: أشهد أنّي عهدت بروحي وعاينت بعيني، فلم يتفاجأني إلّا ومنادٍ يناديني ـ أسمعه بأُذني ـ ينادي وما أنا بالنائم: ردّوا عليه روحه، فقد سألنا ذلك محمّد بن عليٍّ.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أما علمت أنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله، ويبغض العبد ويحبّ عمله؟!

قال: فصار بعد ذلك من أصحاب أبي جعفرٍ عليه السلام»[٢].

الثاني والعشرون: قال السيّد فيه: الحضينيّ بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفيّ، عن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام قال: خرجنا معه من مكّة في عدّة من أصحابنا، فبينا نحن نسير ونحن معه إذ وقف على رجل قد نفق حماره وبيده رحله، فقال له الرجل: يابن رسول الله! أُدع الله أن يحيي لي حماري فقد قطع بي.

قال جابر: فحرّك أبو جعفر عليه السلام شفتيه بما لم يسمعه أحد منه، فإذا نحن بالحمار قد انتفض، فأخذه صاحبه وحمل عليه رحله وسار معنا حتّى دخل مكّة، انتهى[٣].

---

١. في البحار: ولهبها.

٢. الأمالي للطوسي، ص ٤١٠؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٣٣.

٣. مدينة المعاجز: ج ٣، ص ١٩٢.

الثالث والعشرون: فيه عن «ثاقب المناقب» عن المفضّل بن عمر: «بينما أبو جعفر سائر من مكّة إلى المدينة إذ انتهى إلى جماعة على الطريق، فإذا رجل منهم قد نفق حماره وتبدّد متاعه وهو يبكي، فلمّا رأى أبو جعفر عليه السلام أقبل إليه وقال: يابن رسول الله! نفق حماري.

فدعا أبو جعفر عليه السلام فأحيا الله حماره.

ورواه ابن شهرآشوب في «المناقب»[1].

الرابع والعشرون: فيه: ابن شهرآشوب قال: «سمعت شيخي أبا جعفر محمّد ابن الحسين الشوهانيّ رحمه الله بمشهد الرضا عليه السلام في داره وهو يقرأ في كتابه ـ وقد ذهب عنّي باسم الراوي ـ: أنّ فتى من أهل الشام كان يكثر الجلوس عند أبي جعفر عليه السلام، فقال ذات يوم: والله! ما أجلس إليك حبّاً لك، بل أجلس إليك لفصاحتك وفضلك.

فتبسّم عليه السلام ولم يقل شيئاً، ثمّ فقد ذلك بأيّام، فسأل عنه، فقيل له: مريض.

فدخل عليه إنسان وقال له: يابن رسول الله! إنّ الفتى الشاميّ الّذي كان يكثر الجلوس عندك قد توفّي وأوصى إليك أن تصلّي عليه.

فقال عليه السلام: إذا غسّلتموه فدعوه على السرير ولا تكسوه.

ثمّ قام فتطهّر وصلّى ركعتين ودعا وسجد بعده فأطال السجود، ثمّ قام فلبس نعليه وتردّى برداء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلمّا وصل ودخل البيت الّذي يغسل فيه وهو على سريره قد فرغ من غسله، ناداه باسمه، فقال: يا فلان!

فأجابه ولبّاه ثمّ رفع رأسه وجلس.

فدعا عليه السلام بشربة سويق، ثمّ سأله: مالك؟

فقال: قد قبض روحي بلا شكٍّ منّي، وإنّي لمّا قبضت سمعت صوتاً ما سمعت قطّ أطيب منه: ردّوا إليه روحه فإنّ محمّد بن عليّ قد سألناه[2].

---

١. الثاقب في المناقب، ص ٣٦٩؛ المناقب، ج ٤، ص ١٨٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٦٠؛ مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١٩٤.

٢. مدينة المعاجز: ج ٣، ص ١٩٤.

أقول: قد مضى هذا الخبر بتغيير يسير، فلعلّ الواقعة واحدة.

الخامس والعشرون: ما رواه فيه عن «ثاقب المناقب» عن محمّد بن مسلم، عن أبي عيينة قال: «إنّ رجلاً جاء إلى أبي جعفرٍ عليه السلام وقال: أنا رجل من أهل الشام، لم أزل والله! أتولّاكم أهل البيت وأبرأ من أعدائكم، وإنّ أبي ـ لا رحمه الله ـ كان يتولّى بني أُميّة ويفضّلهم عليكم، وكنت أبغضه على ذلك ويبغضني على حبّكم ويحرمني ماله، ويجفوني في حياته وبعد وفاته، وقد كان له مال كثير ولم يكن له ولد غيري، وكان مسكنه بالرملة، وكان له كنيسة يخلو فيها بنفسه، فلمّا مات طلبت ماله في كلّ موضع فلم أظفر به، ولست أشكّ أنّه دفنه في موضع وأخذه منّي، لا رضي الله عنه.

قال أبو جعفر عليه السلام: أتحبّ أن تراه وتسأله أين موضع ماله؟

فقال الرجل: نعم، فإنّي فقير محتاج.

فكتب أبو جعفر عليه السلام كتاباً بيده في رقٍّ أبيض، ثمّ ختمه بخاتم وقال: إذهب بهذا الكتاب إلى البقيع حتّى تتوسّطه، ثمّ تنادي: يا درجان! فإنّه سيأتيك رجل معمّم، فادفع إليه كتابي وقل له: أنا رسول محمّد بن عليّ بن الحسين زين العابدين عليهم السلام، واسأله عمّا بدا لك.

قال: فأخذه الرجل وانطلق، فلمّا كان من اليوم الغد أتيت أبا جعفر عليه السلام متعمّداً لأنظر ما حال الرجل، فإذا هو على باب أبي جعفر عليه السلام ينتظر حتّى يأذن له، فدخلنا عليه.

فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وعند من يضع علمه، قد انطلقت بكتابك الليلة حتّى توسّطت البقيع فناديت درجان، فأتاني رجل معمّم، فقال: أنا درجان، فما حاجتك؟

فقلت: أنا رسول محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام، هذا كتابه.

فقال: مرحباً برسول حجّة الله على خلقه، وأخذ الكتاب وقرأ وقال: أتحبّ أن ترى أباك؟

قلت: نعم.

قال: فلا تبرح من موضعك حتّى آتيك به، فإنّه بضجنان.

فانطلق فلم يلبث إلّا قليلاً حتّى أتاني رجل أسود في عنقه حبل أسود، فقال: هذا أبوك و[قد] غيّره اللهب ودخان الجحيم وجرع الحميم والعذاب الأليم.

فقلت: أنت أبي؟

قال: نعم.

قلت: ما غيّرك عن صورتك؟

قال: إنّي كنت أتولّى بني أُميّة وأُفضّلهم على أهل بيت رسول الله، فعذّبني الله على ذلك، وأنت تتولّى أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكنت أُبغضك على ذلك وحرمتك مالي وزويته عنك وأنا اليوم على ذلك من النادمين، فانطلق إلى كنيستي واحتفر تحت الزيتونة وخذ المال وهو مائة وألف خمسون ألفاً، فادفع إلى محمّد بن عليّ خمسين ألفاً، ولك الباقي.

قال: فإنّي منطلقٌ حتّى أجيء بالمال.

قال أبو عبدالله[1]: فلمّا حال الحول، قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: ما فعل الرجل؟

قال: قد جاء بالخمسين ألفاً، قضيت منها ديناً كان علينا، وابتعت منها أرضاً، ووصلت منها أهل الحاجة من أهل بيتي، إنّ ذلك ينفع الميّت النادم على ما فرّط في حبّنا وضيّع من حقّنا بما أدخل عليّ من الترفّه والسرور»[2].

وقال السيّد رحمه الله: ورواه ابن الفارسيّ في «روضة الواعظين» عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ رجلاً جاء إلى أبي جعفرٍ عليه السلام»[3]، وذكر الحديث.

ورواه أيضاً ابن شهرآشوب في «المناقب» عن ابن عيينة وأبي عبدالله «أنّ موحّداً أتى الباقر عليه السلام وشكى من أبيه ونصبه وفسقه وإنّه أخفى ماله عند موته.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أفتحبّ أن تراه وتسأله عن ماله؟

---

١. في الثاقب في المناقب: قال أبو عيينة.

٢. مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١٩٥؛ الثاقب في المناقب، ص ٢٧١؛ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

٣. روضة الواعظين، ج ١، ص ٢٠٥؛ مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١٩٦.

فقال الرجل: نعم وإنّي محتاجٌ فقير»[١]، وذكر الحديث.

وفي رواية ابن الفارسيّ: «وكان مسكنه بالرملة وله جنّة يخلو فيها بنفسه.

وفي آخر الحديث: فأنا اليوم على ذلك من النادمين، فانطلق إلى جنّتي فاحتفر تحت الزيتونة وخذ المال وهو مائة وخمسون ألفاً، فادفع إلى محمّد بن عليّ خمسين ألفاً ولك الباقي.

قال أبو عيينة: فلمّا كان الحول، وذكر الحديث مع تغيير يسير في رواية ابن شهرآشوب»[٢].

ورواه الراونديّ في «الخرائج والجرائح»[٣] عن ابن عيينة. فالحديث معتبر متكرّر النقل، مشهور عند أصحاب الحديث.

السادس والعشرون: فيما روي عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في هذا الباب، فروى السيّد عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبدالعزيز، عن جميل بن درّاج قال: «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخلت عليه امرأة فذكرت أنّها تركت ابنها وقالت: لفقته بالملحفة على وجهه ميّتاً.

قال لها: فلعلّه لم يمت، فقومي فاذهبي إلى بيتك واغتسلي وصلّي ركعتين واجزعي وقولي: يا من وهب لي ولم يك شيئاً جدّد [لي] هبت»، ثمّ حرّكيه ولا تخبري بذلك أحداً.

قال: ففعلت وجاءت وحرّكته فإذا هو قد بكى.

أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ قال: روى جميل بن درّاج قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخلت عليه امرأة فذكرت أنّها تركت ابنها وقد لفّته بالملحفة على وجهه ميّتاً»[٤]، إلى آخر الحديث.

---

١. مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١٩٦؛ المناقب، ج ٤، ص ١٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٦٧.

٢. مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١٩٦؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٢٠٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٤٥ مع اختلاف في النقل.

٣. مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١٩٦؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٩٧.

٤. بصائر الدرجات، ص ٢٧٢؛ المناقب، ج ٤، ص ٢٣٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٧٩؛ مدينة

ورواه عن صاحب «ثاقب المناقب» عن جميل بن درّاج مثله.

السابع والعشرون: ما رواه فيه عن الصفّار أيضاً إلى داود بن كثير الرقّيّ قال: «حجّ رجلاً من أصحابنا فدخل على أبي عبدالله عليه السلام فقال: فداك أبي وأُمّي! إنّ أهلي قد توفّيت وبقيت وحيداً.

فقال عليه السلام: أوكنت تحبّها؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: إرجع إلى منزلك، فإنّك تراها وهي تأكل.

قال: فلمّا رجعت من حجّتي رأيتها قاعدة وهي تأكل»[1].

أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ قال: روى عبدالله بن محمّد الحديث بعينه.

و«ثاقب المناقب» عن داود بن كثير الرقّيّ قال: حجّ رجل من أصحابنا، ونقل الحديث بتغيير يسير، وفي آخره: «وجدتها قاعدة تأكل وبين يديها طبق فيه تمر وزبيب»[2].

ابن شهرآشوب عن سعد القمّيّ في «بصائر الدرجات» عن داود الرقّيّ، وساق الحديث مثله[3]. فالخبر في غاية الاعتبار مثل الأوّل والسابق عليه.

الثامن والعشرون: عن «الثاقب في المناقب» قال: السيّد أبو هاشم إسماعيل بن محمّد الحميريّ قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام وقلت: يابن رسول الله! بلغني أنّك قلت فيّ أنّه ليس عليّ شيء، وأنا قد أفنيت عمري في محبّتكم وهجرت الناس فيكم [في كيت وكيت].

فقال: ألست قائلاً في محمّد بن الحنفيّة رحمه الله:

←المعاجز، ج ٣، ص ٢٩٨؛ الثاقب في المناقب، ص ٣٩٥، مع اختلاف يسير بين المصادر.

١. مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٢٩٩؛ المناقب، ج ٢، ص ٢٣٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٨٠.

٢. الثاقب في المناقب، ص ٣٩٦ و ٣٩٧؛ مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٢٩٩؛ المناقب، ج ٤، ص ٢٣٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٨٠.

٣. بصائر الدرجات، ص ٢٧٤.

حتّى متى؟ وإلى متى؟ وكم المدى؟   يابن الوصيّ وأنت حيٌّ تُرزقُ
تُثوىٰ برضوى لا تزال ولا تُرى   وبنا إليك من الصبابة أولق؟

وأنّ محمّد بن الحنفيّة قام بشعب الرضوى، أسد عن يمينه و[نمر] شماله، يُؤتى برزقه بكرة وعشيّة، ويحك! إنّ رسول الله ﷺ وعليّاً والحسن والحسين عليهما السلام كانوا خيراً منه، وقد ذاقوا الموت.

قال: فهل على ذلك من دليل؟

قال: نعم، إنّ أبي أخبرني أنّه كان قد صلّى عليه وحضر دفنه وأنا أُريك آية.

فأخذ بيده ومضى به إلى قبر وضرب بيده عليه، ودعا الله فانشقّ القبر عن رجل أبيض الرأس واللحية، فنفض التراب عن رأسه ووجهه ويقول: يا أبا هاشم! أتعرفني؟

قال: لا.

قال: أنا محمّد بن الحنفيّة، إنّ الإمام بعد الحسين [بن علي]، عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ هذا.

ثمّ أدخل رأسه في القبر وانضمّ [عليه] القبر.

وقال إسماعيل بن محمّد عند ذلك:

تجعفرت باسم الله والله أكبر   وأيقنت أنّ الله يعفو ويغفر
ودنت بدين غير ما كنت دائناً   به ونهاني واحد الناس جعفر
فقلت فهبني قد تهوّدت برهة   وإلّا فديني دين من يتنصر

ابن شهرآشوب عن داود الرقّيّ: بلغ السيّد الحميريّ، الحديث مع تغيير يسير في الألفاظ[1].

التاسع والعشرون: ما عن أبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ مُسنداً إلى جابر بن يزيد قال: «كنت مع أبي عبدالله عليه السلام جالساً إذ دخل عليه رجل من أهل خراسان، فقال له: جعلت فداك! إنّي قدمت أنا وأُمّي قاصدين لك وإنّ أُمّي ماتت دونك.

---

١. الثاقب في المناقب، ص ٣٩٥ و ٣٩٦؛ مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٣٠٠.

قال عليه السلام: إذهب فائت بأمّك.

قال جابر: فما رأيت أشدّ تسليماً منه، ما ردّ على أبي عبدالله عليه السلام حتّى مضى فجاء بأمّه، فلمّا رأت أبا عبدالله عليه السلام قالت: هذا الّذي أمر ملك الموت بتركي.

ثمّ قالت: يا سيّدي! أوصني.

قال: عليك بالبرّ للمؤمنين، فإنّ من الناس من يكون عمره ثلاثين سنة، فيكون بارّاً فيجعله ثلاثة وستّين سنة، وإنّ الإنسان يكون عمره ثلاثة وستّين سنة [فيكون] غير بارّ فبتر الله عمره فيجعله ثلاثين»[1].

الثلاثون: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ مسنداً إلى شيخ من أصحابنا قال: «إنّي لعند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه رجل فقال: جعلت فداك! إنّ أبي مات وكان من أنصب الناس، فبلغ من نصبه وعداوته أن كتم ماله عنّي في حياته وبعد وفاته، ولست أشكّ أنّه قد ترك مالاً كثيراً.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: أمّا أنت والله! مهنّئ لك، وإنّي أريد سفراً.

فقلت له: جعلت فداك! مالي لك.

فقال له: لا أدلّك، ولكن هيّيء لنا سفرة.

قال: وكان صاحب هذا الحديث يعرف بصاحب السفرة، فختم له أبو عبدالله عليه السلام خاتماً، فقال له: إذهب بهذا الخاتم إلى برهوت، فإنّ روحه صارت إلى برهوت، وسمّى له صاحب برهوت، ثمّ قال [له]: ناد صاحب برهوت باسمه، ثلاث مرّات، فإنّه يجيبك.

فأتى برهوت، فنادى صاحبه باسمه ثلاث مرّات، فأجابه في الثالثة: لبّيك، وظهر له، فناوله الطينة، فأخذها وقبّلها ووضعها على عينيه، ثمّ قال [له]: جئت من عند من فضّله الله وأمر بطاعته، ما حاجتك؟

قال الرجل: فأخبرته.

قال: إنّه يجيئك في غير صورته.

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٢٥؛ مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٣٠٤.

فتخيّل في صورة خبيثة فما شعرت إذ هو قد جاءني والسلاسل في عنقه، فقال: يا بنيّ! وبكى، فعرفته حين تكلّم.

قلت له: قد كنت أقول لك وأنهاك عمّا كنت فيه.

فقال لي: حصلت على الشقاء، ثمّ قال لي: ما حاجتك؟

قلت: المال الّذي خلّفته.

قال: في المسجد الّذي كنت تراني أُصلّي فيه، أُحفر حتّى تبلغ قدر ذراعين أو ثلاثة، فإنّ فيه أربعة آلاف دينار.

قلت له: لعلّك تكذبني.

فقال: هيهات! هيهات! لقد جئت من عند من ملّكه الله وأمره أعظم فيما تذهب إليه.

فقال الرجل: قال لي صاحب برهوت: أتوصيني بشيء؟

قلت: أُوصيك أن تضاعف عليه العذاب.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: أما لو رققت عليه لنفعه الله به وخفّف عنه العذاب»[1].

الحادي والثلاثون: الراونديّ قال: «إنّ عيسى بن حمدان قال: كان رجل من أهل خراسان من ماوراء النهر، وكان موسراً، وكان محبّاً لأهل البيت عليهم السلام، وكان يحجّ في كلّ سنة، وقد حلف على نفسه لأبي عبدالله عليه السلام في كلّ سنة ألف دينار من ماله، وكان تحته بنت عمّ له، وكانت في اليسارة والديانة مثله.

فقالت في بعض السنين: يابن عمّي! حجّ بي في العام.

فأجابها إلى ذلك. فتجهّزت للحجّ وحملت لعيال أبي عبدالله عليه السلام وبناته من فواخر ثياب خراسان ومن الجواهر وغيره أشياء كثيرة خطيرة، وأعدّ زوجها ألف دينار في كيسٍ بعادته لأبي عبدالله عليه السلام، وجعل الكيس في ربعة فيها حلي بنت عمّه وطيبه، وشخص يطلب المدينة.

فلمّا وردها صار إلى أبي عبدالله عليه السلام، فسلّم عليه عليه السلام وأعلمه أنّه حجّ بأهله وسأله الإذن لابنة عمّه في المصير إلى منزله للتسليم على أهله وبناته.

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٢٧.

فأذن لها بذلك وصارت إليهم وفرّقت عليهم ما حملت وأقامت عندهم يوماً وانصرفت.

فلمّا كان من الغد قال لها زوجها: أخرجي تلك الربعة أُسلّم الألف دينار إلى أبي عبدالله عليه السلام.

فقالت: هي في موضع كذا.

فأخذها وفتح القفل، فلم يجد الدنانير وكان فيها حليّها وثيابها. فاستقرض من أهل بلده ألف دينار ورهن الحليّ عندهم على ذلك وصار إلى أبي عبدالله عليه السلام، فقال له: تلك الألف وصل إلينا.

فقال: يا مولاي! وكيف ذلك وما علم بها غيري وابنة عمّي ؟!

فقال عليه السلام: مسّتنا ضيقة، فوجّهنا من أتى بها من شيعتي من الجنّ، فإنّي كُلّما أُريد أمراً بعجلة أبعث واحداً منهم في ذلك.

فزاد ذلك [في] بصيرة الرجل، وأعاد الذهب على أصحابه واسترجع الحليّ منهم، ثمّ انصرف إلى منزله، فوجد امرأته تجود بنفسها، فسأل عن خبرها.

فقالت خادمتها: أصابها وجع في فؤادها وهي في هذه الحالة، فغمّضها وسجّاها وشدّ حنكها وتقدّم في إصلاح ما تحتاج إليه من الكفن والكافور، وحفر قبرها، وجاء إلى أبي عبدالله عليه السلام فأخبره وسأله أن يتفضّل بالصلاة عليها.

فقام عليه السلام فصلّى ركعتين ودعا، ثمّ قال للرجل: إنصرف إلى أهلك، فإنّها لم تمت وستجدها في رحلك تأمر وتنهى.

قال: فمضيت وهي في حالة سلامة كما وصف أبو عبدالله عليه السلام، ثمّ خرجنا نريد مكّة وخرج أبو عبدالله عليه السلام أيضاً للحجّ، فبينما المرأة تطوف بالبيت إذ رأت أبا عبدالله عليه السلام يطوف والناس قد حفّوا به.

فقالت لزوجها [من هذا الرجل ؟

قال: هذا أبو عبدالله عليه السلام.

قالت: والله!]: هذا الرجل الّذي رأيته يشفع إلى الله تعالى حتّي ردّ روحي إلى

جسدي»[١].

الثاني والثلاثون: الراونديّ قال: إنّ صفوان بن يحيى قال: قال لي العبدي: قال أهلي لي: «قد طال عهدنا بالصادق عليه‌السلام فلو حججنا وجدّدنا له العهد.

فقلت لها: والله! ما عندي شيء أحجّ به.

فقالت: عندنا كسوة وحليّ، فبع ذلك وتجهّز به.

ففعلت، فلمّا صرنا قرب المدينة مرضت مرضاً شديداً فأشرفت على الموت، فلمّا دخلت المدينة وخرجت من عندنا وأنا آيسٌ منها، فأتيت الصادق عليه‌السلام وعليه ثوبان ممصّران، فسلّمت عليه، فأجابني وسألني عنها، فعرّفته خبرها وقلت: إنّي خرجت وقد أيست منها.

فأطرق مليّاً وقال: يا عبدي! أنت حزين بسببها؟

قلت: نعم.

قال: لا بأس عليها، فقد دعوت الله لها بالعافية، فارجع فإنّك تجدها قد أفاقت وهي قاعدة والجارية تلقمها الطبرزد.

قال: فرجعت إليها مبادراً، فوجدتها قد أفاقت [وهي قاعدة] والجارية تلقمها الطبرزد، فقلت: ما حالك؟

قالت: قد صبّ الله عليّ العافية صبّاً، وقد اشتهيت هذا السكّر.

فقلت: قد خرجت من عندك آيساً، فسألني الصادق عليه‌السلام عنك، فأخبرته بحالك.

فقال: لا بأس عليها، إرجع إليها وهي تأكل السكّر.

قالت: خرجت من عندي وأنا أجود بنفسي، فدخل عليّ رجل عليه ثوبان ممصران، قال: مالك؟

قلت: أنا ميّت وهذا ملك الموت جاء بقبض روحي.

فقال: يا ملك الموت!

قال: لبّيك أيّها الإمام!

---

١. الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٢٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ١٠٣.

قال: ألست أُمرت بالسمع والطاعة لنا؟

قال: بلى.

قال: فإنّي آمرك أن تؤخّر عنها أمرها عشرين سنة.

قال: السمع والطاعة.

قالت: فخرج هو وملك الموت من عندي، فأفقت من ساعتي»[١].

الثالث والثلاثون: «الثاقب [في] المناقب» قال: حدّث داود الرقّي قال: «كنت عند أبي‌عبدالله عليه‌السلام إذ دخل عليه شابّ يبكي وقال: نذرت أن أحجّ بأهلي، فلمّا وصلت المدينة ماتت.

قال عليه‌السلام: إذهب، فإنّها لم تمت.

قال: ماتت وسجّيتها.

قال: إذهب.

فخرج وذهب ورجع ضاحكاً وقال: دخلت عليها وهي جالسة.

قال: يا داود! أولم تؤمن؟

قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي.

فلمّا كان يوم التروية قال لي: يا داود! قد اشتقت إلى بيت ربّي.

فقلت: يا سيّدي! هذا عرفات.

قال: إذا صلّيت العشاء الآخرة فارحل لي ناقتي وشُدّ زمامها.

ففعلت وخرج وقرأ «قل هو الله أحد» و«يس» ثمّ استوى على ظهر ناقته وأردفني خلفه، فسرنا هوناً في الليل وفعل في مواضع ما كان ينبغي، [ثمّ قال: هذا بيت الله، ففعل ما كان ينبغي] فلمّا طلع الفجر قام فأذّن وأقام وأنا عن يمينه، فقرأ في أوّل ركعة الحمد والضحى، وفي الثانية الحمد و«قل هو الله أحد»، وقنّت وسلّم وجلس، فلمّا طلعت الشمس مرّ الشابّ

---

١. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٢٩٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ١١٥.

ومعه امرأته، فقالت: هذا الّذي شفع إلى الله في إحيائي»[١].

الرابع والثلاثون: البرسيّ بالإسناد يرفعه عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «مررت بامرأة تبكي بمنى وحولها صبيان يبكون، فقلت لها: يا أمة الله! ما يبكيك؟

قالت: يا عبد الله! إنّ لي صبية أيتاماً و[كانت] لي بقرة وقد ماتت، وقد كانت لنا كالأُمّ الشفيقة، نعمل عليها ونأكل منها وقد بقيت بعدها مقطوعاً بي وبأولادي لا حيلة لنا عليها.

فقال: يا أمة الله! أتحبّين أن أُحييها لك؟

فألهمها الله أن قالت: نعم يا عبد الله!

قال: فتنحّى عنها، وصلّى ركعتين ثمّ رفع يده هنيئة وحرّك شفتيه، ثمّ قام فمرّ بالبقرة فنخسها نخسة برجله وقال لها: قومي بإذن الله؛ فاستوت قائمة على الأرض.

فلمّا نظرت المرأة إلى البقرة [قد] قامت صاحت: واعجبا من ذلك! من تكون يا عبدالله؟

فجاء الناس فاختلط بينهم ومضى عليه السلام[٢].

الراونديّ قال: روي عن المفضّل بن عمر قال: كنت مع أبي عبدالله عليه السلام بمكّة ـ أو منى ـ إذ مررنا بامرأة، وساق الحديث بتغيير يسير إلى إحياء البقرة، فقالت: عيسى هو وربّ الكعبة، فدخل عليه السلام بين الناس ولم تعرفه»[٣].

الخامس والثلاثون: الراونديّ قال: روي عن يونس بن ظبيان قال: «كنت مع الصادق عليه السلام مع جماعة، فقلت: قول الله: ﴿ **فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ** ﴾[٤] أكانت أربعة من أجناس مختلفة أو من جنس واحد؟

فقال عليه السلام: أتحبّون أن أُريكم مثله؟

قلنا: بلى.

---

١. الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٢٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ١٠٤.

٢. مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٣٠٧.

٣. الفضائل، ص ١٧٣؛ مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٣٠٧ و ٣٠٨.

٤. البقرة: ٢٦٠.

قال: يا طاوس! فإذا طاوس طار إلى حضرته.

ثمّ قال: يا غراب! فإذا غراب بين يديه.

ثمّ قال: يا بازي! فإذا بازيّ بين يديه.

ثمّ قال: يا حمامة! فإذا حمامة بين يديه.

ثمّ أمر بذبحها كلّها وتقطيعها ونتف ريشها وأن يخلط ذلك كلّه بعضه ببعض، ثمّ أخذ برأس الطاوس فقال: يا طاوس!

فرأيت لحمه وعظامه وريشه يتميّز من غيرها حتّى التصق ذلك كلّه برأسه، وقام الطاوس بين يديه حيّاً.

ثمّ صاح بالغراب كذالك، وبالبازيّ كذلك، وبالحمامة كذلك، فقامت كلّها أحياء بين يديه»[١].

«الثاقب في المناقب» عن يونس بن ظبيان: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام والمفضّل ابن عمر وأبو سلمة السرّاج والحسين بن ثوير بن أبي فاختة، فسألنا أبا عبدالله عليه السلام عن قول إبراهيم: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ ؟

قال أبو عبدالله عليه السلام: أتريدون أن أُريكم ما أُري إبراهيم؟

فقلنا: نعم، وساق الحديث بتغيير يسير في آخره: قال أبو عبدالله عليه السلام: قد أُريكم ما أرى إبراهيم عليه السلام قومه وقد أُعطينا من الكرامة ما أُعطي إبراهيم عليه السلام[٢].

السادس والثلاثون: الراونديّ قال: إنّ أبا الصلت روى عن الرضا عليه السلام أنّه قال لي أبي موسى: «كنت جالساً عند أبي، إذ دخل عليه بعض أوليائنا، فقال: بالباب ركبٌ كثيرٌ يريدون الدخول عليك ـ وساق قصّة ملك الهند وإرساله بهدايا كثيرة وجارية جميلة مع أمين قد خانها في الطريق، فلم يأذن دخولها وبعد شفاعة بعض أوليائه أذن له وسلّم ـ وقال: لِمَ لم تأذن لي مدّة؟

---

١. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٢٩٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ١١١.

٢. مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٣٠٨.

فقال عليه السلام: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾[١]، وبعد قراءة الكتاب، قال له عليه السلام: قد خُنْتَ أمانة الملك فردّها عليه.

فأبى، فقال عليه السلام: لو شهد عليك ثيابك تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله؟

فأبى، فأمر بفروة لبسها بخلعها، فصلّى، فدعا واستنطق الفروة، فانتفضت وصارت كالكبش وقصّت قصّة خيانته فردّها وهدايا، فعلم الملك به وقتله وأسلم وجاء إلى الإمام عليه السلام وحسن إسلامه»[٢]، وهذه قصّة طويلة ملخّصها هذا.

ونقلها في كتاب «الثاقب في المناقب» بسندٍ آخر إلى موسى بن جعفر عليهما السلام مع تغيير يسير.

ورواه ابن شهرآشوب فقال: روي في المعجزات، ونقل القصّة بتغيير يسير[٣].

السابع والثلاثون: ما رواه في «الثاقب في المناقب» عن محمّد بن راشد عن أبيه قال: «أتيت بعض آل محمّد لاستفتيه عن مسألة لي، فسألت عن أعلمهم، فهُديت إلى محمّد بن عبدالله بن الحسن عليه السلام، فاستفتيته.

فقال: إنّي لست أهلاً لذلك، فإنّ ذلك لا يعلمه إلّا إمام.

فقلت: ومن أين لي بالإمام؟

قال: ائت جعفر بن محمّد.

فأتيته واستفتيته، فأفتاني في مسألتي، فقلت له: أنت إمام هذا الزمان؟

فقال: نعم، والله! إنّي إمام هذاالزمان.

فقلت: علامة ودليل؟

قال: سلني عمّا شئت.

فقلت: إنّ أخاً لي قد مات في هذه المقبرة فأمُره أن يحيى.

فقال لي: ما أنت أهل لذلك، ولكن أخوك فما اسمه؟

---

١. ص: ٨٨.

٢. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٢٩٩.

٣. مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٣٠٨ ـ ٣١٢.

قلت: أحمد.

قال عليه السلام: يا أحمد! قُم بإذن الله تعالى وبإذن جعفر بن محمّد.

فقام والله! وهو يقول: يا أخي! اتبعه وحلّفني بالطلاق والعتاق أن لا أُخبرَ أحداً[١].

ورواه الراونديّ عن محمّد بن راشد عن جدّه قال: ما أنت أهل لذلك، ولكن كان أخوك مؤمناً واسمه عندنا أحمد... إلى آخر الحديث.

ولو استقصينا ما وجدناه في الكتب الموجودة لتجاوز الأربعين وما نريد نقل أخبارات من باقي الأئمّة عليهم السلام.

الثامن والثلاثون: فيما روي عن موسى بن جعفر عليه السلام في ذلك فمنها ما في «الكافي»: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عبدالله ابن المغيرة قال: «مرّ العبد الصالح بامرأة بمنى وهي تبكي وصبيانها حولها يبكون وقد ماتت لها بقرة، فدنى منها وقال: ما يبكيك يا أمة الله؟

قالت: يا عبدالله! إنّ لنا صبياناً يتامى وكانت لي بقرة معيشتي ومعيشة صبياني كان منها»[٢]، وساق الحديث نظير ما مرّ في أحوال الصادق عليه السلام.

وفي «بصائر الدرجات» أيضاً، وفي آخرها: «صاحت وقالت: عيسى بن مريم وربّ الكعبة! فخالط الناس وصار بينهم ومضى»[٣].

التاسع والثلاثون: ابن شهرآشوب في رواية: «إنّ الرشيد أمر حميد بن مهران الحاجب الاستخفاف بموسى بن جعفرٍ عليه السلام، فقال له: إنّ القوم افتتنوا بك بلا حجّة فأُريد أن يأكلني هذان الأسدان المصوّران على هذا.

فأشار إليهما: خُذا هذا.

فوالله! أخذاه وأكلاه.

---

١. الثاقب في المناقب، ص ٣٩٧ و ٣٩٨.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٨٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ٥٥.

٣. بصائر الدرجات، ص ٢٧٢.

ثمّ قالا: وما الأمر؟ أنأخذ الرشيد؟

قال: لا، عودا إلى مكانكما»[١].

الأربعون: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ قال: حدّثنا محمّد بن الفرج قال: «حدّثنا سعيد بن خيل الشاميّ، قال: دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقلت له: قد كثر الخوض فيك وفي عجائبك، فلو شئت أنبأتني بشيءٍ أُحدّثه عنك.

قال: وما تشاء؟

قلت: تحيا لي أبي وأمّي.

فقال لي: انصرف إلى منزلك فقد أحييتهما لك.

فانصرفت والله! وهما في البيت أحياء، فأقاما عندي عشرة أيّام ثمّ قبضهما الله تعالى»[٢].

الحادي والأربعون: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ قال: حدّثنا أبو محمّد عبدالله، قال: «حدّثنا إبراهيم بن سهل، قال: لقيت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وهو على حماره، فقلت: من أركبك على هذا ويزعم أكثر شيعتك أنّ أباك لم يوصك ولم يقعدك هذا المقعد وادّعيت لنفسك ما لم يكن لك؟!

[فقال لي: وما دلالة الإمام عندك؟

قلت: أن يكلّم بما وراء البيت، وأن يحيى و يميت.][٣]

فقال عليه السلام: أنا أفعل؛ أمّا الّذي معك فخمسة دنانير، وأمّا أهلك، فإنّها ماتت منذ سنة وقد أحييتها الساعة وأتركها معك سنة أُخرى، ثمّ أقبضها [إليّ] لتعلم أنّي إمام بلا خلاف.

فوقعت عليّ الرّعدة، فقال عليه السلام: أُخرج فإنّك آمن.

ثمّ انطلقت إلى منزلي فإذا بأهلي جالسة، فقلت لها: ما الّذي جاء بك؟

فقالت: كنت نائمة إذ أتاني آت ضخم، شديد السمرة ـ فوصفت صفة الرضا عليه السلام ـ فقال

---

١. المناقب، ج ٤، ص ٣٠٠.

٢. دلائل الإمامة، ص ١٨٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٦٠.

٣. مابين المعقوفين أثبتناه من المصدر.

لي: يا هذه! قومي وارجعي إلى زوجك، فإنّك تُرزقين بعد الموت ولداً؛ فرُزقت والله! ولداً»[١].

الثاني والأربعون: ابن بابويه قال: حدّثنا أبو الحسن محمّد بن القاسم المفسّر رضي الله عنه قال: «حدّثنا يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن يسار عن أبويهما عن الحسن بن عليّ العسكريّ، عن أبيه عليّ بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ عليهما السلام: أنّ الرضا عليه السلام لمّا جعله المأمون وليّ عهده احتبس المطر وكثر الكلام إلى أن سأل المأمون الرضا عليه السلام استسقاه.

فأجابه واستسقى فأجابه الله تعالى وسقاهم بمطر عظيم، وعظم شأنه.

فقال بعض حواشي مأمون وحسّاد الرضا عليه السلام للمأمون: إنّك قد أخرجت ا لسلطنة عن أهلك وجعلته في بني هاشم وتعظّم شأنه من جهة المطر الّذي قد جرى عادة الله بإتيانه كلّ سنة.

فأظهر الملعون الندامة.

فقال له: لو شئت لأُقحمه وأصحابه وأضع من قدره، فلولا هيبتك في صدري لأنزلته منزلته وبيّنت للناس قصوره عمّا يدّعي.

فقال المأمون الملعون: ما من شيء أحبّ إليّ من هذا.

قال: فاجمع وجوه مملكتك وأحضره لأُبيّن نقصه بحضرتهم.

قال: فجمع الخلق الفاضلين من رعيّته في مجلس واسع قعد فيه لهم وأقعد الرضا عليه السلام في المرتبة الّتي جعلها له، فابتدأ الحاجب وقال للرضا عليه السلام: إنّ الناس قد أكثروا عنك الحكايات، وأسرفوا في أمرك بأمور: فأوّل ذلك دعوت الله في المطر المعتاد مجيئه، فجاء فجعلوه آية لك ومعجزة لك.

وساق الكلام، وأجابه الإمام... إلى أن قال: فغضب الحاجب عند ذلك وقال: يابن موسى! لقد عدوت طورك وتجاوزت قدرك أن بعث الله تعالى بمطر مقدّر وقته لا يتقدّم ولا يتأخّر جعلته آية تستطيل بها...، فإن كنت صادقاً فيما توهّم فأحيي هذين وسلّطهما عليّ، فإنّ

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٨٧.

ذلك يكون فيّ معجزة، فأمّا المطر المعتاد فلست أنت أحقّ بأن يكون جاء بدعائك دون غيرك الّذي دعا كما دعوت.

وكان الحاجب أشار إلى أسدين مصوّرين على مسند المأمون الّذي كان مُستنداً إليه وكانا متقابلين على المسند.

فغضب الإمام عليه السلام وصاح بالصورتين: دونكما الفاجر!

فافترساه ولا تبقيا له عيناً ولا أثراً.

فوثبت الصورتان وقد عادتا أسدين، فتناولا الحاجب ورضّضاه وهشّماه وأكلاه ولحسا دمه، والقوم ينظرون متحيّرين ممّا يبصرون، فلمّا فرغا منه أقبلا على الرضا عليه السلام وقالا: يا وليّ الله في أرضه! ماذا تأمرنا [نفعل بهذا]؟ أتأمرنا أن نفعل بهذا مثل ما فعلنا به؟ يشيران إلى المأمون. فغشي على المأمون [ممّا سمع منهما].

فقال الرضا عليه السلام: قفا.

فوقفا

ثمّ قال الرضا عليه السلام: صبّوا عليه [ورد] وطيّبوه.

ففعلوا، وعاد الأسدان يقولان: أتأذن لنا أن نلحقه بصاحبه الّذي أفنيناه؟

قال: لا، فإنّ لله تعالى [فيه] تدبيراً هو ممضيه.

فقالا: ماذا تأمرنا؟

فقال عليه السلام: عودا بمقرّكما كما كنتما.

فعادا إلى المسند وصارا صورتين كما كانتا.

فقال المأمون: الحمد لله الّذي كفانا شرّ حميد بن مهران، يعني الرجل [المفترَس].

ثمّ قال للرضا عليه السلام: يابن رسول الله! هذا الأمر لجدّكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ لكم، ولو شئت لنزلت عنه لك.

فقال الرضا عليه السلام: لو شئت لما ناظرتك ولم أسألك فإنّ الله تعالى أعطاني من طاعة سائر خلقه مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصورتين إلّا جهّال بني آدم، فإنّهم وإن خسروا

حظوظهم فلله تعالى فيهم تدبير، وقد أمرني ربّي بترك الاعتراض عليك، الحديث بطوله وقد اختصرت أوائله اختصاراً تامّاً، وإن شئت فارجع إلى مظانّه»[١].

أقول: هذا الخبر مكرّر النقل في كتب الأصحاب وقد اشتمل على فوائد جمّة:

منها: طاعة عامّة الخلايق لهم وكلّما كان أبعد عن الاختيار كان أطوع لهم، ولذا كان في نوع الإنسان خلافهم.

ومنها: عملهم بمآل أمرهم.

ومنها: تكليفهم بما أمر الله فيم الباطن وإن كان على خلاف ظاهر التكليف ولذا قال: «أمرني ربّي بترك الاعتراض عليك» يعني حتّى يتمّ قتلي بيدك.

الثالث والأربعون: ما رواه السيّد المرتضى في «عيون المعجزات» عن أبي جعفر ابن جرير الطبريّ عن عبدالله بن محمّد السلوليّ، عن هاشم بن زيد قال: «رأيت أبا محمّد عليه السلام صاحب العسكر وقد أُتي بأكمه فأبرأه، ورأيت يُهيّئ من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيطير.

فقلت له: لا فرق بينك وبين عيسى عليه السلام.

فقال: أنا منه وهو منّي»[٢].

الرابع والأربعون: السيّد المرتضى في «عيون المعجزات» أيضاً قال: حدّثني أبوالتحف المصريّ يرفع الحديث برجاله إلى محمّد بن سنان الزامريّ رحمه الله قال: «كان أبوالحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام حاجّاً، ولمّا كان في انصرافه إلى المدينة وجد رجلاً خراسانيّاً واقفاً على حمارٍ له ميّت يبكي ويقول: على ماذا أحمل رحلي.

فاجتاز به، فقيل له عليه السلام: هذا الرجل الخراسانيّ ممّن يتولّاكم أهل البيت.

فدنا من الحمار الميّت، فقال: لم تكن بقرة بني إسرائيل بأكرم على الله منّي وقد ضربوا ببعضها الميّت فعاش.

ثمّ وكزه برجله اليمنى وقال: قُم بإذن الله تعالى.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ١٨٠.

٢. بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٥ مع اختلاف في النقل.

فتحرّك الحمار، ثمّ قام فوضع الخراسانيّ رحله عليه وأتى به إلى المدينة، وكلّما مرّ عليه السلام أشاروا إليه بإصبعهم وقالوا: هذا الّذي أحيا حمار الخراسانيّ»[١].

الخامس والأربعون: «[في الـ]ثاقب [في] المناقب» عن محمّد بن حمدان، عن إبراهيم بن بلطون، عن أبيه، قال: كنت أحجب المتوكّل، فأُهدي له خمسون غلاماً [من الخزر] وأمرني أن أتسلّمهم وأحسن إليهم. فلمّا تمّت سنة كاملة كنت واقفاً بين يديه، إذ دخل عليه أبوالحسن عليّ بن محمّد النقيّ عليهما السلام فأخذ مجلسه وأمرني أن أُخرج الغلمان من بيوتهم، فأخرجتهم، فلمّا بصروا بأبي الحسن عليه السلام سجدوا له بأجمعهم، فلم يتمالك المتوكّل أن قام يجرّ ذيله حتّى توارى خلف الستر، ثمّ نهض عليه السلام.

فلمّا علم المتوكّل بذلك خرج إليّ وقال: ويلك! يا بلطون! ما هذا الّذي فعل هؤلاء الغلمان؟

فقلت: والله! ما أدري.

قال: سلهم.

فسألتهم عمّا فعلوه.

فقالوا: هذا [رجل] يأتينا كلّ سنة، فيعرض علينا الدين، ويقيم عندنا عشرة أيّام وهو وصيّ نبيّ المسلمين.

فأمر [في] بذبحهم [فذبحتهم] عن آخرهم، فلمّا كان وقت العتمة صرت إلى أبي الحسن عليه السلام، فإذا خادم على الباب، فنظر إليّ فقال لمّا بصر بي: أُدخل.

فدخلت، فإذا هو جالس، فقال: يا بلطون! ما صنع القوم؟

فقلت: يابن رسول الله! ذبحوا [والله!] عن آخرهم.

فقال لي: كلّهم؟!

فقلت: إي والله!

فقال عليه السلام: أتحبّ أن تراهم؟

---

١. نفسه.

قلت: نعم، يابن رسول الله!

فأومأ بيده أن ادخل الستر.

فدخلت، فإذا [أنا] بالقوم قعود وبين أيديهم فاكهة يأكلون[١].

السادس والأربعون: ما تقرّ به عيون الشيعة وتسرّ به قلوب الإماميّة الإثنى عشريّة ممّا ورد في إحياء حجّة الله على الخلق أجمعين بقيّة الله في الأرضين زمان ظهوره للشيخين الخليفتين، كما ذكره المفسّرون منّا في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾[٢] بعد قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ** ﴾[٣].

ففي «تفسير البرهان» بعد قوله: ﴿ **وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ** ﴾ ... إلى آخرها، الشيبانيّ في «كشف البيان»: وروي في أخبارنا عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبدالله عليه السلام: أنّ فرعون وهامان هما شخصان من جبابرة قريش، يحييها الله عند قيام القائم من آل محمّد في آخر الزمان فينتقم منهما بما أسلفا.

عليّ بن إبراهيم بعد قوله تعالى: «﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً**... إلى قوله: **إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾[٤].

قال: فأخبر الله نبيّه بما لقي موسى وأصحابه من فرعون من القتل والظلم تعزية له فيما يصيبه في أهل بيته من أُمّته، ثمّ بشّره بعد تعزيته أنّه يتفضّل عليهم بعد ذلك ويجعلهم خلفاء في الأرض وأئمّة على أُمّته، ويردّهم إلى الدنيا مع أعدائهم حتّى ينتقموا منهم، بقوله: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا** ﴾ وهم الّذين غصبوا آل محمّد عليهم السلام حقّهم.

---

١. الثاقب في المناقب، ص ٥٢٩ و ٥٣٠.

٢. القصص: ٦.

٣. القصص: ٥.

٤. القصص: ٤.

وقوله: ﴿ مِنْهُم ﴾ أي: من آل محمّد عليهم السلام ﴿ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ أي: من القتل والعذاب.

ولو كانت هذه الآية نزلت في موسى وفرعون لقال: «ونري فرعون وهامان وجنودهما منه ما كانوا يحذرون» أي: [من] موسى، ولم يقل: ﴿ مِنْهُم ﴾، فلمّا تقدّم قوله ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ علمنا أنّ المخاطبة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وما وعد الله به رسوله، فإنّما يكون بعده، والأئمّة يكونون من ولده»[1].

وساق الكلام في أنّ موسى وبني إسرائيل وفرعون وهامان إنّما ضرب الله بهم مثلاً لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ومن غصبهم حقّهم وأثبته بالأخبار والآثار. هذا هو ما ذكروه في تفسير الآية على سبيل الإجمال.

وأمّا تفصيل إحيائها فقد أخبرنا به الصادق المصدّق جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام في خبر طويلٍ لمفضّل بن عمر يبيّن فيه علامات ظهور القائم وظهوره وأصحابه وسيرته... إلى أن قال له:

«ويحقّ تأويل هذه الآية: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾.

قال المفضّل: يا سيّدي ومولاي! ومن فرعون وهامان؟

قال: أبوبكر وعمر.

قال المفضّل بعد أن بيّن عليه السلام له ظهوره بمكّة وسيرته في ظهوره: يا سيّدي! ثمّ يسير المهديّ إلى أين؟

قال عليه السلام: إلى مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين.

قال المفضّل: يا سيّدي! ما هو ذاك؟

---

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ١٣٣.

قال عليه السلام: يرد إلى قبر جدّه فيقول: يا معاشر الخلائق! هذا قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فيقولون: نعم، يا مهديّ آل محمّد!

فيقول: ومن معه في القبر؟

فيقولون: صاحباه وضجيعاه؛ أبوبكر وعمر.

فيقول ـ وهو أعلم بهما والخلائق كلّهم جميعاً يسمعون ـ: من أبوبكر وعمر؟ وكيف دُفنا من بين الخلق مع جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وعسى المدفون غيرهما؟!

فيقول الناس: يا مهديّ آل محمّد! ما هاهنا غيرهما، إنّهما دفنا معه، لأنّهما خليفتا رسول الله وأبوا زوجتيه.

فيقول للخلق بعد ثلاثٍ: أخرجوهما من قبريهما.

فيخرجان غضّين طريّين لم يتغيّر خلقهما ولم يشحب لونهما.

فيقول عليه السلام: هل فيكم من يعرفهما؟

فيقولون: نعرفهما بالصفة وليس ضجيعا جدّك غيرهما.

فيقول: هل فيكم أحد يقول غير هذا أو يشكّ فيهما؟

فيقولون: [لا].

فيؤخّر إخراجهما ثلاثة أيّام ثمّ يناشر الخبر في الناس ويحضر المهديّ عليه السلام ويكشف الجدران عن القبرين ويقول للنقباء: إبحثوا عنهما وانبشوهما.

فيبحثون بأيديهم حتّى يصلون إليهما فيخرجان غضّين طريّين كصورتهما، فكيشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة، فيصلبهما عليها فتُحيا الشجرة وتورّق ويطول فرعها.

فيقول المرتابون من أهل ولايتهما: هذا والله! الشرف حقّاً، ولقد فزنا بمحبّتهما وولايتهما.

ويخبر من أخفى نفسه ممّن في نفسه مقياس حبّة من محبّتهما وولايتهما، فيحضرونهما ويرونهما ويفتنون بهما، وينادي منادي المهديّ عليه السلام: كلّ من أحبّ صاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضجيعيه فلينفرد جانباً.

فيتجزّأ الخلق جزئين: أحدهما موال، والآخر متبرّأ منهما.

فيعرض المهديّ عليه السلام على أوليائهما البرائة منهما.

فيقولون: يا مهديّ آل رسول الله! نحن لم نتبرّأ منهما ولسنا نعلم أنّ لهما عند الله وعندك هذه المنزلة، وهذا الّذي بدا [لنا] من فضلهما أنتبرّأ الساعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت؛ من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما؟! بل نتبرّأ والله منك وممّن آمن بك ومن لايؤمن بهما ومن صلبهما وأخرجهما، وفعل بهما ما فعل.

فيأمر المهديّ عليه السلام ريحاً سوداء، فتهب عليهم فتجعلهم كأعجاز نخلٍ خاوية.

ثمّ يأمر بإنزالهما فينزلان إليه فيحييهما بإذن الله ويأمر الخلائق بالاجتماع.

ثمّ يقصّ عليهم قصص أفعالهما في كلّ كور ودور حتّى يقصّ عليهم قتل هابيل ابن آدم عليه السلام، وجمع النار لإبراهيم عليه السلام، وطرح يوسف عليه السلام في الجبّ، وحبس يونس عليه السلام في الحوت، وقتل يحيى عليه السلام، وصلب عيسى عليه السلام، وعذاب جرجيس ودانيال عليهما السلام، وضرب سلمان الفارسيّ، واشتعال النار على باب أميرالمؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لإحراقهم [بها]، وضرب يد الصدّيقة الطاهرة الكبرى بالسوط، ورفس بطنها وإسقاطها عليها السلام محسناً، وسمّ الحسن عليه السلام، وقتل الحسين عليه السلام، وذبح أطفاله وبني عمّه وأنصاره، وسبي ذراريه[1] وإراقة دماء آل محمّد عليهم السلام وكلّ دم سفك، وكلّ فرجٍ نُكح حراماً، وكلّ زنا[2] وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم عليه السلام إلى وقت قيام قائمنا، كلّ ذلك يعدّده عليهما ويلزمهما إيّاه، فيعترفان به، ثمّ يأمر بهما فيقتصّ منهما في ذلك الوقت بمظالم من حضر، ثمّ يصلب بهما على الشجرة ويأمر ناراً من الأرض فتحرقهما والشجرة، ثمّ يأمر ريحاً فتنسفهما في اليمّ نسفاً.

قال المفضّل: يا سيّدي! ذلك آخر عذابهما؟

قال: هيهات يا مفضّل، والله! ليردنّ وليحضرنّ السيّد الأكبر الأكرم محمّد

---

١. في البحار: ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. في البحار: فكلّ رين.

رسول الله صلى الله عليه وآله والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين، وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام، وكلّ من محّض الإيمان محضاً أو محّض الكفر محضاً، وليتقصنّ منهما لجميعهم حتّى أنّهما ليقتلان في كلّ يوم وليلة ألف قتلة ويردّان إلى ما شاء بهما... الحديث»[١].

ويدلّ على صحّة هذا الخبر ومضمونه إشارات في أخبار كثيرة:

منها: ما نقله غير واحد من أصحابنا ونقله السيّد في «مدينة المعاجز» عن الديلميّ وغيره عن محمّد بن سنان قال: «سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول لعمر:

يا مغرور! إنّي أراك في الدنيا قتيلاً بجراحة من عبد أُمّ معمر تحكم عليه جوراً فيقتلك توفيقاً يدخل بذلك الجنّة على رغم منك، وإن لك ولصاحبك الّذي قمت مقامه صلباً وهتكاً تخرجان عن رسول الله صلى الله عليه وآله فتصلبان على أغصان دوحة يابسة فتورق فيتيقّن بذلك من والاك.

فقال عمر: ومن يفعل ذلك؟

فقال: قوم قد فرّقوا بين السيوف وأغمادها، ثمّ يؤتى بالنار الّتي أُضرمت لإبراهيم وجرجيس ودانيال عليهم السلام وكلّ نبيّ وصدّيق، ثمّ يأتي ريح فينسفكما في اليمّ نسفاً»[٢]، انتهى.

...إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة. فهذه ستّ وأربعون حديثاً في إحياء الأئمّة الهادية للموتى من الإنسان والحيوان والصورة، وبعد ذلك لا يبقى شكٌّ وريب في أنّ لهم عليهم السلام هذا الشأن وهذه القدرة بإذن الله تعالى، مضافاً إلى ما نقله صاحب الرسالة من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أُحيي وأُميت بإذن الله»[٣]، فإنّ معنى الإذن أمره تعالى، فليته كان حيّاً أسأله منه رحمه الله أنّ هذه الإحياء والإماتة بأمر الله تعالى ممكن أو مستحيل؟

فلا ريب أنّ القدرة الإلهيّة لا تعجز عن ذلك ولاشكّ أنّهم عليهم السلام أفضل من الملائكة، ولا شكّ في أنّ الله تبارك وتعالى يأمر الملائكة بالإحياء والإماتة، فكيف لا يجوز ذلك في الأفضل

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٥٣، ص ١٧.

٢. بحارالأنوار، ج ٣٠، ص ٢٧٦.

٣. بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٥.

منهم ؟ فقدرة الله تعالى عامّة كاملة، وقابليّة المحلّ أيضاً مسلّمة، فكيف لا يجوز ذلك منهم ؟

مضافاً إلى أنّهم يعلمون الإسم الأعظم، بل هم هو كما في الأخبار المستفيضة، وآصف ابن برخيا قد أحضر عرش بلقيس في أقلّ من طرفة العين، فهم مع علمهم العزيز وعندهم أضعاف من العلم كيف لا يتمكّنون من مثل ما يتمكّن منه آصف بن برخيا ؟ كما ورد في أخبار مستفيضة: أنّ الإسم [الأعظم] ثلاثة وسبعون حرفاً وعند آصف منه حرف واحد وعندنا منه اثنان وسبعون، وحرف واحد استأثر الله لنفسه.

وأقول: إنّ علمهم بالإسم الأعظم ضروريّ عند مذهب الشيعة فكيف يمكن إنكار إحياء الموتى منهم مع علمهم بالإسم الأعظم ؟ إلّا أن ينكر تأثير إسم الأعظم ذلك وهو أيضاً غير ممكن.

والحاصل، أنّ المعلوم من المذهب والأخبار المستفيضة في شئون الإمامة والولاية العامّة الثابتة في آل محمّدٍ عليهم السلام أنّهم متمكّنون من الإحياء والإماتة وما هو أعظم من ذلك وأكبر من ذلك بمراحل، فلو لم يرد لنا خبر واحد في أنّهم أحيوا ميتاً لقلنا بتمكّنهم في ذلك، فإنّ معنى الإمام هو ذلك، كما ستعرف في الخبر الطويل المسطور في «الكافي» عن الرضا عليه السلام في بيان أوصاف الإمام، فكيف وقد وردت أخبار كثيرة يزيد مجموعها على مائة خبر في أنّهم أحيوا إنساناً أو حيواناً.

والله! إنّي لفي عجب كثير من عالم مأنوس بمذهب الإماميّة مطّلع على أخبارهم وأوصافهم كيف ينكر تمكّنهم من إحياء الموتى ؟ وإذا لم يقدر الإمام على ذلك فكيف يكون إماماً ؟

وستعرف ـ إن شاء الله ـ من شئونهم وصفاتهم ما يزيدك عجباً من كلامه هذا وإنكاره مراتبهم وشئونهم عليهم السلام.

الباب الرابع
في أنّهم يعلمون الغيب في الجملة ويطّلعون على ما في ضمائر قلوب الناس

وهذا الباب أوسع وأكثر وروداً في الأخبار من الأبواب الأُخَر عموماً وخصوصاً، ولو كان لنا مجال فنثبته بألف من الأخبار المعتبرة وزيادة، ونقتصر في هذا الباب على عدد الأربعين من الأخبار المعتبرة في الباب من سائر الأئمّة الأطياب عليهم السلام.

ويعجبني أن أصدر هذا الباب بخبرين شريفين معتبرين في أوصاف الإمام وشئونه لئلّا ينسبهم الجاهلون بالجهل بشرط التأمّل في مضمونهما:

ففي «الكافي» الّذي هو أضبط الكتب وأحسنها عند علماء المذهب ـ وهو كذلك ـ قال: أبو محمّد القاسم بن علا رحمه الله رفعه عن عبدالعزيز بن مسلم ـ وفي نسخة من «الكافي» مُسنداً ـ قال: «كنّا مع الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيّدي فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام ثمّ قال:

يا عبدالعزيز! جهل القوم وخدعوا عن أدائهم، إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيّه حتّى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن، فيه تبيان كلّ شيء؛ يبيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[1]، وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلّى الله عليه وآله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

---

١. الأنعام: ٣٨.

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[١]، وأمْر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض حتّى بيّن لأُمّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحقّ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام عَلَماً وإماماً، وما نزل شيئاً يحتاج إليه الأُمّة إلّا بيّنه.

فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به.

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة فيجوز فيها اختيارهم؟

إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل بعد النبوّة والخُلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ـ جلّ ذكره ـ، فقال: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾.

فقال الخليل مسروراً بها: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَتِي ﴾.

قال: ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٢].

فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالمٍ إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة.

ثمّ أكرمه الله تعالى بأن جعلها الله تعالى في ذرّيّته أهل الصفوة والطهارة، فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[٣]

فلم يزل في ذرّيّته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً، حتّى ورّثها الله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال جلّ وتعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] فكانت له خاصّة، فقلّدها عليّاً عليه السلام بأمر الله عزّ وجلّ على رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيّته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله جلّ وعلا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

١. المائدة: ٣.

٢. البقرة: ١٢٤.

٣. الأنبياء: ٧٢ و٧٣.

٤. آل عمران: ٦٨.

أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾[١] فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فمن أين يختار هؤلاء الجهّال ؟!

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء.

إنّ الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام.

إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعِزّ المؤمنين.

إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي، وفرعه السّامي.

بالإمام تمام الصلاة والزّكاة والصّيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفئ والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدع إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها في العالم، وهو في الأُفق بحيث لاتنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى، وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار.

الإمام الماء العذب على الظّماء، والدالّ على الهُدى، والمنجي من الردى.

الإمام النار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به، والدليل في المهالك، من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر، والغيط الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء الظّليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأُمّ البرّة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النّآد.

الإمام أمين الله في خلقه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذابّ

---

١. الروم: ٥٦.

عن حُرَم الله.

الإمام المطهّر من الذنوب، والمُبرّأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المُفضِّل الوهّاب.

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟

هيهات! هيهات! ظلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأُدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأنٍ من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه؟

لا، كيف وأنّى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين؛ فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد ﷺ؟

كذّبتهم والله! أنفسهم، ومَنّتْهم الأباطيل، فارتقوا مُرتقاً صعباً دَحْضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم. راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلّا بُعداً.

قاتلهم الله أنّىٰ يُؤفكون؟ ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عن بصيرة، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله ﷺ إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم: ﴿ وَرَبُّكَ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١].

وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[٢].

وقال: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[٣].

وقال عزّ وجلّ: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٤]، أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون؟ أم قالوا سمعنا وهم لا يسمعون؟ ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لاَيَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُعْرِضُونَ ﴾[٥]، أم قالوا سمعنا وعصينا؟ بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم.

فكيف لهم باختيار الإمام؟

والإمام عالم لا يجهل، راع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول، ونسل المطهّرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش، والذّروة من هاشم، والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والرضا من الله عزّ وجلّ، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم،

---

١. القصص: ٦٨.

٢. الأحزاب: ٣٦.

٣. القلم: ٣٦ ـ ٤١.

٤. محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ٢٤.

٥. الأنفال: ٢٢ و٢٣.

فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾[٢].

وقوله في طالوت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣].

وقال لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[٤].

وقال في الأئمّة من أهل بيته وعترته وذرّيّته صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾[٥].

وإنّ العبد إذا اختاره الله ـ جلّ وعزّ ـ لأُمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه من الصواب، فهو معصوم مؤيّد موفّق مسدَّد، قد أمن من الخطا والزّلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّة على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذوالفضل العظيم»[٦]... الحديث.

والأخبار بأنّهم هم المحسودون في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ ... الآية، كثيرة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً ﴾

---

١. يونس: ٣٥.

٢. البقرة: ٢٦٩.

٣. البقرة: ٢٤٧.

٤. النساء: ١١٣.

٥. النساء: ٥٤ و ٥٥.

٦. الكافي، ج ١، ص ١٩٨؛ تحف العقول، ص ٤٣٦؛ معاني الأخبار، ص ٩٦.

في أنّهم هم آل إبراهيم، والملك العظيم أعظم من ملك سليمان بن داود عليهما السلام.

هذا، ولا تغفل عن قوله: «عالم لا يجهل»، فإنّه كلمة جامعة فيه علوم الأوّلين والآخرين، وعلم ما كان وما يكون، وعلم الغيب وما تكنّه الضمائر والصدور، والعلم المكنون، وقد أيّده سائر فقراته المبيّنة.

ولا يخفى عليك أنّه عليه السلام قد أثبت عامّة شئون الإمامة بالآيات القرآنيّة لإلزامهم.

وفي «الكافي» أيضاً محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبدالله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمّة وصفاتهم:

«إنّ الله عزّ وجلّ أوضح بأئمّة الهدى من أهل بيت نبيّنا صلى الله عليه وآله عن دينه، وأبلج بهم عن سُبل منهاجه، وفتح ومنح بهم عن باطن ينابيع علمه؛

فمن عرف من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله واجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه؛ لأنّ الله تبارك وتعالى نصب الإمام عَلَماً لخلقه، وجعله حجّة على أهل موادّه وعالمه، [و] ألبسه الله تعالى تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبّار، يمدّ بسبب إلى السماء لا ينقطع عنه موادّه، ولا ينال ما عند الله إلّا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلّا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدُّجى، ومعميات السُّنن، ومشتبهات الفتن.

فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقيب كلّ إمام يصطفيهم لذلك، ويجتبيهم ويرضي بهم لخلقه ويرتضيهم، كلّ ما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً عَلَماً بيّناً، وهادياً نيّراً، وإماماً قيّماً، وحجّة عالماً، أئمّة من الله يهدون بالحقّ وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد، وتستهلّ بنورهم البلاد، وينموا ببركتهم التلاد، جعلهم الله حياة الأنام، ومصابيح للظّلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المنتجى، والقائم المرتجى، اصطفاه الله بذلك، واصطنعه على غيبه[1] في الذرّ حين ذرأه، وفي البريّة حين برأه، ظلّاً قبل خلق نسمة عن يمين

---

١. في المصدر: على عينه.

عرشه، محبوّاً بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقيّة من آدم، وخيرة من ذرّيّة نوح، ومُصطفى من آل إبراهيم، وسُلالة من إسماعيل عليه السلام، وصفوة من عترة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

لم يزل مرعيّاً بعين الله يحفظه، وبكلائه يستره، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ونفوث كلّ فاسق، مصروفاً عنه قوارف السوء، مبرّأً عن العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزلّات، مُصاناً[١] عن الفواحش كلّها، معروفاً في الحلم والبرّ في يفاعه، منسوباً إلى العفاف والعلم والعقل[٢] عند انتهائه، مُسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدّة والده إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيّته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى حجّته، وبلغ منتهى مدّة والده فمضى، وجاء أمر الله إليه من بعده، وقلّده دينه، وجعله الحجّة على عباده، وقيّمه في بلاده، وأيّده بروحه، وآتاه علمه، وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سرّه، وانتدبه تعظيم أمره، وأنبأه فصل بيان علمه، ونصبه علماً لخلقه، وجعله حجّة على أهل عالمه، وضياء لأهل دينه، والقيّم على عباده، رضي الله به إماماً لهم، استودعه سرّه، واستحفظه علمه، واستخبأه حكمته، واسترعاه لدينه، وانتدبه تعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبُله وفرائضه وحدوده.

فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل بالنّور الساطع، والشّفاء النافع، بالحقّ الأبلج، والبيان اللّائح من كلّ مخرج على طريق المنهج الّذي مضى عليه الصّادقون من آبائه عليهم السلام.

فليس يجهل حقّ هذا العالم إلّا شقيّ، ولا يجحده إلّا غويّ، ولا يصدّ عنه إلّا جريّ على الله عزّ وجلّ»[٣]، انتهى.

---

١. في المصدر: مصوناً.

٢. في المصدر: والفضل.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٠٣؛ بصائر الدرجات، ص ٤١٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٤٦.

وقد أوردت هذين الخبرين لتكون على بصيرة معتبرة من شئون الإمام حتّى أتلو عليك من قصص علومهم بالغيب واطّلاعهم على ما في ضمائر القلوب ما يحصل منه القطع بأنّهم كذلك، ويزيدك عجباً ممّن ينكر منهم ذلك، وها أنا اصطفيت من أخبار هذا الباب أربعين خبراً شريفاً يشتمل على المطلب، ويسهل منه الخطب والمصعب، ومن الله الإعانة.

والأخبار الدالّة على علمهم ممّا يغيب عنهم على أصناف:

منها: الأخبار الفعليّة أي: الدالّة بإخبارهم علمهم بالغيب واطّلاعهم بما في الضمائر في الموارد الخاصّة منطبقاً على الواقع المشهور، وإنّما أقتصر في هذه الأربعين بهذا القسم، لأنّه كالوقوع بالنسبة إلى الإمكان، فيكون أدلّ على المطلوب.

وأمّا الأخبار القوليّة فهي قابلة للتأويل، وربّما يصرفها من لا يعرف الإمام حقّ معرفته وإلّا فهي بحسب الظاهر والدلالة الوضعيّة ظاهرة في المطلوب.

وهذه الأخبار القوليّة كثيرة في أبواب شتّى، منها ما دلّ على أنّهم خزنة علم الله، أو عيبة علم الله، وهي كثيرة متشتّتة في أبواب الإمامة من أُصول «الكافي» غير الباب المخصوص بأنّ الأئمّة ولاة أمر الله وخزنة علمه:

ففي هذا الباب عن الصادق عليه السلام: «نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله»[1].

وعن الباقر عليه السلام: «والله! إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه؛ لا على ذهب ولا فضّة إلّا على علمه»[2].

وعنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: هُم خزّاني على علمي بعدك»[3].

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٩٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٠٦.

٢. نفسه.

٣. الكافي، ج ١، ص ١٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٠٧.

وقول الصادق عليه السلام: «نحن حجج الله في عباده، وخزّانه على علمه، والقائمون بذلك»[١].

وعنه أيضاً: «نحن خزّان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، [و]نحن الحجّة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض»[٢].

وعنه أيضاً: «إنّ الله عزّ وجلّ خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا خزّانه في سمائه وأرضه، ولنا نطقت الشجرة، وبعبادتنا عُبِد الله، ولولانا لما عُبِد الله»[٣].

والباب الآخر: في أنّهم خلفاء الله في أرضه وأبوابه الّتي يُؤتى منها:

«منها قول أبي الحسن عليه السلام: «الأئمّة خلفاء الله في أرضه».

وقول الصادق عليه السلام: «الأوصياء هم أبواب الله يؤتى منها، ولولاهم ما عُرِف الله»[٤].

والباب الآخر: في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذكر وإنّهم أهل الذكر، فهم المراد في قوله تعالى: ﴿**فَسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَاتَعْلَمُونَ**﴾[٥]:

فعن الباقر والصادق عليهما السلام: «رسول الله صلى الله عليه وآله» الذكر، والأئمّة فنحن، ونحن أهل الذكر[٦].

والباب الآخر: أنّ من وصفه الله في كتابه بالعلم هم الأئمّة:

فقال الباقر عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله «﴿**هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ**﴾[٧] ونحن الّذين يعلمون»[٨].

والباب الآخر: أنّ الراسخين في العلم هم الأئمّة:

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٠٦.
٢. الكافي، ج ١، ص ١٩٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ١٠٥.
٣. الكافي، ج ١، ص ١٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٩٧.
٤. الكافي، ج ١، ص ١٩٣.
٥. النحل: ٤٣.
٦. بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٧٩.
٧. الزمر: ٩.
٨. الكافي، ج ١، ص ٢١٢.

فعن الصادق عليه السلام: «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله»[١].

وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[٢].

وفي خبر آخر عن أحدهما عليهما السلام: «رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله جميع ما أُنزل إليه من التنزيل والتأويل، وأوصياؤه من بعده يعلمون كلّه»[٣].

وعن الصادق عليه السلام: «الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام»[٤].

والباب الآخر: أنّ الأئمّة أُوتوا العلم وأُثبت في صدورهم:

عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾[٥] فأومأ بيده إلى صدره»[٦].

وعنه أيضاً قال: «هم الأئمّة»[٧].

وبيّنه في خبر آخر، حيث قال بعد هذه الآية: «أما والله! يا أبا محمّد! ما قال بين دفّتي المصحف.

قلت: من هم، جعلت فداك؟!

قال: من عسى أن يكون غيرنا»[٨].

يعني: ما قال: إنّ الآيات البيّنات بين دفّتي المصحف، بل قال في صدور الّذين أُوتوا العلم.

ثمّ استفهم أبو بصير مجدّداً ولعلّه لأن يصرّح بأنّ المراد هم، فظهر من الجواب استغراب السؤال، فإنّه قال أوّلاً من أن من يكون غيرنا، فإنّ العلم ليس إلّا في صدورنا، ثمّ قال: عسى

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢١٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٩٨.
٢. آل عمران: ٧.
٣. الكافي، ج ١، ص ٢١٣؛ بحارالأنوار، ج ١٧، ص ١٣٠.
٤. الكافي، ج ١، ص ٢١٣.
٥. العنكبوت: ٤٩.
٦. الكافي، ج ١، ص ٢١٣.
٧. الكافي، ج ١، ص ٢١٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٢٠١.
٨. الكافي، ج ١، ص ٢١٤.

أن يكون غيرنا. ويستعمل عسى فيما لا يكون.

والباب الآخر: في أنّ من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمّة:

فعن الصادق عليه السلام عن قول الله: «﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ﴾(١) إنّ السابق هو الإمام، والمقتصد هو العارف بالإمام، والظالم لنفسه الّذي لا يعرف الإمام»(٢).

وعن الرضا عليه السلام: «إنّ الّذين اصطفينا من عبادنا ولد فاطمة عليها السلام؛ فالسابق هو الإمام، والمقتصد هو العارف بالإمام، والظالم لنفسه الجالس في بيته الّذي لا يعرف الإمام»(٣).

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «﴿ **ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾(٤) قال: هم الأئمّة»(٥).

والباب الآخر: أنّ الأئمّة معدن العلم وشجرة النبوّة ومختلف الملائكة:

وعن الصادق عليه السلام: «نحن شجرة النبوّة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله»(٦)، ... الحديث.

والباب الآخر: أنّ الأئمّة ورثة العلم وأخباره كثيرة مثل قول الصادق عليه السلام: «إنّ في عليٍّ عليه السلام سُنّة ألف نبيّ من الأنبياء، وإنّ العلم الّذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع وما مات عالم فذهب علمه، والعلم يتوارث»(٧).

---

١. فاطر: ٣٢.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢١٤.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢١٥.

٤. البقرة: ١٢١.

٥. الكافي، ج ١، ص ٢١٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٨٩.

٦. الكافي، ج ١، ص ٢٢١؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٢٤٥.

٧. الكافي، ج ١، ص ٢٢٢.

والباب الآخر: إنّ الأئمّة عليهم السلام ورثة علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجميع الأنبياء والأوصياء الّذين من قبلهم:

فعن الرضا عليه السلام: «إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين الله في خلقه، فلمّا قُبض كنّا أهل البيت ورثته؛ فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وإنّا لنعرف حقيقة الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ... إلى أن قال:

ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن الّذين شرع الله دينه لنا، فقال في كتابه: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِنَ ٱلدِّينِ** ﴾ يا آل محمّد! ﴿ **مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** ﴾ يا محمّد! ﴿ **وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ** ﴾ فقد علمنا وبلغنا علم ما علّمنا، واستودعنا علمهم، ونحن ورثة أُولي العزم من الرسل ﴿ **أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ وكونوا على جماعة ﴿ **كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾ من أشرك بولاية عليّ عليه السلام ما يدعوهم من ولاية عليٍّ عليه السلام إنّ الله ﴿ **يَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾[١] من يجبّك إلى ولاية عليّ عليه السلام»[٢].

وعن الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إنّ أوّل وصيّ كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبيٍّ إلّا وله وصيّ، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبيّ وعشرين ألف نبيّ؛ منهم خمسة أُولوا العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان هبة الله لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أمّا إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين ... إلى أن قال:

وفي ذؤابة العرش مكتوب: «عليّ أمير المؤمنين عليه السلام»؛ فهذه حجّتنا على من أنكر حقّنا

---

١. الشورى: ١٣.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٢٣؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٣١٣.

وجحد ميراثنا»[١]، الحديث.

وعن الصادق عليه السلام: «إنّ سليمان ورث داود، وإنّ محمّداً ورث سليمان، وإنّا ورثنا محمّداً صلى الله عليه وآله، وإنّ عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور، وتبيان ما في الألواح.

قال الراوي: قلت: إنّ هذا لهو العلم.

قال: ليس هذا هو العلم، إنّ العلم الّذي يحدث يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة»[٢].

وروى أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال: «يا أبا محمّد! إنّ الله عزّ وجلّ لم يعط الأنبياء شيئاً إلّا وقد أعطاه محمّداً صلى الله عليه وآله.

قال: وقد أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا المصحف الّتي قال الله عزّ وجلّ: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[٣].

قلت: جعلت فداك! هي الألواح؟

قال: نعم.

وعن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك! أخبرني عن النبيّ ورث النبيّين كلّهم؟

قال: نعم.

قلت: من لدن آدم حتّى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبيّاً إلّا ومحمّدٌ صلى الله عليه وآله أعلم منه.

قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم يحيي الموتى بإذن الله.

قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل.

قال: فقال: إنّ سليمان قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٢٤؛ بحارالأنوار، ج ١١، ص ٤١.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٢٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٩٧.

٣. الأعلى: ١٩.

﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ﴾[١] حين فقده، فغضب عليه وقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٢]، وإنّما غضب عليه لأنّه كان يدلّه على الماء، فهذا وهو طائر قد أُعطي مالم يُعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والجنّ والإنس والمردة والشياطين له طائعة، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ أَوْكُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٣].

وقد ورثنا نحن هذا القرآن الّذي فيه ما تُسيّر به الجبال، ويقطع به البلدان، ويُحيىٰ به الموتى، ونحن نعرف به الماء تحت الهواء، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يُراد بها أمر إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله ممّا كتبه الماضون جعله الله لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله يقول: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي ٱلسَّماءِ وَٱلأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٤]، ثمّ قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٥] فنحن الّذين اصطفانا الله عزّ وجلّ وأورثنا الّذي فيه تبيان كلّ شيء»[٦]، انتهى.

وهذا الخبر مسطور بتمامه في «الكافي»، وقد عرفت تصريحه في القرآن بأنّه ﴿مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي ٱلسَّماءِ وَٱلأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وعلم هذا الكتاب عندنا بصريح الآية الأُخرى، فعندنا علم كلّ غائبة فكيف ينكر علمهم بالغيب؟!

وفي باب آخر: إنّ الأئمّة عليهم السلام عندهم علم جميع الكتب الّذي نزلت من عند الله إنّهم يعرفونها على اختلاف ألسنتنا، وفيه أخبار كثيرة.

وباب آخر: إنّ علم القرآن لا يكون إلّا عند الأئمّة كلّها عند كلّهم.

---

١. النمل: ٢٠.

٢. النمل: ٢١.

٣. الرعد: ٣١.

٤. النمل: ٧٥.

٥. فاطر: ٣٢.

٦. الكافي، ج ١، ص ٢٢٥؛ بحارالأنوار، ج ١٣، ص ٢٢٥.

وباب آخر: إنّ عندهم الإسم الأعظم، وفي هذا الباب عن أبي جعفر عليه السلام:

«إنّ إسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين.

ونحن عندنا من الإسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تبارك وتعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»[١].

وفيه عن الصادق عليه السلام يقول:

«إنّ عيسى بن مريم أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله تبارك وتعالى جمع ذلك كلّه لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله، وإنّ إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطى الله محمّداً صلى الله عليه وآله إثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرف واحد»[٢]، ... إلى غير ذلك من أخبار الباب.

فمن ذلك يُعلم أنّ عيسى كان يحيي الموتى ويُبرء الأكمه والأبرص، مع أنّه يعلم حرفين، ومحمّد صلى الله عليه وآله وآله الطيّبون يعلمون إثنين وسبعين حرفاً فكيف لا يتمكّن لهم ذلك؟

وفيه باب: أنّ عند الأئمّة الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام[٣]، وفيها علم ما كان وما يكون، وتفصيل كلّ هذه الثلاثة.

وباب مفصّل في سورة «إنّا أنزلناه»، وإنّ الملائكة في كلّ سنة في ليلة القدر تنزلون إلى الإمام بكلّ ما يقع في السنة، وفيه تفصيلات غريبة عجيبة.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٤، ص ١١٣.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٣٠؛ بحارالأنوار، ج ١٧، ص ١٣٤.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٣٨؛ بصائر الدرجات، ص ١٥١؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٨٩٤؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٢١٠؛ المناقب، ج ٤، ص ٢٧٦؛ اعلام الورى، ص ٢٨٢؛ تأويل الآيات، ص ١٠٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٦، ص ٣٨.

وفيه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ليلة أُسري به أُعطي علم ما كان وما يكون، وما خرج من الدنيا إلّا أعطى عليّاً عليه السلام كلّه، وكذلك من عليٍّ إلى الحسن عليه السلام، إلى بقيّة الله في أرضه[١].

وباب في أنّ الأئمّة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم الّتي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل كلّهم.

وباب في أنّهم يعلمون الغيب خصوصاً.

وباب في أنّهم يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنّه لا يخفى عليهم شيء.

وباب في أنّ الله علّم نبيّنا العلوم كلّها وأمره أن يعلّمه أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه كان شريكه إلّا في النبوّة... إلى غير ذلك من عناوين الأبواب الّتي في «أُصول» الكافي فضلاً عن أخبارها، وفضلاً عن غير «الكافي» وهي أضعاف ما في «الكافي».

وقد عرفت دلالة الكلّ المتجاوز عن حدّ التواتر أنّ عندهم علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأنّهم يعلمون كلّ شيء ولا يجهلون شيئاً.

والعجب من المنكر والعجب كلّ العجب من بعض الأعلام من سادة علماء المعاصرين حيث نهى عن نسبة علم الغيب إلى الإمام لئلّا يعتقده العوام فيغلوا في دينهم.

فأقول: إن كان هذا غلوّ فما الفرق بين العوامّ والخواص؟ وكيف يرد فيه هذه الأخبار الكثيرة فوق التواتر قطعاً؟ وإن لم يكن غلوّاً، بل يكون من أعلى فضائل الإمام فلم يحرم العامي المسكين من معرفة أفضل فضائل الإمام؟

وأعجب من هذا إنّه أثبت في كتابه أنّ فتنة الغلوّ والارتفاع قد انتشرت في الناس من لدن ظهور تفسير العسكريّ عليه السلام وتفسير فرات بن إبراهيم، وانتشار أخبار مفضّل بن عمر وجابر بن يزيد الجعفيّين بين الطائفة، وتدوين طائفة منها في بصائر الصفّار، و«مجالس» الشيخ، و«كشف الغمّة»، و«خرايج» الراونديّ، و«فضائل» شاذان وولده، وسائر كتب المناقب والفضائل العربيّة والفارسيّة، وتفاسير المرتفعين والأخباريّة.

ثمّ عدّ نظائر هذا الكتب كتاب «عمدة» ابن البطريق وخصائصه، وجملة من كتب السيّد

---

١. راجع: الكافي، ج ١، ص ٢٤٢ باب في شأن ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وتفسيرها.

المرتضى والسيّد رضي الدين بن طاووس، وبعض فضلاء البحرين وقم المطهّرة، وعدّ هذه كلّها عاراً وشناراً.

والظاهر أنّه أراد من «بعض فضلاء البحرين» ابن أبي جمهور والشيخ أحمد الإحساويّين.

وأقول: فعلى فضائل الإمام السلام، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فعلم من ذلك أنّ صاحب رسالتنا المبحوث عنها له نظائر، وهذا أعرف منه، لأنّه صرّح بهذه الكلمات بعد انتشار كتب المجلسيّ ونقده للأخبار وبياناته الشريفة في كلّ باب ومقام؛ الأوّل كالقاصر وهذا كالمقصّر، والأوّل كالجاهل وهذا كالجاحد، وهلّا ذكر في عداد «تفسير فرات»، تفسير عليّ بن إبراهيم مع أنّ أمثال هذه الأخبار خصوصاً الأخبار التأويليّة فيه أضعاف «تفسير فرات»؟

ولعلّ المانع اشتهار تفسير ابن إبراهيم وشخصه بالقبول عند الأصحاب دون فرات وتفسيره.

فإن كان الأمر كذلك فأقول قول الفاحص البصير: إنّه قلّما مطلب من هذه المطالب الّتي يسمّونه غلوّ وارتفاعاً لا يكون عينه أو مثله أو أعلى منه في «الكافي» والكتب المعروفة من الصدوق الّذي قال في «الفقيه»: «أوّل الغلوّ نفي السهو عن النبيّ ﷺ والإمام»[1].

بل أقول: إنّه لا يوجد هذا وعلى المدّعي خلاف هذا بالإثبات.

وعلى هذا فإمّا أن يردّ هذا القائل، «الكافي» وكتب الصدوق وتفسير عليّ بن إبراهيم، أو يقبل الكلّ. مضافاً إلى أنّ مفضّل بن عمر وجابر من أجلّاء أصحاب الأسرار، وليس لهما ذنب إلّا نقل بعض الأخبار المشتملة على بعض مراتب الإمام وهو دون مقامهم، كما صرّح بهذا المعنى واللفظ المجلسيّان ـ رحمهما الله ـ.

وهب إنّهما كذلك تقليداً لمن طعن فيهما من الأسلاف، فهل رأيت ـ أو سمعت ـ أحداً يطعن بشيء في السيّد الرضيّ والسيّد عليّ بن طاووس ـ رحمهما الله ـ؟

وهب إنّ الأوّل مذنب من جهة تأليف كتاب «الخصائص» فما ذنب السيّد الأجلّ عليّ بن

---

١. الفقيه، ج ١، ص ٣٥٩.

طاووس، فإنّه ليس له كتاب في الفضائل يستدلّ به على غلوّه وارتفاعه؟

كما ما سمعت إلى الآن من طعن في كتاب «عمدة» ابن البطريق، فإنّه من أوّله إلى آخره في نقل الأخبار في الإمامة من طرق العامّة وصحاحهم، مثل خبر غدير خم، وخبر المنزلة، وخبر الطير وما ضاهاها، وليس في ذلك الكتاب خبر من طريق الخاصّة ولا من أخبار الخاصّة بمقاماتهم الخاصّة إلّا أن ينكر هذا الرجل تلك الأخبار العامّة أيضاً، وحينئذٍ يكفيه عاراً وشناراً إنكار ما روته العامّة في صحاحهم من فضائل إمامه وجدّه مع أنّهم لا يعتقدون إمامته وليس لهم نسبة به.

ولنمسك أعنّة الأقلام لئلّا ينجرّ إلى الملام، ونرجع إلى ما كنّا بصدده في المقام **فنقول**: وإذا أحطتَ خُبراً بما ذكرناه، وعرفت أنّ الإمام شأنه أن يعلم ما غاب عنه، وأنّه متمكّن من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وكلّ شيء يعجز عنه البشر فها أنا ذا أتلو عليك أربعين حديثاً من إخباراتهم بالغيوب وبما في ضمائر الغيوب مع العلم بانطباقه في الواقع، غير ما ذكرنا سابقاً في قول أميرالمؤمنين عليه السلام مكرّراً «سلوني قبل أن تفقدوني»[1] ومثل إخباره عليه السلام عمّا في باطن الجارية من العلقة، وفي الغلام المقتول إنّه قتله عمّه... إلى غير ذلك ممّا سبق.

أحدها: ما ذكره الشيخ في أماليه عن شيخه محمّد بن محمّد ـ يعني المفيد ـ مُسنداً إلى سلمان الفارسيّ: «إنّه لمّا قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله وتقلّد الخلافة أبوبكر، قدم المدينة جماعة من النصارى يقدمهم جاثليق لهم، له سمت ومعرفة بالكلام ووجوهه، وحفظ التوراة والإنجيل وما فيهما، فقصدوا أبابكر وقال له جاثليق: إنّا وجدنا في الإنجيل رسولاً بعد عيسى وقد بلغنا خروج محمّد وادّعائه أنّه هو ذلك الرسول، فأرسلنا ملكنا ليحقّق الحال وقد قُبض نبيّكم، وفي الإنجيل وسائر كتبنا أنّ النبيّين لا يخرجون إلّا بعد إقامة الوصيّ، فأنت وصيّه لنسألك ما نحتاج إليه؟

فقال: سل عمّا بدا لك.

فسأله عن أنّه مؤمن وعن نفسه أنّه كافر. فقال: أنت مؤمن عند الله أم عند نفسك؟

---

١. الاختصاص، ص ٢٤٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٠، ص ١٩٠.

فقال: [أنا مؤمن] عند نفسي، وأمّا عند الله فما أدري.

وكذلك سأله عن منزلة في الآخرة، فأجابه بمثل ذلك.

فقال: أنت على شكٍّ من دين نفسك.

ثمّ قال: لأبي بكر: هل احتويت على جميع علم نبيّك؟

قال: لا.

قال: فكيف صرت خليفته؟ وكيف قدّمك قومك؟

فقال له عمر: كُفّ عن هذا وإلّا قتلناك.

فقال الجاثليق: ما هذا أعدل على من جاء مسترشداً طالباً.

قال سلمان رضي الله عنه: فكأنّما ألبسنا جلباب المذلّة، فنهضت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأخبرته بالقصّة، فخرج عليه السلام حتّى جاء وجلس، والنصرانيّ يقول: دلّوني على من أسأله عمّا أحتاج إليه.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سل يا نصرانيّ! والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة! لا تسألني عمّا مضى ولا ما يكون إلّا أخبرتك به عن نبيّ الهدى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فقال النصرانيّ: أسألك عمّا سألت عن هذا الشيخ، خبّرني أمؤمن أنت عند الله أم عند نفسك؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا مؤمن عند الله كما أنا مؤمن عندي في عقيدتي.

فقال الجاثليق: الله أكبر، هذا كلام وثيق بدينه، متحقّق فيه بصحّة يقينه، فخبّرني الآن عن منزلك في الجنّة ما هي؟

فقال عليه السلام: منزلتي مع النبيّ الأُمّيّ في الفردوس الأعلى، لا أرتاب في ذلك ولا أشكُّ في الوعد به من ربّي.

فقال النصرانيّ: بما عرفت ذلك؟

قال عليه السلام: بالكتاب المُنزَل وصدق النبيّ المرسل.

قال: فبما عرفت صدق النبيّ المرسل؟

قال: بالمعجزات الباهرات، والآيات البيّنات.

قال الجاثليق: هذا طريق الحجّة لمن أراد الاحتجاج.

ثمّ سأل الجاثليق عن مكان الله.

وأجابه بأنّه يجلّ عن الأين.

ثمّ سأله أنّه مُدرَك بالحواسّ؟

فقال: لا.

فقال: فمن أين يُعرف؟

قال: بصنائعه وآياته.

ثمّ سأله عن المسيح وعن أنّه مخلوق؟

قال: إنّه مخلوق ليس بإله، فأجابه، فسأله عن خلقه بلا أب، فأجابه بأنّه مثل آدم كما في الآية الشريفة، كلّ ذلك مع البراهين القاطعة.

ثمّ قال الجاثليق: هذا ممّا لا يُطعن فيه الآن غير أنّ الحجاج ممّا يشترك فيه الحجّة على الخلق والمحجوج منهم، فبما يثبت الحجّة[1] أيّها العالم! من الرعيّة الناقصة عندي؟

قال: بما أخبرتك به من علمي بما كان وبما يكون.

قال الجاثليق: فهلمّ شيئاً من ذلك أتحقّق به دعواك.

فقال عليه السلام: خرجت أيّها النصرانيّ! من مستقرّك مستنفراً لمن قصدت سؤالك له، مضمراً خلاف ما أظهرت من الطلب والاسترشاد، فأُريت في منامك مقامي وحدّثت فيه بكلامي، وحذّرت فيه من خلافي، وأُمرت فيه باتّباعي.

قال: صدقت والّذي بعث المسيح! وما اطّلع على ما أخبرتني به إلّا الله، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّك وصيّ رسول الله وأحقّ الناس بمقامه.

وأسلم الّذين كانوا معه كإسلامه، ثمّ قال: فنرجع إلى صاحبنا ونخبره بما وجدنا [هذا الأمر وندعوه إلى الحق].

---

١. في المصدر: فبم بنت وفي البحار: فبم نبت.

فقال عمر: الحمد لله الّذي هداك [أيّها الرجل! إلى الحق] وهدى من معك إليه [غير أنّه] علم نبيّنا صلّى الله عليه وآله في أهل بيته وخلافته في الرجل الّذي تكلّمت معه أوّلاً!

فقال الجاثليق: قد علمت ما علمت ولست على شكّ منه.

وقال عمر بالكتمان وتوعّد بالعقاب على من ذكره، وقال: لولا أنّي أخاف أن يقول الناس: قتل عمر مُسلماً لقتلت هذا الشيخ ومن معه، فإنّي أظنّ أنّهم شياطين أرادوا الإفساد على هذه الأمّة»[1]، الحديث.

وصدر الحديث وذيله ملخّص منقول بالمعنى، ومحلّ الشاهد هو عين ألفاظ الخبر.

ثانيها: ما رواه الشيخ المفيد في «الاختصاص» مُسنداً إلى الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثماليّ، عن سويد بن غفلة قال: «أنا عند أميرالمؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين! جئتك من وادي القرى، قد مات خالد بن عرفطة.

فقال: لم يمت.

فأعاد عليه الرجل.

فقال له: لم يمت، وأعرض عنه بوجهه.

فأعاد عليه الثالثة.

فقال: سبحان الله! أُخبرك أنّه قد مات، فتقول لم يمت؟!

فقال عليّ عليه السلام: والّذي نفسي بيده! لا يموت حتّى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جمّاز.

قال: فسمع حبيب بن جمّاز، فأتى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: أنشدتك الله فيّ! فإنّي لك شيعة وقد ذكرتني بأمر لا والله! لا أعرفه من نفسي.

فقال له عليّ عليه السلام: ومن أنت؟

قال: حبيب بن جمّاز.

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٢١٨؛ التحصين لابن طاوس، ص ٦٣٧؛ بحارالأنوار، ج ١٠، ص ٥٤ مع اختلاف في النقل.

فقال له عليّ عليه السلام: إن كنت حبيب بن جمّاز فلا يحملها غيرك أو فلتحملنّها.

فولّى عنه حبيب بن جمّاز وأقبل أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: إن كنت حبيباً لتحملنّها.

قال أبو حمزة: فوالله! ما مات خالد بن عرفطة حتّى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدّمته، وحبيب بن جمّاز صاحب رايته»[١].

السيّد الرضيّ في «الخصائص» بسندٍ آخر عن أمّ حكيم بنت عمرو قالت: «وأنا أشتهي أن أسمع كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدنوت منه وفي الناس رقّة وهو يخطب على المنبر حتّى سمعت كلامه.

فقال رجل: يا أميرالمؤمنين! استغفر لخالد بن عرفطة، فإنّه قد مات بأرض نباك.

فلم يردّ عليه، فقال الثانية، فلم يردّ عليه، ثمّ قال الثالثة.

فقال عليه السلام: أيّها الناعي خالد بن عرفطة! كذبت والله! ما مات ولا يموت حتّى دخل من هذا الباب يحمل راية ضلالة.

قال: فرأيت خالد بن عرفطة يحمل راية معاوية حتّى نزل بحيلة وأدخلها من باب الفيل»[٢].

وابن شهرآشوب قال: استفاض بين أهل العلم عن الأعمش وابن محبوب عن الثماليّ والسبعيّ كلّهم عن سويد بن غفلة، وقد ذكره أبوالفرج في أحوال الحسين أنّه قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ خالد قد مات.

ـ وساق الحديث مثل الأوّل ـ فأخبر عليه السلام بأنّه لم يمت حتّى يقود جيش ضلالة، وصاحب لوائه حبيب بن جمّاز من هذا الباب ـ وأشار إلى باب الفيل ـ فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام، كان خالد على مقدّمته، وحبيب بن جمّاز صاحب رايته، فسار بها حتّى دخل المسجد من باب الفيل.

ثالثها: إخباره ميثم التمّار بقتله وهو مشهور معروف مستفيض.

---

١. الاختصاص، ص ٢٨٠؛ بحارالأنوار، ج ٤٢، ص ١٦١.

٢. خصائص الأئمّة، ص ٥٢.

السيّد الرضيّ في «الخصائص» بإسناده إلى ابن ميثم التّمار قال: «سمعت أبي يقول: دعاني أميرالمؤمنين عليه السلام يوماً فقال لي: يا ميثم! كيف أنت إذا دعاك دعيّ بني أُميّة عبيدالله بن زياد إلى البرائة منّي؟

قلت: إذاً والله! أصبر وذلك في الله قليل.

قال: يا ميثم! إذاً تكون معي في درجتي.

فكان ميثم يمرّ بعريف قومه فيقول: يا فلان! كأنّي بك قد دعاك دعيّ بني أُميّة وابن دعيّها فيطلبني منك فتقول: هو بمكّة، فيقول: ما أدري ما تقول ولابدّ لك أن تأتي به، فلتخرج القادسيّة فتقيم به أيّاماً، فإذا قدمت عليك قدّمت بي إليه حتّى يقتلني على باب دار عمرو بن حريث، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر من منخري دم عبيط.

وكان ميثم يمرّ في السبخة بنخلة فيضرب بيده عليها ويقول: يا نخلة! ما غُذّيت إلّا لي، وكان يقول لعمرو بن حريث: إذا جاورتك فأحسن جواري، فكان عمرو يرى أنّه يشتري عنده داراً أو ضيعة بجنب ضيعته، فكان عمرو يقول: سأفعل.

فأرسل الطاغية عبيدالله بن زياد إلى عريف ميثم يطلب منه، فأخبره أنّه بمكّة، فقال: إن لم تأتني به لقتلتك.

فأجّله أجلاً وخرج العريف إلى القادسيّة ينتظر ميثماً، فلمّا قدم ميثم أخذه بيده فأتى به إلى عبيدالله بن زياد، فلمّا دخل عليه قال له: ميثم؟

قال: نعم.

قال: إبرأ من أبي تراب.

قال: لا أعرف أبا تراب.

قال: إبرأ من عليّ بن أبي طالب.

قال: فإن لم أفعل؟

قال: إذاً والله! أقتلنّك.

قال: أمّا إنّه قد كان يقال لي: إنّك ستقتلني وتصلبني على باب دار عمرو بن حريث، فإذا

كان اليوم الرابع ابتدر من منخري دم عبيط.

قال: فأمر ـ اللعين بن اللعين عليه غضب الله إلى يوم الدين ـ بصلبه على باب دار عمرو بن حريث.

قال للناس: سلوني سلوني ـ وهو مصلوب ـ قبل أن أموت، والله! لأُحدّثنّكم ببعض ما يكون من الفتن.

فلمّا سأله الناس وحدّثهم أتاه رسول من ابن زياد فألجمه بلجام وهو مصلوب، ثمّ أنفذ إليه من وجأ جوفه حتّى مات. فكانت هذه من دلائل أميرالمؤمنين عليه السلام»[1].

رابعها: إخباره بقتل رُشيد الهجريّ ومن يقتله وكيف يقتله وهو أيضاً من المشهورات.

الشيخ في أماليه مُسنداً إلى أمة الله بنت رشيد الهجريّ. قال الراوي: «فقلت لها: أخبريني بما سمعت من أبيك.

قالت: سمعته يقول: قال لي حبيبي أميرالمؤمنين عليه السلام: يا راشد! كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أُميّة فقطع يديك ورجليك ولسانك؟

فقلت: يا أميرالمؤمنين! أيكون آخر ذلك إلى الجنّة؟

قال: نعم يا راشد، وأنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت: فوالله! ما ذهبت الأيّام حتّى أرسل إليه المدّعى عبيدالله بن زياد، فدعاه إلى البراءة من أميرالمؤمنين عليه السلام، فأبى أن يتبرّأ منه.

فقال له ابن زياد: فبأيّ ميتة قال لك صاحبك تموت؟

قال: أخبرني خليلي ـ صلوات الله عليه ـ أنّك تدعوني إلى البراءة منه ولم أتبرّأ. فتقدمني فتقطع يديّ ورجليّ ولساني.

فقال: لأُكذّبنّ صاحبك، قدّموه فاقطعوا يده ورجله واتركوا لسانه.

فقطعوه، ثمّ حملوه إلى منزلنا، فقلت له: يا أبت! جعلت فداك، هل تجد لما أصابك ألماً؟

قال: لا والله يا بنيّة! إلّا كالزحام بين الناس.

---

١. خصائص الأئمّة، ص ٥٤.

ثمّ دخل عليه جيرانه ومعارفه يتوجّعون له، فقال: ايتوني بصحيفة ودوات.

فجعل يذكر ويملي عليهم أخبار الملاحم والكائنات ويسندها إلى أميرالمؤمنين عليه السلام.

فبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إليه الحجّام حتّى قطع لسانه، فمات من ليلته ـ رضوان الله عليه ـ.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام قد ألقى إليه علم البلايا والمنايا، فكان يلق الرجل فيقول له: يا فلان بن فلان! تموت موتة كذا، وأنت يا فلان! تُقتل قتلة كذا، فيكون الأمر كما قاله»[١].

وروى هذا الحديث الشيخ المفيد في «الاختصاص» بتغيير يسير.[٢]

خامسها: إخباره عليه السلام أنّ الحسين عليه السلام يُقتل وموضعه كربلاء، وسائر ما أخبره من المعجزات.

روى ابن بابويه بإسناده عن ابن عبّاس قال: «كنت مع عليٍّ عليه السلام في خروجه إلى صفّين، فلمّا نزل بنينوا وهو شطّ الفرات، قال بأعلى صوته: يابن عبّاس! أتعرف هذا الموضع؟

فقلت: لا أعرفه يا أميرالمؤمنين!

فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي.

قال: فبكى طويلاً حتّى اختضبت لحيته وسال الدموع من عينيه على صدره، وبكينا معه، وهو يقول: اوه! اوه! مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر؟ صبراً يا أباعبدالله! لقد لقي أبوك مثل الّذي تلقى منهم.

ثمّ دعا بماء فتوضّأ وضوء الصلاة، فصلّى ما شاء الله أن يصلّي، ثمّ ذكر نحو كلامه إلّا أنّه عليه السلام نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثمّ انتبه، فقال: يابن عبّاس!

فقلت: أنا ذا.

فقال: ألا أُحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟

فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أميرالمؤمنين!

---

١. الأمالي للطوسي، ص ١٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٢، ص ١٢١.

٢. الاختصاص، ص ٢١٩.

فقال: رأيت كأنّي برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلامٌ بيض قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة، ثمّ رأيت كأنّ هذه النخيل قد ضُربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأنّي بالحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخّي قد غرق فيه يستغيث فلا يُغاث، وكأنّ الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبراً آل الرسول، فإنّكم تُقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنّة يا أبا عبدالله! مشتاقة إليك.

ثمّ يعزّوني ويقولون: يا أباالحسن! إبشر، فقد أقرّ الله عينيك يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

ثمّ انتبهت هكذا، والّذي نفسي بيده! لقد حدّثني الصادق المصدّق أبوالقاسم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّي سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا وهذه أرض كرب وبلاء، يُدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وإنّها لفي السماوات معروفة، تُذكر أرض كرب وبلاء، كما تُذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس.

ثمّ قال [لي]: يابن عبّاس! أُطلب [في] حولها بعر الظّباء، فوالله! ما كذبت وما كُذِّبت وهي مصفرّة لونها لون زعفران.

قال ابن عبّاس: فطلبتها فودتها مجتمعة، فناديته: يا أميرالمؤمنين! قد أصبتها على الصفة الّتي وصفتها لي.

فقال عليّ: صدق الله ورسوله.

ثمّ قام عليّ عليه السلام يهرول حتّى جاء إليها فحملها وشمّها وقال: هي هي. أتعلم يابن عبّاس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم وذلك أنّه مرّ بها ومعه الحواريّون، فرأى هاهنا ظباء مجتمعة وهي تبكي، فجلس عيسى وجلس الحواريّون، فبكى وبكى الحواريّون وهم لا يدرون لِمَ جلس ولِمَ بكى.

فقالوا: يا روح الله وكلمته! ما يبكيك؟

قال: أتعلمون أيّ أرضٍ هذه؟ هذه أرض يُقتل فيها فرخ رسول الله أحمد وفرخ الحرّة

الطاهرة البتول، شبيهة أُمّي، ويُلحد فيها أطيب من المسك، لأنّها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الظّباء تكلّمني وتقول: إنّها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض.

ثمّ ضرب بيده البعيرات فشمّها وقال: هذه بعر الظّباء على هذا الطّيب لمكان حشيشها، اللهمّ فابقها أبداً حتّى يشمّها أبوه فتكون له عزاء وسلوة.

فبقيت إلى يومنا هذا وقد اصفرّت بطول زمنها، وهذه أرض كرب وبلاء.

ثمّ قال بأعلى صوته: يا ربّ عيسى بن مريم! لا تبارك في قتلته والمعين عليه والخاذل له.

ثمّ بكى طويلاً وبكينا معه حتّى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً، ثمّ أفاق فأخذ البعر فصرّه على ردائه وأمرني أن أصرّها كذلك.

ثمّ قال: يابن عبّاس! إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً ويسيل منها دم عبيط فاعلم! أنّ أبا عبد الله قد قُتل بها ودفن.

قال ابن عبّاس: فوالله! لقد كنت أحفظها أشدّ من حفظي لما افترض الله عزّوجلّ عليّ، وإنّي لا أحلّها من طرف كمّي، فبينا أنا نائم في البيت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وإنّ كمّي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باك، وقلت: قُتل والله! الحسين عليه السلام، والله! ما كذّبني قطّ في حديث، ولا أخبر بشيء إنّه يكون إلّا كان كذلك، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره، ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر، فرأيت والله! المدينة كأنّه ظباب لا يستبين منها أثر عين، ثمّ طلعت الشمس فرأيت كأنّه منكسفة، ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باك وقلت: قُتل والله! الحسين عليه السلام، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصبروا آل الرسول   قتل الفرخ البتول
نزل الروح الأمين   ببكاء وعويل

ثمّ بكى بأعلى صوته وبكيت، فأثبت عندي تلك الساعة وكان شهر محرّم يوم عاشورا لعشر مضين منه، فوجدته قُتِل يوم ورد علينا تأريخه وخبره كذلك، فحدّثت بهذا الحديث

الّذين كانوا معه.

فقالوا: والله! لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري ما هو.

قلت: أترى إنّه الخضر عليه السلام؟»[١]

ابن بابويه عن جويريّة بن مهر العبديّ: «لمّا دخل عليّ عليه السلام إلى صفّين وقف بطفوف كربلا ونظر يميناً وشمالاً واستعبر، ثمّ قال: والله! ينزلون هاهنا ويُقتلون هاهنا، فلم يعرفوا تأويله إلّا وقت قتل الحسين عليه السلام»[٢].

«الشافي» في الأنساب: قال بعض أصحابه: «فطلبت ما أعلم به الموضع، فما وجدت غير عظم جمل [قال:] فرميته في الموضع، فلمّا قتل الحسين عليه السلام وجدت العظم في مصارع أصحابه»[٣].

سادسها: ابن بابويه مسنداً إلى أصبغ بن نباتة قال: «بينا أميرالمؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله! لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلّا نبّأتكم به»؛ فقام إليه سعد بن أبي وقّاص فقال: يا أميرالمؤمنين! كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟

فقال: أما والله! لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّك سألني عنها وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلّا وفي أصلها شيطان جالس، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه»[٤].

والرضيّ في «الخصائص» عن أبي جعفر عليه السلام قال: «خطب أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: «سلوني، ... إلى آخره.

فوالله! لا تسألوني عن فئة تضلّ فيها مائة وتهدي فيها مائة إلّا أخبرتكم بسائقها وناعقها

---

١. كمال الدين، ج ٢، ص ٥٣٢؛ الأمالي للصدوق، ص ٥٩٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٢٥٢.

٢. بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣١٥.

٣. المناقب، ج ٢، ص ٢٧١؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣١٥.

٤. الأمالي للصدوق، ص ١٣٣.

إلى يوم القيامة.

فوثب إليه بعض الحاضرين، وساق ما في الخبر وقال في آخره: قال أبو جعفر عليه السلام: وعمر بن سعد يومئذ يحبو»[١].

سابعها: كتاب «سير الصحابة» مسنداً إلى الباقر عليه السلام: «إذ جاءه رجلان، فقالا: يا أبا جعفر! أليس ذكرت لنا أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ما رضي بإمامة من تقدّم عليه؟

فقال عليه السلام: وما الحجّة لكما في ذلك؟

قالا: هذه خولة الحنفيّة نكحها من سبيهم وقبل هديّتهم ولم يخالف على أمر أحد منهم في أيّام حياته.

فقال أبو جعفر عليه السلام: من فيكم يأتيني بجابر بن خزام؟

فأُتي إليه بجابر، وكان الرجل قد أضرّ لا يدري أين يضع رجله، فسلّم وجلس.

فقال عليه السلام له: يا جابر! أتدري عمّا أُريد أسألك به؟

فقال: لا، يا مولاي.

فقال له: عندي رجلان ذكرا أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام رضي بإمامة من تقدّم عليه، فسألتهما عن الحجّة في ذلك، فذكرا خولة الحنفيّة.

فبكى جابر حتّى اختضبت لحيته من دموعه، ثمّ قال: والله! يا باقر! لوددت أنّي أموت ولا أُسأل عن هذه المسألة.

ـ وفي نسخة البرسيّ: لقد خشيت أن أُخرج من الدنيا ولا أُسأل عن هذه المسألة ـ.

فقال: أنا والله! كنت جالساً من جانب أبي‌بكر وقد عرض عليه سبي من سبي بني حنفيّة بعد قتل مالك ابن نويرة وكانت فيهم خولة الحنفيّة وهي جارية مراهقة.

فلمّا دخلت المسجد قالت: يا أيّها الناس! ما فعل رسول الله؟

قالوا: قُبض.

قالت: أله بنية نقصدها؟

---

١. خصائص الأئمّة، ص ٦٢.

فقالوا: نعم، وهذه حجرته الّتي فيها قبر.

فدخلت عليه فنادت: السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمّد، السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنّك تسمع كلامي وتقدر على جوابي، وتعلم أنّا سُبينا بعدك وأنّا نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك محمّد رسول الله، فجلست.

فوثب طلحة بن عبدالله والزبير بن العوام فطرحا ثوبيهما عليها.

فقالت: مالكم معاشر العرب! تصونون حلائلكم وتهتكون حلائل الغير؟

فقالا لها: لمخالفتكم الله ورسوله حتّى قلتم: إنّا لا نزكّي ولا نصلّي، أو لا نزكّي ونصلّي؟

فقالت لهما: والله! ما قالها أحد من بني حنفية، وإنّا لنضرب صبياننا على التسع وعلى الصيام من السبع، وإنّا لنخرج الزكاة من حيث أن يبقى من جمادى الآخرة عشرة أيّام ويوصي مريضنا بها لوصيّه، والله! ما بكينا ولا غيّرنا ولا بدّلنا حتّى تقتلوا رجالنا وتسبوا حريمنا، فإن كنت يا أبابكر! ولّيت بحقّ فما بال عليّ لم يكن سبقك علينا، وإن كان راضياً بولايتك فلم لا ترسله إلينا يقبض الزكاة منّا ويسلّمه إليك؟ والله! ما رضي ولا يرضى، قتلت الرجال ونهبت الأموال وقطعت الأرحام، فلانجتمع معك في الدنيا ولا في الآخرة، إفعل ما أنت فاعله.

فضجّ الناس وقال الرجلان اللذان طرحا ثوبيهما عليها: لتعالين في ثمنك.

فقالت: أقسمت بالله ربّي وبمحمّد نبيّي! أن لا يملكني إلّا من يخبرني بما رأت أُمّي في منامها وهي جاهلة حاملة بي، وما قالت لي عند الولادة، وما العلامة الّتي بيني وبينها وإلّا إن ملكني أحد منكم بقرت بطني بيدي، فتذهب نفسي وماله ويكون مطالباً بذلك يوم القيامة.

فقالوا: يا بنيّة! ابدي رؤياك الّتي رأت أُمّك وهي حاملة بك حتّى نبدي تلك العبارة.

فأخذ الرجلان ثوبيهما وعادا إلى المسجد، ودخل المسجد عقيب ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: ما هذا الزحف في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقالوا: امرأة من بني حنفيّة حرّمت نفسها على المسلمين وقالت: ثمني من يخبرني بالرؤيا الّتي رأتها أُمّي في منامها والعبارة لها.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أخبروها تملكوها، ما دعت إلى باطل.

فقالوا: يا أمير المؤمنين! ليس فينا من يعلم الغيب على ابن عمّك قبض وأخبار السماوات والأرض كان يخبرها به جبرئيل ساعة فساعة.

فقال أبوبكر: أخبرها يا أمير المؤمنين!

فقال عليه السلام: أُخبرها وأُملّكها بلا اعتداء على أحد منكم.

فقال أبوبكر والمسلمون: نعم.

فقال عليه السلام: يا حنفيّة! أُخبرك وأُمّلكك؟

فقالت: نعم، من أنت الجريّ دون أصحابك؟

فقال لها: أنا عليّ بن أبي طالب.

قالت: لعلّك الرجل الّذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة يوم الجمعة يوم غدير خمّ علماً للنّاس؟

فقال عليه السلام: أنا ذلك.

فقالت: إنّا من سبيلك أُصبنا، ومن نحوك أُوتينا؛ لأنّ رجالنا قالت: لا نُسلّم الصدقات من أموالنا ولا طاعة أنفسنا إلّا إلى الّذي نصبه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله فينا وفيكم علماً.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أجركم لغير ضايع، وإنّ الله تعالى يؤتي كلّ نفس ما افترقت.

ثمّ قال عليه السلام: يا حنفيّة! ألم تحملك أُمّك في زمان قحط منعت السماء فيها مطرها والأرض نباتها حتّى أنّ البهائم ترعى فلا تجد رعياً، وكانت أُمّك تقول: إنّك حمل ميشوم في زمان غير مبارك.

فلمّا كان بعد سبع شهور رأت أُمّك في منامها كأنّها وقد وضعتك وهي تقول: إنّك لولد ميشوم في زمان غير مبارك، وكأنّك أنت تقولين لها: يا أُمّاه! لا تتشأّمي بي، فإنّي ولد مبارك أنشأُ نشواً حسناً، أملكني سيّد يولدني وليّاً مباركاً يكون لبني حنفيّة عزّاً.

فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين! إنّه لكذلك.

فقال عليه السلام: إنّه من أخبار النبيّ لي.

فقالت: وما العلامة يا أمير المؤمنين! بيني وبين أُمّي؟

فقال عليه السلام: لمّا وضعتك أُمّك كتبت كلامك والرؤيا في لوح من النحاس وأودعت عتبة الباب، فلمّا كان بعد حولين عرضته عليك فأقررت به، فلمّا كان بعد ثمان سنين عرضته عليك فأقررت به، فلمّا كان بعد ثمان سنين جمعت بينك وبينه وقالت لك: يا بنيّة! إذا نزل بساحتكم سافك دمائكم وناهب أموالكم وسابق ذراريكم وسُبيت فيمن تُسبى، فخذي هذا اللوح معك واجهدي أن لايملكك من الجماعة إلّا من يخبرك بالرؤيا واللوح.

فقالت: صدقت يا أميرالمؤمنين! وأين اللوح؟

فقال: في عنقك.

فرفعت اللوح عليه فملّكها، والله، يا أباجعفر! هذا ما ظهر من حجّة وبيّنة.

ثمّ قالت: يا معشر الناس! إشهدوا أنّي قد جعلت نفسي لها عبداً.

فقال عليه السلام: بل قولي زوجة.

فقالت: إشهدوا أنّي قد زوّجت نفسي كما أمرني أهلي.

فقال عليه السلام: قد قبلتك زوجة. فماج الناس»[١].

ثامنها: ما في «الكافي» مُسنداً إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا قدمت بنت يزدجرد على عمر، أشرف لها عذارى المدينة، وأشرقت المسجد بضوئها لمّا دخلته.

فلمّا نظر إليها عمر غطّت وجهها وقالت: «أُف بيروج بادا هرمز».

فقال عمر: أتشتمني هذه، وهمّ بها.

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: ليس ذلك لك، خيّرها رجلاً من المسلمين واحسبها بفيئه، فخيّرها، فجاءت حتّى وضعت يدها على رأس الحسين عليه السلام.

فقال لها أميرالمؤمنين: ما اسمك؟

فقالت: جهانشاه.

فقال لها أميرالمؤمنين: بل شهربانويه.

ثمّ قال عليه السلام للحسين عليه السلام: يا أباعبدالله! ليلدنّ لك منها خير أهل الأرض.

---

١. الفضائل، ص ٩٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٢، ص ٨٤ (نحوه).

فولدت عليّ ابن الحسين عليهما السلام، وكان يقال لعليّ بن الحسين «ابن الخيرتين»؛ فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم ملك فارس»[١].

وروي: أنّ أباالأسود الدئليّ قال فيه:

«وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم»[٢]

تاسعها: الراونديّ عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام عن أبيه قال:

«لمّا أراد أميرالمؤمنين أن يسير إلى النهروان، استنفر أهل الكوفة وأمرهم أن يعسكروا بالمدائن، فتأخّر عنه شبث بن ربعيّ وعمرو بن حريث والأشعث بن قيس وجرير بن عبدالله [اليحلي] وقالوا: أتأذن لنا أيّاماً نتخلّف عنك في بعض حوائجنا ونلحق بك.

فقال لهم: قد فعلتموها سوءة لكم من مشايخ، فوالله! مالكم من حاجة تتخلّفون عليها وإنّي لأعلم ما في قلوبكم وسأُبيّن لكم: تريدون أن تثبّطوا عنّي الناس، وكأنّي بكم بالخورنق وقد بسطتم سفرتكم للطعام، إذ يمرّ بكم ضبّ، فتأمرون صبيانكم فيصيدونه، فتخلعوني وتبايعونه.

ثمّ مضى إلى المدائن وخرج القوم إلى الخورنق وهيّأوا طعاماً، فبيناهم كذلك على سفرتهم وقد بسطوها إذ مرّ بهم ضبّ فأمروا صبيانهم فأخذوه وأوثقوه ومسحوا أيديهم على يده، كما أخبر عليّ عليه السلام وأقبلوا على المدائن.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: بئس للظّالمين بدلاً، ليبعثنّكم الله يوم القيامة مع إمامكم الضبّ الّذي بايعتم، كأنّي أنظر إليكم يوم القيامة وهو يسوقكم إلى النار.

ثمّ قال: لئن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله منافقون كان معي منافقون، أما والله! يا شبث ويا ابن حريث! لتقاتلون ابني الحسين عليه السلام»[٣]، هكذا أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله.

المفيد في «الاختصاص» مسنداً إلى أصبغ بن نباتة، قال: «أمرنا أميرالمؤمنين عليه السلام بالمسير

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٦٦.

٢. نفسه.

٣. الخرائج و الجرائح، ج ١، ص ٢٢٥؛ الأمالي للصدوق، ص ٤١٥؛ ارشاد القلوب، ج ٢، ص ٢٧٥.

إلى المدائن من الكوفة، فسرنا يوم الأحد، فتخلّف عمرو بن حريث في سبعة نفر، فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمّى «الخورنق»، فقالوا: نتنزّه فإذاكان يوم الأربعاء خرجنا ولحقنا عليّاً قبل أن يجمع، فبيناهم يتغذون إذ خرج عليهم ضبّ فصادوه، فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفّه فقال: بايعوا، هذا أميرالمؤمنين.

فبايعه السبعة وثامنهم عمرو، وارتحلوا ليلة الأربعاء، فقدموا المدائن يوم الجمعة وأميرالمؤمنين عليه السلام يخطب ولم يفارق بعضهم بعضاً، كانوا جميعاً حتّى نزلوا على باب المسجد.

[فلمّا دخلوا] نظر إليهم أميرالمؤمنين عليه السلام، فقال: أيّها الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسرّ إليّ ألف حديث في كلّ حديث ألف باب، في كلّ باب ألف مفتاح، وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** ﴾[1]، وإنّي أقسم لكم بالله! ليبعثنّ يوم القيامة ثمانية نفر بإمامهم وهو ضبّ، ولو شئت أن أُسمّيهم لفعلت.

قال: فلو رأيت عمرو بن حريث سقط [كما] تسقط السّفعة وجيباً»[2].

عاشرها: ما رواه ابن شهرآشوب أنّه عليه السلام «أخبر بقتل جماعة؛ منهم حجر بن عديّ ورشيد الهجريّ وكميل بن زياد وميثم التمّار ومحمّد بن أكثم وخالد بن مسعود وحبيب بن مظاهر وجويريّة وعمرو بن الحمق ومزرع بن عبدالله وغيرهم، ووصف قاتلهم وكيف قتلهم.

عبدالعزيز بن صهيب عن أبي العالية قال: حدّثني مزرع بن عبدالله قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: أما والله! ليقبلنّ جيش حتّى إذا كان بالبيداء خسف بهم.

فقلت: هذا غيب علم.

قال: والله! ليكوننّ ما خبّرني به أميرالمؤمنين عليه السلام وليؤخذنّ رجل فليقتلنّ وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد.

فقلت: هذا ثان.

قال: حدّثني الثقة المأمون عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

---

١. الإسراء: ٧١.

٢. الاختصاص، ص ٢٨٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٣، ص ٤٠٤.

قال أبو العالية: فما أتت علينا جمعة حتّى أُخذ مزرع وصُلب بين شرفتين»[١].

حادي عشرها: خبر النهروان وذو الثدية وأنّه لا يقتل من أصحابه عشرة وقد ذكر هذه القصّة المؤالف والمخالف.

وفي «نهج البلاغة» ببالي حين أخبروه بعبور الخوارج النهر، فقال عليه السلام: «لا يفلت منهم عشرة، ولا يقتل منّا عشرة، وإنّ مصارعهم دون النطفة»[٢].

وذكر ابن أبي الحديد في الشرح: «إنّه قتل من أصحابه تسعة، وانفلت من الخوارج تسعة»[٣].

السيّد الرضيّ في «الخصائص» بإسناد مرفوع إلى جندب بن عبدالله البجليّ قال:

«دخلني يوم النهروان شكّ فاعتزلت وذلك أنّي رأيت القوم أصحاب البرانس وراياتهم المصاحف حتّى هممت أن أتحوّل إليهم، فبينا أنا مقيم متحيّر إذ أقبل أميرالمؤمنين عليه السلام حتّى جلس إليّ.

فبينا نحن كذلك إذ جاء فارس يركض فقال: يا أميرالمؤمنين! ما يقعدك وقد عبر القوم.

قال: وأنت رأيتهم؟

قال: نعم.

قال: والله! ما عبروا ولا يعبرون أبداً.

فقلت في نفسي: الله أكبر! كفى بالمرء شاهداً على نفسه، والله! لئن كانوا عبروا وإلّا قاتلته قتالاً لا ألو فيه جهداً، وإن لم يعبروا لأُقاتلنّ أهل النهروان قتالاً يعلم الله به أنّي أغضب له.

ثمّ لم ألبث أن جاء فارس آخر يركض ويلمع بسوطه، فلمّا انتهى إليه، قال: يا أميرالمؤمنين! ما جئت حتّى عبروا كلّهم وهذه نواصي خيلهم قد أقبلت.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: صدق الله ورسوله وكذبت، ما عبروا ولم يعبروا.

---

١. المناقب، ج ٢، ص ٢٧١؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣١٦.

٢. نهج البلاغة، ص ٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٤١، ص ٣٤٨ مع اختلاف في النقل.

٣. شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٧٢؛ بحارالأنوار، ج ٣٣، ص ٣٤٨.

ثمّ نادى في الخيل فركب وركب أصحابه وسار نحوهم وسرت ويدي على قائم سيفي وأنا أقول: أوّل ما أرى فارساً قد خلع منهم أعلوا عليّاً بالسيف الّذي دخلني من الغيظ عليه.

فلمّا انتهى إلى النهر إذا القوم من وراء النهر لم يعبر منهم أحد، فالتفت إليّ ثمّ وضع يده على صدري، ثمّ قال: يا جندب! أشككت؟ كيف رأيت؟

قلت: يا أميرالمؤمنين! أعوذ بالله من الشكّ، وأعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله وسخط أميرالمؤمنين.

قال: يا جندب! لا أعلم إلّا بعلم الله وعلم رسوله.

فأصابت جندباً اثنتى عشرة ضربة ممّا ضربته الخوارج»[1].

وفي حديث آخر: «لمّا قتل أهل النهروان قال لأصحابه: أطلبوا إليّ رجلاً مجدح اليد، وعلى جانب يده الصحيحة ثدي كثدي المرأة، إذا مدّ امتدّ، وإذا تركت تقلّص، عليه شعرات صهيب وهو صاحب رايتهم يوم القيامة، لورودهم النار لبئس الورد المورود.

فطلبوه فلم يجدوه. فقالوا: لم نجده.

فقال عليه السلام: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ونصب الكعبة! ما كذبت ولا كُذِّبت، وإنّي لعلمي من ربّي.

قال: فلمّا لم يجدوه قال: والعرق ينحدر من جبهته حتّى أتى وهدة من الأرض فيها نحو من ثلاثين قتيلاً.

فقال: إرفعوا إليّ هؤلاء.

فجعلنا نرفعهم حتّى رأينا الرجل الّذي هذه صفته تحتهم، فاستخرجناه، فوضع أميرالمؤمنين عليه السلام رجله على ثديه الّذي هو كثدي المرأة، ثمّ عركه بالأرض، ثمّ أخذ بيده وأخذ بيده الأُخرى يدي الرجل الصحيحة ومدّها حتّى استويا، ثمّ التفت إلى رجل جاء إليه وهو شاكّ، قال: وهذه لك آية.

ثمّ قال: إنّ الجانب الآخر الّذي ليس فيه ثدي فشقّوا جانب قميصه فإذا له مكان الثدي

---

١. خصائص الأئمّة، ص ٦٠.

شيء مثل غليظ الإبهام وإذا ليس في ذلك الجانب ثدي.

فقال للرجل الشاكّ: وهذه لك آية أُخرى»[١].

قال السيّد: قلت: حديث جندب بن عبدالله الأزديّ متكرّر في الكتب، ذكره ابن شهرآشوب في «المناقب»، والطبرسيّ في «إعلام الورى»، وحديث ذي الثدية مذكور متكرّر في كتب الخاصّة والعامّة.

أقول: نقل روايات منه ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة».

ثاني عشرها: الراونديّ عن ابن أبي حمزة الثماليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قرأت عند أميرالمؤمنين ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾[٢] فقال عليه السلام: أنا الإنسان، وإيّاي تحدّث أخبارها.

فقال ابن كوّاء: يا أميرالمؤمنين! ﴿ **وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ** ﴾[٣].

قال عليه السلام: نحن الأعراف، نحن نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن أصحاب الأعراف؛ موقف بين الجنّة والنار، ولا يدخل الجنّة إلّا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه.

وكان عليّ عليه السلام يخاطبه بـ«ويحك»، وكان يتشيّع، فلمّا كان يوم النهروان قاتل عليّاً عليه السلام ابن الكوّاء.

وجاءه رجل فقال: إنّي أُحبّك.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: كذبت.

فقال: إنّي أُحبّكم أهل البيت ـ وكان فيه لين فأُثني عليه عنده ـ.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: كذبتم، لا يحبّنا مخنّث ولا ديّوث ولا ولد زنا ولا من حملته أُمّه في حيضها.

---

١. خصائص الأئمّة، ص ٦١.

٢. الزلزلة: ١ ـ ٤.

٣. الأعراف: ٤٦.

فذهب الرجل، فلمّا كان يوم صفّين قُتل مع أصحاب معاوية.

هذه عشرة كاملة من الأخبار المعتبرة المشهورة نقلها في الكتب، مشتملة على إخباره بالغيوب وما في ضمائر القلوب، ولو شئت لأكملت الأربعين من إخباراته عليه السلام بالغيب، بل لو حصرتها لتجاوزت مائة، ولكنّي أُريد إكمال الأربعين من باقي الأئمّة الطاهرين، وإن كانوا كلّهم نوراً واحداً؛ ما ثبت لأحدهم ثبت للآخر منهم، فللأوّل ما للآخر، وللظاهر منهم ما للباطن، كما عرفت من الأخبار العامّة من أنّ عندهم علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[1].

ثالث عشرها: ما ظهر من الحسن المجتبى عليه السلام من علمه بالغائب وما في النفس.

ما رواه السيّد في «مدينة المعاجز» عن الخصيبيّ في هدايته مسنداً إلى يونس بن ظبيان، عن المفضّل بن عمر الجعفيّ، عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: لمّا قدم أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام من الكوفة، تلقّاه أهل المدينة معزّين بأميرالمؤمنين ومهنّئين بالقدوم، ودخلن عليه أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، فقالت عائشة: يا أبامحمّد! ما فقد جدّك إلّا حيث فقد أبوك، ولقد قلت يوم قام عندنا ناعيه قولاً صدقت فيه ولا كذبت.

فقال لها الحسن عليه السلام: عسى هو يمثّلك بقول لبيد بن ربيعة حيث يقول:

فبشّرها واستعجلت عن خمارها　　　وقد تستخفّ المتعجلين البشائر
وأخبرها الركبان أن ليس بينها　　　وبين قرى نجران والشام كافر
فأقلت عصاها واستقرّ بها النوى　　　كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

ثمّ أتبعت الشعر بقولك: أمّا إذا قُتل عليّ فقولوا للعرب: تعمل ما تشاء.

فقالت: يابن فاطمة! لقد حذوت حذو جدّك وأبيك في علم الغيب، من الّذي أخبرك بهذا عنّي؟

فقال عليه السلام لها: ما هذا غيب، لأنّك أظهرته وسمع منك، والغيب نبشك عن جرد أخضر في وسط بيتك بلا قبس وضرب بالحديدة كفّك حتّى صار جرحاً وإلّا فاكشفي عنه وأرنيه من حولك من النساء، ثمّ إخراجك الجرو وفيه ما جمعته من الخيانة وأخذت منه أربعين ديناراً

---

١. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ١٧٧؛ تأويل الآيات، ص ٨٠٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٢، ص ١٧.

عدداً ولا تعلمين وزنها، وتفريط لها في مبغضي أميرالمؤمنين من تيم وعدي شكراً لقتل أميرالمؤمنين.

فقالت: يا حسن! والله، لقد كان ما قصبته، قتل الله ابن هند، لقد شفى وأشفاني.

فقالت لها أُمّ سلمة زوجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ويحك يا عائشة! ما هذا منك بعجب، وإنّي لأشهد عليك أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لي وأنتِ حاضر وأمّ أيمن وميمونة: يا أُمّ سلمة! كيف تجديني في نفسك؟

فقلت: يا رسول الله! أجده قرباً ولا أبلغه وصفاً.

فقال: كيف تجدي عليّاً في نفسك؟

قلت: لا يتقدّمك يا رسول الله! ولا يتأخّر عنك وأنتما في نفسي بالسواء.

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: شكراً لك ذلك، يا أُمّ سلمة! فلو لم يكن على نفسك مثلي لبرئت منك في الآخرة ولا ينفعك قربي منك في الدنيا. فقلت أنت لرسول الله: وكذا كلّ أزواجك يا رسول الله؟

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لا.

فقلت: والله! ما أجد لعليّ فيّ موضعاً قرّبتنا فيه أم أبعدتنا.

فقال لك: حسبك يا عائشة!

فقالت: يا أُمّ سلمة! يمضي محمّد ويمضي عليّ ويمضي الحسن مسموماً، ويمضي الحسين مقتولاً كما خبّرك جدّهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فقال لها الحسن عليه السلام: فما خبّرك جدّي رسول الله بأيّ موتة تموتين؟ وإلى ماذا تصيرين؟

قالت له: ما أخبرني إلّا بخير.

فقال الحسن عليه السلام: والله! لقد أخبرني جدّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تموتين بالداء والدبيلة وهي ميتة أهل النار، وإنّك تصيرين أنت وحزبك إلى النار.

فقالت: يا حسن! ومتى؟

فقال الحسن عليه السلام: حيث خبّرك بعداوتك عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام وإنشائك حرباً تخرجين

فيها عن بيتك متآمرة على جمل ممسوخ من مردة الجنّ يقال له : بكير ، وإنّكِ تسفكين دم خمسة وعشرين ألفاً من المؤمنين الّذين يزعمون أنّك أُمّهم .

قالت له : جدّك خبّرك بهذا أم هذا من علم غيبك ؟

قال لها : من علم الله وعلم رسوله وعلم أمير المؤمنين عليه السلام .

فأعرضت عنه بوجهها وقالت في نفسها : والله ! لأتصدّقنّ بأربعين وأربعين ديناراً ونهضت .

فقال لها الحسن عليه السلام : والله ! لو تصدّقت بأربعين قنطاراً ما كان ثوابك عنها إلّا النار »[١] .

رابع عشرها : ما رواه ابن بابويه في أماليه بإسناده عن مفضّل بن عمر ، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام : « إنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام دخل على أخيه الحسن عليه السلام ، فلمّا نظر إليه بكى ، فقال : ما يبكيك يا أباعبدالله ؟

قال : أبكي لما يُصنع بك .

فقال له الحسن عليه السلام : إنّ الّذي يأتي إليّ سُمّ يُدبَّر إليّ فأُقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أباعبدالله ، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنّهم من أُمّة جدّك محمّد ، وينتحلون دين الإسلام ، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمك وسبي ذراريك ونسائك وأخذ ثقلك ، فعندها تحلّ ببني أُميّة اللعنة ، وتمطر السماء دماً ورماداً ، ويبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحار »[٢] .

خامس عشرها : ما عن « الثاقب [في] المناقب » عن الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام وحذيفة قالا : « بينا رسول الله صلى الله عليه وآله على جبل في جماعة من المهاجرين والأنصار ، إذ أقبل حسن بن عليّ عليهما السلام يمشي على هدى ووقار ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فرمقه من كان معه ، فقال له بلال : يا رسول الله ! أما ترى أخذه ؟

فقال صلى الله عليه وآله : إنّ جبرئيل يهديه ، وميكائيل يسدّده ، وهو ولدي والطّاهر من نفسي ، وضلع

---

١. مدينة المعاجز ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ مع اختلاف يسير .

٢. الأمالي للصدوق ، ص ١١٥ ؛ بحارالأنوار ، ج ٤٥ ، ص ٢١٨ .

من أضلاعي، وهذا سبطي وقرّة عيني، بأبي هو، وقام وقمنا معه وهو يقول: أنت تفّاحتي، وأنت حبيبي ومهجة قلبي.

وأخذه بيده ونحن نمشي حتّى جلس وجلسنا حوله، فنظرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يرفع عنه بصره.

ثمّ قال: إنّه سيكون بعدي هادياً مهدياً، هديّة من ربّ العالمين إليّ ينبئ عنّي ويعرّف الناس آثاري، ويحيي سنّتي، ويتولّى موري، في فعله ينظر الله إليه ويرحمه، رحم الله من عرف ذلك، وبرّني وأكرمني فيه.

فما قطع كلامه إذ أقبل أعرابيّ يجرّ هرّة له، فلمّا نظر عليه السلام إليه، قال: قد جاءكم رجل يتكلّم بكلام غليظ تقشعرّ منه جلودكم، وإنّه ليسألكم عن الأمور إلّا أنّ لكلامه جفوة.

فجاء الأعرابيّ ولم يسلّم، فقال: أيّكم محمّد؟!

قلنا: وما تريد؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: مهلاً.

فقال: يا محمّد! أبغضك ولم أرك والآن قد ازددت بغضاً.

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغضبنا لذلك، فأردنا الأعرابيّ إرادة، فأومى إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن امسكوا.

فقال الأعرابيّ: إنّك تزعم أنّك نبيّ وإنّك قد كذبت على الأنبياء، وما معك من دلالاتهم شيء.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أعرابيّ! وما يدريك؟

قال: فأخبرني ببراهينك.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن أحببت أخبرتك كيف خرجت من منزلك وكيف كنت في نادي قومك، وإن أردت أخبرك عضو منّي فيكون ذلك أدلّة لبرهاني.

قال: أو يتكلّم العضو؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، يا حسن! قم.

فازدرى الأعرابيّ نفسه، قال: نعم، قال: هو يأتي وهو صبيّ يكلّمني.

قال: ستجده عالماً بما تريد.

فابتدأ الحسن عليه السلام وقال: مهلاً يا أعرابيّ!

وعيبا ما سألت وأين عيبي؟ فقيهاً بل إذا جهل الجهول
فإن تك قد جهلت فإنّ عندي شفاء الجهل ما سأل السؤول
وبحراً لا تقسّمه الدوالي تراثاً كان أورثة الرسول

لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك، وخادعتك نفسك، غير أنّك لا تبرح حتّى تؤمن إن شاء الله تعالى.

فتبسّم الأعرابيّ وقال: هيه.

فقال الحسن عليه السلام: قد اجتمعتم في نادي قومك فتذاكرتم ما جرى بينكم على جهل وخرق منكم، وزعمتم أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله صنوبر والعرب قاطبة تبغضه ولا طالب له بثأره، وزعمت أنّك قاتله وكاف قومك مؤونته، فحملت نفسك على ذلك وقد أخذت قناتك بيدك تريمه وتريد قتله، فعسر عليك مسلكك وعمي عليك بصرك، وأتيت إلى ذلك فأتيتنا خوفاً من أن نستهزأ بك وإنّما جئت لخير يراد بك، أنبأتك عن سفرك خرجت في ليلة ضحياء إذ عصفت ريح شديدة أشدّ منها ظلماؤها، وأطبقت سماؤها، وأعصر سحابها، وبقيت متجرّماً كالأشقر، إن تقدّم تجرف وإن [تأخّر] عقر، لا يسمع لواطي حسّاً، ولا لنافخ خرساً، تداكت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها، فلا تهتدي بنجم طالع، ولا بعلم لامع تقطّع محجّة وتهبط لجّة بعد لجّة في ديمومة قفر بعيدة القعر، مجحقة بالسفر، إذا علوت مصعداً أردت الريح [تخطفك، والشوك] تخبطك في ريح عاصف وبرق خاطف، قد أوحشتك قفارها، وقطعتك سلامها، فانصرفت فإذا أنت عندنا، فقرّت عينك وظهرت زينك، وذهب أنينك.

قال: منذ قلت يا غلام؟! كأنّك قد كشفت عن سويداء قلبي، وكأنّك كنت شاهدي وما خفي عليك من أمري شيء، وكأنّك عالم الغيب، يا غلام! لقّني الإسلام.

فقال الحسن عليه السلام: الله أكبر، قل: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً

عبده ورسوله».

وأسلم وحسن إسلامه، وسرّ رسول الله ﷺ وسرّ المسلمون، وعلّمه رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن.

فقال: يا رسول الله! أرجع إلى قومي وأُعرّفهم ذلك؟

فأذن له رسول الله ﷺ، فانصرف ثمّ رجع ومعه جماعة من قومه فدخلوا في الإسلام.

وكان الحسن عليه السلام إذا نظر إليه الناس قالوا: لقد أُعطي هذا ما لم يُعط أحد من العالمين»[١].

ويكفينا من الحسن المجتبى عليه السلام هذه الثلاثة، مع أنّه لو حصرنا إخباره بالغيوب لأكمل الأربعون مثل عوذة كتبها وشدّها على عضد قاسم ابنه وأوصاه بالمقاتلة بين يدي أخيه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

ومثل إخباره عن غدر أهل الكوفة في قاتلته مع معاوية، وإرساله رجلاً إلى الأنبار وإخباره بأنّه سيلحق بمعاوية، وكذا الرجل الثاني والثالث، وفي كلّ مرّة أخبر عليه السلام بأنّه يلحق بمعاوية، ثمّ احتجاج الناس معه وإخبارهم بأنّهم لايوفون، وخرج معهم إلى المدائن وأخبر أنّه يضربه بضربة زيد بن سنان ابن أخي جرير بن عبدالله البجليّ وإلحاقه بمعاوية.

ومثل إخباره للحسين عليه السلام حين سُمّ أنّي أعلم قاتلي ولكن لا أقوله.

ومثل إخباره منع بني مروان دخول نعشه في حجرة جدّه ووصيّته للحسين عليه السلام بعدم المقاتلة.

وفيها ما نقله في مجلّد السماء والعالم من «البحار» عن «دلائل الإمامة» للطبريّ الإماميّ مُسنداً إلى عبدالله بن عبّاس قال: «مرّت بالحسن بن عليّ عليهما السلام بقرة، فقال عليه السلام: هذا حبلى بعجلة أُنثى، لها غرّة في جبهتها، ورأس ذنبها أبيض.

فانطلقنا مع القصّاب حتّى ذبحها، فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها، فقلنا له:

---

١. العدد القوية، ص ٤٢؛ مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٢٢٩؛ ومابين المعقوفتين أثبتناه من الناقب في المناقب، ص ٣١٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٣ مع اختلاف في النقل.

أوليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾[1] فكيف علمت؟

قال عليه السلام: إنّا نعلم المخزون المكتوم الّذي لم يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل غير محمّد وذرّيّته»[2]، انتهى.

أقول: ووجدت الرواية في أصل كتاب «دلائل الإمامة» للطبريّ، كما سبق بزيادة المكنون قبل المخزون. ونقل بعدها رواية نظيرها أن قد أُوتي بظبية، فقال عليه السلام: «هي حبلى بخشفتين أُناث أحدهما في عينه غيد، فذبحها فوجدناهما كذلك»[3]،... إلى غير ذلك ممّا هو مسطور مفصّلاً في الكتب المعتبرة.

سادس عشرها: ما صدر من ذلك عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، فيها ما أخبر عن موضع قتله وقبره لأُمّ سلمة وغيرها.

«الثاقب [في] المناقب» عن الباقر عليه السلام قال: «لمّا أراد الحسين عليه السلام الخروج إلى العراق، بعثت إليه أُمّ سلمة ـ وهي كانت تربّيه، وكان أحبّ الناس إليها، وكان أرقّ الناس لها، وكان تربة الحسين عليه السلام عندها في قارورة دفعها إليها رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فقالت: يا بنيّ! إلى أين تريد أن تخرج؟

فقال لها: يا أمّاه! أُريد الخروج إلى العراق.

ثمّ قال عليه السلام: ولم ذاك يا أُمّه؟

قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يُقتل ابني الحسين بالعراق وعندي يا بني! تربتك في قارورة مختومة دفعها إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: يا أُمّه! والله! إنّي لمقتول، وإنّي لا أفرّ من القدر والمقدور وانقضاء المحتوم والأمر الواجب من الله تعالى.

فقالت: واعجبا! تذهب وأنت مقتول؟!

---

١. لقمان: ٣٤.

٢. دلائل الإمامة، ص ٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٣٢٨.

٣. دلائل الإمامة، ص ٦٧.

فقال: يا أمّه! إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً، وإن لم أذهب غداً ذهبت بعد غد، وما للموت يا أمّاه! والله! بُدّ، وإنّي لأعرف اليوم والموضع الّذي أُقتل فيه، والساعة الّتي أُقتل فيها، والحفرة الّتي أُدفن فيها، كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك.

قالت: قد رأيتها.

قال عليه السلام: نعم، وإن أحببت أن أُريك مضجعي ومكاني ومكان أصحابي فعلت.

فقالت: أرنيها.

فما زاد أن تكلّم بسم الله ـ وفي رواية أُخرى: بسم الله الرحمن الرحيم ـ فخفضت الأرض حتّى أرادها مضجعه ومكانه ومكان أصحابه وأعطاها من تلك التربة، فخلطتها مع التربة الّتي كانت معها.

ثمّ خرج الحسين عليه السلام وقد قال لها: أنا مقتول يوم عاشوراء، فلمّا كانت تلك الليلة الّتي صبيحتها قتل الحسين عليه السلام، أتاها رسول الله صلى الله عليه وآله أشعث مغبرّاً باكياً، قال: دفنت ابني الحسين عليه السلام وأصحابه الساعة.

فانتبهت أُمّ سلمة فصرخت بأعلى صوتها، فقالت: وا إبناه!

فاجتمع أهل المدينة وقالوا: ما الّذي أبكاك؟

فقالت: قتل ابني الحسين عليه السلام.

فقالوا: وما علمك؟

قالت: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام باكياً أشعث أغبر فأخبرني أنّه دفن الحسين عليه السلام وأصحابه الساعة.

فقالوا: أضغاث أحلام.

قالت: مكانكم، عندي تربة الحسين عليه السلام، وخرجت لهم القارورة، فإذا دم عبيط».[(١) (٢)]

أقول: لا يغيب عنك قوله: «وأعرف اليوم آخره كما أعرفك، وأنظر إليها كما أنظر إليك».

---

١. الارشاد، ج ٢، ص ٦٦؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ١٧٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٣.

٢. الثاقب في المناقب، ص ٣٣٠.

سابع عشرها: أبو جعفر الطبريّ قال: «روى هارون بن خارجة عن عبيدالله قال: قال الحسين عليه السلام لغلمانه: لا تخرجوا يوم كذا وكذا ـ قد سمّاه ـ واخرجوا يوم الخميس، فإن خالفتموني قطع عليكم الطريق وقتلتم وذهب ما معكم، وكان قد أرسلهم إلى ضيعة له.

فخالفوه وأخذوا طريق الحرّة، فاستقبلهم لصوص فقتلوهم كلّهم، ثمّ دخل رجل منهم إلى الوالي بالمدينة من ساعته، فأراد الوالي الحسين عليه السلام، فقال له: قد بلغني قتل غلمانك ومواليك، وآجرك الله فيهم.

فقال عليه السلام: أمّا إنّي أدلّك على من قتلهم، فاشدد يدك بهم.

قال: وتعرفهم ؟!

قال: نعم، كما أعرفك، وهذا منهم.

قال الرجل: يابن رسول الله! كيف عرفتني أنا منهم؟

قال عليه السلام: إن صدقتك تصدق؟

قال: نعم والله! لأفعلنّ.

قال: أخرجت معك فلاناً وفلاناً وسمّاهم بأسمائهم كلّهم فيهم الأربعة من موالي الأسود من حبشان أهل المدينة.

قال الوالي: وربّ القبر والمنبر! لتصدقنّ أو لأنثرنّ لحمك بأسياط.

قال: ما كذب الحسين كأنّه كان معنا.

قال: فجمعهم الوالي جميعاً فأقرّوا أجمعون، فأمر بهم يضرب أعناقهم»[1].

وروى هذا الحديث الراونديّ في «الخرايج»، وصاحب «الثاقب [في] المناقب»، والحضينيّ في هدايته عن الصادق عليه السلام بتغيير يسير[2].

ثامن عشرها: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ مسنداً إلى الواقديّ ورجل آخر قال: «لقيت الحسين عليه السلام قبل أن يخرج إلى العراق بثلاث، فأخبرناه ضعف الناس بالكوفة وأنّ

---

١. دلائل الإمامة، ص ٧٦ مع اختلاف في النقل.

٢. الثاقب في المناقب، ص ٣٤٢.

قلوبهم معه وسيوفهم عليه.

فأومى بيده نحو السماء، ففتحت أبواب السماء ونزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلّا الله، فقالوا: لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء ولكن أعلم علماً أنّ من هناك مصعدي[1] وهناك مصارع أصحابي، لا ينجو منهم إلّا ولدي عليّ»[2].

أقول: أحفظ قوله: «إنّ من هناك مصعدي» فإنّه يدلّ على صعود بدنه، فإنّ صعود الروح غير مخصوص به عليه السلام.

تاسع عشرها: عنه مسنداً إلى حذيفة قال: سمعت الحسين بن عليّ عليهما السلام يقول: «والله! ليجتمعنّ على قتلي طغاة بني أُميّة ويقدمهم عمر بن سعد ـ لعنه الله ـ وذلك في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فقلت له: أنبأك بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال: لا.

فأتيت النبيّ فأخبرته.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: علمه علمي إنّه لأعلم بالكائن قبل كينونته»[3].[4]

أقول: قوله عليه السلام: «لا» مع تصديق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له يدلّ على أنّ علمهم بالإلهام الإلهيّ وما شاع فيهم من انتساب كلّ علم إلى النبيّ تقيّة أو اتّقاء، أو تكلّم الناس على قصورهم، مع أنّ علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك صدق، ولهذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «علمه علمي إنّه لأعلم بالكائن قبل كينونته»[5].

و«أعلم» على صيغة المتكلّم من المضارع أي: إنّ علمه مثل علمي وأنا أعلم بالكائن قبل

---

١. في اللهوف: ولكنني أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي.

٢. اللهوف، ص ٦١؛ بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٣.

٣. دلائل الإمامة، ص ٧٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٦.

٤. في البحار: علمي علمه وعلمه علمي لأنّا نعلم بالكائن قبل كينونته.

٥. نفسه.

كينونته فهو أيضاً كذلك؛ فاحفظ هذا فإنّ هذا هو حقيقة الأمر.

العشرون: ما صدر من ذلك من عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام.

أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ مسنداً عن عبدالله بن عطاء التميميّ قال: «كنت مع عليّ بن الحسين عليهما السلام في المسجد، فمرّ عمر بن عبدالعزيز وعليه نعلان شراكهما فضّة وكان أحجن الناس وهو شابّ، فنظر إليه عليّ بن الحسين عليهما السلام ثمّ قال: يا عبدالله بن عطاء! ترى هذا المترف؟ إنّه لايموت حتّى يلي الناس.

قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هذا الفاسق؟

فقال: نعم، ولا يلبث عليهم إلّا يسيراً حتّى يموت، فإذا مات لعنه أهل السماء، وبكى عليه أهل الأرض»[1].

ورواه محمّد بن الحسن الصفّار في «بصائر الدرجات» بتغيير في السند عن عبدالله بن عطاء.

الواحد والعشرون: جعفر بن محمّد بن جرير الطبريّ بإسناده قال أبو خالد الكابليّ: «إنّ رجلاً قال له عليّ بن الحسين عليهما السلام وعنده أصحابه: إن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادّخرت في بيتك.

فقال له: أنبئني.

فقال عليه السلام له: أكلت في هذا اليوم عيساً، وأمّا ما في بيتك فعشرون ديناراً منها ثلاثة دنانير داريّة.

فقال له الرجل: أشهد أنّك الحجّة العظمى والمثل الأعلى وكلمة التقوى.

فقال له: وأنت صدّيق امتحن الله قلبك»[2].

وروى الشيخ المفيد في «الاختصاص» مسنداً إلى عبد الصمد بن عليّ قال: «دخل رجل على عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال له: من أنت؟

---

١. دلائل الإمامة، ص ٨٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٣ مع اختلاف في النقل.

٢. بصائر الدرجات، ص ٣١٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٦.

قال: أنا رجل منجّم ابن غراف.

قال: فنظر إليه، ثمّ [قال:] هل أدلّك على رجل قد مرّ منذ دخلت علينا أربعة عشر عالماً، كلّ عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرّات لم يتحرّك من مكانه؟

قال: من هو؟

قال: أنا، وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادّخرت في بيتك»[١].

وأبو جعفر الطبريّ روى عن أبي خالد عنه عليه السلام هذا، ثمّ قال بعده: «أكلت اليوم جلساً، وفي بيتك ادّخرت عشرين ديناراً»[٢]، الخبر السابق.

الثاني والعشرون: المفيد في «الاختصاص» عن الصادق عليه السلام: «لمّا ولّى عبدالملك بن مروان فاستقامت له الأشياء، كتب إلى الحجّاج كتاباً وخطّه بيده كتب فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله عبدالملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف

أمّا بعد؛ فجنّبني دماء بني عبدالمطّلب، فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا أورعوا فيها لم يلبثوا فيها إلّا قليلاً، والسلام.

وكتب الكتّاب به لم يعلم به أحداً، وبعث به مع البريد، وورد خبر ذلك من ساعته على عليّ بن الحسين عليهما السلام وأخبر أنّ عبدالملك قد زيد في ملكه برهة من دهره لكفّه من بني هاشم، وأمر أن يكتب إلى عبدالملك»[٣].

ورواه محمّد بن الحسن الصفّار بتغيير السند. ورواه الراونديّ في «الخرائج» أيضاً كذلك، و«الثاقب [في] المناقب» بتغيير يسير، والحضينيّ في هدايته كذلك، ... إلى غير ذلك من إخباراته الكثيرة بالغيب كإخباره بألوف الّذي يقتل فيه عبيدالله زياد وشمر بن ذي الجوشن، واليوم الّذي يدخل برأسيهما عليه.

---

١. الاختصاص، ص ٣١٩؛ بحارالأنوار، ج ٥٥، ص ٢٢٦.

٢. نفسه.

٣. الاختصاص، ص ٣١٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ١١٩.

وإخباره بالليلة الّتي قبض فيه.

وإخباره بما في ضمير يزيد من بردة الجامعة بيده وعلّته.

وإخباره بهلاك بني أُميّة وبظهور غلام ثقيف وقتله ثلاث مائة وثلاثة وثمانين ألفاً منهم وتابعيتهم.

وإخباره لأبي خالد الكابليّ بأنّه يقدم إلينا رجل غداً من أهل الشام له قدر وجاه ومال وابنة قد أصابها عارض من الجنّ يطلب من يعالجها ويبذل في ذلك ماله وقدومه وإرساله أبو خالد لمعالجته وأن يعطيه عشرة آلاف درهم، فعالجه بإطاعة الجنّ لكلام عليّ بن الحسين عليه السلام، وتخلّفه وعود الجنّيّ إلى ثلاث مرّات، والخبر مشهور.

وإخباره بأنّ ابنه عبدالله ينازع أخاه الباقر عليه السلام وأنّ عمره قصير وصار كذلك.

وإخباره بقتل حرملة وكيفيّته.

وإخباره باسم أبو خالد الكابليّ بأنّه كنكر ورفع الشكّ عنه لذلك... إلى غير ذلك ممّا يطول بالإشارة إليه الكتاب.

الثالث والعشرون: ما صدر من ذلك عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام.

الراونديّ عن أبي بصير قال: «كنت مع الباقر عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل الدوانيقيّ وداود بن سليمان قبل أن أفضى الملك إلى ولد العبّاس، وما وفد إلى الباقر عليه السلام إلّا داود، فقال له: ما منع الدوانيقيّ أن يأتي؟

قال: فيه خباء.

فقال الباقر عليه السلام: لا تذهب الأيّام حتّى يلي أمر هذا الخلق ويطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها، ويطول عمره فيها، يجتمع من كنوز الأموال ما لم يجتمع لأحد قبله.

فقام داود أخبر الدوانيقيّ بذلك، وأقبل إليه الدوانيقيّ وقال: ما منعني الحلول إليك إلّا إجلالك، فما الّذي أخبرني به داود؟

قال عليه السلام: هو كائن.

قال: وملكنا قبل ملككم؟

قال: نعم.

قال: ويملك من بعدي أحد من ولدي؟

قال: نعم.

قال: فمدّة بني أُميّة أكثر أم مدّتنا؟

قال: مدّتكم أطول، ولتلقفنّ هذا الملك صبيانكم، فيلعبون به كما يلعبون الصبيان بالكرة، هذا عهد عهده إليّ أبي.

فلمّا ملك الدوانيقيّ تعجّب من قول الباقر عليه السلام»[١].

الرابع والعشرون: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ قال: حدّثنا سفيان، عن وكيع، عن الأعمش قال: قال لي منصور ـ يعني أبا جعفر الدوانيقيّ ـ: «كنت هارباً من بني أُميّة أنا وأخي أبوالعبّاس، فمررنا بمسجد المدينة ومحمّد بن عليّ الباقر جالس، فقال لرجل من جانبه: كأنّي بهذا الأمر صار إلى هذين.

فأتى الرجل فبشّرناه به، فلنا إليه وقلنا: يابن رسول الله! ما الّذي قلت؟

فقال: هذا الأمر صائر إليكم عن قريب ولكنّكم تسوؤون إلى ذرّيّتي، فالويل لكم عن قريب.

فما مضت الأيّام حتّى تملّك أخي وتملّكناها»[٢].

الخامس والعشرون: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ في كتاب «دلائل الإمامة» مُسنداً إلى العلاء بن محمّد قال: «شهدت محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام وبيده عرجون ـ يعني قضيباً ـ رقيقاً يسأله عن أخبار بلدة بلدة فيجيبه ويقول: زاد الماء بمصر كذا، ووقعت الزلزلة بأرمينة، والتقى حارث وجويبر في موضع يعني جبلين، ثمّ رأيته يكسر ويرميم بها فتجتمع فتصير قضيباً»[٣].

السادس والعشرون: محمّد بن جرير الطبريّ أيضاً قال: «روى الحسن، عن المثنّى،

---

١. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٢٧٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٤٩.

٢ و ٣. دلائل الإمامة، ص ٩٦.

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبو جعفر عليه السلام في مجلس ذات يوم إذ أطرق إلى الأرض ينكت فيها مليّاً، ثمّ رفع رأسه وقال: كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم في مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتّى يسبقونكم بسيفه ثلاثة أيّام، فيقتل مقاتليكم وتلقون منه ما لا تقدرون أن تدفعوا ذلك؛ فخذوا حذركم واعلموا أنّ الّذي قلت لكم كائن لابدّ منه.

فلم يلتفت أهل المدينة إلى هذا الكلام من أبي جعفر عليه السلام، فقالوا: لايكون هذا أبداً ولم يأخذوا حذرهم إلّا بنو هاشم خاصّة، لعلمهم أنّ كلامه حقّ من الله عزّ وجلّ.

فلمّا كان من قابل حمل أبو جعفر عليه السلام عياله وبنو هاشم فخرجوا من المدينة وأصابوا ما قال أبو جعفر عليه السلام، فقالوا: والله! ما نردّ على أبي جعفر عليه السلام شيئاً نسمع منه أبداً، سمعنا ما رأينا.

وقال بعضهم: القوم أهل بيت النبوّة ينطقون بالحقّ ما لم يتعلّق أحدكم على أبي جعفر عليه السلام بكلمة لم ير تأويلها يقول هذا غلط»[1].[2]

السابع والعشرون: محمّد بن جرير الطبريّ و«الثاقب [في] المناقب» وابن شهرآشوب باختلاف يسير، قال الراويّ: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول لرجل من أهل إفريقيّة: ما حال راشد؟

قال: خلّفته صالحاً، يقرئك السلام.

قال: رحمه الله.

قال: ومات؟!

قال: نعم.

قال: ومتى؟

قال: بعد خروجك بيومين...

قال: أيما كان من الرجال الرجل؟

قال عليه السلام: كان [لنا] وليّاً ومحبّاً من أهل إفريقيّة.

---

١. دلائل الإمامة، ص ٩٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٥٤.

٢. دلائل الإمامة، ص ٢٢٢.

ثمّ قال: يا محمّد بن مسلم! والله! لئن كنتم رأيتم أنّا ليس معكم أعين ناظرة وأسماع سامعة لبئس ما رأيتم، والله! ما خفي من غاب عنّا، فأحضروني جميلاً، وعوّدوا ألسنتكم الخير، وكونوا من أهله تقربوا [به]»[1].

أقول: معناه الظاهر «إنّا عين الله الناظرة وأسماع الله السامعة» ولهذا عقّبه بقوله: «والله! ما خفي من غاب عنّا».

الثامن والعشرون: الطبريّ رحمه الله مُسنداً: «إنّ أبا جعفر عليه السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل أعرابيّ على لقوح، فعلّقه مها، ثمّ دخل فضرب ببصره يميناً وشمالاً كأنّه طائر العقل، فهتف به أبو جعفر، فلم يسمعه، فأخذ كفّاً من حصى، فأقبل الأعرابيّ حتّى نزل بين يديه، فقال له: يا أعرابيّ! من أين أقبلت؟

قال: من أقصى الأرض.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: الأرض أوسع من ذلك، فمن أين أقبلت؟

قال: أقصى الدنيا وما خلفي من شيء، أقبلت من الأحقاف.

قال عليه السلام: أيّ الأحقاف؟

قال: أحقاف عاد.

قال: يا أعرابيّ! فما مررت بطريقك؟

قال: مررت بكذا، ويقول له أبو جعفر عليه السلام: ومررت بكذا... إلى أن قال له أبو جعفر عليه السلام: فمررت بالشجرة الزقاق.

فوثب الأعرابيّ على رجليه وصفق بيده وقال: والله! ما رأيت أعلم بالبلاد منك أو وطئتها؟

قال: لا، يا أعرابيّ! ولكنّها عندي في كتاب.

يا أعرابيّ! من ورائكم الوادي يقال لها: برهوت، يسكنه البوم والبهائم، يعذّب فيه أرواح

---

١. دلائل الإمامة، ص ٢٢٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٤٣.

المشركين إلى يوم القيامة»[١].

وروى سعد بن عبدالله مسنداً عن محمّد بن مسلم مثله بتغيير في العبارات، وفي آخره: إنّ في ذلك الوادي قابيل يعذّب بحرّ الشمس وزمهرير البرد.

ثمّ جاءه رجل، فقال عليه السلام: وأين ابني جعفر؟

فقال: ومن جعفر هذا الّذي يسأل عنه؟

فقالوا: ابنه.

فقال: سبحان الله! ما أعجب هذا الرجل، يخبرنا عن أهل السماء ولا يعلم أين ابنه»[٢]... إلى غير ذلك من إخباراته بالغيب.

وفي «الكافي» منه شطر واف مثل إخباره لزرارة بما في نفسه، وإراءته كتاب أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبه عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الفرائض.

ومثل إخباره لزيد أخيه بأنّه المصلوب بالكناسة.

وإخباره بأنّ إسماعيل بن عبدالله بن جعفر يقتل.

وإخباره بعدد الصرّة الّتي اشترى منها حميدة، وكلّ هذه مسطورة في «الكافي» بتفاصيلها فلاحظها وغيرها في غيره مثل إخباره بما نسي زرراة.

وإخباره صالح بن ميثم بما نسيه.

وإخباره أبابصير بما قاله للمرأة.

وإخباره بأنّ دار هاشم يهدم.

وإخباره بما عمل ميسرة مع الجارية.

وإخباره بأنّ رجلين رأوهما في الطريق سارقان وأمره بأخذهما وأخذ المال من كهف الجبل وقصّتها.

وإخباره في تزويج الصادق عليه السلام في السنة الآتية الحميدة وتفصيل قصّتها.

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٠١؛ بحارالأنوار، ج ٦١، ص ٣٣١.

٢. بصائر الدرجات، ص ٥٠٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ٢٤٢.

وإخباره بأنّ الرضا عليه السلام يُقتل بالسُمّ ويُدفن بطوس.

وإخباره بأنّ دولة بني العبّاس تزيد دولة بني أُميّة.

وإخباره إلياس عليه السلام بما اراد أن يسأله... إلى غير ذلك ممّا إحصاؤه بالإشارة يطول ويزيد على أربعين فيه بوحدته عليه السلام.

التاسع والعشرون: فيما ورد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام ما رواه الكشّيّ مسنداً عن أبي العبّاس البقباق قال: «تذاكر ابن أبي يعفور ومعلّى بن خنيس، فقال ابن أبي يعفور: الأوصياء علماء أبرار أتقياء.

وقال معلّى بن خنيس: الأوصياء أنبياء.

قال: فدخلا على أبي عبدالله عليه السلام، فلمّا استقرّا مجلسهما قال: فبدأهما أبو عبدالله، فقال: يا عبدالله! إبرأ ممّن قال: إنّا أنبياء»[١].

قال الكشّيّ: قلت: قال بعض علماء الرجال: الخبر محمول على أوّل أمر معلّى ابن خنيس، لمنافاته لما تقدّم من الروايات.

أقول: يعني الروايات الدالّة على جلالة مقام معلّى بن خنيس وهو كذلك.

الثلاثون: الراونديّ: «إنّ محرمة[٢] الكنديّ قال: إنّ أبا الدوانيق نزل بالربذة وجعفر بن محمّد الصادق عليه السلام بها، قال: ومن يعذرني من جعفر والله! لأقتلنّه.

فدعاه، فلمّا دخل عليه جعفر عليه السلام، قال: يا أميرالمؤمنين! إرفق بي، فوالله! لقلّما أصحبك.

فقال أبوالدوانيق: إنصرف.

ثمّ قال لعيسى بن عليّ: إلحقه فاسأله أبي أم به؟

فخرج يشتدّ حتّى لحقه، فقال: يا أبا عبدالله! إنّ أميرالمؤمنين يقول: أبك أم به؟

قال: لا، بل بي»[٣].

---

١. رجال الكشي، ص ٢٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ١٣٠.

٢. في المصدر محزمة وفي نسخة ط منه: مخزمة.

٣. الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٤٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ١٧١.

أقول: وكونه عليه السلام في الربذة وما قاله للمنصور واستكفائه شرّه منقول في «الكافي» مع دعائه المختصر[١].

الواحد والثلاثون: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ مُسنداً إلى مرازم[٢] قال: «بعثني أبو جعفر عبدالله الطويل ـ وهو المنصور ـ إلى المدينة وأمرني إذا دخلت المدينة أن أفض الكتاب الّذي دفعته إليك واعمل بما فيه.

قال: فما شعرت إلّا بركب قد طلعوا عليّ حين قربت من المدينة وإذا رجل قد صار إليّ جانبني فقال: يا مزارم! اتّق الله ولا تشرك في دم آل محمّد.

قال: فأنكرت ذلك.

فقال لي: دعاك صاحبك نصف الليل وخاط رقعة في جانب قبائك وأمرك إن صرت إلى المدينة تنفضها وتعمل ما فيها.

فرميت نفسي من المحمل وقبّلت رجليه وقلت: [طننت] أنّ ذلك صاحبي وأنت سيّدي وصاحبي، فما أصنع؟

قال: إرجع إليه واذهب بين يديه، فإنّه رجل نسّاء وقد أنسى ذلك فليس يسألك عنه.

قال: فرجعت إليه فلم يسألني عن شيء.

قلت: صدق مولاي عليه السلام»[٣].

الثاني والثلاثون: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ عن أبي المفضّل محمّد ابن عبدالله الشيبانيّ قال: حدّثنا ماجيلويه، قال: حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن خالد البرقيّ، عن صفوان بن يحيى، عن جعفر الأشعث، قال: «أتدري ماكان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به؟ وما كان عندنا منه خبر ولا ذكر ولا معرفة شيء ممّا عند الناس؟

قلت: وكيف ذلك؟

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٥٥٩.

٢. في المصدر: يرزام.

٣. دلائل الإمامة، ص ١٢٩.

قال: إنّ أباجعفر المنصور قال لأبي محمّد بن الأشعث: أبغني رجلاً له عقل يؤدّي عنّي.

قال له: قد أصبت لك، هذا فلان بن فلان مهاجر خالي.

قال: فأتني به.

فأتاه بخاله، فقال له أبو جعفر: خُذ هذا المال ـ وأعطاه اُلوفاً ما شاء الله ـ.

قال: ائت المدينة إلى عبدالله بن الحسن وعدّة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمّد، فقل لهم: إنّي رجل غريب من أهل خراسان وبها شيعة من شيعتكم وقد وجّهوا إليكم بهذا المال، فادفع إلى كلّ واحد منهما على هذا الشرط وكذا، فإذا قبضوا المال فقل: إنّي رسول وأُحبّ أن يكون معي خطوطكم بقبض ما قبضتم منّي.

فأخذ المال وأتى المدينة، ثمّ رجع إلى أبي جعفر المنصور فدخل وعنده محمّد بن الأشعث، فقال له أبو جعفر: ما ورائك؟

قال: أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم خلا جعفر بن محمّد، فإنّي أتيته وهو يصلّي في مسجد الرسول، فجلست خلفه وقلت: ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه، فعجّل وانصرف والتفت إليّ وقال عليه السلام: يا هذا! اتّق الله ولا تغرر أهل بيت محمّد وقل لصاحبك: اتّق الله ولا تغرر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّهم قريبوا عهد بدولة بني مروان وكلّهم محتاج.

قال: قلت: أصلحك الله! وما ذاك؟

فقال: أُدن منّي.

فدنوت منه، فأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتّى كأنّه ثالثنا.

فقال المنصور: يابن مهاجر! إعلم! أنّه ليس من أهل النبوّة إلّا وفيهم محدّث، وإنّ جعفر بن محمّد محدّثنا اليوم، وكانت بهذه الدلالة حتّى قلنا بهذه المقالة.

ورواه في «الكافي» بتغيير في السند ويسير في المتن والمعنى واحد. ورواه الصفّار أيضاً بسندٍ آخر وتغيير يسير والمعنى واحد. ورواه ابن شهرآشوب في «المناقب». ورواه صاحب المناقب ومعنى الكلّ واحد»[1]. ورواه الراونديّ بتغيير في السند والمتن إلّا أنّه قريب بهذا

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٢٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٧٤.

المعنى .

الثالث والثلاثون : محمّد بن يعقوب الكليني في «الكافي»، والشيخ المفيد في «الإرشاد»، والطبرسيّ في «الاحتجاج» وفي «إعلام الورى» عنه عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عمّن ذكره، عن يونس بن يعقوب قال : «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام، فقال : إنّي رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام : كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو من عندك ؟

فقال : من كلام رسول الله ومن عندي .

فقال عليه السلام : فأنت إذاً شريك رسول الله ؟

قال : لا .

قال : سمعت الوحي عن الله يخبرك ؟

قال : لا .

قال : فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال : لا .

قال : فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إليّ قال : يا يونس بن يعقوب ! هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم .

ثمّ قال : يا يونس ! لو كنت تحسن الكلام كلّمته .

قال يونس : فيالها من حسرة، فقلت : جعلت فداك ! إنّي سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ويل لأهل الكلام ! يقولون : هذا ينقاد وهذا ليس ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله .

فقال عليه السلام : إنّما قلت : ويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون .

ثمّ قال لي : أُخرج إلى الباب، فانظر من ترى من المتكلّمين فأدخله .

قال : فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً وكان قد تعلّم الكلام من عليّ

بن الحسين عليهما السلام، فلمّا استقرّ بنا المجلس ـ وكان أبو عبدالله عليه السلام قبل الحجّ يستقرّ أيّاماً في جبل في طرف الحرم في فازة له مضروبة ـ.

قال: فأخرج أبو عبدالله عليه السلام رأسه من فازته، فإذا هو ببعير يخبّ، فقال عليه السلام: هشامٌ، وربّ الكعبة!

قال: فظننّا أنّ هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبّة له.

قال: فورد هشام بن الحكم وهو أوّل ما اختطّت لحيته وليس فينا إلّا هو من أكبر سنّاً منه.

فقال: فوسّع له أبو عبدالله عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده.

ثمّ قال: يا حمران! كلّم الرجل، فكلّمه فظهر عليه حمران.

ثمّ قال: يا طاقيّ! كلّمه، فكلّمه فظهر عليه الأحول.

ثمّ قال: يا هشام بن سالم! كلّمه، فتعارفا.

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام لقيس الماصر: كلّمه.

فكلّمه. فأقبل أبو عبدالله عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا أصاب الشاميّ.

ثمّ قال للشاميّ: كلّم هذا الغلام ـ يعني هشام بن الحكم ـ.

فقال: نعم.

فقال الشاميّ لهشام: يا غلام! سلني في إمامة هذا.

فغضب هشام حتّى ارتعد، ثمّ قال للشاميّ: يا هذا! أربّك أنظر لخلقه أو خلقه لأنفسهم؟

قال الشاميّ: بل ربّي أنظر لخلقه.

قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟

قال: أقام لهم حجّة ودليلاً كيلا يتشتّتوا ويختلفوا، يتألّفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربّهم.

قال: فمن هو؟

قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فمن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: الكتاب والسنّة.

قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة في رفع الاختلاف عنّا؟

قال الشاميّ: نعم.

[قال هشام:] فلم اختلفنا أنا وأنت وسرت إلينا من الشام في مخالفتنا إيّاك؟

قال: فسكت الشاميّ.

فقال أبو عبدالله عليه السلام للشاميّ: مالك لا تتكلّم؟

قال الشاميّ: إن قلت: لم نخالف كذبت، وإن قلت: إنّ الكتاب والسنّة يرفعان الاختلاف أبطلت، لأنّهما يحتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكلّ واحد منّا يدّعي الحقّ، فلم ينفعنا إذاً الكتاب والسنّة إلّا أنّ لي [عليه] هذه الحجّة.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: سله تجده مليّاً.

فقال الشاميّ: يا هذا! من أنظر للخلق: أربّهم أم أنفسهم؟

فقال هشام: ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشاميّ: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقّهم من باطلهم؟

قال هشام: في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو الساعة؟

قال الشاميّ: في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والساعة.

قال هشام: في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رسول الله.

قال الشاميّ: وفي الساعة من؟

فقال: هذا القاعد الّذي تشدّ إليه الرحال ويخبرنا بأخبار [السماء والأرض] وراثة عن أب وجدّ.

قال الشاميّ: فكيف بي أن أعلم ذلك؟

قال: سله عمّا بدا لك.

قال الشاميّ: قطعت عذري، فعليّ السؤال.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا شاميّ! أُخبرك كيف كان سفرك؟ وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا.

فأقبل الشاميّ يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة.

فقال عليه السلام: بل آمنت بالله الساعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون.

فقال الشاميّ: صدقت وأنا الساعة أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّك وصيّ الأوصياء.

ثمّ التفت أبو عبدالله عليه السلام إلى حمران فقال: يجري الكلام»[1]، الخبر بطوله.

الرابع والثلاثون :الطبرسيّ في «إعلام الورى» قال: وذكر ابن جمهور في كتاب الواحدة قال: حدّثنا أصحابنا أنّ محمّد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن قال لأبي‌عبدالله عليه السلام: «والله! لأنّي أعلم منك وأسخى منك وأشجع منك.

فقال: أمّا ما قلت: إنّك أعلم منّي، فقد أعتق جدّي وجدّك ألف نسمة من كدّ يده فسمّهم لي وإن أحببت أن أُسمّيهم لك إلى آدم فعلت. وأمّا ما قلت: إنّك أسخى منّي، فوالله! ما بتُّ ليلة ولله عليّ حقّ يطالبني به. وأمّا ما قلت: إنّك أشجع منّي، فكأنّي أرى رأسك وقد جيء ووضع على حجر بالزنابير يسيل منه الدم إلى موضع كذا وكذا.

قال: فصار إلى أبيه فقال: يا أبة! كلّمت جعفر بن محمّد فردّ عليّ كذا.

فقال أبوه: يا بنيّ! آجرني الله فيك، إنّ جعفراً أخبرني أنّك صاحب [حجر] الزنابير»[2].

الخامس والثلاثون : محمّد بن يعقوب مسنداً إلى أبي بصير قال: «كان لي جار يتبع السلطان، فأصاب مالاً فأعدّ قياناً، يجمع الجمع إليه فيشرب فيسكر ويؤذيني، فشكوته إلى نفسه غير مرّة فلم ينته، فلمّا أن ألححت عليه قال لي: يا هذا! أنا رجل مُبتلى، وأنت رجل

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٧١؛ الإرشاد، ج ٢، ص ١٩٤؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٦٤؛ اعلام الورى، ص ٢٨٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ٩.

٢. اعلام الورى، ص ٢٨٠؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٢٧٥.

معافى، فلو عرضتني لصاحبك رجوت أن ينفذني الله بك.

فوقع ذلك في قلبي، فلمّا صرت إلى أبي عبدالله عليه السلام ذكرت له حاله، فقال لي: إذا رجعت إلى الكوفة سيأتيك، فقل له: يقول لك جعفر بن محمّد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على [الله] الجنّة.

فلمّا رجعت إلى الكوفة، أتاني فيمن أتى، فاحتبسته حتّى خلا منزلي، ثمّ قلت له: يا هذا! إنّي ذكرتك لأبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام، فقال لي: [إذا] رجعت إلى الكوفة سيأتيك فقل له: يقول لك جعفر بن محمّد: دع ما أنت عليه وأضمن لك على الله الجنّة.

فبكى، ثمّ قال لي: الله! لقد قال لك أبو عبدالله هذا؟

قال: فحلفت له أنّه قد قال لي ما قلت.

فقال لي: حسبك ومضى.

فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام بعث إليّ فدعاني وإذا هو خلف داره عريان، فقال لي: يا أبابصير! لا والله! ما بقي لي شيء إلّا وقد أخرجته وأنا كما ترى.

قال: فمضيت إلى إخواننا، فجمعت له ما كسوته به، ثمّ لم يأت عليه أيّام يسيرة حتّى بعث إليّ: إنّي عليل فائتني.

فجعلت أختلف عليه وأُعالجه حتّى نزل به الموت، فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه، فغشي عليه غشية، ثمّ أفاق فقال لي: يا أبا بصير! قد وفى صاحبك لنا، ثمّ قبض رحمه الله.

فلمّا حججت أتيت أباعبدالله عليه السلام فاستأذنت عليه ولمّا دخلت قال لي ـ ابتداءً من داخل البيت وإحدى رجليّ في الصحن وأُخرى في دهليز داره ـ: يا أبا بصير! قد وفينا لصاحبك»(١).

السادس والثلاثون: محمّد بن الحسن الصفّار بإسناده إلى أبي كهمش قال: «كنت نازلاً بالمدينة في دار كان فيها وصيفة كانت تعجبني، فانصرفت ليلة ممسياً فاستفتحت الباب ففتحت له، فمددت يدي فقبضت على ثديها، فلمّا كان من الغد دخلت على أبي عبدالله عليه السلام

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٧٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ١٤٥.

فقال لي: يا كهمش! تُب إلى الله ممّا صنعت البارحة.

روى الطبرسيّ بسند آخر مثله.

وروى الصفّار مثله عن مهزم أنّه فعل بجارية مثل ما فعل، فقال عليه السلام: يا مهزم! أين كان أقصى أثرك اليوم؟

فقلت له: ما برحت المسجد.

فقال: أما تعلم أنّ أمرنا لا يُنال إلّا بالورع؟!»[1]

والطبريّ روى مثله، ومحمّد بن يحيى في «نوادر الحكمة» مثله، وهذا قضت أن جعلناها واحدة.

السابع والثلاثون: الصفّار مسنداً عن إبراهيم بن مهزم قال: «خرت من عند أبي عبدالله عليه السلام ليلة ممسياً فأتيت منزلي بالمدينة وكانت أُمّي معي، فوقع بيني وبينها كلام، فلمّا كان من الغد جلت الغداة فأتيت أباعبدالله عليه السلام.

فلمّا دخلت عليه قال لي مبتدئاً: يابن مهزم! مالك والوالدة أغلظت لها البارحة؟ أما علمت أنّ بطنها منزل قد سكنته، وإنّ حجرها مهد قد غمزته، وثديها وعاء قد شربته؟

قلت: نعم.

قال: فلا تغلظ لها.

ورواه ابن شهرآشوب في «المناقب» إلّا أنّ فيه: عن مهزم»[2].

الثامن والثلاثون: الصفّار مسنداً قال: «قدم رجل من أهل الكوفة خراسان فدعى الناس إلى ولاية جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: ففرقة أطاعت وأجابت وفرقة جحدت وأنكرت، وفرقة ورعت ووقفت.

قال: فخرج من كلّ فرقة رجل، فدخلوا على أبي عبدالله عليه السلام، فكان المتكلّم منهم الّذي ورع ووقف، وقد كان مع بعض القوم جارية فخلا بها الرجل فوقع عليها، فلمّا دخل على أبي

---

١. بصائر الدرجات، ص ٢٤٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٧١.

٢. بصائر الدرجات، ص ٢٤٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٧٢.

عبدالله عليه السلام كان هو المتكلّم، فقال له: أصلحك الله! قدم علينا رجل من الكوفة، فدعى الناس إلى طاعتك وولايتك فأجاب قوم، وأنكر قوم، وورع قوم فوقفوا.

قال عليه السلام: فمن أيّ الثلاث أنت؟

قال: أنا من الفرقة الّتي ورعت ووقفت.

قال: فأين كان ورعك ليلة نهر بلخ يوم كذا وكذا؟!

قال: فارتاب الرجل»[١].

وروى شبهه الطبريّ إلّا أنّه بدل خراسان بغداد[٢].

التاسع والثلاثون: الطبريّ مسنداً إلى أبي خالد الكابليّ قال: «دخلت على أبي‌عبدالله عليه السلام فقال لي: يا أبا خالد! خذ رقعتي فأت غيضة ـ قد سمّاها ـ فانشرها، فأيّ سبع جاء معك فجئني به.

قال: قلت: أعفني، جعلت فداك.

قال: فقال لي: إذهب يا أبا خالد.

قال: فقلت في نفسي: لو أمرك تأتي جبّاراً عنيداً ثمّ خالفته فكيف إذاً حالك؟

قال: ففعلت ذلك حتّى إذا صرت إلى الغيضة ونشرت الرقعة جاء معي واحد منها، فلمّا وقف بين يدي أبي عبدالله عليه السلام نظرت إليه واقفاً ما يتحرّك شعره شعرة، فأومأ بكلام لم أفهمه.

قال: فلبثت عنده متعجّباً من سكون السبع بين يديه.

ثمّ قال لي: يا أباخالد! مالك تفكّر؟

قلت: أفكّر في إعظام السبع.

قال: ثمّ مضى السبع، فما لبثت إلّا وقتاً حتّى طلع السبع ومعه كيس في فيه.

قال: قلت: [جعلت] فداك! هذا لشيء عجيب.

قال: يا أباخالد! هذا كيس وجّه به إليّ فلان مع المفضّل، واحتجت إلى ما فيه، وكان

---

١. بصائر الدرجات، ص ٢٤٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٧٢.

٢. دلائل الإمامة، ص ١٣٠.

الطريق مخوفاً، فبعثت هذا السبع فجاء به.

قال: فقلت في نفسي: والله! لا أبرح حتّى يقدم المفضّل بن عمر وأعلم ذلك.

قال: فضحك أبو عبدالله عليه السلام، ثمّ قال لي: نعم يا أباخالد! لا تبرح حتّى يأتي المفضّل.

قال: فتداخلني والله! من ذلك حيرة.

ثمّ قال: قلت: أقلني جعلت فداك.

وأقمت أيّاماً، ثمّ قدم المفضّل وبعث إليّ أبو عبدالله عليه السلام.

فقال المفضّل: جعلني الله فداك! إنّ فلاناً بعث إليّ كيساً فيه مال، فلمّا صرت في موضع كذا وكذا جاء سبع وحال بيننا وبين رحالنا، فلمّا مضى السبع طلبت الكيس في الرحل فلم أجده.

[قال أبو عبدالله عليه السلام: يا مفضّل! أتعرف الكيس؟

قال: نعم، جعلني الله فداك].

قال أبو عبدالله عليه السلام: يا جارية! هات الكيس.

فأتت به الجارية، فلمّا نظر إليه المفضّل قال: نعم، هذا هو الكيس.

ثمّ قال: يا مفضّل! تعرف السبع؟

قال: جعلني الله فداك، كان في قلبي في ذلك الوقت رعب.

فقال له: أُدن منّي، فدنا منه، ثمّ وضع يده عليه، ثمّ قال لأبي خالد: إمض برقعتي إلى الغيضة فأتنا بالسبع.

فلمّا صرت إلى الغيضة ففعلت مثل الفعل الأوّل، فجاء السبع معي، فلمّا صار بين يدي أبي عبدالله عليه السلام نظرت إلى إعظامه إيّاه، فاستغفرت في نفسي.

ثمّ قال: يا مفضّل! هذا هو؟

قال: نعم، جعلني الله فداك.

فقال: يا مفضّل! أبشر يا مفضّل! فإنّك معنا»[١]، انتهى.

ولو أردت استقصاء ما وصل إليّ من إخبارات هذا الإمام بالغيب لطال الكلام وتجاوز

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٦٢، ص ٧٤.

العدد مع الباقين المائة قطعاً مثل: «ما رأى كلباً أسوداً في جنبه، فقال عليه السلام: ما أشدّ مسارعتك وإذا هو شبيه بالطائر.

فقلت: ما هذا؟

قال: هذا بريد الجنّ، مات هشام الساعة فهو يطير ينعا في كلّ بلدة»[١].

ومثل رجل أنكر ماله وأخبره بما فعله فأقرّ له بذلك.

وإخباره بظهور الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وأنّه رأى ذلك في مصحف فاطمة عليها السلام.

ومثل سؤال أصحابه عنه «أنّ الزيديّة والمعتزلة قد أطافوا بمحمّد بن عبدالله فهل له سلطان؟

فقال: والله! عندي لكتابين فيهما تسمية كلّ نبيّ وكلّ ملك يملك الأرض، لا والله! ما محمّد بن عبدالله في واحد منهما»[٢].

وإخباره بأنّ عندنا ديوان فيه أسامي شيعتنا وإرائته جمعاً منهم وأسمائهم في ذلك الديوان.

ومثل إخباره لمن يغمز رجله المبارك ورأى اضطراب عضلة ساقه فأراد السؤال عنه في ذلك، فقال: لا تسألني هذه الليلة فإنّي لست مُجيبك.

ورجل آخر يغمز رجله وقال في قلبه: الآن أسأله عن عبدالله وعن موسى أيّهما الإمام، فابتدأني وقال: لا أُجيبك هذه الليلة.

ومثل من أراد أن يسأله عن الجنب يغرف الماء من الجبّ بالكوز فيصيب يده الماء، فابتدأه وقال: «إذا لم يكن أصاب يده شيء فلا بأس»[٣].

ومثل من أراد أن يسأله عن مثل الجبّ هذا فقطر من غسله ماء في الجبّ، فقال: «لا

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٣٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ١٨.

٢. الكافي، ج ١، ص ٢٤٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٢٧٢.

٣. بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٦٩.

بأس»[١].

ومثل من أراد أن يسأله عن أحاديث جابر بن يزيد، فابتدأه من غير أن سأله وقال: «رحم الله جابر بن يزيد الجعفيّ كان يصدّق علينا، ولعن الله المغيرة كان يكذّب علينا»[٢].

ومثل من دخل عليه وهو وجع، فأراد أن يسأله هل يصيبه شيء في مرضه، فقال له قبل سؤاله: «ليس الأمر كما تظنّ، ليس عليّ من وجعي هذا بأس»[٣].

ومثل من عجز عن القيام بالليل، فخاف على ذلك، فقال: أسأل الإمام عنه.

فلمّا دخل عليه قال عليه السلام مبتدئاً: «من أتى الله بما افترضه الله عليه لم يسأله عمّا سوى ذلك»[٤].

وفي «الكافي» روى ذلك أنّه حين دخل عليه، قال: «السلام عليك يابن رسول‌الله.

قال عليه السلام: وعليك السلام، أنا والله! لولده وما نحن بذوي قرابته، إذا لقيت الله عزّ وجلّ بالصلوات المفروضات لم يسألك عمّا سوى ذلك»[٥].

ومثل سؤال جميل بن درّاج عن القضاء والقدر.

فقال: «هما خلقان من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء.

قال: وأردت أن أسأله عن المشيّه، فنظر إليّ وقال: يا جميل! لا أُجيبك في المشيّة»[٦].

ومالك الجهنيّ قال: «كنت بين يدي أبي عبدالله عليه السلام فوضعت يدي على خدّي وقلت: لقد عظّمك الله وشرّفك.

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٦٩.

٢. نفسه.

٣. بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٧٠.

٤. نفسه.

٥. الكافي، ج ٣، ص ٤٨٧.

٦. بصائر الدرجات، ص ٢٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٥، ص ١٢٠.

فقال: يا مالك! الأمر أعظم ممّا تذهب إليه»[١].

وإخباره عمّن أراد السؤال عن الإمام بعده.

فقال مبتدأ: ألا أُخبرك بالإمام بعدي.

ومثل جعفر الزيّات في الطواف رأى أباعبدالله عليه السلام فقال في نفسه: «هذا هو الّذي يتّبع، والّذي هو الإمام وحجّة الله الّذي لايقبل الله شيئاً إلّا بمعرفته؟ فضرب عليه السلام يده على منكبه وقال: ﴿ أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ﴾[٢]»[٣].

وواحد من أصحابه هيّأ له ماء في المتوضّأ وقال في نفسه: «أنا أقول فيه كذا وكذا، فخرج وقال: لا ترفعونا فوق طاقتنا فنهدم[٤]، اجعلونا عبيداً مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم»[٥].

ودخله أبوبصير جُنُباً، فرفع رأسه وقال: «أما تعلم أنّه لا ينبغي لِجُنُبٍ أن يدخل بيوت الأنبياء»[٦] ـ وفي رواية: «الأوصياء»[٧]. وفي رواية: «بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء»[٨] ـ. وذكره كلّهم.

ومن دخله متقنّعاً رأسه وعنده جماعة وقال في نفسه: «ويحكم! ما أغفلكم عند من تتكلّمون، عند ربّ العالمين.

قال: فناداني: ويحك! إنّي والله! عبد مخلوق ولي ربٌّ أعبده، إن لم أعبده والله عذّبني بالنّار»[٩].

---

١. بصائر الدرجات، ص ٢٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٤٥.

٢. القمر: ٢٤.

٣. بصائر الدرجات، ص ٢٤٠؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٧٣٥.

٤. في الخرائج: لا ترفعوا البناء فوق طاقته فيهدم وفي البحار: فينهدم.

٥. بصائر الدرجات، ص ٢٤١؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٧٣٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٦٨.

٦. بحارالأنوار، ج ٧٨، ص ٦٢.

٧. دلائل الإمامة، ص ١٣٧.

٨. بصائر الدرجات، ص ٢٤١.

٩. بصائر الدرجات، ص ٢٤١؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٣٤١ مع اختلاف في النقل.

وقد دخله زيد الشحّام فقال: «يا زيد! جدّد عبادة وأحدث توبة.

قال: قلت: نعيت اليّ نفسي جعلت فداك؟

فقال: يا زيد! ما عندنا خير لك وأنت من شيعتنا.

قال: قلت: وكيف لي أن أكون من شيعتكم؟

قال: فقال لي: من يكون شيعتنا إلينا الصراط والميزان وحساب شيعتنا، والله أنا لأرحكم بكم منكم من أنفسكم، كأنّي أنظر إليك ورفقك في الجنّة في درجتكم»[1]، إلى غير ذلك ممّا يطول الكلام بالإشارة إليها أيضاً.

الأربعون: فيما ورد من موسى بن جعفر عليه السلام في هذا الباب حديث شقيق البلخيّ المشهور، رواه الطبريّ مسنداً إلى شقيق البلخيّ يعني ابن إبراهيم البلخيّ، قال: «خرجت حاجّاً إلى بيت الله الحرام في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلنا القادسيّة فنظرت إلى الناس في زيّهم بالقباب والعماريّات والخيم والمضارب، وكلّ إنسان منهم قد تزيّا على قدره، فقلت: اللّهمّ إنّهم قد خرجوا إليك فلا تردّهم خائبين.

فبينما أنا قائم وزمام راحلتي بيدي وأنا أطلب موضعاً أنزل فيه منفرداً عن الناس، إذ نظرت إلى فتى حدث السن، حسن الوجه، شديد السمرة، عليه سيماء العبادة والزهد وشواهدها، وبين عينيه سجّادة كأنّها كوكب درّيّ، وعليه من فوق ثوبه شملة من صوف، وفي رجله نعل عربيّ وهو منفرد في عزلة من الناس، فقلت في نفسي: هذا الفتى من هؤلاء الصوفيّة المتوكّلة، يريد كلّاً على الناس في هذا الطريق، والله! لأمضينّ إليه ولأوبّخنّه.

قال: فدنوت منه، فلمّا رآني مقبلاً نحوه قال لي: يا شقيق! ﴿**ٱجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾[2] وقرأ الآية، ثمّ تركني ومضى.

فقلت في نفسي: قد تكلّم هذا الفتى على سرّي، ونطق بما في نفسي، وسمّاني باسمي، ما فعل هذا إلّا وهو وليّ الله، ألحقه وأسأله أن يجعلني في حلّ.

---

١. بصائر الدرجات، ص ٢٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٧٨.

٢. الحجرات: ١٢.

فأسرعت ورائه فلم ألحقه وغاب عن عيني فلم أره، وارتحلنا حتّى نزلنا واقصة، فنزلت ناحية من الحاجّ ونظرت فإذا صاحبي قائم يصلّي على كثيب رمل وهو راكع وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري من خشية الله، فقلت: هذا صاحبي، لأمضينّ إليه ثمّ لأسألنّه أن يجعلني في حلٍّ.

فأقبلت نحوه، فلمّا نظر إليّ مقبلاً، قال لي: يا شقيق! ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾[1]، ثمّ غاب عن عيني فلم أره.

فقلت: هو رجل من الأبدال وقد تكلّم على سرّي مرّتين، ولو لم يكن عبد الله فاضلاً ما تكلّم على سرّي ورحل الحاج وأنا معهم حتّى نزلنا زبالة، فإذا أنا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يستسقي بها ماء، فانقطعت الركوة في البئر فقلت: صاحبي والله!

فرأيته قد رمق السماء بطرفه وهو يقول:

أنت ربّي إذا ظمئت إلى الماء   وقوتي إذا أردت الطعاما

إلهي وسيّدي! مالي سواها فلا تعدمنيها

قال شقيق: فوالله! لقد رأيت البئر وقد فاض ماؤها حتّى جرى على وجه الأرض، فمدّ يده فتناول الركوة فملأها ماء، ثمّ توضّأ، وأسبغ الوضوء وصلّى ركعات ثمّ مال إلى كثيب رمل أبيض، فجعل يقبض بيده من الرمل ويطرحه في الركوة ثمّ يحرّكها ويشرب، فقلت في نفسي: أتراه قد تحوّل الرمّل سويقاً؟! فدنوت منه فقلت له: أطعمني رحمك الله من فضل ما أنعم الله به عليك.

فنظر وقال [لي]: يا شقيق! لم تزل نعمة الله علينا أهل البيت وأياديه لدنيا جميلة، فاحسن ظنّك بربّك، فإنّه لا يضيع من أحسن به ظنّاً.

فأخذت الركوة من يده فشربت فإذا هو سويق وشكر، فوالله! ما شربت شيئاً قطّ ألذّ منه ولا أطيب رائحة منه، فشبعت ورويت وأقمت أيّاماً لا أشتهي طعاماً وشراباً، فدفعت إليه الركوة، ثمّ غاب عن عيني فلم أره حتّى دخلت مكّة وقضيت حجّي فإذا أنا بالفتى في هدم من

---

١. طه: ٨٢.

الليل[1] وقد زهرت النجوم وهو إلى جانب بيت فيه السراب راكعاً وساجداً، لا يريد من الله سواه، فجعلت أرعاه وأنظر إليه، يصلّي بخشوع وأنين وبكاء، ويرتّل القرآن ترتيلاً، فكلّما مرّت إليه آية فيها وعد ووعيد ردّدها على نفسه ودموعه تجري على خدّه، حتّى إذا دنا الفجر جلس في مصلّاه فسبّح ربّه وقدّسه، ثمّ قام يصلّي الغداة وطاف بالبيت أُسبوعاً وقد خرج من باب المسجد، فخرجت له حاشية وأموالاً، فإذا عليه لباس خلاف الّذي شاهدت وإذا الناس من حوله يسألونه عن مسائلهم ويسلّمون عليه.

فقلت لبعض الناس أحسبه من مواليه: مَنِ الفتى؟

فقال لي: هذا أبو إبراهيم عالم آل محمّد ﷺ.

قلت: وما أبو إبراهيم؟

قال: موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

فقلت: لقد عجبت أن توجد هذه الشواهد إلّا في هذه الذرّيّة»[2].

الواحد والأربعون: قصّة الدّارعة المشهورة من عليّ بن يقطين رواها شيخنا المفيد وأبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ مسنداً إلى عليّ بن سنان، قال: «حمل الرشيد في بعض الأيّام إلى عليّ بن يقطين ثياباً أكرمه بها وكان في جملتها درّاعة خزّ سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب، فأنفذ عليّ بن يقطين جلّ تلك الثياب إلى موسى بن جعفر عليه السلام وأنفذ في جملتها تلك الدرّاعة وأضاف إليها ما كان عنده على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله.

فلمّا دخل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام قبل المال والثياب وردّ الدرّاعة على يد الرسول إلى عليّ ابن يقطين وكتب إليه: احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن، تحتاج إليها معه.

فارتاب عليّ بن يقطين [بردّها عليه] ولم يدر ما سبب ذلك، واحتفظ بالدرّاعة.

فلمّا كان بعد أيّام تغيّر عليّ بن يقطين على غلام له كان يختصّ به، فصرفه من خدمته وكان

---

١. في الدلائل: في هدأة من الليل. وفي البحار: في نصف الليل.

٢. دلائل الإمامة، ص ١٥٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ٨٠.

يقف الغلام ميل عليّ بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام ويقف على ما يحمله إليه في كلّ وقت من مال وثياب وألطاف وغير ذلك.

فسعى به إلى الرشيد، فقال له: إنّه يقول بإمامة موسى بن جعفر ويحمل إليه خمس ماله في كلّ سنة، وقد حمل إليه الدرّاعة الّتي أكرمته بها في وقت كذا وكذا.

فاستشاط الرشيد لذلك وغضب غضباً شديداً وقال: لأكشفنّ عن هذه الحالة؛ فإن كان الأمر كما تقول أزهقت نفسه.

وأنفذ في الوقت بإحضار عليّ بن يقطين، فلمّا مثل بين يديه قال له: ما فعلت الدرّاعة الّتي كسوتك بها؟

قال: هي يا أميرالمؤمنين؟! [عندي] في سفط مختوم فيه طيب، قد احتفظت بها، فلمّا أصبحت إلّا وفتحت السفط ونظرت إليها تبرّكاً بها وقبّلتها ورددتها إلى موضعها، وإذا أمسيت صنعت مثل ذلك.

فقال: أحضرها الساعة.

قال: نعم يا أميرالمؤمنين!

واستدعى بعض خدمه فقال له: ائت البيت الفلانيّ من داري، فخذ مفتاحه من خازنتي وافتحه، ثمّ افتح الصندوق [الفلاني] فجئني بالسّفط الّذي فيه بختمه.

فلم يلبث الغلام أن جاء بالسّفط مختوماً، فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه، فلمّا فتح نظر إلى الدرّاعة فيه بحالها، مطويّة مدفونة في الطيب، فسكن [الرشيد] اللعين من غضبه.

ثمّ قال لعليّ بن يقطين: أرددها إلى مكانها وانصرف راشداً، فلن أُصدّق عليك بعدها ساعياً.

وأمر أن يتبع بجائزة سنيّة وتقدّم بضرب الساعي ألف سوط، فضرب نحو خمسمائة ألف سوط، فمات على ذلك»[1].

---

١. الإرشاد، ج ٢، ص ٢٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ١٣٧.

الثاني والأربعون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ مسنداً إلى هشام بن سالم قال: «كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبدالله عليه السلام أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون على عبدالله بن جعفر أنّه صاحب هذا الأمر بعد أبيه.

فدخلنا عليه [أنا] وصاحب الطاق، والناس عنده وذلك أنّهم رووا عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنّ الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة. فدخلنا عليه نسأله كما نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟

فقال: في مائتين خمسة.

فقلنا: في مائة؟

قال: درهمان ونصف.

فقلنا: والله! ما تقول المرجئة هذا.

قال: فرفع يده إلى السماء فقال: والله! ما أدري ما تقول المرجئة.

قال: فخرجنا من عنده ضلّالاً لا ندري إلى أين نتوجّه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى أين نتوجّه وإلى من نقصد، [و] نقول: إلى المرجئة؟ إلى القدريّة؟ إلى الزيديّة؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟

فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه، يومي إليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون إلى من اتفقت شيعة جعفر عليه السلام عليه، فيضربون عنقه، فخفت أن يكون منهم، فقلت للأحول: تنحّ! فإنّي خائف على نفسي وعليك، وإنّما يريدني لا يريدك، فتنحّ عنّي لا تهلك وتعين على نفسك.

فتنحّى غير بعيد وتبعت الشيخ وذلك أنّي ظننت أنّي لا أقدر على التخلّص منه، فما زلت أتبعه وقد عزمت على الموت حتّى ورد بي على باب أبي الحسن عليه السلام، ثمّ خلّاني ومضى، فإذا خادم بالباب، فقال لي: أُدخل رحمك الله.

فدخلت فإذا أبوالحسن موسى عليه السلام، فقال لي ابتداء منه: لا إلى المرجئة، ولا إلى القدريّة، ولا إلى الزيديّة، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ.

فقلت: جعلت فداك! مضى أبوك؟

قال: نعم.

[قلت: مضى موتاً؟

قال: نعم]

قلت: فمن لنا من بعد أبيه؟

قال: إن شاء الله أن يهديك هداك.

قلت: جعلت فداك! إنّ عبدالله يزعم أنّه بعد أبيه.

قال: يريد عبدالله أن لا يُعبد الله.

[قلت: جعلت فداك! فمن لنا من بعده؟

قال: إن شاء الله أن يهديك هداك.

قال: قلت: جعلت فداك! فأنت هو؟

قال: لا، ما أقول ذلك.

قال: فقلت في نفسي: لم أُصب طريق المسألة، ثمّ] قلت له: جعلت فداك! عليك إمام؟

قال: لا.

فداخلني شيء لا يعلمه إلّا الله إعظاماً [له] وهيبة أكثر ممّا كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه، ثمّ قال: قلت له: جعلت فداك! أسألك عمّا كنت أسأله عن أبيك؟

فقال عليه السلام: سل تخبر، ولا تذع، فإن أذعت فهو الذبح.

فسألته فإذا هو بحر لا ينزف، قلت: جعلت فداك! شيعك وشيعة أبيك ضلّال، فألقى إليهم وادعهم إليك فقد أخذت عليّ الكتمان؟

قال: من آنست منهم رشداً فالق إليه وخذ عليه الكتمان، فإن أذاعوا به فهو الذبح ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ.

قال: فخرجت من عنده فلقيت أباجعفر الأحول، فقال لي: ما وراءك؟

قلت: الهدى، فحدّثته بالقصّة.

قال: ثمّ لقينا الفضيل وأبابصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه بالإمامة.

ثمّ لقينا الناس أفواجاً فكلّ من دخل عليه قطع إلّا طائفة عمّار وأصحابه، وبقي عبدالله لا يدخل عليه إلّا قليل من الناس، فلمّا رأى ذلك قال: ما حال الناس؟

فأُخبر أنّ هشاماً صدّ عنك الناس.

قال هشام: فأقعد لي بالمدينة غير واحد ليضربوني»[١].

ورواه أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ بتغيير والمطلب واحد. ورواه محمّد بن الحسن الصفّار وصاحب «الثاقب [في] المناقب»، وابن شهرآشوب والكلّ متّفق في قوله: لا إلى القدريّة لا إلى الزيديّة»... إلى آخره.

الثالث والأربعون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ مسنداً إلى إسحاق بن عمّار قال: «سمعت العبد الصالح ينعى إلى رجل نفسه، فقلت في نفسي: وإنّه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته.

فالتفت إليّ شبه المغضب فقال: يا إسحاق! قد كان رشيد الهجريّ يعلم علم المنايا والبلايا، والإمام أولى بعلم ذلك.

ثمّ قال: يا إسحاق! إصنع ما أنت صانع فإنّ عمرك قد فنى، فإنّك ستموت إلى سنتين وإخوتك وأهل بيتك لا يلبثون بعدك إلّا قليلاً حتّى تتفرّق كلمتهم ويخون بعضهم بعضاً حتّى يشمت بهم عدوّهم، فكان هذا في نفسك.

فقلت: إنّي أستغفر الله ممّا عرض لي صدري.

فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلّا يسيراً حتّى مات، فما أتى عليهم إلّا قليل حتّى قام بنو عمّار بأموال الناس فأفلسوا»[٢].

وروى ذلك الصفّار والطبريّ والطبرسيّ والسيّد المرتضى و«الثاقب [في] المناقب»

---

١. الكافي، ج ١، ص ٣٥١؛ الإرشاد، ج ٢، ص ٢٢١؛ اعلام الورى، ص ٣٠٠؛ كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٢٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٢٦٢.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٨٤؛ بصائر الدرجات، ص ٢٦٤؛ دلائل الإمامة، ص ١٦٠؛ كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٤٢.

باختلاف السند والعبارة، والمطلب واحد.

الرابع والأربعون: عبدالله بن جعفر الحميريّ في «قرب الإسناد» عن الحسن بن عليّ بن النعمان، عن عثمان بن عيسى، عن إبراهيم بن عبدالحميد قال: «كتب إليّ أبوالحسن عليه السلام -قال عثمان بن عيسى: وكنت حاضراً بالمدينة-: تحوّل عن منزلك فاغتمّ من ذلك، وكان منزله منزلاً وسطاً بين المسجد والسوق، فلم يتحوّل.

فعاد إليه الرسول: تحوّل عن منزلك، فبقي، ثمّ عاد الثالثة: تحوّل عن منزلك، فذهبت فطلب منزلاً، فكنت في المسجد ولم يجيء إلى المسجد إلّا عتمة. قلت له: ما خلفك؟

فقال: تدري ما أصابني [اليوم]؟

قلت: لا.

قال: ذهبت أستقي الماء من البئر لأتوضّأ، فخرج الدلو مملوّا خرءاً، وقد عجنّا وخبزنا [بذلك الماء، فطرحنا خبزنا] وغسلنا ثيابنا، فشغلني عن المجيء، ونقلت متاعي إلى المنزل الّذي اكتريته، فليس بالمنزل إلّا الجارية، الساعة انصرف وآخذ بيدها.

فقلت: بارك الله [لك] ثمّ افترقنا، فلمّا كان سحر [تلك الليلته] خرجنا إلى المسجد، فجاء فقال: ما ترون ما حدث في هذه الليلة؟

قلت: لا.

قال: سقط والله! منزلي السفلى -أو والعلويّ-»[1].

ورواه أبو جعفر الطبريّ بتغيير، والمطلب واحد.

الخامس والأربعون: أبو جعفر الطبريّ مُسنداً قال عليّ بن أبي حمزة: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام إذ أتاه رجل من أهل الريّ يقال له جندب، فسلّم عليه وجلس، فسأله أبوالحسن عليه السلام، فأحسن السؤال، فقال له: ما فعل أخوك؟

فقال: بخير جعلت فداك! وهو يقرئك السلام.

---

١. قرب الإسناد، ص ١٤٥؛ دلائل الإمامة، ص ١٦١؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ٤٥ وما بين المعقوفين أثبتناه من المصدر.

فقال: يا جندب! عظّم الله أجرك في أخيك.

فقال: ورد والله! كتابه عليّ بعد ثلاثة عشر يوماً [بالسلامة].

فقال: يا جندب! إنّه مات والله! بعد يومين من كتابه، ودفع إلى امرأته مالاً وقال: ليكن هذا عندك، فإذا جاء أخي فادفعيه إليه، وقد أودعته الأرض في البيت الّذي هو فيه، فإذا أنت أتيتها فتلطّف بها وأطمعها في نفسك فإنّها ستدفعه إليك.

وقال عليّ بن حمزة: فلقيت جندباً بعد ذلك فسألته عمّا كان قال أبو الحسن عليه السلام.

فقال: صدق والله! سيّدي، ما زاد ولا نقص»[١].

السادس والأربعون: في «الكافي» عن عليّ بن حمزة قال: «أصاب بمكّة سنة من السنين صواعق كثيرة مات خلق كثير، فدخلت على أبي إبراهيم عليه السلام، فقال مبتدئاً من غير أن أسأله: ينبغي للغريق والمصعوق أن يتربّص به ثلاثاً لا يُدفن إلّا أن يجيء منه ريح يدلّ على موته.

قلت: جعلت فداك! كأنّك تخبرني أنّه قد دفن ناس كثير أحياء؟

فقال: نعم، يا عليّ! قد دفن ناس كثير أحياء ما ماتوا إلّا في قبورهم»[٢].

ورواه الطبريّ أيضاً وغيره... إلى غير ذلك من إخباراته.

السابع والأربعون: عبدالله بن جعفر الحميريّ مسنداً إلى عيسى بن شلقان قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن أبي الخطّاب، فقال لي مبتدئاً قبل أن أجلس: يا عيسى! ما منعك أن تلق ابني فتسأله عن جميع ما تريد؟

قال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح وهو قاعد في الكُتّاب وعلى شفتيه أثر المداد، فقال لي مبتدأً: يا عيسى! إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيّين على النبوّة فلم يتحوّلوا عنها أبداً، وأخذ ميثاق الوصيّين على الوصيّة فلم يتحوّلوا عنها أبداً، وأعار قوماً الايمان ثمّ سلبهم إيّاه، وإنّ أباالخطّاب ممّا أُعير الإيمان ثمّ سلبه الله.

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٦٢؛ الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٣١٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ٦١.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٢١٠؛ التهذيب، ج ١، ص ٣٣٨؛ دلائل الإمامة، (ط.ج)، ص ٣٢٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ٧٥.

فضممته إليّ وقبّلت ما بين عينيه، ثمّ قلت: بأبي أنت وأُمّي! ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

ثمّ رجعت إلى أبي عبدالله عليه السلام، فقال لي: ما صنعت يا عيسى؟

قلت له: بأبي أنت وأُمّي! أتيته فأخبرني مبتدئاً من غير أن أسأله جميع ما أردت أن أسأله عنه، فعلمت والله! عند ذلك، إنّه صاحب الأمر.

فقال: يا عيسى! إنّ ابني هذا الّذي رأيت لو سألته عمّا بين دفّتي المصحف لأجابك فيه بعلمه.

ثمّ أخرجه ذلك اليوم من الكُتّاب، فعلمت ذلك اليوم إنّه صاحب هذا الأمر»[٢].

ورواه الطبريّ بسند آخر مثله...[٣] إلى غير ذلك من إخباراته بالغيوب وما أضمره القلوب، مثل إخباره عبدالله بن يحيى الكاهلي بموته في سنة وبكائه، وبشارته أنّه من شيعته[٤].

ومثل إخباره كتابة بموت عبدالله أخيه وسنته، فمات.

ومثل إرساله عليّ بن أبي حمزة إلى شيخ يقعد على ظهر الطريق بين يديه طبق فيه نبع، يبيعه بنفسه للصبيان بفلس فلس، واقرأ السلام، وإرساله ثمانية عشر درهماً وقل له: «يقول لك أبوالحسن انتفع بهذه الدراهم، فإنّها يكفيك حتّى تموت.

قال: أتيته فبلّغته السلام والدراهم والكلام، فبكى وقال: نعيت إليّ نفسي.

قال: فلبث عشرين ليلة، فسألت عنه فوجدته مريضاً في حدّ الموت، وأوصاني بأن أُغسّله وأُكفّنه وأُزوّج ابنته لأحد من الشيعة وأبيع داره، ووجّهت وجهه إلى سيّدي ومولاي، فمات، ففعلت ما أوصاني، وجئت بالثمن إلى سيّدي ومولاي، فقال: رحمه الله، فإنّه كان من شيعتنا

---

١. آل عمران: ٤٣.

٢. قرب الإسناد، ص ١٤٣؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٥٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ٢٤.

٣ و ٤. دلائل الإمامة، ص ٣٣٠.

ولا يعرف»[١].

وقصّة عليّ بن شعيب العقرقوقيّ[٢] وبعثه مباركاً مولاه مع مائتي دينار إليه عليه السلام وكان من جملة المائتين خمسين لأُخته فاطمة، وسألها عنها فلم يعطها وقال: أُريد أن أشتري بها شيئاً.

فأخذها من حيث لم يعرف وبعث بها إلى أبي‌الحسن عليه السلام، فأتى مبارك إلى المدينة فسأل عن أبي الحسن عليه السلام، فقالوا: ذهب إلى مكّة.

فجدّ السير في ليلة مظلمة إلى مكّة، فهتف هاتف باسمه، فقال: من أنت؟

قال: معتّب.

قال: يقول لك سيّدي ومولاي أبوالحسن عليه السلام هات كتاب شعيب ووافني بما معك إليّ.

[منى]

قال: فنزلت من المحمل وأعطيته الكتاب إلى أن جئت إلى منى وسلّمت الدنانير بين يدي سيّدي ومولاي، فجرّ بعضها وردّ بعضها إليّ وقال: قل لمولاك شعيب: ردّها إلى منزلها والموضع الّذي أخذت منه، فإنّ أُختك تحتاج إليها، فردّها إليه.[٣]

وقصّة عليّ بن حمزة، قال له أبوالحسن عليه السلام: «يلقاك غداً رجل من أهل المغرب يسألك عنّي فقل: هو والله! الإمام الّذي قال أبو عبدالله عليه السلام. وإذا سأل عن الحلال والحرام أجبه عنّي. وقال عليه السلام: إنّه رجل طوّال جسيم، اسمه يعقوب وهو رائد قومه، وإن أحبّ أن يدخل عليّ فأذن له، فكان جميع ذلك إلى أن طلب الدخول على الإمام عليه السلام.

فأدخلته، فلمّا رآه أبوالحسن عليه السلام قال: يا يعقوب! قدمت أمس ووقع بينك وبين أخيك شرّ في موضع كذا وكذا حتّى شتم بعضكم بعضاً، وليس هذا من ديني ودين آبائي، فلا تأمر بها أبداً، فاتّق الله! وإنّكما ستعاقبان بموت؛ أمّا أخوك فيموت في سفره هذا قبل أن يصل إلى أهله، وأمّا أنت فقد حضر أجلك لأنّكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما، لكنّك وصلت عمّتك بما

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٦٤ و ص ٣٣١.

٢. في الدلائل: عن علي، عن شعيب العقرقوفي وهو الصحيح.

٣. دلائل الإمامة (ط ج)، ص ٣٣٢.

وصلتها في منزلك كذا وكذا فإن شاء الله . في الدلائل فانشا الله مدّ أجلك عشرين سنة ، والخبر ملخّص »[١].

ومثل قصّة عليّ بن أبي حمزة عن أبيه أنّه اشتدّ مرضه وحضر فذهب عقله ، فلمّا أفاق قال : « افتحوا كيسي وأخرجوا منها مائة درهم وأقسموها بين أصحابي ففعلوا ، وأرسل إلى أبوالحسن إليه بماء فشربه وفيه شفاؤه ، فلمّا دخل على أبي‌الحسن عليه السلام فقال له : قد كان قد حضر أجلك مرّة بعد أُخرى ، لكنّك رجل وصول لقرابتك وأخواتك فأنسأ الله في أجلك مرّة بعد أُخرى »[٢].

ومثل قصّة [أبي] خالد الزّباليّ ـ أي منسوب إلى زبالة ـ قال : « مرّ بي أبوالحسن عليه السلام وأراد بغداد وكان في يوم شديد البرد في سنة مجدبة لا نقدر على عمود نستوقد به ، فطلب منّي الحطب .

فقلت : ليس لنا عود واحد .

فقال : خذ في هذا الفجّ ، فإنّك تلق أعرابيّاً معه حملان فاشترهما منه ولا تماكسه .

فركب حماره فوجد ما أخبره فاشتراهما ، فقال عليه السلام : يا أباخالد ! أُنظر إلى خفاف الغلمان وفعالهم وأصلحها حتّى تقدم عليك يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا .

وكتب أبو خالد تأريخ ذلك اليوم وانتظر فيه قدومه إلى ذلك اليوم ، فاستقبله فجاء عليه السلام كما وعد ، واستبصر أبا خالد ، فإنّه كان من الزيديّة »[٣] ، الحديث .

ومحمّد بن يعقوب الكلينيّ روى قصّة [أبي] خالد هذا بأنّه ورد زبالة ورآني مغموماً ، فسألني عن غمّي ، فقلت : « لأنّك تحمل إلى هذه الطاغية ولا أدري ما يحدث .

فقال عليه السلام : لا بأس عليّ ، إذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا فاستقبلني فإنّي أُجيئك .

فإذا كان ذلك اليوم استقبله وأشرف الشمس إلى الغروب فتداخله شكّ ، فجاء الإمام

---

١. دلائل الإمامة ، ص ١٦٦ ؛ الخرائج والجرائح ، ج ١ ، ص ٣٠٧.

٢. رجال الكشي ، ص ٤٤٥ ؛ بحارالأنوار ، ج ٤٨ ، ص ٣٤.

٣. دلائل الإمامة ، ص ١٦٨ ؛ بحارالأنوار ، ج ٤٨ ، ص ٧٧.

وقال: يا أبا خالد! لا تشكّنّ وجاء كما قال.

فقلت: الحمد لله الّذي خلّصك منهم.

فقال: إنّ لي بهم عودة لا أتخلّص منهم»[١].

ومثل ما في «الكافي» من قصّة داود بن زربيّ قال: «جئت إلى أبي إبراهيم عليه السلام بمالٍ فأخذ بعضه وترك بعضه، فسألته عن سبب الردّ.

فقال: إنّ صاحب هذا الأمر يطلبه منك، فإذا جاءنا نعيه بعث إليّ أبوالحسن عليه السلام ابنه فسألني ذلك المال فدفعته إليه»[٢].

ومثل ما في «الكافي» من خبر طويل عن يزيد بن سليط وملاقاته مع أبي إبراهيم عليه السلام وإخباره برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام وتعيين عليّ الرضا بعده للإمامة، وقول أبي إبراهيم له: «إنّي أوخذ في هذه السنة والأمر هو إلى ابني عليّ، سميّ عليّ وعليّ، فأمّا عليّ الأوّل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا عليّ الآخر فعليّ بن الحسين عليهما السلام، أُعطي فهم الأوّل وحمله ونصرته ووده ودينه، ومحنته محنة الآخر وصبره على ما يكره، وليس له أن يتكلّم إلّا بعد موت هارون بأربع سنين.

ثمّ قال: يا يزيد! وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه فبشّره أنّه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك وسيعلمك أنّك لقيتني، فأخبره عند ذلك أنّ الجارية الّتي تكون منها هذا الغلام من أهل بيت مارية، جارية رسول الله صلى الله عليه وآله أمّ إبراهيم، فإن قدرت أن تبلغها منّي السلام»[٣]، والخبر طويل في «الكافي»، وأحضر منه بقليل في «العيون»[٤] وفيه إخبارات بالغيوب.

ومثل ما نقله عثمان بن عيسى عن سنة الموت بمكّة، فقال عليه السلام: «مَن مِن أصحابكم

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٧٧.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣١٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٢٥.

٣. الكافي، ج ١، ص ٣١٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٧.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٣.

مريض ؟

فقلت : عثمان بن عيسى من أوجع الناس .

فقال له : قل له يخرج .

ثمّ قال : من هاهنا ، فعددت عليه ثمانية فأمر بإخراج أربعة وكفّ عن أربعة ، فما أمسينا حتّى دفنّا الأربعة الّذين كفّ عن إخراجهم .

قال عثمان : فخرجت أنا فأصبحت معافى[1] .

ومثل ما عن الحسن بن موسى قال : اشتكى عمّي محمّد بن جعفر حتّى خفت عليه الموت .

قال : فكنّا مجتمعين عنده إذ دخل أبو الحسن عليه‌السلام فقعد إلى ناحية وإسحاق عمّي عند رأسه يبكي ، فقعد عليه‌السلام قليلاً ثمّ قام ، فتبعته فقلت : جعلت فداك ! يلومك إخوتك وأهل بيتك يقولون : دخلت على عمّك وهو في الموت ثمّ خرجت عنه .

فقال عليه‌السلام : إذن أُخبرك ، أرأيت هذا الباكي سيموت وسيبكي عليه هذا .

قال : فبرأ محمّد بن جعفر ، واشتكى إسحاق ومات وبكى عليه محمّد »[2] .

وقصّة وثوبه من نومه واستماعه كلام غلامين له مع جاريتين له من وراء حائط بينهما ، فأصبح بعث العبدين إلى بلد وجاريتين إلى بلد آخر وباعهم .

وإخباره أنّ أباجعفر لا يرى مكّة ، فخرج حاجّاً إلى أن نزل بئر ميمون فخرجت وسمعت الواعية ، فقال : « الله أكبر ! ما كان ليرى بيت الله أبداً »[3] .

... إلى غير ذلك ممّا لو أردت إحصاءها بالإشارة تمّت الرسالة وما تمّت ، ففي ما ذكرنا الكفاية إن شاء الله .

الثامن والأربعون : فيما ورد من ذلك عن عليّ بن موسى الرضا عليهما‌السلام ، ففي « الكافي » عنه عليه‌السلام « أنّه خرج من المدينة في السنة الّتي حجّ فيها هارون يريد الحجّ فانتهى إلى جبل عن

---

١. بحارالأنوار ، ج ٤٨ ، ص ٥٥ .

٢. بصائر الدرجات ، ص ٢٦٥ ؛ دلائل الإمامة ، (ط . ج) ، ص ٣٤١ .

٣. قرب الإسناد ، ص ١٤٤ ؛ كشف الغمّة ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

يسار الطريق ـ وأنت ذاهب إلى مكّة ـ يقال له: فارع، فنظر إليه أبو الحسن عليه السلام.

ثمّ قال عليه السلام: باني فارع وهادمه يُقطع إرباً.

فلم ندر ما معنى ذلك، فلمّا ولّى وافى هارون ونزل بذلك الموضع، فيصعد جعفر بن يحيى ذلك الجبل وأمر أن يبنى له، ثمّ تجلس، فلمّا رجع من مكّة صعد إليه فأمر بهدمه، فلمّا انصرف إلى العراق قطع إرباً إرباً»[1].

التاسع والأربعون: ما في «الكافي» أيضاً عن عليّ بن إبراهيم عن ياسر قال: «لمّا خرج المأمون من خراسان يريد البغداد وخرج الفضل ذوالرياستين وخرجنا مع أبي الحسن عليه السلام، ورد على الفضل بن سهل ذوالرياستين كتاب من أخيه الحسن بن سهل ونحن في بعض المنازل:

«إنّي نظرت في تحويل السنة في حساب النجوم، فوجدت فيه أنّك تذوق في شهر كذا وكذا يوم الأربعاء حرّ الحديد وحرّ النار، وأرى أن تدخل أنت وأميرالمؤمنين والرضا الحمّام في ذلك اليوم وتحتجم فيه وتصبّ على يديك الدم لتزول عنك نحسه».

فكتب ذوالرياستين إلى مأمون ذلك وسأله أن يسأل أباالحسن عليه السلام ذلك، فكتب المأمون إلى أبي الحسن عليه السلام ذلك.

فكتب إليه: لست بداخل الحمّام غداً ولا أرى ذلك ولا للفضل أن تدخلا الحمّام غداً.

فأعاد عليه الرقعة مرّتين.

فكتب إليه أبوالحسن عليه السلام: يا أميرالمؤمنين! لست بداخل الحمّام غداً، فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الليلة في النوم فقال لي: يا عليّ! لا تدخل الحمّام غداً ولا أرى لك ولا للفضل أن تدخلا الحمّام غداً.

فكتب إليه المأمون: صدقت يا سيّدي! وصدق رسول الله، لست بداخل الحمّام غداً والفضل هو أعلم وما يفعله.

قال: فقال ياسر: فلمّا أمسينا وغابت الشمس، قال لنا الرضا عليه السلام: قولوا: نعوذ بالله من

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٨٨.

شرّ ما ينزل في هذه الليلة.

فلم يزل يقول ذلك، فلمّا صلّى الرضا عليه السلام الصبح قال لي: إصعد السطح فاستمع هل تسمع شيئاً.

فلمّا صعدت سمعت الصيحة والنحيب وكثرت، فإذا نحن بالمأمون قد دخل من الباب الّذي كان إلى داره من دار أبي الحسن عليه السلام وهو يقول: يا سيّدي! يا أباالحسن! آجرك الله في الفضل، فإنّه قد أبى وكان قد دخل الحمّام، فدخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه وأُخذ ممّن دخل عليه ثلاثة نفر كان أحدهم ابن خاله الفضل بن ذي القلمين.

قال: فاجتمع الجند والقوّاد ومن كان من رجال الفضل على باب المأمون، فقالوا: هذا اغتاله وقتله ـ يعنون المأمون ـ ولنطلبنّ بدمه، وجاؤوا بالنيران ليحرقوا الباب.

فقال المأمون لأبي الحسن عليه السلام: ترى أن تخرج إليهم وتفرّقهم.

قال: فقال ياسر: فركب أبوالحسن عليه السلام وقال لي: إركب.

فركبت، فلمّا خرجنا من باب الدار نظر إلى الناس وقد ازدحموا وتزاحموا، فقال بيده تفرّقوا تفرّقوا.

قال ياسر: فأقبل الناس والله! يقع بعضهم على بعض، وما أشار إلى أحد إلّا ركض ومرّ»[1].

وذكره في «العيون» بسند آخر عن الياسر[2]، والحديث متكرّر النقل في الكتب، مشهور في الألسنة، وهو مشتمل على معجزات. ونسبتهم علومهم إلى رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كثيرة في غير واحد من المواضع هذا منها، فافهم! وتأمّل!

الخمسون: ما رواه في «الكافي» عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن مسافر، وعن الوشّاء، عن مسافر قال: «لمّا أراد هارون بن مسيّب أن يواقع محمّد بن جعفر، قال لي أبوالحسن الرضا عليه السلام: إذهب إليه وقل له: لاتخرج غداً، فإنّك إن خرجت غداً هزمت وقُتل

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٩٠.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٦٣.

أصحابك. فإن سألك من أين علمت هذا فقل رأيت في النوم.

قال: فأتيته فقلت له: جعلت فداك! لا تخرج غداً، فإنّك إن كنت خرجت هزمت وقُتل أصحابك. فقال لي: من أين علمت هذا؟

فقلت: رأيت في النوم.

فقال: نام العبد ولم يغسل أسته.

فخرج وانهزم وقُتل أصحابه.

قال: وحدّثني مسافر قال: كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام بمنى فمرّ يحيى بن خالد ـ يعني البرمكيّ ـ يغطّي رأسه من الغبار.

فقال عليه السلام: مساكين لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة.

ثمّ قال: وأعجب من هذا هارون وأنا كهاتين ـ وضمّ إصبعيه ـ.

قال مسافر: فوالله! ما عرفت معنى حديثه حتّى دفنّاه معه»[1].

الواحد والخمسون: ما رواه الطبريّ مسنداً عن أبي محمّد الكوفيّ قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام.

قال: «فأقبل يحدّثني ويسألني، إذ قال: يا أبا محمّد! ما ابتلى الله عبداً مؤمناً بثلاثة فيصبر عليها إلّا كان له مثل أجر كلّ شهيد.

قال: ولم يكن ذلك في شيء من العلل فانكرت ذلك من قوله أن حدّثني بالوجع في غير موضعه.

قال: فسلّمت عليه وودّعته وخرجت من عنده ولحقت بأصحابي وقد رحلوا فاشكتيت رجلي من ليلتي.

قال: فقلت: هذا لما لقيت، فلمّا كان من الغد تورّمت. قال: ثمّ أصبحت وقد اشتدّ الورم وضرب عليّ في الليل فذكرت قوله.

فلمّا وصلت إلى المدينة جرى منه القيح وصار جرحاً عظيماً لا أنام ولا أُقيم، فعلمت أنّه

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٩١؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٥٧.

حدّثني هٰذا المعنى، وبقي بضعة عشراً صاحب فراش، ثمّ أفاق، ثمّ نكّس منها ثمّ مات»[١].

الثاني والخمسون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ مسنداً إلى عمر بن يزيد قال: «دخلت على أبي الحسن عليه‌السلام وأنا يومئذٍ واقف وقد كان أبي سأل إيّاه عن سبع مسائل فأجابه عن ستّ وأمسك عن السابعة.

فقلت: لا والله! لأسألنّه عمّا سأل أبي أباه، فإن أجاب بمثل جواب أبيه كانت دلالته.

فسألته فأجاب بمثل جواب أبيه أبي في المسائل الستّ فلم يزد في الجواب واواً ولا باءاً، وأمسك عن السابعة، وقد كان أبي قال لأبيه: إنّي أحتجّ عند الله يوم القيامة أنّك زعمت أنّ عبدالله لم يكن إماماً.

فوضع يده على عنقه ثمّ قال له: نعم، احتجّ عليّ بذلك عند الله عزّ وجلّ، فما كان فيه من إثم فهو في عنقي.

قال: فلمّا ودّعته قال: إنّه ليس أحد من شيعتنا يُبتلى ببليّة أو يشتكي فيصبر على ذلك إلّا كتب الله له أجر ألف شهيد.

فقلت في نفسي: والله! ما كان هٰذا ذكر، فلمّا مضيت وكنت في بعض الطريق [، خرج بي عرق المديني فلقيت منه شدّة،] فلمّا كان من قابل حججت فدخلت عليه وقد بقي من وجعي بقيّة، فشكوت إليه وقلت: جعلت فداك! عوّذ رجلي، وبسطتها بين يديه.

فقال عليه‌السلام: ليس على رجلك هذه بأس ولكن أرني رجلك الصحيحة.

فبسطتها بين يديه فعوّذها، فلمّا خرجت لم ألبث إلّا يسيراً حتّى خرج بي العرق وكان وجعه يسيراً»[٢].

الثالث والخمسون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ بإسناده عن ابن فضّال، عن عبدالله بن مغيرة قال: «كنت مواقفاً وحججت على تلك الحالة، فلمّا صرت بمكّة خلج في صدري شيء فتعلّقت بالملتزم، ثمّ قلت: اللهمّ قد علمت طلبتي وإرادتي فأرشدني إلى خير الأديان.

---

١. دلائل الإمامة، ص ١٨٨؛ الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٣٦٠؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٥١.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٥٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٦٧.

فوقع في نفسي أن آتي الرضا عليه السلام، فأتيت المدينة فوقفت ببابه وقلت للغلام: قل لمولاك: رجل من أهل العراق بالباب.

قال: فسمعت نداءه وهو يقول: أُدخل يا عبدالله بن مغيرة! أُدخل يا عبدالله بن مغيرة!

فدخلت فلمّا نظر إليّ قال لي: قد أجاب الله دعاك وهداك لدينه.

فقلت: أشهد أنّك حجّة الله على خلقه وأمينه في أرضه»[١].

الرابع والخمسون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن مسافر قال: «أمر أبو إبراهيم عليه السلام حين أُخرج به أباالحسن عليه السلام أن ينام على بابه في كلّ ليلة أبداً ما كان حيّاً إلى أن يأتي منه خبره.

قال: فكنّا في كلّ ليلة نفرش لأبي الحسن عليه السلام في الدهليز، ثمّ يأتي بعد العشاء فينام، فإذا أصبح انصرف إلى منزله.

قال: فمكث على هذه الحالة أربع سنين، فلمّا كان في ليلة من الليالي أبطأ عنّا وفرش له فلم يأت كما كان يأتي، فاستوحش العيال وذعروا، ودخلنا أمر عظيم من إبطائه، فلمّا كان من الغد أتى الدار ودخل إلى العيال وقصد إلى أمّ أحمد فقال لها: هات الّذي أودعك أبي.

فصرخت ولطمت وجهها وشقّت جيبها وقالت: مات والله! سيّدي.

فكفّها عليه السلام وقال لها: لا تكلّمي شيئاً ولا تظهريه حتّى يجيء الخبر إلى الوالي.

فأخرجت لها سفطاً فيه ألفي دينار وأربعة آلاف دينار، فدفعت ذلك أجمع إليه دون غيره، وقالت: إنّه عليه السلام قال فيما بيني وبينه وكانت أثيرة عنده: احتفظي هذه الوديعة عندك لا تطّلعي عليها أحد حتّى أموت، فإذا مضيت فمن أتاك من ولدي فطلبها منك فادفعيها إليه واعلمي أنّي قد مُتُّ، وقد جائتني والله! علامة سيّدي.

فقبض ذلك منها وأمرهم بالإمساك إلى أن ورد الخبر وانصرف لم يعد لشيء من البيت كما كان يفعل، فما لبثنا إلّا أيّاماً يسيرة إلى أن ورد الخبر حتّى جائت الخريطة بنيعه وعددنا الأيّام وتفقّدنا الوقت، فإذا هو قد مات في الوقت الّذي فعل أبوالحسن عليه السلام ما فعل من تخلّفه عن

---

١. الكافي، ج ١، ص ٣٥٥؛ كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٠٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ٢٧٢.

البيت وقبضه لما قبض»[١].

...إلى غير ذلك من إخباراته بالغيب وعلمه بما في النفس مثل قصّة عبدالله هُليّل وهو يقول بعبدالله ثمّ رجع، فسُئل عن سبب ذلك.

فقال: «إنّي أردت الرضا عليه السلام السؤال عن شيء فوافقني في طريق، فأقبل إليّ بشيء من فيه، فوقع على صدري فإذا هو رقّ فيه مكتوب ما أردت السؤال عنه»[٢].

ومثل ما بشّره أحد بموت الزبيريّ وهو على المائدة، فرفع رأسه وتغيّر لونه واصفرّ وجهه وقال: «إنّي أحسبه قد ارتكب في ليلته هذه ذنباً ليس بأكبر من ذنوبه، قال الله: ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً ﴾[٣]»[٤].

فجاء آخر بخبر موته، وسأل عن سببه.

فقال: «شرب الخمر بارحة فغرق فيه فمات».

ومثل قوله لابن قياما وهو قال: «إنّك لست بإمام، لأنّا روينا عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ الإمام لا يكون عقيماً ـ وذلك حين لم يكن وُلد أباجعفر ـ.

فقال: أُشهد الله أنّه لا يمضي الأيّام والليالي من السنة حتّى يرزقني ولداً منّي.

فوهب الله له أباجعفر في أقلّ من سنته»[٥].

ومثل أنّه سمع بعض أصحابه من الأخرس قدحاً على الرضا عليه السلام فاشترى سكّيناً ووقف باب المسجد ليقتله إذا خرج.

فوصل إليه رقعة الإمام عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، بحقّي عليك لما كففت عن

---

١. الكافي، ج ١، ص ٣٨١؛ بحارالأنوار، ج ٤٨، ص ٢٤٦ مع اختلاف في النقل.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٥٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٤.

٣. نوح: ٢٥.

٤. الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٧٢٧.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٣٤.

الأخرس، فإنّ الله ثقتي وحسبي»[١].

ومثل إخباره لأصحابه في الخراسان بعد صلاة العصر بموت عليّ بن أبي حمزة البطائنيّ وهو من الواقفة على موسى عليه السلام، وأنّه أُدخل في هذه قبره ملكان وسألاه عن دينه فأجاب بالتوحيد والقرآن والإسلام والأئمّة إلى موسى بن جعفر عليهما السلام ثمّ سألاه عمّن بعده فسكت فضرباه بأزربة ألقياه على قبره فهو يلتهب إلى يوم القيامة، فضبطوا التأريخ حتّى ورد كتب الكوفيّين فوجده كما قال من حين موته.

ومثل قوله: إنّ عبدالله يقتل محمّداً.

فقيل له: «إنّ عبدالله هارون يقتل محمّد بن هارون؟

فقال لي: نعم، الّذي بخراسان يقتل محمّد بن زبيدة الّذي هو ببغداد؛ فقتله بعد ذلك»[٢].

ومثل قصّة أبي حبيب النباجيّ قال: «رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد النباج وبين يديه طبق من خوص نخل المدينة فيه تمر صيحانيّ، فأخذ قبضة من تمر، فعددته فكان ثمان عشرة، فتأوّلت أن أعيش ثمانية عشر سنة، وبعد عشرين يوماً أُخبرت بورود أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بمسجد النباج، فسارعت إليه فرأيت جالساً في المكان الّذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً بعينه، وبين يديه طبق من ذلك التمر الّذي رأيته في المنام، فقبض قبضة وأعطانيها فعددتها فإذا هي ثمانية عشر، فقلت: زدني يابن رسول الله.

فقال: لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله لزدتك»[٣].

ومثل قصّة محمّد بن عبدالله القمّيّ قال: «كنت جالساً عنده وبي عطش شديد وكرهت الاستسقاء، فدعى بماء فذاقه وباذلني وقال: يا محمّد! أُشرب فإنّه بارد، فشربت»[٤].

ومثل قصّة أحمد [بن محمّد، عن] بن أبي نصر في القادسيّة بأنّه عليه السلام «بعث إليّ بزنفيلجة

---

١. بصائر الدرجات، ص ٢٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٤٧.

٢. دلائل الإمامة، ص ١٨٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٣٤.

٣. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣١٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٣٥.

٤. بصائر الدرجات، ص ٢٣٩؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٣١.

فيها دنانير صالحة ومصحف وكان يأتيني رسوله في حوائجه فاشترى ولبثت يوماً وحدي، ففتحت المصحف لأقرأ فيه، فلمّا نشرته نظرت في سورة ﴿ لم يكن ﴾ وإذا فيها أكثر ممّا في أيدينا أضعافاً، فقدمت على قرائتها فلم أعرف منها شيئاً، فأخذت الدواة والقرطاس.

فأردت أن أكتبها لكن أسأل عنها فأتاني مسافر قبل أن أكتب منها شيئاً ومعه منديل وخيط وخاتمه وقال: مولاي يأمرك أن تضع المصحف في المنديل وتختمه وتبعث إليه بالخاتم؛ ففعلت»[١].

ومثل قصّة محمّد بن الفضل، قال: دخلت على سيّدي ومولاي وسألت عن مسائل وأردت أن أسأله عن السلاح ـ يعني سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ـ هل يكون عنده كما كان عند أبيه عليه السلام، فنسيته وخرجت ودخلت منزل فلان، فإذا برسوله مع رقعة فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، أنا بمنزلة أبي وعندي ما كان عند أبي»[٢].

ومثل قصّة عمر بن يزيد أنّه قال: «إنّي جعلت على نفسي أن لا يظلّني ومحمّد ابن جعفر بن محمّد سقف بيت ـ يعني عمّه ـ.

فقلت في نفسي: هذا يأمرنا بالبرّ والصلة ويقول هذا لعمّه.

فنظر إليّ فقال: هذا من البرّ والصلة، إنّه متى يأتيني ويدخل عليّ فيقول فيّ يصدّقه الناس، وإذا لم يدخل عليّ ولم أدخل عليه لم يقبل قوله إذا قال»[٣].

ومثل قصّة محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب. قال الراويّ: «اجتمع إليه أهل بيته وغيرهم من قريش فبايعوه وذلك في المدينة أيّام أبي السرايا، فقالوا: لو وافقنا عليّ بن موسى الرضا لتمّ الأمر.

فبعثوا إليه أن يأتيهم، فقال عليه السلام: إذا مضى عشرون يوماً أتيتكم.

فإذا في يوم ثمانية عشر جائهم الجلوديّ وقاتلهم وهزمهم وخرج محمّد هارباً نحو

---

١. بصائر الدرجات، ص ٢٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٤٦.

٢. بصائر الدرجات، ص ٢٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٤٧.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٤؛ بحارالأنوار، ج ٤٧، ص ٢٤٦.

الصّورين.

فقال أبو الحسن عليه السلام: مضت العشرون يوماً أم لا؟»[١]

ومثل أنّ ريّان بن الصلت قال لمعمّر: أُريد أن يكسوني سيّدي بثوب من ثيابه ويعطيني بعض الدراهم الّتي عليها سكّته.

فدخل المعمّر فابتدأ الرضا عليه السلام بما أراد ريّان بن الصلت وطلبه وأعطاه ثوبين من ثيابه وثلاثون درهماً من دراهمه.

ومثل قصّة شباب بني هاشم «وكانوا حوله إذ مرّ عليهم جعفر بن محمّد العلويّ وهو رثّ الهيئة، فنظر بعضهم إلى بعض وضحكوا من هيئته، فقال الرضا عليه السلام: لترونّه عن قريب كثير المال، كثير المتبع.

فما مضى إلّا شهراً حتّى ولّى المدينة وحسنت حاله، وكان يمرّ ومعه الخصيان والحشم.

وجعفر هذا هو جعفر بن محمّد بن عمر بن الحسين بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام»[٢].

ومثل أن نظر إلى هرثمة بن المدينة فقال: «كأنّي به قد حُمل إلى هارون بمرو.

فضرب عنقه؛ فكان كما قال»[٣].

ومثل قصّة ريّان بن الصلت قال: «أردت الخروج إلى العراق وقلت في نفسي: أسأل عن سيّدي ثوباً من أثواب بدنه المبارك لكفني ودراهم لأصوغ منه الخواتيم لبناتي.

فلمّا دخلت عليه شغلتني البكاء والأنين على فراقه عن مسألة ذلك، فلمّا ودّعته وخرجت صاح بي: يا ريّان! إرجع.

فرجعت، فقال لي: أما تحبّ أن أدفع إليك ثوباً من ثيابي لكفنك ودراهم تصوغ بهالبناتك خواتيم.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٢٢٠.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٤٩، ص ٣٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٣٣.

٣. اعلام الورى، ص ٣٢٣.

وأعطاني من تحت الوسادة قميصاً وثلاثين درهماً»[١].

ومثل أنّه خرج هارون من المسجد الحرام من باب وخرج الرضا عليه السلام من باب آخر، فقال الرضا عليه السلام: «ما أبعد الدار وأقرب اللقاء، يا طوس! يا طوس! يا طوس! ستجمعيني وإيّاه»[٢].

ومثل قوله عليه السلام لمّا ورد البريد بإشخاصه، فدخل المسجد لوداع جدّه ويعلو صوته بالبكاء والنحيب وقال: «إنّي أخرج من جوار جدّي وأموت في غربة وأُدفن إلى جوار هارون»[٣].

ومثل قصّة ابن كثير قال: «لمّا توفّي موسى عليه السلام فحججت تلك السنة، فإذا بعليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فأضمرت في قلبي أمراً، فقلت: ﴿أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾[٤].

فمرّ عليه السلام عليّ كالبرق اللّامع وقال: أنا والله! البشر الّذي يجب عليك أن تتّبعني»[٥].

ومثل من أراد السؤال عن سنّه المبارك فدخل عليه فسأله عن سنّه، فقال: «أنا أكبر منك»[٦].

ومثل أن سأله المأمون أنّ جاريته الزاهريّة حاملة ويسقط حملها أن يدعو لها بسلامة ولدها.

فقال عليه السلام: «إنّها تسلم وستلد غلاماً أشبه الناس بأُمّه وتكون له خنصر زائدة في يده اليمنى ليست بالمدلاة، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلّاة؛ فولدت الزاهريّة ولداً كذلك»[٧].

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢١١؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٣٥.
٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢١٦؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ١١٥.
٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢١٧.
٤. القمر: ٢٤.
٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٩٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٣٨.
٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٢٠؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٤٠.
٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٢٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٢٩.

ومثل قوله للمأمون لمّا عرض عليه الخلافة وأبى أن يقبل، فقال له: «فإن لم تقبل الخلافة ولا تحبّ متابعتي لك فكن لي وليّ عهدي لتكون الخلافة لك بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: والله! لقد حدّثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسُمّ، تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأُدفن في أرض غربة إلى جنب هارون.

فبكى اللعين وقال: ومن الّذي يقتلك، أو يقدر على الإسائة إليك وأنا حيّ؟

فقال الرضا عليه السلام: أمّا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت من الّذي يقتلني»[1]... إلى آخر الخبر بطوله.

ومثل أنّ المأمون يجمع العلماء المخالفين ويناظرهم في تفضيل عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام تقرّباً بعليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

فقال لأصحابه الّذين يثق بهم: «لا تغترّوا منه بقوله، فإنّه لا يقتلني والله! غيره»[2].

ومثل قصّة دعبل المشهورة قرأ قصيدته المعروفة، فلمّا وصل إلى قوله:

«وقبر ببغداد لنفسٍ زكيّةٍ تضمّنها الرّحمان في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بيتين بهما تمام قصيدتك؟

فقال: بلى يابن رسول الله! فقال عليه السلام:

وقبرٌ بطوسٍ يالها من مصيبةٍ ألحّت على الأحشاء بالزّفرات[3]

إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً يفرّج عنّا الهمّ والكربات

قال دعبل: قبر من؟

فقال الرضا عليه السلام: قبري، ولا تنقضي الأيّام والليالي حتّى تصير طوس مختلف شيعتي

---

١. علل الشرائع، ج ١، ص ٢٣٧؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٣٩؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٢٢٣.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٨٤.

٣. أو «توقّد على الأحشاء بالحرقات» على اختلاف النسخة.

وزوّاري، ألا! فمن زارني في غربتي كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً.

ثمّ نهض الرضا عليه السلام ودخل دار حرمه وأرسل إلى دعبل بصرّة فيها مائة دينار رضويّة.

فردّها دعبل وقال: ما لهذا جئت، وسأل عنه ثوباً من ثيابه ليتبرّك به ويتشرّف به.

فأرسل إليه جبّة خزّ مع الصرّة وقال الرسول: يقول لك مولاك: خُذ هذه الصرّة، فإنّك ستحتاج إليه.

ثمّ ودّعه وخرج، فقطع اللصوص القافلة وشدّوا كتفيه ويقرأ أحدهم شعراً من دعبل وهم شيعة، فيسألهم هذا شعر من؟

قالوا: شعر دعبل.

فقال: أنا دعبل.

فحلّوا كتفه وردّوا عليهم ما أخذوا حتّى ورد قم، فاطّلعوا على خبر الجبّة، فاشتروها منه بألف دينار ولم يرض بذلك.

فلمّا خرج من قم جاء الأحداث وسلبوه وأخذوا الجبّة منه، فرجع إلى قم وكلّما ألحّ باسترجاع الجبّة لم يقبلوا وقالوا: خُذ ثمنها ألف دينار.

فرضي بقطعة منها، فاعطوه مع ثمنها ألف دينار وانصرف إلى وطنه، فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله، فباع المائة درهم الّتي أعطاها الرضا عليه السلام درهم بمائة درهم لما كان فيها من سكته عليه السلام، فحصل في يده عشرة ألف درهم، فذكر قول الرضا عليه السلام له: «إنّك تحتاج إليه».

وكانت له جارية فرمدت عيناها وقال الأطبّاء: أمّا اليمنى فذهب، وأمّا اليسرى فنعالجها لعلّها يشفى، فذكر قطعة الجبّة واستشفى بها جاريتها، فبرءت في ليلتها كلتا عينيها ببركتها»[١].

ومثل قصّة ياسر الخادم قال: قلت للرضا عليه السلام: «رأيت في النوم كأنّ قفصاً فيه سبعة عشر قارورة، [إذ وقع القفص] فتكسّرت القوارير.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٦٣؛ بحارالأنوار ٤٩، ص ٢٣٩.

قال عليه السلام: يخرج رجل من أهل بيتي يملك سبعة عشر يوماً ثمّ يموت.

فخرج محمّد بن إبراهيم بالكوفة مع أبي السرايا فمكث سبعة عشر يوماً، ثمّ مات»[١].

ومثل قوله لمحمّد بن سنان حيث قال له: «إنّك شهّرت نفسك بهذا الأمر وسيف هارون يقطر الدم.

فقال: جزاني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أخذ أبوجهل من رأسي شعرة فاشهدوا أنّي لست بنبيّ».

وأنا أقول لكم: «إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أنّي لست بإمام»[٢].

...إلى غير ذلك من الأخبار الّتي لو أشرت إليها إشارة لطال الكلام، وفيما ذكرنا الكفاية.

الخامس والخمسون: وقد تجاوز المائة إشارة فيما ورد عن محمّد بن عليّ النقيّ الجواد عليه السلام، من ذلك محمّد بن يعقوب مسنداً إلى يحيى بن أكثم قاضي سامرّاء قال: «بعدما جاهدت به ـ يعني محمّد الجواد عليه السلام ـ وناظرته وجاورته وواصلته وسألته عن علوم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت محمّد بن عليّ الرضا عليهما السلام يطوف به، فناظرته في مسائل عندي فأخرجها إليّ، فقلت له: والله! إنّي أُريد أن أسألك مسألة وإنّي والله! لأستحيي من ذلك.

فقال عليه السلام: أنا أُخبرك قبل أن تسألني، تريد أن تسألني عن الإمام؟

فقلت: هو والله! هذا.

فقال: أنا هو.

فقلت: علامة.

فكان في يده عصا، فنطقت وقالت: إنّ مولاي إمام هذه الزمان وهو الحجّة»[٣].

السادس والخمسون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن

---

١. الكافي، ج ٨، ص ٢٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٩٩.

٢. الكافي، ج ٨، ص ٢٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ١١٥.

٣. الكافي، ج ١، ص ٣٥٣؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٦٨.

حسان، عن عليّ بن خالد ـ قال محمّد: «كان زيديّاً ـ قال: «كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجل محبوس أُتي به من ناحية الشام مكبولاً وقالوا: إنّه تنبّأ.

قال عليّ بن خالد: فأتيت الباب وداريت البوّابين والحجبة حتّى وصلت إليه فإذا رجل له فهم، فقلت: يا هذا! ما قصّتك وما أمرك؟

قال: إنّي كنت رجلاً بالشام أعبد الله في الموضع الّذي يُقال له: موضع رأس الحسين عليه السلام، فبينا أنا في عبادتي إذ أتاني شخص فقال لي: قم بنا.

فقمت معه، فبينا أنا معه إذ أنا في مسجد الكوفة.

فقال لي: تعرف هذا المسجد؟

فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة.

قال: فصلّى وصلّيت معه، فبينا أنا معه إذ أنا في مسجد الرسول بالمدينة، فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلّمت، وصلّى وصلّيت معه، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبينا أنا معه إذ أنا بمكّة، فلم أزل معه حتّى قضى مناسكه وقضيت مناسكي معه، فبينا أنا معه إذ أنا في الموضع الّذي كنت أعبد الله فيه بالشام، ومضى الرجل.

فلمّا كان العام في القابل إذ أنا به، ففعل مثل فعلته الأُولى، فلمّا فرغنا من مناسكنا وردّني إلى الشام وهمّ بمفارقتي قلت له: أسألك بحقّ الّذي أقدرك على ما رأيت! أخبرتني من أنت؟

فقال: أنا محمّد بن عليّ بن موسى.

فتوافى الخبر حتّى انتهى إلى محمّد بن عبدالملك الزيّات، فبعث إليّ فأخذني وكبّلني في الحديد وحملني [إلى] العراق فحبست كما ترى وادّعى عليّ المحال.

فقلت له: أرفع عنك قصّتك إلى محمّد بن عبدالملك؟

قال: افعل[1].

فكتبت عنه قصّة شرحت أمره فيها، فرفعتها إلى محمّد بن عبدالملك.

فوقّع في ظهرها: قل للّذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة

---

١. في البحار: ارفع.

ومن المدينة إلى مكّة وردّك إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا.

قال عليّ بن خالد: فغمّني من ذلك من أمره ورققت له وأمرته بالعزاء والصّبر، ثمّ بكّرت عليه فإذا الجند وصاحب الحرس وصاحب السجن وخلق الله عظيماً من الناس يهرعون، فسألت عن حالهم.

فقالوا: المحمول من الشام الّذي تنبّأ افتُقِد البارحة، فلا تدرى أخسفت به الأرض، أو اختطفته الطير ؟!»[1]

السابع والخمسون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ عن عليّ بن محمّد، عن سهل ابن زياد، عن داود بن القاسم الجعفريّ، قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعي ثلاث رقاع غير معنونة واشتبهت عليّ فأغممت، فتناول إحداها وقال: هذه رقعة زياد بن شبيب.

ثمّ تناول الثانية وقال: هذه رقعة فلان، فبهتُّ أنا، فنظر إليّ فتبسّم[2].

قال: وأعطاني ثلاثمائة دينار وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه وقال: أمّا إنّه سيقول لك: دُلّني على حريف لي يشتري بها متاعاً، فدلّه عليه.

قال: فأتيته بالدنانير.

فقال: يا أبا هاشم! دُلّني على حريف لي يشتري بها متاعاً.

قلت: نعم[3].

قال: وكلّمني جمّال أن أُكلّمه له يدخله في بعض أُموره، فدخلت عليه لأُكلّمه له فوجدته يأكل معه جماعة ولا يمكنّي كلامه.

فقال: يا أبا هاشم! كُل ووضع بين يديّ، ثمّ قال ابتداء منه من غير مسألة: يا غلام! أُنظر الجمّال الّذي أتانا به أبو جعفر فضمّه إليك.

قال: ودخلت معه ذات يوم بستاناً، فقلت له: جعلت فداك! إنّي لمولع بأكل الطين فادع

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٩٢؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٧٦، و ج ٥٠، ص ٣٨.

٢. بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٤١.

٣. بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٤١.

الله لي.

فسكت، ثمّ قال لي بعد أيّام ابتداءً منه: يا أبا هاشم! قد أذهب الله عنك أكل الطين.

قال أبو هاشم: فما شيء أبغض إليّ اليوم منه»[١].

ورواه الطبرسيّ في «إعلام الورى» وابن شهرآشوب وصاحب «الثاقب [في] المناقب» بتغيير يسير.

...إلى غير ذلك مثل من له على أبي الحسن الرضا عليه السلام أربعة آلاف درهم ومضى عليه السلام فقال في نفسه: ذهب مالي عليه، فأرسل إليه أبو جعفر: ائتنا غداً وأعطاه تمام ماله.

ومثل إخباره في سفره إلى بغداد لمن خالف عليه أنّه لا بأس عليّ في هذه المرّة الثانية لا أرجع وعليك بعدي بابني عليّ.

ومثل إخباره لفرس أُنثى أنّها تلد في هذه الليلة فرساً بعلامة فلان وفلان، وكان كما قال.

ومثل إخباره بموت أبيه في خراسان صبيحة يوم مضى فيه أبوالحسن الرضا عليه السلام.

ومثل قوله عليه السلام لمن أراد أن يسأله أن يدعو الله أن يكون حمل زوجته ذكراً، فقال ابتداءً: اسمه أحمد.

ومثل غيبة نفر واحد عن سبعة نفر من أصحابه في ليلة، فلمّا كان جوف الليل جاءهم توقيع من أبي جعفر الثاني عليه السلام: أنّ صاحبكم الخراسانيّ مذبوح مطروح في هذه الليلة في مزبلة كذا وكذا، فاذهبوا وداووه بكذا وكذا.

فذهبوا ووجدوه وداووه فبرء من ذلك.

ومثل أن كتب الرضا عليه السلام بأحمال من متاع يحمل إليه، فحملها أبو جعفر عليه السلام وبعد أيّام أرسل إلى الأحمال وأمر بردّها فلم نعلم جهة ذلك إلى أن وصل الخبر بمضي أبي الحسن الرضا عليه السلام، فوجدناه ماضياً يوماً أمر بردّ الأحمال... إلى غير ذلك ممّا هو كثير ومسطور في الكتب المعتبرة.

ومثل إخباره لعبدالعظيم الحسنيّ حين قال له: لعلّك القائم المهديّ.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٩٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٤٢.

[قال:] كلّنا قائم بأمر الله إلّا أنّ للقائم الّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو الثالث من ولدي، وصفه كذا وكذا، وصفه كذا وكذا، وظهوره كذا وكذا[١].

الثامن والخمسون: فيما جاء عن أبي الحسن الثالث عليّ النقيّ الهاديّ عليه السلام. محمّد بن يعقوب الكلينيّ عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن خيران الأسباطيّ قال: «قدمت إلى أبي الحسن عليه السلام بالمدينة.

فقال: ما خبر الواثق عندك؟

قلت: جعلت فداك! خلّفته في عافية، أنا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به ستّة عشرة أيّام.

قال: فقال لي: إنّ أهل المدينة يقولون: إنّه قد مات.

فلمّا أن قال لي: «الناس» علمت أنّه هو.

ثمّ قال لي: ما فعل جعفر؟

قلت: تركته أسوء الناس حالاً في السجن.

قال: فقال: أمّا إنّه صاحب الأمر. ما فعل ابن الزيّات؟

قلت: جعلت فداك! الناس معه والأمر أمره.

قال: فقال: أمّا إنّه شؤم عليه.

قال: ثمّ سكت، وقال لي: لابدّ أن تجري مقادير الله وأحكامه، يا خيران! مات الواثق وقد قعد المتوكّل جعفر وقد قُتل ابن الزيّات.

فقلت: متى جعلت فداك؟

قال: بعد خروجك بستّة أيّام»[٢].

التاسع والخمسون: محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن إبراهيم الطاطريّ قال: «مرض المتوكّل من خراج خرج به وأشرف منه على الهلاك فلم يجسر أحد أن يمسّه بحديدة،

---

١. بحارالأنوار، ج ٥١، ص ١٥٧.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٩٨؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٥٨.

فنذرت أُمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام مالاً عظيماً من مالها.

وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ فسألته، فإنّه لا يخلو أن يكون عنده صفة يفرّج بها عنك.

فبعث إليه ووصف له علّته، فردّ إليه الرسول بأن يؤخذ كسب الشّاة، فيداف بماء ورد فيوضع عليه.

فلمّا رجع الرسول وأخبرهم أقبلوا يهزؤون [من قوله]، فقال له الفتح: هو والله أعلم بما قال.

قال: وأُحضر الكسب وعمل كما قال ووضع عليه، فغلبه النّوم وسكن، ثمّ انفتح وخرج منه ما كان فيه، وبُشّرت أُمّه بعافيته، فحملت إليه عشرة آلاف دينار تحت خاتمها، ثمّ اشتل من علّته[1]، فسعى عليه البطحاويّ العلويّ بأنّ أموالاً تُحمل إليه وسلاحاً.

فقال لسعيد الحاجب: اهجم عليه بالليل وخذ ما تجد عنده من الأموال والسلاح واحمله إليّ.

قال إبراهيم بن محمّد: فقال لي سعيد الحاجب: سرت إلى داره بالليل ومعي سُلَّمٌ، فصعدت السطح، فلمّا نزلت على بعض الدرج في الظلمة لم أدر كيف أصل إلى الدار.

فناداني: يا سعيد! مكانك حتّى يأتوك بشمعة.

فلم ألبث أن اتوني بشمعة، فنزلت فوجدته عليه السلام عليه جبّة صوف وقلنسوة منها وسجّادة على حصير بين يديه، فلم أشكّ أنّه يصلّي.

فقال لي: دونك البيوت.

فدخلتها وفتّشتها فلم أجد فيها شيئاً، ووجدت البدرة في بيته مختومة بخاتم أُمّ المتوكّل، وكيساً مختوماً وقال لي: دونك المصلّى.

فرفعته ووجدت سيفاً في جفن غير ملبّس فأخذت ذلك وصرت إليه.

فلمّا نظر إلى خاتم أُمّه على البدرة بعث إليها، فخرجت إليه، فأخبرني بعض خدم الخاصّة

---

١. في الكافي: ثمّ استقلّ من علّته. وفي البحار فاستقلّ المتوكّل من علّته.

أنّها قالت له: كنت قد نذرت في علّتك لمّا أيست منك إن عوفيت حملت من مالي عشرة آلاف دينار، فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس وفتح الكيس وفتح الكيس الآخر فإذن فيه أربعمائة دينار، فضمّ إلى البدرة بدرة أُخرى وأمرني بحمل ذلك إليه.

ورددت السيف والكيسين وقلت له: يا سيّدي! عزّ عليّ.

فقال لي: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[١]»[٢].

الستّون: محمّد بن يعقوب، عن عدّة من أصحابنا، عن محمّد بن عليّ قال: أخبرني زيد بن عليّ بن الحسين بن زيد قال: «مرضت فدخل الطبيب عليّ ليلاً، فوصف لي دواء بليل أخذه كذا وكذا يوماً، فلم يمكنني فلم يخرج الطبيب من الباب حتّى ورد عليّ نصر بقارورة فيها ذلك الدواء بعينه، فقال لي: أبو الحسن عليه السلام يقرئك السلام ويقول: خذ هذا الدواء كذا وكذا يوماً.

فأخذ منه وشربه فبرء.

قال محمّد بن عليّ: قال لي زيد بن عليّ: يأبى الطّاعن أين الغلات عن هذا» الحديث[٣].

تذنيب: محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم مسنداً عن هارون بن الفضل قال: «رأيت أبا الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام في اليوم الّذي توفّي فيه أبو جعفر عليه السلام، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومضى أبو جعفر.

فقيل لي: وكيف عرفت؟

قال: لأنّه تداخلني ذلّة لله بعد لم أكن أعرفها»[٤].

الواحد والستّون: ما رواه الشيخ في أماليه مسنداً إلى رجل سمّاه، قال: «قال لي الفتح بن خاقان: قد ذكره الرجل ـ يعني المتوكّل ـ خبر مال يجيء من قم وقد أمرني أن أُرصّده لأخبره

---

١. الشعراء: ٢٢٧.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٤٩؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٨.

٣. الكافي، ج ١، ص ٥٠٢؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٥٠.

٤. الكافي، ج ١، ص ٣٨١؛ بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٢٩٢.

له، فقل لي من أيّ طريق يجيء فاجتنبه.

فجئت إلى الإمام عليّ بن محمّد عليه السلام، فصادفت عنده من احتشمه، فتبسّم عليه السلام وقال لي: لا يكون إلّا خيراً يا أبا موسى! لم لم تنفّذ[1] الرسالة الأوّلة؟

فقلت: أجللتك يا سيّدي!

فقال لي: المال يجيء الليلة وليس يصلون إليه فبت عندي.

فلمّا كان من الليل وقام إلى ورده قطع الركوع بالسلام وقال لي: قدجاء الرجل ومعه المال وقد منعه الخادم الوصول إليّ، فاخرج فخذ ما معه.

فخرجت فإذن معه زنفيلجة فيها المال، فأخذته ودخلت به إليه، فقال: قل له: هات الجبّة الّتي قالت لك القمّيه: إنّها ذخيره جدّتها.

فخرجت إليه فأعطانيها، فدخلت بها إليه، فقال: قل له: الجبّة الّتي أبدلتها منها ردّها.

فخرجت إليه فقلت له ذلك.

فقال: نعم، ابنتي استحسنتها، فأبدلتها بهذه الجبّة وأنا أمضي وأجيء بها.

فقال: أُخرج فقل له: إنّ الله يحفظ مالنا وعلينا، هاتها من كتفك.

فخرجت إلى الرجل فأخرجها من كتفه، فغشى عليه، فخرج عليه السلام إليه فقال له: قد كنت شاكّاً فتيقّنت»[2].

الثاني والستّون: الشيخ في أماليه مسنداً قال: «قصدت الإمام يوماً ـ يعني أباالحسن عليه السلام ـ فقلت: يا سيّدي! إنّ هذا الرجل قد أطرحني وقطع رزقي وملّلني وما أتّهم في ذلك إلّا علمه بملازمتي لك، وإذا سألته شيئاً منه يلزمه القبول منك، فينبغي أن تتفضّل عليّ بمسألته.

فقال: تُكفىٰ إن شاء الله.

فلمّا كان في الليل طرقني رُسل المتوكّل رسول يتلو رسولاً، فجئت والفتح على الباب قائم،

---

١. في البحار: لم لم تعد.

٢. الأمالي للطوسي، ص ٢٧٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٤.

فقال: يا رجل! ما تأوى في منزلك بالليل كدّني هذا الرجل ممّا يطلبك.

فدخلت فإذن المتوكّل جالس على فراشه، فقال: يا [أبا] موسى! تشتغل عنّا[1] وتنسينا نفسك، أيّ شيء لك عندي؟

فقلت: الصلة الفلانيّة والرزق الفلانيّ، وذكرت أشياء، فأمرلي بها وبضعفها.

فقلت للفتح: وافى عليّ بن محمّد إلى هاهنا؟

فقال: لا.

فقلت: كتب رقعة؟

فقال: لا.

فولّيت منصرفاً، فتبعني فقال لي: لست أشكّ أنّك سألته دعاء لك، فالتمس لي منه دعاء، فلمّا دخلت إليه عليه السلام فقال لي: يا أبا موسى! هذا وجه الرضا.

فقلت: ببركتك يا سيّدي! ولكن قالوا لي: إنّك ما مضيت إليه ولا سألته.

فقال: إنّ الله علم منّا أنّا لا نلجأ في المهمّات إلّا إليه، ولا نتوكّل في الملمّات إلّا عليه، وعوّدنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.

قلت: إنّ الفتح قال لي كيت وكيت.

قال: إنّه يوالينا بظاهره ويجانبنا بباطنه، الدعاء لمن يدعو به، إذا أخلصت في طاعة الله واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبحقّنا أهل البيت وسألت الله تبارك وتعالى لم يحرمك.

قلت: يا سيّدي! فتعلّمني دعاء أختصّ به من الأدعية؟

قال: هذا الدعاء كثيراً أدعو الله وقد سألت الله أن لا يخيب من دعا به في مشهدي بعدي وهو:

«يا عُدّتي عند العُدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسّند، ويا واحد يا أحد، ويا قل هو الله أحد، أسألك اللّهمّ بحقّ من خلقته من خلقك ولم جعل في خلقك مثلهم أحداً أن تصلّي

---

١. في المصدر والبحار: نشغل عنك.

عليهم وأن تفعل بي كذا وكذا»[١].

الثالث والستّون: النجاشي في كتاب الرجال مسنداً إلى أحمد بن يحيى الأزديّ[٢] قال: «دخلت المسجد الجامع لأُصلّي الظهر، فلمّا صلّيت رأيت فلان[٣] وجماعة من أصحابنا جلوساً [فملت إليهم]، فسلّمت عليهم [وجلست] وكان فيهم الحسن بن سماعة، فذكروا أمر الحسين بن عليّ وما جرى عليه، ثمّ من بعده زيد بن عليّ وما جرى عليه، ومعنا رجل غريب لا نعرفه، فقال: يا قوم! عندنا رجل علويّ بـ«سُرّ من رأى» من أهل المدينة ما هو إلّا ساحر أو كاهن.

فقال له الحسن بن سماعة: بمن يعرف؟

قال: عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا.

فقال له الجماعة: فكيف ثبت ذلك منه؟

قال: كنّا جلوساً معه على باب داره وهو جارنا بـ«سُرّ من رأى» نجلس إليه في كلّ عشيّة نتحدّث معه، إذ مرّ بنا قائد من دار السلطان، معه خُلَع ومعه جمع كثير من القوّاد والرجّالة والشاكريّة وغيرهم.

فلمّا رآه عليّ بن محمّد وثب إليه وسلّم إليه وأكرمه، فلمّا أن مضى قال لنا: هو فرح بما هو فيه وغداً يُدفن قبل الصلاة.

فتعجّبنا من ذلك وقمنا من عنده وقلنا: هذا علم الغيب.

فتعاهدنا ثلاثة إن لم يكن ما قال أن نقتله ونستريح منه. فإنّي في منزلي وقد صلّيت الفجر إذ سمعت نعية، فقمت إلى الباب، فإذا خلق كثير من الجند وغيرهم يقولون: مات فلان القائد البارحة، سكر وعبر من موضع إلى موضع، فوقع واندقّت عنقه.

فقلت: أشهد أن لا إله إلّا الله، وخرجت أحضره وإذا الرجل كما قال أبو الحسن عليه السلام ميّت،

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٢٨٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٧.

٢. في البحار: الأودي.

٣. في البحار: رأيت حرب بن الحسن الطحّان.

فما برحت حتّى دفنته ورجعت، فتعجّبنا جميعاً من هذه الحالة»[١].

الرابع والستّون: ما رواه محمّد بن جرير الطبريّ مسنداً إلى رجلٍ سمّاه أنّه كتب إليه عليه السلام يسأله عن السجود على الزّجاج.

قال: «فلمّا نفذ الكتاب حدّثت نفسي أنّه ممّا أنبت الأرض وإنّهم قالوا: لا بأس بالسجود على ما أنبت الأرض.

فجاء الجواب: لا تسجد، فإن حدّثتك نفسك أنّه ممّا أنبت الأرض، فإنّه من الرمل والملح، والملح سبخ، والسبخ بلد ممسوخ»[٢].

الخامس والستّون: ما رواه الطبريّ مُسنداً إلى عليّ بن محمّد النوفليّ قال: قال عليّ بن محمّد: «لمّا بدأ الموسم بالمتوكّل بـ«سرّ من رأى» والحضريّة، قال عليه السلام: يا عليّ! إنّ هذه الطاغية يُبتلى ببناء مدينة لا تتمّ ويكون حتفه فيها قبل تمامها على يد فرعون من فراعنة الأتراك.

ثمّ قال: يا عليّ! إنّ الله عزّ وجلّ اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة والبرهان، واصطفاه بالحجّة والتبيان، وجعل كرامة الصفوة لمن ترى ـ يعني نفسه ـ.

قال: وسمعته يقول: اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنّما كان عند آصف منه حرف واحد، فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبا، فتناول عرش بلقيس حتّى صيّره إلى سليمان، ثمّ بسطت الأرض في أقلّ من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب»[٣].

السادس والستّون: عن الطبريّ بإسناده عن رجل وكان رضيع أبي جعفر الثاني عليه السلام، قال: «بينا أبو الحسن عليه السلام جالسٌ مع مؤدّبه، إذ بكى بكاء شديداً، فسألته المؤدّب ممّا بكائك؟ فلم يجبه.

---

١. رجال النجاشي، ص ٤١؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٦.

٢. دلائل الإمامة، ص ٢١٨؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٥.

٣. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٨٤؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٦.

فقال: ائذن لي بالدخول، فأذن له، فارتفع الصياح من داره بالبكاء، ثمّ خرج إلينا فسألوه عن السبب في بكائه.

فقال: إنّ أباجعفر أبي توفّي الساعة.

قال: قلنا له: فما علمك به؟

قال: دخلني من إجلال الله شيء لم أكن أعرفه قبل، فعلمت أنّ أبي قد مضى.

قال: فعرّفنا ذلك اليوم والشهر إلى أن ورد الخبر فإذا هو في ذلك الوقت بعينه»[1].

السابع والستّون: ما رواه أبو جعفر الطبريّ أيضاً مسنداً وقال الراوي: حدّثنا جماعة ممّن حضر العسكر بـ«سرّ من رأى» قالوا: شهدنا هذا الحديث.

قال أبوطالب الأنباريّ: هو ما حدّثني به مقبل الديلميّ قال: كان رجل بالكوفة يقول بإمامة عبدالله بن جعفر بن محمّد عليه السلام، فقال له صاحب له كان يميل إلى ناحيتنا ويقول بأمرنا: لا تقل بإمامة عبدالله وقل بالحقّ.

قال: وما الحقّ حتّى أتّبعه؟

قال: الإمامة في موسى بن جعفر عليه السلام ومن بعده.

قال له الفطحيّ: ومن الإمام اليوم منهم؟

قال: عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام.

قال: فهل من دليل استدلّ به على ما قلت؟

قال: نعم.

قال: وما هو؟

قال: اضمر في قلبك ما تشاء والقه بـ«سرّ من رأى» فإنّه يخبرك به.

قال: نعم، فخرجا إلى العسكر وقصدا شارع أبي أحمد، فأخبر! أنّ أبا الحسن عليّ بن محمّد مولانا راكب في دار الموكّل، فجلسا ينتظران عوده، فقال الفطحيّ لصاحبه: إن كان صاحبك هذا إماماً، فإنّه حين يرجع ويراني يعلم ما قصدته فيخبرني به من غير سؤال.

---

١. بصائر الدرجات، ص ٤٦٧؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢.

قال: فوقف إلى أن عاد أبوالحسن عليه السلام من موكب المتوكّل وبين يديه الشاكريّة ومن ورائه الرّكبة يشيّعونه إلى داره.

قال: فلمّا أتى الموضع الّذي فيه الرجلان، التفت إلى الرجل الفطحيّ فتفل بشيء من فيه في صدر الفطحيّ كأنّه غرقئ البيض، فالتصق في صدر الرجل كمثل دارة الدرهم وفيه سطر مكتوب بخضرة: «ما كان عبدالله هناك، ولا كذلك».

فقرأه الناس وقالوا له: ما هذا؟

فأخبرهم وصاحبه بقصّتها.

فأخذ التراب من الأرض فوضعه على رأسه وقال: تبّاً لما كنت عليه قبل يومي هذا، والحمد لله حين بدايته، وقال بإمامته»[١].

الثامن والستّون: الطبريّ مسنداً إلى مقبل الديلميّ قال: «كنت جالساً على بابنا بـ«سرّ من رأى» ومولانا أبوالحسن عليه السلام راكب في دار المتوكّل الخليفة، فجاء فتح القلانسيّ و كانت له خدمة لأبي الحسن عليه السلام، فجلس إلى جنبي وقال: إنّ لي على مولانا أربعمائة درهم، فلو أنّ أعطانيها لأنفقت بها.

قال: قلت له: ما كنت صانعاً به؟

قال: كنت أشتري بمائتي درهم خرقاً تكون في يدي أعمل منه قلانس، ومائتي درهم أشتري به تمراً فأنبذه نبيذاً.

قال: فلمّا قال لي ذلك أعرضت بوجهي فلم أكلّمه لما ذكر لي وسكت، وأقبل أبوالحسن عليه السلام على أثر هذا الكلام ولم يسمع هذا الكلام أحد ولا حضره.

فلمّا بصرت به قمت قائماً فأقبل حتّى نزل بدابّته في دار الدوابّ وهو مُقطَب الوجه، أعرف الغضب في وجهه، فحين نزل عن دابّته فقال لي: يا مقبل! اُدخل فأخرج أربعمائة درهم وادفعها إلى فتح الملعون وقل له: [هذا] حقّك فخذه فاشتر منه خرقاً بمائتي درهم واتّق الله فيما أردت أن تفعله بالمائتي درهم الباقية.

---

١. دلائل الإمامة، ص ٢١٩.

فأخرجت الأربعمائة درهم، فدفعتها إليه وحدّثته القصّة [فبكي]، فقال: والله! لا شربت نبيذاً ولا مسكراً أبداً، وصاحبك يعلم ما يعلم»[١].

التاسع والستّون: الطبريّ مسنداً إلى فلان الكاتب بـ«سرّ من رأى»، قال: «بينا [كنت بـ«سرّ من رأى»] أسير [في درب الحصا] فرأيت يـزداد النـصرانيّ تـلميذ يخشـوع وهـو منصرف من دار موسى بن بغاء، فسايرني وأفضى بنا الحـديث... إلى أن قال لي: أترى هذا الجدار مَن صاحبه؟

قلت: ومن صاحبه؟

قال: هذا الفتى العلويّ الحجازيّ ـ يعني عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام ـ وكنّا نسير في فناء دار، قلت ليزداد: نعم، فما شأنه؟

قال: إن كان مخلوق يعلم الغيب فهو.

قلت: وكيف ذلك؟

قال: أُخبرك عنه بأُعجوبة لم يسمع بمـثلها أبداً ولا غيرك من الناس. فقال بعد أن أخـذ العهد عليه أن لا تخبر أحداً عنه أُعيذ دنياه عليه.

قال يزداد: نعم، أُحدّثك أنّي لقيته منذ أيّام وهو على فرس أدهم وعليه ثياب سود وعمامة سوداء وهو أسود اللون، فلمّا بصرت به وقفت إعظاماً وقلت في نفسي: لا وحقّ المسيح! ما خرجت من فمي إلى أحد من الناس وقلت في نفسي: ثياب سود ودابّة سوداء ورجل أسـود سواد في سواد في سواد.

فلمّا بلغ إليّ وأحدّ النظر بي وقال: قلبك أسود ممّا ترى عيناك من سواد في سواد في سواد.

قال الراوي: قلت له: أجل فلا تحدّث به أحداً فما صنعت؟ وما قلت له.

قال: أُسقطت في يدي، فلم أجد جواباً.

قلت له: أفما أبيض قلبك لما شاهدت.

قال: الله أعلم.

---

١. دلائل الإمامة، ص ٢٢٠.

قال أبوالحسين: فلمّا اعتلّ يزداد بعث إليّ فحضرت عنده، فقال: إنّ قلبي ابيضّ بعد سواده، فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّ عليّ بن محمّد حجّة الله على خلقه وناموسه الأعظم الأعلم.

ثمّ مات في مرضه ذلك وحضرت الصلاة عليه»[١].

...إلى غير ذلك من إخباراته المفصّلة في الكتب المعتبرة.

السبعون: إخباره باسم تركيّ كما رواه الطبرسيّ، قال الراوي: «مرّ بنا تركيّ فكلّمه أبوالحسن عليه السلام بالتركيّة، فنزل عن فرسه وقبّل يديه.

قال: فحلّفت الرجل ما قال لك؟

قال: هذا نبيّ قد دعاني باسم سمّيت به في بلاد ترك ما علمه أحد إلّا الساعة»[٢].

الواحد والسبعون: قوله عليه السلام: «أنا أكرم على الله من ناقة صالح ﴿**تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام**﴾[٣]، حين أمره الخليفة والجيش، فقتلوه الناس يوم الثالث وأقعدوا المستنصر ولده مقامه»[٤].

الثاني والسبعون: قوله لمن لم يعظّمه في مجلس وليمة الخليفة وهو شابّ يلفظ ويضحك كثيراً، فقال عليه السلام: «يا هذا! تضحك ملأ فيك وتذهل عن ذكر الله وأنت بعد ثلاثة أيّام من أهل القبور. فمات في اليوم الثالث ودُفن»[٥].

الثالث والسبعون: قوله لرجل آخر يعبث ويمزح في مجلس الخليفة ولا يرى له جلالة: «أمّا إنّه لا يأكل من هذا الطعام وسوف يرد عليه من خبر أهله ما ينغّص عليه عيشه.

قال الراوي: فقدّمت المائدة فوالله! لقد غسل الرجل يده وأهوى إلى الطعام، فإذا غلامه

---

١. بصائر الدرجات، ج ٥٠، ص ١٦١.

٢. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٩٧.

٣. هود: ٦٥.

٤. المناقب، ج ٤، ص ٤٠٧؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٩.

٥. بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٢.

قد دخل وهو يبكي وهو يقول: إلحق أمّك، فقد وقعت من فوق البيت وهي بالموت»[١].

ومثل قوله حين ولد له جعفر ابنه، فجاء الأصحاب يهنّئونه، فقال عليه السلام: هوّنوا عليكم أمره، فإنّه ليضلّ جمعاً كثيراً؛ فكان كما قال عليه السلام.

الرابع والسبعون: كتابة كتبه عليه السلام جواباً لمن سأله عمّا بقي من ملك المتوكّل وهي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّم فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾[٢]؛

فقُتل المتوكّل في أوّل الخامس عشر»[٣].

الخامس والسبعون: قوله عليه السلام في يوم الفطر الّذي قُتل بعده المتوكّل، فأمر بني هاشم بالرّجل والمشي بين يديه وإنّما أراد بذلك أن يترجّل أبوالحسن عليه السلام.

فترجّل بنوهاشم وترجّل عليه السلام واتّكئ على رجل من مواليه، [فأقبل عليه الهاشميّون] فقالوا: «يا سيّدنا! ما في هذا العالم أحد يستجاب دعاؤه ويكفينا الله به تعزّر هذا؟

قال لهم أبوالحسن: إنّ في العالم من قلامة ظفره أكرم على الله من ناقة ثمود لمّا عقرت الناقة صاح الفصيل إلى الله، فقال الله: ﴿ **تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ** ﴾[٤]؛ فقُتل المتوكّل يوم الثالث»[٥].

السادس والسبعون: قوله لرجل أصفهانيّ تشيّع، فسُئل عن وجه تشيّعه.

فقال: «كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسان وجرأة، فأخرجوني أهل البلد، فجئنا مع جماعة

---

١. المناقب، ج ٤، ص ٤١٥؛ اعلام الورى، ص ٣٦٤؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٢.

٢. يوسف: ٤٧ ـ ٤٩.

٣. بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٥.

٤. هود: ٦٥.

٥. بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٩.

إلى باب المتوكّل متظلّمين، فبينما نحن بالباب قالوا: يجيء علويّ يقال له: عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام وهو الّذي يزعم الرافضة أنّه إمام.

فقلت في نفسي: إنّ المتوكّل أحضره ليقتله.

فلمّا أتى ويمرّ بنا رأيته وقع حبّه في قلبي، فجعلت أدعو له بصرف المتوكّل عنه شرّه.

فنظر إليّ من بين الناس وقال لي: استجاب الله دعاك وطوّل عمرك وكثّر مالك وولدك.

فارتعدت من هيبته وانصرفنا إلى أصفهان؛ ففتح الله عليّ بدعائه وجوهاً من المال حتّى أنا اليوم أغلق بابي على ما قسمته ألف ألف درهم سوى مالي خارج داري، ورُزقت عشرة من الأولاد وقد مضى لي من العمر نيّفاً وسبعين سنة، فلذا قلت بإمامته»[1].

السابع والسبعون: رجل شيعيّ ورجل غيره كاتب ومناظرتهما، وذلك أنّ المتوكّل أمر يحيى بن هرثمة أن يأخذ ثلاثمائة رجل ويأتي المدينة ويجي بالإمام عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا معظّماً مبجّلاً.

قال: وكان لي قائد على طريقة الحشويّة وكانا يناظران في المذهب كثيراً حتّى نزلنا في طريق البادية، فقال العاملي للكاتب الشيعيّ: أليس من قول صاحبكم عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه ليس من الأرض بقعة وهي قبراً وسيكون قبراً، فانظر إلى هذه البريّة أين من يموت في هذه البريّة العظيمة حتّى تمتلي قبوراً.

وتضاحكنا ساعة من كلامه إذ انخذل الشيعيّ في أيدينا.

ثمّ سرنا حتّى دخلنا المدينة ودخلنا على أبي الحسن عليه السلام، فلمّا قرأ كتاب المتوكّل قال: انزلوا واقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم واعهدوا على الرحيل غداً.

وإذا بين يديه خيّاط وهو يقطع من ثياب غلاظ يقال لها: الخفاتين، له ولغلمانه،... وقال لغلمانه: خذوا لنا معكم من اللّبابيد والبرانس.

فقلت في نفسي: نحن في تموز وهي الحجاز وبيننا وبين العراق مسيرة عشرة أيّام، فما يصنع بهذا الثياب؟ أيخاف أن يلحقنا الشتاء في الطريق، وأتعجّب من الرافضة حيث يقولون بإمامة

---

١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٨٩؛ الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٣٩٢؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٤١.

هذا، مع قلّة فهمه.

فخرجنا معه حتّى وصلنا إلى موضع المناظرة في القبور، فارتفعت سحابة واسودّت وارتعدت وأبرقت حتّى إذا صارت على رؤوسنا أرسلت علينا برداً مثل الصخور وقد شدّ على نفسه وغلمانه وأصحابه الحفافيف ولبسوا اللبابيد والبرانس وقال لغلمانه: إرفعوا إلى يحيى لبّادة وإلى الكاتب الشيعيّ برنساً وتجمّعنا والبرد يأخذنا حتّى قُتل من أصحابي ثمانين رجلاً، وزالت السّحابة ورجع الحرّ كما كان.

فقال عليه السلام لي: يا يحيى! آمر من بقي من أصحابك ليدفن من قد مات من أصحابك.

ثمّ قال عليه السلام: هكذا يملأ الله البريّة قبوراً.

قال يحيى: فرميت نفسي عن دابّتي وعدوت وقبّلت ركابه ورجله وقلت: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّكم خلفاء الله في أرضه، وكنت كافراً وإنّي الآن مسلم، قد أسلمت على يديك يا مولاي!

قال يحيى: وتشيّعت ولزمت خدمته إلى أن مضى(١).

الثامن والسبعون: قصّة رجل نصرانيّ اسمه يوسف بن يعقوب فأحضره المتوكّل فخاف على نفسه وقد سمع بعليّ بن محمّد بن الرضا عليه السلام، قال: «فوقع في قلبي أنّي نذرت له مائة دينار لأن يحفظني الله من شرّ المتوكّل.

فدخلت سرّ من رأى وما رأيته قطّ قبل ذلك، فقلت في نفسي: أُوف بالنذر أوّلاً وليتني عرفت داره وأخاف أن أسأل داره.

فوقع في قلبي أن أركب حماري وأُخلّي سبيله لعلّه يهديني إلى داره من غير سؤال من أحد.

فجعلت الدنانير في كاغذة وجعلتها في كُمّي وركبت حماري وخلّيت سبيله، فكان يقطع الشوارع والأسواق ويمرّ بي إلى أن وصل إلى باب دار فوقف، وكلّما اجتهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سل لمن هذه الدار؟

فقيل له: هذه دار عليّ بن محمّد بن الرضا.

---

١. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٣٩٣؛ كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٨٩.

فقلت: الله أكبر، دلالة الله مقنعة.

قال: وإذا خادم أسود قد خرج من الدار، فقال: أنت محمّد بن يعقوب؟

فقلت: نعم.

فقال: انزل.

فنزلت، وأقعدني في الدهليز ودخل.

فقلت في نفسي: وهذه دلالة أُخرى، من أين علم هذا الغلام اسمي واسم أبي وليس في هذه البلدة من يعرفني ولا دخلته قطّ أبداً.

قال: فخرج الخادم وقال: أين المائة دينار الّذي في كُمّك جعلته في الكاغذة، هاتها.

فناولته إيّاها وقلت في نفسي: هذه دلالة ثالثة.

ثمّ رجع إليّ وقال: أُدخل.

فدخلت وهو في مجلسه وحده، فقال: يا يوسف بن يعقوب! إنّ أقواماً يزعمون أنّ ولايتنا لا تنفع أمثالك، كذبوا والله! إنّها لتنفع أمثالك، إمض فيما وافيت له، فإنّك سترى ما تحبّ وسيولد لك رجل مبارك.

قال: فمضيت إلى باب المتوكّل فنلت كلّما أردت وانصرفت.

قال الراوي: فلقيت ابنه بعد موت أبيه وهو مسلم حسن التشيّع، فأخبرني أنّ أباه مات على النصرانيّة، وإنّه أسلم بعد موت والده وكان يقول بشارة مولاي»[1].

التاسع والسبعون: من لصاحبه برص بـ«سرّ من رأى» ونقص عينه، فقال له صاحبه: أُدخل على عليّ بن محمّد الرضا عليه السلام واسأله أن يسأل الله عافيتك، فلقياه في الطريق وهو يرجع من دار المتوكّل، فقال صاحبه: هذا هو، أُدن منه واسأله العافية.

فقال عليه السلام وأشار بيده: تنحّ عنّي عافاك الله ـ وكرّرها ثلاثاً ـ فنام في ليلته وأصبح سالماً»[2].

---

١. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٣٩١؛ الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٣٩٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٤.

٢. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٣٩٩؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٥ مع اختلاف في النقل.

الثمانون: قصّة ابن أُرومة، قال: «دخلت أيّام المتوكّل «سرّ من رأى» فدخلت على سعيد الحاجب وقد دفع المتوكّل أبا الحسن إليه ليقتله.

فقال لي: أتحبّ أن ترى إلهك.

قلت: سبحان الله، لا تدركه الأبصار.

قال: هذا الّذي تزعمون أنّه إمامكم ها هو في الحجرة وقد دفعه إليّ المتوكّل لأقتله وأقتله غداً.

فدخلت عليه وسلّمت وبكيت بكاء شديداً، فقال: ممّ بكاؤك؟

قلت: لما أنت عليه من القتل.

قال عليه السلام: لا تبك، لا يتمّ لهم ذلك، إنّه لا يلبث أكثر من يومين حتّى يسفك الله دمه ودم صاحبك الّذي رأيته.

فما مضى إلّا يومين حتّى قُتل المتوكّل والحاجب جميعاً.

فدخلت عليه وسألته عمّا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تعادوا الأيّام فيعاديكم»؟

فقال: نعم، الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ السّبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأحد أميرالمؤمنين عليه السلام، والإثنين الحسنين عليهما السلام، والثلاثاء عليّ ومحمّد وجعفر، والأربعاء موسى وعليّ ومحمّد وعليّ أنا، والخميس ابني الحسن، والجمعة القائم منّا أهل البيت»[1].

الواحد والثمانون: قصّة سعيد الصغير الحاجب، قال: «دخلت على سعيد بن الحاجب، فقلت: يا أبا عثمان! قد صرت من أصحابك وكان يتشيّع.

فقال: هيهات.

فقلت: بلى والله.

فقال: وكيف ذلك؟

قلت: بعثني المتوكّل وأمرني أن أكبس على عليّ بن محمّد بن الرضا عليه السلام وأنظر ما يفعل، ففعلت ذلك فوجدته يصلّي، فبقيت قائماً حتّى فرغ.

---

١. الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٤١١؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٥.

فلمّا انفصل من صلاته أقبل عليّ، قال: يا سعيد! لا يكفّ عن جعفر حتّى يقطع إرباً إرباً، إذهب واغرب ـ وأشار بيده ـ

فخرجت مرعوباً ودخلني من هيبته ما لا أحسّ أن أصفه، فلمّا رجعت إلى المتوكّل سمعت الصيحة والواعية، فسألت عنه.

فقيل: قُتل المتوكّل، فرجعت وقلت بها.

الثاني والثمانون: قال عليّ بن مهزيار: «دخلت على أبي الحسن عليه السلام وأنا شاكّ في إمامته، فرأيت السلطان قد خرج إلى الصيد في يوم من الربيع إلّا أنّه صائف والناس عليهم ثياب الصيف، وعلى أبي الحسن عليه السلام لبّادة وعلى فرسه جفاق لبود وقد عقد ذنب الفرس والناس يتعجّبون منه ويقولون: ألا ترون إلى هذا الّذي فعل بنفسه.

فقلت في نفسي: لو كان هذا إماماً ما فعل هذا بنفسه.

فلمّا خرج الناس إلى الصحراء لم يلبثوا أن ارتفعت سحابة عظيمة هطلت، فلم يبق أحد إلّا ابتلّ حتّى غرق بالمطر إلّا عليّ وهو سالم من جميعه.

فقلت في نفسي: يوشك أن يكون هو الإمام.

ثمّ قلت في نفسي: أُريد أن أسأله عن الجنب إذا عَرق في الثوب، فقلت في نفسي: إن كشف وجهه فهو الإمام.

فلمّا قرب منّي كشف عن وجهه وقال: إن كان عرق الجنب في الثوب وجنابته من حرام لا يجوز الصلاة فيه، وإن كان من حلال فلا بأس.

فلم يبق في نفسي بعد ذلك شبهة»[1].

الثالث والثمانون: وهو الختام وختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، قصّة أُمّ القائم ـ عجّل الله فرجه ـ وبشر بن سليمان النخّاس من ولد أبي أيّوب الأنصاريّ وكان خادماً وجاراً لأبي الحسن عليه السلام وابنه الحسن عليه السلام، وكتب كتاباً بخطّ روميّ وأعطاه دنانير وأرسله إلى بغداد وعلّمه علامات الجارية وقصّتها طويلة، أحسنها ما رواه ابن بابويه بإسناده وغيره عن

---

١. المناقب، ج ٤، ص ٤١٣؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٣.

محمّد بن يحيى الشيبانيّ قال:

«وردت كربلاء سنة ستّ وثمانين ومائتين. قال: وزُرت قبر غريب رسول الله ﷺ ثمّ انكفأت إلى مدينة السلام متوجّهاً إلى مقابر قريش وقد تضرّمت الهواجر وتوقّد السماء، ثمّ وصلت منها إلى مشهد الكاظم عليه السلام، واستنشقت نسيم تربته المعمورة من الرحمة المحفوفة بحدائق الغفران إلى أن أكببت عليها بعبرات متقاطرة وزفرات متتابعة، وقد حجب الله تعالى طرفي عن النظر.

فلمّا رقأت العبرة وانقطع النحيب وفتحت بصري وإذا أنا بشيخ قد انحنى صلبه وتقوّس منكباه وثفنت جبهته وراحتاه وهو يقول لآخر معه عند القبر: يابن أخي! قد نال عمّك شرفاً بما حمله السيّدان من غوامض الغيوب وشرائف العلوم الّتي لم يحمل مثلها إلّا سلمان، وقد أشرف عمّك على استكمال المدّة وانقطاع العمر وليس يجد في أهل الولاية رجلاً يفضي إليه [بسرّه][1].

قلت: يا نفس! لا يزال العناء والمشقّة ينالان منك ما يعاين الخفّ والحافر في طلب العلم وقد قرع سمعي من هذا الشيخ ما يدلّ على علم جسيم وأمر عظيم[2]، فقلت: أيّها الشيخ! ومن السيّدان؟

قال: النجمان المغيّبان في الثرى بـ«سرّ من رأى».

فقلت: إنّي أُقسم بالموالاة وشرف محلّ هذين السيّدين من الإمامة والوراثة إنّي خاطب علمهما وطالب آثارهما وباذل في نفسي الأيمان المؤكّدة على حفظ أسرارهما.

قال: إن كنت صادقاً فيما تقول فأحضر ما صحبك من الآثار عن نقلة أخبارهم.

فلمّا فتّش الكتب وتصفّح الروايات منها، قال: صدقت، أنا بشر بن سليمان النخّاس من ولد أبي أيّوب الأنصاريّ، أخدم مواليّ أبي الحسن عليه السلام وأبي محمّد عليه السلام وجارهما بـ«سرّ من رأى».

---

١. أثبتناه من المصدر.

٢. في المصدر: وأثر عظيم.

قلت: وأخدم[١] أخاك ببعض ما شاهدت من آثارهما.

قال: كان مولاي أبوالحسن عليه السلام فقّهني في علم الرقيق[٢] فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلّا بإذنه، فأجتنبت بذلك موارد الشبهات حتّى كملت معرفتي فيه، فأحسنت الفرق بين الحلال والحرام.

فبينا أنا ذات ليلة في منزلي بـ«سرّ من رأى» وقد مضى هويّ من الليل إذ قرع الباب قارع، فعدوت مسرعاً فإذا [أنا] بكافور الخادم رسول مولانا أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام يدعوني إليه.

فلبست ثيابي ودخلت عليه فرأيت يحدّث ابنه أبا محمّد وأُخته حليمة من وراء الستر.

فلمّا جلست قال: يا بشر! إنّك من ولد الأنصار وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت وإنّي مزكّيك ومشرِّفك بفضيلة تسبق بها سائر الشيعة في الموالاة [بها]، بسرّ أطّلعك عليه وأُنفذك في ابتياع أَته.

فكتب كتاباً ملصّقاً بخطٍّ روميّ ولغة روميّة، وطبع عليه خاتمه، وأخرج شنسفة[٣] صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً، فقال: خذها وتوجّه إلى بغداد واحضر معبر الفرات ضحوة كذا، فإذا وصلت إلى جانب زواريق السبايا وبرزن الجواري منها فستحدق بهنّ طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس وشراذم من فتيان العراق، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمرو بن يزيد النخّاس عامّة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا [وكذا]، لابسة حريرتين صفيقتين، تمتنع من السفور ولس يمكن التوصّل[٤] والانقياد لمن يحاول لمسها ويشغل نظره بتأمّل مكاشفها من وراء [الستر] الرقيق، فيضربها النخّاس فتصرخ صرخة روميّة، فاعلم! أنّها تقول: واهتك ستراه!

---

١. في المصدر والبحار: وأكرم.

٢. في المصدر: في أمر الرقيق.

٣. في المصدر: شستقة وفي البحار: شقّة.

٤. في المصدر والبحار: ولمس المعترض.

فيقول بعض المبتاعين: عليّ بثلاثمائة دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة.

فتقول بالعربيّة: لو برزت في زيّ سليمان وعلى مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة، فاشفق على مالك.

فيقول النخّاس: فما الحيلة ولابدّ من بيعك.

فتقول الجارية: وما العجلة ولابدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إلى أمانته وديانته.

فعند ذلك قم إلى عمرو بن يزيد النخّاس فقل: إنّ معي كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف كتبه بلغة روميّة وخطّ روميّ ووصف فيه كرمه ووفاءه ونيله وسخاءه [فناولها] لتتأمّل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته، فأنا وكيله في ابتياعها منك.

فقال بشر بن سليمان: فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلمّا نظرت في الكتاب بكت بكاء شديداً وقالت لعمر بن يزيد: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرّجة المغلّظة أنّه متى امتنع من بيعها منه، قتلت نفسها.

فما زلت أُشاحّه على ثمنها حتّى استقرّ الأمر على ما كان أصحبنيه مولاي من الدنانير في الشنسفة[1] الصفراء، فاستوفاه منّي وتسلّمت الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى حجرتي الّتي كنت آوى إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتّى أخرجت كتاب مولاي من جيبها وهي تلثمه وتضعه على خدّها وتطبقه على جفنها وتمسحه على بدنها.

فقلت تعجّباً منها: أتلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه؟!

قالت: أيّها العاجز الضعيف المعرفة بحال أولاد الأنبياء! أوعرني سمعك وفرّغ لي قلبك، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأُمّي من ولد الحواريّين تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون، أُنبئك العجب العجيب.

إنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه وأنا بنت ثلاث عشر سنين، فجمع في قصره من نسل الحواريّين ومن القسّيسين والرهبان ثلاثمائة، ومن ذوي الأخطار سبعمائة رجل، وجمع من أُمراء الأجناد و[قوّاد العساكر ونقباء الجيوش وملوك] من العشائر أربعة آلاف،

---

١. في المصدر: في الشستقة.

وأبرز من بهيّ ملكه عرشاً مسوغاً من أنواع الجواهر إلى صحن القصر، فرفعه فوق أربعين مرقاة، فلمّا صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عُكّفاً ونشرت أسفار الإنجيل، تساقطت[١] الصلبان من الأعالي فلصقت بالأرض، وتقوّضت الأعمدة، فانهارت إلى القرار وخرّ الصاعد إلى العرش مغشيّاً عليه.

فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدّي: أيّها الملك! أعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال هذا الدين المسيحيّ والمذهب الملكانيّ.

فتغيّر جدّي من ذلك تغيّراً[٢] شديداً وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا هذه الصلبان وأحضروا أخا [هذ] المدبّر العاثر المنكوس جدّة لأُزوّج منه هذه الصبيّة، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده.

فلمّا فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الأوّل، وتفرّق الناس وقام جدّي قيصر مغتمّاً، فدخل قصره وأرخيت الستور فأُريت في تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي ونصبوا منبراً يباري علوّاً وارتفاعاً في الموضع الّذي كان جدّي نصب [فيه] عرشه، فدخل [عليهم] محمّد ﷺ مع فتيته وعدّة من بيته[٣] فيقوم إليه المسيح فيعتنقه فيقول له: يا روح الله! إنّي جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا ـ وأومأ بيده إلى أبي محمّد صاحب هذا الكتاب ـ.

فنظر المسيح إلى شمعون فقال له: قد أتاك الشرف فصِل رحِمك برحِم رسول الله ﷺ.

قال: قد فعلت.

فصعد ذلك المنبر وخطب محمّد ﷺ وزوّجني من ابنه وشهد المسيح وشهد محمّد ﷺ والحواريّون.

فلمّا استيقظت من نومي أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل، وكنت

---

١. في المصدر والبحار: تسافلت.

٢. في المصدر والبحار: فتطيّر جدّي... تطيّراً.

٣. في المصدر: من بنيه. وفي البحار: من أبنائه.

أسرّها في نفسي ولا أبديها لهم وضرب بصدري بمحبّة أبي محمّد عليه السلام حتّى امتنعت من الطعام والشراب وضعفت نفسي ودقّ شخصي ومرضت مرضاً شديداً، فما بقي من مدائن الروم طبيب إلّا أحضره جدّي وسأله عن دوائي، فلمّا برح به اليأس قال: يا قرّة عيني! فهل يخطر ببالك شهوة فأزوّدكها في هذه الدنيا؟

فقلت: يا جدّي! أرى أبواب الفرج عليّ مغلّقة فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أسارى المسلمين وفككت عنهم الأغلال وتصدّقت عليهم ومنّيتهم بالخلاص لرجوت أن يهب المسيح وأُمّه لي عافية وشفاء.

فلمّا فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصحّة في بدني وتناولت يسيراً من الطعام، فسرّ جدّي وأقبل على إكرام الأُسارى وإعزازهم.

فأريت أيضاً بعد أربع ليالى كأنّ سيّدة النساء عليها السلام قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف [وصيفة] من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيّدة النساء أُمّ زوجك أبي محمّد، فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد من زيارتي.

فقالت سيّدة النساء: إنّ ابني أبا محمّد لا يزورك وأنت مشركة بالله على دين مذهب النصارى وهذه أُختي مريم تبرّأت إلى الله من دينك، فإن ملت إليّ رضي الله ورضى المسيح ومريم عنك، وزيارة أبي محمّد إيّاك، فقولي: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فلمّا تكلّمت بهذه الكلمة ضمّتني إليها سيّدة النساء وطيّبت لي نفسي وقالت: الآن توقّعي زيارة أبي محمّد إيّاك، فإنّي منفذته إليك.

فانتبهت وأنا أقول: وا شوقاه! إلى لقاء أبي محمّد.

ثمّ زارني بعد ذلك ورأيت كأنّي أقول له: لم جفوتني[1] يا حبيبي! بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبّك؟

قال: ما تأخيري عنك إلّا لشركك، فإذا أسلمت فأنا زائرك كلّ ليلة إلى أن يجمع الله في

---

١. في المصدر والبحار: جفوتني.

شملنا في العيان.

فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال [بشر:

فقلت لها]: وكيف صرت[١] في الأُسارى؟

فقالت: أخبرني أبو محمّد ليلة من الليالي أنّ جدّي سيسيّر جيوشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا، ثمّ يتبعهم، فعليك باللحاق متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا.

ففعلت فوقعت علينا طلائع المسلمين حتّى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت وما شعر أحد [بي] بأنّي ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية إلّا أنت وذلك باطّلاعي إيّاك عليه، ولئن سألني الشيخ الّذي دفعت إليه في سهمه من الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت: نرجس، فقال: اسم الجواري؟

فقلت: نعم.

فقلت: العجب إنّك روميّة ولسانك عربيّ؟!

قالت: بلغ من ولوع جدّي وحمله إيّاي على تعليم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمان له في الاختلاف [إليّ] فكانت تقصدني صباحاً ومساءاً وتفيدني العربيّة حتّى استمرّ عليها لساني واستقام.

قال بشر: فلمّا انكفأت بها إلى «سرّ من رأى» دخلت على مولانا أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه السلام، قال لها: كيف أراك الله عزّ الإسلام وذلّ النصرانيّة وشرف أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟

قالت: كيف أصف لك يابن رسول الله! ما أنت أعلم به منّي.

قال: فإنّي أحبّ أن أكرمك؛ فأيّ ما أحبّ إليك عشرة آلاف درهم أم بشرى لك فيها شرف الأبد؟

---

١. في المصدر والبحار: وقعت.

قالت: بل الشرف[١].

قال: فابشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُـلئت ظـلماً وجوراً.

قالت: ممّن؟

قال: ممّن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له من ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالروميّة.

[قالت:] من المسيح [ووصيّه؟]

قال عليه السلام: ممّن زوّجك المسيح ووصيّه؟

قالت: من ابنك أبي محمّد.

قال: فهل تعرفينه؟

قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته إيّاي منذ الليلة الّتي أسلمت فيها على يد سيّدة النساء أُمّه؟!

فقال [أبو الحسن عليه السلام]: يا كافور! أُدع أُختي حكيمة.

فلمّا دخلت عليه قال لها: هاهيه.

فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً.

فقال لها مولانا: يا بنت رسول الله! أخرجيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن، فإنّها زوجة أبي محمّد وأمّ القائم عليه السلام»[٢].

...إلى غير ذلك من إخباراته الكثيرة وقد طال الكلام في الإشارة إلى إخباراته خاصّة ولو أحصيت جميع ما وجدته لا ارتقى بنفسها المائة فكيف بغيرها من سائر الأئمّة عليهم السلام؛ فاضبطها واغتنم!

الرابع والثمانون: فيما ورد من ذلك عن الحسن العسكريّ عليه السلام، ما رواه الكلينيّ عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال: «كتب أبو محمّد عليه السلام إلى

---

١. في المصدر: بل البشرى.

٢. كمال الدين، ج ٢، ص ٤١٧؛ دلائل الإمامة، ص ٢٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ١٠.

أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزبيريّ قبل موت المعتزّ بنحو عشرين يوماً: إلزم بيتك حتّى يحدث الحادث.

فلمّا قُتل بريحة كتب إليه: قد حدث الحادث فما تأمرني؟

فكتب: ليس هذا الحادث، الحادث الآخر، فكان من المعتزّ ما كان»[١].

الخامس والثمانون: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد بالإسناد السابق قال: «كتب ـ يعني أبا محمّد عليه السلام ـ إلى رجل آخر بقتل ابن محمّد بن داود عبدالله قبل قتله بعشرة أيّام، فلمّا كان في اليوم العاشر قُتل»[٢].

السادس والثمانون: الكلينيّ مسنداً إلى محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن موسى ابن جعفر قال: «ضاق بنا الأمر، فقال لي أبي: إمض بنا حتّى نصير إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمّد عليه السلام ـ فإنّه قد وصف عنه سماحة.

فقلت: تعرفه؟

فقال: ما أعرفه ولا رأيته قطّ.

قال: فقصدناه فقال لي وهو في طريقه: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم؛ مائتا درهم للكسوة، ومائتا درهم للرفيق، ومائة درهم للنفقة.

فقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاثمائة درهم؛ مائة أشتري بها حماراً، ومائة للنفقة، ومائة للكسوة وأخرج إلى الجبل.

فلمّا وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال: يدخل عليّ بن إبراهيم ومحمّد ابنه.

فلمّا دخلنا عليه وسلّمنا قال لأبي: يا عليّ! ما خلّفك عنّا إلى هذا الوقت؟

فقال: يا سيّدي! استحييت أن ألقاك على هذه الحالة.

فلمّا خرجنا من عنده جاءنا غلامه فتناول أبي صرّة، فقال: هذه خمسمائة درهم؛ مائتان للكسوة، ومائتان للرفيق، ومائة للنفقة.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٠٦؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢١٧.

٢. الإرشاد، ج ٢، ص ٣٢٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٧٧.

وأعطاني صرّة وقال: هذه ثلثمائة درهم؛ اجعل مائة في ثمن حمار، ومائة للكسوة، ومائة للنفقة، ولا تخرج إلى الجبل وصر إلى سوراء.

فصار إلى سوراء وتزوّج بامرأة، فدخلته اليوم ألفا دينار ومع هذا يقول بالوقف»[١]، الخبر.

السابع والثمانون: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد ومحمّد بن أبي عبدالله، عن إسحاق بن محمّد النخعيّ، قال: حدّثني سفيان بن محمّد الضبعيّ قال: «كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله عن الوليجة وهو قول الله: ﴿ **وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً** ﴾[٢] فقلت في نفسي ـ لا في الكتاب ـ: من ترى المؤمنين هاهنا؟

فرجع الجواب: الوليجة الّذي يقام دون وليّ الأمر. وحدّثتك نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضع؟ فهم الأئمّة الّذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم»[٣].

الثامن والثمانون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ بإسناده عن إسحاق قال: حدّثني أبو هاشم الجعفريّ قال: «شكوت إلى أبي محمّد ضيق الحبس وكلب الصّيد.

فكتب عليه السلام إليّ: أنت تصلّي اليوم الظهر في منزلك.

فأُخرجت عن [السجن] وقت الظهر، فصلّيت في منزلي كما قال»[٤].

التاسع والثمانون: محمّد بن يعقوب الكلينيّ بإسناده عن إسحاق، عن أبي‌هاشم قال: «كنت مضيّقاً فأردت أن أطلب منه ـ يعني أبا محمّد عليه السلام ـ دنانير في الكتاب، فاستحييت منه، فلمّا صرت إلى منزلي وجّه إليّ بمائة دينار وكتب إليّ عليه السلام: إذا كانت لك حاجة فلا تستحي ولا تحتشم واطلبها، فإنّك ترى ما تحبّ إن شاء الله»[٥].

التسعون: الكلينيّ بإسناده السابق عن إسحاق عن أحمد بن محمّد بن الأقرع، قال:

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٠٦؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٧٨.

٢. التوبة: ١٦.

٣. الكافي، ج ١، ص ٥٠٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ٢٤٥.

٤ و ٥. الكافي، ج ١، ص ٥٠٧؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦٧.

حدّثني نصير الخادم، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام غير مرّة يكلّم غلمانه بلغاتهم ترك وروم وصقالية.

فتعجّبت من ذلك وقلت: هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتّى مضى أبوالحسن عليه السلام ولا رآه أحد فكيف هذا؟ حدّث نفسي بذلك.

فأقبل عليّ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى ميّز حجّته من سائر خلقه بكلّ شيء ويعطيه اللغات ومعرفة الأنساب والآجال والحوادث ولولا ذلك لم يكن بين الحجّة والمحجوج فرق»[١].

الواحد والتسعون: الكلينيّ بإسناده السابق عن إسحاق، عن الأقرع، قال: «كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله عن الإمام هل يحتلم؟

وقلت في نفسي بعد ما فصل الكتاب: الاحتلام شيطنة وقد أعاذ الله أوليائه من ذلك.

فورد الجواب: حال الأئمّة في المنام حالهم في اليقظة لا يغيّر النوم منهم شيئاً وقد أعاذ الله أوليائه من لمّة الشيطان كما حدّثتك نفسك»[٢].

الثاني والتسعون: الكلينيّ بإسناده السابق عن إسحاق قال: حدّثني الحسن بن ظريف قال: «اختلج في صدري مسألتان أردت الكتاب فيهما إلى أبي محمّد، فكتبت أسأله عن القائم عليه السلام إذا قام بما يقضي؟ وأين مجلسه الّذي يقضي فيه بين الناس؟ وأردت أن أسأله عن شيء لحمّى الربع، فاغفلت خبر الحمّى.

فجاء الجواب: سألت عن القائم عليه السلام إذا قام بما يقضي؟ إذا قام يقضي بعلمه بين الناس كقضاء داود لا يسأل البيّنة، وكنت أردت أن تسأل لحمّى الربع فأُنسيت، فاكتب في ورقة وعلّقه على المحموم يبرأ بإذن الله إن شاء الله: ﴿ **يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** ﴾[٣].

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦٨.

٢. الكافي، ج ١، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٩٠.

٣. الأنبياء: ٦٩.

فعلّقنا عليه ما ذكر أبو محمّد عليه السلام فأفاق»[١].

الثالث والتسعون: الكلينيّ بإسناده السابق عن إسحاق قال: حدّثني إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس بن عبدالمطّلب قال: «قعدت لأبي محمّد عليه السلام على ظهر الطريق، فلمّا مرّ بي شكوت اليه الحاجة وحلفت له أنّه ليس عندي درهم فما فوقه ولا غذاء ولا عشاء.

فقال عليه السلام: تحلف بالله كاذباً، وقد دفنت مائتي دينار وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطيّة، أعطه يا غلام! ما معك.

فأعطاني غلامة مائة دينار، ثمّ أقبل عليّ فقال لي: إنّك تحرمها أحوج ما تكون إليها ـ يعني الدنانير الّتي دفنت ـ وصدق عليه السلام وكان كما قال، دفنت مائتي دينار وقلت يكون ظهراً وكهفاً لنا، فاضطررت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه وانغلقت عليّ أبواب الرزق، فنبشت عنها، فإذا ابن لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب، فما قدرت منها على شيء»[٢].

الرابع والتسعون: محمّد بن يعقوب بإسناده السابق عن إسحاق، قال: حدّثني عليّ بن زيد، عن عليّ بن الحسين بن عليّ قال: «كان لي فرس وكنت به أكثر ذكره في المحالّ، فدخلت على أبي محمّد عليه السلام يوماً فقال: ما فعل فرسك؟

فقلت: هو عندي وهو ذا على بابك وعنه نزلت.

فقال لي: استبدل به قبل المساء إن قدرت على مشترى ولا تؤخّر ذلك، ودخل علينا داخل وانقطع الكلام.

فقمت متفكّراً ومضيت إلى منزلي فأخبرت أخي الخبر.

فقال: ما أدري ما أقول في هذا وشححت به ونفست عليّ الناس ببيعه وأمسينا فأتانا السائس وقد صلّينا العتمة.

فقال: يا مولاي! نفق فرسك.

فاغتممت وعلمت أنّه عنى هذا بذلك القول.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦٤.

٢. الكافي، ج ١، ص ٥٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٨٠.

ثمّ دخلت على أبي محمّد عليه السلام بعده أيّام وأنا أقول في نفسي: ليته أخلف عليّ دابّة إذ كنت اغتممت بقوله، فلمّا جلست قال: نعم نخلف عليك دابّة، يا غلام! أعطه برذوني الكميت، هذا خير من فرسك وأوطأها وأطول عمراً»[١].

الخامس والتسعون: محمّد بن يعقوب بإسناده عن إسحاق قال: حدّثني محمّد بن الحسن بن شمّون، قال: حدّثني أحمد بن محمّد، قال: «كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: يا سيّدي! الحمد لله الّذي شغله عنّا فقد بلغني إنّه يهدّدك ويقول: لأُخلّينّهم من جديد الأرض.

فوقّع أبو محمّد بخطّه: ذلك [أقصر] لعمره، عدّ من يومك هذا خمسة أيّام ويُقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمرّ به.

فكان كما قال عليه السلام»[٢].

السادس والتسعون: محمّد بن يعقوب بإسناده عن إسحاق، قال: حدّثني محمّد بن الحسن بن شمّون قال: «كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله أن يدعو الله لي من وجع عيني وكانت إحدى عيني ذاهبة والأُخرى على شرف ذهاب.

فكتب إليّ: حبس الله عليك عينك، فأفاقت الصحيحة ووقّع في آخر الكتاب: آجرك الله وأحسن ثوابك.

فاغتممت لذلك ولم أعرف في أهلي أحداً مات، فلمّا كان بعد أيّام جاءتني وفاة ابني طيّب، فعلمت أنّ التعزية له»[٣].

وأيضاً: الكلينيّ بإسناده عن إسحاق عمّن سمّاه قال: «خلّفت ابناً لي بمصر عليلاً عند خروجي عنها وابن لي آخر أسنّ منه كان وصيّي وقيّمي على عيالي وضياعي فكتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله الدعاء لابني العليل.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥١٠؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٦٦.

٢. الكافي، ج ١، ص ٥١٠؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٣٠٨.

٣. الكافي، ج ١، ص ٥١٠؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٢٨٥.

فكتب إليّ: قد عوفي ابنك المعتلّ ومات الكبير وصيّك وقيّمك فاحمد الله، ولا تجزع فيحبط الله أجرك.

فورد عليّ الخبر فكان كما قال يوم ورد جواب أبي محمّد عليه السلام»(١).

السابع والتسعون: الكلينيّ بإسناده عمّن سمّاه قال: «كان لأبي محمّد عليه السلام وكيل قد اتّخذ معه في الدار حجرة يكون معه فيها خادم أبيض، فأراد الوكيل الخادم على نفسه، فأبى إلّا أن يأتيه بنبيذ، فاحتال له نبيذاً، ثمّ أدخله عليه وبينه وبين أبي محمّد ثلاثة أبواب مغلقة.

قال: فحدّثني الوكيل قال: إنّي لمنتبه إذا أنا بالأبواب تفتح حتّى جاء بنفسه فوقف على باب الحجرة، ثمّ قال: يا هؤلاء! اتّقوا الله، خافوا الله.

فلمّا أصبحنا أمر ببيع الغلام الخادم وإخراجي من الدار»(٢).

والكلينيّ بإسناده عن محمّد بن الربيع النسائي قال: «ناظرت رجلاً من الثنويّة بالأهواز، ثمّ قدمت «سرّ من رأى» وقد علق بقلبي شيء من مقالته وإنّي لجالس على باب أحمد بنت الخضيب، إذ أقبل أبو محمّد عليه السلام من دار العامّة يوم الموكب، فنظر إليّ وأشار بسبّابته أحداً أحداً فرداً، فسقطتُ مغشيّاً عليّ»(٣).

...إلى غير ذلك ممّا لو أحصيته لتجاوزت المائة وقد طال الكلام وخرجنا عن الشرط وهو الأربعين شوقاً ودفعاً لإنكار المنكر.

الثامن والتسعون: ممّا ورد في ذلك عن حجّة بن الحسن ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ: السيّد الصمدانيّ السيّد هاشم البحرانيّ عن الحسين بن حمدان الحضينيّ في هدايته قال: حدّثني هارون بن مسلم بن سعيدان الكوفيّ البصريّ ومحمّد بن أحمد البغداديّ وأحمد بن إسحاق، وسهل بن زياد الآدميّ وعبدالله بن جعفر، عن عدّة من المشايخ الثقاة الّذين كانوا مجاورين للإمامين عليهما السلام، عن سيّدنا أبي الحسن وأبي محمّد قال:

«إنّ الله إذا أراد أن يخلق الإمام أنزل قطرة من ماء الجنّة في ماء المزن فتسقط في ثمار الأرض فيأكلها الإمام الحجّة في الزمان، فإذا استقرّت في الموضع الّذي تستقرّ فيه فيمضي له

---

١ ـ ٣. الكافي، ج ١، ص ٥١١.

أربعون يوماً يسمع الصوت، فإذا أتت له أربعة أشهر قد عمل على عضده الأيمن ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾[١].

وإذا ولد وقام بأمر الله رفع له عمود من نور في كلّ مكان ينظر فيه الخلق وأعمالهم، وينزل أمر الله في ذلك العمود، والعمود نصب عينيه حيث تولّى ونظر.

قال أبو محمّد عليه السلام: دخلت على عمّاتي في داري، فرأيت جارية من جواريهنّ قد زيّنت تسمّى نرجس، فنظرت إليها وأطلته، فقالت لي عمّتي حكيمة: يا سيّدي! تنظر إلى هذه الجارية نظراً شديداً؟

فقلت لها: يا عمّة! ما نظري إليها إلّا نظر التعجّب ممّا لله فيها من إرادته وخيرته.

قالت [لي]: يا سيّدي! أحسبك تريدها؟

فأمرتها أن تستأذن أبي عليّ بن محمّد عليه السلام في تسليمها إليّ، ففعلت فأمرها عليه السلام بذلك فجاءتني بها»[٢].

قال الحسين بن حمدان: فحدّثني من أثق به من المشايخ عن حكيمة بنت محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام قال: «كانت حكيمة تدخل على أبي محمّد عليه السلام فتدعو له أن يرزقه الله ولداً، وإنّها قالت: دخلت عليه فقلت له كما أقول ودعوت له كما كنت أدعو له.

فقال عليه السلام: أما تدعين أن يرزقنيه؟ ـ وكانت ليلة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع وخمسين ومائتين ـ فاجعلي إفطارك عندنا.

فقلت: يا سيّدي! ممّن تكون هذا الولد العظيم؟

فقال: من نرجس يا عمّه!

قال: فقالت: يا سيّدي! ما في جوارك أحبّ إليّ منها.

وقمت ودخلت عليها وكنت إذا دخلت فعلت بي ما كانت تفعل فانكببت على قدميها[٣]

---

١. الأنعام: ١١٥.

٢. بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢٤.

٣. في البحار: على يديها.

فقبّلتها ومنعتها ممّا كانت تفعل، فخاطبتني بالسيادة فخاطبتها بمثلها، فقالت: فديتك.

فقلت لها: أنا أفديك وجميع العالمين.

فأنكرت ذلك، فقلت: ما تنكرين ما فعلت، فإنّ الله سيهب لكِ في هذه الليلة غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة وهو فرج المؤمنين.

فاستحيت، فتأمّلتها فلم أر بها أثر حمل، فقلت لسيّدي أبي محمّد عليه السلام: ما أرى بها حملاً.

فتبسّم عليه السلام، فقال: إنّا معاشر الأوصياء لسنا نحمل في البطون وإنّما نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام وإنّما نخرج من الفخذ الأيمن من أُمّهاتنا، لأنّنا نور الله الّذي لا تناله دناسات(١).

فقلت له: يا سيّدي! لقد أخبرتني أنّه يولد في هذه الليلة فأيّ وقت منها؟

فقال: في طلوع الفجر يولد الكريم على الله إن شاء الله.

قالت حكيمة: فقمت فأفطرت ونمت بالقرب من نرجس وبات أبو محمّد عليه السلام في صفّة [في] تلك الدار الّتي نحن فيها.

فلمّا ورد وقت صلاة الليل ونرجس نائمة ما بها أثر ولادة، فأخذت في صلاتي [ثمّ أوترت فأنا في الوتر حتّى وقع في نفسي أنّ الفجر قد طلع ودخل في قلبي شيء فصاح أبو محمّد عليه السلام من الصفّة: لم يطلع الفجر يا عمّة!

فأسرعت الصلاة] وتحرّكت نرجس، فدنوت منها وضممتها إليّ وسمّيت عليها، ثمّ قلت لها: هل تحسّين بشيء؟

فقالت: نعم.

فوقع عليّ سبات لم أتمالك معه أن نمت ووقع على نرجس مثل ذلك، فنامت فلم أنتبه إلّا سيّدي المهديّ وصيحة أبي محمّد عليه السلام يقول: يا عمّة! هاتي إليّ ابني، فقد قبّلته. فكشفت عن سيّدي، بحسّ فإذن [أنا] به ساجداً يبلغ الأرض بمساجده وعلى ذراعه الأيمن

---

١. في البحار: الدانسات.

[مكتوب]: ﴿ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[١].

فضممته إليّ فوجدته مفروغاً منه ولففته في ثوبه وحملته إلى أبي محمّد عليه السلام.

فأخذه وأقعده على راحته [اليسرى وجعل راحته] اليمنى على ظهره، ثمّ أدخل لسانه في فيه وأمرّ بيده على ظهره وسمعه ومفاصله، ثمّ قال: تكلّم يا بنيّ!

فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين وليّ الله.

ثمّ لم يزل يعدّ السادة عليهم السلام إلى أن بلغ إلى نفسه ودعا لأوليائه بالفرج على يده، ثمّ أحجم.

وقال أبو محمّد عليه السلام: يا عمّة! إذهبي به إلى أمّه ليسلّم عليها وائتيني به.

فمضيته به إليها، فسلّم عليها ورددته إليه، ثمّ وقع بيني وبين أبي محمّد عليه السلام كالحجاب فلم أر سيّدي، فقلت له: سيّدي! أين مولانا؟

فقال: أخذه منّي من هو أحقّ به منك، فإذا كان يوم السابع فأتينا.

فلمّا كان اليوم السابع جئت فسلّمت ثمّ جلست، فقال: هلمّي بابني.

فجئت بسيّدي وهو في ثياب صفر، ففعل له كفعاله الأول وجعل لسانه في فيه، ثمّ قال له: تكلّم يا بنيّ.

فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأثنى بالصلاة على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة حتّى وقف على أبيه.

ثمّ قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[٢].

ثمّ قال: إقرأ يا بنيّ! ممّا أنزل الله على أنبيائه ورسله.

فابتدأ بصحف آدم فقرأها بالسريانيّة، وكتاب إدريس وكتاب نوح وكتاب هود وكتاب صالح وصحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى وقرآن محمّد جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ

---

١. الإسراء: ٨١.

٢. القصص: ٥ و٦.

قصّ قصص النبيّين والمرسلين إلى عهده.

فلمّا كان يوم الأربعين دخلت عليه إلى دار أبي محمّد عليه السلام فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدار، فلم أر وجهاً أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته، فقال لي أبو محمّد عليه السلام: هذا المولود الكريم على الله عزّ وجلّ.

فقلت: سيّدي! له أربعون يوماً وأنا أرى من أمره ما أرى!

فقال: يا عمّة! أما علمت إنّا معاشر الأوصياء ننشؤ في اليوم ما ينشؤ غيرنا في الجمعة، وننشؤ في الجمعة ما ينشؤ غيرنا في السنة.

فقمت وقبّلت رأسه وانصرفت، وعُدت وتفقّدته فلم أره، فقلت لسيّدي أبي محمّد عليه السلام: ما فعل مولانا؟

فقال: يا عمّتاه! استودعناه للذي استودعته أُم موسى عليه السلام.

ثمّ قال: لمّا وهب لي ربّي مهديّ هذه الأُمّة، أرسل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش حتّى وقف بين يدي الله عزّ وجلّ، فقال له: مرحباً بك عبدي لنصرة ديني وإظهار أمري ومهديّ عبادي، آليت أنّي بك آخذ وبك أُعطي وبك أغفر وبك أُعذّب، أُردداه أيّها الملكان! ردّاه! ردّاه! على أبيه ردّاً رفيقاً وأبلغاه أنّه في ضماني وكنفي وبعيني إلى أن أحقّ به الحقّ وأبطل به الباطل»[1]،... الخبر.

أقول: تأمّل في هذا الخبر وما ضاهاه إنّه يحمل وقت الولادة إلى العرش ويخاطب بخطاب ذي العرش كما عرج جدّه بعد البعثة وكذلك حالهم في أرحام أُمّهاتهم إنّهم ليسوا في مظانّ الأدناس ولا يتولّدون من طرقها حتّى تعرف مقامهم ولا تظنّنّ أنّهم حال الصبيّ يكونون أطفالاً.

التاسع والتسعون: الشيخ في «الغيبة» عن علّان قال: حدّثني محمّد بن عبدالله بن جعفر، عن أبي نعيم محمّد بن أحمد الأنصاريّ، قال: «وجّه قوم من المفوّضة والمقصّرة كامل بن إبراهيم إلى أبي محمّد عليه السلام.

---

١. بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢٥.

قال كامل: فقلت في نفسي: أسأله لا يدخل الجنّة إلّا من يعرف معرفتي وقال بمقالتي.

فلمّا دخلت على سيّدي أبي محمّد عليه السلام نظرت إلى ثياب بياض فأعمة عليه، فقلت في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب ويأمر بمواساة الإخوان وينهانا عن لباس مثله.

فقال عليه السلام متبسّماً: يا كامل! وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن على جلده، فقال: هذا لله، وهذا لكم.

فسلّمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخى، فجاءت الريح وكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها.

فقال: يا كامل بن إبراهيم! واقشعررت من ذلك وأُلهمت أن قلت: لبّيك يا سيّدي!

فقال: جئت إلى وليّ الله وحجّته وبابه تسأل هل يدخل الجنّة إلّا من يعرف معرفتك وقال بمقالتك؟

فقلت: إي والله!

فقال عليه السلام: إذاً والله! يقلّ داخليها، والله! إنّه ليدخلها قوم يقال لهم: الحقّيّة.

قلت: يا سيّدي! ومن هم؟

قال عليه السلام: قومٌ من حبّهم لعليّ يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله.

ثمّ سكت عليه السلام، ثمّ قال: جئت تسأله عن مقالة المفوّضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيّة الله، فإذا شاء شئنا، والله يقول: ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ ﴾[1].

ثمّ رجع الستر إلى حالته فلم أستطع كشفه، ونظر إليّ أبو محمّد عليه السلام متبسّماً، فقال: يا كامل! ما جلوسك وقد أنبأك بحاجتك الحجّة من بعدي؟!

قمت وخرجت ولم أُعاينه بعد ذلك.

قال أبو نعيم: فلقيت كاملاً فسألته عن هذا الخبر، فحدّثني به»[2].

---

١. الإنسان: ٣٠.

٢. الغيبة للطوسي، ص ٢٤٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٣٦.

ورواه محمّد بن جرير الطبريّ في كتابه بتغيير يسير في السند إلى أبي نعيم والمتن واحد.

وروى ابن بابويه في «الغيبة» قال: حدّثنا محمّد بن عليّ بن محمّد بن النوفليّ المعروف بالكرمانيّ، قال: حدّثنا أبوالعبّاس أحمد بن عيسى الوشّاء البغداديّ، قال: حدّثنا أحمد بن طاهر القمّيّ، قال: حدّثنا محمّد بن بحر بن سهل الشيبانيّ، قال: حدّثنا أحمد بن مسرور، عن سعد بن عبدالله ـ والحديث طويل ـ قال فيه سعد ابن عبدالله:

«قد كنت اتّخذت طوماراً وأثبتّ فيه نيّفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل لم أجد لها مجيباً على أن أسأل فيها؟ خير أهل بلدي أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبي محمّد عليه السلام.

فارتحلت خلفه، وقد كان خرج قاصداً نحو مولانا بـ«سرّ من رأى»، فلحقته في بعض المناهل، فلمّا تصافحنا قال: بخير لحاقك بي؟

قلت: الشّوق ثمّ العادة في الأنسلة.

قال: قد يكافينا على هذه الخطّة الواحدة، وقد برح بي القرم إلى لقاء مولانا أبي محمّد عليه السلام وأُريد أن أسأله عن معاضل في التأويل ومشاكل في التنزيل ودونكها الصحبة المباركة، فإنّها تقف بك على ضفّة بحر لا تنقضي عجائبه ولا يفنى غرائبه وهو إمامنا.

فوردنا «سرّ من رأى» فانتهينا منها إلى باب دار سيّدنا عليه السلام، فاستأذنّا فخرج لنا الإذن بالدخول عليه وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطّاه بكساء طبريّ فيه ستّون ومائة صرّه من الدنانير والدراهم، على كلّ صرّة منها ختم صاحبها.

قال [سعد]: فما شبّهت [وجه] مولانا أبا محمّد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلّا بدراً قد استوفى من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتريّ في الخلقة والمنظر، على رأسه فرق بيّن وفرتين كأنّه ألف بين واوين، وبين يدي مولانا رمّانة ذهبيّة تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركّبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة، وبيده قلم، إذا أراد أن يسطر به على البياض [شيئاً] قبض الغلام على أصابعه، فكان مولانا عليه السلام يدحرج الرمّانه بين يديه ويشغله بردّها لئلّا يصدّه عن كتابة ما أراد.

فسلّمنا عليه، فألطف في الجواب وأومأ إلينا بالجلوس، فلمّا فرغ من كتبة البياض الّذي

كان بيده أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طيّ كسائه فوضعه بين يديه، فنظر الهادي عليه السلام إلى الغلام وقال: يا بنيّ! فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك.

فقال عليه السلام: يا مولاي! أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة قد شيب أحلّها بأحرمها؟!

فقال مولاي: يابن إسحاق! استخرج ما في الجراب ليميّز بين الحلال والحرام منها.

فأوّل صرّة بدأ أحمد بإخراجها فقال الغلام: هذا لفلان بن فلان من محلّة كذا [بقم]، تشتمل على اثنين وستّين ديناراً [فيها] من ثمن حيرة باعها صاحبها وكان إرثاً له من أخيه[1] خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشرة ديناراً، وفيها من أُجرة الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا: صدقت يا بنيّ! دلّ الرجل على الحرام منها.

فقال عليه السلام: فتّش على دينار رازيّ السكّة تأريخه كذا وكذا، قد انطمس من نصف إحدى صفحتيه نقشه، وقراضه آمليّة وزنها ربع دينار، والعلّة في تحريمها أنّ صاحب هذه الجملة[2] وزن في شهر كذا [من سنة كذا] على حائك من جيرانه من الغزل منّاً ورُبع منٍّ، فأتت على ذلك [مدّة وفي أثنائها قبّض لذلك الغزل سارق، فأخبر به الحائك صاحبه، فكذّبه واسترد منه بذل ذلك منّاً] ونصف منّ غزلاً أدقّ ممّا كان دفعه إليه، واتّخذ من ذلك ثوباً، كان هذا الدينار ومع قراضته ثمنه.

فلمّا فتح رأس الصرّة صادف رقعة في وسط الدنانير باسم من أخبر عنه وبمقدارها حسب ما قال، واستخرج الدينار والقراضة بتلك العلامة.

ثمّ أخرج صرّه أُخرى، فقال الغلام عليه السلام: هذه لفلان بن فلان من محلّة كذا بقم تشتمل على خمسين ديناراً لا يحلّ لنا لمسها.

قال: وكيف ذلك؟

---

١. في المصدر: إرثاً له عن أبيه.

٢. في المصدر: الصرّة.

قال: لأنّها من ثمن حنطة جاف صاحبها على أكّاره في المقاسمة، وذلك أنّه قبض حصّته منها بكيل واف وكان ما خصّ الأكّار بكيل بخس.

فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بنيّ!

ثمّ قال: يابن إسحاق! احملها بأجمعها لتردّها، أو توصي بردّها على أربابها فلا حاجة لنا في شيء منها، وأتنا بثوب العجوز.

قال أحمد: وكان ذلك الثوب في حقيبة لي فنسيته.

فلمّا انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إليّ أبو محمّد فقال عليه السلام: ما جاء بك يا سعد؟

فقلت: شوّقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا.

قال: فالمسائل الّتي أردت أن تسأل عنها.

قلت: على حالها يا مولاي!

قال: فسل قرّة عيني ـ وأومأ إلى الغلام ـ[1] عمّا بدا لك منها.

فقلت له: مولانا وابن مولانا! إنّا روينا عنكم»[2]، وساق الحديث بطوله حذفنا أوّله وآخره هنا من رواية ابن بابويه والحديث طويل ذكر سعد مسائله وأجاب عنها القائم عليه السلام، ذكره ابن بابويه بطوله في «الغيبة».

[أيضاً] ابن بابويه قال: حدّثنا أبو الأديان قال: «كنت أقدم الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في عامه الّذي توفّي فيه ـ صلوات الله عليه ـ فكتب معي كتباً وقال: تمضي بها إلى المدائن، فإنّك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل إلى «سرّ من رأى» إلى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل.

---

١. في المصدر: فقال الغلام لي: سل....

٢. كمال الدين، ج ٢، ص ٤٥٧؛ دلائل الإمامة، ص ٢٧٦؛ منتخب الأنوار، ص ١٤٥؛ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٧٨.

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيّدي! فإذا كان ذلك فمن؟

قال: فمن طالبك بجواب كتبي، فهو القائم بعدي.

فقلت: زدني.

فقال: من يصلّي عليّ، فهو القائم بعدي.

فقلت: زدني.

فقال: من أخبرك بما في الهميان، فهو القائم بعدي.

ثمّ منعتني هيبته أن أسأله ما في الهميان، وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ودخلت بـ«سرّ من رأى» يوم الخامس عشر ـكما ذكر عليه السلام لي ـفإذا أنا بالواعية في داره، وإذا به على المغتسل وإذا أنا بجعفر بن عليّ أخيه بباب الدار والشيعة حوله يعزّونه ويهنّونه، فقلت في نفسي: إن لم يكن هذا الإمام، فقد خالف الإمام، فإنّي كنت أعرفه يشرب النبيذ ويقامر بالجوسق ويلعب بالطنبور.

فتقدّمت وتعزّيت وهنّئت، فلم يسألني عن شيء، ثمّ خرج عقيد فقال: يا سيّدي! قد كفّن أخوك فقم للصلاة عليه.

فدخل جعفر بن عليّ والشيعة من حوله يقدمهم السمّان والحسن بن عليّ قتيل المعتصم المعروف بسلمة.

فلمّا صرنا بالدار، فإذا نحن بالحسن بن عليّ عليهما السلام على نعشه مكفّناً، فتقدّم جعفر بن عليّ ليصلّي على أخيه، فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجذب رداء جعفر بن عليّ وقال عليه السلام: يا عمّ! تأخّر، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي.

فتأخّر جعفر وقد اربدّ وجهه، فتقدّم الصبيّ فصلّى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه.

ثمّ قال: يا بصريّ! هات جوابات الكتب الّتي معك.

فدفعتها إليه، [وقلت في نفسي:] هذه اثنتان، بقي الهميان.

ثمّ خرجت إلى جعفر بن عليّ وهو يزفر، فقال له حاجز الوشّاء: يا سيّدي! من الصبيّ؟ لنقيم عليه الحجّة؟

فقال: والله! ما رأيته قطّ ولا عرفته.

فنحن جلوس، إذ قدم نفر من قم، فسألوا عن الحسن بن عليّ، فعرفوا موته، فقالوا: فمن بعده؟

فأشار الناس إلى جعفر بن عليّ، فسلّموا عليه وعزّوه وهنّئوه وقالوا: إنّ معنا كتباً ومالاً، فتقول: ممّن الكتب؟ وكم المال؟

فقام ينفض أثوابه ويقول: يريدون [منّا] أن نعلم الغيب.

قال: فخرج الخادم، فقال: معكم كتاب فلان وفلان، وهميان فيه دينار، عشرة دنانير منها مطليّة.

فدفعوا الكتب والمال وقالوا: الّذي وجّه بك لأجل ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن عليّ على المعتمد فكشف له ذلك، فوجّه المعتمد خدمة فقبضوا على صيقل الجارية، فطالبوها بالصبيّ فأنكرته وادّعت حملاً بها لتغطّي عن حال الصبيّ، فسلّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي وبغتهم موت عبيد بن يحيى بن خاقان فجأة وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجاريه، فخرجت عن أيديهم، والحمد لله ربّ العالمين لا شريك له»[١].

الحديث المائة: وبه يتمّ لنا مائة أخبار مسندة مفصّلة غير ما أشرنا إليها في ذيل بعض الأخبار عن كلّ واحد من الأئمّة الأبرار وأشرنا إليها من دون سند، وكثيراً ما كان نقلاً بالمعنى ولو حاسبناها مع ما أشرنا إليها في أبواب علومهم وقضايا أميرالمؤمنين عليه السلام لتجاوزت المائة إلّا أنّه لا يقنع نفسي بهذه الأربعة، أو الخمسة من حجّة الله وبقيّة الله في أرضه، فأجعل المائة هذا فصل المائة وأذكر فيه من إخباراته عليه السلام بالغيوب وبضمائر الغيوب عشرة أخبار من خصوص كتاب «الكافي» الّذي هو أضبط كتب أخبارنا وأحسنه وأشهره وأتمّه، مع أنّه لو استقصيت ما وجدتها ممّا في «الكافي» وغيره لجاوزت المائة، إلّا أنّي أذكر هذه العشرة تيّمناً وتبرّكاً.

---

١. كمال الدين، ج ٢، ص ٤٥٧؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٣٣٢.

أحدها: ما رواه محمّد بن يعقوب الكلينيّ ﷺ عن عليّ بن محمّد، عن غير واحد من أصحابنا القمّيّين، عن محمّد بن محمّد العامريّ، عن أبي سعيد غانم الهنديّ، قال:

«كنت بمدينة الهند المعروفة بـ«قشمير» الداخلة وأصحاب [لي] يقعدون على كراسيّ عن يمين الملك، أربعون رجلاً كلّ واحد منهم يقرؤون الكتب الأربعة: التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم.

نقضي بين الناس ونفقّههم في دينهم ونفتيهم في حلالهم أو حرامهم، يفزع الناس إلينا، الملك فمن دونه.

فتجارينا ذكر رسول الله ﷺ فقلنا: هذا النبيّ المذكور في الكتب قد خفي علينا أمره ويجب علينا الفحص عنه وطلب أثره، واتّفق رأينا وتوافقنا على أن أخرج فأرتاد لهم، وخرجت ومعي مال جليل، فسرت اثنى عشر شهراً حتّى قربت [من] كابل.

ـوساق حديث سرقة الترك ماله وأُجرح بجراحات، قال: ـواطّلع ملك كابل وأنفذني إلى مدينة بلخ وجمع عليّ الفقهاء وأصحاب الكلام فناظروني فأعلمتهم أنّي خرجت من بلدي أطلب هذا النبيّ الّذي وجدته في الكتب.

فسألوني عن إسمه.

فقلت: محمّد.

فقالوا: هذا نبيّنا وعندنا شريعته وأحكامه.

قلت: أذهب إليه لأراه ويقطع حجّتي.

فقالوا: إنّه مضى.

فقلت: من وصيّه؟

قالوا: أبوبكر.

فقلت لهم: أنسبوه لي.

فنسبوه لي.

فقلت: هذا ليس هو محمّد النبيّ المذكور في الكتب.

فكفّوا عنّي، وبعث العامل إلى رجل يقال له: الحسين بن أشكيب وهو قد ألطف وأخلاني المجلس وقال: النبيّ الّذي أنت في طلب هو محمّد هذا، لكن ليس وصيّه ما ذكروه لك هؤلاء، وإنّما وصيّه زوج ابنته وأبو سبطيه الحسن والحسين عليهما السلام المسمّى بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنسبوه لي.

فقلت: الله أكبر، هذا الّذي طلبته ووجدته في الكتب.

فرجعت إلى الحسين المذكور وأسلمت وتعلّمت منه أحكام الدين، ثمّ سألته عن الأوصياء، فسمّاهم لي إلى الحجّة بن الحسن عليهما السلام وأعلمني ما حدث وأنّه في «سرّ من رأى»، فلم تكن لي همّة إلّا طلب الناحية، فهجرت وأتيت بغداد.

-إلى هنا مختصر نقل بالمعنى، جئنا إلى متن الخبر بلفظه، قال:- وخرجت حتّى [سرت] إلى العبّاسيّة أتهيّأ للصلاة وأُصلّي، وإنّي لواقف متفكّر فيما قصدت بطلبه إذا أنا بآتٍ قد أتاني فقال: أنت فلان؟ -اسمه بالهند-

فقلت: نعم.

فقال: أجب مولاك.

فمضيت معه، فلم يزل يتخلّل في الطريق حتّى أتى داراً وبستاناً فإذا أنا به عليه السلام جالس، فقال: مرحباً يا فلان! -بكلام الهند- كيف حالك؟ وكيف خلّفت فلاناً وفلاناً وفلاناً، حتّى عدّ الأربعين كلّهم، فسألني عنهم واحداً واحداً، ثمّ أخبرني بما تجارينا وكلّ ذلك بكلام الهند.

ثمّ قال: أردت أن تحجّ مع أهل قم؟

قلت: نعم يا سيّدي!

فقال: لا تحجّ معهم وانصرف سنتك هذه وحجّ في قابل.

ثمّ ألقى إليّ صرّة كانت بين يديه، فقال: إجعلها نفقتك ولا تدخل إلى بغداد إلى فلان سمّاه ولا تطّلعه على شيء، وانصرف إلينا إلى البلد.

ثمّ وافانا بعض الفيوج فأعلمونا أنّ أصحابنا انصرفوا من العقبة ومضى نحو خراسان، فلمّا

كان في قابل حجّ وأرسل إلينا بهديّة من طرف خراسان، فأقام مدّة ثمّ مات ﷺ»[١].

ثانيها: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد، عن سعد بن عبدالله، قال:

«إنّ الحسن بن النضر وأبا صدام وجماعة تكلّموا بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام فيما في أيدي الوكلاء وأرادوا الفحص، فجاء الحسن بن النضر إلى أبي صدام وقال: إنّي أُريد الحجّ.

فقال له أبو صدام: أخّره هذه السنة.

فقال له الحسن: إنّي أفزع في المنام ولابدّ لي من الخروج.

وأوصى إلى أحمد بن يعلى بن حمّاد وأوصى للنّاحية بمال وأمره أن لا يخرج شيئاً إلّا من يده إلى يده بعد ظهوره.

قال: فقال الحسن: لمّا وافيت بغداد واكتريت داراً، فنزلتها فجاءني بعض الوكلاء بثياب ودنانير وخلّفها عندي وقلت له: ما هذا؟

قال: هو ما ترى.

ثمّ جاءني آخر بمثلها وآخر حتّى كبسوا الدار، ثمّ جاءني أحمد بن إسحاق بجميع ما كان معه، فتعجّبت وبقيت متفكّراً، فوردت عليّ رقعة الرجل: إذا مضى من النهار كذا وكذا فاحمل ما معك.

فرحلت وحملت ما معي وفي الطريق صعلوك يقطع الطريق في ستّين رجلاً فاجتزت عليه وسلّمني الله منه، فوافيت العسكر ونزلت.

فوردت عليّ رقعة أن احمل ما معك، فعبّيته في ضنان الحمّالين، فلمّا بلغت الدهليز إذا فيه أسود قائم، فقال: أنت الحسن بن النضر؟

قلت: نعم.

قال: أُدخل.

فدخلت الدار ودخلت بيتاً وفرغت ضنان الحمّالين، فإذا في زاوية البيت خبز كثير، فأعطى كلّ واحد من الحمّالين رغيفين وأخرجوا وإذا بيت فيه ستر، فنوديت منه: يا حسن بن

١. الكافي، ج ١، ص ٥١٥.

النضر ! أحمد الله على الّذي منّ به عليك ولا تشكّنّ، فودّ الشيطان أنّك شككت، وأخرج إليّ ثوبين وقيل لي: خذهما فستحتاج إليهما.

فأخذتها وخرجت.

قال سعد: فانصرف الحسن بن النضر ومات في شهر رمضان وكفّن في الثوبين، ﵀»[1].

ثالثها: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن حمويه السويداويّ، عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار، قال:

«شككت عند مضيّ أبي محمّد ﵇ واجتمع عند أبي مال جليل، فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيّعاً فوعك وعكاً شديداً، فقال: يا بنيّ! ردّني فهو الموت.

وقال لي: اتّق الله في هذا المال، وأوصى إليّ ومات.

فقلت في نفسي: لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح، أحمل هذا المال إلى العراق وأكتري داراً على الشطّ ولا أُخبر أحداً بشيء، وإن وضح لي شيء كوضوحه أيّام أبي محمّد ﵇ أنفذته وإلّا قصفت به.

فقدمت العراق واكتريت داراً على الشطّ وبقيت أيّاماً، فإذا رقعة مع رسول: يا محمّد! معك كذا وكذا في جوف كذا وكذا، حتّى قصّ عليّ جميع ما معي ممّا لم أحط به علماً.

فسلّمته إلى الرسول وبقيت أيّاماً لا يرفع لي رأس واغتممت، فخرج إليّ: قد أقمناك مقام أبيك؛ فاحمد الله تعالى»[2].

رابعها: الكلينيّ عن محمّد بن أبي عبدالله النسائيّ، قال:

«أوصلت أشياء للمرزبانيّ الحارثيّ فيه سوار ذهب، فقُبِلت ورُدّ عليّ السوار، فأُمرت بكسره، فكسرته فإذا في وسطه مثاقيل حديد ونحاس أو صفر، فأخرجته وأنفذت الذهب؛ فقبل»[3].

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥١٧؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٣٨.
٢. الكافي، ج ١، ص ٥١٨؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٣١٠.
٣. الكافي، ج ١، ص ٥١٨؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢٩٧.

خامسها: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد، عن الفضل الخزّاز المدائنيّ مولى خديجة بنت محمّد أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنّ قوماً من أهل المدينة من الطالبيين كانوا يقولون بالحقّ فكانت الوظائف ترد عليهم في وقت معلوم.

فلمّا مضى أبو محمّد عليه السلام رجع قوم منهم عن القول بالولد، فوردت الوظائف على من ثبت منهم على القول بالولد وقطع عن الباقين فلا يذكرون في الذاكرين، والحمد لله ربّ العالمين»[١].

سادسها: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد، قال: «أوصل رجل من أهل السواد مالاً فردّ عليه وقيل له: أخرج حقّ ولد عمّك منه وهي أربعمائة دراهم.

فكان الرجل في يديه ضيعة لولد عمّه فيها شركة قد حبسها عليهم، فنظر فإذا الّذي لولد عمّه من ذلك المال أربعمائة درهم، فأخرجها وأنفذ الباقي؛ فقبل»[٢].

سابعها: الكلينيّ عن القاسم بن علاء، قال: «ولد لي عدّة بنين فكنت أكتب وأسأل الدعاء فلا يكتب إليّ لهم بشيء، فماتوا كلّهم، فلمّا ولد لي الحسن ابني كتبت أسأل الدعاء، فأجبت فبقي والحمد لله»[٣].

ثامنها: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن صالح قال:

«لمّا مات أبي وصار الأمر إليّ كان لأبي على الناس سفاتج من مال الغريم، فكتبت إليه أُعلمه.

فكتب عليه السلام: طالبهم واستقضّ عليهم، فقضاني الناس إلّا رجل واحد كانت عليه سفتجة بأربعمائة دينار.

فجئت إليه أُطالبه فماطلني واستخفّ بي ابنه وسفه عليّ.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥١٨؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٣٠٩.

٢. الكافي، ج ١، ص ٥١٩.

٣. الكافي، ج ١، ص ٥١٩؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٣٠٩.

فشكوته إلى أبيه، فقال: وكان ماذا؟

فقبضت على لحيته وأخذت برجله وسجّيته إلى وسط الدار وركلته ركلاً كثيراً.

فخرج ابنه ليستغيث بأهل بغداد ويقول: قمّيّ رافضيّ قد قتل والدي.

فاجتمع عليّ منهم الخلق، فركبت دابّتي وقلت: أحسنتم يا أهل بغداد! تميلون مع الظالم على الغريب المظلوم، أنا رجل من أهل همدان من أهل السنّة وهذا ينسبني إلى قم والرفض ليذهب بمالي وحقّي؟!

قال: فمالوا عليه وأرادوا أن يدخلوا على حانوته حتّى سكّنتهم وطلب إليّ صاحب السفتجة وحلّف بالطلاق أن يوفّيني مالي حتّى أخرجتهم عنه»[1].

ورواه المفيد في إرشاده إلى أن وصل إليّ سفاتج من مال الغريب. قال: «يعني صاحب هذا الأمر عليه السلام، ثمّ قال عقيب هذا الحديث:

هذا رمز كانت الشيعة تعرفه به قديماً منها ويكون خطابها عليه للتقيّة»[2].

ونحو ذلك قال الطبرسيّ في «إعلام الورى».

أقول: غرضهم لفظ الغريم واستعماله في أخبار كثيرة.

تاسعها: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد بن شاذان النيسابوريّ قال:

«اجتمع عندي خمسمائة درهم تنقص عشرين درهماً، فأنفت أن أبعث بخمسمائة درهم تنقص عشرين درهماً، فوزنت من عندي عشرين درهماً وبعثتها إلى الأسدي، ولم أكتب مالي فيها.

فورد: وصلت خمسمائة درهم لك منها عشرون درهماً»[3].

عاشرها: الكلينيّ عن عليّ بن محمّد، عن أبي عقيل عيسى بن نصر، قال: «كتب عليّ بن زياد الصيمريّ يسأل كفناً.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٢١؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢٩٧.

٢. الإرشاد، ج ٢، ص ٣٦٢؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢٩٧.

٣. الكافي، ج ١، ص ٥٢٣.

فكتب إليه: إنّك تحتاج إليه بعد سنة ثمانين وبعث إليه بالكفن قبل موته بأيّام»[1].

فهذه عشرة مختصرة من إخباراته بالغيب من خصوص كتاب «الكافي» وهو عشر معشار بالنسبة إلى باقيها ممّا لم نذكره وهي مذكورة في كتب أصحابنا في أخباره عليه السلام، وإذا أحطتَّ خبراً بجميع ما ذكرنا في هذا الباب من إخباراتهم بالغيوب وبما في ضمائر الغيوب ممّا تجاوزت مائتي حديث تكون أربعين منها قطعاً من كتاب «الكافي» للكلينيّ، فهل يبقى شكّ لك في صحّة ما نقله صاحب الرسالة عن عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمّة من ولدي يعلمون بعلمي».

فالعجب كلّ العجب من إنكاره وهو قوله: «إنّ هذا غير مطابقة لظاهر الشريعة المطهّرة».

قلت: لا أدري ما الشريعة الّتي هذه غير مطابقة لها وإنّما أخرجنا في هذا الباب عمّا ألزمنا من ذكر الأربعين وزدنا عليها بما نقلنا لما اشتهر في هذه الأعصار من الشبهة في علمهم بالغيب.

وأقول: قد عرفت أنّ كثيراً منها إخبارهم بما في النفس قبل أن يتقوّد بها من حينه أو قبل ذلك والعلم بمثل هذا أشكل أنواع العلم بالمغيّبات، فإنّي لا أظنّ علم الملائكة بمثل هذا ولم أجده نقلاً عنهم في خبر إلّا عن الله تعالى، كما لم أجده من الأنبياء السابقين.

والحاصل، إنّه كما يظهر من فقرات الأدعية المأثورة: «يا من يحول بين المرء وقلبه، ويا من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»[2] إنّ الاطّلاع بما في النفس مختصّ بالله الخالق لها، ولا يطّلع على ما فيها ملك أو شيطان غير الله تعالى. وتصوير الاطّلاع على ما لم يظهر منه أثر في غاية الغموص، وقد عرفت دلالة الأخبار المتواترة على ذلك منهم، فهذا من خصائصهم وأجلّ بمراحل من العلم بالمغيبات من الموجودات والمستقبلات وليس إلّا بالإلهام الإلهيّ من دون واسطة فافهم! واغتنم!

فلا يبقى شكّ ولا ريب في ثبوت هذه الفضيلة لهم عليهم السلام إلّا ما ورد في بعض الأخبار، مثل ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا أعلم ما وراء هذا الجدار إلّا ما علّمني ربّي».

---

١. الكافي، ج ١، ص ٥٢٤؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٣٠٦.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٤٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٢، ص ٢٨.

وما ورد عن الأئمّة الأبرار، مثل خبر جارية للإمام غصّته وغابت عنه، فقال: لو علمت بها لضربتها.

ونظير هذه الأخبار وخصوص توقيع الحجّة المنتظر في ذلك، فمع أنّ الظاهر منها كلّها أنّهم لا يعلمون إلاّ بتعليم الله تبارك وتعالى وهذا أمر نقول به ولا ننفيه، فسيجيء تفصيل الجواب عنها في باب أنّهم محالّ مشيّة الله وبيان معاني الغلوّ وأقسام التفويض والتمييز بين الصحيح منها والباطل منها بالأدلّة القويمة.

الباب الخامس
في أنّ كلّهم نور واحد

فيصحّ ترتّب كلّ ما يصحّ على أحدهم على الآخر إسماً وصفةً وآثاراً وأفعالاً سوى ما يخصّ به أحدهم دون الآخر كاختصاص النبوّة والرسالة بالنبيّ ﷺ، ويشهد على ذلك بأوفى بيان وأتمّه بحيث لا يمكن أوفى من ذلك قوله تعالى في قصّة مباهلة رسول الله ﷺ مع نصارى نجران: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[1].

فإنّ المراد بـ«أنفسنا» عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام باتّفاق العامّة والخاصّة من المفسّرين والمحدّثين، كما أنّ المراد من «أبناءنا» الحسن والحسين عليهما السلام، كما اعترف به ابن أبي الحديد[2] مدّعياً عليه الإجماع، ومن «نسائنا» فاطمة الزهراء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

وقد صرّح به الزمخشريّ في «الكشّاف»، والفخر الرازيّ في تفسيره، والبيضاويّ في تفسيره،[3] قالوا: إنّ المراد من «أنفسنا» عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا رسول الله ﷺ، لأنّه الداعي لا المدعوّ به، بهذا المضمون صرّحوا على ما ببالي؛ فانظر!

وقال شيخنا المفيد في كتابه المسمّى بـ«الفصول» بعد أن ذكر أنّ المأمون قال يوماً للرضا عليه السلام: «أخبرني بأكبر فضيلة لأميرالمؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن.

فقال له الرضا عليه السلام: فضيلته في المباهلة، فدعا أميرالمؤمنين عليه السلام فكأنّ نفسه ﷺ بحكم

---

١. آل عمران: ٦١.

٢. شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٢٦.

٣. الكشاف، ج ٢، ص ٩٧؛ تفسير الكبير، ج ٩، ص ١٧٤؛ تفسير البيضاوى، ج ١، ص ٩٧.

الله عزّ وجلّ، وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق الله أجلّ من رسول الله ﷺ وأفضل، فواجب أن لا يكون أحد من نفس رسول الله ﷺ بحكم الله عزّ وجلّ.

فقال له المأمون: فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون لأميرالمؤمنين ما ذكرت من الفضل؟

قال: فقال له الرضا عليه السلام: ليس يصحّ ما ذكرت يا أميرالمؤمنين!! وذلك أنّ الداعي إنّما يكون داعياً لغيره، كما أنّ الآمر أمره لغيره ولا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة، كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله ﷺ رجلاً في المباهلة إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام فقد ثبت أنّه نفسه الّتي عناها الله سبحانه في كتابه وجعل حكمه ذلك في تنزيله.

فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال»[١]، انتهى.

فهذه رواية معتضدة بإدراك العقول، فيتأكّد حجّة للمنكر.

قال المجلسيّ رحمه الله في «البحار»: «قال ابن علان المعتزليّ: هذا ـ يعني إدخال الحسن والحسين عليهما السلام في المباهلة ـ يدلّ على أنّهما كانا مكلّفين في تلك الحال، لأنّ المباهلة لا تجوز إلّا مع البالغين.

وقال أصحابنا: إنّ صغر سنّهما عن حدّ البلوغ لا ينافي كمال العقل وبلوغ الحلم حدّ لتعلّق الأحكام الشرعيّة، فكان ذلك لخرق العادة، فثبت بذلك أنّهما كانا حجّة الله لنبيّه في المباهلة مع طفوليّتهما، ولو لم يكونا إمامين لم يحتجّ بهما مع صغر سنّهما على أعدائه ولم يتبيّن في الآية ذكر قبول دعائهما.

ولو أنّ رسول الله ﷺ وجد من يقوم مقامهم لباهل بهم أو جمعهم معهم، فباقتصاره عليهم يبيّن فضلهم ونقص غيرهم، وقد قدّمهم في الذكر على الأنفس ليبيّن عن لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنّهم مقدّمون على الأنفس، مُعدّون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه أنّهم أفضل خلق الله»[٢].

---

١. الفصول المختارة، ص ٣٨؛ بحارالأنوار، ج ١٠، ص ٣٥٠.

٢. بحارالأنوار، ج ٢١، ص ٢٧٦.

وأمّا الأخبار:

فالأوّل: ما رواه الشيخ في أماليه، قال: «أخبرنا جماعة عن أبي المفضّل ـ وساق السند... إلى أن قال: ـ حدّثنا عبدالرحمان بن كثير، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين عليه السلام، عن عمّه الحسن عليه السلام قال: قال الله لمحمّد صلى الله عليه وآله حين جحده كفرة أهل الكتاب وحاجّوه قومه: ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾ ... إلى آخره.

فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء، فاطمة أُمّي من الناس جميعاً؛ فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه ونحن منه وهو منّا»[١].

الثاني: الشيخ المفيد في كتاب «الاختصاص» مسنداً إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال:

اجتمع برّها وفاجرها أنّ حديث النجرانيّ حين دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المباهلة لم يكن في الكساء إلّا النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** ﴾ ... إلى آخره.

فكان تأويل «أبنائنا» الحسن والحسين عليهما السلام، و«نسائنا» فاطمة عليها السلام، و«أنفسنا» عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

الثالث: الشيخ في مجالسه قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضّل إلى أبي ذر رحمه الله: «إنّ عليّاً عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقّاص أمرهم عمر بن الخطّاب أن يدخلوا بيتاً وليغلقوا عليهم ويتشاوروا في أمرهم وأجّلهم ثلاثة أيّام، فإن توافق خمسة على قول واحد وأبى رجل منهم قُتل ذلك الرجل، وإن توافق أربعة وأبى اثنان قُتل الإثنان.

فلمّا توافقوا جميعاً على رأي واحد، قال لهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّي أُحبّ أن تسمعوا منّي ما أقول لكم، فإن يكن خيراً حقّاً فاقبلوه، وإن يكن باطلاً فانكروه.

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٥٦٣؛ بحارالأنوار، ج ١٠، ص ١٤١.

قالوا: قُل.

وذكر فضائله عليهم وهم يعترفون به.

قال عليه السلام لهم: وهل فيكم أحد أنزل الله فيه وفي زوجته وولديه آية المباهلة وجعل الله عزّ وجلّ نفسه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري؟

قالوا: لا»[١].

الرابع: ابن بابويه في «العيون» مسنداً إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديثه مع المأمون والعلماء في الفرق بين العترة والأُمّة وفضل العترة على الأُمّة، واصطفاء العترة ـ وذكر الحديث بطوله ولفظ الحديث هذا ـ: قالت العلماء: هل فسّر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنى عشر موضعاً.

وذكر المواضع من القرآن، وقال عليه السلام فيها: وأمّا الثالثة: حين ميّز الله الطاهرين من خلقه وأمر نبيّه بالمباهلة بهم في آية الابتهال، فقال عزّ وجلّ في آية الابتهال: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ ... إلى آخره.

قالت العلماء: عنى به نفسه!

قال أبو الحسن عليه السلام: غلطتم، إنّما عنى به عليّ بن أبي طالب عليه السلام وممّا يدلّ على ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: لينتيهنّ بنو وليعة، أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي ـ يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ، وعنى بالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام، وبالنساء فاطمة عليها السلام؛

فهذه خصوصيّة لا يتقدّم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق، إذ جعل نفس عليّ عليه السلام كنفسه، فهذه الثالثة»[٢]، وساق الحديث الطويل.

الخامس: ابن بابويه مسنداً إلى موسى بن جعفر عليهما السلام ـ في حديث له مع الرشيد ـ، قال الرشيد له: «كيف قلتم: إنّا ذرّيّة النبيّ؛ والنبيّ لم يعقّب والعقب للذكر لا الأُنثى، وأنتم ولد البنت ولا يكون لها عقب؟

---

١. الأمالي للطوسي، ص ٥٤٥؛ بحارالأنوار، ج ٣١، ص ٣٧٢.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٣١؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢٢٠.

فقلت: أسأله بحقّ القرابة والقبر وما فيه إلّا ما أعفاني عن هذه المسألة.

فقال: [لا، أو] تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد عليّ! وأنت يا موسى! يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا ألقي إليّ ولست أعفيك في كلّ ما أسألك [عنه]، حتّى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله وأنتم تدّعون معشر ولد عليّ أنّه لا يسقط عنكم منه شيء لا ألف ولا واو إلّا تأويله عندكم، واحتججتم بقوله عزّ وجلّ: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[1] وقداستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم؟

فقلت: أتأذن لي في الجواب؟

فقال: هات.

قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ﴾[2]، من أبو عيسى يا أميرالمؤمنين؟

قال: ليس له أب.

فقلت: إنّما ألحقه بذراري الأنبياء من طريق مريم، وكذلك ألحقنا الله بذراري النبيّ من قبل أمّنا فاطمة عليها السلام. أزيدك يا أميرالمؤمنين؟

قال: هات.

قال: قول الله: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ ﴾ ولم يدّع أحد أنّه أدخل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم تحت الكساء عند المباهلة مع النصارى إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان تأويل قوله عزّ وجلّ: «أبنائنا» الحسن والحسين عليهما السلام، و«نسائنا» فاطمة عليها السلام، و«أنفسنا» عليّ بن أبي

---

١. الأنعام: ٣٨.

٢. الأنعام: ٨٤ ـ ٨٥.

طالب عليه السلام»[١].

السادس: ابن بابويه في أماليه مسنداً إلى جابر بن عبدالله الأنصاريّ أنّه قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«في عليّ خصال لو كانت واحدة منها في جميع الناس اكتفوا بها فضلاً.

قوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ منّي وأنا منه».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ كنفسي؛ طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي».

وقوله: «حرب عليّ حرب الله وسلم عليّ سلم الله».

وقوله: «وليّ عليٍّ وليّ الله، وعدوّ عليّ عدوّ الله».

وقوله: «عليّ حجّة الله وخليفته في عباده»، و«حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر».

وقوله: «حزب عليّ حزب الله وحزب أعدائه حزب الشيطان».

وقوله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ لايفترقان حتّى يردا عليّ الحوض».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ قسيم الجنّة والنّار».

وقوله: «من فارق عليّاً فقد فارقني ومن فارقني فقد فارق الله».

وقوله: «شيعة عليّ هم الفائزون يوم القيامة»[٢].

السابع: ابن بابويه في أماليه مسنداً إلى أبي الحسن عليّ بن موسى بن جعفر الرضا عليه السلام عن أبيه عن أبيه سيّد الوصيّين أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خطبنا ذات يوم فقال: أيّها الناس! إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، ـ وذكر فضل شهر رمضان... إلى أن قال في آخر الحديث: ـ ثمّ بكى ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقلت: يا رسول الله! ما يبكيك؟

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٨٣؛ بحارالأنوار، ج ٩٣، ص ٢٤٠.

٢. الأمالي للصدوق، ص ٨٩؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٩٥.

فقال: يا عليّ! أبكي لما يستحلّ بك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود، فيضربك ضربة على قرنك فخضبت بها لحيتك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله! وذلك في سلامة من ديني؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: في سلامة من دينك.

ثمّ قال: يا عليّ! من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبّك فقد سبّني؛ لأنّك منّي كنفسي، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإيّاك واصطفاني وإيّاك واختارني للنبوّة واختارك للإمامة؛ فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي.

يا عليّ! أنت وصيّي وأبو ولدي وزوج ابنتي وخليفتي على أُمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهيي، أُقسم بالذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البريّة! إنّك حجّة الله على خلقه وأمينه على سرّه وخليفته على عباده»[1].

الثامن: ابن بابويه في أماليه، قال: حدّثنا أبي رحمه الله، وساق السند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«عليٌّ في السماء الدنيا كالقمر بالليل في الأرض، أعطى الله عليّاً من الفضل جزء لو قسّم على أهل الأرض لوسعهم، وأعطاه الله جزء من الفهم لو قسّم على أهل الأرض لوسعهم، شبّهت لينه بلين لوط، وخلقه بخلق يحيى، وزهده بزهد أيّوب، وسخاؤه بسخاء إبراهيم، وبهجته ببهجة سليمان بن داود، وقوّته بقوّة داود.

له إسم مكتوب على كلّ حجاب في الجنّة، بشّرني به ربّي وكانت له البشارة عندي، عليٌّ محمود عند الحقّ، مزكّى عند الملائكة، وخاصّتي وخالصتي وظاهرتي ومصباحي وحبيبي ورفيقي، آنسني به ربّي، فسألت ربّي أن لا يقبضه قبلي، وسألته أن يقبضه شهيداً.

أُدخلت الجنّة فرأيت حور عليّ أكثر من الشجر، وقصور عليّ بعدد البشر، عليٌّ منّي وأنا من عليّ، من تولّى عليّاً فقد تولاّني، حبّ عليٍّ نعمة واتّباعه فضيلة، وأتت به الملائكة، وحفّت به الجنّ الصالحون، لم يمش على الأرض ماش بعدي إلاّ كان هو أكرم منه عزّاً وفخراً

---

١. الأمالي للصدوق، ص ٩٣؛ بحارالأنوار، ج ٤٢، ص ١٩٠.

ومنهاجاً، لم يكن قطّ عجولاً ولا مسترسلاً لفساد، ولا منعقداً، حملته الأرض فأكرمته، لم يخرج من بطن أُنثى بعدي أحد كان أكرم خروجاً منه، ولم ينزل منزلاً إلّا كان ميموناً.

أنزل الله عليه الحكمة وردّاه بالفهم، يجالسه الملائكة وهو لا يراها، ولو أُوحي إلى أحد بعدي لأُوحي إليه.

فزيّن الله به المحافل، وأكرم به العساكر، وأخصب به البلاد، وأعزّ به الأجناد، مثله كمثل بيت‌الله الحرام يزار ولا يزور، ومثله كمثل القمر إذا طلع أضاء الظلمة، ومثله كمثل الشمس إذا طلعت أنارت، وصفه الله في كتابه ومدحه بآياته ووصف فيه آثاره ومنازله وهو الكريم حيّاً والشهيد ميّتاً»[١].

التاسع: ابن بابويه في أماليه مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كلّهم يقول: أنا أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فأخذ فاطمة عليها السلام ممّا يلي بطنه، وعليّاً ظهره، والحسن عليه السلام عن يمينه، والحسين عليه السلام عن شماله، ثمّ قال: أنتم منّي وأنا منكم»[٢].

ابن بابويه أيضاً مسنداً عن جابر بن عبدالله قال: «لمّا قدم عليّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفتح خيبر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم قولاً لا تمرّ بملأ إلّا أخذوا التراب من تحت رجليك ومن فضل طهورك يستشفون بك، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك، وإنّك منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وإنّك تبرء ذمّتي، وإنّك تقاتل على سنّتي، وإنّك غداً على الحوض خليفتي، وإنّك أوّل من يرد عليّ الحوض، وإنّك أوّل من يُكسى معي، وإنّك أوّل داخل الجنّة من أُمّتي.

وإنّ شيعتك على منابر من نور مبيضّة وجوههم حولي، أشفع لهم ويكونون غداً في الجنّة جيراني، وإنّ حربك حربي وسلمك سلمي، وإنّ سرّك سرّي وعلانيتك علانيتي، وإنّ سريرة

---

١. الأمالي للصدوق، ص ٨؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٣٧.

٢. الأمالي للصدوق، ص ١٣؛ بحارالأنوار، ج ٣٧، ص ٣٥.

صدرك كسريرة [صدري]، وإنّ ولدك ولدي، [وأنّك] تنجز عداتي.

وإنّ الحقّ على لسانك و[في] قلبك وبين عينيك، [وأنّ] الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي... إلى أن قال:

لولا أنّك لم يعرف المؤمنون بعدي»[١].

العاشر: الشيخ في أماليه مسنداً إلى أبي سعيد قال: «قال رسول الله ﷺ: عليٌّ منّي وأنا منه.

وقال جبرئيل: وأنا منكما»[٢].

الحادي عشر: الشيخ في أماليه مسنداً إلى عبدالله بن عبّاس قال: «قال رسول الله ﷺ لأُمّ سلمة: يا أُمّ سلمة! عليٌّ منّي وأنا من عليّ، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى.

يا أُمّ سلمة! اسمعي واشهدي هذا، عليّ سيّد المسلمين»[٣].

وحديث آخر ذكره الشيخ في أماليه مسنداً إلى رسول الله ﷺ قال: «وأخذ رسول الله ﷺ بكفّ عليّ عليه السلام ـ وهو يومئذٍ إلى جنبه ـ فرفعه فقال: إنّ عليّاً منّي وأنا منه؛ فمن حادّه فقد حادّني، ومن حادّني أسخطه الله.

ثمّ قال: يا عليّ! حربك حربي، وسلمك سلمي، وأنت العلم بيني وبين أُمّتي»[٤].

...إلى غير ذلك من الأخبار المشتملة على هذه الفقرة وتقريب الاستدلال به أنّه يقال: فلان منّي، لإظهار الشأن والمحبّة لقرب فلان بالقائل، وهذا يدلّ على أنّ القائل أفضل وأشرف منه.

فإذا قال: «وأنا منه» يدلّ على تساويهما من كلّ جهة، ولا أقول إنّ رسول الله ﷺ لا

---

١. الأمالي للصدوق، ص ٩٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ١٨.

٢. الخصال، ج ٢، ص ٥٥٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٠، ص ٧١.

٣. الخصال، ج ٢، ص ٦٤٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٥، ص ٣٣.

٤. الأمالي للطوسي، ص ٤٨٥؛ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ١١٨.

يكون أفضل من عليّ عليه السلام، فإنّ أفضليّته من كلّ أحدٍ من أُمّته ضروريّ الدين، ولكنّي أقول: إنّ هذه الفقرات تدلّ على أنّ عليّاً وأولاده المعصومين عليهم السلام كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمنزلته ودونه في الفضل، كما صرّحت به أخبارنا هذه أيضاً.

الثاني عشر: في «البحار» عن «كامل الزيارات» لابن قولويه مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسينٌ سبط من الأسباط»[١].

الثالث عشر: فيه عنه أيضاً مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى طعام دُعي إليه، فإذا حسين عليه السلام يلعب مع الصبيان، فاستقبل النبيّ أمام القوم، ثمّ بسط يديه فطفر الصبيّ هاهنا مرّة وهاهنا أُخرى، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضاحكه حتّى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأُخرى تحت قفاه، ووضع فاه على فيه ويقبّله، ثمّ قال:

حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[٢].

الرابع عشر: في «الكافي»، عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن عبدالله بن بحر، عن ابن مسكان، عن عبدالرحمان بن أبي عبدالله، عن محمّد بن مسلم قال: «سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول:

الأئمّة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أنّهم ليسوا بأنبياء، ولا يحلّ لهم النساء ما يحلّ للنبيّ، وأمّا ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

الخامس عشر: ما في «معاني الأخبار» مسنداً قال: «دخل ابن أبي سعيد المكاريّ على الرضا عليه السلام فقال: أبلغ الله من قدرتك أن تدّعي ما ادّعى أبوك.

فقال له: مالك أطفأ الله نورك، وأدخل الفقر بيتك؟! أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران: إنّي واهب لك ذكراً، فوهب له مريم، ووهب لمريم عيسى، فعيسى من مريم

---

١. كامل الزيارات، ص ٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٢٧٠.

٢. بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٢٧١.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٧٠؛ بحارالأنوار، ج ١٦، ص ٣٦٠.

ومريم من عيسى، ومريم وعيسى شيء واحد، وأنا من أبي وأبي منّي وأنا وأبي شيء واحد؟»[١]

وأقول: ويدلّ على هذا المطلب: أنّ نورهم وطينتهم وأرواحهم واحدة وإذا كان كذلك فيصدق على كلّ واحد منهم أنّه الآخر بالاسم، لأنّ الاسم علامة وإذاكان أرواحهم وطينتهم ونورهم واحدة فكيف لا يصحّ إطلاق الاسم لكلّ واحد منهم على الآخر؟ فترى ولد عالم يطابقه بالعلم، مثلاً يقول العرف: هو أبوه، فكيف ينكر إذا علم وحدة أنوارهم وأرواحهم وطينتهم وصفاتهم، ويدلّ على ذلك أخبار كثيرة متواترة منها:

السادس عشر: ما في الزيارة الجامعة المعروفة بالكبيرة المعتبرة سنداً، المتلقّاة بالقبول عند عامّة الأصحاب، المذكورة في «التهذيب» و«الفقيه» من الكتب الأربعة، ففيها: «أشهد أنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض»[٢].

السابع عشر: ما ورد في الزيارة المعروفة بـ«زيارة ششم» لأمير المؤمنين عليه السلام: «السلام على سدرة المنتهى، السلام على شجرة طوبى وسدرة المنتهى، السلام على آدم صفوة الله ونوح نبيّ الله وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمّد حبيب الله ومن بينهم من النبيّين والمرسلين»[٣].

فإنّ وحدة السياق من قوله: «السلام على شجرة طوبى وسدرة المنتهى» يقتضي أن يكون المراد من الكلّ هو أمير المؤمنين، لا السلام على كلّ واحد منهم وإلّا يكون السلام على سدرة المنتهى وشجرة طوبى ولم يعده ذلك.

ويؤيّد ذلك ما ورد في الخبر: أنّ من أراد أن ينظر إلى آدم في صفوته، وإلى فلان وفلان، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأصرح وأدلّ على المطلوب ما سيجيء عن صاحب العصر والزمان ـ عجّل الله فرجه ـ

---

١. معاني الأخبار، ص ٢١٨؛ بحارالأنوار، ج ٤٩، ص ٢٧٠.

٢. بحارالأنوار، ج ٩٩، ص ١٥٠.

٣. بحارالأنوار، ج ٩٧، ص ٣٠٥ مع اختلاف في النقل.

أنّه يقول في المنبر: أنا آدم، أنا نوح، وعدّ كثيراً من النبيّين والمرسلين ... إلى أن يقول: أنا محمّد، أنا عليّ بن أبي طالب، أنا الحسن بن عليّ، أنا الحسين بن عليّ، إلى أبيه ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

الثامن عشر: ما يدلّ على خلق أنوارهم معاً قبل خلق العالم، مثل ما رواه الصدوق في كتاب «فضائل الشيعة» بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ قال:

«كنّا جلوساً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله! أخبرني عن قول الله: ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾[1] فمن هم يا رسول الله الّذين هم أعلى من الملائكة؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم إلّا إبليس، فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ أي: من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش.

فنحن باب الله الّذي يُؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسكنه جنّته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلّا من طاب مولده»[2].

التاسع عشر: ما في «البحار» عن «تفسير فرات» مسنداً إلى رجل اسمه قبيضة، فسأل أبو عبدالله عليه السلام قال: «أين كنتم قبل أن يخلق الله سماء مبنيّة وأرضاً مدحيّة أو ظلمة أو نوراً؟

قال: يا قبيضة! كنّا أشباح نور حول العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بخمسة عشرة ألف عام، فلمّا خلق الله آدم فرّغنا في صلبه فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر حتّى بعث الله محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم؛

فنحن عروة الله الوثق، من استمسك بنا نجى، ومن تخلّف عنّا هوى، لا ندخله في باب

١. ، ص: ٧٥.

٢. فضائل الشيعة، ص ٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢.

ضلالة ولا نخرجه من باب هدى، ونحن رُعاة شمس الله، ونحن عترة رسول الله ﷺ، ونحن القبّة الّتي أطال الله أطنابها واتّسع فناءها، من ضوى إلينا نجى إلى الجنّة، ومن تخلّف عنّا هوى إلى النار.

قلت: لوجه ربّي الحمد.

قال المجلسيّ رحمه الله: «رعاة شمس الله» أي: نرعيها ترقّباً لأوقات الفرائض والنوافل، ويحتمل أن يراد بها النبيّ»[1].

أقول: لا يخفى أنّ الظاهر هو الأخير.

العشرون: ما في «البحار» عن «كنز العرفان» قال: روى الصدوق في كتاب «المعراج» عن رجاله إلى ابن عبّاس قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو يخاطب عليّاً وهو يقول:

يا عليّ! إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه، فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله، فكنّا أمام عرش ربّ العالمين نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونهلّله، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرضين.

فلمّا أراد أن يخلق آدم خلقني وإيّاك من طينة واحدة من طينة علّيّين وعجننا بذلك النور وغمسنا في جميع الأنوار وأنهار الجنّة، ثمّ خلق آدم واستودع صلبه تلك الطينة والنور.

فلمّا خلقه استخرج ذرّيّته من ظهره فاستنطقهم وقرّرهم بالربوبيّة، فأوّل خلق الله إقراراً بالربوبيّة أنا وأنت والنبيّون على قدر منازلهم وقربهم من الله عزّ وجلّ.

وقال الله تبارك وتعالى: صدقتما وأقررتما يا محمّد! ويا عليّ! وسبقتما خلقي إلى إطاعتي وكذلك كنتما في سابق علمي فيكما، فأنتما صفوة خلقي والأئمّة من ذرّيّتكما وشيعتكما وكذلك خلقتكم.

ثمّ قال النبيّ ﷺ: يا عليّ! فكانت الطينة في صلب آدم ونوري ونورك بين عينيه فما زال ذلك النور ينتقل بين أعين النبيّين والمنتجبين حتّى دخل النور والطينة إلى صلب عبدالمطّلب فافترق نصفين، فخلقني الله من نصفه واتّخذني نبيّاً ورسولاً، وخلقك من النصف الآخر

---

١. تفسير فرات، ص ٥٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٦٠، ص ٦٩.

فاتّخذك خليفة على خلقه ووصيّاً ووليّاً.

فلمّا كنت من عظمة ربّي جلّ جلاله كقاب قوسين أو أدنى قال لي: يا محمّد! من أطوع خلقي لك؟

فقلت: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال عزّ وجلّ: اتّخذه خليفة ووصيّاً، فقد اتّخذته صفيّاً ووليّاً.

يا محمّد! كتبت اسمك واسمه على عرشي من قبل أن أخلق الخلق محبّة منّي لكما ولمن أحبّكما وتولّاكما وأطاعكما، فمن أحبّكما وأطاعكما وتولّاكما كان عندي من المقرّبين، ومن جحد ولايتكما وعدل عنكما كان عندي من الكافرين الضالّين.

ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فمن ذا يلج بيني وبينك وأنا وأنت من نور واحد وطينة واحدة، فأنت أحقّ الناس بي في الدنيا والآخرة وولدك ولدي، وشيعتكم شيعتي، وأولياؤكم أوليائي، وأنتم غداً معي في الجنّة»[1].

الحادي والعشرون: ما في «البحار» عن كتاب «المختصر» للحسن بن سليمان ممّا رواه عن كتاب «منهج التحقيق» بإسناده إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا.

فقيل: يابن رسول الله! عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟

فقال عليه السلام: هو محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولدي الحسين وتاسعهم قائمهم.

ثمّ عدّهم بأسمائهم، ثمّ قال: والله! نحن الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن المثاني الّتي أعطانا الله نبيّنا، ونحن شجرة النبوّة ومنبت الرحمة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله ووديعة الله جلّ جلاله في عباده وحرم الأكبر وعهده المسئول عنه.

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣.

فمن وفى بعهدنا وفى بعهد الله، ومن خفره فقد خفر ذمّة الله وعهده، فعرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا، نحن الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا.

ونحن والله! الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، إنّ الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه على عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرحمة والرأفة، ووجه الّذي يُؤتى منه، وبابه الّذي يدلّ عليه، وخزّان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعروة الوثقى، والدليل الواضح لمن اهتدى.

وبنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، ونزل الغيث من السماء، وتنبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبِد الله، ولولانا ما عُرف الله، وأيم الله! لولا وصيّة سبقت وعهدٌ أُخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه أو يذهل منه الأوّلون والآخرون»[١].

الثاني والعشرون: ما فيه أيضاً عن كتاب «المحتصر» للحسن بن سليمان ممّا رواه من كتاب «الآل» لابن خالويه رفعه إلى أبي محمّد العسكريّ عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

لمّا خلق الله آدم وحوّا تبخترا في الجنّة، فقال آدم لحوّا: ما خلق الله خلقاً أحسن منّا.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل أن ائتني بعبدتي الّتي في جنّة الفردوس الأعلى.

فلمّا دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنّة على رأسها تاج من نور، وفي أُذنيها قرطان من نور، قد أشرقت الجنان من حسن وجهها. قال آدم: حبيبي جبرئيل! من هذه الجارية الّتي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟

فقال: هذه فاطمة بنت محمّد نبيّ من ولدك يكون في آخر الزمان.

قال: فما هذا التاج على رأسها؟

قال: بعلها عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: فما القرطان اللذان في أذنيها؟

قال: ولداها الحسن والحسين عليهما السلام.

---

١. الفضائل، ص ١٢٨؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٤.

قال: حبيبي جبرئيل! أخلقوا قبلي؟

قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة»[١].

الثالث والعشرون: ما رواه في كتاب «مقتضب الأثر» مسنداً إلى سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا نظر إليّ قال: «يا سلمان! إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً ولا رسولاً إلّا جعل له اثني عشر نقيباً.

قال: قلت: يارسول الله! قد عرفت هذا من الكتابين.

قال: يا سلمان! فهل علمت نقبائي الإثنى عشر الّذين اختارهم الله بالإمامة من بعدي؟

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: يا سلمان! خلقني الله عزّ وجلّ من صفاء نوره فدعاني فأطعته، وخلق من نوري عليّاً فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليّ فاطمة فدعاها إلى طاعته فأطاعته، وخلق منّي ومن عليّ ومن فاطمة الحسن والحسين عليهما السلام فدعاهما إلى طاعته فأطاعاه، فسمّانا الله بخمسة أسماء من أسمائه:

فالله المحمود وأنا محمّد، والله العليّ وهذا عليّ، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذوالإحسان وهذا حسن، والله المحسن وهذا الحسين.

ثمّ خلق من نور الحسين تسعة أئمّة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنيّة وأرضاً مدحيّاً وهواءاً أو ماءاً أو بشراً أو ملكاً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونستمع له ونطيع.

فقال سلمان: قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأُمّي! ما لمن عرف هؤلاء؟

فقال: يا سلمان! من عرفهم حقّ معرفتهم، واقتدى بهم ووالى وليّهم وتبرّأ من عدوّهم فهو والله! منّا يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن.

قلت: يا رسول الله! يكون إيمان بهم بغير معرفتهم وأسمائهم وأنسابهم؟

فقال: لا يا سلمان!

فقلت: يا رسول الله! فأنّى لي بهم؟

---

١. كشف الغمة، ج ١، ص ٤٥٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٥.

قال: قد عرفت إلى الحسين، ثمّ سيّد العابدين عليّ بن الحسين، ثمّ ابنه محمّد ابن عليّ باقر علم الأوّلين والآخرين من النبيّين والمرسلين، ثمّ ابنه جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله، ثمّ عليّ بن موسى الرضا لأمر الله، ثمّ محمّد بن عليّ الجواد المختار من خلق الله، ثمّ عليّ بن محمّد الهادي إلى الله، ثمّ الحسن بن عليّ الصامت الأمين العسكريّ، ثمّ ابنه حجّة بن الحسن المهديّ الناطق القائم بأمر الله.

قال سلمان: فسكتُّ، ثمّ قلت: يا رسول الله! أُدع الله لي بإدراكهم.

قال: يا سلمان! إنّك مدركهم وأمثالك ومن تولّاهم بحقيقة المعرفة.

قال سلمان: فشكرت الله كثيراً، ثمّ قلت: يا رسول الله! مؤجّل لي إلى أن أدركهم؟

فقال: يا سلمان! إقرأ ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً** ﴾[1].

قال سلمان: فاشتدّ بكائي وشوقي وقلت: يا رسول الله! بعهد منك؟

فقال: إي والّذي أرسل محمّداً إنّه بعهد منّي وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمّة وكلّ من هو منّا ومظلوم فينا، إي والله!

ثمّ قال: يا سلمان! ثمّ لنحضرنّ إبليس وجنوده وكلّ من محّض الإيمان ومحّض الكفر محضاً حتّى يؤخذ بالقصاص والأوتار ولا يظلم ربّك أحداً، ونحن تأويل هذه الآية: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾[2].

قال سلمان: فقمت من بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وما يبالي سلمان متى لق الموت أو لقيته»[3].

---

١. الإسراء: ٥ و٦.

٢. القصص: ٥ و٦.

٣. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٦.

الرابع والعشرون: ما في «البحار» عن «أمالي» الشيخ عن المفيد عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن فضالة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنّا وشيعتنا خُلقنا من طين من علّيين، وخُلق عدوّنا من طينة خَبال من حمأ مسنون.

قال: قال الجزريّ فيه: من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة، وصار تفسيره في الحديث: أنّ الخبال عصارة أهل النار، والخبال في الأصل: الفساد، ويكون في الأفعال والأبدان والعقول»[1].

وأقول: الخبال كأنّه عصارة يجمع من الأجزاء الفاسدة الداخلة في أجزاء الفلزّات حين أذيبت، فيجمع تحت الآت الذوبان وهو شيء أشدّ من الحجارة صلب شديد، والله أعلم.

الخامس والعشرون: ما في «بصائر الدرجات» مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ الله خلق محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنّه كان لطينته نضح، فجعل طينة أميرالمؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لطينة أميرالمؤمنين عليه السلام نضح فجعل طينتنا من فضل طينة أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان لطينتنا نضح فجعل طينة شيعتنا من نضح طينتنا؛ فقلوبهم تحنّ إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم وهم خير لنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير لنا ونحن خير له»[2].

السادس والعشرون: فيه أيضاً عن محمّد، عن أبي الحجّاج قال: قال أبوجعفر عليه السلام:

«يا أبا الحجّاج! إنّ الله خلق محمّداً وآل محمّد من طينة علّيّين وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك، وخلق شيعتنا من طينة دون علّيّين وخلق قلوبهم من طينة علّيّين.

فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمّد، وإنّ الله خلق أعداء آل محمّد من طين سجّين؛ فقلوبهم

---

١. الأمالي للطوسي، ص ١٤٩؛ بحارالأنوار، ج ٥، ص ٢٢٥ و ج ٢٥، ص ٨.

٢. بصائر الدرجات، ص ١٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٨.

من أبدان أولئك، وكلّ قلب يحنّ إلى بدنه »[١].

بيان : قال الفيروزآباديّ: السجّين ـكسكّين ـ: الدائم [و] الشديد وموضع فيه كتاب الفجّار وواد في جهنّم، أعاذنا الله منها، أو حجر في الأرض السابعة.[٢]

السابع والعشرون : فيه أيضاً مسنداً إلى جابر الجعفيّ قال: «كنت مع محمّد بن عليّ عليهما السلام فقال:

يا جابر! خلقنا نحن ومحبّينا من طينة واحدة بيضاء نقيّة من أعلى علّيّين، فخلقنا نحن من أعاليها وخلق محبّينا من دونها، فإذا كان يوم القيامة التقت العليا بالسفلى، وإذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلى حجزة نبيّنا، وضرب شيعتنا بأيديهم إلى حجزتنا، فأين ترى يصيّر الله نبيّه وذرّيّته؟ وأين ترى يصيّر ذرّيّته ومحبّيها؟

فضرب جابر يده على يده فقال: دخلناها وربّ الكعبة »[٣].

الثامن والعشرون : ما في «بصائر الدرجات» مسنداً عن المفضّل بن عيسى الهاشميّ قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام أنا وأبي عيسى، فقال له: أمن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سلمان رجل منّا أهل البيت»؟

فقال: نعم.

فقال: أي: من ولد عبدالمطّلب؟

فقال عليه السلام: منّا أهل البيت.

فقال له: أي: من ولد أبي طالب عليه السلام؟

فقال: منّا أهل البيت.

فقال: إنّي لا أعرفه.

قال عليه السلام: فاعرفه يا عيسى! فإنّه منّا أهل البيت.

---

١. بصائر الدرجات، ص ١٤؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٨.

٢. قاموس المحيط، ج ٢، ص ٧٤.

٣. بصائر الدرجات، ص ١٥؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١١.

ثمّ أومأ بيده إلى صدره، ثمّ قال: ليس حيث تذهب، إنّ الله خلق طينتنا من علّيّين وخلق طينة شيعتنا من دون ذلك، فهم منّا، وخلق طينة عدوّنا من سجّين، وخلق طينة شيعتهم من دون ذلك وهم منهم، وسلمان خير من لقمان»[1].

التاسع والعشرون: ما في «الكافي» عن محمّد بن يحيى مسنداً إلى الثمالي قال: «سمعت أباجعفر عليه السلام [يقول:]

إنّ الله خلقنا من أعلى علّيّين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك؛ فقلوبهم تهوي إلينا، لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه.

ثمّ تلا هذه الآية: **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ ٱلأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾**[2].

وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك؛ فقلوبهم تهوي إليهم، لأنّها خلقت ممّا خلقوا، ثمّ تلا: **﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾**[3]»[4].

بيان: اعلم أنّ المفسّرين اختلفوا في تفسير علّيّين، فقيل: هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة، أو السماء السابعة، أو سدرة المنتهى، أو الجنّة، أو لوح من زبرجد أخضر مُعلَّق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه.

وقال الفرّاء: أي: في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية.

والسجّين: الأرض السابعة، أو أسفل منها، أو جبّ في جهنّم. وقال أبو عبيدة: هو قيل من السجن.

فالمعنى: أنّ كتابة أعمالهم أو ما يكتب منها في علّيّين أي: في دفتر أعمالهم، أو المراد أنّ دفتر

---

١. بصائر الدرجات، ص ١٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ٣٣١.

٢. المطففين: ١٨ ـ ٢١.

٣. المطفّفين: ٧ ـ ٩.

٤. الكافي، ج ١، ص ٣٩٠؛ بحارالأنوار، ج ٥٨، ص ٤٣.

أعمالهم في تلك الأمكنة الشريفة، وعلى الأخيرة فيه حذف مضاف أي: وما أدراك ما كتاب علّيّين؟

الثلاثون: ما في «الكافي» مسنداً إلى أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنّة عدن الّتي غرسها الله ربّي بيده فليتولّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليتولّ وليّه، وليعاد عدوّه، وليسلّم للأوصياء من بعده، فإنّهم عترتي من لحمي ودمي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، إلى الله أشكو من أُمّتي المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم ـ أو عنهم ـ صلتي، وأيم الله! ليقتلنّ ابني، لا أنالهم الله شفاعتي»[1].

الواحد والثلاثون: ما في «البصائر» مسنداً إلى الأصبغ بن نباتة قال: «كنت مع أميرالمؤمنين عليه السلام فأتاه رجل فسلّم عليه، ثمّ قال: يا أميرالمؤمنين! إنّي والله! لأُحبّك في الله وأُحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية، وأدين الله بولايتك في السرّ كما أُدين بها في العلانية.

وبيد أميرالمؤمنين عليه السلام عود، فطأطأ به رأسه، ثمّ نكت بعوده في الأرض ساعة، ثمّ رفع رأسه إليه فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني بألف حديث لكلّ حديث ألف باب، وإنّ أرواح المؤمنين تلتقي في الهواء فتشاما، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف! ويحك! لقد كذبت، فما أعرف وجهك في الوجوه ولا اسمك في الأسماء.

[ثمّ] خل عليه [رجل] آخر فقال: يا أميرالمؤمنين! أنا أُحبّك في الله وأُحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية، وأُدين الله بولايتك في السرّ كما أُدين الله في العلانية.

قال: فنكت بعوده الثانية، ثمّ رفع رأسه إليه فقال: صدقت، إنّ طينتنا طينة مخزونة أخذ الله ميثاقه من صلب آدم، فلم يشذّ منها شاذّ ولا يدخل فيها داخل من غيرها، إذهب واتّخذ للفقر جلباباً، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا عليّ! والله! الفقر أسرع إلى محبّينا من السيل إلى بطن الوادي»[2].

---

١. الكافي، ج ١، ص ٢٠٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٣٦.

٢. بصائر الدرجات، ص ٣٩١؛ بحارالأنوار، ج ٥٨، ص ١٣٤.

أقول: قوله: «تشاما» أي: شمّ أحدهما الآخر.

وقال في النهاية: حديث طويل عليّ عليه السلام: «من أحبّنا أهل البيت فليعدّ للفقر جلباباً» أي: ليزهد في الدنيا وليصبر على الفقر والقلّة.

والجلباب: الإزار والرداء... إلى آخر ما ذكره.

الثاني والثلاثون: في «البحار» عن «إكمال الدين» مسنداً إلى أبي حمزة قال: «سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول:

إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمّداً وعليّاً والأئمّة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله عزّ وجلّ ويقدّسونه وهم الأئمّة الهادية من آل محمّد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ»[1].

الثالث والثلاثون: ما فيه عنه أيضاً مسنداً إلى المفضّل قال: قال الصادق عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا.

فقيل له: يابن رسول‌الله! ومن الأربعة عشر؟

فقال: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين آخرهم القائم الّذي يقوم بعد غيبته، فيقتل الدجّال ويطهّر الأرض من كلّ ظلم وجور»[2].

الرابع والثلاثون: ما في «بصائر الدرجات» بإسناده قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

«خلقنا من علّيّين، وخُلق أرواحنا من فوق ذلك، وخُلق أرواح شيعتنا من علّيّين، وخُلق أجسادهم من دون ذلك؛ فمن أجل تلك القرابة بيننا وبينهم قلوبهم تحنّ إلينا»[3].

أقول: وفي «الكافي»[4] هذا الحديث والاختلاف: «فمن أجل تلك القرابة»... إلى آخره.

---

١. كمال الدين، ج ١، ص ٣١٨؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٣.

٢. كمال الدين، ج ٢، ص ٣٣٥؛ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٣.

٣. بصائر الدرجات، ص ١٩؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ١٢.

٤. الكافي، ج ١، ص ٣٨٩.

والحنين: الشوق وتوقان النفس.

الخامس والثلاثون: أخبار تدلّ على أنّ الحسين عليه السلام لم يرضع من ثدي فاطمة عليها السلام ولا من ثدي أُنثى، بل ارتضع من إبهام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من فيه حتّى شدّ عظمه ونبت لحمه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا مخصوص بالحسين عليه السلام دون الحسن عليه السلام لما في صلبه من الأئمّة الطاهرين:

في «الكافي» عن أبي عبدالله: «إنّ جبرئيل نزل على محمّد صلى الله عليه وآله فقال: إنّ الله يبشّرك بمولود»[1]،... إلى آخر الخبر، وقال في ذيله:

«ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة عليها السلام ولا من أُنثى، كان يُؤتى به النبيّ صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه عليه السلام، فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاث؛ فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله ودمه من دمه، ولم يولد لستّة أشهر إلّا عيسى بن مريم والحسين بن عليّ»[2].

قال الكلينيّ: وفي خبر آخر: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يؤتى به الحسين عليه السلام فيلقمه لسانه فيمصّه فتجري به ولم يرتضع من أُنثى»[3].

وبمعناه روايات أُخر: «فنبت لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله»[4].

بل في رواية في «الكافي» أيضاً:

«إنّه لمّا ولد الحسن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: لا ترضعيه حتّى آتيك.

فبكى الحسن عليه السلام فوضعت فاطمة عليها السلام ثديها في فيه، فلمّا جاء النبيّ صلى الله عليه وآله وقصّت القصّة قال: إنّ قضاء الله كائن.

فلمّا ولد الحسين عليه السلام نهاها عن إرضاعه حتّى جاء صلى الله عليه وآله وأرضعه من إبهامه أو من

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٦٤.

٢. الكافي، ج ١، ص ٤٦٥.

٣. الكافي، ج ١، ص ٤٦٥؛ بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ١٩٨.

٤. بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٢٥٤.

لسانه[١].

هذا نقل بالمعنى، ويعلم من هذا وأمثاله من اختصاص الحسين عليه السلام بذلك [و] إنّ الإمام لابدّ وأن يكون لحمه ودمه وعظامه من رسول الله صلى الله عليه وآله بلا واسطة أُنثى وإن كانت فاطمة الزهراء عليها السلام.

وقوله: «إنّ قضاء الله كائن» لعلّه إشارة إلى أنّ الإمامة من ولد الحسين عليه السلام لا الحسن عليه السلام؛ فافهم!

...إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة تصريحاً وإشارة وكناية على أنّ أرواحهم وأنوارهم وأجسادهم وقلوبهم وطينتهم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض، كما ورد التصريح بذلك في الروايات والزيارات، ولو استقصيت ما وجدته فضلاً عمّا لم أجده لربّما يبلغ المائة بل يرتقيها.

ولا ريب في أنّ صفاتهم وأفعالهم وأقوالهم وأخبارهم واحدة ولذا ترى ورود العام من واحد والخاص من آخر، أو مجمل من واحد والمبيّن من آخر، وكلّ ذلك من جهة أنّ كلّهم بمنزلة شخص واحد؛ أوّلهم وآخرهم، وظاهرهم وباطنهم، وسرّهم وعلانيتهم، ونورهم وطينتهم، وكلمتهم وحكمهم كلّها واحد وليس الاختلاف إلّا في الأشخاص والظهور في الأوقات، فتسمية كلّ واحد منهم بأمر الآخر أمر سهل ومجاز في اللفظ، وحقيقة في الحقيقة.

وأيضاً ترى كثيراً ما لو اشتهر شخص بصفة كمال أو العلم أو الشجاعة أو السخاوة أو غيرها فكلّ واحد من أولاده وأحفاده لو أكمل هذه الصفة يقولون: إنّه هو ورسول الله صلى الله عليه وآله قد أكمل في جميع الصفات الكماليّة الصوريّة والمعنويّة الظاهريّة والباطنيّة وأولاده المكرّمون المعصومون قد أقتدوا به صلوات الله عليه في جميع الصفات والأخلاق.

فلا بأس بأن يقال: إنّ الحسن محمّد، والحسين محمّد، والسجّاد محمّد، والباقر محمّد، والصادق محمّد، والكاظم محمّد، والرضا محمّد، والجواد محمّد، والنقيّ محمّد، والعسكريّ محمّد، والحجّة محمّد.

---

١. لاخط! بحارالأنوار، ج ٤٣، ص ٢٥٤.

وهو هو في الاسم والخَلق والخُلق، فإنّه أشبه الناس طرّاً بجدّه المصطفى خلقاً وخُلُقاً ومنطقاً، وفي كلّ صفة وفضيلة، كما نطقت به الروايات، ولهذا ورد أنّ تاسعهم أفضلهم؛ فافهم!

وأيضاً ترى في العرف كثيراً ما يقال لمن ظهر منه كثرة السخاء: إنّه حاتم، ولمن كثير علمه يقال: إنّه علّامة، ولمن ظهر منه الشجاعة: إنّه رستم، فظهور صفة واحدة صار سبباً لإطلاق اسم المشهور بتلك الصفة عليه، فكيف إذا كانت أنوارهم وطينتهم وأرواحهم وأوصافهم وأخلاقهم وأفعالهم وآثارهم كلّها واحدة، فإطلاق اسم أكملهم وأشرفهم وأجلّهم وأعلمهم وأفضلهم وهو رسول الله ﷺ الّذي هو الأصل والمنشأ والمركز بالنسبة عليهم صحيح سهل لا بأس به.

كما في أخبار كثيرة في موارد متعدّدة، فما أبعد عن الصواب إنكار ما لو ورد مثل هذا الإطلاق فيهم.

فما ورد: «إنّ أوّلنا محمّد، وأوسطنا محمّد، وآخرنا محمّد، وكلّنا محمّد»[١] ـ كما في الرواية ـ صحيح لا ضير فيه لا لفظاً ولا معنى ولا عقلاً ولا نقلاً، والإنكار لمحض الاستبعاد غريب، مع أنّه أمر لفظيّ لا يوجب غلوّاً ولا فساداً.

وأيضاً قد أثبتنا ورود إطلاق عين الله ولسان الله وأُذن الله ويد الله وجنب الله عليهم في أخبار كثيرة متواترة لا يمكن إنكارها، فإنكار اسم رسول الله ﷺ عليهم أولى وأولى، بل قد أثبتنا ورود إطلاق ربّ الأرض عليهم وإنّهم الأسماء الحسنى الّتي أمر الله بالدعاء بها، بل دريت الدعاء بألفاظ أساميهم في الأخبار، فإطلاق إسم جدّهم عليهم أولى وأصحّ، فيصحّ أن يقال: كلّ واحد منهم محمّد، وكلّ واحد [منهم] عليّ بنوع من المجاز بلا إشكال.

وسيجيء زيادة توضيح للمرام في الأبواب الآتية، مثل أخبار إنّ فرض طاعتهم كفرض طاعة رسول الله ﷺ وطاعة الله، وحبّهم حبّ رسول الله وحبّ الله، وبغضهم بغض رسول الله وبغض الله، ورضاهم وسخطهم وظلمهم، بل قتلهم قتل رسول الله، وإهانتهم إهانة

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٣.

رسول‌الله، وإكرامهم وإحسانهم إكرام رسول الله، كما ورد في الروايات، ومن ذلك الباب ثار الله وابن ثاره؛ فافهم! وغير ذلك ممّا سيجيء الإشارة إليها في الأبواب الآتية إن شاء الله تعالى.

فهذا الأمر السهل بمحض إنّ صاحب الرسالة رأى الخبر المشتمل عليه ضعيف السند أنكره وعدّه من مجعولات الغلاة والزنادقة.

فهب إنّه لم يرد عليه رواية أصلاً ويقول واحد من المسلمين بأحد الوجوه المذكورة إنّ الصادق عليه السلام محمّد، وأراد توصيفه بكثرة العلم والحلم أو المنطق ـ مثلاً ـ فهل هو غلوّ منكر ولايحتاج المقام إلى بسط أكثر من هذا فليرجع إلى ذكر الأخبار لإكمال العدد الموعود لإنجاز العهد المعهود، فنقول:

السادس والثلاثون: الأخبار الدالّة على أنّهم واحد في فرض الطاعة، في «الكافي» مسنداً إلى معمّر بن خلاد قال: «سأل رجل فارسيّ أباالحسن عليه السلام، فقال: طاعتك مفترضة؟

فقال: نعم.

فقال: مثل طاعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟

قال: نعم»[١]، انتهى.

السابع والثلاثون: فيه عن الحسين بن أبي العلاء قال: «ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام قولنا في الأوصياء: إنّ طاعتهم مفترضة.

قال: نعم، هم الّذين قال الله عزّوجلّ في حقّهم: ﴿ **أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[٢]، وهم الّذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[٣]»[٤].

الثامن والثلاثون: فيه عن الحسين بن المختار، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٨٧.

٢. النساء: ٥٩.

٣. المائدة: ٥٥.

٤. الكافي، ج ١، ص ١٨٧.

في قوله تعالى: « ﴿ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً ﴾[١]
قال: الطاعة المفترضة »[٢].

التاسع والثلاثون: ما فيه أيضاً عن أبي الصباح الكنانيّ قال: « قال أبو عبدالله عليه السلام:

نحن قوم فرض الله عزّ وجلّ طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الّذين قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[٣] »[٤].

الأربعون: في « الكافي » أيضاً عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « سألته عن الأئمّة هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحد؟
قال: نعم »[٥].

الواحد والأربعون: فيه أيضاً عن محمّد بن نصر الطبريّ قال: «كنت قائماً على رأس الرضا عليه السلام بخراسان وعنده عدّة من بني هاشم وفيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العبّاسيّ، فقال عليه السلام:

يا إسحاق! بلغني أنّ الناس يقولون: إنّا نزعم أنّ الناس عبيد لنا؟! لا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله! ما قلته قطّ ولا سمعته من أحد من آبائي قال ولا بلغني عن أحد من آبائي قاله، ولكنّي أقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدّين؛ فليبلّغ الشاهد الغائب »[٦].

الثاني والأربعون: فيه أيضاً عن محمّد بن الفضيل قال: « سألته عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّ وجلّ.

---

١. النساء: ٥٤.
٢. الكافي، ج ١، ص ١٨٦؛ بحارالأنوار، ج ٩، ص ١٩٤.
٣. النساء: ٥٤.
٤. الكافي، ج ١، ص ١٨٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٣، ص ١٩٤.
٥. الكافي، ج ١، ص ١٨٧.
٦. الكافي، ج ١، ص ١٨٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٢٧٩.

قال: أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّ وجلّ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أُولي الأمر.

قال أبو جعفر عليه السلام: حبّنا إيمان وبغضنا كفر»[١].

الثالث والأربعون: فيه عن أبي الصباح قال: أشهد أنّي سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول:

«أشهد أنّ عليّاً عليه السلام إمام فرض الله طاعته، وأنّ الحسن عليه السلام إمام فرض الله طاعته، وأنّ الحسين عليه السلام إمام فرض الله طاعته، وأنّ عليّ بن الحسين عليه السلام إمام فرض الله طاعته، وأنّ محمّد بن عليّ عليه السلام إمام فرض الله طاعته»[٢].

... إلى غير ذلك ممّا يدلّ على أنّهم واحد في فرض الطاعة وأنّ طاعتهم طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابع والأربعون: ما في «الكافي» عن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«ما جاء به عليّ عليه السلام آخذ به، وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولمحمّد الفضل على جميع من خلق الله عزّ وجلّ، المتعقّب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقّب على الله وعلى رسول الله، والرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله.

كان أميرالمؤمنين عليه السلام باب الله الّذي لا يؤتى إلّا منه وسبيله الّذي من سلك بغيره هلك.

وكذلك جرى لأئمّة الهدى واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنّة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصاء والميسم.

ولقد أقرّت له جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقرّوا لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد حمّلت على مثل حمولته وهي حمولة الرب، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُدعى فيُكسى، وأُدعى فأُكسىٰ،

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٨٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٩١.

٢. الكافي، ج ١، ص ١٨٦.

ويستنطق وأُستنطق فأنطق على حدّ منطقه.

ولقد أُعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي؛ علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، ولم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عنّي ما غاب عنّي، أُبشّر بإذن الله، وأُؤدّي عنه كلّ ذلك من الله، مكّنني فيه بعلمه، ـأو منه بعلمه ـ»[١].

أقول: هذا خبر شريف فيه إشارات لطيفة مثل حمولة الربّ. فافهم!

الخامس والأربعون: فيه مسنداً إلى سعيد الأعرج قال: «دخلت وسليمان بن خالد على أبي عبدالله عليه السلام، فابتدأنا وقال: يا سليمان! ما جاء عن أميرالمؤمنين عليه السلام يُؤخذ به وما نهى يُنتهى عنه، جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله ولرسول الله الفضل على جميع خلق الله»[٢]... الخبر.

السادس والأربعون: ما فيه مسنداً إلى الحلوانيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فضل أميرالمؤمنين عليه السلام ما جاء به آخذ به وما نهى عنه أنتهي أنا عنه، جرى له من الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما جرى لرسول الله، والفضل لمحمّد، المتقدّم بين يديه كالمتقدّم بين يدي الله ورسوله، والمفضّل عليه كالمفضّل على رسول الله، والرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله.

فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله باب الله الّذي لا يُؤتى إلّا منه، وسبيله الّذي من سلكه وصل إلى الله، وكذلك كان أميرالمؤمنين من بعده، وجرى للأئمّة واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تبيد بأهلها، وعمد الإسلام ورابطة على سبيل هداه، لا يهتدى هاد إلّا بهديهم، ولا يضلّ خارج من الهدى إلّا بتقصير عن حقّهم، أُمناء الله على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر، والحجّة البالغة على من في الأرض، يجري لآخرهم من الله مثل الّذي جرى لأوّلهم، ولا يصل أحد إلى ذلك إلّا بعون الله.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا قسيم الله بين الجنّة والنار؛ لا يدخلها داخل إلّا على حدّ قسمي، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الإمام لمن بعدي والمؤدّي عمّن كان قبلي، لا يتقدّمني أحد

١. الكافي، ج ١، ص ١٩٦؛ بحارالأنوار، ج ٣٩، ص ٣٤٤.

٢. الكافي، ج ١، ص ١٩٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٥٢.

إلّا أحمد، وإنّي وإيّاه لعلى سبيل واحد إلّا أنّه المدعوّ باسمه.

ولقد أُعطيت الستّ: علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب، وإنّي لصاحب الكرّات ودولة الدول، وإنّي لصاحب العصا والميسم والدابّة الّتي تكلّم الناس»[1].

أقول: وهذا الخبر أيضاً من أدلّ الأخبار على عموم علمهم وشمول ولايتهم وحجّيّتهم على من فوق الأرض، واحفظ قوله: «لا يتقدّمني أحد إلّا أحمد» وفيه خصائص فضائله بقوله: «وإنّي لصاحب الكرّات»... إلى آخره.

فهذه بضعة وأربعون حديثاً دالّة بصراحتها وصريحة بدلالتها على أنّهم واحد؛ أنوارهم وأرواحهم وطينتهم وبدء خلقتهم وفرض طاعتهم وصفاتهم وأفعالهم وأخلاقهم، أفيصحّ أن يقال: فلان رستم أو حاتم، أو فلان علّامة، أو فلان ملك، أو فلان سلطان ـ مثلاً ـ كما نرى في العرف والعادة كثيراً لبروز صفة واحدة فيه من المشبّه به ولا يصحّ أن يقال: عليّ محمّد ويراد من ذلك في العلم والحلم ووجوب الطاعة والأخلاق والأوصاف والأحكام والنوريّة والعلّيّة والغائيّه والمبدئيّة والولاية والفضيلة والشفاعة والحوض واللواء والجود والكرم والسخاء والمروّة والعدالة والفصاحة وكلّ كمال يدرك أو فضل يوصف مع أنّه قد ورد في آيات كثيرة وروايات متواترة أنّ كلّما ثبت لمحمّد ﷺ ثبت لعليّ عليه السلام إلّا النبوّة، كما تفصح عنه آية ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا** ﴾.

ورواية: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لانبيّ بعدي»[2].

والروايات المذكورة آنفاً أنّ لرسول الله ﷺ الفضل على جميع من خلق وهو ثابت لأمير المؤمنين عليه السلام، كما أقرّت به جميع الملائكة والروح وعامّة الأنبياء والمرسلين على حسب درجاتهم في الفضل، وستعرف لذلك زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

---

١. الكافي، ج ١، ص ١٩٧؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٥٣.

٢. الكافي، ج ٨، ص ١٠٦؛ بحارالأنوار، ج ٨، ص ١.